

كتاب الدين ميثم بن علي بن ميثم البصراني
١٤٩٩

إختيار

مصباح السالكين

شرح



الوسط

دار الحوراء

مطبع المصطفى
محمد هادي الأميني

المدخل

لا أحسب كتاباً على امتداد التاريخ، وعبر القرون والأحقاب... منذ أن تدرج الإنسان على الأرض... وضعت حول جوانبه ومفاهيمه وبحوثه ومطالبه ومواضيعه أمهات الكتب والدراسات والشروح، بعد القرآن الكريم مثل كتاب (نهج البلاغة) فهو لاحتوائه على «٢٤٢» خطبة وكلاماً، و٧٨ كتاباً ورسالة، و٤٩٨ كلمة، من يواظب الحكمة ودر البيان، وجوامع الكلم... أشغل الشخصية الإسلامية... وحول نحوه الجامعات والأكاديميات العلمية والأدبية والفلسفية... وأخذ بمجامع العقول والأفكار والقلوب... منذ أن قالها وأنشأها وصاغها وأرتجلها، عملاق الفصاحة، وعبقري البلاغة، وسيد البيان، وأمير الأدب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه سلام الله ورحمته وبركاته.

والواقع أن الكتاب هذا... في حروفه... كلماته... جمالاته... سطور... جاذبية خاصة... والكثير من قوة الجذب التي لا عهد لنا بها إلا في القرآن الكريم... فهو كالمسك ما كثرته يتضوع، ولذلك نجد بينه وبين القرآن تشابهاً، وترادفاً في الهدف، والغاية، والغرض، واللفظ، والمعنى، والسياق، والبيان، والشكل... ولهذا يعتقد الكثير من أئمة البيان والكلام، أن نهج البلاغة وليد القرآن فحسب.

ولا غرو، ولا مغالاة في القول هذا، بعد أن وجدنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حفظ القرآن كله، فوقف على أسرار، وإعجازه، وحكمه، وظاهره، وباطنه، وناسخه، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، وكافة جزئياته وكتلياته، وسار القرآن في جسمه، واختلط به لحمه، ودمه، ومشى في عروقه، ثم وجدنا الجميع في نهج البلاغة... مع تبيان الصريح، وإعلانه الرصين في عدة مواضع صارخاً: سلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن

كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بلبيل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل.^١
 أو ما رواه المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن المنصور، عن أبيه، عن علي بن
 العباس، عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوا عن ذكر علي
 ابن أبي طالب، فلقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه خصالا لأن تكون
 لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا، و
 أبو بكر، وأبو عبيدة، في نفر من أصحاب رسول الله (ص) فانتهيت إلى باب أم سلمة، و
 علي قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله (ص)؟ فقال: يخرج إليكم، فخرج
 رسول الله (ص) فخرنا إليه، فاتكأ على علي بن أبي طالب، ثم ضرب يده على منكبه، ثم
 قال: إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده
 وأقسمهم بالسوية وأرفهم بالرعية وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني،
 والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافراً، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، و
 تدود عن حوضي، ثم قال ابن عباس من نفسه: ولقد فاز علي عليه السلام، بصهر
 رسول الله (ص)، وبسطة في العشرة، وبذلاً للماعون وعلماً بالتنزيل وفقهاً للتأويل و
 نبلاً للأقران.^٢

ومن هنا نرى الغزالي^٣ بعد تلاوته الحديث هذا، يقول: قد علم الأولون والآخرون،
 أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي، ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من
 ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء.^٤

١ - التفسير ٣: ٩٥ - الأحاديث الواردة في علم أمير المؤمنين - رأي الصحابة فيه وإن أول من اعترف له
 بالعلمية نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم. مستدرک الصحيحين ٣: ٤٩٩. كنز العمال ١٣: ٦. جمع الجوامع
 كما في تربيته ٣٩٨: ٦. مسند أحمد بن حنبل ٢٦: ٥. الرياض النضرة ٢: ١٩٤. مجمع الزوائد ٩: ١٠٩، ١١٤. مناقب
 الخوارزمي: ٤٩.

٢ - حلية الأولياء ٦٦: ١. الرياض النضرة ٢: ١٩٨. مطالب السؤل ٣٤. كنز العمال ٦: ٣٩٣.
 كفاية الطالب: ١٩٧. اسد الغابة ٥: ٥٢٠. مجمع الزوائد ٩: ١١٣. الاستيعاب ٢: ٤٦٢. بسنده عن سعيد بن وهب.
 ذخائر العقبى: ٦١ وقال: أخرجه الطبراني.

٣ - أبو حامد حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي الطوسي المتوفى ٥٠٥ هـ.

٤ - قبض التفسير ٣: ٦٤.

هذا بالإضافة إلى عشرات الأحاديث، والروايات الصحيحة الثابتة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في علم علي عليه السلام وقضائه وأدبه وحكمته ودينه وإيمانه وتكامله في كافة الجوانب العلمية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، فهو نسيج وحده بعد المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في جميع المثل والقيم الإنسانية، ولذلك يمكن القول بصراحة أن نهج البلاغة... وليد القرآن، من دون منازع ومن غير افتقار إلى دليل وحجة وبرهان، ولم يكن القول هذا بابتداع واختلاق منبث عن التعصب والانحياز، والغلو وإنما هو عقيدة أئمة الأدب وفقهاء البيان والبلاغة وأحبار الحكمة، والفلسفة، وجهابذة النحو والمنطق واللغة، منذ إنشاء نهج البلاغة وصوغه وإنشاده وتكوينه.

لقد تلقت رجالات الفصاحة وفقهاء البيان وأحبار الحكمة والفلسفة كتاب نهج البلاغة، بالإكبار والتجليل، وقفت خاشعة ذاهلة أمام أسلوبه الرصين وبيانه السحري ونهجه البالغ وسبكه العذب ومعنويته الحية، وراحت تدرسه وتحلله، وتضع له شروحا وتفسيرات، وترجمته إلى اللغات الحية، ووضعت حوله دراسات وبحوث شتى، فبلغ ما ينيف على ٣٥٠ شرحاً وترجمة باللغتين العربية والفارسية^٥، وعلى هذا يمكن القول: أن المؤلفات والكتب الخاصة، بكتاب نهج البلاغة تشكل وحدها مكتبة عامرة ولعل الله يوفق من يجمع هذه الدراسات والكتب في خزانة خاصة، أو يضع لها ثبناً و معجماً خاصاً، خدمة للعلم والأدب والتأريخ:

كتاب كأن الله رضع لفظه
بحجوه آيات الكتاب المنزل
حوى جگماً كالذر ينطق صادقاً
ولا فرق إلا أنه غير منزل

* * *

هذا ومن الذين شرحوا كتاب نهج البلاغة، فقيه الحكماء وفيلسوف الفقهاء وفخر العلماء والأدباء وأفضل المتقدمين والمتأخرين، كمال الدين ومفيد الدين الشيخ ميشم

٥ - الغدير ٤: ١٨٦.

٦ - هذا وقد ترجم نهج البلاغة إلى اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والهندية والتركية وغيرها.

ابن علي بن ميثم البحراني ... رضي الله عنه، فقد صنف لهذا الكتاب شروحا ثلاثة، بأسلوب علمي بليغ ونهج فلسفي قويم، كانت موضع التقدير والإكبار والبحث والتدريس.

ولد ونشأ هذا العيلم التحرير في البحرين، وترعرع في أحضان العلم والفقه، لأن أسرته كانت من الأسر الشهيرة العريقة، فنشأ في حجر أبيه المقدس وبذل في تربيته الجهد، واستفرغ في تأديبه وتهذيبه وسعه وبؤاه من علمه وحكمته في تثقيفه مَبَوَّأَ صدق مبارك، يفتح له سبل الحجى ويدفعه إلى أوج الهدى والتقى، فأخذ أولاً علوم اللغة والصرف والنحو وفنون اللسان، وحصل في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبدیع و علم المنطق، على درجة و امتياز رفیع.

لقد أخذ هذه العلوم عن أساتذة مهرة بررة من علماء البحرين، اختارهم له والده، و كان يقف على دروسه معهم لا يألو جهداً في تشويقه وتشجيعه وتنشيطه وتمرينه، ولا يتخروصاً و فراغاً في إرهاف عزمه و اغترافه في الامعان بالبحث والمناقشة.

و كان منذ نعومة أظفاره و أول بشائه بعبء المهمة، تَوَّافاً إلى المعرفة والكمال، و نزاعاً إلى الفضيلة والعبقرية، فحسب عن ساعد الجد والاجتهاد وجتد نفسه في التحصيل، حتى بز أقرانه وزملائه، و جلى و هاز دولتهم في جميع المجالات بالقدر المعلى، و فشى ذكره في التحصيل على السنة الخاصة والعامة، من أهل بلده، و خالط صيته العقل والفضل والهدى والرأى وحسن السميت في تلك الأرجاء و عند الجميع، فكان المثل الأعلى في الحوزات العلمية و أوساط الشبيبة في حمد السيرة و طيب السريرة و جمال الخلق و كمال الخلق و حب الخير.

غير أنه آثر العزلة و اختارها و أحبها و هام بها لأنه بلغ مقام الأنس على حد قول علماء الاخلاق، وقد قالوا: إنَّ من بلغ مقام الأنس غلب على قلبه حب الخلوة والعزلة عن الناس، لأنَّ المخالطة مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام إلى الله، فلا بد من بيان أنَّ الأفضل من العزلة والمخالطة أيهما، فإنَّ العلماء في ذلك مختلفون والأخبار أيضاً في ذلك مختلفة، و لكل واحد منهما أيضاً فوائد ومقاسد، وقد أجمعت كلمتهم على تفضيل العزلة على المخالطة مطلقاً، لوجود فوائد، منها، الفراغ للعبادة، والذكر والفكر والاستيناس

بمناجاة الله والإشتغال باستكشاف أسرار الله في ملكوت السماوات والأرض والتخلص
عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة^٧.

ومهما يكن من أمر فإن المترجم له... أثر العزلة إلى أن تخلص منها على أثر
مكاتبات جرت بينه وبين علماء العراق، فغادر مسقط رأسه متوجّهاً إلى العراق وإيران،
بغية زيارة الأعتاب المقدسة ومراقد أهل البيت الطاهرين عليهم السلام في النجف
الاشرف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء، وخراسان، وقم، ومن ثم الاجتماع بالعلماء
والفقهاء في الحوزات العلمية آنذاك .

لقد استغرقت رحلته هذه، سنين عدة وعاد إلى البحرين، وكانت أوقاته منقسمة
حتى في السفر بين المحارب والمطالعة والتدريس والكتابة والبحث والارشاد، ففي سفره
صنّف الشروح الثلاثة لكتاب نهج البلاغة، كما كانت مجالس تزاوره في رحلته مدارس
سيارة، يجد الطالب فيها ما يبتغيه من فنون العلم، والحكمة والأدب وما إلى ذلك من
مواعظ تسمو بالإنسان إلى حيث الملكوت والروحانية... وهو في كل هذا كما يشهد عليه
بيانه، واضح الأسلوب، فخم العبارة، بشرق الدياتحة، يعبر عن كوامن نفسه بأبلغ بيان، و
يعبر عن ضميره بأجلى العبارات الحسان، فيبلغ بقوله وكلامه أعماق القلوب من
خواص الناس وعوامهم، يخاطب كلّ منهم بما يناسب مع شعوره، ويتفق مع عقلية و
مبلّغه من الفهم والعلم والإدراك بكلام هو أندى على الأئمة من زلال السماء... فكان
منتجع رواد مجالسه على اختلاف طبقاتهم، ينقلون عنه بما إلتبسوه من ضوال الحكمة
وجزيل الفوائد العلمية وجيل العوائد العملية.

إنّ الشيخ ميثم... كرم الله وجهه، كان رحلة في العلم، كما كان قبلة في العمل
والعبادة، وإماماً في الحكمة والفقه، وعلماً في الشريعة، تمت به النعمة، وهادياً إلى الله
وجبت به المحبة، ومفرعاً في العلم تلقى إليه المقاليد، ومرجعاً في أحكام الله وقوانينه
يناط به التقليد، وثبتاً في السنن وحجة في الأخيار، وجهلاً في الوقائع وحوادث
السنين وأحوال الغابرين، طويل الباع في الحكمة، وبحراً في الاخلاق وتهذيب
النفس، لا يسهر غوره ولا ينال دركه.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على شخصيّة شيوخه ومناعة أساتذته الفطاحل، في العلوم الإسلامية إلى جانب شدّه للعلم حيازيمه، وإرهاقيه له عزائمه، وإرصاذه الأهب لأخذه بجميع فنونه عن تلّككم الجهابذ، وخوضه عباب البحار، ولذلك عنت أساتذته بأمره إلى الغاية، واهتمّت بشأنه كل الإهتمام.

شيوخه:

يكتنف حياة هذا العملاق... الكثير من الغموض مع الأسف الشديد، ولم يتوصّل المؤرّخون إلى جذور حياته ومراحل دراسته بصورة وافية، ليضعوا أمام القارئ صورة صحيحة عنه، فالجوانب من حياته مجهولة، ومنها شيوخه وأساتذته الذين تخرّج عليهم، إذ لا مشاحة أنّه تتلمذ على فحول الفقه وعمالقة الكلام وأساطين الفلسفة والحكمة وأرباب الجدل والمناقشة، فهو في الواقع حصيلة وخميرة أدمغة الفطاحل، وعصارة الحكماء ومجموعة ثقافات الفقهاء والمجتهدين، بيد أنّ المؤرّخين لم يذكروا منهم غير إثنين أو ثلاث وهم:

١- أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الإصبهاني المتوفى بعد ٦٣٥.

من كبار المحققين والفقهاء والمتضلعين في الدراية والحديث والفقه وأصوله، وكانت له حوزات تدريسيّة غاصّة بالعلماء والأدباء، منهم الخواجه نصير الدين محمد الطوسي، والسيد رضي الدين علي بن طائوس وأمثالهما وقد ترجم له أصحاب المعاجم وأثنوا عليه.

من تصانيفه الكثيرة: «إكسير السعادتين»، فيه الكثير من الكلمات القصار لأمر المؤمنين عليه السلام. «توجيه السؤالات في حلّ المشكلات». «منبع الدلائل و مجمع الفضائل». «شرح الولاء في شرح الدعاء». «مجمع البحرين و مطلع السعادتين». «مجمع الدلائل»^٨.

٨- أعيان الشيعة ١١: ٢٠٠. إيضاح المكنون ١: ٣٣٦، ٣٥٣، ٥٧٣. الفوائد الرضوية: ٤٣. روضات الجنات ١٠٢: ١٠٢. الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ١٧. ربحانة الادب ٧: ١٢٤. تنقيح المقال ١: ١٢٤. أمل الآمل ٢: ٣٢. المنزوعة ٢: ٢٧٨.

٢ - جمال الدين علي بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قانده بن صباح البحراني

مات...

الفقيه والحكيم الرياني والعالم الصمداني، أستاذ العلوم العقلية والنقلية، والمتضلّع في الحكمة والفلسفة، ومن مؤلفاته «الإشارات» في علم الكلام، شرحه تلميذه الشيخ ميشم. شرح قصيدة ابن سينا «العينية» في النفس. «مفتاح الخير في شرح رسالة الطير» لابن مينا، وقد أرسل الشرح هذا، إلى تلميذه الخواجه نصيرالدين محمد الطوسي، وطلب منه شرحه، فأجابه نصيرالدين الطوسي إلى ذلك بعد أن افتتح شرحه بالأبيات والمقدمة التالية:

أنا في كتاب في البلاغة منتو
فمنظومه كالدر جاد^٩ نظامه
دقيق المعاني في جزالة^{١٠} لفظه
كفانية حار العقول بحسنها
أنى عن كبير ذي فضائل جنة^{١١}
فأصبحت مشتاقا إليه مشاهدا^{١٢}
رجا الطرف أيضا كالغواد لقاء
قرأت من العنوان حين فتحت
ولما بدالي ذكركم في مسامي
فصادفت هذا البيت في شرح قضتي

إلى غاية ليست تقارب بالوصف
ومثوره مثل الدراري في اللطف
تجرد في نظم الغموض إلى الكشف
تمرّض عينها وملثمها يشفي
علم بما يبدى الحكيم وما يخفي
بقلبي محيّا وإن غاب عن طرفي
وإن لا يوافق قبل إدراكه حتفي
وقبلت تقبيلًا يزيد على ألف
تعشّقكم قلبي ولم يركم طرفي
وإضاح ما عاينته جملة يكفي

وردت رسالة شريفة ومقالة لطيفة مشحونة بفرائد الفوائد، مشتملة على صفائف اللطائف، مستجمعة لعرائس النفائس، مملوءة من زواهر الجواهر من الجنب الكريم السيدي السندي العالمي العاملي الفاضلي المفضلي المحققي المدققي^{١٢} الجمالي

٩- في نسخة: حاد.

١٠- نسخة: في وجازة.

١١- في نسخة: وشاهد.

١٢- نسخة: السيد السند العالم الفاضل المفضل المحقق المدق.

الكمال، أدام الله كماله وحرس الله جماله... إلى الداعي الضعيف المحروم اللهيف محمد الطوسي، فأقتبس من شرار ناره نكت الزبور، وأنس من جانب طوره أثر النور فوجدتها بكرًا حملت حرة كريمة وصادفها صدفاً تضمنت درةً يتيمة، هي أوراق مشتملة على رسائل قبي ضمنتها مسائل أرسلها، وسأل عنها من كان أفضل زمانه وأوجد أقرانه الذي نطق الحق على لسانه ولاحث الحقيقة من بيانه ورأيت المورد- أدام الله أفضاله- قد سأني الكلام فيها وكشف القناع عن مطاويها وأين أنا من المباراة مع فرسان الكلام والمعارضة مع البدر التمام وكيف يصل الأعرج إلى قلة الجبل المنيع، وأنتى يدرك الظائع شأ الضليع، لكنني لحرصي على طلب التوصل الروحاني إليه، بإجابة سؤاله وشغفي بنيل التوصل الحقيقي لديه، بإيراد الجواب عن مقاله، إجتزأت فامتثلت أمره، واشتغلت بمرسومه، فإن كان موافقاً لما أراده، فقد أدركت طلبتي، وإلا فليعذرني، إذ قدمت معذرتي، والله المستعان وعليه التكلان^{١٣}.

٣- الخواجه نصيرالدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي المتوفى ٦٧٢هـ.

الفيلسوف المحقق، أستاذ البشر وأعلم أهل البدو والحضر، سلطان العلماء والمحققين وأفضل الحكماء والمتكلمين، ممدوح الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق الذي لا يفتقر إلى التعريف لغاية شهرته، مع أنّ كل ما يقال فيه فهو دون رتبته. له مؤلفات: منها، «تجريد الكلام». «التذكرة النصيرية» في علم الهيئة. «الأخلاق الناصرية». «آداب المتعلمين». «أوصاف الأشراف». «قواعد العقائد». «تحرير المجسطي». «تحرير أصول الهندسة لأقليدس». «تلخيص المحصل». «حلّ مشكلات الإشارات لابن سينا»، إلى غيره من الحواشي والرسائل والأشعار بالفارسية والعربية.

أجمع المؤرخون أنّ الخواجه نصيرالدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميثم في

١٣- أحوال وآثار خواجه نصير الدين طوسي: ٤٧٦.

المفوائد الرضوية: ٣٠١. تذكرة المتبحرين: ٤٨٧. ربحانة الادب ٥: ٨٦. مستدرک الوسائل ٣: ٤٦٢.

الذريعة ٣٢٩: ٢١. الانوار الساطعة في المائة السابعة: ١٠٥. لباب الالقاب: ٤٨. الكنى واللقاب: ٣: ١٢٢.

الفقه وتلقه كمال الدين علي الخواجه في الحكمة.

وقد صرح بهذا المترجم له... في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بني زهرة، فقال عند ذكر اسم مولانا الخواجه مالفظه:

- وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والشرعية على مذهب الإمامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق (نور الله ضريحه) قرأت عليه (الهيئات الشفاء) لأبي علي بن سينا وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه، ثم أدركه الأجل المحتوم..
ومن شعره قوله:

لو أن عبداً أتى بالصلاحات غداً	وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صوماً بلا ملل	وقام ما قام قواماً بلا كسل
وحج كم حجة لله واجبة	وطاف بالبيت حافٍ غير متعل
وطار في الجولا يأوى إلى أحد	وغاص في البحر مأمناً من البلل
وأكسى اليتامى من الدياج كلهم	وأطعمهم من لذيذ البر والعسل
وعاش في الناس آلفاً مؤلفاً	عار من الذنب معصوماً من الزلل
ما كان في الحشر يوم البعث منتقياً	الأبحب أمير المؤمنين علي ^{١٤}

تلاميذه :

لم يكن من المؤسف كله لدينا مرجع ينبأ عن مدرسة المترجم له... وحوزته العلمية والدراسية وتلاميذه حتى بصورة موجزة، غير أن الكثيرين من أصحاب السير والتاريخ والتراجم ذكروا أن بعضاً من الفقهاء والمحدثين، روا عنه وأن الشيخ ميثم... رضي الله

١٤ - الكنى واللقاب ٣: ٤٣٣. أمل الآمل ٢: ٢٩٩. البداية والنهاية ١٣: ٢٦٧. تأسيس الشيعة: ٣٩٥.
تحفة الاحباب: ٣٤٨. روضات الجنات ٦: ٣٠٠. تنقيح المقال ٣: ١٧٩. جامع الرواة ٢: ١٨٨. ربحانة الادب
٢: ١٧٩. الذريعة ٣: ٣٥٢. شذرات الذهب ٥: ٣٣٩. العبر ٥: ٣٠٠. فوات الوفيات ٢: ١٤٩. الفوائد الرضوية:
٦٠٣. لؤلؤة البحرين: ٢٤٥. مجالس المؤمنين ٢: ٢٠١. المستدرک: ٤٦٤: ٣. الوافي بالوفيات ١: ١٧٩.
نقد الرجال: ٢٤٥. آثار و احوال خواجه: ٦٠٠.

عه، منح لهم إجازة الرواية والحديث في العراق، حين سفره إليه وهم:

١ - غياث الدين السيد عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاوس الحسني الداودي الحلبي المتوفي ٦٩٣.

نادرة الزمان وأعجوبة الدهر الحنّان، صاحب المقامات والكرامات، الراهب العابد، إنتهت إليه ربسة السادات، وذوي النوميس إليه، وكان أوحده زمانه، حفظ القرآن في مدة يسيرة، وله إحدى عشرة سنة، واشتغل بالكتابة، واستغنى عن المعتم في أربعين يوماً، وعمره أربع سنين، له تصانيف، منها: «الشمس المظوم في مصتفي العلوم» و«هجرة العربي»^{١٥}.

٢ - سعيد الدين محمد بن علي بن محمد بن جهيم، الأسدي الحلبي الرمي مات... كان عالماً، صدوقاً، فقيهاً، شاعراً، وحيهاً، أديباً، عارفاً بالأصوليين، وقيل: أن هولاء حين أئذ الحواجة بصير الدين الطوسي إلى الحلة، فاجتمع عنده فقهاؤها فأشار إلى المحقق جعفر بن الحسن بن سعيد^{١٦} وسأل من أعلم هذه الجماعة بالأصوليين؟ فأشار إلى العلامة الحلبي وإلى الفقه مفدا لدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه^{١٧}.

٣ - سيد الدين العلامة يوسف بن زير الدين علي بن محمد بن المطهر الحلبي المتوفي ٧٢٦

١٥ - معجم المصنوعات النحوية: ٢٦٣. روضات السجدة ٤: ٢٢٦، أس لأمن ١٥٨٠: ٢. تنقيح المقاب ١٥٩: ٢ جامع الرواة ٤٦٣: ١. الدرية ١٥٩: ١٦. سمية الحار ١٢٢: ٢. العوائد الرصوية: ٢٣٨. انكس والالجاب ٣٤١: ١. لؤلؤة لبحر ٩٠. مسدرك الوسائل ٤٤١: ٣. سمة دانشوران ١٨٢: ١. ربحانة الادب ٨: ٧٥. هدية الأحياب: ٧٢. ايضاح السكون ٥٧: ٢. هدية العارفين ٦١٠: ١.

١٦ - أبو نعيم جعفر بن الحسن بن أبي ركريا يحيى بن لحس بن سعيد ابيدلي الحلبي المتوفي ٦٧٦. روضات السجدة ١٨٢: ٢. أحياب انشبة ٣٧١: ١٥. كشف الظنون: ١٩٢٢. ايضاح المكشوف ٤٢٧: ٤٣، ٥٠٧، ٦٩٥. العوائد الرصوية. ٩٢. انكس والالجاب ١٥٤: ٣. ربحانة الادب ٥: ٢٣١. هدية الأحياب: ٢٣٣. المشترك ٣: ٤٧٣.

١٧ - أحول وكنار: ٣٨-٣٩. الانوار الساطعة. ١٥٥. انموذ الرصوية: ٤٥٠. أسل الآمل ٢: ٢٥٣. ربحانة الأدب ٤٥٧: ٧.

والدالّامة الحلّي المتوفى ٧٢٦، كان فقيهاً، محققاً، مدرّساً، عظيم الشأن، وهو من مشايخ ولده، وقد اكثر النقل عنه في كتبه.

وقيل: أبو المظفر سديد الدين الشيخ الأجل، الأكمل، الفقيه المتكلم الأصولي، والد إمامنا الدالّامة على الإطلاق وأستاذه الأقدم في الفقه والأدب والأصول والأخلاق، قال شيخنا السعيد الشهيد قنّس الله روحه في إجازته لابن العازن: والشيخ الأعظم فخر الدين بن الإمام الأعظم الحجة أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصور الحسن بن الإمام الحجة الفقيه سديد الدين أبي المظفر بن الإمام المرحوم زين الدين علي بن المظفر أقاض الله على ضرايحهم المراحم الربانية، وحيّاهم بالنعم الهنيئة، ومنه يظهر أنّ زين الدين علي جد الدالّامة كان أيضاً من العلماء المبرزين^{١٨}.

هذا ما وقفنا عليه في المراجع، وما جاء عن تلاميذه والرواة عنه، وقد أسلفنا القول في ترجمة الخواجه نصير الدين الطوسي أنّ المؤرخين أجمعوا على أنّ نصير الدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه، وتتلّمذ كمال الدين على الخواجه في الحكمة.



كمال الدين في المعاجم :

لم تزل مآثر هذا الحكيم المتكلم... المكرّمة، وشخصيته العلمية الفذة، موضع التبجيل، والتقدّيس، ورهن التكريّم والتقدير، منذ حياته، وتلّما تجد مؤلفاً وعالمّاً في أيّ حقّ كان، لم يستفد من فيض علمه الرصين، وبيانه المحكم العذب ومداده القويّ الأمين، السائل الذي لا ينضب، وهذا ما لا يحفى على أحد مهما أوتي من حول في الحكمة، وقوة في الكلام، ويبدو من تقصّي أخباره، ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله، أنّه تأدّب، وتتلّمذ على أعظم الشيوخ في كلّ المجالات.

وإليك بعض ما جاء عنه في المعاجم، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ما تكنه

١٨ - احوال وآثار: ٢١٦، ٢٣٨. الفوائد الرصوية: ٧١٧. الانوار الساطعة: ٢٠٩. أمل الآمل ٣٥٠: ٢. روضات الجنات ٨: ٢٠٠. تنقيح المقال ٣: ٣٣٦.

وعند كاتب مقدمة كتاب قواعد المرام في علم الكلام - الدالّامة المحي الحسن بن يوسف من جملة تلاميذ ابن ميثم... وهو اشتباه ينم عن عدم تتبع الكاتب وعدم معرفته بالرجال، وكم له في المقدمة من هتات واغاليط.

العلماء، ومسؤولون والأدباء، له من التقدير والتبجيل واشاء العطر.

قال المحقق الفقيه السيد محمد دقر الموسوي الحوانساري الاصهاني المتوفى

١٢٢٦ مالفظة:

كان من العلماء الفضلاء، المدققين متكلماً ماهراً، له كتب منها: شروح نهج البلاغة، كبير ومتوسط وصغير، و«شرح المائة كلمة»، ورسالة في الإمامة، ورسالة في الكلام ورسالة في العالم وغير ذلك.

يروى عنه السيد عبدالكريم بن أحمد بن طاوس وغيره، وكذا في «أمل الآمل»، وقال صاحب التلوة، بعد عده من حملة مشايخ العلامة أعلى الله مقامهما ومقامه، أما الشيخ ميثم المذكور، فإنه العلامة الميسوف المشهور، وقال شيخنا العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني عظم الله مرقده، في رسالته المسماة (السلافة البهية في الترجمة الميثمية)^{١٩}: هو الفيلسوف المحقق والحكيم المدقق، قدوة المستكلمين، وربة الفقهاء والمحدثين، العالم الرباني، كمال الدين ميثم بن عيسى بن ميثم البحراني، غواص بحار المعارف ومقتصر شوارد حقائق واللصائف، ضم إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية وأحراز قصبات السنن في العلوم لحكمية والفنون العقلية، ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان دكرامات بهرة ومآثر زاهرة، ويكفيك دليلاً على جلالة شأنه، و سطوع برهانه، اتفاق كلمة أئمة الأعصار وأساطين الفضلاء في جميع الأمصار، على تسميته بالعالم الرباني، وشهادتهم له بأنه لم يوجد مثله في تحقق الحقائق، وتسيق المباني، والحكيم الميسوف سلطان المحققين، واستاذ الحكماء والمتكلمين، نصير المنة والدين محمد الطوسي شهد له بالتبحر بالحكمة والكلام، ونظم عرر مدائحه في أنفع نظام.

واستاذ البشر، والعقل الحاد يعشر، سيد المحققين، أشرف الجرحاني^{٢٠} على

١٩ - طبعت هذه الرسالة في ول كتاب - الكشكول - ص ٤١ - ٥٣.

٢٠ - أشرف لمير السيد عبي بن محمد بن عبي الجرحاني الجعفي الاسترآبادي المولى ٨١٦.

الكنى واللقب ٣٥٨: ٢٢، بمئة الوعاة ٣٥٦ الصوة انلامع ٣٢٨: ٥، هبة العارف ٧٢٨: ١، سيرالندلع ١ ٤٨٨، لنواند البهية ١٢٥. ابصح المكبول ١٤٠: ١، ٥٦٧، ٢٢٩: ٢، ٥٧٣، ٧١٥، روصات الحجاب ٥ ٣٠٠.

محاسن المؤمنين ٢١٨: ٢.

جلالة قدره في أوائل (فرز البيان من شرح المفتاح) قد نقل بعض تحقیقاته الأنيقة، وتدقیقاته الرشيفة، عبر عنه ببعض مشايخنا، ناطماً نفسه في منك تلامذته، ومستحراً بالاحراط في منك المستفيدين من حضرته، المقتبسين من مشكاة فطرته.

والسيد السند الفيلسوف الأوحد، مير صدرالدين محمد الشيرازي، كثر العقل عنه في حاشية (شرح التحرير) سيما في مباحث الجواهر والأعراس، والتلفظ فرث التحقيق التي أبدعها عطر الله مرقده، في كتاب (المعراج السماوي) وغره من مؤلفاته، لم تسمح بمثله الأعصار ما دارا فلک الدوار، وفي الحقيقة من اطلع على (شرح نهج البلاعة) الذي صنعه للصاحب حواجه عظامك الجويني^{٢١} وهو علة مجلدات شهد له بالتبرز في جميع العون الإسلامية، والأدبية والحكمية، والأسرار العرفانية^{٢٢}.

وقل الفقيه الشهيد، القاضي نور الله بن السيد شريف لدين الحسيني المرعشي المستري المقتول عام ١٠١٩ هـج بالعارسية بالغة: الشيخ الحكيم، المتكلم، الفقه، لأدب، مفيد الدين ميثم الحراتي قدس الله سره.

غواص بحر معارف، ودر جمع علوم مهر، وعارف، ومحقق طوسي اورا حكيم گفته، وگوهر مدح او بنان بيان صفت و مير صدرالدين محمد شيرازي در حاشيه شرح تحرير خصوصاً در مبحث جوهر، از زوهر افادات او كه در كتب معراج سماوي، وغير آن از مصنفات او مذكور است استفاده نموده، و بمواقع تحقيقات آن حكيم محقق استند جسته، و سيد المحققين قدس سره الشريف در أوائل هر بيان از «شرح مفتاح» نزد نقل بعضی كه از او نموده تعبير از او بعض مشايخا فرموده، و بحق شرح نهج البلاعة كه نام خواجه عظاملك جوئي، نوشته در عشقش او در حكمت و تصوف و كلام، و ماير علوم

٢١ - الحواجة علاء الدين صاحب الديوان عطاء ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد الجويني المتوفى ٦٨١.
الانوار الساطعة. ٩٧. شيرت انهد ٥: ٣٨٢ وفيه توفي سنة ٦٨٣. حوت الوفا ٢: ٤٥٢. روحانه الادب. ٤٤٤.١.

٢٢ - روضات الحيات ٧-٢١٦.

أهل اسلام دليلى تمامست^{٢٣}.

وترجم له العلامة المتتبع الفقيه السيد محسن بن السيد عبدالكريم الأمين العاملي المتوفى ١٣٧١ هـ.

قال: الشيخ كمال الدين ميشم بن علي بن ميشم البحراني المعاصر لدخواجه نصير الدين الطوسي في الرياض: هو صاحب «شرح نهج البلاغة» المعروفة، الكبير والصغير والوسيط وغيرها، وليس هو من أولاد ميشم التمار وإن ظن ذلك.

وفي «أنوار البدرين» أثنى عليه المحقق الطوسي، ثناءً عظيماً، وعبر عنه المحقق الشريف في «شرح المفاتيح» في أوائل علم البيان، ببعض مشايخنا، وأثنى عليه صدر المحققين مير صدر الدين اشيرازي، في «حواشي التجريد»، في مباحث الجواهر وأعجب بما أورده في المعراج السماوي.

رأيت في بعض الرسائل، أنه تتلمذ على المحقق الطوسي، في الحكمة، وتتلمذ عليه المحقق في العلوم الشرعية ولم يستثنه، روى عنه العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر^{٢٤}، وقرره متردد بين بضعين، نثاهما مشهورة بأنها مشهدة، إحداها في جبانة الدويخ، وأخرى في مهنا من الماحوز، ورأيت في رسالة للكفعمي في وفیات العلماء أنه مات في دارالسلام بعماد^{٢٥} والله أعلم بحقيقة الحال.

وذكره الشيخ فخر الدين الطريحي في (مجمع البحرين) وأثنى عليه شاء أحميلاً، وذكر أنه ورد إلى الحلة السيفية وكانت له مع علمائها قصة عجيبة. واستجاز منه كثير من علمائها، كالعلامة الحلبي، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

وآلف الشيخ سليمان البحراني، في أحواله رسالة سماها «السلافة البهية في الترجمة المشمية» وذكر القصة المذكورة صاحب «مجالس المؤمنين»^{٢٦}.

٢٣ - مجالس المؤمنين ٤: ٢١٠.

٢٤ - الصحيح ان العلامة يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلبي روى عنه لاولده العلامة جمال الدين الحسن.

٢٥ - الصواب وفاته في البحرين وقد فصلنا القول فيه وفي قبره عند البحث عن وفاته.

٢٦ - الصحيح ان الترجمة انوفية هذه جاءت في - نؤثو البحرين - لاهي - مجمع لبحرين -.

وقد عنه سليمان بن عبدالله البحراني: في «السلافة البهية في الترجمة الميثمية»، هو العيسوف المحقق والحكيم المدقق، قدوة المتكلمين، وزبدة الفقهاء والمحدثين، العالم الرثاني، عواص بحر المعارف، ومفتصر شوارد الحقائق والظوائف، ضم إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السق في العلوم الحكمية، والفنون العقلية، ذوقا جيدا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، وأكثر النقل عنه في حاشية التجريد، السيد اعلمسوف مير صدر الدين الشيرازي^{٢٧}.

وكتب عنه المحدث المؤرخ الشيخ عباس بن محمد رضا بن «أبوالقاسم القمي» المتوفى ١٣٥٩، بالفارسية.

فقال: علم رباني، فيلسوف محدث، محقق وحكيم مثله، مدقق جامع معقول و منقول، استاذ الفضلاء الفحول، همام عالمي كه صنديد أرباب فنون، وجهابذة أساتيد علوم، به تقديم وی در اصول عقلی وبقی ادعان آورده اند، وجملة از أفاضل از مجلس تحقیق وی فیوضات گرفته اند، و وست صاحب شروح ثلاثه بر نهج البلاغة، «شرح کبیرش» بر نهج البلاغة بطبع رسیده.

شيخ آواه سليمان بن عبدالله در وصف آن گفته: وهو حقیق بأن یکسب بالنور علی الأحدق، لا بالحبر علی الأوراق وشرح صد کلمه، والمعراج السماوی، ورسائلی در إمامت، ودر علم، ودر وحی والهام، ودر کلام وشرح اشارات استاد خود شیخ علي بن سليمان بحراني وغير ذلك.

روایت می کند از میثم مذکور آیه الله علامه حلی^{٢٨}، و سید عبدالکریم بن طائوس، و روایت می کند او از حساب خواجه نصیر طوسی، و عالم رسائی کمال الدین علي بن سليمان بحراني، و از ابن میثم مذکور نقل می کند حکایت معروفه.

و شیخ سليمان بحراني رساله در أحوال او نوشته مستی بـ «السلافة البهية في الترجمة الميثمية»، و در آنجا نقل کرده که محقق طوسی، و میر سید شریف جرجانی، و میر صدر لدین محمد شیرازی، و غیر ایشان از أساطین حکماء و متکلمین شهادت

٢٧ - اعیان الشیعة ٤٩: ٩٨.

٢٨ - أسلفه العرب في الهامش رقم ٢٤ ان الذي يروي عنه وأند العلامة الحلي يوسف، لا العلامة الحسن.

داده اند متبخر ابن ميثم، در حکمت و کلام، وميرين از تحقيقات وشيخه اودن
کرده اند^{۲۹}.

وقال المحدث القمي أيضا في ترجمته له:

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، اعالم الرباني، والفيلسوف المتبحر
المحقق، والحكيم المتأله المدقق، جامع المعقول والمنقول، استاذ الفضلاء الفحول،
صاحب الشروح على نهج البلاغة.

يروي عن المحقق نصيرالدين الطوسي، والشيخ كمال الدين علي بن سيمان
البحراني، ويروي عنه آية الله العلامة، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

قيل ان الحواشي نصيرالدين الطوسي، تنمذ على كمال الدين ميثم في لفقه، وتنمذ
كمال الدين على الحواشي في الحكمة^{۳۰}.

و ترجم له العلامة الحجة الفقيه السد حسن بن السيد هادي س محمد علي الصدر
المنوفي ۱۳۵ هـ.

فقال: مهم، الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني، لمعاصر للسكاكي صاحب
«المفتاح»، كان علامة في العلوم العقلية والمقلية، وعنه قرأ المحقق نصيرالدين
الطوسي، وسيأتي ذكره في أئمة علم الكلام، صنف في علم البيان، والمعاني كتابه
«تجريد البلاغة»، وعليه شروح، منها شرح الفاضل المقداد السوري، من علماء الإمامة
سماه «تجريد البراعة في شرح تجريد البلاغة»^{۳۱}.

وقال أيضا:

ومهم: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المعروف بالعماد
الرباني، له التبرز في جميع الفنون الإسلامية ولأدبية، ولحكمه والكلام، والأسرر
العرفانية، اتفقت كلمة الكل على إمامته في الكل.

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله البحراني، في «السلافة لبهية في الرحمة

۲۹ - النوند الرصوية ۶۸۹.

۳۰ - الكسى والالهاب ۱ ۳۳

۳۱ - تأسيس الشيعة ۱۶۹.

الميشية» ما لفظه بحروفه: هو الفيلسوف المحقق، ولحكيم المدقق، قدوة المتكلمين و
زبدة الفقهاء والمحدثين، العالم الرباني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني،
غواص بحر المعارف، ومقتصد شوارد الحقائق ولطائف، صم إلى الإحاطة بالعلوم
الشرعية، وإحراز قصص السبق في العلوم الحكمية، والفنون لعقبة دوقاً حيداً في العلوم
الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة، ومآثر زاهرة، ويكفيك دليلاً على
جلالة شأنه وسطوع برهانه، اتفاق كلمة أئمة الأعصاب وأساطين الفضلاء في جميع
الأمصار على تسميته بالعالم الرباني، وشهادتهم له بأنه لم يوجد مثله في تحقيق
الحقائق، وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين، وأستاذ الحكماء
والمتكلمين نصير الملة والدين محمد اطوسي، شهد له دلتبحر في لحكمة، والكلام، و
نظم غرر مدائحه في أبلغ نظام، وأستاذ البشر والعقل الحادي عشر، سيد المحققين الشريف
البحراني، على حلالة قدره، هي أوائل في البيان من «شرح المفتاح»، قد نقل بعض
تحقيقاته الأنيقة، وتدقيقاته الرشيدة، عرعه بعض مشايخنا ناطماً نفسه في مسك
تلامذته، ومفتخراً بانخراطه في مسك المستفيدين من حصرت، المقربين من مشكاة
فطرته، والسيد السند الفيلسوف الأوحد، ميرصدر الدين الشيرازي، أكثر النقل عنه في
حاشية شرح التجريد، سيما في مباحث الجواهر ولأعرض، والنقط فرند التحقيقات
التي أدعها - عطراله مرقده - في كتاب «المصراع السماوي»، وغيره من مؤلفاته لم تسمح
بمثله الأعصاب، مادار الملك الدوار وفي الحقيقة من اطلع على شرح نهج البلاغة، الذي
صنعه لصاحب خواج عطاء ملك الحويني، وهو عدة مجندات شهد له بالترز في جميع
الفنون الإسلامية، ثم حكى حكايته المشهورة المعروفة بقوله: كسي يا كسي^{٣٢} ثم ذكر
مصنفاته، وقال: وله من المصنفات البديعة، والرسائل الجبيلة، ما لم يسمح بثبها
الزمان، ولم يظفر بثبها أحد من الأعيان، منها «شرح نهج البلاغة»، وهو حقيق بأب
يكتب بلور على الأحداق لا بالحر على لأوراق، وهو في عدة مجلدات.
قلت: هو شرح عدي في أربع مجلدات، ومنها شرحه «الصغير على نهج البلاغة»،

٣٢ - ستايفيت الحكاية في فصل - مع علماء العراق.

جيد مفيد جدًا، رأيت في حدود الحادية والثمانين بعد الألف ٣٣.

وقال عنه الفقيه المحدث الميرزا حسين بن الشيخ محمد نقي بن علي
الوري الصبرسي المتوفى ١٣٢٠ هـ. في كتابه ما لفظه:

الحكيم المتأله كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، صاحب الشروح
الثلاثة على نهج البلاغة، وشارح مائة كلمة، من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، قد
أفرد في شرح حاله بالتأليف، المحقق البحراني الشيخ سليمان، وسمّاه
«السلافة البهية»، وقال أيضا في الفصل الذي ألحقه به، في ذكر علماء البحرين: و
مهم، العالم الربّاني، والعارف الصمداني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني،
وهو مشهور في لسان الأصحاب بالعالم الربّاني، والمشار إليه في تحقيق الحقائق، و
تشديد المياني ثم ذكر بعض مناقبه ومضائله ومؤلفاته ٣٤.

وذكره المولى ملاحبيب الله الشريف الكاشاني مات ١٣٤٠ هـ.

فقال: كمال الدين، ومفيد الدين، وهو ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شارح
«نهج البلاغة»، كان فيلسوفاً، حكماً محققاً، مدققاً وفضله أشهر من أن يذكر، ولكنه
كان حاملاً عبر طالع للشهرة والرياسة ٣٥.

إلى غير هذا من كلمات النساء، والتعظيم لمقامه العلمي، ومكانته الفكرية
السامية، الخارجة عن حدود الذكر والبيان والإحصاء، وكلّها بأجمعها تدلّ دلالة واضحة
على حيويته العلمية، ومتوّته الثقافية النادرة، التي دفعته إلى قمة المجد والعظمة،
والخلود، وسيبقى عبداً خالداً تترنم به الحياة إلى الأبد... وإلى النهاية... حتى يرث الله
الأرض ومن عليها.

تأليفه :

لم يكن مفيد الدين البحراني... مكثراً في التصنيف والتأليف، بصورة واسعة كغيره

٣٣- تأسيس شيعة ٣٩٣. لقد تحدث عن بن ميثم... السيد الحسن الصدر في موضعين من كتابه.

٣٤- مسيرك نوسائل ٣: ٤٦١

٣٥- لبب الانساب ١٨ و ٣١

من العلماء والمحققين، لأنه كان منصرفاً إلى التدقيق، والتتبع والبحث، لذلك كانت مؤلفاته قليلة في العدد، وضخمة ووافرة من الناحية المعنوية، والحقيقة تهيمن عليها الحكمة، والفلسفة الإسلامية التي كانت انشودة المترجم له... طوال حياته بصورة كاملة. أمّا تصانيفه حسب ما صرح بها المؤرخون والباحثون فهي على الترتيب كما يلي:

١ - «استقصاء النظر في إمامة الأئمة الإثني عشر»:

بحث إستدلالي في الكلام، ذكره صاحب مجمع البحرين ٩: ١٧٢، وقال: لم

يعمل مثله. الذريعة ٢: ٣٢.

٢ - «البحر الخضم»:

في الالهيات. ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته، عن علماء البحرين.

الذريعة ٣: ٣٧.

٣ - «رسالة في الوحي والإلهام»:

وانفرد بينهما، والإشراق ظاهراً. الذريعة ٢٥: ٩١. روضات الجنات ٧: ٢١٩.

٤ - «شرح الإشارات»:

إشارات استاذ العالم قدوة الحكماء وإمام الفضلاء، الشيخ السعيد الشيخ علي بن سليمان البحراني المتوفى... وهو في غاية لماتة والدقة، على قواعد الحكماء المتألهين.

روضات الجنات ٧: ٢١٩. الذريعة ١٣: ٩١.

٥ - «شرح المائة كلمة»:

سماء «منهاج العارفين في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام» أوله: يا

ذاالجلال، يا حي، يا قنوس، يا سلام. طبع في طهران سنة ١٣٩٠ ويقع في ٢٧٢

صفحة بالقطع الوزيري، تحقيق وتقديم العلامة البهائة المغفور له السيد ميرجلال الدين

الحسيني الأرموي - المحدث. والكتاب من المطبوعات النادرة، تفضل بنسخة منه

لمكتبتي الخاصة نجل الفقيه الأستاذ المحقق السيد علي المحدث... رحم الله الوالد، و

بارك في الولد.

٦ - «شرح نهج البلاغة»:

صرح أكثر المؤرخين، أن له ثلاثة شروح على (نهج البلاغة) «شرح كبير»، و

«شرح متوسط»، و«شرح صغير».

أما «الشرح الكبير» فيقع في خمس مجلدات ويسمى (مصباح السالكين) طبع في طهران عام ١٢٧٦ هـ. ينقص كبيره عن نفقة الملا محمد باقر. وأعيد طبعه في خمس مجلدات سنة ١٣٧٨ بالقطع لوزير، مع مقدمة بقلم (الحاتمي)^{٣٦} ولا علاقة لها بالكتاب، وليست فيها تعرف، ودراسة عن المؤلف أو الكتاب.

و«الشرح المتوسط»، وهو الذي بين يديك، ويسمى «اختيار مصباح السالكين» واوله: سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، وقصرت ألسن البغاة عن أداء مدحته، وكيفية صفته، وشهدت مع ذلك بداية العقول برؤيته. وتوحد منه نسخ خطية تحدثنا عنها في فصل خاص من المقدمة.

أما «الشرح الصغير» فلم تُف عليه، غير أنَّ مؤلف «روصات اخنات»^{٣٧} ذكره في المجلد ٧: ٢١٩ وقال: ومن مصنفاته البديعة شرحه «الصغير على نهج البلاغة»، جيد، مفيد جداً، رأيته في حدود سنة الحادية ولثماني بعد الأنف.

كما أنَّ صاحب «الذريعة» في المجلد ١٤: ١٤٩ ذكر لكامل الدين ميثم... ثلاثة شروح، حسب ما عثره الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي المتوفى سنة ١١٢١ في رسالته المختصرة في ترجمة علماء البحرين، عند ترجمة الشيخ ميثم.

٧- «لقواعد الالهية في الكلام والحكمة»:

ويسمى أيضاً «قواعد المرام في الحكمة والكلام» - طبع أحيراً على هامش كتاب (منتخب الطريحي) أوله: ألحمد لله الولي الحميد... وقد آله لأبي المظفر عزالدين عبدالعزيز بن حمفر^{٣٨}... عثرنا على قوعد، ومقدمات وتوجد منه نسخ مخطوطة في حرات انكتب في طهران. وأعيد طبعه للمرة الثانية في ٣٩٨ هـ. بمدينة قم. بالقطع الوريري ٢٩٩.

٣٦- هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ حسن البروجردى المتوفى ١٤٠١ هـ. كان عالماً حنبلياً معسداً ورعاً وهذا من إمداد لفقه والأصول، له كذا كتب ورسائل. معجم رجال الفكر والأدب في النصف ١٤٦.

٣٧- كمانه عن غيره من الفقهاء والمحدثين.

٣٨- الملك عالم عادل عرندب والدين أبي المظفر عبدالمعز بن جعفر بن أبي بصير المتوفى ٦٧٢. الحوادث الجامعة. ٢٧٧ الانوار انساطه ٨٩ الدريعه ١٧- ١٧٩.

٨ - «المعراج السماوي» :

ينقل عنه كثيرًا السيد عليحان المدني في تصانيفه، الذريعة ٢٦ : ٢٣٠.

٩ - «نجاة القيامة في تحقيق الإمامة» :

أوله : (الحمد لله مميص الوجود، وواهب وجود كلّ موجود) رتبته على مقدمة وثلاثة أبواب، آله لعز الدين أبي المظفر عبدالعزيز بن جعفر السيساوري، وقل في المعتمدة :-
أنه لما ورد نيشابور مجتازاً، واتصل به أكرمه، وأشار إليه بتأليف كتاب في الإمامة، فأراد الاعتذار عنه بمشقة السفر، وما يستنزعه من تشعب الذهن، ومعارقة الأهل والولدان، لكنه امتنعه أداء لحقوقه... الذريعة ٢٤ : ٦٦.

هذا ولم يكن غير التصانيف المذكورة كتباً في المعاجم، وربما كانت للمترجم له... رسائل أخرى لم يقف أصحاب المعجم والسير عليها.

مع علماء العراق :

هناك في طوابع معاجم السير ولز ربيع، قصة أو حكاية نظرت إلى ذكرها كل من تصدّى لترجمة شيخ الحكمة والعلوم اشرعة كمال الدين مشتم... كرم الله وجهه... وهي نسبة عن عقيدته الراسخة، وإيمانه الصادق، وعدم غتراره بخوارف الدنيا وزينتها، وفراغته و نفرته من الشهرة والجاه، لأنهما من المهيكات العظيمة، وطالبهما طالت لآفت الدنوية والاحروية، ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته، لا يكاد أن تسلم دنياه وعقباه، إلا من شهره الله لنشر دينه، من غير تكلف، طلب للشهرة منه، ولذا ورد في دمه ما لا يمكن إحصاؤه من الآيات والأخبار فقال الله سبحانه : (من كان يُريدُ الحبةَ الثَّوبِ وزينتها نُوفِ إِلَهِمُ أَعْمَالَهُمْ فَمِهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْسِنُونَ) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحظ ما صنَعُوا فيها وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{٣٩}.

وهذا بعمومه متناول لحب الجاه، لأنه أعظم لذة من لذات الحبة الدنيا، وأكبر رغبة من زينتها.

وقال رسول الله (ص) : حب الجاه والمال، يستان الصدق في انقب، كما يبيب

الماء البقل.

وقال: ما ذنبان صاريان ارسلاني زريبة غم، بأكثر فساداً من حبّ الجاه والمال في دين الرجل المسلم.

وقال: حسب امرئ من الشر ألا من عصمه الله، أن يشير الناس إليه بالأصابع.
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكرم، واصمت تسلم، تسر الأبرار وتعيط العجائز.
وقال الإمام الباقر عليه السلام: لا تطلبن الرياسة، ولا تكن ذنباً، ولا تاكل الناس بنا هيقرئك الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعل خلف رجل إلا هلك وأهدك.
وقال عليه السلام: ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدث بها نفسه^{٤٠}.

ولأخبار هذه المضامين كثيرة، ولكثرة قفاتها لا يزال أكابر العلماء وأعاضم الأتقياء، يقرؤون منها فرور الرجل من الحية السوداء، ومنهم المترجم له رضي الله عنه... فقد ذكر أرباب المعاجم والتاريخ، أنه في أوئل الحال كان معتكفاً في زاوية العزلة والحمول، مشغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول، فكتب إليه فضلاء الحلة والعراق، صحيفة تحتوي على غزله، وملائته على هذه الأخلاق، وقالوا: المحب منك أنك مع شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف، وحدائقك في تحقيق الحقائق، وإبداع النطائيف، قاطن في طيوع الاعتزاف، ومحتم في زاوية الحمل الموجب لخمود نار الكمال...؟

فكتب في جوابهم هذه الأبيات :

طَلَبْتُ قُتُونَ الْعِلْمِ أَبْعَى بِهَا الْعُلَى	فَقَصَّرَ بِي عَسَمًا سَمُوتَ بِهِ الْقُلُ
تَهَيَّئْ لِي أَنَّ التَّحْسِينَ كُلُّهَا	فُرُوعُ وَأَنَّ السَّالَ فِيهَا هُوَ الْأَصْلُ

فما وصلت هذه الأبيات إليهم، كتبوا إليه: إنك أخطأت في ذلك خطأ طاهراً، و

حكمتك باصالة المال عجب، بل اقدب تُصَب.

فكتب في جوابهم هذه الأبيات، وهي لبعض الشعراء المتقدمين:

قَدْ قَالَ قُوسٌ يَغِيرُ عِلْمِي	مَا الْقِرُّ إِلَّا بِأَكْبَرِي
قَسَّيْتُ قَوْلَ امْرِئٍ حَكِيمٍ	مَا الْمِرُّ إِلَّا بِدُرِّ هَمِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ دِرْهَمٌ لَدَيْهِ	لَمْ تَلْتَفِتْ عِرسُهُ إِلَيْهِ

ثم إنه عظم الله مرقده... لما علم أن مجرد المراسلات والمكاتبات لا تنفع العليل، ولا تشفي العليل، توجه إلى العراق لزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإقامة الحجة على الصاعين، ثم أتته بعد الوصول إلى تلك المشاهد العلية، ليس ثياباً خشية عتيقة، وتزيئاً بهيئة رثة بالاطراح والإحراق خليقة، ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحدق، فسلم عليهم فرد بعضهم عليه السلام بالاستفسال والانتفاع التام، فجلس عظم الله مرقده، في صفق التعال ولم يتفتت إليه أحد منهم، ولم يقضوا واحداً منهم، وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة، كُتبت فيها أفهامهم، وزُلب فيها أقدامهم، فأجاب روح الله روحه، ونزع فتوحه، تسعة أجوبة في غاية الحودة والدقة، فقال له بعضهم بطريق السخرية واتهكّم: أذاك طلب علم؟ ثم بعد ذلك أحصر الصعاب، فلم يواكوه قدس سره... بل أفردوه بشيء قليل على حدة، واجتمعوا هم على المائدة، فلما انقضى ذلك المجلس، قدم قدس سره.

ثم إنه عاد في اليوم الثاني إليهم، وقد لبس ملابس فاخرة بهية، وأكمام واسعة، وعمامة كبيرة، وهيئة رائعة فلما قرب وسلم عليهم، قاموا تعظيماً له، واستقبلوه تكريماً، وبلغوا في ملاطفته، ومضاييقته، واجتهادوا في تكريمه، وتوقيره واجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفاضل، والمحققين، والأكابر المصدقين، ولما شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلم معهم بكلمات عليّة، لا وجه لها عملاً ولا شرعاً، فقابلوا كلماته العيلة بالتحسين، والتسليم، والإدعان على وجه التعظيم، فلما حصرت هائلة الطعام، يادروا معه بأنواع الأدب، فالتقى الشيخ قدس سره... عن كفه في ذلك الطعام، مستعباً على أولئك الأعلام، وقال: كلّي يا كُتْمِي... فسمّا شهدوا تلك الحالة العجيبة، أجدوا في التمتع والاستعراب، واستفسروه قدس سره... عن معنى ذلك الخطاب؟ فأجاب عظم الله مرقده...

بأنكم إنما أنتم بهذه الأطعمة العسقة، لأجل اكمامي الواسعة، لا لتعسي القدسية
اللامعة، ولا فأنا صاحبكم بالأمس، وما رأيت تكرمًا ولا تعظيمًا، مع آتي جئتكم
بالأمس بهئة لفقراء، وبتحية العلماء، واليوم جئتكم بباس الجبارين، وتكلمت بكلام
الجاهليين فقد رجحتكم الجهامة على العلم، والعنى على الفقر، وأن صاحب الأبيات التي
في إصالة المال، وهرعية الكمال التي أرسلتها إليكم، وعرضتها عليكم، وقد بستموها
بالتحطئة، وزعمتم انعكاس الغضبة.

فاعترف الجماعة بالخطأ في تحطنتهم، واعتذروا بما صدر منهم من التقصير في
شأنه قدس سره.

ذكر القصة هذه، بعض من المؤرخين، وبعضهم أشار إليها بالقول بأن له حكاية
لصفه... كلي يا كُني... وآتي أشك في حقيقتها، وأصعبها بصورة عامة، لأن العلماء على
الإحلاف بعدون كل البعد، عن مثل هذه الحلة والسيرة، سيما علماء العرق وفي
صليعتهم، عساء الشيعة الإمامية في الحدد، ومة العواصم العلمية في العرق... فأنقصة
مختصة للخط من كرامة العلماء وحسب، ولكن شكل أدبي... وقمة كس امرئي عند
العلماء ما يحسه ويعلمه ويسقه، وبني أدربت القصة لسأريخ، ولإعلام بأنها مصطعة،
ولا مكانة لها من القواب.

مصادر ترجمة المترجم له ...

تصانيف المؤرخون، والأدباء لترجمة الحكيم الفقيه كمال الدين ميشم... فأفرد كل
واحد ترجمة له تتفاوت في النسط والإيجاز... ولما كان مهجي في تحقيق وتقديم،
أمثال هذه الكتب والمؤلفات من وضع ثبت خاص يصم مصادر ترجمة المؤلف... لذلك
اتبعنا الطريقة تلك هنا، وأفردت له هذا المهرست الذي ضم بعض المصادر المترجمة
لمؤلف كرم الله وجهه... باللغتين العربية والفارسية حسب ترتيب الحروف، مع تعيين اسم
المؤلف للكتاب، وذكر المجلد والصفحة.

أحوال وآثار حواجه بصير الدين محمد تقي مدرس رضوي: ٢٠٠.

الاعلام	خير الدين الزركلي ٢٩٣/٨
أعيان الشيعة	السيد محسن، الأمين العاملي ٩٨/٤٩
أمل الآمل	الشيخ الحر العاملي ٣٣٢/٢
أنوار البدرين	الشيخ علي البلادي : ٦٢
الأنوار الساطعة	الشيخ آغا بزرگ الطهراني / ١٨٧
إيضاح المكنون	إسماعيل پاشا البعدي / ١٦٤/٧٢ / ٤٥٠/٥٧١ / وج ٢/٢٥٥.
بحار الأنوار	المجسبي محمد باقر / المقدمة ط الجديد
تأسيس الشيعة	السيد حسن الصدر / ١٦٩ / ٣٩٣
تكملة الرحال	الشيخ عبدالنبي الكاظمي ٥٤٨/٢
تفحيف المقال	الشيخ عبدالله المامقاني ٢٦٢/٣
الذريعة	الشيخ آغا بزرگ الطهراني ١٤٩/١٤ وفي سائر مجلداته
روضات الحيات	السيد محمد باقر الحوانساري ٢١٦/٧
ريحانة الأدب	الشيخ [محمد علي] بدير / ٢٤٠/٨
سعيانة البحار	المعتمد القمي الشيخ عباس ٥٢٦/٢
السلافة الهية	الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني
شرح المائة كلمة	الشيخ ميثم البحراني - المقدمة ..
الشيعة وفنون الاملام	السيد حسن الصدر / ١٠١
العدير	الشيخ عبدالحسين الأميني ١٨٨/٤
فرمان مالك اشتر	حسين عبوي آوي - المقدمة - ١٨ / بقلم محمد تقی دانش پزوه
الموائد الرضوية	الشيخ عباس القمي / ٦٨٩
فهرست كتابخانه وريري	... ج ٥/١٨٠٧
فهرست ميكرو فيلمهاى كتابخانه	
مركزي دانشگاه تهران	محمد تقی دانش پزوه / ٢٨٠
قواعد المرام في عدم الكلام	ابن ميثم - المقدمة ..
كاخ دلاوير	السيد علي اكبر البرقي القمي / ١١٨

كتابهای چاپی عربی	خانیاد مشار/ ۸۵۲
کتابنامه نهج البلاغة	لشیخ رضا ستادی/ ۴۰ و ۵۷
کشف المحجوب والاسرار	السید اعجاز حسین الکتوری
کشف الظنون	الحاج خلیفه مصطفی س عداقه/ ۱۹۹۱
الکشکول	الشیخ یوسف البحرانی/ ۴۱/۱
لکنی والألقاب	الشیخ عباس القمي/ ۴۳۳/۱
لیات الألقاب	لملاحب لله الکاشانی/ ۱۸ و ۳۱
لغت نامه	عنی اکبر دهخدا - حرف المسم - ۲۶۲
لؤلؤة البحرين	الشیخ یوسف بن حمد البحرانی/ ۲۵۳
مجالس المؤمنین	القاصی نورالله التستری/ ۲/ ۲۱۰
مجمع البحرين	لشیخ فخرالدین الطریحی/ ۱۷۲/۶
مستدرک الوسائل	المیرزا حسین الخوئی، مطبوعی/ ۳/ ۴۶۱
مصادر نهج البلاغة	السید عبد الله الزهراء الحسینی/ ۱/ ۲۲۳
مصباح السالکین	الشیخ محمد بن عبدی البحرانی/ ۱/ المقدمة
معجم المصنوعات العربیة	یوسف سرکس/ ۱۸۲۲
معجم المؤلفین	عمر رضا کحالة/ ۱۳/ ۵۵
نامه دانشوران	لعدة من المؤلفین/ ۳/ ۲۵۸
نسخ خطی کتابخانه ملی	المید عبدالله انواری/ ۷/ ۳۱۷ و ۸/ ۱۹۸ و ۹/ ۱۲۴.
هدیه لأحباب	المحدث القمي/ ۹۲.
هدیه لعارفين	ابعدادی/ ۲/ ۴۸۶.

ولا شک أن هاک مصادر أخرى وردت فيها ترجمة المؤلف ... لأن المهرسب هـ
لم یکن مستجمعا لکفة المصدر... والکمال لله سبحانه وحده... ولا یفوت القرب بان
رسالة (السلافة لهبة في لترجمة امستمية) للشیخ سلیمان بن عبد الله البحرانی مضموعة
في المجلد الأول ص ۴۱ من کتاب (لکشکوب) للشیخ یوسف البحرانی.

وفاته ... مدفنه :

بعد جهاد علمي طويل ... وصال فكري ... وعمر مفعم بالمآثر والحيرات العدمية والأدبية، والرخر بالباقيات الصالحة التي ما زالت موضع الفئدة، ولفع لكثير، توفي كمال الدين ميثم... في لحرين سنة ٦٨٩هـ. وذهب بعضهم إلى أنه مات سنة ٦٧٩هـ وهو لا شك تصحيف حصل من بعض السّاح لأنّه كان حيّاً في ٦٨١هـ وقد فرغ في تلك السنة من شرحه الصغير لكتاب «نهج البلاغة».

قال السيد الأسن: أنّ قبره متردد بين قعتين ننتاهما مشهورة بأنها مشهده، إحداها في «جبة الدوح»^{٤١}، و أخرى في «هلتا» من لماحوز. والصحيح أنّ قبره في قرية «هلتا» أما صاحب القري في قرية الدوح فهو مدفن حذه ميثم... كما دس الشيخ سيمان بن عبدالله الحرائي صاحب رسالة «السلافة الهبة في الترجمة المبشمية» في قبره، لأنّه من قرية «الدوح»... وفي هذا الصدد، قل صاحب الرسالة المذكورة.

وإن كان الغالب على الظن أنّه في «هلتا» لوفور لقرائن على ذلك من ظهور آثار الدعوات، و نوافر المسامات ومن عرب ما اتفق من اسماءات في ذلك، أنّ بعض المؤمنين، من أهل الماحوز من لاسواد له، وهو منسك بطاهر الخير، رأى في المام أنّ الشيخ كمال لدين مضطجع فوق ساحة قبره الذي في «هلتا» مسجى بشوب، وقد كشف الثوب عن وجهه، قال: فشكوت إليه ما نلقى من الأعراب، فأجابني بقوله: وَ سَبِّحُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ^{٤٢}. ثم سأله عن قوله تعالى: انظُرُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَدَّرُونَ انظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (آية)^{٤٣} فقال: إنّ النواصب، ومن يشكهم في عقائدهم الفاسدة، ينطلقون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كطهم^{٤٤} اعطش

٤١ - يجب به: بالفتح ثم التشديد. الصحراء. وهل لكوفة والبصرة يسكن المفاير جبانة. و دوح. وهنت من

قري ماحوز.

٤٢ - سورة لشعراء: ٢٢٧.

٤٣ - سورة المرسلات: ٢٩، ٣٠.

٤٤ - كطأ - كطأ: الأمر منه وكرهه وبهظه وحما به

والحرّ، فيطوبون منه السقيا، والإمتصّال، فيقول لهم: (إنطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون)،
يعني، علياً عليه السلام، فينطلقون إلى عبيّ عليه السلام، فيقول لهم: (إنطلقوا إلى ظلّ ذي
ثلث شعبي) يعني، به الثلاثة الملتصقة... وكذا ذلك في سنة ١١٠٢هـ، ثم إن الرّحـل
سألني عن تفسير هذه الآية، ولم يكن محضّرني ماورد عن أهل البيت عليهم السلام فيها،
وأخبرته بتعاسير، فقال: ألهذا تفسير غير هذا؟ ففتشنا تفسير الشيخ النّقة الجليل أبي الحسن
علي بن اسرهم بن هـ شم، فوجدت التفسير الذي حكاه عن منامه مروياً فيه عنهم
عليهم السلام وهذا من أغرب المنامات^{٤٥}.

اختيار مصباح السالكين :

لا ريب في أنّ لكمال الدين ميشم... رضي الله عنه، ثلاثة شروح لنهج البلاغة، كما
نصّ عليها أكثر الفقهاء، وللمحدّثين، والمؤرخين، منهم ألقبه المحقق الشيخ محمد بن
الحسن الحرّ العاملي المتوفى ١١١٤هـ. فقال عند ترجمته له: كان من العلماء الفضلاء
المدقّقين، متكلماً ماهراً له كتب منها كتاب «شرح نهج البلاغة»، «كبير»، و
«متوسط»، و«صغير»، و«شرح لمائة كلمة»^{٤٦}.

أما الكبير فقد طبع باسم شرح نهج البلاغة في إيران، بالقطع الكبير محدّد واحد سنة
١٢٧٦هـ. ق. كاغد أسمر ححر، وأعيد طبعه للنسرة الثانية في خمس مجلدات بالقطع
الوريري، كما فصلنا القول عنه في حق تأليفه.

و«المتوسط» فهو منتخب من شرحه الكبير وسماه (اختيار مصباح السالكين) كما قال
به في نهاية خطبة الكتاب ولفظه: (لكه اشتمل مع ذلك على كثير من أسباب الخطب،
وموجبات الرسائل، ولكتب، فكبر لذلك حجمه، وكما هو كثير من الطباع، وإن كثر
عنه، فأشار إليّ خلد الله إقباله، وصاعف جلاله، أن ألخص منه مختصراً جامعاً لزيد
قصوده، حالياً من زيادة القول وطوله، ليكون تذكرة لولديه أسعد الله جدّهما، وشيد
مجدهما، فسهل عليهما ضبط فوائده، والوقوف على غاياته، ومقاصده، وعلى من عساه

٤٥ - مستدرک الوسائل ٣: ٤٦١ الفوائد الرضوية ٦٩٠.

٤٦ - أمل الآمل ٢: ٣٣٢.

يحدو حدوهما في اقتناء المصنّات، والتوسّل إلى تحصيلهما بأعظم الوسائل، وبادرت إلى امتثال أمره العليّ بالسمع والطاعة).

وقد فرغ منه في آخر شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١) كما جاء في آخر الكتاب. توجد من الكتاب عدّة نسخ مخطوطة ومنها:

نسخة في مكتبة حاليّة أفندي (تركيا) كما في فهرستها.

وأخرى في خزانة مجد الدين بن صدر الأفاضل النصيري.

ونسخة في مكتبة العاضدية (مشهد - خراسان) وبعد هدم المدرسة وتدابيحها انتقلت مخطوطاتها القيمة إلى مكتبة الإمام الرضا عليه السلام وفي ضمنها هذه النسخة وهي برقم ٢٠٥٦.

وأخرى في مخطوطات مكتبة مدرسة المروى بطهران. في صناديق متروكة لا يستفاد منها.

ونسخة في مكتبة الحاج آقا حفيد لسيد حجة الاسلام الشّمسى باصفهان، رآها صاحب (كشف الطون) وذكره في كتابه ص ١٩٩١، ورآها الشيخ سليمان الماحوزي عام ١٠٨١ هـ.

وكانت في مكتبة الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦ منه نسخة ضاعت في أيام حياته (٤٧).

ونسخة عتيقة في مكتبة العلامة الجليل الشيخ كاظم مدير شاه چي في مشهد - خراسان، وعليها تاريخ التصحيح والقراءة ولمقابلة في سنة ٧١٦ هجرية. وقد صوّرت (المكتبة المركزية التابعة لجامعة طهران) منها بالميكرو فيلم، وهي في خزانة برقم ٢١٧١. وفي المكتبة الرضوية تحت رقم ٢/٦٦.

ونسخة أخرى في مكتبة مدرسة سليمان خاں في (مشهد - خراسان) كتب حدود عام ٩٠٨. وأخرى منه في مكتبة الفقيد آية الله الحاج آغا السيد حسين الخادمي الاصفهاني المتوفى ١٤٠٥ هجرية وهي نسخة صححة تقع في ٥١٩ ص باقّص الوردي ٢١×١٤ في كل صفحة ٢١ سطرًا طوله ١٠/٥ سم، وحاء في آخرها ما نصه:

- هـ احبنا مصباح السالكين لنهجه البلاغة من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورجونا في الله سبحانه إيد وفقي لأتمامه أن يجعله خالصاً نوحه، ويسعدنا في الدارين بمه و لطفه، وفرغ من احتضاره أقر عباد الله تعالى ميشم بن علي بن ميشم الحراسي عفا الله عنه، هي آخر شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١) بحول الله وحسن توفيقه، والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على سيدنا نبي الرحمة محمد وآله وصحبه تسليمًا كثيرًا..

عملي في تحقيق الكتاب

والذي اعتمدته من نسخ الكتاب المخطوطة نسخة تفصل عني بها سماحة العلامة الحجة السيد محمد علي الروصاتي الاصفهاني...، وقد لبت نصوصها من البداية إلى النهاية، مع بصوص شرحه الكبير المطبوع، إلى جانب مقابلتها مع نسخة العلامة الشيخ مدير شاهه جي... ورمزت إليها بحرف -ش-. ولا شك في أن تصحيح الكتب وتحقيقها وتدقيقها من أشق الأعمال وأحمرها وكبرها، تبعاً منذ القدم إلى يومنا هذا، بيد أنني بحول الله وقوته ومه ولطفه، بمعتم، خنت في تصحيح الكتاب ومفايته بالفدر الذي يتطلبه التحقيق... وهما أحب لموباني سم أحرر اكمال في التحقيق ولا أذعيه لأن كمال لله وحده... ولا شك أن فيه بعض اعثرات والتقصير.

وأسأل الله المتدي لما نعمه قبل استحقاقنا، أن يديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب به من شكره بها أن جعلنا في خيراقة أخرجت لناس، وأن يرزقنا فهمها في كتابه، وستة نبيه، ونهجه حخته وخليفة رسوله بالحق... قولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا دافلة مریده.

هذا وفي لوقت الذي اقدم هذا الجهد... ارجو العلي التقدير أن يوفقنا لما فيه الخير والصالح... والله جل شأنه الحمد أولاً وآخراً.

محمد هادي الأميي

عفي الله عنه وعن والديه

يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخْمَنُ الرَّحِيمُ

سبحان من حسرت أبصار الصائرين عن كنه معرفته، وقصرت ألسن اللغاة عن أداء مدحته، وكيفية صفته وشهدت مع ذلك نداية العقول برؤيته، وجلال ألوهيته، واقترت كثرة ما عداه بأحديته ووحديته، وعترت حاجتها إليه، بعذته وأجبيته، ونطقت نواحي مخلوقاته بعلو شأنه، وتميم قدرته، ونهت ندائع مصوعاته على كمال علمه، وبلاء حكمته، وأشارت بحدوثها إلى قبحه، ووحوب أرلته، سبحانه جليلا عن احاطة الرمان، عليا عن الكون والمكان، متقدسا عن شبهة والظهير، متزهيا عن المصنوع، واضهيرا فسحانه من عظيم لا يسع التسيح إلا لمجده تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، استبحه تسبيحا يليق بجلاله، وقدمه، أحمدته حمدا كما هو أهله، وكما اتنى على نفسه، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مويئة بالبرهان، مؤكدة لحقيقة الإيمان، واشهد أن محمدا عبده المصطفى من نوع الإنسان، المبعوث إلى الأسود، والاحمر، بأشرف الأديان، صلى الله عليه، وعلى آله البررة الكرام، مصاييح الظلام، وينابيع الاحكام، وعلى أصحابه أفضل الصلوة، وسَم عليهم اكمل السلام.

وبعد: فلما كان من تمام نعم الله على، وكمال احسانه إلى، اتصالي بخدمته حضرة من تجلت بسجود كرمه وجوه المكارم، وتجلت بعقود نعمه صدره لمراحم، و تزيت بذكره فروع المناير، وأشرقت بجوده سماء المآثر، ذى المناقب والمحامد

(١) سورة الاسراء / ٤١

(٢) في نسخة ش. بحمده

واسماحراً، ورث المجد الأقدم كانر عن كانر، مولى ملوك العرب والعجم، صاحب ديوان ممالك العالم، علاء الحق ولدين، غياث الاسلام والمسلمين عطا منك من صاحب المعظم السعيد الشهيد، بهاء الدنيا والدين، محمد الجويني، لازالت أوامر افلامه زهدة في الآفاق، ولا ترحب اطنة اعلامه على العباد ممثلة الرواق، ما استبدل الله بقوم قوم، و لم يوم في ازمان يوماً، و حدث ملكاً يملأ العيون حملاً له، والفلوب هيسته و جلاله، والنفوس علمه و كماله، والحلائق نعماته وافضاله، و وجدته لشرف همته العلية، و صفاء نفسه لقدمية، قد أبهم عظم ما روى من الاحاديث الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله، وتصحيح ما نقل عن علي عليه السلام في كتاب (سهج السلاعة) وغيره من قيون الكلام، و مسد اليه، و جعل دأبه الكريم بث محاسن تنك الاحبار، والاشتهار بنشر تنك الآثار، والمحت عسى تأويده، و اطهار كوزها، و لامر بتعلمها واستكتف رموزها و سمة من تولى تأديبه اسي التقصير، لاشتغاله بغيرها من كتب الادب، والتأسف لقطع وقته بما عدها، ككتاب «ليمنى»^١، و «مقدمات الحريري»، و سائر منشور كلام العرب، يكون هذه اللفاظ في نظم حواشيه لا تحبوعن سعى و تكلف، وفي برزها بهيئة تستندها النفس لا تحلو عن عسر و تكلف، و لكونها في وضعها خالية عن مظلمة أولى الهمم العالية، و المقاصد الحقيقية البهية، مقصورة على حكايات مضحكة، و اوصاف كاذبة مبهية، تذكر روح النفس والخيال، و تصع عن قبول الحق و لترقى في معارج اكمان، و تكسب نفس المرئاض بها رديئة الكذب، و تروح للتأطرفها محبة النهو واللعب، و تصده عن اكتساب الاحلاق المحمودة، و تلبس وجهه عن سمة القبلة المقصودة، فكل منها كشع حلا عن الروح، وظل حيا او «كسراب يقبعه تخمب لطمات ماء حتى اذا جاءه، لم يجده شيئاً»^٢.

واقنا الانعط النبوية، والكلمات العنوية، و بها موارد عنب صافية آس كدرها، و غلب وردها، و صدرها، و هي عين احكمة التي من وئسها فقد اوتى خيراً كثيراً، «عيننا

(١) نسخة . مشروحة . تلك

(٢) نسخة . منقح . محمد عبد الله . بعض اليميني المتوفى ٢٧٠ هـ . الكاتب المنشور الرازي الخراساني

(٣) سورة نور . ٣٩

يشرتُ بها عباداته يُفجّرونها تفجيراً^١، وفي وضعها من البلاغة البديعة، ولصاحبة التي هي مفتضى الطبيعة، التركيب لموجز والاسلوب المعجز، ما يشفّ الاسماع، ويجنّ عن سائر الامساك والاضاع، وفي عمقها من اتحلى لانوار الالهية ما يهدي الى سبيل الرشد، ومن التحلى بملكات الحكم والمصائل الحقيقية افضل راد، ليوم المعاد، وهي قواعد الدين القويم واساسه، وعليها مداره ومنها قياسه، وقها بعبء كل ديب، ومنها بلاغة السيف، وفصاحة الحطيب، والبها نسبة العالم الحكيم، وعها يؤخذ كل خلق كريم، والسابق اليه سابق بالخيرات، والمقتصر عهها ظالم لنفسه لم حرّمها من الكمات، فكيف يقس به قول لقائل، أو يعدل عها الى غير طائش.

ثم استترك الفارط فيها لكرمته لديه، ولم بملازمته وشمسك به، ولديه الأميرين الكبيرين لمعظمين العالمين الفاضلين الكاملين، جلالى الدولة وعضدى الملة، الذين لم يزلوا من منى الطفولية سالكين لاحد لمناهج فى كتاب الكمات النسانية، حتى بدعت بهما اهمهم ما لم تسعه همم الكهول فى الاستكمال، نقصائل الانسانية، نظام الدنيا والدين، أأ منصور محمد، ومطر الدين والدين^٢، ابا عباس عتياً، لارالت الافلاك بدوام دولة علائهما دثرة، ولا برحت شمس اقبالهما فى بروج شروهما سائرة، وندبهما الى حفظ فصوصها، وحرصهم على اقتناس نوار بصوصها، و شغل بها من لاذ بخدمتهما من البطانة والاتباع، وقصد بذلك احياء ميّت السنة وعموم الانتفاع، و رأيت تشوق حطره المحروس الى شرح كتاب (بهج البلاغة) واصاح دقنقه، والاشارة الى اسراره وحفته، فوجدت السعى فى ذلك من اعظم القربات لاداء شكره، وأشرف الوسائل الى خدمته لمعرفته بقدره.

اذا كان الناس قلله اعرالته انصاره، وامد قصه، بين جاهل ما بهد، لكتاب، من الحكمة وفصل الخطاب، يطرحه لجهه وقصوره، ويب معدد لحق عدل عن الصور يجهد فى اخفاء شرفه، واطفاء نوره، الى ان وقفت انظاره الصائبة على ما فيه من لطائف الكات، واعظمت افكاره الثاقبة على ما اشتمل عليه من غامض لاسرار وبتن لآيات.

(١) سورة الانسان ٧

(٢) نسخة من مخطوطات مكتبة الديار.

فحتم لذلك بحم سعوته، وتوجه لشرفه في درج صعوده، وخدمت مجلسه العالي بشرح
 من سب لعلوهمته، موفق لكمال بعينه، وادعت فيه من لمباحث الالهية والبصائف
 الحكمية، مما لا يوجد مجموعا في كتاب، ولا يحيط به لافراد أولوالالباب، لكنه اشتمل
 مع ذلك على كثير من لباب^(١) الحصب، وموجبات الرسائل، والكتب، فكبر لذلك حجمه،
 وكماه^(٢) كثير من لطبايع وان كثر علمه، فأشار الي حلد الله اقباله وصاعف جلاله^(٣) ان
 الخص منه مختصرا حاصلا لزيد فصوله، حاليا من زيادة القول وطوله، ليكون تذكرة
 لولديه، أسعد الله حالهما، وشيد محدهما، فيسهل عليهما ضبط فوائده والوقوف على غاياته
 ومقاصده، وعلى من عساه يحذو حذوهم في اقباء الفصائل، والتوصل الى تحصيبتها باعظم
 الوسيل، فدرت الى مثال مره العالي ما سجع والضاعة، وبذلت في هديه وتقبحه
 جهد الاستطاعة، وسألت الله تعالى ان يوفقني لاتمام ارادته، ويسعد اوليائه ببقاء دولته،
 ودوام سعادته، ته اكرم من سئل وولى من اقل.

• • •

(١) في ش اسباب الحصب

(٢) كماه، وكماه، وكماه كراهه

(٣) سجد ش الله

خطبة الكتاب

قال السيد الشريف ذوالحسين رضي الدين محمد بن الحسين الموسوي^١ قدس الله روحه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد الحمد لله الذي جعل الحمد ثمت لنعمائه، ومعاذ آمن بلائه، ووسيلة إلى جنانه، وسبباً لزيادة أحسانه، والصلاة على رسوله نبي الرحمة واماام الأئمة وسراج الامة، المنتخب من طيبة الكرم، وسلالة المحدث الأقدم، ومعرس الفخار المعرق، وهرع العلای المثمر المورق، وعلى اهل بيته مصابيح الطلم، وعصم الامم، وعمار الدين الواضحة، ومثاقيل الفصل الراجعة صلى الله عنهم اجمعين، صلاة تكون ازاء لفضلهم، و مكافاة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم واصلهم، ما انا رفح صاطح، وحوى نجم طالع.

فأنتي كنت في عنفوان السن^٢ وغصضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تحضن امير المؤمنين علياً عليه السلام^٣ وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام، و

(١) المتوفى ٤١٦ هـ. راجع كتاب - مصادر ترجمة الشريف الرضي - ط ايران ١٤٠٦ هـ.

(٢) هي نسخة في: السن.

(٣) طبع في الطب عام ١٣٦٨ ووقع في ١٠٠ صمحه بصورة مطلوبة ومصحفة، واعادت مؤسسه مجمع البحوث الاسلاميه في مدينة مشهد - حران، طبعه مع التصحيح والتحقيق من عني نسخة الامام الفقيه ابي الرضا السيد فضل الله بن علي الحسيني الرواسي الكاشاني.

مما صلات البرهان، و كنت قد بّوت ما خرج من ذلك أبواباً، وقصته فصولاً، فحاء في آخره فصل يتصّر محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسّطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء والاتّخاها ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه، و متحبين من نوصحه، و سألوني عنه ذلك إن أبدا بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فوائده، ومشعّات عصونه، من خطب وكتب، ومواعظ وأدب علما أنّ ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر امرية، وثوابك أكلم الدينيّة والنيوّة، ما لا يوجد مجتمعا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه علو السلام ظهر مكنونها، وعنه اخذت قوانينها، وعلى امتلته هذا كل قائل خطيب، وكلامه استعاب كلّ واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سق وقصروا، وتقدّم وتأخروا، لأنّ كلامه عليه السلام، الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النسوي، فأحبّتهم إلى الأسد بذك علما بما فيه من عظيم الشجع، و منشور الذكر، ومدخور الأجر، واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المضيئة مصافة إلى المحاسن البديرة، والفضائل الحمة، وأنّه عليه السلام انفراد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأوّلين الذين انما يؤثّر عنهم منها القليل الذر، والشذوذ الشارد.

وأما كلامه، فهو من البحر الذي لا يساجس، والجّم الذي لا يحافل، و اردت أن يسوع لي اسمش في الافتخار به عليه السلام بقول لفرزدق:

أولئك آثاني فجنّني بمشهم إذا جمعتنا يا جريير المحامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على قطاب ثلاثة: أولها الخطب والاوامر، وثانيها الكتب والرسائل، وثالثها الحكم والمواعظ، فأجمعت متوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم ولادب، مفرد لكل صنف من ذلك باداً، ومفضلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلاً ويقع إلى آحلا، وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في انشاء حوار، او

جواب سؤل او غرض آخر من الاعراض في غير الانحاء انى ذكرتها، وقررت القاعدة عليها بسببه الى أليق الابواب به، واشدها ملامحة لعرضه، ورتما حاء فيما احتاره من ذلك فصول غر متسقة، و محاسن كلم عبر مستظمة، لآتى اورد التكت والسمع، ولا اقصد التثالى والنسق.

ومن عجائبه عليه السلام التى اورد بها، وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد فى الزهد والمواعظ، ولذكير والزواج اذا تممه المتأمل، وفكر فيه المتمكّر، وخلع عن قلبه انه كلام مثله من عظم قدره، ونفذ أمره، واحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك فى انه من كلام من لاحظ له فى غير الزهادة ولاشغل له بغير العبادة، قد قيع فى كسريه او انقطع فى سفع جل لا يسمع الآ حسه، ولا يرى الآ نفسه، ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتاسفه فيقط الرقاب، ويجذل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاء، وهو مع تلك الحال زاهد الزهدة، وبدل لأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه الطيعة التى جمع به بين الأضداد، وآف بين الاشتات، وكثيراً ما أذاكر الاخوان بها، واستخرج عجبهم منها، وهى موضوع لعبرة بها، ولمكرة فيها.

ورتما حاء فى اثناء هذا الاختير للفظ المرذد، والمعنى المكرر، والعذر فى ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً، فربما اتفق الكلام المحتار فى رواية فقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك فى رواية اخرى موضوعاً غير موضعه الأول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن فى العبارة، فتقتضى الحال ان يعاد مستظهار الاختيار، وغيرة على عقائل الكلام، ورتما بعد العهد ايضا بما اختير ولا فاعيد بعضه سهواً ونسياناً لاقتصاداً واعتماداً.

ولا ادعى مع ذلك انسى احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشد عني منه شاد ولا يند ناذ، بل لا ابعد ان يكون له صرعتى فوق الواقع الي، والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى، وما عليّ الا بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل، ورشاد الدليل ان شاء الله.

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب (بمع ابلاغه) اذ كان يفتح للباطر فيه ابوابها، و

يقرَّب عليه طلابها، وفيه حاجة العلم والمتعلِّم، وبغية البلِّغ والزاهد، ويمضى في اثائه من الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الحق ما هو ملال كلَّ غنة^١ وجلاء كل شهة.

ومن الله سبحانه استمدَّ الوفيق والعصمة، واتَّجَزَّ التسديد والمعوذة، واستعيَّذ من خطأ لجنان قل خطأ اللسان، ومن زلَّة الكلام قبل زلَّة القدم، وهو حسي وبعم الوكيل.

أقول:

المعاد: الملحأ، والوسيل جمع: وسيلة، والمعرق: ذوالعرق^٢ ولاصل في لكرم، والمارعم طريق وهو مستعر لاهل البيت عليهم السلام باعتبار هدايتهم لخلق، و ارادها جمع منارة عنى غير قياس ولذلك أنث صفته، والموازاة: المحاداة، وكفاء الشئ مثله، وخوى المحم^٣: سقط للمعيب، وعفوان لسن: أوْلَه، وكنتى معصاضة العصن عن: الشباب، وحدانى: بعثنى، والمحاحرات: الممارعات كانَّ الأيام تدفعه عن العمل و هو يدفعها، ومصححين: مكشريس عحب غيرهم، والبدائع: الاشياء الحسنة المعجبة، و ناصع كل شئ: شالسه، وحما مفعول له. والمسحة من الشئ: الاثر منه. وعق به: الطيب لصق^٤. واعتمدت: قصدت. والذثرة والحمة: الكثيرة. ويؤثر: يروى. والمساحلة: المغذبة والمفاخرة في السقى، والسجل: الدلول العظمة فيها الماء. ولايحافل: اى يكائن بكثرة من العصائل. والاحماغ: تصميم العزم. والحوار: الخطاب والحواب، والانحاء: المقاصد، والملامحة: المشابهة، وقبع القمعة: أدخل رأسه في جلده، وكسر البيت: الشقة اتى تسمى الارض من حيث يكسر جانباه من اليمين والشمال، وأصلت السيف: جرده. والقط: القطع عرضاً، ولقد: القطع طولاً. وحذله: ألغاه على الجدالة و هى: الأرض، ويططف بالضم: يسيل، والمهجة: الدم، والأبدال: قوم صالحون ولا تحلوا

(١) سعة من برودة. عجب

(٢) هي ش برودة، وشما كل علة

(٣) هي ش دو العرس.

(٤) هي سحه ش اذا سقط.

(٥) هي ش لوى.

لأرض منهم واحداً بدل الآخر، وعمية كل شيء: كرمه وأحسه، والأقطار: الحوائط.
 ونذ: لمعبريت: نفرو وشرذ. والربق بكسر الراء وسكون لباء: حبل فيه عرى تشد به ليهم،
 والمسهح، الطريق الواضح، ومقاصد لحظة واضحة ودلالة التوفيق.



باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام

وأوامره. ويدخل في ذلك لمختار من كلامه الحارى مجرى الخطب فى المقامات
المحصورة، والمواقف المذكورة ولخطوب الواردة

١ - وَمِنْ حُظَنَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وحق آدم. وفيها ذكر الحج.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَسْتَلْعُ بِدَحْنِهِ لَقَدْ نَلَوْنَا، وَلَا يُخْصِي نِعْمَاهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ
الْمُجْتَنِبُونَ، الْبَدَى لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ الْهَيْمِ، وَلَا يَتَنَالُهُ غَوْضُ لَيْطَانٍ لَدَى لَيْسَ لِيَصِفِيهِ حَدٌّ مَخْذُودٌ، وَلَا
نَعْتُ مُوْخُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا حَرْقٌ مَمْدُودٌ: فَظَرَ الْخَلَائِقِ مُدْرِيهِ، وَبَشَرَ الرِّيَاحِ بِرَحْمَتِهِ، وَوَنَدَّ
بِاصْخُورٍ مَبِيدَانِ أَرْضِهِ. أَوَّلُ الَّذِينَ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّضْيِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّضْيِيقِ بِهِ
تَوْجِيهِهُ، وَكَمَالُ تَوْجِيهِهِ الْإِحْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِحْلَاصِ لَهُ نَعْيُ لِيَصِفَاتِ غَلَّةٍ؛ لِشَهَادَةِ
كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَنَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ إِلَهَ سُحْبَانِهِ
فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ نَبَّأَهُ، وَمَنْ نَبَّأَهُ فَقَدْ خَرَّأَهُ، وَمَنْ خَرَّأَهُ فَقَدْ جَهَنَّهُ، وَمَنْ جَهَنَّهُ فَقَدْ
أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ «فَيْسَم؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَ
مَنْ قَالَ «عَلَام؟» فَقَدْ أَحْلَى وَشَهُ. كَأَنِّي لَا عَن حَدِّثِ مَوْجُودٍ لَا عَن غَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ
لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، فَاغْلِظْ لَأَسْمَعَ الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بِصِيرٍ إِذْ لَا مُنْطَوًى
إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مَتَّوِّحًا إِذْ لَا مَسَكَنَ يَسْتَأْيِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْجِسُ لِيَقْبِيهِ.

أقول :

أنتصير بذكر الله تعالى واجب، لأنه المبدأ لأول لجميع الموجودات بالذات فهو المستحق لقدمه في المراتب الأربع من الموجودات. والحمد يرادف الشكر وقد يفيد ما هو اعتم منه وهو التعظيم المطلق. ولمدحة فحة من المدح، وهي الهيئة التي للممدوح يكون المدح عليه، وقد اشار الى جملة من صفات جلالة ونعوت كماله.

فالأول من صفات جلالة: عدم بلوغ انقائين مدحته، وهو اشارة الى تزهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه، كما هو أهله لما علمت ان ذلك انما يمكن بالاطلاع على كنه ذاته تعالى، ليستلزم ذلك معرفة ماله من صفات الحلال ونعوت الكمال، ومعرفة الامور كما هي، انما يمكن فيما تركب منها، ولما تزهه قدسه تعالى عن ذلك لاجرم كانت عقول الشر قاصرة عن هذا المقام، بل كل مرتبة وصلت اليها من اطوار الثناء بحسب قوتها وامكانها، فوراها اطوار اخر لا تتناهي، كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه: لا احصى ثناء عبيك بكم اثبت على نفسك، وحسن لقليلين دون المادحين بالذكر، لكونه أبغ في التبريه لأن لقليلين اعتم من المادحين، وسلب مدح الاعم مستلزم سلب مدح الاخص من غير عكس.

الثاني : عدم احصاء العاذير لنعائه، وذلك لكثرتها وعدم تهايتها، واليه الاشارة بقوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ١.

أثالث: عدم اداء المحندين لحقه، وذلك لأنه لما ثبت ان نعمته لا تحصى لزم من ذلك عدم تمكك المنعم عليه من مجازاتها واداء حقه فيها، ولأن التوفيق لاداء حقه نعمة اخرى منه، ولا يمكن جزاء نعمته بنعمته، واداء حقه بما يوجب حقاً آخر، وفي الاثر ان هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام فقال: (يا رب كيف اشكرك واماناً استطيع ان اشكرك الا بشعنة ثانية من نعمك) فواوحى الله تعالى اليه: (اذا عرفت ان النعم متى رضيت منك بذلك شكراً).

الرابع : كونه لا يدركه بعد الهمم اليميدة، والهمة هي العزم الجازم وبعدها تعلقها

(١) سورة ابراهيم / ٣٤.

(٢) في نسخة ش: نعمة الله.

بعلات الامور دون محقراتها، اى: لا تدركه النفوس ذوات الهمم البعيدة وان اعمست
فى الطلب كنه حقيقته، وقدم الصفة للعباية بها.

الحامس: كونه لا يناله غوص الفطن، اى: الفطن الغائصة واستعار لفظ الغوص هنا
لتعمق الافهام، الثاقبة فى محارص صفات حلاله التى لا قرار لها ولا غاية، واعتباراً نعت
كمالها التى لا تقف عند حد ونهاية.

السادس: كون صفته لاحد لها ي: ليس لما تعتبر، عقولاً له من الصفات نهاية
معقولة يكون حدّاً لها، ويحتمل ان يريد انه لاصفة له فتحد كقولهم.

ولا ارى الضبّ بها ينحصر اى: لا ضبّ بها فيحجر. وقوله: حدّ محدود، كقولهم:
شعر شاعر.

السابع: ولا لمطلق ما يوصف به، ايضاً نعت بجمعه وينحصر فيه.

الثامن: ولا لصفته وقت ممدود، اى: داخل فى العدد، وذلك لتقدسه تعالى عن
احاطة الزمان المتأخر عنه بمراتب.

التسع: وكذلك ولا أجل ممدود، بكونه تعالى واجب الوجود دائماً.

العاشر: من نعت كماله،^٣ فطر الخلائق بقدرته، والفطر: الشق والابداع واستعاروا
صفه لايجاد الحق ملاحظة لما يتوهم من شئ ضمة العدم بنور وجودهم.

الحادى عشر: كونه نشر الرياح برحمته، اى: بسطها لكونها سبباً عظيماً لبقاء انواع
الحيوان والنبات، وصلاح الأمزجة وسموها، واسنده الى رحمته، لشمولها هذا لعالم، و
من آثارها حمسها السحاب المترع بلماء على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبث
بها الزرع وتملأه الضرع، كقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)^٤
واستقرأ كلام العرب يدل على استعمالهم لفظ الرياح فى الرحمة، والريح فى العذاب.

الثانى عشر: كونه وتة بالصخور ميدان ارضه، اى ارضه المائدة فقدم الصفة لأن
ذكرها اهم، لكونها سبباً فى نصب الجبال، وهو كقوله تعالى: (وَالْقَى فِي لَارِضٍ رَوَاسِيَ

(١) هي ش: في المد

(٢) هي نسخة ش: كونه هنر

(٣) سورة الفرقان/ ٤٨

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ^١ وبيان ذلك من وجهين:

أحدهما: أَنَّ الارض كرة، وهذه الحبال جارية مجرى خشونات وتضريسات في وجهها، فلولا تلك الحبال حتى كانت الارض كرة حقيقية خالية عنها، لكانت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لأنَّ الحرمان البسيط المستدير يحب تحركه على نفسه، أما إذا حصلت هذه الحبال على مصححها وكلَّ منها يتوجَّه ببطءه ونفسه العظيم نحو مركز العالم، فانه يحرك مجرى لوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة.

الثاني: ما قيل أَنَّ إطلاق لفظ الاوتاد عنها، استعارة والمقصود من جمعها كالأوتاد في الارض لكي يهتدى بها على طرقها، فلا تزغ جهاته المشتبهة بأهنها، ولا تميل بهم عن مقاصدها.

الثالث عشر: كون معرفته تعالى أَوْب الدين الواجب لزومه.

واعلم أَنَّ المعرفة على مراتب فأدناها ان يعرف العبد أَنَّ له صانعاً.

الثانية، أَن يصدق بوجوده.

الثالثة، أَن يترقى بعذب العبد الالهية الى توحيده، ونزليه عن الشركاء.

الرابعة مرتبة الاحلاص له، فالزهد الحقيقي وهو تمحيه كل ما سواه عن سس

الايثار.

الخامسة مرتبة نفى الصفات عنه وهي غاية العارف.

وكلَّ مرتبة من لمراتب الاولى مبدء لما بعدها، وكل من الأربع، لاخيرة كمال لما

قبلها، وقد اشر الى هذه المراتب بقوله: وكمال معرفته التصديق به... الى قوله: نفى الصفات عنه.

ويسجل هذا القياس الى قياسات تُشبه قياسات المساوات لعدم الشركة بين

مفهومين^٢ كل منهما في تمام لأوسط، فيحتاج في انساح كل منهما الى قياس آخر،

والمطلوب من اتركيب الاول وهو قوله: وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به

توحيده، أَنَّ كمال معرفته توحيده.

(١) سورة النحل / ١٥

(٢) هي ش مقسمي.

و من تركيب هذه النتيجة مع قوله: و كمال توحيدہ الاخلاص له، و من تركيب هذه مع قوله: و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، ان كمال معرفته نفى الصفات عنه و هو المطلوب.

اذا عرفت ذلك فقول: سحتمل أن يريد بالمعرفة التي هي أول الدين، المعرفة القصصة التي هو أول متحصل في نفس من مراتب المعرفة، ويحتمل أن يريد بها التمة ادهى العلة الاولى في التصور الاجمالي لست لكين و غاية في السلوك، وفي اطلاق الكمال هاهنا تنبيه على ان معرفته تعالى بكمه حقيقته غير ممكنة، لانها مقولة بالاشد ولاضعف فلم تكن ممكنة الا بحسب رسوم باقصة تركت من اسلوب و اعتبارات اضافية تنزم معقوليته^١ تعالى.

ولما لم تكن متناهية لم^٢ تقف المعرفة بحسبها عند كن حد، بل كانت معاودة بالزيادة والنقصان والحلاء والجماء.

واما بيان المقدمة الاولى من القياس المذكور، فلان المتصور لمعنى الصانع عارف به من تلك الجهة معرفة باقصة اذ هي من ضرورة كونه موحداً للعالم فكان اعتبار التصديق بوجوده كمالاً لتلك المعرفة.

واما اثباتية فلان وجود الواجب تلزمه اوحدة المصطفة اذ لو كان مشتركاً بين اثنين لزم ان يتميز كل منهما بأمر ووحيدى وراء ما به الاشتراك، فيلزمهما التركيب المستلزم للإمكان، فاذا التصديق بوجوده يلزمه توحيدہ ونصور اللازم كمال لتصور ملزمه.

واما الثالثة فلان اعتبار ابعير معه تعالى في المحنة وانقصد اليه، والاعتماد عليه شرك خفى ينافي التوحيد الحق وان لم يكن متقياً فهو نقصان فكان عنه، والاخلاص لله كمال التوحيد له^٣.

واما الرابعة فقد يتسها عليه السلام بقياس برهني مطوى السائح استخرج منه، ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله.

(١) في ش: الله تعالى

(٢) في ش: زيادة: لم يمكن أن تقف

(٣) في نسخة ش: كمال توحيدہ.

وقوله لشهادة كل صفة... الى قوله: غير الصفة.

توطيد للقياس بين المعايرة بين الصفة والموصوف، والشهادة ههنا شهادة الحال
فإن حال الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف، وحال الموصوف يشهد بالاستعانة عنها،
والحالان يشهدان بمعابرتهما لأن اختلاف اللوارم يدل على اختلاف الملرومات، فاما
صحة المقدمات.

فبيان الاولى: ان الصفة بما ثبت كونها معايرة لادات لرم كونها زيادة عليها فلزم
اقتنائها بها عند فرضها صفة لها.

وبين الثانية: ان من قرب ذاته بشيء او اشياء فقد اعترضه مفهومه امرين او اموراً
فكانت فيه كثرة.

وبيان الثالثة: ان كل ذي كثرة فهو مركب وكل مركب فهو ذو جزء.

وبيان الرابعة: ان كل ذي جزء فهو ممكن لا فتقاره الى حزنه الذي هو غيره،
واباحكم بان له جزءاً، حاكم بكونه ممكناً واحبا لاداته فكان جاهلاً به، ونتيجة القياس
اذن ان من وصف الله سبحانه، فقد جهله وتبين به المطلوب وهو ان كمال الاخلاص
له في الصفات عنه، اذ الاخلاص^١ في الجهل به، فينا في ملزوم الجهل وهو ان
الصفة له فيتحقق اذن فيها.

الرابع عشر: كونه غير مشاراليه، واراد مطلق الاشارة ويترى ذلك بقياس هو قوله: و
من اشار اليه... الى قوله: فقد عده.

بيان الاولى، ان الاشارة اما حسية او عقلية، اما الحسية فانها تستلزم الوضع والكون
في المحل او الحيز وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد او حدود، واما الاشارة العقلية
فلا تسمى الى حقيقة شيء زاعماً انه وجوده، وتصوره، فقد اوجب له حداً يقبض ذهنه
عنده، ويميزه به عن غيره.

وبيان الثانية: ان من حده بالاشارة الحسية فقد جعله مركباً من أمور معدودة، اذ
الواحد في الوضع ليس مجرد وحدة فقط والا لم تتعلق الاشارة الحسية به، بل لابد معها من

(١) في ش تعالى.

(٢) في ش برودة به.

أمور أخرى مشخصة محضة له، فكان في نفسه معدوداً لكثرة من تلك الجهة، ومن حذره بالإشارة العقلية فلا بد أن يحكم بتركيبه لما علمت أن كل محدود مركب في المعنى، وكان أيضاً ذا كثرة معدودة فاذن الإشارة المطلقة ممنوعة في حقه تعالى مستلزمة لتجهل به.

الحامس عشر: كونه تعالى غير حال في شيء وبینه بقوله: ومن قال فيم فقد صممه، وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه، ومن ضمنه فقد حوجه إلى المحل المذني لوجوب وجوده: أما الصغرى فلأن فيما سؤال عن انصرف ولا يصح ذلك إلا في المحل. واما الكبرى فلأن الحال في المحل ان لم يجب كونه فيه جاز استغناؤه عنه، والغنى عن المحل يستحيل ان يعرض له، وان وجب كونه فيه كان محتاجاً إليه فكان ممكناً وهذا خلف.

السادس عشر: كونه تعالى ليس في مكان ولا في جهة، وأشار إليه بقوله: ومن قال... إلى قوله: مه، وهو في قوة ضمير كاسدى قلبه، وتقدير كبراه، ومن أحلى مه فقد كذبه، أما الصغرى فلأن السؤال بعلام يستلزم كونه في جهة فوق وذلك يستلزم احلاء سائر الجهات عنه، واما الكبرى فعقوله تعالى: (وهو الله في السموات وفي الأرض)^١ وقوله: (وهو معكم أينما كنتم)^٢ فالمحض له بجهة كذب^٣ لذلك.

وأما خصص عليه السلام جهة العلو بالانكار لكونها هي المتوقعة لله تعالى دون غيرها.

السابع عشر: كونه كائناً لا عن حدث.

واعلم، أن الحدوث يقال في الاصطلاح العلمي عسى معنيين بالاشتراك، أحدهما الحدوث الداتي، وهو كون الشيء من حيث هو لا يستحق من ذاته وجوداً ولا عدماً، إنما يستحق أحدهما بأمر خارج عن ذاته وهو معنى يلزم الامكان.

وثانيهما^٤ الحدوث الزماني، وهو كون الوجود مسبوقاً بالعدم سبقاً زمنياً، وهو

(١) سورة الانعام / ٣.

(٢) سورة الحديد / ٤.

(٣) في ش. مكذب.

(٤) في نسخة ش. والثاني.

أحص من الامكاد ويقابله القدم بمعيين، اد عرفت ذلك في علم، انه عليه لسلام نزهه
 من هذه القرينة عن لحدوث بامعنى الاول اذ كان تعالى واجب ابحود بداته، ودل بأكئن
 على وحوذه المحرّد عن الزمان، وخرج الزمان عن مفهوم كان بادليل العقلى الصّمع من
 لحقوق الزمان له، وكان هنا نامة.

الثامن عشر: كون وجوده لاعتس عدم، وهو إشارة الى تفدسه عن لحوق الحدوث له بالمعنى الثاني، وقد استنرم هذا الوصفان اثبات الازلية ولقدع بمعنييه له.

لتاسع عشر: كونه مع كل شيء لا بمقارنة.

واعلم ان كونه مع غيره نسبة تعرض له بالقيام الى جميع مخلوقته، دكتها منه و يصدق عليه ذلك بمعنى: ان ذاته المقدسة مساوية متصلة العم بكنها وجرئها، لقوله تعالى: (وهو معكم) الآية، لاعلى وجه المصاحبة في زيد او محن او محاورتها في مكان.

ولما كان مفهوم المحاربة تعسرفه الزمان ولمكن لاجرم نره تنك السمعية عنها بقوله: لا بمفارقة.

العشرون : كونه غير كل شيء لا سريفة، ولما كانت المزاية وهي المقارنة إضافة لا تعقل إلا بالقياس إلى مقارنة وكم في وجوده تعالى وعبريته للأشياء منوهاً عن لحوق هاتين الإضافتين لاعتبار الزمن والمكان في مفهوميهما، لا جرم بعد عن عبريته للأشياء كما نفى. لمقارنة عن معيته بها بل عبريته للأشياء بذاته المقدسة.

الحدادي والمثرون: كونه معللا بمعنى الحركات والآلة، أي: لا تدخل الحركة و الآلة في فاعليته لكونهما من خواص الأجسام المستمرة قسمه عه، ولأنه لو وقف فعله على الآلة لكان بدونها غير مستقل فيكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره، وهو محال.

اشانی و لعشرون: کونه بصیراً، الی قوله: حنفه واراد اثبت لبصره له حیث لامصر
ولما كان تعالى منها عا عن الادراك بالآلة البصر، فمعنی کونه بصیراً کونه عالماً

(٦) هي هاشم النبوة ما يعزله

الفرق بين البصر والسمع، والتعليم والتدبير والتفادير، هو ان البصر يستدعي شيئا ذلك وان لم يكن هناك ما يبصر فيه، والسمع هو الذي يدرى بالبصر ان يكون موجودا، وكذا القول في التعليم والتدبير والتفادير.

بالمبصرات، و اطلاق لفظ المصير عليه محاز اصطافاً لاسم المسبب على السبب،
واشار يادُ الى اعتبار الازل فانه اذن لامحوق لما ثبت ان العالم حادث.

الثالث والعشرون، كونه متوحداً، الى قوله: لفقده، وهو وصف بتفرد بالوحدانية
لذاته ازلا، اذ المتوحد المطلق من له الوحدانية بذاته، و اشار يادُ لاعتبار الازل ايضاً.

ولما ثبت ان العالم حادث ثبت انه لاسكن في الازل يقارنه، ولانه ليس من شأنه
ان يكون له أنيس ينفرد عنه ويستوحش لهفده، اذ الاستيناس والتوحش يتعلقان بميل
الطبع ونفرتة التاسعة للمراج، وقد تنزه تعالى عن ذلك فهو المتمرد بالوحدانية المطلقة
لا بالقياس الى شيء.

الفصل الثاني، في نسبة إيجاد العالم الى قدرته تعالى جملة وتفصيلاً، والاشارة الى
كيفية ذلك في معرض مدحه تعالى وذلك قوله:

أَنشَأَ الْخَلْقَ وَيُشَاءُ، وَتَعْدَاهُ أَبَدَاءٌ، بِأَلْوِيَّةِ أَبْجَالِهَا، وَلَا تَحْرِيرَ أَسْفَدِهَا وَلَا حَرَكَةَ
أَخَذَتَهَا، وَلَا هَامَةَ نَفْسٍ أَصْطَرَبَ فِيهَا. اخْتِانَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَا عَمَّ بَيْنَ مُحْتَلِمَاتِهَا، وَعَمَرَ
عَرَائِزَهَا، وَالرَّمَتْهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قُلَّ أَنَّهُانِهَا مُحِطٌ بِحُدُودِهَا وَتَنَاهَايَ عَارِفًا بِقَرَائِبِهَا
وَأَخْتَابِهَا. ثُمَّ أَنشَأَ سُبحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَنَ الْهَوَاءَ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً
مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِمًا زَحَارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَنِّ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَلَرَّعَ الْعَاصِفَةَ فَأَمَرَهَا
بِرَدِّهِ وَسَاطَهَا عَلَى شَدِيدِهِ، وَقَرَّبَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَيَقُ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا ذَوِيقٌ ثُمَّ
أَنشَأَ سُبحَانَهُ رِيحًا أَعْتَقَمَ مَهْمَهَا وَأَذَمَ مَرَبَّيَهَا، وَأَغْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَعَدَّ مَسَافَهَا، فَأَمَرَهَا
بِتَضْفِيقِ الْمَاءِ الرُّحَابِ وَأَنَاءِ مَوَاجِ الْحَارِ فَتَحَصَّصَتْ مُحَضَّرُ السَّيِّءِ، وَعَصَفَتْ بِهَ عَصْفَهُ
بِالْفَصَاءِ. تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَةٌ إِلَى مَانِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُجْبُهُ. وَرَمَى بِالزَّرْدِ رِجَامُهُ،
فَرَقَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُتَفَتِقٍ وَخَوِّ مُنْفَقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، خَجَلُ سُلَالَهِنَّ مُوْجًا مَكْشُوفًا
وَعُجْبَاهِنَّ سَفًا مَحْفُوفًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، بَغِيرَ عَمْدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْصِبُهَا ثُمَّ رَزَقَهَا
بِرِيَّةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ النُّوْقِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي قَبْكِ ذَائِرِهِ،
وَسَفْهِ سَائِرِهِ، وَرَقَمَ مَائِرِهِ. ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَلَمَّاهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ،
مِنْهُمْ سُحُودٌ لَا يَرْكُمُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْصَبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَلُونَ.

لَا يَغْسَاهُمْ نَوْمُ الْعَرَبِ، وَلَا تَهْوُو الْعُقُولُ، وَلَا تَفْثَرُ الْأَيْدِ بَ، وَلَا عَقَبَةُ النَّسِيَانِ. وَمِنْهُمْ
 أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَلَيْسَتْ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَصِفُونَ بِقَصَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَقِيقَةُ لِعِبَادِهِ،
 وَالْمَدَنَةُ لِأَبْوَابِ حَتَايِهِ وَمِنْهُمْ، لِنَائِبَتِهِ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَفْئَامُهُمْ، وَلِمَارَقَتِهِ مِنَ السَّمَاءِ
 أَعْلَى أَعْدُفُهُمْ. وَلِحَارِجَتِهِ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِعَوَانِهِمُ الْغَرَضُ أَكْثَرُهُمْ. فَكَسَتْهُ
 دُونَهُ أَنْبَارُهُمْ مُنْقَلَعُونَ نَخْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ خُصْبُ الْعَرَةِ،
 وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَقَّعُونَ رَبَّهُمْ بِتَصْوِيرٍ، وَلَا يُخَرِّجُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمُصْنُوعِينَ، وَلَا
 يَحْدُوثُهُ بِالْأَمَّاكِينِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنُّطَائِرِ.

أقول :

إنشأه الخلق وابتدأه إياه إيجاده له على غير مثال سقى من غيره.

وقوله : دلالة أحواله، الى قوله : اضطرب فيها. تسريه لعلمه تعالى وفعاله عن
 كيفيات علوم الساس وشرائط أفعالههم. وبرؤية الفكر، واجالتهها تقبها في طلب أصح
 الآراء والوجوه فيما يقصد من المطالب، وسحرته مشاهدات من الانسان تتكرر فيستفيد
 عقله منها علما كلياً، والاهمامة الالهام - دأمر، وبرهان امتناع هذه الكيفيات على علومه
 تعالى وفعاله، أما الروية والتحرية فمكوبها من حوص الانسان وبواسطة الآب جسمانية
 معتنع عليه تعالى، وكذلك الحركة من عوارض لجسمية.

وأما الهمة فلكونها عبارة عن الممين النفساني الحازم الى فعل الشيء مع التألم والعزم
 بسبب تصور فقلده، وذلك في حق الله تعالى محال^١.

وقوله : أحوال الاشياء لأوقاتها، أي: اذار كل ذي وقت الى وقته، وربطه به دون ما
 قبله وما بعده من الاوقات، وكنهه في لوحه المحفوظ وعلومه المبين، واللام في لاوقاتها
 للتعليل اذ كان كل وقت يستحق بحسب علم الله وحكمته ان يكون فيه ما ليس في
 غيره، وروى محال بالحاء، أي: حوّل كلاً الى وقته، وروى محل أي: جعلها ذات آجال
 لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها.

وقوله : ولأثم بين محتلماتها: تنبيه على كمال قدرته تعالى، والملائمة الجمع و

١- في ش: معتنع.

ذلك كجمعه في الامزجة بين العناصر الأربعة على اختلافها وتصرفها، وبين الأرواح
اللطيفة والتموس المحررة، وبين هذه الأبدان المظلمة الكثيفة على وفق حكمته وكمال
قدرته.

وقوله: وغرر غرائرها، أي: اثبتها فيها ورعرها، وعريضة كل شيء طبيعته وحلقه و
ما جبل عليه من خاصة، أو لازم كالتعجب ولصحك للإنسان، والشحاعة للأسد، وأجبن
للأرنب، والمكر للشعلب.

وقوله: وألزمها أشياحها، أي: اشخصها اذ كانت كل طبيعة كلية إنما توجد في
شخص، وروى استنساخها، والاستخ الأصل أي: جعلها لازمة لأصلها وهي طائع
الموجودات وماهياتها، وأنصمير في قوله: والزمها، عائد إلى العرائز ويجوز أن يعود إلى
الأشياء، ويكون المعنى أنه تعالى لما عرر غرائز الأشياء ألزمها بعد كونها كلية
أشخاصها.

وقوله: عالماً إلى قوله: احنائها: فخاصه بذلك عنده بما ينحل إليه ماهياتها من
أجزائها وينتهي به منها، وهي حدوده، وما ينهي به ويحدّها من الأفعال والنهايات
وقرائها ما يقرن فيها ويلتصقها كالعفس نبدن، ومعص اطبايع لبعض الأشياء دون
بعض، واحداؤها ونواحيها وحواسها، وبين ذلك تبيان: أنه تعالى عالم بكل معلوم
من الكليات ولحرييات وقد بين ذلك في العلم الإلهي.

وقوله: ثم انشأ، أي: لي قومه: سمع سماوات:

كانتمصيل لخلق العالم وابتدائه، والأجواء: جمع جَوّ وهو فضاء الواسع، والأرجاء
جمع رحاء مقصور، وهو: الساحية، ولسكائك: جمع سكة كذوابة وذوائب وهو:
العصاء ما بين السماء والأرض والهواء: المكاد الخالي.

واعلم أن خلاصة ما يفهم من هذا الفصل أنه قد كن قبل وجود العالم فضاء واسع،
هو الأصل في عرف المتكلمين فأشأ الله تعالى فيه أحياء اجسام العالم، وفتحها ي: شقها
واعدها لحلق لأجسام وتكريبها فيها، ثم خلق ماء متلاطماً يتأثر أي: متردداً معظمه، و
متراكماً زحاره أي: ممتلئ بعضه فوق بعض، فأجاره فيها أي: أجراه، وروى أحاره ي:

في نسخة ش كد: أي: ينهي به منها وهي حدوده وبها وافق به ولتصمها من الإعمال.

اداره فيها، وحقق له ريحا عاصفا، زعزعا اى: شديدة تحمله وتحفظه من جميع جوانبه، متسلطة على شدة وضبطه فى مقارته بمقتضى امره تعالى وقدرته، وجعلها مقروبة الى حده بحيث لا يتوسط بينهما جسم آخر، فصار الماء من فوق الريح متدفقا والحلاء من تحته مفتحا واسعا ثم حقق سبحانه ريحا اخرى لتمويج ذلك الماء وتحريكه، فأرسلها واعتقم مهيتها الى شدة هبوبها وضبطه، وأرسله بمقدار مخصوص على وفق الحكمة، وروى واعقم مهيتها اى: جعل محرارها عقيما لانسب به يعوقها عن الحريان ولشدة جريانها، ثم ادم مرثها الى اقامتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريها وأبعد مبدأ شوبها بحيث لا يمكن الوقوف عليه وهو قدرته تعالى، ثم أمرها بتصميق ذلك الماء الزخار شديد الإملاء وإثارة امواجه، فمخضته كمخض السقاء وعصفت به كمصفها تردة اوله على آخره، وساجبه على مرثه اى: ساكنه على متحركه، فلما عب عبابه اى: علامه ورمى بالبرد ركاه اى: متراكمه، رفع الله تعالى ذلك الزبد الى هواء متفتح اى: خللاء واسع، وكون منه السماوات العللى.

واعلم انه قد أسير الى مثل ذلك فى اقرآن الكريم كقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)^١ والمراد بخار الماء، وذهب الى مثله بعض الحكماء القدماء ولفظ القرآن ايضا موافق لشارته عليه اسلام لأن الزبد ايضا بخار الماء، وهذا لطاهر لا يند فى كلام المتكلمين فى أنّ الاجسام مؤلفة من الأجزاء التى لا تتحرى لجواز أن يخلق الله تعالى اول الاجسام من تلك الجواهر ثم ينكون باقى الاجسام عن الاجسام الأولى.

واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذى اقتضته هذه الظواهر فى تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم، لتأخر وجود العناصر عنهم عن وجود السماوات، لاجرم احتاجوا الى تأويلها توفيقا بينها وبين رأيهم فى ذلك، وقد نهنا فى «الشرح الكبير» على ما يصلح ان يكون تأويلا على قواعدهم، أو قريبا مما يصلح لذلك^٢.

وقوله : وجعل سفلاهن... الى قوله: بالنظائر.

كالتفسير لقوله، فسوى لأن التسوية عبارة عن التمدنن والوضع والهيئة التى عليها

١ - سورة ص ص ١٦١.

٢ - الشرح الكبير ١/ ١٢٢ ط ايران

السموات بما فيهن كما شرحه، واستعار لفظ الموج للسماء ملاحظة للمشابهة بينهما في العلو واللون، ومكتوفاً ممنوعاً من السقوط.

وقوله : وعلياهن سقفاً محفوظاً، والسقف: اسم للسماء، وحفظه من الشياطين، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، وكانوا يتخبرون أخبارها، فلما ولد عيسى عليه السلام، منعوا من ثلث سموات، فلما ولد محمد عليه السلام منعوا من السماوات كلها، فما منهم احد استرق السمع الأرمي بشهاب.

فذلك معنى قوله تعالى (وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. الْآمِنْ اسْتَرْقَ السَّمْعُ)^٢ الآية، وسمك البيت: سقفه، وقوله: بغير عمد، تنبيه على عظمة قدرة الله تعالى، وعلوها عن الحاجة في مثل هذا البنيان، وقيامه الى عمد، وتنزيه لها عن مماثلة القدر البشرية في حاجتها الى ذلك فيما يُنسب اليها، والدسار كالمسار ونحوه، وإنما سميت الشهب نوابق لأنها يثقب بنورها الهواء، واستعار لفظ السراج للشمس باعتبار إضاءتها لهذا العالم كإضاءة السراج للبيت، والمستطير: المستشعر، والرقيم: من أسماء الفلك، سقى به لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش، واللوح المكتوب.

واعلم أن مجموع هذه الاستعارات تستلزم تشبيه ملاحظة هذا العالم بأسره ببيت واحد في غاية الحسن والزينة، فالسمااء وهو سقفه كقبة خضراء نصبت على الأرض، وحبب ذلك السقف عن مردة الشياطين كما يحمي عرف البيت من مردة اللصوص، وزين بترصيع الكواكب الثابتة فهو كسقف من زمرد رصع بالؤلؤ والمرجان، وجعل من جملتها كوكبين هما أعظم الكواكب جرماً بحسب الرؤية وأكثرها إشراقاً، جعل أحدهما ضياء النهار والآخر ضياء الليل، ثم جعل ذلك سقوفاً وطبقات أسكن في كل طبقة منها ملائكة، وخواص ملكه، وجعل تلك السقوف متحركة بما فيها من الكواكب كما أشار إليه بقوله: في فلك دائر، الى قوله: ماثرة... وجعل حركاتها أسباباً معلة لتوّن الكائنات في هذا العالم ليكون أثره تعالى ابدع، وحكمته في خلقته ابلغ، والضمير في قوله: وزينها، يعود الى السع سماوات، وذلك لاينا في قوله تعالى: (وَرَيْنَا

١- في ش: الصلاة والسلام.

٢- سورة لجم/ ١٧-١٨.

السَّمَاءِ اسْدُتَّ بِمَصَابِحَ^١ فَإِنَّ السَّمَاءَ انْدَسَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا الْقُمْرَانُ سَاطِرُ
 الْكَوَاكِبِ أَيْضًا رِيْنَةٌ لَهَا فِي الْأَوْهَامِ ابْشِرِيَّةٌ اتَى وَرَدُ كَثَرِ الْحَطَابِ اشْرَعْنِي بِحَسْبِهَا.
 وقوله: ثُمَّ فَتَحَ... اِسَى قَوْلُهُ: الْعَلَى، اِشَارَةٌ إِلَى تَسْوِيَةِ السَّمَاوَاتِ اِشَارَةً جَمِيعَةً فَكَّرَتْ
 قَدْرَ اَوَّلَا حَلْقِهَا كَرَّةً وَحِدَةً كَمَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُعْشَرِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ
 أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُنَّا رَتَقًا فَفَتَقْنَا هُمَا)^٢ ثُمَّ اِشَارَ إِلَى تَفْصِيلِهَا وَتَمْيِيزِ بَعْضِهَا مِنْ
 بَعْضٍ بِالْمُتَقَرِّ، وَاسْكَانَ كَرَّ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ مَسَلًّا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، ثُمَّ اِسَى تَفْصِيلَ الْمَلَائِكَةِ وَ
 مَرَاتِبِهِمْ مَوْفُةً لِقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْأَطْوَارِ الْحَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِأَنْوَاعِ الْمُتَبَايِنَةِ، وَذَكَرَ
 مِنْهُمْ أَنْوَاعًا وَأَشَارَ بِالنَّسْجِ وَالرُّكُوعِ وَالصَّنْفِ وَالتَّسْبِيحِ إِلَى تَفَاوُثِ مَرَاتِبِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ
 وَالْحَصُوعِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ كَلًّا مِنْهُمْ بِمَرْتَبَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ، وَالْمَدْرَةِ،
 لَيْسَتْ لِمَنْ دُونَهُ، وَكُلٌّ مِنْ كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ كَدَتْ عِبَادَتُهُ أَعْلَى وَطَاعَتُهُ أَوْفَى،
 ثُمَّ إِنَّ اسْجُودَ وَالرُّكُوعَ وَالصَّنْفَ وَالتَّسْبِيحَ عِبَادَاتٍ مُتَعَرِّفَةً بَيْنَ الْمَاسِ مُتَفَاوِثَةً
 فِي اسْتِزَامِ كَمَالِ الْحَصُوعِ وَالْحَشُوعِ، وَلَا مَكْنَ حَمَلَهَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ عَلَى طَوَاهِرِهَا
 لِاِخْتِصَاصِ آلَاتِهَا بِبَعْضِ الْحَيَوْنِ، فَتَعَيَّنَ حَمَلُهَا عَلَى غَيْرِ ضَوْهَرِهَا، وَالْأَشْبَهَ حَمَلِ
 الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ وَتَعَاوُثِهَا عَلَى تَدْوِيٍّ كَمَا لَا تَهْمُ فِي الْحَصُوعِ وَالْحَشُوعِ لِكِبَرِيَاءِ
 اللَّهِ تَعَالَى اِصْلَاقًا لَاسِمِ الْمَنْزُومِ عَلَى لَارِمَةٍ.

فَالسُّجُودُ، مَرْتَبَةٌ الْمَغْرِبِينَ، وَالرُّكُوعُ مَرْتَبَةُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، وَصَافُونَ مَرْتَبَةَ الْحَاقِقِينَ مِنْ
 حَوْلِ الْعَرْشِ، قِيلَ: أَنَّهُمْ يَقِفُونَ صَفُوفًا لِإِدَاءِ لِعِبَادَةِ كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْهُمْ: (وَنَا
 لِحِجِ الصَّافُونَ) وَ(وَنَا لِحِجِ الْمُسْتَحُونَ)^٣ وَجَاءَ فِي لِحِجٍ: أَنَّ حَوْلَ لِعَرْشِ سَبْعِينَ أَلْفَ
 صِفِّ قِيَامٍ قَدْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَمِنْ
 وَرَائِهِمْ مِائَةُ أَلْفٍ صِفِّ قَدْ وَضَعُوا الْإِيمَانَ عَلَى الشِّمَائِلِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَحُ.
 وَالْمُسْتَحُونَ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الصَّافُونَ لِمَا مَرَّ وَالْوُجُوهُ اِخْتَصَصَتْ بِالْمَعَايِرَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ
 مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ صَافُونَ غَيْرَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ مُسْتَحُونَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ نَوْعًا آخَرَ، وَاقِ

١ - سورة فصلت / ١٢.

٢ - سورة الأنبياء / ٣٠.

٣ - سورة الأنبياء / ١٦٥، ١٦٦.

عدم غشيد النوم ولسهو والعفلة والسيان وفترة الأبدان لهم، فإن ذلك من لواحق الأجسام لحيوانية، والملائكة منزهون^١ عنها فلم سمها عنهم.

وأما الأسماء عني وحبه، فيشبه أن يكونوا داحسين في الأقسام السابقة، وأما ذكرهم هم ثانيا باعتبار وصف الأمانة وإداء الرسالة، والعصاء هيا الأمر المقصّي، يقاب: هذا قضاء الله أي: مقصيه، وأما الحفظة فهم حفصة العباد كما قال تعالى: (وِيرْسُ عِبْكُمْ حَفْظَةً)^٢.

قال ابن عباس: إن مع كل إنسان مكيّن، أحد هما على يمينه، والآخر على يساره، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من عني يمينه، وإذا تكلم بسيرة قال من على اليمين نسن عني اليسار، انتظر لعلّه يتوب منها، فإن لم يتب كبت عليه. وأما السندة فهم خزان الجنة، وقوله: ومنهم لثلاثة في الأرضين السفلى أقدامهم، إلى قوله: اكتافهم.

فاعلم إن الأوصاف هذه وجدت في صفة لملائكة الحاملين للعرش في كثير من الأحاديث، فيشبه أن يكونوا هم المقصودون بها هاهنا، روى عن ميسرة^٣ أنه قال: أرحبهم في الأرض السفلى، ورؤسهم قد حترقت العرش وهم تخشع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء السادسة، وهكذا إلى سماء الدنيا.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما خلق الله تعالى حمدة العرش، قال لهم: احمسوا عرشي فمهم يطبقوا، فمات لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فما قالوا ذلك استقلّ فمعدت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسماً من أسمائه فاستقرت أقدامهم. وقوله: المسامحة لقوائم العرش اكتافهم، يريد أنهم مشتهون ومناسون لقوائم

١ - في نسخة ش: منزهون

٢ - سورة الانعام / ٦١. وفي نسخة تركبة معقبت من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. ومنهم حفصة عني العباد كما قال تعالى ..

٣ - أبو حمزة ميسرة بن يعقوب الطهري الكوفي ... صاحب رؤية عني بن أبي طالب عليه السلام.

العرش في استقرارهم وثباتهم عن التزاييل من تحته أبداً الى ما شاء الله، ولفظ الأكثاف مجاز في القوى واقدر التي حملت الملائكة جرم العرش، وشبهها بقوائم العرش المعهود، ووجه الشبه إستقلالها بحمله كالقوائم، ولتضمير ان في أنصارهم وأحنثهم راجعان الى العرش، وفي الحصر عن وهب بن منبه^١ قل: ان لكل ملك من حمة العرش ومن حوله أربعة أجنحة اما جناحان فعلى وجهه محافة أن ينظر الى العرش فيصمق، واما جناحان فيهبو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد.

وكفى عليه السلام، بتكس أبصارهم: عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفهم عما لا يحتمله من أنوار الله وعظمته تعالى، وان شدة أبصار ادراكهم منته واقف دون حجب عزته.

ويحتمل أن يريد بلفظ الأجنحة قواهم وكمالاتهم التي يطبسون بها في بيداء جلال الله استعارة، وزيادة الاحتجة: كناية عن تفاوت مراتبهم في الكمال، ولما كان الطائر عند قص جناحه كالمطلع اي: لمسحف به، احتمل ان يكون وصف التلحق لهم إستعارة لقصور قواهم، وقدرتهم المشبهة للأحجة وقبضها عن التعلق بمعلومات الله ومقدوراته. وقوله: مضروبة... اي قوله: القدرة، اشارة الى قصور القوى البشرية عن ادراكهم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاول. وقوله: ولا يتوقمون ربهم بالتصوير: تنزيه لهم عن الادراكات الوهمية والخيالية لمبدعهم عز سلطانه، اذ الوهم انما يتعلق بالمحسوسات ذوات المقديرو الاحياز المزمرة قدسه تعالى عنها، وهم مبرؤون عن الأوهام والخيالات البشرية، ولذلك قوله: ولا يجرون عليه صفات المصنوعين الى آخره.

لان كل ذلك مقياس وهمي ومحاكاة خيالية له بمصنوعاته المحتاجة الى الامكنة ولها نظائر واشياء، وهم مبرؤون عن الوهم والخيال، وبالله التوفيق.

منها في كيفية خلق آدم عليه السلام، وفي هذا المصل فصلان الفصل الاول قوله في خلق آدم عليه السلام:

١- ابو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سبيح بن دى كذا اليماني مات ١١٦ هـ صريه يوسف بن عمرو بن محمد لتلقى الاموي حتى مات. تهذيب التهذيب ١٦٨/١١
٢- هي نسخة ش / الصلاة.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلَيْهَا، وَعَذِيبِهَا وَسَبِيحِهَا، ثُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ. وَلَا ظَلَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ. فَجَبَّلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءَ وَوُضُوءٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُضُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْتَسَكَتْ وَأَضَمَّتْهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ يَوْفَتَ مَعْدُودٍ، وَأَمَدَ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ نَفَعَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَخَوَارِجٍ يَخْتَلِمُهَا، وَأَدْوَاتٍ يُغْلِكُهَا، وَمَفَرِقَةٍ يَفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَدْوَانِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مُتَجَبِّهًا بِطَبِيعَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْيَاءِ الْمُتَوَكِّلَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ؛ وَأَسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيْعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِدْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (أَسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَغْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشُّقُوءُ، وَتَعَرَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهْوَى خَلْقَ الصَّلْصَالِ؛ فَأَغْطَاهُ اللَّهُ الْغُطْرَةَ اسْتِخْفَافًا لِلشُّعْطَةِ، وَاسْتِشْفَافًا لِلْبَلْبَةِ، وَابْتِجَارًا لِلْعِدْوَةِ؛ فَقَالَ (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ، وَأَمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ. وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَأَغْتَرَتْهُ عَدُوَّةُ نِقَاسَةٍ عَلَيْهِ بِذَارِ الْمَقَامِ وَمُرَاقَبَةِ الْأَبْرَارِ فَسَاءَ الْبَيْسَ بِشَكْرِهِ وَالْقَرِيْمَةَ بِوَهْمِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجَسَدِ وَجَلَاءَ، وَبِالْإِعْزَارِ نَدْمًا ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي قُوَّتِهِ، وَلَقَاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الثَّمَرَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَرِ الْيَلِيَّةِ، وَتَنَاسَلَ الدُّرِّيَّةُ.

أقول :

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قَدْ كَرَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي مِصْبَحِ سُوْرٍ وَهِيَ : الْبَقَرَةُ، وَالْأَعْرَافُ، وَالْحَجَرُ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَطه، وَص، وَذَلِكَ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ تَذْكِيرِ الْخَلْقِ وَتَنْبِيهِهِمْ مِنْ مَرَاقِدِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي جَذِبَهُمُ إِلَيْهَا ابْلِيسُ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَتِهِ، وَحَزَنِ الْأَرْضِ: خِلَافَ السَّهْلِ، وَالْمَسْنُونِ مَاسِنَ بِالْمَاءِ أَى : أَرْسَلَ عَلَيْهِ فَصَارَ طِينًا، وَلَزِبَتْ بِالْكَسْرِ : لَصِقَتْ، وَصَلَصَلَتْ : انْتَنَتْ، وَقِيلَ صَوَّرَتْ لِيَسْهَى، وَلَا طَلَهَا بِالْبَلَّةِ : خَلَطَهَا بِالرُّطُوبَةِ، وَجَبَّلَ : خَنَقَ، وَالْأَحْنَاءُ : الْجَوَانِبُ، وَالْوُضُوءُ الْمَفَاصِلُ : جَمَعَ كَثْرَةَ لَوْصَلِ، وَجَمَعَ الْقَلَّةَ : أَوْصَالَ، وَأَصْلَدَهَا أَى : جَمَعَهَا صَلْبَةً لِمَسَاءٍ، وَيَخْتَلِمُهَا : يَسْتَخْدِمُهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ : لَزِبَتْ، إِشَارَةٌ إِلَى امْتِزَاجِ الْعَنَاصِرِ، وَخُصَّ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ لِأَنَّهُمَا

الأصل في تكوين الأعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان، وبه باحلاف أجزائها على كون ذلك مبادئ اختلاف الناس في ألوانهم، واحلافهم، كما ورد في الخبر فجاء منهم الأسود والأحمر.

وقوله: خلصت، ولزيت: اشارة الى بلوغها في الاستعداد العاية التي معها تكون صورة ما يتكون منها. وقوله: فجبل، الى قوله: استمسكت، اشارة الى خلق الصورة الانسانية بتمامها، ولضمير في «مها» راجع الى التربة، وفي أجملها، وأصدها، راجعان الى الصورة وأعضائها، فالأحماد لغاية الاستمساك، راجع الى بعضها كاللحم والأعصاب وأشباههما، والأصلا لغايته راجع الى بعض آخر كالعظم، واستند ذلك الى المدبر الحكيم، لأنه لعلة الأولى وان كانت هناك أسباب قريبة طبيعية معدة لذلك.

وأردا بوقت المعلوم، الوقت الذي يعلم الله تعالى انحلال هذا التركيب فيه، والضمير في قوله: فيها، راجع الى الصورة كما قال الله تعالى: (وفضحت فيه من روحي)^١ واستعار وصف انصح لافضة النفس على لشد واشتعل بورها المعقول فيه كم يشعل النار فيخها، والروح يحتمل أن يراد به جبريل ونسبته الى الله ظاهرة: ويحتمل أن يراد به وجود الله، ونعمته، وآسا سقى روحاً لأنه مبدأ كل حياة وبه قوام كل شيء، ونسبته الى الله ظاهرة، ومن للتعبص ويحتمل أن يراد به النفس الإنسانية ويكون من رائدة، ونسبت الى الله لشرفها وبدائها عن المواد فيها مناسبة مع عتتها الاولى.

وقوله: دا ادها، اشارة الى: القوى الباطنية المدركة، واجالنها: تحريرها في المدركات، وكذلك قوله: وفكر يتصرف بها، ولم ير القوة الممكرة فإنها في الانسان واحدة، بل اراد حركات تلك القوة فيما يتصرف فيه وهي متعددة فبذلك جمعها، والجوارح اشارة الى: عامة الأعضاء اذ كانت كلها حدماً للنفس، والأدوات كاليد، والرجل، والمعرفة التي يفرق بها هي: قوة العقل بما لها من المعارف الأولى وهي البديهيات اذ كان الحق والباطل من الأمور الكلية التي لا يدركها إلا العقل، وقوله: والأذواق، الى قوله: والأجاس: تنبيه على أن للانسان آلات يدرك بكل منها واحدة من هذه الأربعة، وآخر الاحتاس لأن المدرك لها هو العقل اذ كانت أموراً كلية لكن بواسطة

احساس الحوش لمشدر اليها محسوساتها، ونصب معجونا على حال، وطسة الألوان ماذنها التي تحطت بدد^١ لانسد فاستعد بها تقوى الألوان المختلفة وهي معنى: عجبها بها.

ولأشياء المؤلفة كالعظام والأسنان، والأضداد المتعادية كالكيفيات الأربع التي ذكرها، وهي الحرارة، والبرودة، والبنية وهي: لوطوبة، والجمود وهي: يبوسة، والأخلاق المتباينة هي: لدم، والبلغم، والصفراء، ولسود.

وأما المسألة والسرور فهما من الكيفيات السمائية، وأما عهد الله الى الملائكة وصيته بهم فهو قوله تعالى: (فاذ سؤسته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)^٢ والاستيذاء ذلك منهم هو قومه بعد خلقه: (اسجدوا لآدم) وتفق الناس على ان سجودهم لآدم لم يكن سجود عبادة لأنها لغير الله كفره، لكن قل بعضهم: ان آدم كذب كلقبته والسجود لله، وتكون اللام كهى فى قول اشاعر في حق علي عليه السلام: ليس أول من صنى لقبتمكم^٣.

وقيل: كان السجود تعظيم لآدم، وكذلك ستة الامم السالفة فى تعظيم أكابرها، وقيل: بل السجود فى لعة الحصوة والانقياد، ثم اختلفوا فى المأمورين بالسجود، فعين: هم الملائكة الذين اهبطوا مع بييس لان الله لما خلق السموات والأرض وخلق الملائكة أهبط منهم ملائكة الى الارض يستون بلحن كمنو أحت الملائكة عبادة،

١ - في نسخة ش باط

٢ - سورة الحجر / ٢٩.

٣ - في ش بزيادة: الصلاة.

٤ - الشعر هذا اختلف في سبته، فهل انه لأبي الفضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، قالها عند بيعه

ابن بكر يعرض بها ويمدح عبا عليه سلام، والأبيد هي

ما كنت أحسب ان الأمر منصرف	عن هاشم ثم منها عن ابى الحسن
ليس أول من صنى لقبتمكم	واعلم لسان ما نمران والسن
وأمر لسان عهداً بلقبي ومن	حبرين عون في الفسل ونكفى
من فيه ما فيهم لامتزون به	وليس في القوم م فيه من الحسن
ما د ندي ردكم عنه فسمعه	ها ان سمعتكم من أول لمتن

وسبها بعض بن حسام بن ذيب. وحرو لى عته بن بن لهب، التدير ٩٣/٧

فأعجب إبليس بنفسه وتدخله الكبير، واضلعه الله تعالى على ذلك فقال له ولحمه: «أنتي خالق بشرًا من طين» الآية.

وقيل: هم كل الملائكة لقوله تعالى: (كلهم اجمعون)، وكذلك اختلوا في إبليس فقالت المعتزلة: أنه لم يكن من الملائكة لقوله تعالى: (كان من الجن) وهم ليسوا من الملائكة لقوله تعالى: (أهلًا أيًاكم كانوا يعبدون)، وقول الملائكة: (بل كانوا يعبدون الجن).

وأقول: يشبه أن يكون الخلاف لفظياً لأنه إذا ثبت أن الجن ملائكة اهبطوا إلى الأرض لم يكن يس كونه من الجن، وكونه من الملائكة مافاة، وأما الخطاب والجواب فجازان يكون مع الملائكة السماوية.

وقوله: إلا إبليس وقيله، إلى قوله: الصلصال، فقبيله: جماعته من الجن والشياطين، واعتزتهم الحمية وعشيتهم، وذلك من قوله تعالى: (لأبليس أباي واستكبر) الآية، وتمزجهم بحلقة النار قوله: (أنا خير منه حَقَّقْ من نار) واستضعفهم لخلق الصلصال، كقوله: (اسجد بشر حِفْتَه من صلصال) واعطاه النظرة هو قوله تعالى: (أنك من المنظرين)، والنظرة كسر اعاء الامهال، وهنا حذف تقديره، فسأل النظرة فأعطاه ذلك في قوله: (قال انظرني) الآية، وقوله: استحققاً للسلطة إشارة إلى قوله تعالى: (ولا تحسن الذين كفروا أنما نملي لهم) الآية، وانحاز العدة كقوله تعالى: (نك من المنظرين) الآية. ولحذف في خبر الله تعالى محال. واستمماً لليلة أي: بنية بني آدم به و اختيارهم بعصيانهم اوطاعته. واسكان آدم، إلى قوله: محلته، كقوله تعالى: (فقننا يا آدم اسكن) إلى قوله: (شتم)، والدار: الجنة. وتحذيره آية كقوله تعالى: (فما يا آدم أن هذا عدوك) إلى قوله: (فتشقى) وقوله: هاغتره، إلى قوله: الأبرار كقوله تعالى: (فوسوس إليه) الآية، والوسوسة: الفء ما يتوهم نافعاً إلى النفس مما يحالف أو امر الله تعالى، وتزيينه لها ذلك، وقيل: في سبب عداوته له أنه الحسد بما اكرمه الله تعالى به من اسجاد الملائكة له، وتعليمه ما لم يظلموا عليه واسكانه الجنة، وهو المشار إليه بالفاسه هنا، واصل الفاسه: البخل، يقال: نفست عليه بكذا أي: بخلت، وقيل: السبب تباين صليهما ولذلك اترقوى في العداوة والمجانة، ويبيعه اليقين بشكه،

ولعزيمة بوهنه، كقوله: (فسى ولم نجد له عرماً) قيل: ومعنى ذلك ان آدم كان في الحسة على حال يعلمها يقيناً وما كان يعمم عيشه في الدنيا هذل ذلك اليقين بما شككه فيه إبليس يقسمه. وقوله (أتى لكما من الناصحين) وقيل: بل كان يتيقن عداوته فشككه في ذلك بما حكاه من التصح عن نفسه. وقيل: بل كان يتيقن عهد الله اليه بملازمة طاعته وامره، فلما وسوس له الشيطان نسي ذلك العهد فذلك قوله تعالى: (ولقد عهدنا الى آدم) الآية. وكذلك بذل عزيمته الجازمة على المحافظة على طاعة الله، والصبر عليها بالضعف عن ذلك واستبداله بالخذل وهو السرور وجللاً كما دل عليه بقوله تعالى: (قالا رتنا، الى قوله: الحاسرين) وقوله: ثم بسط الله، الى قوله: رحمته كقوله تعالى: «فتمقى آدم» الآية. ولما اياها افضها عليه والهمه اياها واستعذ بها لقبوله رحمة الله.

وروى عن ابن عباس انه قال: علم الله آدم وحواء امر الحق، والكلمات التي تقال فيه، فحجاء، فلما فرغا اوحى الله اليهما اني قست توتكما.

وعن عائشة: لما اراد الله تعالى ان ينوب عن آدم طاف بالبيت مبعأ، والبيت يومئذ ربة حمراء فلما صلى ركعتين سفل البيت وقال: اللهم انك تعلم سرى وعلاتيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي وعطلي سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاعف عني ذنوبي، اللهم اني اسألك ايماً ما تياشربه قلبي، ويقيناً صادقاً حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي، وارضى بما قسمت لي، فأوحى الله اليه: يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيك احد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت ذنوبه، وكشفت همومه، ونزعت لقم من بين عينيه، وجادته الدنيا وهو لا يريد لها.

ووعده المرة الى جنته لقوله تعالى (فاما يا ايها الذين آمنوا فاستبدلوا بالخذل وجلّ والاعترار ندماً، ثم اناب الى الله فبسط له الى آخره، واما جعل تناسل الذرية في معرض ذم الخلل وان كان من كمالات الدنيا لعفارة ذلك بالنسبة الى الكمال والخير الذي كان فيه آدم في الجنة.

١ - هي نسخة ش: واستبد بها.

٢ - هي ش بزيادة: فمن اتبع هدي.

وَأَضَعْتُ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبَاءَ أَحَدَ عَلَى الْوَحْيِ مِثْقَلَهُمْ، وَعَنَى تَبْلِغَ اسْرَسَالَهُ
 أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَأَ أَكْثَرُ حَلْفِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَبَجَلُوا حَقَّهُ وَأَخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ
 اجْتَمَعَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَأَقْطَعَتْهُمْ عَنْ عِيَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَاتَّزَمَ إِلَيْهِمْ
 أَنْبَاءَهُ لِيَسْأَلُوهُمْ مِثْقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْشَى بَعْتِهِ، وَيَتَخَذُوا عَلَيْهِمُ بِالتَّبْلِغِ، وَ
 يُبَيِّرُوا لَهُمْ قَوَائِمَ الْعُقُولِ وَيُرْوَهُمُ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَةِ: مِنْ سَقَبِ مَوَاقِفِهِمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهْدِ نَحْتِهِمْ
 مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشِ تَحْيِيهِمْ وَأَحْدِثِ نُفْيِهِمْ، وَأَوْصَابِ بُهْرَتِهِمْ، وَأَخْذَاتِ نَتِجِ عِلْمِهِمْ؛ وَلَمْ
 يُحَلِّ سُبْحَانَهُ حَنَفَهُ مِنْ مِثْقِ مَزْمَنٍ، أَوْ كِتَابِ مُزْمَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَا رِمَّةَ، أَوْ مَحْجَوِّ قَائِمَةٍ: رُسُلُ
 لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سَمَى لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ عَدْرِ عَرَفَةٍ
 مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نُسِبَتِ الْعُرُوفُ، وَمَصَّتْ سُهُورُ وَسَمَتِ لَأَنَاءُ وَخَسَمَتِ الْأَنَاءُ،
 إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ،
 فَأَحْوَدًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِثْقَهُ، مَشْهُورَةً سَمَانُهُ كَرِيْمٌ مِلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمِيذٍ مِثْلُ
 مُتَمَرِّقَةٍ، وَأَهْوَاءُ مُتَشِيرَةٍ وَظَوَانِفُ مُنْشِئَتِهِ، شَيْءٌ مُشْبِهٌ لِلَّهِ بِحَلْفِهِ أَوْ مُلْجِدٍ فِي أَمْرِهِ، أَوْ مُشِيرٍ
 إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا هُمْ بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَانْدَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهْلَةِ. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ ذَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَتْ بِهِ عَنْ
 مُقَادَرَةِ الْبُلُوِّ، فَخَصَّهُ إِلَيْهِ كَرِيْمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَفَّتْ فِيكُمْ مَا خَلَقَتْ الْأَنْبَاءُ فِي
 أُمَمِهَا - إِذْ لَهُ يَتَرْتُوهُمْ هَمَلًا: بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَمٍّ قَائِمٍ: كَيْدَتْ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُشِيًّا
 حَلَالَةً وَحَرَامَةً، وَفَرَائِضَهُ وَقَصَائِلَهُ، وَتَاسِجَةً وَمُسَوْنَةً، وَرُخْصَةً وَعَرَائِمَهُ، وَخَاصَّةً وَ
 غَمَةً، وَغَيْرَةً وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَةً وَمَحْدُودَةً، وَمُحْكَمَةً وَمُتَشَابِهَةً، مُفَصَّرًا مُجْمَعَةً، وَمُبِينًا
 عَوَامِيصَهُ، بَيْنَ مَا حُودِ مِيتَاقٍ فِي عِلْمِهِ، وَمَوْسِعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْدِهِ. وَبَيَّنَ مُشْتَبِهَاتِ
 فِي الْكِتَابِ قَرَضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي اسْتِئْثَانِهِ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَنِ أَحَدُهُ، وَمُرْتَحِصٍ فِي الْكِتَابِ
 تَرَكُّهُ، وَبَيَّنَ وَاجِبَ بَوَاقِيهِ، وَرَزَلِي فِي مُسْتَقْبَلِهِ. وَمُبَيَّنَ بَيْنَ مَحَارِمِهِ: مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ
 بِيْرَانَهُ، أَوْضَعِيرَ أَرْضَدَلَهُ عَفْرَانَهُ. وَبَيَّنَ مَقُولٍ فِي أَذْنِهِ، مَوْسِعٍ فِي أَفْصَاهُ.

أقول :

النصير هي ولده راجع لى آدم عليه السلام، واصصفاؤه تعالى للأنبياء عدادهم لاوضة الكمال النبوى عليهم، واحذنه على الوحى ميثاقهم هوالمشاراليه بقوله (وَادَّ احَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) وقوله (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) الآية، وقوله: لما بذل تسيه^١ على وجه الحكمة فى بعثة الانبياء وسببها، وعهدالله الذى بذّوه هوالمشاراليه بقوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الآية.

قال ابن عباس: لما خلق الله آدم مسح عنى ظهره فاحرح منه كل سمة هو خالقه الى يوم القيامة، فقال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟) قلوا: بلى، فنودى يومئذ: جفت الفم بما هو كاش الى يوم القيامة.

واعلم أنه لما كان الانسان تمام العالم^٢ فى الوجود الخارجى فكذلك فى التقدير الالهى المطابق له، ولذلك كان به تمام التقدير وجمال العلم، ولما كان من شأن الخلق بحسب ما ركب فيهم من القوى الدينية المتسازعة لى كمالاتها ان ينحرفوا عن الاستقامة الى عهد الله ويتخذوا الاندفاع^٣ ويجهوا حقّه للفتنة محاصر لذاتهم عن دوام شكره، وان يحتالهم الشياطين اى: يقتصعهم عن معرفته لاجرم وجب فى الحكمه الالهية ان يحتص صفاً منهم بكمال اشرف يتدرج معه امناء ذلك الصفا على تكميل الماقيين ممن دويهم، وهم صنف الاسياء عليهم السلام والعاية منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله: ليستأدوهم ميثاق فطرته^٤، يطسبون منهم اداء ما عهد اليهم به حين خلقهم من العودية والاستقامة عليها وبذكّرهم ما سوه من نعمته ويحتجرو عليهم بتبليغ الرسالات ويثبروا لهم جواهر الادلة على وحدانيته تعالى وتفردّه باستحقاق العبادة فما هو مذكور فى فطرتهم وفى قوتها^٥ علمه كالمفوف فيها والمعطى بشوائب الهيات البدية وقوله: يرشدوهم ابنى وجوهها، ليستدلّوا بما يشاهدونه من الحكمة فى حق السموات والارض وامر معاشهم واسباب حياتهم وموتهم مما عدّوه. وقوله: ولم يخل الله الى قوله:

١ - فى نسخة ش مرادة: يد.

٢ - فى ش العالمين.

٣ - فى نسخة ش بريادة. على

وحققت الانبياء، اشارة الى: بيان عنايته بالخلق في تواتر الرسل اليهم لعاية جذبهم الى جذب عترته، كقوله تعالى: (وان من امة الا خلا فيها نذير)^١ ثم من لطفه تعالى انه لما كان من ضرورة النبي ان يموت ولا يستد زمانه، انزل عليه كتابا يكون باقياً بعده ما شاء الله، يكون مشتملاً على كل المطالب والمصالح الناطمة لهذا العالم بحيث لو كان النسي عليه السلام موجوداً، لم يزد على ما تصبته من الدعاء فيه الى عادته تعالى وتذكير الخلق منسى عهده، وقصص اخبار الماضين ولعبر اللاحقة للاولين، وفيه الحجج البالغة والدلائل القاطعة وغير القاطعة مما يصلح العباد في امر المعاش والمعاد، ومعنى قوله: ارسل الى قوله: لهم انهم، وان كنوا قليلى العدد بالنسبة الى كثرة الخلق المكذبين لهم كما هو المعنوم من حال كل نبي بعث الى امة، فان ذلك لا يوليهم قصوراً عن اداء ما كلفوا من تبليغ الرسالة وحمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم، و«من» في قوله: من سابق^٢ للبينين، والمراد ان السابق منهم قد اظنعه الله تعالى على العلم بوجود الاحق له، فبعضهم كالمقدمة لوجود البعض وتصدق به، كعيسى عليه السلام اذ قل: (ومبشراً برسول)^٣ الآية ومن لا حق سواه من قبله كمحمد صلى الله عليه وآله.

وقوله: وعلى ذلك، اي: الاسلوب ولتظام الالهى مضت الامر خيراً عن سلف، وقد ساق عليه السلام في هذه الحظية من لدن آدم الى ان انتهى الى بعثة محمد عليه السلام، اذ هو الغاية من طيبة السورة وخاتم النبيين. ثم اشار الى بعض غيات بعثته وهي انجاز عذريته لحلقه بعثته على السنة الرسل السابقين، واتمام نبوته لغايتها، وما أخذوا على النبيين ميثاقه حال وذلك الاخذ هو المشار اليه بقوله تعالى: (واذ اخذ الله ميثاق النبيين)^٤ الى قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما كنتم تكتفون به) ولتتضمنه^٥ ومسانه علامات نبوته فانها كانت ظاهرة في الميثاق، وفي احوال تعرفها لرهبان والكهان وعلماء اهل الكتاب، وكرم

١ - سورة فاطر / ٢٤.

٢ - في نسخة ش بريادة: علي.

٣ - هي ش هكذا: من سابق رحمة الى النبيين.

٤ - سورة صهف / ٦ وفي ش بريادة: يأتي من بعدى اسمه احمد.

٥ و ٦ - سورة آل عمران / ٨١.

ميلاده طهارة أصله عن الفساد، ونبه على فضل بعثته بذكر أحوال الناس حين البعثة من اختلاف الآراء، وتشبث الأهواء، ونفرت الأديان والمذاهب بين من عبه اسم الملة، وهم المذاهب الثلاثة وبين غيرهم من عبدة الأصنام والمعتلة وقد نبهنا على أصناف مهم في الأصل، والمشبهة: بقية أصحاب الملل.

فإن الغالب عليهم التجسيم، وتشبه الصانع ببعض مصنوعاته، والملحد في اسمه من عدل باسمائه عن الحق بتحريرها عما هو عليه إلى أسماء اشتقوها لأوثانهم منها: كالكالات من الله، والعزى من العزيز ومائة من العتق، والمشير إلى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الأوثان والكواكب.

وقوله: وخلف فيكم، إلى قوله: قائم، وذلك أنه لما كان النبي ليس مما يتكون وجوده مثله في كل وقت وجب أن يشرع لئلا يفسد بعده من أمورهم سنة بقية بأذن الله، وأمره وحيه، والعية من ذلك هو استمرار الخلق على معرفة الصانع ودوام ذكره، وذكر المعاد مع انقراض القرن للذي يلي النبي ومن بعده مع ما وجب أن يأتيهم به من الكتاب من عند الله الوفي لجميع المطالبات الإلهية ولا بد أن يعظم أمره، ويسر على الحق دراسته وتعليمه ليدوم به التذكر لله سبحانه، والملائكة على من ملائكته، وأشرف الكتب المنزلة، والتسني ما خففه رسول الله صلى الله عليه وآله في منته من الكتاب العزيز وسنة الكريمة كما تحقق ذلك العلماء العارفين بأسرار الكتب الإلهية والتواميس الشرعية.

ولفظ العلم: مستعار لما يهتدى به الخلق من قوانين الشرع. وقوله: كتاب ربكم: بدل من ماء والمراد «بما» نوع ما خلفت الأنبياء في أممها من الحق وذلك هو ما يشتمل عليه الكتاب مما لا يخالف فيه نبي نبياً من القوانين الكلية، كالنوحية، وأمر المبدء، و تحريم الكبائر، ومبت نصب على الحال عن خلف، وذو الحال ضمير للنبي صلى الله عليه وآله. وقوله: حلاله، إلى آخره: تفصيل لما اشتمل عليه الكتاب من القوانين الكلية التي عليها مدار أصول الفقه، فمنها الأحكام الخمسة الشرعية. وأشار بحلاله: إلى المباح والمكروه منها. وبحرامه: إلى المحظور وبفضته: إلى المندوب، وبفرائضه: إلى الواجب، ومنها الناسخ والمنسوخ، والنسخ عبارة عن: رفع، مثل الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله. والناسخ هو: الحكم الراجع والمنسوخ هو: الحكم المرفوع وهما

في لكتابات العزيز كقولہ تعالیٰ : (وَلَيْسَ يُنْفِقُ مِنْكُمْ وِثْرًا)^١ الى قوله (وعشراً) فإنه ناسخ لقوله تعالیٰ : (متعاً الى الخوف غير اخرج)^٢.

ومنها رخصه وعرائمه، و لرحضة عذرة عن: الادب في الفعل مع قيم السبب المحترم له لصورة لقوله تعالیٰ : (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ يَوْمٍ أَحْسَنُ)^٣ والعريمة ما كن من الاحكام الشرعية جارياً على وفق سببه الترعى كقولہ تعالیٰ : (فموا الصلاة)^٤ و معها عاقبة وخاصة، والعام هو اللفظ المستغرق بوصفه الواحد لجمع ما يصلح له، كقولہ تعالیٰ : (فَسَحَّ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْتُمَعُونَ)^٥ والخاص هو: ما لم يتناول اجمع بالسنة الى ما تناوله، كقولہ : (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ) ومعه عذرة، والمعبرة: الاسم من الاعتبار واشتقاقها من العصور لأن دهن الانسان يتقل فيها من مرالى امرء، وهي كما ورد في قصص الاولين بالمصائب انازلة بهم التي تشغل دهن الانسان باعتبارها الى تقديرها في نفسه وحاله، فيحصل بذلك ابرحاره ورجوعه الى الله، كقولہ تعالیٰ : (يُحْذَرُ اللَّهُ نَكَاتَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَحْسِي)^٦ ونحوه.

ومنها امثلة^٧ وهي كقولہ تعالیٰ : (سَمَّا مِثْلُ أَحْيَاؤِ الدُّنْيَا كَمَا فِي الْآخِرَةِ)^٨ الآية. و صها المرسل والمحدود، وهما في عرف اصول اعنف المطلق والمقتد، مثال المطلق قوله تعالیٰ في كفارة الطهر (فتحرير رقبة من قبلك يثماثا)^٩ والمقيد كقولہ : (فتحرير رقبة مؤمنة)^{١٠} وقد ذكرنا الفرق بين المطلق والاعم في لأصل.

١ - سورة البقرة ٢٣٤.

٢ - سورة لقمة / ٢٤٠.

٣ - سورة لقمة / ١٨٤.

٤ - وردت هذه الجملة في ١٣ آية.

٥ - سورة الحجر / ٣٠، و سورة ص / ٧٣.

٦ - سورة اسراعات / ٢٥ و ٢٦.

٧ - في شرح امثاله.

٨ - سورة يوسف / ٢٤.

٩ - سورة نمادة / ٣.

١٠ - سورة النساء / ٩٢.

ومنها محكمة ومتشابهة، والمحكم في الاصطلاح العلمي هو: راجح الافادة لاحد مفهوماته المحتملة للاحدة منه من دون قرينة. فمنه النص وهو: الراجح المانع من القيص كقوله تعالى: (وَلَلَّهِ يَكْرٍ شَيْءٍ عَظِيمٍ) ومنه اظاهر وهو: الراجح غير المانع من النقص كقوله تعالى: (أَقْبَلُوا الْمَشْرِكِينَ) فأنه ظاهر العموم في جميعهم وان احتمل بعضهم، ويقبله المتشابه وهو غير راجح الافادة لاحد مفهوماته، فمنه المعجل وهو غير راجح الافادة لاحدها ولا مرجوحها^١ كقوله تعالى (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) فأنه محتمل للحيف والظهور على سواء. ومنه المتأول وهو: غير راجح الافادة لكثرتها مرجوحها كقوله تعالى: (تَلْ يَدَاءُ مَسْطُوطٍ) والمراد غير ظاهره، وهو المراد بالمبين اذ بين بغير لفظه، والتفسير هو: التبيين، والفواض: دقائق المسائل، ونسب بياض هذه الامور الى الرسول عليه^٢ السلام لكونه هو الموضح لها بسنته.

وقوله: بين مأخوذ الى آخره، تفصل لاحكام الكتاب باعتبار آخر وذكر منها اقساماً:

احداها، ما أخذ على الخلق فيثب تعلمه لم يوشع هم في جهله، كوحدةانية الصانع في قوله تعالى: (فَاعِذْ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وقوله: (وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ). وثانيها، ما لا يتعين على اسكفة العلم به، بل يعذر بعضهم في جهله كالايات المتشابهات، واولئ السور كقوله: (كهِيعَص) و(يس).

وثالثها، ما هو مثبت في الكتاب حرصه، معلوم في السنة نسجه كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ) الى قوله: (مَسِيلاً)^٣ فكانت الشيب اذا زنت في بدو الاسلام تسمك في البيوت^٤ الى المعات، والبكر تؤذي بالكلام ونحوه بمقتضى هذين الآيتين، ثم نسخ ذلك في حق لثيب بالرجم، وفي حق البكر بالجلد والتعذيب بحكم السنة.

١- هي نسخة ش: مرجوحاً.

٢- في ش: الصلاة والسلام.

٣- سورة النساء / ١٥.

٤- في ش، البيت.

ورابعها، ما هو مشت في الستة أحذه مأذون في الكتاب في تركه^١ كالنوحه الى بيت المقدس في أول الاسلام بحكم الستة ثم نسخ بقوله تعالى: (فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية.

وخامسها، ما يجب لوقته، ويزول في مستقبه كواجب الحج وقوله: وما بين بين محرمه عطف على المجزورات لسابقة، والمحارم محلل حكم الحرمة اي: وحكم مابين بين محالة اي: مفروق بينها بالشدّة، والضعف والوعيد على بعضها، والغفران لبعضها، وقوه: من كبير: تفصيل لها وما اوعد عليه نيرانه كالقتل في قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِماً مُتَعَمِّداً) الآية، والصغير: الذي ارصد له غفاره. قل اسمعها: كالتطهف بالحبّة ومانثر الصغائر وارصاد العفراء لها في لكتاب لعزير كقوله تعالى: (اِنَّ رَتَكَ لِدُو مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) وبحوه من آيات وعده بالمعفرة^٢.
مها:

وَقَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ سَنِيَّةَ الْحَرَمِ، اَسَى خَلَّةً قُلَّةً لِلْأَنَامِ، تَرُدُّوهُ وَرُودُ الْأَنْعَامِ، وَ يَأْتَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ غَلَامَةً يَتَوَاصِعُهُمْ لِعَظَمَتِهِ، وَدَعَا بِهِمْ لِيَرِيهِ، وَ أَحْتَازَ مِنْ خَلْقِهِ سُدَّ عَمَّا أَحْبَبُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدُّوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَمِيَّتِهِ، وَتَسَبَّهُوا بِمَلَابِكِهِ الْمُطْبَعِينَ بِعَرْشِهِ: يُخْرِزُونَ الْأَرْبَاعَ فِي مَشْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَنَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَعِيرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عِلْمًا، وَيُنْعَايْدِينَ حَرَمًا، قَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَقَادَرَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَيْلَهُ عَنَى النَّاسِ حُجٌّ لَيْسَتْ مَنِ اسْتَظْلَاعَ إِلَهٍ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

اقول :

أشار في هذا الفصل الى وجوب حج البيت الحرام ومثله الله تعالى على خمسة

١- في ش زيادة او ذلك.

٢- في ش: على المعفرة.

بذلك، و إلى بعض اسرار وضعه، والحرام: إنا بمعنى المحرم كقوله تعالى: (عَنْدَ يَتَكَّ
المحرم) فَإِنَّ عَرَبَ كَاسَتْ تَحْرَمُ فِيهِ مَا تَسْتَحِلُّ فِي غَيْرِهِ مِنْ لَعْنٍ، وَلَعْنَالِ، وَإِنَّا بِمَعْنَى
أَحْرَمَ كِرْمَانٍ وَزَمٍ، لَكُونَهُ أَمْنًا لِمَنْ دَحْنَهُ وَمَانَعًا لَهُ، وَوَجْهٌ شَبْهٌ وَرُودُ النَّاسِ لَهُ بِوُرُودِ
الْإِنْعَامِ أَزْدِحَامِهِمْ عَلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ كَازْدِحَامِ الْإِثْلِ الْعُطْشِ عَلَى الْمَاءِ.

وقوله: وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ، أَيْ يَسْتَنْدُوا وَحَدِّثُهُمْ بِهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَيَشْتَاقُونَ إِلَى وَرُودِهِ كَمَا
يَشْتَاقُ الْحَمَامُ السَّاكِنُ بِهِ إِلَيْهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: جَعَلَهُ إِلَى قَوْلِهِ: لِعَزَّتْ، وَذَلِكَ أَنَّ
الْعَقْلَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِ إِلَى اسْرَارِ أَعْمَالِ الْحَقِّ لَمْ يَكُنْ الْبَاعْثُ عَلَيْهَا هِيَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ
إِلَّا الْأَمْرَ الْمَحْرُودَ، وَقَصْدُ امْتِنَالِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَحِبُّ الْإِتِّبَاعِ فَقَطْ وَفِيهِ كَمَالُ الرِّقِّ وَ
حُلُوصُ الْإِنْقِيَادِ لِلَّهِ، فَمَنْ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْحَقِّ كَذَلِكَ فَهُوَ الْمَخْصُصُ الَّذِي طَهَّرَتْ
عَلَيْهِ عِلَامَاتُ الْمَخْلُصِ الْمَتَوَضِّعِ الْمَدْعُونِ لِجَلَالِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَمَّا كَانَ تَعَالَى عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَمْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ تِلْكَ الْعِلَامَةَ مِمَّا
يَسْتَعِيدُ بِهَا عُلَمَاءُ بَاحُونَ عِبِيدِهِ مِنْ صَاعَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ، فَهِيَ عِلَامَةٌ لِمُرْهِمٍ مِنَ النَّاسِ، وَ
قَوْلُهُ: وَاسْتَخَارَ إِلَى قَوْلِهِ: دَعْوَتِهِ، فَاسْتِخَارَ: جَمَعَ سَمِعَ وَهُمْ الْحَاحُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَوَدُّ
فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ يَأْتُونَكَ) وَفِي أَحْزَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَرَعَ مِنْ بَنَاءِ كَبَيْتِ حَاهُ
جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى النَّاسِ سَالِحَهُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي،
قَالَ اللَّهُ: أَذْنُ وَعَلِيَّ الْبِلَاغُ، فَعَلَا إِبْرَاهِيمُ الْمَقَامَ، وَاشْرَفَ بِهِ، حَتَّى صَارَ كَطُولِ الْحَبَالِ،
وَقِيلَ بَوَّحْهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا وَنَادَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَقُّ إِلَى
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَاحْبِبُوا رَبَّكُمْ، فَأَجَابَهُ مَنْ كُنَ فِي صَلَابِ الرِّجَالِ، وَارْحَمِ السَّاءَ: لَبَّيْكَ
اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ... وَفِيهِ إِشَارَاتٌ لَطِيفَةٌ نَهْنَاهَا عَلَيْهَا فِي الْأَصْلِ ٢.

مِنْهَا أَنَّ إِحَابَةَ مَنْ كَانَ فِي الْأَصْلَابِ وَلِأَرْحَامِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَتَبَ نَفْلُ الْقَصَاءِ
فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ طَاعَةِ الْمَطْعِ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ بَعْدِهِ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهُمْ الْمُرَادُ بِالسَّمَاعِ الَّذِينَ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ لِحَقِّهِمْ وَصَدَّقُوا مَا بَلَّغَهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى،
وَفِي قَوْلِهِ: وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَشَبَّهُوا سَلَاكُتَهُ الْمَطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، اسْتِدْرَاجَ حَسَنِ لَطِيبِاعِ

١ - فِي مَسْجِدِ شَرْحِ الْحَدِيثِ.

٢ - شَرْحُ مَهَجِ الْبِلَاغَةِ الْكَبِيرِ ١/ ٢٣٣.

استطيفة وجذب لها الى هذه العبادة ذكر التشبيه بالانبياء والملائكة.

واعلم أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحصرة الربوبية هو أنّ البيت مثال
خبر في عالم الشهادة لتلك الحصرة التي هي عالم الغيب، كما أنّ الانسان الظاهري
هذا العالم مثال للانسان الباطل الذي لا يشاهد بالصر و هو في عالم الغيب، و أنّ عالم
الشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب من فتح له باب الرحمة، و التي هذه الموازنة
وقعت الاشارة الربوبية، فوّ البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة و أنّ طواف الملائكة به
كطواف الانس بهذا البيت، ولك ان تسمى ذلك البيت والحصرة المقدسة بالعرش ولما
قصرت مرتبة اكثر المخلوق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان، و
عدوا بأنّ من تشبه بقوم فهو منهم، و كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير التشبه في
قوة امثله، والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يدل أنّ الكعبة ترويه وتطوف به على ما
رواه بعض المك شفيين لبعض اولياء الله.

وقوله: يحزرون، الى قوله: معمره... استعارة لفظ المتجر للحركات في العبادة، و لفظ الارباح لثمرتها في الآخرة من كرم الله.

ولما كان الاسلام والحق هو الطريق الى الله تعالى استعمر لفظ العلم لفتح المسببة اليه، لان به يكون سلوك طريق الله، القبلة هي الاسلام كما العلم لطريق، والوفدة القدوم للاسترفاد، ولفظه مستعار للفتح لانه قدوم الى بيت الله طبعاً لفضله وثوابه، والآية لبيان سبب وجوبه وهي خير في معنى الامر، والله التوفيق.

٢ - وَمِنْ حُظَيْتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تَعَدَّ أَنْصَرَاهُ مِنْ صَفِي

أَحْمَدُ أَسْمَى مَا لِيَعْتَمِدَ، وَأَسْمَى لَمَّا لِعَزِيْزٍ، وَأَسْفَعُ مَا مِنْ مَغْصَبَةٍ وَأَسْمَى نَفَقَةٍ إِلَى كَيْفَاتِيْهِ، إِنَّهُ لَا يَصِلُ مِنْ هَذِهِ، وَلَا يَجِلُ مِنْ عَادَةٍ، وَلَا يَفْتَقِرُ مِنْ كَمَالٍ، فَإِنَّهُ أَرْحَمُ مَا وَرَدَ، وَفَصْلٌ مَّخْرَجٌ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحِنًا إِخْلَاصَهَا، مُعْتَمِدًا مَضَاضَهَا، تَسْتَسْقِ بِهَا أَبَدًا مَا أَتَى، وَتَكْجُرُهَا لِأَهْوَالِ مَا بَلَّغَتْ، فَإِنَّهَا غَرِيْبَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَ

مَرْصَادُ الرُّخْسِ، وَمَذْهَبُهُ اسْتِغْثَارُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَنَهُ بِالذِّكْرِ الْمُنْهَبِ، وَلَعَلَّ
الْمَنَاقِبَ وَالْكِتَابِ الْمُسْتَظْلَمِ، وَالتَّوْبِ السَّاطِعِ، وَالصَّبْرِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً
لِلشُّبُهَاتِ، وَاخْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْوِيلاً بِالنُّسَلِ وَالْأُسْرِ فِي فِتْنِ
أَبْجَدَمَ يَهَا حَيْلُ الدِّينِ، وَتَزَعْرَعْتَ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَنَشَتْ الْأُمُورُ، وَ
ضَقَّ الْمَحْرَجُ وَعَبَى الْمَصْدَرُ، فَالْهَدَى خَامِلٌ، وَالْعَتَى شَامِلٌ: غَضَى الرَّحْمَنُ، وَبَصَرَ
الشَّيْطَانُ، وَحُلِكَ الْأَيْدُنُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَكَرَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَذَرَسَتْ سُبُكُهُ، وَغَمَّتْ
شُرُكُهُ: أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَكُّوا مَسْإِلَكُهُ، وَوَرَدُوا مَتَاهِلَهُ، يَهْمُ سَارَتْ أَغْلَامُهُ وَقَامَ يَوْمُهُ،
فِي فِتْنٍ دَانَتْهُمْ بِأَحْقَافِهَا، وَوُطِّنَتْهُمْ بِأُطْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهَمَّ يَهَا تَائِبُونَ
حَازِلُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ حَيْرَانٍ نَوْمُهُمْ شَهَادٌ، وَكُفْلُهُمْ ذُمُّعٌ، يَأْرِضُ
عَالِمُهَا مُلْحَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

اقول :

جعل عليه السلام لعمده تعالى ثلاثين

أحداها، الاستتمام لعمته لاستعد د العبد بشكرها للمزيد منها.

الذنية، الاستسلام لعزته وهو: الانقياد لها بكمال الحمد على العمة وقوله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ) الآية، برهان الاولى وفيه تسبيه على الذنية، ولما كانت هاتان العايتان
لا تمام لهما بدون عصمته عن ورطات المعاصي والمعوية بكفايته على الدواعي المهيكة،
جعل طيب العصمة غاية اخرى هي الوسيلة الى الاولتين، وعقب ذلك الحمد بطلب المعوية
منه على تمام الاستعداد لما طلب، وأشار الى علته تلك الاستعانة وهي العفة الى كفاية
دواعي التفریط والافراط بالجزبات الالهية.

وقوله . أنه لا يضل، الى قوله: كفاية، تعييل لاستعنته على تحصيل الكفاية بكونها
مقدمة من دواعي طرفي التفریط والافراط، فيستقيم العبد بها على سواء الصراط، وذلك
هدى الله الذي لا ضلال معه، وبكونها مانعة من الفقر الى غيره تعالى، ومن معاداته

١ - هذه العلة. وعقد ذلك الحمد لما طلب. غير موجوده في ش.

لمستزمنة لعدم النجاة من عباده، ونلفظ المعاداة محارفاً فيما يلزمها من البعد عن الرحمة. ولا يثبث اي: لا يثبوت. وقوله: فنه ربح، قيل: الصمير راحع اي ما دلّ عليه قوه احمده من المصدر عني طريقة قولهم: من كذب كذباً شراً له، ويحتمل ان يعود الى الله. ولفظ الحزن واوزن: مستعرب لعرفته، والمعقول منه الراجح في ميراث العقل على كل معصوم والمخزون في اسرار لقوس القدسية.

وقوله: في الشهادة ممحاً احلاصها اي: مختبر نفسه في احلاصها، وعرائها عن شبهة والشرك انقضى، ومخصص الشيء: خالصه. وقوله: نتمسك بها الى آخره، و مدحرة الشيطان شارة الى: وجوب التمسك بها. والاهويل: الامور المخوفة في الآخرة وعلل ذلك الوجوب بأوصاف اربعة.

وهي كوبها عزيزة الايمان اي: عقيدته، لمصنوعة لله من خضه و ما زاد عليها كما ان لها. ثم كونها فاتحة الاحسان اذ بها يستعمل الاحسان الله في انذاره ثم كوبها مرصاة لرحمن اي: محلّ رصده، ثم كوبها مدحرة للشيطان اي: محلّ دحره وهبوطه وابعاده، وذلك ان غاية الشيطان من الانسان سرّ الله، والكلمة باحلاص تعنيه بأقسامه، وتعد الشيطان عن مراده. واستعمال لفظ العلم وسور ووصاء: بما جاء به الرسول عليه السلام من الكتاب والسنة لهدية الحق به في صمات يحسن الى صراطه. والامر الصادع الذي شقّ عصا المشركين وصدع صفائهم. وقوله: اراحة الى قوله: بالمثلات، اشارة الى: وجوه مقاصد السعة فاهمها اراحة الشهاب عن قسوب الحلق، ثم الاحتجاج عليهم بالبيّنات الواضحة والمعجرات، ثم تحذيرهم دلايات المذرة ولجذب بها الى المطالب مهم، ثم تخويفهم بالمثلات جمع مثلة بفتح الجيم وضّم الداء، اي: العقوبات النازلة بالامم السالفة. وقوله: والداس في فتن الى آخره، يشبه ان يكون كلاماً متعظاً جمعه السيد على غير نظام، والوويحتمل ان يكون للحال والعامل ارسنه، والعن المذكورة هي فتن العرب في الحاهلية وحال البعثة، وخيردار يعني: مكة. وشرّجيران يعني: قريشاً. والعالم الممجم: هو من كان عالماً بصدق الرسول وبعثته فهو ملحم بدجام السقيّة والخوف. والجاهل المكرم: هو من كذبه ومانده، ويحتمل ان يكون الواو للابتداء. والذمّ لأهل

ومنه، وما هم فيه من الفتن نسب تفرق كلمتهم. وذكر من المذمومة التي حص الناس عليها اموراً يرجع حاصلها الى ترك مراسم الشريعة وارتكاب طريق الباطل، واستعار لفظ المحل: لما يتمسك به من ادين، ووصف الحذم وهو القطع: لتركههم التمسك به، ولفظ السواري: لقواعد الدين كالجهاد، ووصف التزعزع: لعدم استقامته بهم وتحاذلهم عنه، اولاً أهل الدين بهم يقوم وترعرعها لموتهم او خمولهم خوفاً من الظالمين، والجبر: الاصل وأراد به ما كان يجمع الناس من الدين الذي تسرقوا عنه، وغطت عسى اعينهم طمات انشبهات عليه، فضايق المخرج منها عبيهم وعمى مصدرهم عنها اي: وعموا عن لمصدر، واستند الى المنعول محاراً، وخمول الهدى: سقوط انوار الدين بينهم وعدم استصنائتهم بها فهم مشمولون بالعمى عنه. ونصرة الشيطان: اتباع آرائه وبذلك يكون عصيان الله، وحذلان الايمان به، وانهيار دعوته اي: سقوطه ومعالم لايمان: آذره. و تنكرها: اتمحاؤها من القلوب.

والشرك: جمع شركة بفتح الشير والراء، وهي معظم الطريق وأراد بها دلة الدين وأردبعائها عدم الاثربها لعدم سالكها، ومساك الشيطان ومنهبه: ما يجترهم ليه من لملاهي واعلامه ولوائه. ما القادة ايه او شبههم الفائدة الى الباطل.

وقوله: في فتن داستهم، متعلق بعبه. سرت ان اتصل الكلام او بعب ذلك مما لم يذكره السيد، واستعار بفتن وصف الدوس والوطى، ورشح بذكر الاخفاف والاطلاف. والسنايك: وهي رؤس الحوافر جمع سنكة ملاحظة لشبهها بالحيوانات امشار اليها فيما تطعه، وتيههم اي في ظلمات لجهل، وفتنتهم ابتلاؤهم بذلك. وقيل: اراد بحير، دار الشام لانها الأرض المقدسة، وبشر جيران يعنى: القاسطين. وقوله: نومهم سهاد، و كحلهم دموع: كديتاد عن شدة هتمامهم بأحوالهم وعدم استقرارهم من الفتن. وقوله: بارض عالمها مدجم يعنى: بمسه، وجاهلها مكرم: يريد معاوية. وقيل: اراد بحير، دارالعراق، وشر جيران: اصحابه المستصرخ بهم لتخاذلهم عن اجابته للجهاد.

ومنها يعنى آل السى عليه الصلاة والسلام:

هُم مُؤَيَّدُونَ، وَلَجَأُ أَفْرِهِ، وَغَيْبُهُ عَلَيْهِ، وَمَوَازِلُ حُكْمِهِ، وَكُفُوفُ كُتُبِهِ، وَجَنَاتُ دِينِهِ: يَوْمَ

أَقَامَ اتِّجَتَاءَ طَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ قَرَائِصِهِ.

أقول :

الدُّجَا والمُلْجَأ والمُوْتَل: المَرَجع، وذلك أَنَّهُم ناصروه، واستعار لفظ العِيسَة لهم باعتبار حفظهم لاسرارهم وعلومهم وهم مرجع حكمهم أي: حكمته إذا ضَلَّت عنها الخلق، فمنهم تطلَّب، وكذلك لعط الكهوف، ولحصان باعتبار عصمة الدين بهم من الاضمحلال، والضمير في أقام: لله تعالى لأنَّه هو الذي جعلهم أعوانا وأنصارا. وكسَى بظهره عن ضعفه في أوَّل الاسلام وارتعاد قرائصه عن خوفه. والمريضة: اللُّحمة بين الجنب والكتف لا تتران ترعد من الذَّابَّة والصَّائِر المفردة كنهائه الآ في طهره وقرائصه فانها لرسول عليه السلام، وقبل: الجمع عند النبي الرسول، الآ في كتبه وهو ضعيف ومها: ١

زَرَعُوا لُفُحُونَ وَسَقَوْهُ الْعُرُوزَ، وَحَصَدُوا الشُّورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مِنْ حَرِّ نِعْمَتِهِمْ عَلَيْهِ أَبَدًا: هُمْ أَساسُ الدِّينِ، وَعِمَدُ الْيَقِينِ: إِلَهُهُمْ بَقِيَّ الْعَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّاسُ. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَثَةُ: لَا تَزَيِّجُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ، وَيُقَلَّ إِلَى مُتَنَقِّلِهِ.

أقول :

قيل: أراد معاوية وأهل الشام، وقيل: أهل الحِمْل، وقيل: الحوارج، وهي محتملة واستعار لعط الرزع: لا اعتبار تأصيلهم بالعتنة والحلاف له، ووصف السقي: لتماذيهم في عصمتهم عن الحق، ووصف حصد الثبور لهلاكهم وقلوبهم بسيمه وهو ثمرة ذلك الرزع أولهلاكهم الآخرى. والثبور: الهلاك، وقوله: لا يقاس إلى قوله أحد... خرج مخرج الجواب لمفاخرة سبقت من معاوية أو غيره. وقوله: ولا يُسَوَّى، إلى آخره، إشارة إلى:

١ - في نسخة ش بريادة: هي سادتين.

٢ - هي ش: وصف.

فصنعهم على غيرهم من وجوه: لاؤل، كونهم اسباباً لعمدة الله على الخلق وارشادهم اليه، والمنعم افضل من جهة ما هو منعم خصوصاً بمش هذه العمدة التي لا يمكن جزاؤه.

الثاني، كونهم اسباباً واصلاً للدين.

الثالث، كونهم عماداً ليقين لانهم اسباب ازالة ما يصعبه من الشهات، مهم يقوم كالعماد ولقطه مستعار.

الرابع، كونهم على الصراط السوي، والمنهج الحق اليهم يرجع من غلافه و تعاوزه، وبهم يلحق من فرط فيه وتحف عنه.

الخامس، كونهم أهل خصائص الولاية من العلوم، ومكارم الاخلاق وآيات وادكرامات.

السادس، ان فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ووراثته وهو ظاهر. وقوله: لا، الى آخره، يريد باحق الخلافة، وفيه ايماء الى انها كانت هي غير امها قبله.

٣- وَمِنْ حُظْنِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّفِيقَةِ

أما والله لقد تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَتَنَمُّ أَنْ مَحَلِّيٌّ فِيهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَتَحَدَّرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَزْقَى إِلَى الظِّمْرِ؛ فَسَدَلْتُ ذُوها ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَظَلَمْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِدَجْدَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَحْبَةِ عَمِيَاءٍ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَسْبُبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَنْقَى رَبِّهِ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَذَا أَحَبُّنِي، فَصَبَرْتُ وَفِي الْغَيْبِ قَدِّي، وَفِي الْحَلِيِّ شَجَا؛ أَرَى تُرَافِقُنِي نَهْمًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَيْلِهِ، فَوَدَلَنِي بِهَا إِلَى فُلَانٍ نَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ يَقُولُ الْأَعْمَشِ)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَنِّي كَوْرَهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَحْيَى جَابِرِ

فَيَا عَجَبًا!! بَيْتًا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَحْرَبٍ بَعْدَ وَدَّيْهِ، لَسَدًا مَا تَسْطَرَا
صَرَفَتْهَا! فَصَبَّرَهَا فِي حَوْرَةِ خُسَاءٍ يَنْطُظُ كَلَامُهَا، وَيَحْشُرُ مَسْهَاهَا، وَيَكْثُرُ الْبَعَارُ فِيهَا، وَ
الْأَعْيَادُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَّ كَيْبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشَقَّ لَهَا خَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا نَقَحَمَ، فَمُنَى
النَّاسِ لَقَمَرُ اللَّهِ يَحْشُرُ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوْنَ وَاعْتَزَّضَ؛ فَصَبَّرَتْ عَلَى صَوْلِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ
الْمِجَنَّةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيهِ جَمْعُهَا فِي جَمَاعَةٍ، زَعَمَ آتَى أَحَدُهُمْ، فَيَا لَوْ وَلَيْسُورَى!
مَتَى أَغْتَرَضَ الرَّيْثُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّطَاسِرِ! لَكَيْتَ
أَمْنَقْتُ إِذْ أَسْفَرَا، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَضَعَى رَجُلٌ مِنْهُمْ يَضْفِيهِ، وَمَا الْآخِرُ بِضَهْرِهِ، مَعَ
هَرْنٍ وَهَرٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَابِتُ الْقَوْمِ نَافِجًا جُضْئِهِ، بَيْنَ نَيْبِهِ وَمَعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ
يَحْضُرُونَ مَا لَمْ يَحْضُرْ إِلَّا بِلِ بَيْتَةِ الرَّيْجِ، إِلَى أَبِي اسْتَكْتَفْتُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَ
كَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ، فَمَا رَعَى إِلَّا وَالنَّاسُ كَعَرِيفٍ لَصُغٍ إِلَيَّ؛ يَتَنَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛
حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَابِ، وَشَقَّ عِظْمَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِسِيَّةِ الْعِثَمِ قَمَامًا نَهَضَتْ
بِالْأَمْرِ تَكُنْتُ طَائِفَةً، وَمَرَقْتُ الْخَرَى، وَفَطَ آخِرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ
يَقُولُ: (يَلِكُ لَدُنَّ الْآخِرَةِ تَجْعَلُهَا يُدْبِسُ لَا يُرِيدُونَ غُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا فِي أَغْيِبِهِمْ، وَزَاقَهُمْ
زَمْرُجُهَا. أَمَا وَالَّذِي قُلْتُ لِحَبِّهِ، وَبَرَأُ اسْمَهُ لَوْلَا خُصُورُ الْحَاصِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ
الدَّهْرِ، وَمَا أَحَدُ اللَّهِ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُفَادِرُوا عَلَى كَيْفَةِ طَلِيمٍ، وَلَا سَغَبَ مَطْلُومٍ لَا لَقَنْتُ
حِيلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَاهِ، وَلَا لَقَسْتُمْ ذُنُوبَكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عَيْنِي مِنْ
عَفْطَةِ غَيْرِ.

قُلُوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ هَاوِلَهُ
كِتَابًا، فَأَقْلَسَ يَسْطَرُ فِيهِ، قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوِ اطْرَدَتْ
خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَصْبَحَ.

فَقَالَ: هَتَيْتُ يَابْنَ عَبَّاسٍ، يَلِكُ شَيْئُفِيهِ هَذَرْتُ ثُمَّ قَرَّتْ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَسَفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كُشِفَى عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ.

قوله عليه السلام في هذه الخطبة: كراكب الصعبة ن اشق لها حرم وان اسلس لها تقصم....

يريد أنه اذا شدد عبيها في جذب الزمام وهي تازعه رسها حرم نفسها وان ارخى لها شيئاً مع صعوبتها تقصمت به فلم يملكها، يقل: اشق لئاقة اذا جذب راسها بالزمام ودعه، وشقها ايضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المتطق، واما قال عليه السلام: اشق لها، ولم يقل اشقها لانه جعله في مقابلة قوله: اسلس لها، فكأنه عليه السلام، قال: ان رفع اشق لها بالزمام يعنى: امسكه عبيها.

اقول:

ان هذه الخطبة وما يشبهها مما يتصن شكينه في امر الخلافة قد انكرها جماعة من اهل السنة حتى قالوا: أنه لم يصدر عنه عليه السلام شكائهم في هذا الامر اصلاً، ومهم من نسب هذه الخطبة خاصة الى السيد الرضى رحمه الله. والحق ان ذلك اهرط في القول لان المنافسة التي كانت بين الصحابة في مر لخلافة معدومة بالضرورة لكل من سمع احبارهم، وتشاجرهم في السقيفة، وتحلف علي في وجوه بني هاشم عن البيعة مرطهر لايدفعه الا جاهل او معاند، واذكرت انه عنه لسام نفسه في هذا الامر كان الظن غالباً بوجود الشكاية منه، وان لم يسمع ذلك منه، فضلاً عن ان شكاية بلغت مبلغ التوتر المصوى في الالفاظ لشهرتها، وكثرتها تعم بالضرورة انها لا تكون باسرها كذباً بل لابد ان يصدق بعضها فثبتت فيه الشكاية على ان هذه الخطبة نقلها من يوثق به من الادباء والعلماء قبل مولد الرضى بمدة وحدث بها نسخة موثوقة بنقلها عنها خط الوزير ابن العرات وكان قبل مولد الرضى بنيف وستين سنة ولترجع الى المتن^١.

فقول: المراد بفلان ابويكر. وفي بعض النسخ لقد تقصصها ابن ابي قحافة، والصير في تقصصها راجع الى الخلافة لعهدا اولسبى ذكرها، واستعار لمط التقصص لتلسه بها. والنوا في «وانه» والوالحال، ومثل نفسه مها^٢ بالقطب من الرحا في انها لا تستقيم بدونه، واكد ذلك بالكفاية عن علوه وشرفه مع فيضان لعلوم والعصائل عنه

١- يراجع بشأن مصادر الخطبة الشمسية كتاب المنير ٧/ ٨٢-٨٧.

٢- في ش. فيها.

بوصفين من اوصاف الجبل المنع العلى وهما كونه ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الصير.
وسدلت اى: ارحبت دونها ثوباً كناية عن احتجابه عن طمها بحجاب الرهد فيها
والاعراض عنها.

وقوله: وطويت عنها كشحاً، كناية: عن امتداع منها كالما كول المعاف الذى يصوى
البطن دونه. والكشع بالفتح: الحاصرة، وقيل: أنه اراد التلصت عها، كما يفعل المعرض
عمن لى جانبه كما قال:

طوى كشحه عنى واعرض حائناً

وقوله: وطمعت. الى قوله: عماء، اى: جعلت، فكر فى، مرى هن اصوب عيهم بيد
جذء، بالذال، والذال، اى: مقصوعة وهى كناية عن عدم الذصر له، اوان اصبر على طخية
عمياء، اى: ظلمة لا يهتدى فيها للحق، وكتى نها عن التباس الامور فى الخلافة قبله
كناية بالمستعار وكتى عن شدة ذلك بقوله: يهرم، الى قوله: ربه، و اراد بكبح المؤمن
فها شدة سعيه واجتهاده فى لروم الحق والذب عنه. وقوله: فرايت ان الصبر على هاتا
احجى، ترجيح لقسم الصبر على قسم حافة، وهاتا لغة فى هذى. واحجى: اليق، اليق
بالحجى وهو العقل لما فى الصفة من اشعاب عصا المسلمين اى: اجماعهم وابتلافهم
مع غصاصة الاسلام وكثرة اعدائه. ونقدى: ما يقع فى العين فيؤذيها كانبيار ونحوه.

والشجى: ما ينشب فى الحلق من عظم ونحوه فيفص به، وهما كيدن عن العم و
مرارة الصبر والبآثم من العس. وثرائه، قيل: هو ما خلقه رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته
كفدك لأن مال الزوجة فى حكم مال الرجل. والنهب: اشارة الى منع الحصاء الثلاثة
لها بالجهر الذى روه ابو بكر (نحن معاشر الانبياء لامورث، ما تركناه فهو صدقه) وقيل:
اراد مصب الخلافة ويصدق عليه لعظ الارث كما فى قوله تعالى: (يرثى ويرث من آلى
يعقوب)^١ اى: اعلم ومصب النبوة. والماسي الاقرب: ابو بكر، وسبيله طريق الاخرة و
هو الموت. وفلان بعده: عمر، وادلى بكذا: ألفاه اليه، وكتى بذلك عن نص ابي بكر
بالخلافة بعده. واقا البيت فهو لأعشى قيس واسمه ميمون بن جندب من قصيدة يمدح بها

١- المصاصة: المص

٢- سورة مريم / ٦.

عامراً ويهجو علقمة أولها:

شفتك من قنصة اطلالها بالشط ولوتر الى حاجر
وحيان، وجدره اما السمين بن عمر من بنى حنيفة. وكان حيان صاحب الحصن
باليمامة سيداً مطعاً يصله كسرى في كل سنة، وكان في نعمة ورفهية، وكان لأعشى
يادمه، واراد ما ابعد ما بين يومى على كور المطية أداب، و نصب في الهواجر، وبين
يومي منادماً حيان اخا جابر وادعا في نعمة وخفض.

وروى أنّ حيان عاتب الاعشى في تعريفه بأخيه فاعتذر أنّ القافية جبرته الى ذلك
فتم يقبل عذره. واليوم الاول، رفع بأنّه فاعل اسم المعل، والدنى عطف عليه، وعرض
البيت تمثيل حاله بحاله الفذل، والفرق بين ايامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
وحاله معه في العرة وقرب المنزلة والحصول على العلوم ومكارم الاحلاق، و ايامه
في القوم وحاله من المتاع والمشاق ومقاساه المعن. وقيل. اراد الفرق بينه وبين اقوم
في ظفرهم وقورهم به، وفوات مطوبه هو وحصوله على الحرمان والمشقة.

وقوله: فيا عجباً الى بعد وفاته، نصير راجع الى ابي بكر واستقالته هو قوله:
(قلوبى فليست بخيركم)^١ ووجه اشعبت هو استقالته منها في الحياة لتفجأ مع تحمته لها
في السمات ايضاً بعقدها لغيره. واللام في «شد» لتأكيد واستعارتها لفظ الصرع لشهها
بالاقة وانما وصف تشقره، وهو احدى كل مهما شطراً لا اشتراكهما في امر الخلافة، و
اخذهما لها فكأنهما اقسامها قسماً الحالين اختلاف الاقة. والحوزة: الناحية: وكتى
بها بوصف خشنها عن طباع عمر، فأنها كانت توصف بالحفاوة وبغلظ قلبها: عن غظته
في المواجهة بالقول وغيره. والكلم: الحرج، وبخشونة مَسَّها: عن عدم لينة لمن يمسس
منه امرأ، وبكثرة العثار والاعتذار منها: عما كان يتسرع اليه من الاحكام ثم يعاود النظر
فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى العذر منها كقصّة المجهضة وغيرها.

والضمير في «منها» يعود الى الحوزة، وقوله: فصاحبها اى: أنّ المصاحب لنذك
الطبيعة العليقة بالخشة كراكب الاقة التي لم ترض. وقوله: ان اشق، الى قوله: تقحم،
هو: وجه الشبه، والمعنى: أنّ مصاحبه ان اكثر انكاره ما يتسرع اليه اذى الى مشاقته، و

١ - هذا المون متواتر عن ابي بكر. الفدير ٧/ ١٢٨ بطرق صحيحة ثابتة.

فساد الحاء بينهما، وإن سكنت عنه أدى ذلك إلى الاختلال الواجب، كما أن راكب الصعلة إن اشتق لها وإلى جذب الرمام في وجهها خرم انفها، وإن أسس لها في قيادها تفحمت به في المهلك، وركبت به العسف. وقيل: الضمير في صاحبها يعود إلى الخلافة، وصاحبها هو من تولى أمره، ووجه شبهه ركب الصعلة أن الخليفة يحتاج إلى مداراة إخلق وجدهم عن طرفي الإفراط والتفريط إلى حاف الوسط فلا يشدد عليهم في طلب الحق التشديد الموجب محرمهم وقصورهم وفساد الأمرين بينهما، كمن اشتق الصعلة ولا يهتم لهم فيثمدوا لواجب ويهت بهلاكهم كمن أسس لها. وقيل: أراد بصاحبها نفسه لأنه أيضاً بين خطرين، أما أن يسقى ساكتاً عن طلب الأمر فيتقحم بذلك في موارد ابذ كما يتفحم مسدس قبة الصعلة. وأما أن يتشدد في طلبه فيشتق بذلك عصا الإسلام فيكون كمن اشتق لها فخرم انفها.

وقوله: فمسي الناس أي: اتلو، واستعار لفظ الخط والشمس وهو نهار الدابة والنون، والاعتراض وهو اسمى في عرص طريق ما كان يقع من تعير إخلق الرجل واختلاف حركاته، كالفرس الذي سم برض، وقيل: أراد ما استسى به الناس من تفرق الكفة واضطراب الأمر لذلك بعد رسول الله عليه السلام. والمدة: مدة البلاء وشدة المحبة لموت حقه.

وقوله: حتى مضى، أي: الذي، والجماعة الذين جمعها فيهم هم هل الشورى. والشورى: مصدر كالبحوى، وخلاصة خبرهم: أنه لما طعن عمر دخلت عليه ووجه الصحابة وسألوه إن يستخلف رجلاً برضاه، فقال: لا أحب أن اتحملها حياً وميتاً، فقالوا: ألا تشير علينا؟ فقال: إن أحستم؟ فقالوا: نعم، فقال: الصالحون لهذا الأمر سعة وهم: سعيد بن زيد، وأنا مخرجه منهم لأنه من أهل بيتي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطهحة، وزبير، وعثمان، وعتي. فمما سعد فيمنعني منه عمه، ومن عبد الرحمن أنه قارون هذه الأمة، ومن طهحة فتكتره، ومن الزبير فسحجه، ومن عثمان حبه لقومه، ومن عتي حرصه على هذا الأمر، وأمر أن يصنى صهيب بالناس ثلاثة أيام، ويحذر الستة في بيت ثلاثة أيام فإن اتفقت خمسة على رجل وبى واحد قتل، وإن اتفقت ثلاثة وأنت ثلاثة فليكن الناس مع الثلاثة الذين معهم عبد الرحمن.

و يروى: ففعلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن. فما حرحوا واجتمعوا للأمر، قال عبدالرحمن: انّ لي ولسعد من هذا الامر الثلث فحين نخرج انصسامه، على ان نخبركم للامة فرصى القوم عبر عليّ، فانه قال: ارى وانظر، فلما أيسر عبدالرحمن من رضى عبيّ رجع الى سعد، وقال له: هلّمّ نعتن رحلاً فبائععه، والباس يبايعون من بيعته، فقل سعد: ان يابيعك عثمان فانا لكم ثالث، وان اردت ان تولي عثمان فعليّ احبّ اليّ. فلما أيسر من رضى سعد رجع فأخذ سعد عليّ فقال: ابيعك على ان تعمل بكتاب الله، وستة رسوله، وسيرة لشخين ابى بكر وعمر، فقال: تبيعنى على ان اعمل بكتاب الله، وستة رسوله، واجتهد برأىي فترك يده. واحد بيد عثمان، وقال له: مقالته لعبيّ، فقال: نعم فكرر القول على كلّ منهما ثلاثاً، فأجاب كل بما اجاب به أولاً فعدها. قل عبدالرحمن: هي لك يا عثمان وبايعه ثم بايعه الباس.

ثم اردف حكيمة الحال باستغاثه الله لمشورى، ولاستفهم عبيّ سبيل التعصّب و عروض الشكّ للباس في مساوئه بالاول، سى ن قرن بالجماعة المذكورين في الفصل والاستحقاق. وأسف الطئر: قارب الأرض بطيرائه، وكثي بذلك عن مقارنته لهم، واتباعه اياهم في مرادهم، والصعو: امين. ولصغن: الحقّد، والذي ضغن هو سعد، لانه كن محرفاً عنه عليه لسلام، وتحفّ عن بيعته، بعد قتل عثمان، والذي مال لصهره هو عبدالرحمن وكانت بيته وبين عثمان مصاهرة لانّ عبدالرحمن كان زوجاً لأمّ كثوم بنت عقة بن ابى معيط، وهي اُخت عثمان لأمّه اروى بنت كريب.

وقوله: مع هن وهن يريد أنّ ميله لم يكن لمحزّد المصاهرة بل لاسباب اخرى كنفسه عليه، أو حسد له فكسى بهن وهن عيها. وثالث القوم: عثمان، والحضن: الجانب، والتفح: كالتفح. والنشيل: الروث. ولعمتف: ما يختلف به من المأكول، وكثي بذلك عن أنّه لم يكن همته الاّ التوسّع بيت الماء، والاشتغال بالنعم بالمأكول وللمشارب، ملاحظاً في ذلك تشبيهه بالبعير والفرس المكرم. وبنوايه: بنوامية وكثي بالحضم وهو: الأكل بكلّ اغم عن كثرة توسّعهم بمال المسلمين كما نقلناه في الاصل. وكثي بانكاث قتله عن انتماض الامور عليه، وما كان يرمه من الآراء دون الصحابة. و

استعار لفظ الاحهاز الذى يفهم منه سبق سراح والا ثحاب نصرب و نحوه لفته المسوق
 بمشق اسلات الاسنة، وكذلك وصف انكو لذى هو حقيقة في الحيات: لفساد امره بعد
 استمراره كلكو بعد استمرار لفرس من العدو و كنى ببطئته عن: توسعه بيت المال
 ايضاً. و اسد الكو ليها لآنها السب الحامل على فساد امره، والواو في «والباس»
 لنحال، و خبر المبتداء محذوف دة عليه متعنه وهو الي اي: مفلون ونحوه، وقاص
 راعنى اما ما دلت عليه هذه الجملة من المصدر اي: فما راعنى الا اقال الناس الي
 واشياهم علي. والانيال: تنافع الشئ يتلو بعضه بعضاً وهو كقوله تعالى: (ثم بدالهم
 من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنه) واما الحملة الاسمية و يثالون: اما حل من راعى، او
 خبر ثان للمبتدأ والاشارة الى حال الباس وقب بيعته، وشههم في زحامهم عليه يومئذ
 يريدون بيعته، يعرف لضع في تكافئه، وقيام شعره.

و العرب تسمى المصنع عرفاً لعظم عرفها. والحسن ولداه عليهما السلام. وقيل:
 الابهامان والحسن الابهام واتشد للشيفري

معضومة الكشحين خيرماء الحسن

اراد انهم وطنو ابهاميه و شقوا عطفه، و هورد نه المجتبى به. و روى عصمى و
 هما: جاباردانه او جانباً قبضه. و مجتمعين حال وشههم بريضة الغم وهى القطعة
 المجتمعمة رايصة لاحتملهم حوله. والطائفة الماكنة: اصحاب الحمل شكشهم بيعته.
 ولمارقه: الخورج لمروقهم من لدين كمروق السهم من لرمية وهو لفظ الجبر التبوى.
 والفاسطون صحاب معاوية لبعهم. والمسط: الحروح عن سن عدل، و حليت: زانت.
 وقوله: اما و انذى الى آخرة: اشارة الى الاعذار الحامدة له على قبول لحلاقة بعد تحلله
 عنها.

وفى الحجة: حنفها، وقيل: هو شقها الذي في وسطها، وقد نتها على الحكمة فيه
 فى الأصل. و اشار الى ثلاثة اعذار وهو حضور الحاضرين لمبايعته. و قيام الحجة عليه
 بوحد الماصرين للمحق معه. وما اخذ على العلماء من العهد على انكار المسكر والامر

بالمعروف عند التمكن. والمقارة: المودعة والمسالمة. والعذران الاولان شرطان في الثالث. وكتي بكطه الصلح وهي: بطنته وشبهه عن قوة طلحه لان قدرته مظنة ذلك، ويسعب المظوم وهو: حووه عن كونه مظلوماً. والضمير في حبلها وغاربها للخلافة ملاحظاً في استعارتها: تشبيه الخلافة بالمائة. وكتي بذلك عن تركها كارسا السابقة لترعى اى: كمت اترك آخرًا كما تركت ولا. والميت الشىء: وحدته. والعطفة: الحقة، وقيل: العطسة. ويفهم منه انه عليه السلام كان مطالباً لندنيا لكن ليس لها بل لنظام الحلق، وامثالاً لأوامر الله في احرار امورهم، على قانون العدل كما هو مقصود بعثة الانبياء وانزال الكتب. واطردت مقاتلت، اى: اجرقتها. واصصت واصلت و«لو» للتخصيص. والشقفة: النجمة التي تخرج من فم البعير عند هياجه.

٤- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَنَّا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ، وَتَسْتَمْنُمُ الْقُلُوبُ، وَبَنَّا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ، وَقُرْسَمْعُ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَ مَنْ أَصْنَعُهُ الصَّحْحَةَ، رُيْطَ جَدًّا لَمْ يُفَارِقَهُ الْحَمَقَةُ؛ مَا رَأَيْتُ أَنْتَظِرُكُمْ عَوَاقِبَ أَعْدٍ، وَأَتَوْسَمُكُمْ بِحُلِيِّهِ الْمُغْتَرِبِينَ سَتَرْتَنِي عَنْكُمْ جَلْبَابُ الْإِذِينَ، وَبَصَرْتَكُمْ حَيْدُ السَّيِّئِ، أَفَقْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِ الْمَصَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْضِرُونَ وَلَا تَمِيهُونَ، الْيَوْمَ أُطِيقُ لَكُمْ الْعَحْمَاءَ ذَاتَ الْيَبَنِ، غَرَّتْ رَأْيَ أَمْرِي، تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مَذْ أَرَيْتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيعةً عَلَى نَفْسِهِ؛ أَشْمَقَ مِنْ عَنَبَةِ الْحُطَّابِ وَذُولِ الصَّلَابِ، الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَلِبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَا لَمْ يَطْمَأْ.

اقول:

استعار لفظ اطمأء لبحس الحاجب لأبصار الصائر عن ادراك الحق، ووصف التسم لما حصلوا عليه من شرف لاسلام وعلو الرتبة، ووصف لانفجار لظهورهم في انوار الاسلام من شرار الشرك. والسرار: السيرة والليسان في آخر الشهر يستتر انقر فيهما و

يحقني، ولعظه مستعار بدشرك والجهل السابق. والوقر. لتعل في اسمع وهو دعاء على سمع لا يعقه صاحبه بسماعه، عسما من مقصد الكتب الآلهية وحق له الصمم لعدم فائدة خلفه منه. والسيأة: الصوت الحقني، وكتني بها عن دعائه لهم اسي الحق. وبالصبحة عن حبسب الله ورسوله، وهي في معرض اعذر لنفسه في عدم رفع دعائه لهم، اي: اذا كانت دعوة الله ورسوله التي اصتكم بقوةها لم تستجيبوا له، فكيف تراعون دعوتي لكم هي كالنبأة من الصبحة.

وقوله: ربط دعاء للقلوب التي تحقق خوفاً من الله بالثبات ولسكسنة ي: ثبت قلب كن كذلك، وروى ربط بالبساء للمفعول اي: ربط الله. وقوله: اتوسمكم اي: اتعرفتكم. والمعتزين العافيس عن عواقب الأمور اي: منزلت اعرسكم بصفات العذر في البيعة والكث لها. والجيباب: الملحقة، واستعار لفظه للسيد باعتبار ستره وحمه عن العيب بهم، وحملمهم على المشقة وستره عن علمهم في قوته وبأسه، ولولم يكن ذلك الستر لعموه بذلك، وروى ستركم عتي، أي: عصم الدين متى دماءكم واتباع مؤدبركم. وقوله: وبصرتكم اي: عرفي بكم صدق نبئي، واحلاصي الله، وما يؤول ليه عاقبة امركم كما قال صلى الله عليه وآله: (اتقوا قراصة المؤمنين فإنه ينظر بنور الله) ثم اشار الى فضيلته ليعتدوا به، بقوله: اقمتم لكم على من الحق اي: طريقه، وهي الكتاب والسنة. وفي حواد المصلة وهي اشبه اذ كن عليه السلام العالم بالكتاب والموضح لطرف الحق منه لطرف الساطل، والهادي فيهما، وذلك حيث يتقون في طيمة الجهل فلا يصرون دليلاً سوله، ويطوبون ماء الحياة بلبحث والتمحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الا معه. وماهت لبشر: حرج مؤها. واستعار الاحتجار للبحث عن مضاد العلم ولفظ الماء له. وكتني بالعجماء: عن الحال التي يشاهدونها من العسر والوضحة وعن كمال فضله وهذا من الله^٢. وب هذه الامور وان لم يكن لها نص الا انها مبيتة بلسان حاشاها ما ينبغي ان يقال في الافصاح عن ذلك لأوامر الله، ورسوله، فلذلك كتنت ذات بين. و

١- في ش: مريادة: رسول الله.

٢- نسخة ش: واستدر لفظ لا حقدار.

٣- في ش: وهذانيته اني الله.

انطلاقها هو تنبيه عليها اذ عبر بلسان مقاله عما كانت يقتضيه وبش هذه من نظر اليها بعين الاعتبار وهو كقولهم: سن الارض من شق انهارك ، و اخرج ثمارك ، فان لم تُحك حواراً احابتك اعتباراً.

و روى بعضهم: اطلق سمع الهمزة على ان العجماء صفة مصدر محدوف، اى: الكلمات العجماء وبحوه، و اراد بها ما ذكر فى هذه الخطبة من الرموز واستعاراتها لفظ العجماء و كونها ذلت البيان لما فيها من الفوائد، و عزب الرأى: ذهب. وقوله: ما شككت فى الحق مذ أريته: تشبيه على وحب عزوب رأى من تخلف عنه. وقوله: لم يوحس الى قوله: لفضال، اى: لم يحس موسى فى نفسه خوفاً أشد عليه من خوف عنة الجهال على الدين، وفتنة الحق بهم، و اراد أنى كذلك، و اوحس: احس. والشعقة الخوف، و قيل: اشق فى تقدير الاستدراك بعد النفى اى: لكن اشق وليس هي افعال البفضين.

وقوله: اليوم تواقفنا للحطاب لمقنته، والمراد: أنى وقف على سبيل الحق وهم وقفون على سبيل الباطل. وقوله: من وثق بماء لم يطمأ، مثل نته به على وجوب الثقة بما عنده، اى: ان سكتتم الى قولى، و وثقتم به كستم اقرب الى الهدى والسلامة كما ان الواثق بالماء فى اداوته آمن من العطش وخوف الهلاك بخلاف من لم يثق بذلك. و استعار لفظ الماء: لما اشتمل عليه من العلم و كيفية الهداية به الى الله فانه الماء الذى لا طمأ فيه.

٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاطبه العباس، و أبو سفيان بن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، سُقُوا أَمْوَاجَ الْمَيْمِ بِشُقْنٍ لِحَقَاقٍ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَصُغُوا يَبْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِحَتَّاحٍ، أَوْ أَسْتَسَنَّمَ فَأَرْحَ. هَذَا مَاءُ آجَنْ، وَلَقُمَةُ يَعْصُ بِهَا آكِئُهَا. وَمُجْنِسِي الشَّمْرِ يَعْزِرُ وَقَبْ إِيْبَاعِهَا كَلَرَّارِعٍ يَغْيِرُ أَرْضِيهِ. فَإِنْ أَقْبَلْتُمْ قُولُوا: حَرَضَ عَنَى

الْمَلِكِ، وَإِنْ أَشْكُتْ تَقُولُوا: خَرَجَ مِنَ الْمَوْتِ هَهَنَ تَعَدَّ شَيْئًا وَآلِي، وَاللَّهُ لَا تُشْرِكُ أَبِي
ظَالِمٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الْقَبْلِ يَشْتِي أُمِّي، بَلِ انْمَحَشْتُ عَنِّي فَكُتُوبٍ عَلِمَ لَوْ نُحِثَ بِهِ
لَا ضَظَرْتُكُمْ أَضْطَرَبَ الْأَرِيشَةَ فِي الصُّوَى الْمُبْدَةِ.

اقول :

السبب أنه لما بويج بوبكر بالسفينة أراد اوسميان استمته بين المسلمين، فقال:
للعباس ان هؤلاء قد دهسوا بالأمر عن هاشم الى تيم، وأنه ليحكم فيناغداً هذا لفظ العليظ
من بني عدني، فقم تبيع عنيأ فانت عم رسول الله، وانا رجل مشون الفون في قريش، وان
دافعونا قدسناهم وقتلناهم، فأتيا عليأ فحضره اوسفيان على الأمر وعم عليه السلام من حاله
أنه يريد الفتنة فأحياه بهذا الكلام.

واستعار لفظ الامواح: لقيام الفتنة كالبحر في هياجه وتموجه، ولفظ سمن لنجاة:
للمهادنة وللمسالمة لاستلزمها سلامة كاسسة، والتعريح: العدول عن الطريق. ولفظ
التبحان لما بفتحه قريش عمي تيم لم في ذلك من اثاره لاحقد. ثم اشار بعد الهى
عن المنافرة والسماخرة الى ما يسعى ان يكون حال طالب لخلافة عليه ليموز بمصوبه،
اوينحو من الفتة فحكم بالموز لمن نهض في طلبه بحاص. واستعار لفظ الجناح: للأعوان
والانصار لأن بهم الهوص، وحكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما فلاح. و
قوله: ماء تهن الى اكته: تنبيه على ان المطالب النبوية وان عظمت فهي مشوة
بالكدس واستعار لفظ الماء الآجر ولقمة الموصوفة لها: لمتنع الدنيا باعتبار ما فيها من
شائبة التكدير بالمحن من المفااسات ونحوها، وقصد بذلك التنصير عنها تسكيناً للفتة.

وقوله: ومحتى اشمرة، ابي قوله: ارضه: تمثيل لحاله في طلبه للأمر في غير وقته
بمن وكذ. وابتاع الشمرة: ادراكها، ووجه تشبيهه بالراع في غير ارضه: انه في محل ان
يمنع من التصرف ويصل سقيه، وغرض التشبيه التفسير عن التشبه بمن هذه حاله. وإن
أقل، اى: اطلب الأمر وان اسكت: اى عنه، وهبات اى: بعد حزعى من الموت بعد
تعاقب الشدائد على، وبعد السياء ولتنى: كامثل واصله ان رجلاً تزوج قصيرة صبيحة
البحفة فقاسى منها شدائد فطلقها، وتزوج طويئة فقاسى منها اصعاف ذلك فطلقها، و

قاس: بعد المتبيا، ولتني لا اتروح ابد فكتني بهما عن الشدائد المستعصية، وكونه عبد اسلام
 آنس بالموت من الطفل يتدى امة فظاهر من حانه، اذ كان رئيس وليء الله وقد غممت ان
 محبة لموت انس لهم لكونه وسيلة لهم الى لقاء محبوبهم الاعظم، واسهم به انس
 عقي ناست فكان اشد من انس الطين بالندي لكونه عن ميل شهواني في معرض السعير
 والزوال. قوله: بل اند مجت الى آخره: اشارة بعد نفى الحزع من الموت، و اشارة الى
 سبب آخر لسكونه، وهو العلم الذي انطوى عليه، والاندماع: الانصواء وذلك عنده بعواقب
 الامور وادبارها، وما ينتظر من الوقائع والفتن مما علمه بتعظيم الله ورسوله. وبه على عظمة
 ذلك بقوله: لو بحث به الى آخره.

و شار باضطرابهم عسى ذلك التقدير الى تشتت آرائهم عند علمهم به سيقع من
 ذلك، من انتقال الامر الى بني امية ومدة دولتهم فاذ ذلك يكون سبباً لبقائهم، ووجه
 الشبه باضطراب الارشبة في الصوى العمدة: شدة الاضطراب لان البشر كلما كانت اعق
 كان اضطراب الرشاء فيها اشد لطوله. والرشا: حبل البشر والطوى: البئر المطوية. وقيل:
 اراد بالعلم المسطوى عليه: علم الآخرة وما بعد الموت، لانه لو شرح لهم ذلك لاضطربوا
 اشد اضطراب خوفا من الله، وادهبوا عما هم فيه من لمعاسة في الدين.

٦. وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أسير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال

وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ كَالصُّع: تَدْمُ عَلَى طَوْلِ السُّدَمِ، حَتَّى يَصْنَ إِلَيْهَا ظِلُّهَا، وَيَجْتَلِيَهَا
 رَايْدَهَا، وَلِكَيْتَى أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى لَحَقِ الْمُدْبِرِ عَنْهُ، وَبِالسَّمِيعِ الْمُطْبِعِ الْعَدِصَى
 الْمُرِيبِ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَنِّي يَوْمِي. قَوْلَهُ مَا رَأَيْتُ مَذْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْنَرًا عَلَيَّ مُنْذُ
 قَضَى اللَّهُ نَبِيَّهٖ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

اقول :

لمنقوب اب الذي اشار عليه بذلك كان انه الحسن عليه^١ اسلام.

واللّٰهُمَّ سَكُونْ لِدَالِ: صرَبَ الْحَجَرِ او غَرِهْ عَلَى الْاَرْضِ وَ سَسْ بِالْمَوْتِ. وَيَحْكِي
اَنْ اَصْبَحَ تَسْتَعْمَلُ فِي حَجَرِهِ بِمَثَلِ ذَلِكَ لَتَسْكُنَ حَتَّى تَصْطَدَ. وَاسْحَتَلِ. الْحَدِيدَةَ،
وَالْاَسْتِثَارَةَ لِشَيْءٍ: الْاِفْرَادَ بِهِ، وَفَهْوَمُ التَّشْبِيهِ لَهُ لَوَاحِرَ الْقِتَابِ لَكِنْ ذَلِكَ سَبَبًا تَمَكَّنَ
الْخَصْمُ مِنْ حُدُوعِهِ. وَالْمَرِيبُ: الشُّكُّ فِي وَجُوبِ صَاعْتِهِ. وَفَتَرَ لِأَيْدٍ: مَدَّةَ الْعَمَلِ لَانَّهُ
الْأَيْدِ الْمُمْكِنُ لَهُ وَرَدَفَ ذَلِكَ بِالشُّكَاكِ فِي دَفْعِهِ عَنْ حَقِّهِ وَلاَ اسْتِدَادَ بِهِ دُونَهُ مِنْ حَسَنِ
قَضَى رَسُولُ اللَّهِ.

٧ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَتَحَدَّوْهُ لَهُ أَشْرَكًا، فَبَاصَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ،
وَدَبَّ وَفَرَّخَ فِي حُجُورِهِمْ، فَطَرَّ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَتْ بِهِمُ الرِّالُ وَرَبَّقَ لَهُمُ
الْخَطْلُ، يَغْلُ مَنْ قَدْ شَرَكُهُ الشَّيْطَانُ فِي مُنْطَنِهِ وَنَطَقَ بِالنَّاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

اقول: روى ملاكا: وملاك الأمر ما يقوم به. والاشراك جاراك يكون جمع شريك
كشريف واشراف، او جمع شرك وهو حاشل لصاد^٢. والفصل ذم للمحلقين له و
استعار لهم لمط الاشرك باعتبار أنهم اسباب لدعوة محلق الى محاقه بحق، فكأن
الشيطان يصطاد لحنن بواسطة طاعتهم به وتصرفه فيهم، ووصف البيض والافرح به
باعتبار ملازمته لصدورهم ملاحظا في ذلك تشبيهه بالصائر وتشبيه صدورهم بالوكر. و
وصف الدبيب والذبح به باعتبار ملازمته لهم كالولد لحوار والده، وكتي بطره بأعينهم،
ونطقه بألسنتهم عن وحوه تصرفه فيهم وركوبه بهم الرلل وتربيته لهم الخطل وهو العاصد
من اقول اشارة الى ثمرة متابعتة، وانتصب فعل عني المصدرى: فعنوا كذلك^٣.

١ - نسخة ش بريادة الصلاة. ٢ - في ش: الصد.

٣ - نسخة ش: ذك.

٨- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَى بِهِ الزَّبِيرَ فِي حَالِ اقْتَضَاتِ ذَلِكَ

يَرْغُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بَيْنَهُ وَلَمْ يُبَايَعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالنَّبِيِّ، وَادَّعَى لَوْلِيَّةَ قَلْبَانٍ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرَفُ؛ وَإِلَّا فَلَيْدُ حُلٍّ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

أقول :

الوليَّة: الدخيلة في الأمر. وأصل الفصل احتجاح على الزبير بلزوم البيعة له، و أشار إلى غدر لزبير وهورعنه أنه بايع بيده ولم يبايعه بقلبه، وهو التعريض في العهد والایمان وهما من الزبير أن ذلك مرتقله الشريعة، وأجابه عليه^١ لسلام بصمير صعره، قوله: فقد أقر بالبيعة وادعى الوليَّة أي: اقربما يرمه شرعاً وادعى أنه اصمرفى باصه ما يقصده، وتقدير الكسرى وكل من فعل ذلك احتجاح لى بيعة لدعوته، وأشار إلى السبيحة بقوله: قليات إلى آخره.

٩- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ رَغَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفُشْلُ؛ وَلَسْنَا نَرْغَدُ حَتَّى نُوَقَّعَ، وَلَا نُبْسِلُ حَتَّى نُمَطَّرَ.

أقول :

لاشارة إلى اصحاب الجمل في معرض ذمهم. والارعاد والامراق: كنايةان عن التهديد والوعيد الصادر منهم له. والفشل: الضعف و راد ن مع وعيدهم وتهديدهم ضعفهم عما توقعوا به من الحرب: وكما أن قضية السحاب أن يقترون وقوع امطره برعده وبرق وسيله بمطره، أشار إلى أنه: كذلك فى مدرة وعيده لهم بايقاع الحرب بهم وسيل عذابه لهم بامطاره عليهم.

١- هي ش برودة: الصلابة.

١٠- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ شَيْطَانًا قَدْ جَمَعَ جِزْئَهُ، وَشَتَّحَلَّتْ خَيْلُهُ وَرَحْلُهُ، وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي:
مَا لَيْسَتْ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لَيْسَ عَنِّي. وَأَيْمُ اللَّهِ لَا فِرَاطَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا قَائِمُهُ: لَا يَصْدُرُونَ
عَنِّي، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيَّ.

أقول :

مداره على ثلاثة أمور:

أولها: الذم لأصحاب الحمل والتمهير عنهم بكونهم من حزب الشيطان. ولاستجلاب
بمعنى: الجمع.

والثاني، تشبيه على فضيله بصفه وعدم جوار اللبىس منه وعليه شبهة قتل عثمان و
نحوه، وهو قوله: وَإِنَّ مَعِيَ ابى قوله: عَلَى

والثالث، الوعد لهم بالحرب لمهيكته واستعار وصف افراط الحوض وهو ملأه:
لجمع أبجده، وهيكته اسباب الحرب، بد: افطت الحوض افطره بالضم أى: مثته. و
ماتحه: مستقى الماء منه^١، وكفى به عن كونه هو المتولى بذلك بنفسه. وعنى بقوله:
لأبصرون عنه، أن أنوار منهم لا يتحوقه كمن يفرق فيه. ويقول: ولا يعودون إليه أن من
لحا منهم لا يطمع في مثل ما طمعوا فيه خوفاً فلا يعود. واصل أيم: أيم، جمع بيمين
حذفت الون تحفيماً كما في قوله: لم يك. وقيل: هو اسم برأسه وضع للنقسم والحقيقة في النحو.

١١- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الزاية يوم الحمل

تَرَوْكُمُ الْحَبَابَ وَلَا تَرُبُّ عَصَى نَاحِيكَ، أَعِيرَ اللَّهُ جُحْشَ حِمَّتِكَ، يَدُ فِي الْأَرْضِ

١- في نسخة ش يستقى فيه.

٢- في ش- ونسخته في النحو

فَقَدِمَكَ، أَرِمَ يَبْصِرَكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَصَّ نَصْرَكَ، وَغَلَّمَ أَنْ اسْتَصْرَمَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُحَابَهُ.

اقول :

أشار إلى آداب الحرب فهي عن الفرار وأكدته، والتقدير لو زالت الحبال لا تنزل، و هي نهى على تقدير أمر محال، وذلك مستلزم النهي على كل حال بصريق الأولى.
والماجد: الس بين الباب والصبر، وبلغض عليه فائدتان، أحدهما ربط الحاش و تماسك احزاء اليدن لمستحجرة، والثانية تصلب عضل الرأس فيقوم ما عساه يقع من الصبر فيه. واستعار وصف اعداء حميمته لله، قال: ومن ذلك تثبيت لمحمد رضى الله عنه، واشعار له بأنه لا يقتل في ذلك الحرب. ويد في الأرض قدمك، اي: أحمله كالوند في الثبات. وفائدة رمية بصره قصى القوم: ان يعلم على ماذ يقدم. وغص نصره بعد ذلك: ليكون علامة للسكية ولائاً ادامة النظر إلى وقوع السيوف مطنة الرهبة وربما خيف على البصر وبرهان عساه بأن الصبر من لله قوله تعالى: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) ونحوه.

١٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لَمَّا أَصْرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْحَمَلِ، وَقَدْ قَابَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنْ أَحْيَى وَلَانِ كُنْ شَاهِدًا لِي بِمَا بَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَتِكَ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهْوَى أَجِيكَ مَعْنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذِهِ أَقْوَامٌ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ الْبِسَاءِ، مَيَّرَعَفُ بِهِمُ الرَّمَاتُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ

اقول :

أراد بالحضور: الحضور العوي، أو أنّ محبته قائمة مقام حضوره، والشهود: من كن

١ - في ش. يتقدم.

٢ - سورة محمد - ص - ٧.

بعد في الامكان وقوة أن يشهد نصرته من شيعته اذ هو بعنق الحاصر اطلاقاً للفظ ما
بالعمل على ما بالقوة مجازاً. واستعار لفظ الرعاف لوجودهم ونسبه الى الزمان لكونه من
اسباب وجودهم.

١٣- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في دم أهل البصرة

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتَاغِ الْهَيْمَةِ: رَغَا فَأَجِبْتُمْ، وَغَفِرَ فَهَرْتُمْ، أَحْلَقْتُمْ دَقَّةً،
وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِيْكُكُمْ بَقَاقٌ، وَمَوْتُكُمْ رُعَاقٌ، وَالْمَقِيمُ بَيْنَ أَصْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ،
وَلِشَاجِصٍ عَنْكُمْ مُتَذَكَّرٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَذَّبْتُمْ بِتَسْجِيدِكُمْ كَحُوحٍ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ
عَنْهَا الْعَذَابَ مِنْ قَوْعٍ، وَمِنْ تَحْنِئَةٍ وَغَرَقَ مَرٌّ فِي صَفِيهَا
وفي رواية: وَيُمُّ لَهِ لَتَعْرِقَنَّ لَدُنْكُمْ حَسَى كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَحُوحٍ سَفِينَةٍ،
أَوْ نَعَامٍ جَائِمَةٍ.

وفي رواية: كَحُوحٍ طَبِيرٍ فِي لَحَةٍ بَحْرِ.

اقول :

راد بالمرأة: العائشة^١، ذ كانت واسطة عقدهم في الحرب، وبالهيمية: جملها فأنهم
كنوا محيطين به محيين لرغته، وهاربين لعقره، وكتي برغته: عن دعوتها، اوكونه سببا
لاحتماهم مادام وقف. ودقة احلاقهم: صعرها وحقارتها، واراد أنهم على رذش
الاحلاق، وشقاق العهد: بكثهم له لبيحته عليه السلام، وعهودهم مع امرائه^٢ وولاته.
ولرعى: المالح وذكره في معرض ذمهم تنبيها عنهم. وارتهان: المقيم بينهم بهذبه
لاكتسابه رذش اخلاقهم^٣ ولذلك كان الشاخص عنهم اى: الراحل متداركا برحمة الله

١ في ش: عائشة.

٢ - نسخة ش: امرأة

٣ - بريادة كلمة - غالباً - في نسخة ش.

لسلامته من انهم^١، وشه نفسه في مشاهدته نور بصيرته لمسحدهم في الماء بالمشاهد
لذلك، والمحاصر لرؤيته بعين الحسن في الجلاء والظهور، وجوهر: السفينة، والظائر:
صدره، والحائنة: لاركة، والمقول: ان البصرة غرقت ايام القادر بالله مرة ومرة في ايام
انقائهم بامر الله غرقت باجمعها وغرق من هي ضمنها، وخربت دورها حتى سم يبق الا علو
مسحدها الحامع حسب ما اخبر به عليه السلام، وكان غرقها من قتل البحرو من ناحية
الجل المعروف بجبل الشام.

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك.

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنْ أَسْمَاءٍ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَتَفَهَّتْ خُلُوفُكُمْ فَأَنْتُمْ
غَرَضٌ لِدَلِيلٍ، وَأَكْمَةٌ لَا كَيْ، وَقَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

اقول :

اما قريبا من الماء فظاهرة. واما بعده من السماء فقول: اراد بالسماء المطر، فان
امطارها قليلة. وقيل: اراد انهم لردتهم بعداء عن السماء اي: الرحمة. وسماء الجود
الآلهي، وخفة عقولهم اي: العملية ضعفها عن درك المصالح وتسرعهم الى الباطل، و
سعه الحلم: تبديده بصائه واستعماله في غير موضعه، وكثي مكنونهم غرضا لابل الى
آخره: عن كونهم مطية لأطماع الناس فيهم وقصدهم بالبلاء لضعفهم ونقصان عقولهم، و
اسعار لفظ الغرض وقرينة لهم. ووجه الاستعارة ظاهر.

١٤ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فبما رده على المسلمين من قطائع عمان

وَاللَّهُ لَوِ وَّحْدَهُ قَدْ رُوِّحَ بِهِ النَّسَاءُ، وَتُكَّ بِهَ الْإِمَاءُ، تَرَدَّدَتْ قَبْلَ فِي الْعَدْلِ سَعَةٌ، وَ

١ - كلمة: لسلامهم من انهم. غير موجودة في ش.

مَنْ ضَرَقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ وَالْحُورُ عَلَيْهِ أَصْبَقُ.

اقول:

قد كان عثمان أقطع أقاره من ارض بيت لمان قطائع قزدها عنه السلام حين وى الامر، ووجه سعة العدل: بلفياس الى الحور لئلا يمان يتمكن من التصرف به اكثر من التصرف بالحور، لان التصرف بالعدل محل لرضى من يعتقد كونه مطلوباً. ورضا الطالب لعنه بأنه عند انزع الحق منه آخذ لما ليس له، ويؤكد ذلك بالوعود لطل لمن، فاعطى ثم وان قام سلطانه حين انتزع الحق منه، وصاق العدل عليه فهو محل الرضى. بخلاف الحور منه اصيق عليه في الدنيا والآخرة لئلا يمان والتواهي الشرعية عنه ووجه التصرف البطل، وأما انتزع منه قهراً ولأنه اذا نزل عليه عدل اعتقد أنه آخذ منه ما ينبغي أخذه منه، واذا سزل عليه حور اعتقد أنه آخذ منه ما لا يسعى أخذه، ولا شك ان آخذ ما لا ينبغي أخذه أصعب على النفس وأصعب من آخذ ما ينبغي.

وخص قصاص عثمان دون قطائع غيره دلالة لاختلاف عرضى الإمامين.

١٥ - وَمِنْ حُظْيِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما بويج بالمدينة

وَمَنْ يَمَّا قَوْثَ رَهْبَتَهُ وَأَنَا يَوْزَعُهُ إِنْ مَنْ صَرَحَتْ لَهُ الْعِبْرَةُ بِمَنْ يَدِيهِ
مِنْ الْمُتَلَاتِ حَخْرَتُهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّهَدَاءِ. أَلَا وَإِنْ تَلَيْسَ كُمْ قَدْ غَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ
تَعَثَّ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْيَدِ تَعَثَّ بِأَمْرٍ لَتُبْلِيَنَّ بَيْتَهُ، وَلَتَعْرَلَنَّ عَرْشُهُ وَ
تُسَاطِرُ سَوَاطِنِ الْقِدْسِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلَ كُمْ أَغْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ؛ وَلَتَسْفُورَ
كَوْنُوا قَصْرُوا، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبْقُكُمْ كَوْنُوا سَفُورًا، وَاللَّهِ كَتَمْتُ وَشَنَعْتُ، وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً،
وَلَقَدْ بَيَّسْتُ بِهَذَا النِّعَمِ وَهَذَا النِّعَمِ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خِيْلَ شُمُسٍ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ
جُلِعَتْ لِحْمُهَا فَتَحَمَّتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنْ اتَّقَوْا مَطَايَا ذَلِكَ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَعُطُوا
أَرْمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَهَنَّمَ، حَيٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُنْ أَهْلٌ، فَلَيْنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلْ، وَنَيْنَ قَرَّ

الْحَقُّ قُلُوبُنَا وَلَعَلَّ وَلَقَلَّمَا أَذْثَرُ شَيْءٍ فَفُتْسَ قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ
الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْإِسْتِخْسَانِ، وَإِنْ حَطَّ الْعَجَبُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ
حَطِّ الْعَجَبِ بِهِ، وَفِيهِ مَعَ الْحَالِ الْإِنِّي وَصَفْتُ زَوَائِدَ مِنَ الْقَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا إِنْسَانٌ،
وَلَا يَطْلُعُ فَتَحَهَا إِنْسَانٌ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَتَجَرَّى فِيهَا
عَلَى عِرْقِي. (وَمَا يَقْبَلُهَا إِلَّا الْغَالِمُونَ).

أقول :

الذمة: العهد. والرعيص: الكافل. والمثالات: العقوبات. والحجز: النسخ. وتفتح
في الأمر: رمى بنفسه فيه. وأشار إلى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى. وأن العبرة بما تمنعه
الدنيا من عقوبة من اعتزبها وتدل حالاتها عليهم مستلزمة في الاعتبار تصوره مثل ذلك في
نفسه، وذلك مستمر لا فاضة تقوى الله عليه، المستلزمة لتوقفه وامتناعه من أن يلتقي نفسه
في تلك الأمور الرائلة والشبهات الباطنة، وهي أحوال الدنيا المشبهة للحق والسحق،
الخاص من أمر الهوى قوى على نقد الحق وتسمره من الشبهات، وتؤكد ذلك برهن ذمته و
كماله به.

ثم نههم على أنهم في الشبهات معبورون ليبادروا إلى تقوى الله وهو قوله: (الا وإن
بيئتكم قد عادت)، وأراد باللية: ما هم عليه من اختلاف الأهواء عن الشبهات التي
يلقيها اليهم الشيطان، وذلك أمر يشبه ما كانوا عليه حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله،
ثم توعدهم بعاقبة ذلك ونزول ثمرته بهم، والبلية: الاختلاط. والعريلة: نخل الدقيق و
غيره، وذلك إشارة إلى ما يضعه بنو أمية بهم من خلط بعضهم ببعض، ورفع أراذلهم و
حط أكارهم، كما يعمل بالقدر سائطها. ولفظ العريلة: مستعار لا يتقاط أحاديثهم، بقل
والأذى كما فعلوا بكثير من الصحابة والتابعين.

وقوله: وليسبقن، إلى قوله: مسبقوا، إشارة إلى ما علمه من أسرار القدر في تقصير
من كان له سبق في الدين، وتقدم رتبة فيه، أو إلى سبق من كان قصر فيه في أوّل أومسق
من كان قاصراً في أوّل الإسلام عن الخلافة ولامارة في آخر الزمان إليها، وبقصر من سبق
إليها عن بلوغها. ثم أشار إلى ذلك الاحتمال مما أحبره لئني صلى الله عليه وآله،

واقسم أنه لم يكسب منه وشمة أى: كلمة مما أحره به وتعتن عليه ان يؤثره عنه. والوشمة بالشين المعجمة: الكلمة، وأنه لم يكذب فيه، وهذا المقام مقدم بيعة الحلوى له، وهذا اليوم أى: يوم اجتماعهم عليه، واستعار لفظ الخبر: بوصف الشماس، وخضع اللحم للحطايا باعتبار ورودهم بها النار بسرعة كالقريس الحموج براكبه المستقيم^١ به فى المهالك. ولمفرد المصايا: ضد تلك الأوصاف لتقوى الموصلة لصاحبها الى ابجئة كراكب المطية الدلول يصل الى غايته بها بسهولة واحتيار.

وقوله: حق وباطل، أى: فى الوجود فكل واحد، مهما اهن كقوى النبى صلى الله عليه وآله: «كل مبسر لما خلق له». وقوله: قلن مرابطا أى: كثر الى قوله: ولعل، كالاعتدال لنفسه ولأهل الحق فى قلته، وتوبيخ لأهل الباطل عسى كثرته. وفى قوله: ربما ولعل ترسخ، واصماع لعود الحق الى الكثرة بعد قلته ترغيبا فى لزومه كيلا يضمحل بالتخاذل عنه، ولا إحسان فى كلام السيد: مصدر أحسن اذا فعل حسنا، ومواقع الإحسان: الكمات الحسنة منه^٢، وموقع الاستحسان: انكم المسحسة له، لأنها لا تلغ محاسن كلامه ولا تحيط به. وقوله: وان حظ الى قوله: به، أى: ان تعجب المصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بأنفسهم باستحسانه، لأن فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها، وان تعجبوا منها.

ومن هذه لحصة:

شِعْلٌ مِّنَ الْجَنَّةِ وَلَدَّرُ أُنَامُهُ، مَسَّحَ سَرِيْعُ نَجَا، وَظَالِبٌ بَطِيءٌ رَّجَا، وَمَقْصَرٌ فِى أُنَارِ هَرَى. الْيَمِينُ وَالشَّمَائِلُ مَصْلَةٌ، وَالطَّرِيقُ الْاَوْسَطُ هِىَ الْجَدَّةُ عَلَيْهَا بَاقَى الْكِتَابِ وَأَنَارُ السُّبُورِ، وَمِنْهَا مَسْقَدُ السُّنَنِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَقِيَّةِ؛ هَكَذَا مِّنْ دَعَاىَ، وَحَاحَ مِّنْ أَفْتَرَاىَ. مِّنْ أَبْدَى صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَكَذَا، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قُدْرَةَ لَا يَهْدِيكَ عَلَى التَّقْوَى سَبْحُ أَضَلِّ، وَلَا يَطْمَأُغِيثُهَا زَرْعُ قَوْمٍ. فَاسْتَبْرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْتِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يُلْمُ إِلَّا نَفْسَهُ.

١ - نسخة ش: لمقتحم.

٢ - نسخة ش: له.

اقول :

معنى لقضية الأولى أنّ من كانت الجنة والنار امامه كن له بهما شغل عن غيرهما ، وشغفه بهما ملاحظتهما والهمة بما يكون وسية السهما ، واستعار لفظ الامام لهما : باعتار كونهما عايتين ينتهى اليهما ، وبناء الفعل للمفعول اذ العرض ذكر الشغل دون المشغل . وقوله : ساع ، الى قوله : النان قسمة للناس بالنسبة الى ما وجب عليهم من الشغل المشار اليه الى ثلاثة اقسام ووجه القسمة أنّ الناس اما طالبون لله ولما عنده ، او غير الطالبين ، والطالبون اما محتهدون في الوصول اليه ، او متأنون ، والاول هم السابقون المقربون . والثالث المقصرون الذين وقف بهم الشيطان حيث اراد ، وظهر كونهم في النار . واما الثاني فذو وصفين يتجاذبا به من جهة التسالة والعبء فسلوكه الى الله وان ضعف حاذب له الى الجنة ، وبدان شيطان جاذبة له الى النار لا أنّ رجاءه لله ومسكنه به اذا اضاف الى حركته الطيبة في ميل الله كانت السلامة عليه اعقب .

وانما خصّ الثاني بالرجاء لانه عمدته دون عمله لصعفه ، ونحوه قوله تعالى : (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرِ يَدْعِي الله) . وقوله : اليمين والشمال ؟ الى آخره ، الجادة : اشار باليمين والشمال الى طرفي الافراط والتفريط من الفضائل التسمائية ، والطرق الوسطى الى العدل مهما . وهو الحصول على نفس الفضيلة من غير انحراف عنها الى اطراف الرذائل منها وهى الصراط المستقيم فى الدنيا^١ ، والجادة الواضحة لمن اهتدى وعليها باقى الكتاب الكريم من المقاصد الالهية : وآثار النوة ، ومقذ الستة : اى طريقها ومخرجها والىها تصير عاقبة الحلق فى الدنيا والآخرة ، فانّ من العدل بدأت الستة وانتشرت فى الحق ، و اليه مرجع امورهم وعواقبها .

قوله : هلك من ادعى : تعريض لىعدوية ودعواه الامامة ، ولنقط عدم ، خرج على سبب خاص اى : هلك من ادعى ما ليس له بحق وخاب من كذب فى دعواه ، والحبية : دعاء او خبر بعدم حصول الخبر فى الآخرة . وقوله : من ابدى ، لى قوله : قدره ، اراد من

١ - سورة طه / ٣٢ .

٢ - برزانه - مصلة - هي نسخة ش .

٣ - هي ش : والاخرة .

تَحَرَّدَ لَظْهَارُ الْحَقِّ فِي مَقَابِلَةِ كَلِّ نَاصِ سَمْعِهِ أَوْ رَأَى مِنَ الْجَاهِلِينَ وَحَمَلِهِمْ عَلَى مَرِّ الْحَقِّ وَ
صَعْبِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ كَانَ فِي مَطْلَةِ إِهْلَاكِ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنِهِمْ، وَكَانَ إِيْمَاءُ لِي نَفْسِهِ فِي
مَعْرُضِ الْاِعْتِزَالِ فِي مَقَابِلَةِ مَعَاوِيَةِ وَغَيْرِهِ عَلَى بَاصِهِمْ، وَحَسَبَ الْمَرْءَ بِقُدْرِهِ وَمُرْتَبَتِهِ
مِنَ النَّاسِ جَهْلٌ فَاحْشٍ لَاسْتِزَامِهِ رِذَائِلَ صَعْبَةٍ كَالْعُجْبِ وَالْكِرِّ وَحَوْهَمَا مِنَ الْمَهْنِكَاتِ.
وَقَوْلُهُ: لَا يَهْلِكُ، أَلَى قَوْلِهِ: قَوْمٌ: وَنَسَخَ الْأَصْلَ وَدَلَّ أَنَّ التَّقْوَى كَالْأَرْضِ الْحَرَّةِ لَا يَهْلِكُ
مَا غَرَسَ مِنْ أَصْلٍ، وَكَالْمَاءِ الْعَذْبِ مَا يَظْمَأُ عَلَيْهِ مَا زَرَعَ وَهُوَ تَرْغِيبٌ فِيهَا لِغَايَةِ مَا يَشْمُرُهُ
مِنَ الْخَيْرِ الْآخَرِيِّ، وَامْرُؤُهُمْ بِالْاِسْتِزَامِ بِسِيُوتِهِمْ أَيْ: لَزُومِهَا قَطْعاً لِمَادَةِ الْفِتْنَةِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ
لِلْمَسَافَرَاتِ وَالْمَخَاحِرَاتِ، وَنَهْيُهُمْ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الثَّوْنَةِ وَأَنَّهَُا مَقْصُولَةٌ مِنْهُمْ وَكُونُهَا وَرَاءَ
لَهُمْ بِاِعْتِبَارِ رَجُوعِ الْعَصَى إِلَيْهَا عَمَّا هُوَ مُتَوَجِّهٌ بَقَدَرِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ. وَقِيلَ: وَرَاءَ بِمَعْنَى:
أَمَامَ وَالْأَوَّلِ أَشْبَهُ.

١٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي صَعَةِ مَنْ يَتَصَدَّى لِلْحُكْمِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ لِدَلِكِ بِأَهْلٍ

إِنَّ أَبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رُجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَّمَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ
قُصْبِ السَّبِيلِ، مَسْعُوفٌ بِكَلَامٍ يَذَعُو، وَدُعَاءٍ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ وَثَنٌ لِمَنْ افْتَقَرَ بِهِ، صَالٌ عَنْ هُدًى
مَنْ كَانَ قَسْلُهُ، مُصِلٌ لِمَنْ افْتَقَدَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَعْدُ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ حَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْشٌ
سَخَطِيئِهِ. وَرَجُلٌ قَسَمَ جَهْلًا مُوصِعٌ فِي جَهَالِ الْأُمَّةِ غَادٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ، غَمٌّ بِمَا فِي
عَفِيدِ الْهُدْيَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْيَاءُ النَّاسِ غَالِيًا وَلَيْسَ بِهِ، بَنَكْرٌ فَاسْتَكْتَفَرَ مِنْ حَمْعٍ قَافِلٍ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا
كَثُرَ، حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ أَجْنٍ، وَكَثُرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَضِيًّا صَامِسًا
لِتَحْيِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنْ تَرَكْتَ بِهِ إِخْدَى الْمُتَهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشَوًا رَأً مِنْ رَأْيِهِ،
ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَيْسَ الشُّهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَضَابَ أَمْ أَحْطَأَ: فَإِنْ
أَضَابَ حَذَفَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَحْطَأَ، وَإِنْ أَحْطَأَ زَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَضَابَ، جَاهِلٌ خَبَاطٌ
حَهَالَتِ عَشِي رَكَابُ عَنَوَاتٍ لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرِّهِ قَاطِعٌ يَدْرِي الرُّوَايَاتِ إِذْ رَأَى
الرَّيْحَ الْفَهِشِمَ لَا مَبْلَى وَاللَّهُ يَصْذَرُ مَاصِرَةً غَنِيَّةً، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا قُوصَ إِلَيْهِ لَا يَخْشَبُ الْعِلْمَ

فِي شَيْءٍ مِّمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَنَعَ مَذْهَبًا لِمِثْرِهِ، وَإِنْ أَطْلَمَ أَمْرًا أَكْتَسَمَ بِهِ لِمَا
يَغْتَمُّ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَضَرُّعٌ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدُّعَاءُ، وَتَبِيعٌ مِنْهُ الْقَوَارِثُ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ
مَعْشَرٍ يَعْيشُونَ جَهْلًا، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِيلَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُبِيَ حَقٌّ
يَلَاؤَنِيهِ، وَلَا مِلْعَةٌ أَلْفَقُ بَيْعًا وَلَا أَعْنَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِفَ عَنْ مَوَاصِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ
أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا عَزْفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ.

أقول:

البغض من الله يعود الى علمه بمخالفة العبد لأوامره، وصلافة مجاراً إطلافاً لاسم
اللازم عسى ملرومه. وكلمه الله الى نفسه، جعل اعتماده عليها، ومشغوف: معجب.
والقمطر: اجمع. والموضع بكسر الصاد: المسرع أى: أنه يسرع فى جهالة الامة الى
ما يسرعون اليه. وروى موضع بفتحها أى: أنه ليس من اشراف الناس وغباش الفتن:
اوائل ظلماتها، وروى غار أى: عاقل فى طلبات الحصوصات لا يهتدى لوجه تحببها. و
روى اعطاش الفتنة والعطش ايضا: اطلمه. وهدية: الصلح أى: اعمى البصيرة عن وجه
المصلحة فى المصالحة بين الناس، وشبه الناس: الجهال المشبهون للكاملين
فى الصورة الحسية دون الصورة التمامية التى هى كمال العلوم، ومكارم الاحلاق. وروى
جمع منونا على أن الجملة بعده صفة له، «وما» مصدرية او بمعنى: الذى، وجمع
بمعنى: مجموع. وروى مضافا ويقدر أن بعد ما عى طريقة قولهم: تسمع بالمعبدى خير
من أن تراه^١. واستعار وصف التبكير: للسق فى أول العمر الى جميع الشبهات، والآراء
الباطنة. واستعار لفظ الماء الآجر: للجهل والاعتدات، لفاسدة، ووصف الارتواء
ليتمليها، والمهمات: القضايا الملتبسة التى تدق فيها الحق. والحشو: الكلام
الكثير لا فائدة فيه. والرت: الضعيف. ونسج العنكبوت: مثل للامور الواهية، ووجه
التمثيل أن ذهن الحاهل اذ قصد حل مهمة^٢ كثرت عليه الشهات فلبتس على ذهنه

١- هي ش: الكاس.

٢- مثل يصرب مجمع الامثال ١/ ١٢٩.

٣- هي ش: مهمة.

وجه الحق، ولا يحلص اليه منها مثله في الشبهات الواهية كالذباب في نسع العنكبوت لا يتمكن على ضعفه ان يتخصص منه. وخبط جهالات: كثير الخط فيها. وروى جهلات جمع جهة: فعة من الجهل. والعشوة: مصدر قولك عشوت ضوء النار اذا تبيته على ضعف واراد: انه لا يستتبع نور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لقصان ضوء بصيرته. ولم يعض على العلم بضرس قاطع: كناية عن عدم اتقانه لقوانين الشرعية، واصله ان الانسان يعض الشيء ثم لا يجيد مضغه.

و اذ راؤه لروايات تصفحها وقرعتها مع عدم فهمها والانتفاع بها، و كونه لا يحسب العسم في شيء مما اسكره، اى : لا يعمده شيئا ولا يدخله في الحساب بل يكره كسائر ما يكره، وأراد علم الاصوليين وغيرهما دون القروع. وروى يحيى بكسر السين من الحساب وهو: الفن اى: لا يطن لعلم الذى هو وراء اعتقاده فضية يجب اعتددها. و استعار وصف اصراخ، و لعجيج، وهو: رفع الصوت لئطلق الذماء، والمورث لسان حالها متطلّمة شاكية. ويحتمل ان يريد هل الذماء فحذف المضاف: والى الله اشكو او ابرأ. وقوله: ليس فيهم، الى آخره، اى: اذا هراس كتاب على وجهه رخص عندهم واطرحوه لمحالته اعراضهم، و اذا تحرف عن مواضعه و وافق اعراضهم شروه بأعلى ثمن. ولا انكر من المعروف لقلته وعدمه بينهم، ولا اعرف من المسكر لكثرة وجوده والمهم له.

١٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى دم اختلاف العلماء فى الدنيا

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَصِيَّةُ هِيَ حُكْمٌ مِنَ الْأَحْكَامِ فَتَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرَدُّ بِذَلِكَ الْقَصِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِحِلَاوِيهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ انْقِصَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْصَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا، وَلَهُهُمْ وَاجِدٌ وَتَبِيْهُهُمْ وَاجِدٌ؛ وَكَذَلِكَ أَقَامَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَوْهُ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِنْتَاجِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَبِهِمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مُبْحَنَةً

١ - بريادة. وجهالات - هي ش.

دَيْسًا تَأْمَنًا مَّقْصَرُ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللَّهُ مُبْنَحَةٌ يَقُولُ: (مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ: (فِيهِ يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ مُبْنَحَةٌ: (وَلَوْ كَذَبَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَيْبَقُ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَمْنَى عَجَائِئُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِئُهُ وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ لِأَيِّهِ.

أقول :

في هذا الفصل تصريح بأنَّه عليه السلام كان يرى أنَّ الحقَّ في جهة، وأنَّه ليس كلَّ مجتهد في الفروع مصيبًا كما يراه الجمهور من الأصوليين، والمسألة مشهورة في أصول الفقه.

وقوله: ترد، إلى قوله: جميعًا: صورة حالهم التي يسكرها، وهو قوله: وأنَّهم، إلى قوله: واحد شروع في بطلان ما يرويه، وهو صغرى ضمير تقدير كبراه و كل قوم كنوا كذلك فلا يجوز أن يختلفوا في حكم شرعي، وتكون آرائهم المختلفة صائبة. وقوله: فأمرهم الله، إلى آخره: بيان لصغرى وتقديره أنَّ ذلك الاختلاف إما أن يكون بأمر من الله أُلْعِنَهُ فِيهِ، أو ينهى منه عصوه فيه، أو سكوت عن الأمرين، وعلى التقدير الثالث فحوز اختلافهم في دينه. والحاجة إلى ذلك إما أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه. وتفصيل الرسول في أدائه وعلى الوجه الأوَّل فلا اختلاف أمَّا يجوز على أحد وجهين: إما أن يكون ذلك الاختلاف تمامًا لذلك النقصان، أو على وجه أعم من ذلك وهو كونهم شركاؤه في الدين فعليه أن يرضى بما يقولون، ولهم أن يقولوا إذا شأَنَ الشَّريك ذلك، فهذه وجوه خمسة. وحصر الأقسام الثلاثة الأخيرة ثابت بحسب استقرار وجوه الحاجة إلى الاختلاف، والأقسام كلها باطلة. وشار إلى بطلانها ببقية الكلام.

إما بطلان الأوَّل فلأنَّ مستند الدين هو كتاب الله وهو يصدق ببعضه بعضًا، فلا اختلاف فيه فلا يكون مبدعًا للاختلاف فليس اختلافهم مستندًا إلى الكتاب فلا يكون من الدين. وأمَّا النَّاسِي فلأنَّ عدم جوار المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز

الاختلاف. واما الثالث وهو نقصان دين الله فمقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ١. واما الرابع والخامس فظاهر البطلان ولا يمكن دعواهما، فذلك لم يحتاج الى بطلانهما، ثم نتهىهم الى ٢ ان القرآن وف بجميع المطالب، اذا قدتروا معناه فحرم عليهم قول لا يستند اليه وذلك في قوله: فذهره اي: حسن معجب بأسواع السان، وباطه عميق لا يتهى الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب، ولا تفنى الامور المعجبة منه ولا تفضى المكت العربية فيه ولا تكشف ظلمات الشبه الآيه.

١٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاه لأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لالك فحصى عليه السلام إليه بصره ثم قال: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَىَّ مِنْ أَلِيٍّ! عَنَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّائِعِينَ، حَانَكَ بَنُ حَائِكَ مُتَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ وَاللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً وَلِإِسْلَامِ الْآخَرَى قَمًا قَدَانًا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَدْلَكَ وَ لَأَحْسَنُكَ، وَإِنَّ أَمْرًا ذَلَّ عَنَى قَوْمَهُ السَّفْتِ، وَتَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَقُّقُ، لَحَرَى أَنْ يَسْمُتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْتِيَهُ الْأَبْعَدُ.

قال السيد: يريد عليه السلام أنه أسرف في الكفر مرة وفي الاسلام مرة، واما قوله عليه السلام: دل على قومه السيف فأراد به حديثا كن لأشعث مع خالد بن الوليد بالبيعة غز فيه قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد و كن قومه بعد ذلك يستوبه «عزف الناس» وهو: اسم للعادر عندهم.

اقول: روى أنه عليه السلام كان في خطبته يذكر امر الحكمين، فقام اليه رجل من أصحابه، وقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندرى أي الأمرين ارشد؟ فصق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى وقال: هذا جزاء من ترك العقدة، فطن الأشعث أنه

١ - سورة الانعام / ٣٨.

٢ - هي نسخة شر: على.

أراد هذا حزائى؟ فقال: الكلمة فأشار الى جهسه بقوله: وما يسريك اذ ليس للجاهل ان يعترض على مثله بما لا يعلمه، واستحق اللعن لأنه كان من المدفنين. واستعاره ولأبيه لفظ الحائك لأن كنفه معروفة بالحياكة وهى مطمئة نقصان العقل. وقيل: لأن الاشعث و أباه كانا ينسجان فى أول أمرهما برود اليمس، وعيره بهالدنائتها. قوله: ولقد أسرك، الى قوله: حسبك: تأكيد لنقصان فطنته وأنه وجد نفسه مرتين فى الأسر ولم يعقل وجه الخلاص. وما فذك أى: لم ينحك من الوقوع ولا يحمل على الفداء بعد الأسر، لأنه فدى نفسه كما نقل.

أما أسر الكفر له فلأن مراداً لما قتلت أده خرج ثائراً بدمه فاسره، فمضى نفسه بثلاثة آلاف بعير. وأما أسر الإسلام له فلأنه لما ارتد بحضر موت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بعث اليه ابوبكر بن زياد بن ابيه، ثم بعكرمة بن ابى جهل فى جيش من المسلمين فالتجأ الى حصن قومه فاسره زياد وقدم به على ابى بكر فاستبقاه وزوجه اخته أم فروة، وله قصة طويلة اشرنا اليها فى الاصل^٢. وقوله: وب امرأ، الى قوله: الأبعد: اشارة الى غدره بقومه حين حصرهم زياد فطلب الأمان لنفسه، وسفريسير من قومه، فظن الباكون أنه أخذ الأمان لجمعهم، فخرجوا فقتلوا صبراً. والحتف: الهلاك.

وأما قول السيد أنه أراد حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة فلم أقف على شئ من ذلك فى وقوع خالد باليمامة، وحسن الظن به يقتضى صدق نقله. وأما استعارتهم لعرف الثار فلأن العرف: عبارة عن كل عال مرتفع. ولما كان العدر طبعاً له وهو مستلزم للتار حصار كلعلم على البارقائد لمن أتبعه اليها كاعلام الطريق^٣.

١٩- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَأَبْغَضْتُكُمْ لَوْ عَابَتْكُمْ مَا قَدْ تَعَيَّنَ مِنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ

١- نسخة ش هكدا، لنقصان فطنته اذ اوقع نفسه مرتين.

٢- شرح نهج البلاغة الكبير ١/ ٣٢٥.

٣- فى ش: كالأعلام للطريق.

مُحْضَرُوتْ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَانُوا، وَفَرِيتُ مَا يُطْرَحُ الْجَحَاتِ، وَلَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَنْصَرْتُمْ، وَأَسْمِعْتُمْ
إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهَدَيْتُمْ إِيَّاهُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ، بِحَقِّ أَقْوَلِكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْبُغْرُورُ حُرُوسُكُمْ بِمَا فِيهِ
مُرْدُخَرُهُ، وَمَا يُبْلَعُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا التَّشْرُ.

أقول:

الوهل بالتحريك: الفزع. وروى وهنتم، والهلع: الفحش لجزع، وأعلم أن
الإنسان مادام متحجاً بحجاب لدن فانه محجوب بظلمات هياته ومعارضات أهوايه و
خيالاته عن مشاهدة عالم العيب، وذلك لحجاب أمر قس للزيادة والتقصن، والناس
فيها عني مراتب ولو قد بصى^١ هذا الجلباب وطرح عن اعين بصائرهم ذلك الحجاب،
لشاهدوا من احوال الآخرة وأهواها ما شاهده من دخن البها كقوله تعالى: (فكسفت عني
عطاءك فبصرك اليوم حديد)^٢ فحزعوا حينئذ وفرعوا وسمعوا الداعي لله واطاعوا.
وقوه: ولكن، الى قوله: الحجب. شارة الى سبب عفلهم وهو الحجب امد كورة
ولتهديد بقرب زواله بالموت، وما مصدرية في موضع رفع بالابتداء. وقوله: ولقد بصرتهم،
الى قوله: اهتديتم: تنبيه على طريق الهداية وانها قد اوصت اليهم ما يتبع به لو اتبعوا
به، ومجاهرة العبر لهم وصوحها وظهور دلالتها، ومعها مزدجر كالوهدى الموكدة
ببوعيدات الهتمة والعقوبات الحاضرة كقوله تعالى: (ولقد جاءهم من الأثناء مدفيه
مزدجر)^٣ قوله: وما ينفع الى آخره، أي: ليس في لاعمك طريق وراء ما جدتكم به الى الله
على ألسنة رسله، وليس يمكن ان تبليكم رسالاته بعد رسل السماء وهم الملائكة لأهم،
فلا عذركم في الشخف عن دعوتهم. وبالله التوفيق.

٢٠ - وَمِنْ حُظَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْعَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنْ وَرَاءَكُمْ أَسَاعَةٌ تَخْلُوكُمْ تَحْمِلُونَ أَلْحُقَافًا بِمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْنِكُمْ آخِرُكُمْ.

١ - في ش. ولو قد بصى عنهم هذه الجلباب

٢ - سورة ق، ٢٢.

٣ - سورة القصص، ١.

قال السيد: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، يعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكل كلام لئال به راجحاً، ويبرز عليه سابقاً. وأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أهد غورها من كلمة وأنتفع نفعها من حكمة، وقد نتها في كتاب «لخصائص» على عظم قدرها وشرف جوهرها.

أقول: أراد بالغاية حال لاخرة من حجة تطلب، أو ذرتهرب عنها، مد هو متوجه اليه وغاية للانسان ينتهى اليها، وذلك الاعتبار صدق عليها أنها أمد، واستعار لفظه لها، والساعة: انقياة و لموت، و كوبها وراء باعتبار كوبها مهروباً منها، والمهروب منه حلف الهارب، فاستعار لفظه لها ووصفها بصفة السائق وهو الحذاء. و اشار بان تخفيف الى الزهد الحقيقى الذى به تنصف المسافر الى الله من أثقال الدنيا، وأوزرها المدعة من البصعود الى حصرت المقدسة، وبذلك يلحق المسافر سائر السابقين الأولين. والكلمات فى قوة شرط وجزاء. وقوله: فائما ينظر بولكم أكرم، ي: أما ينتظر لقيام الكسرى على أولكم، ومن سبق مسكم ووصول كل الى ما يستحقه من كمال رحمة او عذاب لحوق الآخرين الذين لم يموتوا. ووصف الانتصار مسافر لكما مطلوب الله سبحانه من الحق باسمهم، وهو وصولهم الى ساحل عزته اذ كان نظر عنايته اليهم واحداً، واستعار السيد لفظ النطفة، وهو الماء القليل الضاى لما فيها من الحكمة. والله التوفيق.

٢١ - وَمِنْ حُظَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ دَمَرَ جِزْبَتَهُ، وَاسْتَحَبَّ بَجْلَهُ. لِيَتَوَدَّ الْجَوُّ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ كَبَائِلُهُ إِلَى نَصَابِهِ. وَتِلْكَ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرٍ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَبًا. وَهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَيْسَ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنْ لَهُمْ لَتَصِيبَهُمْ مِثْلُهُ، وَلَيْسَ كَانُوا وَلَوْهُ دُونَِي فَمَا أَلَسْتُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنْ أَعْصَمَ حُجَّتَهُمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ قَطَعْتَ وَيُخَيِّبُونَ بِدَعَا أَمِيَّتٍ!! يَا خَيِّبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَالْأَمَّ أَجِيبْ؟ وَإِنِّي

لَرَأَيْسَ يَحُجَّةٍ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلِمِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَغْظَيْتُهُمْ حَدَّ الشَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا
مِنْ كِبَاطِلٍ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنْ أَلْعَجَبِ بَغْتُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُرْزَقَ لِلظَّعَانِ! وَأَنْ أُضَيَّرَ بِلِحْدَةٍ:
هَبَّتُهُمْ أَنَّهُوَلُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالْبَصْرِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَتِيمٍ مِنْ
رَبِّي، وَغَيْرِ شَيْئَةٍ مِنْ دِيْنِي.

أقول: ذمير بالتحصيف والتشديد: حث. والجلب: الجماعة من الناس تجمع وتؤلف،
والصواب: الأصل، والمسكر الذي إذعوه عليه قتل عثمان. والسكوت عن الكبير على قاتله.
ولما كان عليه السلام بريئاً من دمه صدق أنهم ما أنكروا عليه منكراً معلوماً، وتركهم لذلك
الحق، وسفكهم لذلك الدم هو مشاركتهم فيه، فإن المشهور أن طلحة كان من المحرضين
على قتله والساعين في ذلك.

قوله: فلئن كنت، إلى قوله قلهم: إقامة للحجة على دفع مقالتهم، وتقديرها أنهم
دخلوا في قتل عثمان، وكل من دخل فيه بالاستغفال أو الشركة فليس له أن يطلب غيره
بدمه^١ أو يظلم شريكه دون نفسه. و يستدر بقطر الإرتضاع: لظلمهم منه عليه^٢ السلام ما
كانوا يعهدونه من الصلات من عثمان، ولقط الأم: للخلافة، فيبت المال بينها، والمسلمون
أولادها المرتضعون، ووصف المقصم: لمنعه عليه^٣ السلام لهم من ذلك، والبيدعة التي
يحبونها هو التفضيل إذ كان بحلاف ستة رسول الله صلى الله عليه وآله. وامانتها: تركها.
قوله: يا خبيبة الذى، إلى قوله: اجيب: خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة إلى
قباه ومن دعا. وإلى ما اجيب: استعظام على سبيل الاستحقار للمدعويين لقتاله الناصرين
للداعى، إذ كانوا عوَمَ الناس، وللمدعوى اليه وهو الباطل الذى دعوا لصبرته، ويحتمل أن
يكون لتعظيم المدعوى إلى قتالهم يعنى نفسه عليه^٤ السلام. والمدعوى اليه وهو الحرب، و
حجة الله أمره الصادر بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى: (فإن تعث إحداهما)^٥ الآية، وكل

١ - عبارة - دخل فيه بالاستغفال أو شركه فليس له ان يطلب غيره - غير موحدة في نسخة ش.

٢ - فى ش بزيادة: الصلاة.

٣ - نسخة ش بزيادة: الصلاة

٤ - بزياده: الصلاة. فى ش.

٥ - سورة الاحزاب / ٩

أمر الله أوبى له فهو حجة له، وكن حجة للحق فهي حجة لله.
ولهول: التواكل، وهو مما تدعوا به العرب. قوله: لقد كنت وما اهدد بالحرب
أي: من حيث كنت لا أخشى من وعيد الحرب واليقين من الله بما وعد المستقين، وذلك
مؤكد لعدم خشيته من الحرب ولقتال. والله التوفيق.

٢٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَتَرَكُ مِنْ أَسْمَاءٍ إِلَى الْأَرْضِ كَمَطَرَاتِ الْمَطَرِ: إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
فُيِّمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ قُصَايَةٍ، فَبَدَأَ رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ،
فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَحْسُدْ دِمَاءَةً تَطْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا دُكِرَتْ، وَ
تُعْرَى بِهَا لِيَأْمُ النَّاسُ؛ كَذَنَ كَمَا قَالِيعُ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَبِهُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاجِهِ تُوجِبُ لَهُ
الْمَمَتَّ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ لَمَعَرُ، وَكَذَبَكَ لَمَرْءٌ لِمُسْلِمٍ الْبَرِيءُ مِنْ لَجَبَتِهِ يَنْتَبِهُ مِنَ اللَّهِ
إِحْدَى لِحُسْنَيْنٍ إِمَّا ذَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَمَا رَقَّ لَهُ فَإِذَا هُوَ دُوْهُ أَهْلٍ وَمَالٍ، وَ
مَعَهُ دِيْنُهُ وَحُسْبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْتُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْتُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ
يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْرَمٍ، فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ،
وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لغيرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ تَسَاءُلُ اللَّهِ
مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، وَمَرْقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَحْضِي الرَّحُلُ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِمَائِهِمْ عَنْهُ
بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّيْتِهِمْ، وَهُمْ أَغْطَمُ النَّاسِ حِنْطَةً مِنْ وَرَيْهِ، وَالْمُهْمُ لِسَعْيِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ
نَارِهِ إِذْ تَرَكْتُ يَوْمَ. وَلَيْسَ الصَّدَقُ يَجْعَلُهُ اللَّهُ يَلْمَرُهُ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الثَّمَالِ يَوْمَهُ غَيْرُهُ.

أقول :

مدار الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد (ونحوه). وفيه تأديب للاغنياء

١ - في ش هكدا جاء بعد الآية: وكل امرئ له أو بهي له وكل حجه لهخلق فهي حجة الله.

بالسعة على المقراء^١ وموساتهم وترهده بجمع الما. وقتم مقدمة حاصلها الاشارة الى
 أن كنما يتجدد من ريادة او نقصد فيما يكون به صلاح الحلق في معاشهم ومعادهم من
 مال، او جاه، او اهل، ذته عن قسمة رباسة والامر الذي هو حكم القدرة لالهية على
 الممكنات بالوجود المغير عنه بقوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ)^٢ ونروله: حصوله لكل نفس بما قسم لها وهو الفدر في قوله تعالى: (وَمَا نُؤَلِّهِ إِلَّا
 بِقَدَرٍ مَعْنُومٍ)^٣ والمراد بالسماء: سماء الجود الإلهي، وبالارض: ارض قوايل الجود في هذا
 العالم، ويحتمل ان يراد ظاهرهما لأن السماوات بحركاتها شرائط معدة لما يحدث
 في الارض فكنت مبادئ على بعض الوجود لنزول الأمر، فحازنسته السها. ووجه
 التشبه بقطر المطر: أن حصوله لكل نفس مما يختلف بلا صابة وعدمها، وبالزيادة
 والنقصان كما غطر بالنسبة الى الباع وهو تشبيه للمعتول بالمحسوس.

قوله: فدا رأى أحدكم، سى قوبه: فتنة، والعصيرة: لداعة وفيه تأديب لمن حصل
 في حقه التقصير من أحد الامور المذكورة باستهى عن الفتنة بحان من حصلت له الريادة
 في احدهما. ولفتنه: الابتلاء اى: فلا تسي نفسه بعصه وحسده.

قوله: فإن المرء الى قوله: حسه: تنسه على قصبة الإنتهاء عن الفتنة ساحب الامور
 المذكورة فيه على كونها دنايا. بقوله: ما سم يعيش دناءة وما: بمعنى المدة، وكما ملح:
 خبيراً وتظهر صفة لداعة، ويخشع: عطف على تطهر. والكلام في معرض التعليل، و
 معده: ان المسلم مهمالم يرتكب امراً خسيساً يظهر عنه ويرمه بارتكابه الخجل من ذكره،
 والحياء من التعبير به، ويعرى به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله، وقيل: في هك
 ستره به يشبه الصالح الياسر اى: الفاضل اللاعب بالميسر، وهو: لعب محصوص كانت
 العرب تلعب به، وقد شرحنا كميته في الاصل^٤، ووجه الشبه ن الفاضل الياسر قبل فوزه
 في لعبه، يستظر اول فوزه به من قذاحه، وهى الحشبات، آتى يلعب بها، ووجه فوزه انه

١ - العبارة الموحدة بين القومين غير موحدة في نسخة ش.

٢ - سورة النحل / ٤٠.

٣ - سورة الحجر / ٢١.

٤ - ج ٢ / ٧.

يستوجب المغنم في بعض السهام، وينفى عنه بخروجها المعرم، وبعضها يوجب غمماً و غمماً، وبعضها لا يوجب غمماً ويوجب غمماً، كذلك المسلم اسرىء من الخيانة الصابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله في صبره عنها ينظر احدى الحسينين في الدنيا، وما أن يدعوا الله اليه بالقض عن السقاء في هذه الذارفما عدا الله خير له فيعمور اذن بالسعي المقيم.

وما كان مستنزماً لعدم خسارته طهر حسن تشبهه باليامر الفالاح في فوزه المستنزماً لعدم غرمه. و اما ان يفتح الله عليه أبواب رزقه فيصبح وقد جمع الله بين المال والسنين مع حفظ الحسب والذين فيفوز العور العظيم.

قوله: إن الماء، الى قوله: لأقوام: تنبيه على تحقير المعشيات الدنيوية بالنسبة الى متاع الآخرة. قوله: وقد يجمع الله لأقوام: تنبيه على وجوب التوكل على الله اذ كان جمعها غير ممكن لا مه، ثم أكد ذلك بالتحذير مما حذر الله من نفسه ولأمر بالحشية الصادقة البريئة من التعتير وهو اظهار العدم من عرعرته، والعمل لله البريء من لرياء، و جذب اليه ضمير صفراء، قوله: فإنه، الى قوله: له، وتقدير كبراه وكل من وكله الى من عمل له غير الله فهو من الخاسرين، ومعنى شدة استعداء: العش معهم. قوله: أيها الناس الى قوله: غيره: تأديب للاغنياء بالمعوية لشمس لستظم شمل المصلحة من انطرفين، واستدراجهم بصميرين صفري الأول أنهم لا يستعون عنهم، وان كانوا اصحاب ثروة اذ صاحب المال احوح الى الاعوان لمذب عنه، وتقدير الكرى أن وكل من لا يستعنى عنه، فواجب مواساتهم. والحيلة بكسر الحاء وسكون الياء: الحفظ. وألهم لشعته: أجمعهم لما يعرف من حاله، و صفري الثاني قوله: و لسان الصدق الى آخره، وتقدير كراهه وكل ما كان حيرا من المال فلاولى بذل المال لاكتسابه، و لسان الصدق هو لذكر الجمين.

وَمِنْهَا:

أَلَا تَعْدِلُنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَىٰ بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَنْفُسَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَنْقُصْ يَدُهُ عَنْ غَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تَقْبِصُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتَقْصُ مِنْهُمْ عَنْهُ أُيُودٌ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَبِنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال الشريفي: أقول: العصيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الحَمَّ العَمِير، والحماء العَمِير. ويروى «عموة من أهل أومال» والعموة الحيار من الشيء، يقال: أكلت عموة الظم، أي: خبائه، وما أحسن المعنى الذي أرياه عليه السلام بقوله: «وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ، فَإِنَّ الْمُسِيكَ خَيْرٌ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمَسِّكُ نَفْعَ يَدٍ وَاجِدَةٍ، فَيَدَا أَحْتَاخَ إِلَى نُصْرَتَيْهِمْ وَأَصْطَرَّ إِلَى مُرَافَذَتَيْهِمْ فَعَدُّوا عَنْ نُصْرِهِ، وَتَنَاقَدُوا عَنْ صُورَتِهِ فَمُسِغَ تَرْفُذِ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضُ الْأَفْئَامَ الْجَمَّةَ».

أقول: الحصاصة: العقر. وتفصل من تمام ما قبله وحاصله: انتهى عن العدول عن سد حجة الأقرباء ذوى الحاجة بالعامل من المال. وقوله: يرى، فى موضع النصب على الحال وإن كسرهما فى موضع الحر بدلا من القرابة. وقوله: لا يزيد به الى قوله: اهذه، اى: لا يزيد أمساكه فى صلاح حاله ولا يقتص اتلافه من ذلك إذ انفصل الرائد فى حال الاتساد على القدر الذى يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادته ولا نقصانه فى صلاح حاله وفسده فيها. وأما قوله: ومن بمص لى آخره، فقد اشار السيد رحمه الله وهو ظاهر. وقوله: ومن تلن حاشيته الى آخره. نذيب بالتواضع وليس الجانب فإن ذلك يستلزم الألفة من الناس وهى موجبة للمودة.

٢٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَمَعْمَرِي مَا عَنِّي مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابَظَ الْبُغْيَ، مِنْ إِذْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ، وَأَقْضُوا فِي الَّذِي نَهَى لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا غَضَنُكُمْ، فَقُلِّي ضَامِنٌ لِمَسْجِدِكُمْ أَجَلًا، إِنْ لَمْ تُنْتَحَوْا عَاجِلًا.

أقول: الإذهان: المداهة والمصانعة، والإيهان: مصدر اوهته اى: اضعفه. وفى

هذا الفصل رد لقول من يقول أنّ مصاعته عليه^١ السلام لمحاربه أولى من محاربتهم، فقال: أنه ليس يجب عليّ في قتالهم مصانعة من جهة الدين ولا في ضعف عن ذلك، وصفهم بمحاربة العي والبنى لقيام عذر، اذ كان قتال من هذه صفته واجباً، والفرار الى الله: الأقبال عليه وتوجيه السير اليه وهو على مراتب: أولها، الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من أثر عصبه إلى أثر رحمته.

الثانية، أن يفتر العبد عن مشاهدة الأفعال ويرتقى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال، وهي الصفات فيفتر من بعضها الى بعض كما يستفاد من سخط الله بعموه والتسخط والعفو صفتان.

الثالثة، أن يرتقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفتر منها اليها، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين أمر بالقرب في قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^٢ فقال في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك. والعفو كما يكون صفة للعافي كذلك قد يراد به الأثر الحاصل عن صفة العفو. ثم سجد قرب فعني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادرهم وهي الصفات، قال: واعوذ برصك من سخطك، وهما صفتان، ثم لما ترتقى عن مقام مشاهدة الصفات واقترب الى ملاحظة الذات، قال: واعوذ بك منك. وهذا فرار منه اليه، وهو مقام الوصول الى ساحل العبرة. ثم للتباحة في لحة الوصول درجات أخر لا تتناهى.

ولذلك لما قرب ازداد صلى الله عليه وآله قرباً، قل: لا احصى ثناء عليك، وهو حذف لنفسه عن درجة الاعتبار واعراض عن التمجج بزيانة الحق في ذاته، وكان قوله بعد ذلك: أنت كما أنثيت على نفسك، كمالات لإحلاص وتحريراً له، وعند ذلك يقول: إنّ قوله عليه للسلام: وفروا الى الله من الله: أمر بالترقى الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة.

وما نهجه لهم واوضحه: هو التسهيل العدل، والصرط المستقيم، وقد علمت أنّ غاية سلوك سبيل الله بالمادة تطويع النفس الأمانة بالشوق لنفس المظمتة، وحينئذ تعلم

١- في ش بريادة: الصلاة.

٢- سورة النمل / ١٩.

أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الرَّبِّضَةِ. فَأَلَامَرُ بِالتَّقْوَى يَسْتَمِرُّ الرَّهْدُ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ مَعِينٌ عَلَى حَذْفِ الْمَوَانِعِ الدَّخَالِيَةِ وَالْخَارِجِيَّةِ، وَلَا مَرَّ بِسُلُوكِ سَبِيلِ اللَّهِ مَعِينٌ عَنِ تَطْوِيعِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَالْأَمْرُ بِالصِّرَافِ إِلَى اللَّهِ أَمْرٌ بِتَوَجُّهِ السَّيْرِ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ الْأَعْرَاضُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَتَوَجَّهُ نَحْوُهَا الرِّبَاضَةُ الْمُسْتَلَزِمَةُ لِكَمَالِ الْإِسْتِعْدَادِ لِتَوْصُلِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَهَا: فَعَلَيْ ضَامِنٍ لِمَحْكَمِ آجَلٍ أَنْ لَمْ تَمْنَحُوهُ عَاجِلًا. وَالْفَنَاحُ: الْفُوزُ وَالْمَنْحَةُ: الْعَطِيَّةُ، وَذَلِكَ بِشَرْطِ الْإِسْتِعْدَادِ بِزُومِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ.

٢٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِاسْتِبْلَاءِ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلَادِ وَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ عَامِلَاهُ عَلَى الْيَمَنِ، وَهُمَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ نَضْرَةَ لِمَا عَلِبَ عَلَيْهِمَا بِشُرِّ بْنِ أَبِي أَرْطَاقٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَنْبَرِ ضَحْرًا تَتَاقَلُّ أَصْحَابُهُ عَنِ الْجِهَادِ وَمَخْلَعَتُهُمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ، فَقَالَ:-

مَاهِي إِلَّا الْكُفُوفَةَ أَقْضِصْهُ وَنُسْطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَغَاصِيْرُكِ .
فَقَبَّحَ اللَّهُ .

وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَنُوا أَسِيْكَ الْخَيْبِرَ يَا عَمْرُو! إِنِّي عَلَى وَصَرٍ مِنْ ذَا الْإِنْعَاءِ قَلِيلٍ
ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَنْبِئْتُ بِشُرِّ قَدْ أَظْعَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَذَلُّونَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعَصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاغِيَتِهِمْ إِمَامَتَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدْبَائِهِمْ الْأُمَمَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ وَبِضَلَالَتِهِمْ فِي مَلَادِيهِمْ وَفَسَادِهِمْ. فَيَوَاسَمَتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُبْعٍ لَحِيثٍ أَنْ يَذْهَبَ بِعَلَاوَتِهِ! اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَدَّيْتُهُمْ وَمَلَوْنِي وَسَمِّيتُهُمْ وَسَمُّوْنِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهُمَّ مَتِّ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْيَلُوحُ فِي النَّعَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ قَارِيسٍ مِنْ بَنِي هِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ.

هَٰذَا يَلِكْ، لَوَدَّعَوْتُ، أَنَاكَ مِنْهُمْ
ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قَالَ السَّيِّدُ: قَسْتُ أَنَا: وَلَأُرْمِيَةَ جَمْعَ رَمَى وَهُوَ السَّحَابُ، وَلِحَمِيمٍ هَهُنَا: وَقَتِ الضَّيْفِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَحَابَ الضَّيْفِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ جَفُولًا وَأَسْرَعَ حَضُوفًا لِأَنَّهُ لَا مَاءَ فِيهِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ السَّحَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لَا مِثْلَانَهُ بِالْمَاءِ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ إِلَّا فِي زَمَانِ الشَّتَاءِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُم بِالسَّرْعَةِ إِذَا دَعَا، وَالْإِغَاثَةَ إِذَا اسْتَفْثَوْا، وَلِذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ هُنَا لَكَ لَوْ دَعَوْتُ أَنَاكَ مِنْهُمْ.

أَقُولُ: الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْكُوفَةُ وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرُهَا لَكُنْ بِهَا الْمَعْهُودَةُ فِي الْخُطَابِ، وَنَحْوِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَىٰ فِرَاقَهُ لِلشَّوَى)^١ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَيَفْهَمُ مِنَ الْكَلَامِ حَصْرُ مَا بَقِيَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَعْتِمِدُ عَلَيْهَا فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ فِي الْكُوفَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّحْقِيرِ لَهَا دَلِيلُهُ إِلَى مَلِكِ الْإِسْلَامِ، وَقَبْضُهَا وَسَطُهَا: كَمَا يَتَّيَنُ عَنْ وَجْهِهِ لَتَصَرَّفَ فِيهَا. وَالضَّمِيرُ بَعْدَ الْآدِلِ مِمَّا قَبْلُهَا، وَالْجُمْلَةُ الْمَعْنِيَّةُ بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَخَيْرُكَانٍ مَحْذُوفٍ. وَلَفْظُ الْأَعَاصِيرِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً لِأَنَّ الْكُوفَةَ مَعْرُوفَةٌ بِهَيْبَتِ الْأَعَاصِيرِ فَاتَى بِذَلِكَ فِي مَعْرِضِ ذَمِّهَا وَتَحْقِيرِهَا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَعَارًا لَمَّا يَحْدُثُ مِنْ آرَاءِ أَهْلِهَا الْمُحْتَلِفَةِ الَّتِي هِيَ مُنْعِ الْفِتْنَةِ، وَوَجْهِ الْمَشَابَهَةِ الْأَزْعَاجِ وَالْأَذَى وَالِاسْتِصْفَارِ آيَاتِهَا تَمَثَّلُ بِالْبَيْتِ - لِعَمْرَابِيكَ الْخَيْرِ -.

وَوَجْهُ التَّمَثِيلِ أَنَّ الْكُوفَةَ تَشَارِكُ الْوُضْرَ وَهُوَ الْبَدَنُ الْبَاقِي فِي الْإِنَاءِ (بَعْدَ الْأَكْلِ فِي الْقَبَّةِ وَالْحَقَارَةِ فَهِيَ يَقُولُ: إِنِّي عَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَلَوْ ضَرَفِي الْإِنَاءَ)^٢. وَمَنْ رَوَى الْآلَاءُ وَهُوَ شَجَرٌ حَسَنُ الْمَنْظَرِ مِنَ الطَّعْمِ، فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْتَنِي عَلَى بَقِيَّةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَالْقَدْرِ الْحَاصِلِ لِنَظَرِ الْآلَاءِ مِنْ حَسَنِهِ مَعَ عَدَمِ الْإِنْتَفَاعِ بِهِ. وَخَصَّ الْكُوفَةَ دُونَ الْبَصْرَةِ لِأَنَّ جَمْعَهُ مِنْ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَسْكِرِ أَهْلَهَا.

أَقُولُ: انْبَأَتْ شُرُوعُ فِي بَيَانِ عَرْضِهِ وَهُوَ: اسْتِمَارَتُهُمْ إِلَى الْحِجَادِ^٣. وَبَسْرُ الْبَلْسَيْنِ

١ - سورة النمل / ١٦

٢ - الحملة بين القومين غير موجودة في ش.

٣ - في ش: إلى حِجَادٍ عَنْهُمْ.

المهملة: ابن اربعة من أصحاب معاوية. واطلع البحر: غشها. والادالة: العلبة، و ذكر من أسباب ما طرأ وقوعه منهم اربعة من قبهم هي أسباب الانقهار و اربعة من قبل الحصم هي أسباب القهر، ورتب كل أمر عقيب صده ليظهر لهم العنانية بين أعمالهم و أفعال خصومهم. والمعب: قدح صخيم، ودعائه عليه السلام بوجود الأشرار جائز بشرط المصلحة هي تحويعهم بذلك أو لأنه عزم عدم صلاحهم كما دعا نوح عليه السلام على قومه: (إِذْ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي - إِلَى قَوْلِهِ - لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكُفْرِينَ دَيَّارًا) ٢، و كما دعا لوط عليه السلام. والمعيث: الإذابة.

و روى أن اليوم الذي دعا عليهم فيه، ولد فيه الحجاج، وفعله باهل الكوفة طاهر. وقوله: أما والله الى آخره: تحقير لهم بتفضيل غيرهم عليهم ليستثير طباعهم بذلك. وبنو فراس: من تعبد ابوهم غسم بفتح العين، وهو: غسم بن ثعلب بن وائل، وخصهم لشهرتهم بالشجاعة ولحمية. ومعنى البيت هو ما اشار إليه السيد رحمه الله ٣.

٢٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا بَلِّغَ الْبَلِيغِينَ، وَأَمِينًا عَلَى النَّبِيِّينَ، وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ الْقَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي مَرَدِّهِ مُبْجُوحٌ بَيْنَ حِيَارَةِ خُشْنٍ، وَحَيَاتٍ ضَمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدْرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَسْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَضْتَامُ فَيَنْكُمُ مَنُصُوبَةً، وَالْأَثَامُ بِكُمْ مَقْصُوبَةً.

أقول: اقتصر حال العرب وما كانوا عليه في الجاهلية من الشدة وسوء الحال في المعاش والمعاد في معرض الإمتنان عليهم بمقدم محمد صلى الله عليه وآله. وشر دار أرض الحجاز لشدة الحال بها. ومنبجحون: مقسمون. والحية الضماء: قيل: هي التي

١ - في ش يوجد.

٢ - سورة نوح / ٢٦.

٣ - في نسخة ش رحمة الله عليه

لا تنزجر بالصوت كأنها لا تسمع. وقبل: هي الصلبة الشديدة. والجشب: الطعام العليظ الخشن. وقبل: هو الذي لا ادام معه، ومعصوبة: مربوطة.

ومها.

فَسَطَرْتُ قَبَادًا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِيتُ عَلَى الشُّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَحْزِ الْكَظْمِ، وَعَلَى أَمْرَيْنِ ظَعْمِ الْعَلَقَمِ.

اقول: الفصل من حمل اقتصاص حاله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في طلب الخلافة في معرض الشكاية، وأهل بيته بنوهاشم. وصننت: بخلت. والاغضاء: ادناء بعض الجفون من بعض. وكنتى بأخذ الكظم وهو مجرى نفسه. وبالأمر من العلقم: عن العم والتأثر بسبب غلبه على مطلوبه. منها يذكر فيها عمرو بن العاص.

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِيرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُذَّتَهَا، فَقَدْ شَتَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَتَهَا، وَأَنْتَشِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

اقول: الثمن الذي اشترطه عمرو على معاوية بيعته آياه ومشايسته على حرب علي عليه لسلام طعمة مصر، ولم يبايعه حتى كتب له كتابا. والمبتاع: معاوية والبايع لدينه هو: عمرو. وخزيت أمانة المبتاع، يعنى: معاوية فيما وكى من امر المسلمين اذ كانت امانة فى يده. وخزيبها: ذلها وهوانها، ومبايعة عمرو كانت امانة لقيام الحرب فلذلك كتى عنها بقوله: فقد شتَّ لظاها، وعلا سناها، أى: صوءها كناية باستعارة لفظ الترس. وانتشروا الصبر: اتخذوه شعارا.

أَمَّا تَعْلَى، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَاتَ مِنْ أَبْوَابِ الْحَيَّةِ فَصَحَّ اللَّهُ لِبِخَاصَةِ أَوْلِيَّيْهِ: وَهُوَ لِبِاسِ
الْتَّمَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِيصَةُ، وَجُسَّةُ الْوَيْفَةِ، فَمَنْ تَزَكَّ رَغْبَةً عَنْهُ أَلَسَهُ اللَّهُ تَوْبَ الْبَلِّ، وَ
شَمْلَةَ النَّدَى، وَذَيْتُ بِالضُّغَارِ وَلَقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَأُذِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ
بِنُصْبِ الْجِهَادِ، وَبِسِمِّ الْحَقِّفِ، وَبِغِيَةِ النَّصْفِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَنَدَى وَنَهَرٍ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اعْرَوْهُمْ قَتْلَ أَنْ يَعْرِوَكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَرَى قَوْمٌ
مِى عُمْرَ ذَارِهِمْ إِلَّا دَلُّوا قَتْلَكُمْ، وَتَخَذَلْتُمْ حَتَّى شُتِبَ الْعَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمِثَكَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانُ، وَهَذَا أَحْوَجُ مَدِيدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ قَتَلَ حَسَنُ بْنُ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَ
أَرَاتُ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاجِدِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّحْلَ مِنْهُمْ كَانَتْ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمَةِ،
وَالْأُخْرَى الْمُتَاهِدَةِ، فَيَتَنَزَّحُ حِجْلُهَا وَقَلْبُهَا وَرِعَاقُهَا، مَا تَشْتَعِبُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِزْجَاعِ
وَالْإِسْتِزْجَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرَيْنَ مَا سَالَ رَحْلًا مِنْهُمْ كَتَمَ، وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا
مُسْتَبِطًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْمًا مَا كَانَ بِهِ مُبُوءًا، لَنْ كَانَتْ يَدُ عِيْدِي جَدِيدًا؛ قِيَّ عَمَّا - وَاللَّهِ -
يُمِيتُ لِقَدَّتْ وَبَحِيْبُ اللَّهُ أَحْسَنُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَقَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَتُبْحَا
لَكُمْ وَتَرْحَا، حِينَ صِرْتُمْ عَرَصًا يُرْمَى؛ يُعْرُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُعِيرُونَ، وَتُعْرُونَ وَلَا تَعْرُونَ، وَ
يُعْضِي أَسَدٌ وَتَرْصُونَ؛ فَبِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هَذِهِ حِمَارَةُ الْقَيْطِ،
أَمْهِنَا يُسْحَ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشَّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَارَةُ الْمَرِّ أَمْهِنَا
يُسْحَ عَنَّا لَسَرْدُ كُلِّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ فَذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَتُعِيرُونَ فَاسْتَمُوا وَاللَّهِ
مِنَ السَّنَفِ أَقْرَبُ أَشْبَاهَ لِرَّحَالٍ وَلَا رِجَالٍ! خُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُوقُ رَبَائِثِ الْجَبَالِ، لَوْدِدْتُ أَنِّي
لَمْ أَرْكُمُ وَلَمْ أَعْرِفُكُمْ! مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَزَتْ نَدْمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا فَتَلَكُمُ اللَّهُ!! مَعْمَلَانِمْ قَلْبِي قِيَحًا،
وَشَحْنُ صَدْرِي عَيْطًا، وَخَرَقْتُ مُوسَى نَعْبَ انْتَهَامِ أَنْفَسَا وَأَفْسَدْتُ عَلَى زَائِي بِالْعِضْيَانِ
وَالْحِجْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي ظَلِيلٍ رَجُلٌ شُبَّاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِيَمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.
لِلَّهِ أَبُوهُمْ!! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا، مَقَامًا مِثْلِي! لَقَدْ تَهَضَّتْ
فِيهَا، وَمَا بَلَغَتْ الْعَشْرِينَ، وَهَذَا أَنَا فَذَرْتُ عَلَى السَّيْنِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا بَطْءَ!!

أقول: الحطبة مشهورة ذكرها المبرد وغيره، وأشار إلى فضائل الجهاد ترعيا فيه، واستعار لفظ الباب: للدخول به الجنة، ولطمع اللباس والذرع والحنّة وهي: أثرس لأن الإنسان يتقى به العدو، وعذاب الآخرة. وديث أي: ذلّ، ولصغار: الذلّ ولصميم. والقماء: ممدود الحقرة والذلّ أيضا. واسدل الرجل بالبناء: للمفعول إذا ذهب عقله، وعص عن مصالحه، وهو كقوله تعالى: (وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)^١ وأدبل لحق من فلان: غلبه عليه عدوه، وسامه خسفاً أي: أولاه ذلاً. والنصف بكسر الهمزة: الاسم من الانصاف ولزوم الأمور المذكورة عن ترك الجهاد ظهري.

وقوله: ألا وأتى، إلى آخره: ذكر لعرضه وهو الحث على الجهاد، وتوسيع على تركه. وعقر الشيء: أصله، وأحوجاً منه هو: مفيان بن عوف العامدي، وعامد قبيلة من اليمن من أريد، شنوه، وشن العارة واشتها: فرقتها من كل حاسب، والمسلح جمع مسلحة وهي: الحدود ولاطراف من البلاد، يرت فيها أصحاب السلاح كأنهم، والمعاهدة الدمية. والحجل: الخلخل. ولقنب: السوار والزعاث جمع رعة بفتح الزاء والعين وسكونها وهي: القرط. والزعت: يضاً ضرب من الحرز والحلي، ولاسترخاء: ترديد الصوت في البكاء، والاسترحام: مماشدة الرحم، وأمرين: غانمين، والكلم: الحرح. وجدير: أولى. وعجبا: نصب على المصدر والمندى مخدوف أي: يا قوم وبخوه، وكثر المصدر ليحسن وصفه. والترح: العزن. وحمارة أقيط بتشديد الراء: شدة حره. وسمح الحر: فتر. وصبارة القرب بتشديد الراء: شدة البرد، وكسى بالقبح: شدة لئالهم إذ هو غاية ألم العضو. ولحجال جمع حصة وهي: بيت اعروس يزين بالتستور والثياب، ووجه شبه حلومهم بحلوم الأطفال: سرعتها عن أدنى سبب لا يصلح أن يقع به العاقل كحلومهم عن أهل الشام بحدة رفع المصاحف، ووجه شبه عقولهم بحقول ربوات الحجال، أي: النساء صغفها عن أدراك وحوه المصاحف. والسدم: الحرن عن القدم. وشحنتم: ملأتم. والتغب جمع نغبة بضم الهمزة وهي: لجرعة. والتهمام بفتح التاء: التهم. والله أبوه: كلمة من مصادح العرب. والمراس: العلاج. وذرت بتشديد الراء: زدت. وقوله: لا رأى لمن لا بطاع، مثل، قيل: أول من سمع منه هو عليه السلام.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ، وَآدَتْ بِوَدْعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَسْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ؟ أَلَا وَ
 إِنَّ الْيَوْمَ الْمِصْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْأَدْنَى النَّارُ أَفَلَا تَأْتِي مِنْ خُطْبِيهِ قَتْلٌ
 مَيِّتِيهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِيَفْسِيهِ قَتْلٌ يَوْمَ بُوسِهِ؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ
 فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَتْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَعْمَةً عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرِّهِ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَتْلَ
 حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ حَبَسَ عَمَلَهُ وَصَرَّ أَجَلَهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّعْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ؟ أَلَا
 وَإِنِّي لَمْ أَزَكُ لَجَنَةٍ سَأَمَ ظَالِمُهَا، وَلَا كَالِثَارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ
 الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجْزِيهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّذَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ
 بِالطُّغْيَانِ، وَذُلِّتُمْ عَلَى الرَّأْيِ، وَإِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ،
 تَرَوْدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا.

قال السيد رضي الله عنه، وأقول إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا
 ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال، وقادحا زناد
 الاتعاط والازدجار، ومن أعجمه قوله عليه السلام «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِصْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقُ وَ
 السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْعَايَةُ النَّارُ» فَإِنَّ فِيهِ - مع فحمة لفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق
 التمثيل، وواقع التشبيه - سرًا عجيباً. ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «وَالسَّبَقَةُ
 الْحَتَّةُ، وَلِغَايَةِ النَّارِ» فخاف بين اللطيفين لاختلاف المعنيين، ولم يقل «السقة النار»
 كما قال «السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب،
 وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موحوداً في النار، فلو كان باله منها، فلم يجوز أن يقول
 «وَالسَّبَقَةُ النَّارُ» بل قال «وَالْعَايَةُ النَّارُ»؛ لأن العاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن
 يسره ذلك، فصلاح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل،
 قال الله تعالى: (قُلْ تَمَتُّوا قَبْلَ مَصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال:
 مبيتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجب وغوره بعيد. وكذلك أكثر
 كلامه عليه السلام، وفي بعض النسخ، وقد جاء في رواية أخرى «وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ»
 - بضم السين - والسابقة عندهم: اسم لما يحمل للسانك إذا سبق من مال أو عرص،

والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

أقول: هذا الفصل مشتمل على التفسير عن الدنيا والترغيب في الآخرة، والاستعداد لها بالتوبة والاعمال الصالحة. وأذنت: أعلمت بتغيراتها أنها زائلة، ولفظ الوداع: مستعار لذلك وإشراف الآخرة قريبا من كل شخص ونبه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لأجله وهو السباق، وذكر ما يستبق اليه في قوله: إلا وإن اليوم إلى قوله: النار. والمضمان الملة التي تضم فيها الخيل للسباق أي: يعلف ويسمر ثم يرد إلى القوة وهي أربصون يوما، واستعار لفظه: لمة الحياة باعتبار أن الإنسان يستعد فيها بالتقوى لتكامل قوته العقلية فيكون من السابقين إلى لقاء الله كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله.

والسباق: مصدر كالمسابقة، وهو أيضا جمع سبقة كمطفة ونطاف. والسبقة بضم السين وفتحها: ما يستبق إليه من الخطر. ويرى السباق مرفوعا ولا وجه له إلا أن يكون مضافا إليه اقيم مقام مضاف هو الخير أي: وقت السباق، أو أن يكون السباق: جمع سبقة، وكثي بغداد: عن يوم القيامة، وتام المعنى هو ما أشار إليه السيد رحمه الله. وتام في الموضوعين مفعول ثان لا يرى، والمفعول الأول هو المشبه بالجنة أو النار. والتأخر في قوله: وأنه، صمير الشأن، واستعار لفظ القطع: للسفر إلى الله تعالى، بالكفر في ملكوت سماواته وأرضه، وعوالم خلقه. والزاد الذي دلوا عليه: هو التقوى بقوله تعالى: (وتزودوا) الآية. ولما كان حاصل التقوى^٢ يعود إلى خشية الله ولزوم الاعمال الصالحة ولم تكن ذلك إلا في الدنيا بحركات الفكر في العبادة بها وحركات الجوارح بالعبادة فيها قال: في الدنيا من الدنيا، وظاهر أن التقوى يحرز الإنسان نفسه بها من عذاب الله يوم القيامة.

١ - سورة البقرة / ١٩٧.

٢ - الحملة الواقعة بين لقوسين لم تكن في نسخة ش.

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُخْتَبِعةُ أَنْدَانَهُمْ، الْمُخْتَبِعةُ أَهْوَاهُكُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي أَصْنَمُ الصَّلَاتِ، وَفَعْلُكُمْ يُظْمِعُ فَيْكُمُ الْأَعْدَاءُ! تَقُولُونَ فِي الْمَحَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ أَلَيْتَاكَ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيْدًا! مَا عَرْتُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا مَسْرَاحَ قَلْبٍ مَنْ قَسَاكُمْ أَعَالِيْلَ بِأَصَالِيْلَ! دِفَاعَ ذِي الْأَذْنِ الْمَطْطُولِ لَا يَمْتَنِعُ الصَّبْرُ الدَّلِيلُ. وَلَا يَنْدُرُكَ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيْ ذَارَبْتَ دَارَكُمْ تَمْتَعُونَ وَمَعَ أَيْ إِقَامٍ تَقْبَلُونَ؟ الْمَعْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ عَرَزْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَقِيَ بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ أَصْحَحْتُ وَتَبَّ لَا أَصْدَقُ قَوْلُكُمْ، وَلَا أَظْمَعُ فِي نَفْسِكُمْ، وَلَا أَوْعِدُ الْمَذْمُومَ مَا بَلَّكُمْ! مَا دَوَّوْكُمْ! مَا طَبَّكُمْ! الْقَوْمُ رِجَالُ أَمْنَالِكُمْ! أَقُولُ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ وَعَقْلُهُ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَظَنُّهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

أقول: تَبَّهَمُ عَلَى مَا يَسْتَقِحُّ فِي الذِّبْرِ، وَحَسَنَ السَّيْرَةِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، أَمَا أَحْوَالُهُمْ فَاجْتِمَاعُهُمْ مَعَ تَفَرُّقِ آرَائِهِمْ الْمَوْحِبِ لِحُدُوثِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَمَا أَقْوَالُهُمْ فَكَلَامُهُمْ بِوَعِيدِ الْعَدُوِّ بِالْحَرْبِ الَّتِي تَضَعُفُ مَعَهُ الْغُيُوبُ الْمُضَلَّةُ لَطْفَتِهَا صَدَقَهُ، وَاسْتَعَارَ لِفِعْلِ الصَّمِّ مِنَ الْحِمَارَةِ: لِلْقُلُوبِ الْقَوِيَّةِ، وَأَمَّا أَعْمَالُهُمْ فَهُوَ التَّحَاذُّ وَالْفِرَارُ مِنَ الْعَدُوِّ. وَقَوْلُهُ: حَيْدِي حَيْدًا، كَالْمَثَلِ يَقُولُهُ الْعَرَبُ عِنْدَ لَمَرٍّ وَمَفْهُومُهَا: تَمَحَّيْ عَنَّا أَيَّتُهَا الْحَرْبُ، وَهِيَ كَعُولِهِمْ: فَيَحْيِ فَيَاحِ، وَفَيَاحِ اسْمٌ لِلْحَرْبِ. وَأَعَالِيْلَ جَمْعُ أَعَالٍ جَمْعُ عِلَّةٍ: اسْمٌ لِمَا يَتَعَمَّلُ بِهِ وَيَعْتَنَرُ. وَأَصَالِيْلَ جَمْعُ أَصَالٍ جَمْعُ ضَلَّةٍ: اسْمٌ لِلضَّلَالِ، وَأَعَالِيْلَ: خَيْرٌ مِنْهَا مُحَذَّرٌ. أَيْ اعْذَارَكُمْ أَعَالِيْلَ بَاطِلَةٌ سَبِيهَا الضَّلَالَةُ، عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِفَاعٌ: مُصَدَّرٌ وَهُوَ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ بِهِ، وَوَجْهَ الشَّبَهِ كَثْرَةُ الْمُدَافَعَةِ. وَارَادَ بِدَارِهِمْ: دَارَ السَّلَامِ. وَالسَّهْمُ الْأَخْيَبُ، مِنْ سَهَامِ الْمَيْسَرِ وَابْدَى لِافْرَاضٍ فِيهِ وَلَا غَنَمَ بِهِ كَأَنَّهُ تَسْتَسِي أَوْغَادًا وَفِيهَا خَبِيَّةٌ وَغَرَمٌ كَمَا عَلِمَ فِي الْأَصْلِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ: عَنْ حَصُولِهِمْ فِي سَهْمِهِ وَعَدَدِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ. وَالْأَفْوَقُ النَّاصِلُ: السَّهْمُ الَّتِي لَافَوْقَ لَهُ وَلَا تَقْصُلُ، وَاسْتَعَارَ لِفِعْلِهِمْ نَاعْتِيَارَهُمْ لِأَعْيَانِهِمْ بِهَمٍّ فِيمَا يَرِيدُهُ مِنْهُمْ كَالسَّهْمِ الْمَذْكُورِ. وَقَوْلُهُ: بِغَيْرِ عَمَلٍ: وَعَدَهُمْ لَهُ بِالتَّهْوِضِ إِلَى الْحَرْبِ خَلْفَهُمْ. وَرَوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أَيْ: بِغَيْرِ اعْتِقَادٍ لَذَلِكَ، وَلَا بَيِّنَةٍ فِيهِ، وَالْعَقْلَةُ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ هِيَ الْمَذْمُومَةُ إِذَا

قد يعرض لدوى الورع غفلة عن مصالحهم الدنيوية وتكون محمودة لهم ومهم وهم
 الثبة الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: (اكثر اهل الحنة البله) اى:
 سليموا انصدروا من الاهتمام بالدنيا ووجوه تحصيلها، وأراد غفلتهم عن مصلحة الجهاد، و
 طمعاً بغير حق أى: فيما كانوا يتوقعونه منه من التفضيل والريادة على عطانهم كما فعل من
 قبله.

٢٩- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنِّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَقُولَ: خَدَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَدَعَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا
 تَجَامِعُ لَكُمْ أَمْرًا: أَسَاءْتُ فَأَسَاءَ الْآثَرُ وَخَرِغْتُ فَأَسَأْتُ الْخَرْعَ، وَلَيْسَ حُكْمُ وَافِعٍ
 فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَارِعِ.

اقول: مفهوم الفصل التبرى من دم عثمان، والدخول فيه بأمر ونهى^١ فى صورة
 شرطيتين يستنتج منهما نقيض ملروميتهما باستثناء نقيض لازمهما، ولما لزمه عرقته
 فيهما اذ الأمر بالقتل يسمى قاتلاً عرفاً. والتأهى عنه يسمى ناصراً. وقوله: غير أن من
 نصره، الى قوله: خير منى، فهو فى معرض الجواب لمن انكر بحضرته قعوده وجميع اكابر
 الصحابة عن نصرته عثمان.

وقال: أنهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما احترا عليه طعام الأمة وان كانوا أرادوا ان
 الحق قتله، فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك لترفع الشبهة فأجاب به بذلك و
 مفهوم اقصيتين اتى لو سلمت اتى خاذل له فاذ الخاذلين له كانوا افضل من الناصرين،:
 اذ الخاذلون اكابر الصحابة والتصورون بنوامية واتباعهم، وليس لهم ان يدعوا الأفضلية
 على الخاذلين. ولا للخاذلين ان يحترفوا بالمفضولية وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير

١- فى ش: اودعي.

كبراه، وكل من كان حاذوه أفضل من ناصريه لم يجزلائمة خاذليه، وتحصيصهم بالتعنيف امره، لأنهم افضل، والأفضل أولى ان يستتبع.

وقوله: وأنا، الى قوله: الحزج: تنبيه على ان عثمان وقائليه كانوا على طرف الافراط، اما عثمان ففى استبداده، واستيثاره برأيه فيما الأمة شركاء فيه، حتى أدنى ذلك الى قتله، واما قتلوه لافراطهم فى الحزج من فعله، حتى خرجوا عن فصيلة التثبت وما ينبغي لهم من انتظار اصلاح الحال بينهم وبينه. وقيل: اسأتم الحزج عليه بعد قتله، و آثرتم العتنة. وقوله: والله حكم، الى آخره: اشارة الى حكم قدره لما نزل فى عثمان بقتله، وفى قاتليه جزعهم منه، وقتلهم له، او جزعهم عليه، واتارهم امسة بسبه، ويحتمل ان يريد لحكم فى الآخرة بما يلحقها من سعادة او شقاوة. وبالله التوفيق.

ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبدالله بن عباس الى الزبير قتل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه الى طاعته، قال عليه السلام:

٣٠- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لَا تَلْعَلَيْ طَلْحَةَ قَائِمٌ إِنْ تَلَعْتَ تَحْدَهُ كَمَا لَتَوْرَءَ قَصَا قَوْتَهُ يَرْكُتُ الصَّعْبُ وَيَقُولُ: هُوَ أَدْلُولُ. وَلَكِنْ أَلْقِ الرُّبَيْرَ فَإِنَّ أَلْسِنَ غَيْرِكَةَ قُلْنَ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي يَلْحِجُّزِ وَأَسْكُرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَعْنَى «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

أقول: قوله، عاقصا قريته: هو وجه الشبه بالثورة وكتى به عن تكبره وخشوبة جانبه، واصراره على الحرب. والعقص: التواء القرنين. وكتى بقوله: يركب، الى قوله: الدلول: عن تهوئه فى ركوب الامور الصعبة. والعريكة: الطبع وكان الرمير ليس طبعا، وذكر

١ - بزيادة: الصلاة. في نسخة ش.

٢ - في نسخة ش بزيادة: الصلاة.

التسب تذكيراً بالرحم وكونه ابن حله لأن صفية أم الزبير اخت ابي طالب وبنت
عبدالمطلب. وقوله: فما عدا مما بدا: مثل يضرب لمن يفعل فعلا باختياره ثم يرجع عنه
وينكره، والمعنى: فما جاوزتك عن بيعتي مما بدا لك وظهره من الأمور. وقيل:
المعنى: فما صرفك ومعك عن ما كان بدامتك من اطهار طاعتي وبيعتي.

٣١- وَمَنْ حُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصَحَّحْنَا فِي ذَهْرِ عُرُودٍ، وَرَمَيْنَا كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُخْشِرُ مُسِيئًا،
وَوَرَدَ فِي الظِّلِّ عُنُودًا، لَا تَنْتَفِعُ بِمَا غَلِمْنَا، وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا جَهَنَّا، وَلَا تَحْشَوْ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ
مَنَا قَانَسُ عَلَى أَرْتَعَةِ أَصْدَفٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْتَعُهُمُ الْفَسَادُ إِلَّا قَهَانَةً نَفْسِيَّةً، وَكَلَالَةً حَلَبَةً،
وَنُضْفُضُ وَفَرَهُ: وَمِنْهُمْ الْمُضْلِيُ لِنَفْسِهِ، وَالْمُعِينُ بِشَرِّهِ، وَلَمْ يُجْلِبْ بِحَلَبِهِ وَرَجَلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ
نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، يُحْطَمُ بِتَهَرُّهِ، أَوْ يَفْتَبُ بِقُوْدِهِ، أَوْ يَتَبَرَّ بِقُرْعَتِهِ. وَلَيْسَ الْمُتَجَرُّ أَنْ تَرَى
النُّبْيَا لِنَفْسِكَ قَسَمًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ،
وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا: قَدْ طَامَنَ مِنْ شَحْصِهِ، وَقَارَتْ مِنْ حُطُولِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ،
وَرَحَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّحَدَ مَسَرَّ اللَّهِ ذُرِيَّةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ: وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ
الْمُنَى صُورُهُ نَفْسِيَّةً، وَأَسْقَطَ سَبِيَّهُ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِشِمِ الصَّنَاعَةِ، وَ
تَرَبَّنَ بِبِلَاسِ أَهْلِ الزُّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَعْدَى. وَبَقِيَ رَجُلٌ غَضَّ
أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَادَ ذُمُّهُمْ خَوْفُ الْمُخْشِرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيذِ نَادٍ وَخَدِيفِ
مَقْمُوعٍ، وَسَاكِبِ مَكْغُومٍ، وَدَاعٍ مُجْلَبِصٍ، وَتُكْلَانِ مُوَجِعٍ. قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ النَّفْسِيَّةُ، وَشَمَتَتْهُمْ
الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرِ الْجَارِحِ، أَمْرَاهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرَحَةٌ. وَقَدْ وَعَدُوا حَتَّى مَلُّوا، وَ
فُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقِيلُوا حَتَّى قَالُوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَغْبِيكُمْ أَضْفَرَمِينَ حُدَالَةَ لَقْرِيطٍ وَ
قُرْصَةَ الْحَلَمِ، وَاتَّبِعُوا بَعْنَ كَدَنٍ فَتَكُنْكُمْ، قَلَّ أَنْ يَتَّعِطَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَأَرْفُصُوهُ دَمِيمَةً:
فَأَيُّهَا رَفِصَتْ مَنْ كَانَ أَشَقَفَ بِهِ مِثْلُكُمْ.

قال السيد رضى الله عنه: وهذه الخطبة ربما نسها من لا علم له إلى معاوية، وهى
من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه، وأين الذهب من الزعام، والذهب

من الأجاح؟ وقد دلّ على ذلك الدليل الحرّث، ونقده التقد الصبر عمرو بن محر
الجاحط؛ فإنه ذكر هذه الحطة هي كتب البيان والتبيين، وذكر من نسها إلى معاوية،
ثم قل: هي بكلام عني عليه السلام أشبه وبمذهبه في تصيّف الناس. وبالجملة
هم عنه من القهر والإدلال، ومن التقيّة والخوف. أيقّ قل: ومتى وحدا معاوية في
حال من الأحوال يسك في كلامه مسك الرهاد، ومذهب المبدأ؟!!

اقول: العبود: الجئر، والكود: الكفور، والعمو: لكبر، وامارة: الحطب العظيم. و
نسبة الحير إلى معص الأرملة، والشّر إلى معصا نسبة صحيحة لأنّ لرماء من الأسباب
المعدّة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الحوادث ولأمر المعودة خير وشراً. وقد
تفاوت الأرملة في الاعتداد لمبوب الخير والشرف في معصا يكون بحسب الاستقراء الحير
غالب خصوصاً في زمن قوّة الدين وتوميس اشريعة انظمة للعالم، وفي معصا يكون
الشّر غالباً. وعُدّ لمحسن مسيئاً كالمتصّدق مرأياً وزيادة عتو الطالم اي: تخيره لصعب
سلطان اللّتين، وعدم تنافع العالم بعينه مع عدم عمنه عني وفق عمنه، وعدم سؤال
الجاهل عمنه جهله لقنة الرغسة في علم والانتفاع به، وعدم تحوّل الناس من الأمر
المخوف حتّى يترد بهم، كناية عن عدم فكرهم فيما يصلح حال عاقبتهم وهو ايماء إلى
ما يستقلونه من فتنة بنى امية وغيرها.

فما قسمته للناس فسياقها إلى آخر الكلام، يقتضى خمسة اقسام وانما افرد الأربعة
لاشتركتها في غرض الدّم وافرد الخامس لاحتصاصه بالمدح، ووجهه أنّ الناس إمّا
مريدون لآلينا اوبه، والأولون إمّا قدرون عليها أو ليس، والثّاني إمّا غير محتالين لها أو
محتالون، والثّاني إمّا يؤتمنوا انفسهم لملك والامارة أو ليس فهذه اقسام خمسة. فلأول،
المريدون للآلينا العادرون عيها، وهم: المشار اليهم في القسم الثّاني من قسمته بقوله:
فمهم المصلّت إلى قوله: يصرعه، وهم آآدين اطفوا عيان النفس من الشهوة والعصب في
تحصيل ما تحيونه كمالاً. واصلات الشيف: تجريده وكسّ به عن التعب والقهر بالظلم و
غيره. والإجالات بالخنس وارجل كناية عن: جمع اسباب انظم وانغسة، وشرط نفسه:
اعلمها وبصها لذلك حتّى صار معروف به. وأوتق ديه: اهكمه. والحطام: متاع الدنيا،
والانتهاز: الإحتلاس والإستلاب بسر الإمكان. واليقّتب بكسر الميم وفتح الون: الجمع

من لحيل. وخرج المنبر وافتتحه: علاه.

وخصص الأمور لثلاثة لأشها الأغلب في مطلب الدنيا. وقوله: ولبس المتجر، الى آخره: تنبيه لهذه الصف على خسرانهم في افعالهم الشبهة بالتحذرة الخسرة. الصنف الثاني، المریدون لها غير القادرين عليها ولا محتالين لها وشار اليه، بقوله: ومهم من لا يمنعه الى قوله: وفرة، وكفى: بكلال حذره عن عدم صراحته في الامور وضعفه عنها، ونضيض وفرة: قلة ماله.

الصنف الثالث، غير القادرين عليها مع احتيالهم لها واعداد انفسهم لاموردون الملك، و اشار اليهم بقوله: ومهم من يطيب الدنيا بعمل الآخرة: بالعادة رداء و سمعة قوله: الدنيا، وتطاً منه من شخصه: دخوله في شعار الصالحين، وسترائه الذي حمى به اهل التقوى من موارد الهكة قد يتزياً به غيرهم ويجعلونه ذريعة الى معصيته، و زحرف من نفسه زيتها.

الصنف الرابع، غير القادرين عليها، لمحتالون لها المؤهلون انفسهم للملك ولا مرة، و اشار اليهم بقوله: ومنهم من افعه الى آخره، وضئلة نفسه: حقارته، وتحيل العجز عن المطلوب، وانقطاع لسبب كفة الماء وعدم الاعوان، وقصرته الحال اى: حال القدر على حاله التي لم يبلغ معها ما اراد، فلزم الحيلة الجاذبة لرغبة الحلق اليه من التحلى بالقناعة، والثرتين للباس الزهد، وكفى: بكونه ليس من ذلك في مراح ولا مغدق عن كونه من الزاهدين في شئ.

الصنف الخامس المریدين لله تعالى، و اشار اليهم بقوله: وبقى رجال، الى آخره، وغض أبصارهم ذكر المرحع اى: كفهم عن الالتفات الى الدنيا لاشتغال سريرتهم بأحوال الآخرة. والشرید الساد: المطرود الذهب لوجهه، إما لانكاره السكر اولفة صبره على مشاهدته. ومقموع: مذلل مهوود والكعام: شئ يجع في قم البعير عند الهياج، فاستعار لفظه للساكت خوفاً كأنه شدة فوه. وثكلان: موجه إم لمصده في الذين اولكثرة اذاه من الظالمين. ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحال المتقين بالنسبة الى خوف المحشر ذفن كل منهم ما هذه صفته. واستعار لفظ البحر الاجاج: لما هم فيه من الدنيا وأحوالها، باعتبار عدم التداهم بها فهي كالبحر المالح عند راكبه، لا يلتذ به وان

أسهده العطش. وضامزة بالزاء المعجمة ساكنة، ومن روى بلراء فأراد أنها: ذاهبة لكثرة صيامهم وبعد افواهم من المصغ. وقرح قلوبهم لخوفهم من الله. ولحالة: الشغل. والقرظ: ورق السلم يدبغ به. والحلم: المقص. وبالله التوفيق.

٣٢. وَمَنْ حُطَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسيره لقناله اهل البصرة.

قال عبدالله بن العباس رحمه الله: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بنى قارو هو يصف لعله فقال لى: ما قيمة هذه العل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لى أحب إلى من إمرئكم إلا أن أقسم حقاً، أو أدفع باطلاً، ثم خرج فخطب الناس فقال:-

إِنَّ اللَّهَ تَعَثَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ آسَاسٌ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَتَلَّعَهُمْ مَنَاجِنَهُمْ فَاسْتَقَمَّتْ قَنَاتُهُمْ، وَأَطْمَأْنَنَتْ صَفَاتُهُمْ. أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَعَى سَاقِيهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ بَحْدَافِيرَهَا، مَا صَفَعْتُ وَلَا حَبَّيْتُ وَإِنْ مَسِيرِي هَذَا لِيُمِثِّلُنَا فَلَا تُقْبِلُ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِينِهِ، مَالِي وَلِقَرَّتْ نَفْسِي! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَا قَاتِلَتُهُمْ مُقْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ: كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ!

اقول: ذو قار موضع قريب من البصرة. وخصف العل: خرزه.

وأنما لم يكن العرب يومئذ تقرأ كتاباً لأن ما كانت اليهود تدعيه من التورات، والتصارى تدعيه من الانجيل، ليس هو ما انزل على موسى، وعيسى، مهما لتبذيلهما و تحريفهما، او اراد بالعرب جمهورهم وكانوا معظمة وعبداء اوثن. وقوله: فساق الآس: الى غايتهم من الاسلام بعضاً بالترغيب وبعضاً بالترهيب. ومحلتهم: منزلتهم فى الناس التي ساقهم القدر اليها. ومنجاتهم: هو الدين والاسلام، اذ هو محل نجاتهم من عذاب الله. و كنى باستقامة قناتهم: عن استقامة دولتهم وانتظام امورهم. وباطمئنان صفاتهم عن

١- بزيادة: لصلاة. في ش.

استقرارهم في دارهم، وثبات احوالهم بعد اضطرابها. والضمير في ساقها: لكتائب الحرب. وتولت بهذا فيرها اي: بأجمعها وهو مع قوله: وإن مسيرى هذا، لمثلها في معرض التهديد بالحال السابقة له. وكنتى بنقيب الباطل: للعاية المذكورة عن ازاحتها، و تخليص الحق من شائيه. وقوله: مالي و لقريش: استفهام انكار لما يسه وبينهم مما يوجب معاندته وجحد فضله. وقوله: والله الى آخره: توبيخ برذيلة الكفر في معرض ذكر سبب قتالهم لظهور عذره فيه، وتهديدهم بالقتل على الفتنة في الدين وتذكيرهم انه ذاك المجهود مكروه اللقاء.

٣٣- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في استنصار الناس إلى أهل الشام

أَفْ لَكُمْ، لَقَدْ سَمِعْتُ عَنَّا بَكُمْ!! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ أَدْنِيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا؟ وَبِالذَّلِّ مِنَ الْإِزْخَالِ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جَهَدٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي هَمْرَةٍ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي مَسْكْرَةٍ، بُرِّحَ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَنَتَهُمْ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالِوَمَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِشَقَّةٍ سَجِسَ إِلَيَّ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُتَمَكَّلُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرٍ يُعَزَّرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٍ ضَلَّ رُغَايَاهَا، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ، لَيْسَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تَكَاذُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَصِفُونَ لَا يَتَأَمُّ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي عَقْلٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَحَاذِلُونَ، وَأَنْتُمْ إِلَهُ إِنْ لَأُلْظُنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حِمَسَ الْوَعَى وَاسْتَحْرَأَ الْمَوْتُ قَدْ انْتَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي ظَالِمٍ الْفِرَاجِ الرَّاسِ. وَاللَّهِ إِنْ أَمَرَأَ يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرَى جُلْدَهُ؛ لَطِيمٌ عَجَبُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَارِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالسُّرْفَةِ نَظِيرُ مِثْلِ فَرَّاشِ الْهَامِ، وَتَطْيِخُ السَّوَاعِدِ وَالْأَفْدَامِ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْتَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ قِيَّتِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْتَمَا تَعْلَمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ

فَالْوَدَّ بِالْيَتَمَّةِ، وَالتَّصِيحَةَ فِي السَّهْدِ وَالْمَوْبِ، وَالْإِجَابَةَ جِئْنَ أَذْعُوَكُمْ، وَالظَّاعَةَ جِئْنَ أَمْرُكُمْ.

أقول: هذه الخطبة بعد وقعة الحوارح بالتهروان.

وَأَفْ: كمة تضجس، وغمرة الموت؛ سكرته. والدَّهول: السهو، ويرتج: ينفق. ولحوار: الخطب، وتعمهول: تتخبرون، وسما لوس: المبحون محنط العقل. وسجيس اللَّيلى: ابتداء مدى السبالي. والروفر جمع زافرة وزافرة الرحمن: انصاره. وسعر جمع سعي، واسعار البار: تهتها. والامتصاص: العضب. وحمس الوغى: اشتد الحرب، وشبه انفراجهم عنه عند اشتداد الحرب: بانفراج الرأس عن البدن في عدم عودهم اليه. وقيل: بانفراج بعضى عضائه (عطامه) عن بعض. وقيل: انفراج من يريد ان يتحول رأسه. وعرفت للحم عرقه، بالصم: اذا لم يبق على العظم منه شيئا. والمشرفة: سيوف منسوبة الى «مشارف»، قرية في ارض العرب تدوا من اربيف. وفرش الهام: العظام الرقيقة تلى القحف.

ومدار الفصل على توسيحهم معودهم عن دعائه الى قبال عدوهم، ودمتهم الى الحموب والدلة، وتحويل عاقبة الأمر واعذاره اليهم في خروجه مما وجب عليه لهم مع تحمهم عن اداء ما وجب عليهم له، والمصل واضح.

٣٤- وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد استحكيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الذَّهْرُ بِالْحَطَبِ الْقَادِجِ، وَالْحَدِيثُ الْجَبِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إلهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. أَمَّا بَعْدُ، فَبِئْسَ مَعْصِيَةُ النَّاصِبِ الشَّقِيقِ الْعَالِمِ الْمُخَرَّبِ ثَوْرُ الْحَسْرَةِ، وَنَقِيبُ الذَّمَّةِ. وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُكُمْ فِي هَذِهِ لِحُكُومَةِ أَمْرِي وَتَحَلُّتْ لَكُمْ مَحْرُونٌ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطْعَمُ لِقَصِيرِ أَمْرِي فَأَيُّتُمْ عَلَيَّ إِيَاءَ الْمُحَالِيسِ الْخُدَةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْقُصَاةِ، حَتَّى آتَاكَ النَّاصِبُ بِقُصْدِهِ،

وَضَنَّ الرِّئْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:-
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّحِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَبِيحُوا الضُّحَ إِلَّا ضُحِيَ الْغَدِ

اقول هذه الخطبة بعد ان بلعه تمام حيلة عمرو بن العاص، على ابي موسى الا شعري في الحكومة.

والخطب: الامر العظم. وفدحه: أنقله. ومفهوم قوله: و ن أتى، انحمد على كثر حال. وقوله: لو كان يطع لقصير أمر: مثل يضرب لمن يخالف الناصح فيندم. وقصير هذا: هو قصير بن سعد اللخمي مولى جدية الابرش، بعض ملوك العرب و صله: ان جدية كن قتل أبا الربء ملكة الجريرة، فبعث اليه ليتزوجها حيلة عليه، وسأله القدوم عنها فأجابها الى ذلك وخرج في ألف فارس وخلف بقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدى، وكان قصير اشار الى جدية ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جدية من الجزيرة استقبله جنود الربء بالعدة، وسم يرمهم^١ اكراماً له فثار عليه قصير بالرحوع عنها فسم يقبل، فلما دخل عليها غدرت به وقتته فعندها قال قصير: لا يطاع لقصير امر، فذهبت مثلاً لكل ناصح غصي، وهو نصيب في رأيه، وارتاب الناصح بنصحه، يعنى: نفسه لا يطابق اصحابه على محالته لان المشوريات امور مظونة^٢ وقد يتغير الطق بتغير الامارات. وقيل: يحمل ذلك على المباينة، لانه عليه السلام منعه عن الشك فيما رآه صواباً.

وقوله: وَضَنَّ الرِّئْدُ بِقَدْحِهِ، قيل: هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده. والبيت لدريد ابن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها:

نصحت لعارص واصحاب عارض

وانما قل: اخو هوازن: لنسبه اليهم، فان دريد بن الصمة من بني جشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن، كقوله تعالى: (واذكر أحادعادي)^٣ ووجه تمثيله نفسه معهم بهذا القائل

١- في نسخة ش يرمهم.

٢- في ش: مصونة

٣- سورة الاحقاف / ٢١.

مع قومه اشتراكهما في التصيحة و عصيانهما المستعقب لبدامة قومهم و هلاكهم، والذى كان اشار به عليه السلام هو: ترك الحكومة، والصبر على قتال اهل الشام.

٣٥- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في تحويف أهل الهروان

قَتَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُضَيِّحُوا صَرَغِي بِإِنْتَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْمَبْطِغِ عَلَى غَيْرِ رِيَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ فِيمَا مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ إِذَا رُؤِيتُكُمْ أَلَيْسَ بِمَقْدَارٍ وَقَدْ كُنْتُ نَهَشْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبْنَيْتُمْ عَلَيَّ إِيَاءَ الْمُنَادِيَةِ الْمُسَابِغِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَجْدَاءِ الْهَامِ، سَفَهَاءُ الْأَخْلَامِ وَلَمْ آتِ لَكُمْ إِلَّا بَلَاءٌ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضَرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الذين قتلهم بالهروان، وقد كان الفضاء الأعلى سبق فيهم بما كان من الحروب على لسان الرسول صلى الله عليه وآله. روى أنه بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بنى تميم يقول له دول حويصرة، فقال: اعدل يا محمد، فقال صلى الله عليه وآله: قد عدلت، فقال: بالله اعدل، يا محمد، فأنت لم تعدل، فقال صلى الله عليه وآله: وياك من يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر: يا رسول الله انذ لي في ضرب عنقه، فقال: دعه فسيخرج من ضنفي هذا قوم يمرقون من الذين كما يمرق الشهم من الزمية، يخرجون على خير فرقة من الناس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، و صومكم عند صومهم يقرؤون القرآن لا يتحاوروا و تراقبهم، فيهم رجل اسود محدج اليد احدى يديه كأنها ثدى امرأة وبضعة، قديقلته اولى المريقين بالحق.

و عن عائشة، عن الرسول صلى الله عليه وآله: يقتلهم خير الحق والحليقة واقربهم الى الله وسيلة، و الاهضام جمع هضم وهو المظمت من الارض. وكذلك العائط: ما سفل منها. و طوحت بكم أى: توهبكم. و اراد بالذان الكوفة، و اوطانهم بها كأنها قد فهم و رمت بهم المرامى. و احتلبهم المقدار: وقعوا في حباله. و استعار وصف

الاحتفال: لاحاطته بهم، وعدم خلاصهم من حكمه، وحقه الهام: كناية عن رذيلة الطيش. والتسفة: ضد الحسم. وقوله: لا أبأ لكم، قال الجوهري: كلمة مدح. وقيل: كلمة ذم. وقيل: دعاء يلدل لكونه لارما دعاء لاب. والبحر: الأمر العظيم.

٣٦- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بحرى مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ جَيِّسَ قَبِيلُوا، وَتَطَعْتُ جَيِّنَ تَعْتَمُوا، وَصَفْتُ جَيِّنَ تَسْمُوا وَمَضَيْتُ بِبُورِ
 آلِهِ جَيِّنَ وَقَسُوا. وَكُنْتُ أَحْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قُوًّا فَطَرْتُ بِسَائِيهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ
 بِرَهَانِيهَا، كَمَا الْجَبَلُ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْغَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَرٍّ وَلَا
 لِيَاثِلٍ فِي مَعْمَرٍ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى اتَّخَذَ الْحَقُّ لَهُ، وَالْقَوَى عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى اتَّخَذَ
 الْحَقُّ مِنْهُ، رَصِينًا عَنِ اللَّهِ قَصَاعَةً، وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَوْنٌ مِنْ صِدْقِهِ فَلَا أَكُونُ أَوْنٌ مِنْ كَذْبِ عَلَيْهِ. فَتَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا
 طَعَنِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْتِي، وَإِذَا الْبَيْثَاقُ فِي عُنُقِي لِعَبْرِي.

أقول: قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة انتطها الرضى رحمه الله من كلام طويل، قاله بعد وقعة الشهرون ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقت.

الاول، قوله: فقمتم بالامر، الى قوله: برهانها، وفيه ذكر فصيحته بالنسبة الى سائر الصحابة، وهى استجاعة والذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى موضع الحاجة حين ضعفهم وجبهم. ثم البلاغة والفصاحة عن مشكلات الذين حين تمتعوا، وكتى عن قيامه بذلك: بلطوى. والتعنتة: الاضطراب فى الكلام عن العى، والحصرتم التطلع وهو: الاشراف من عدل، وكتى به: عن الاهتمام العالى بما ينبغى تحصينه، ولقيام فيه من لجهاد فى دين الله حين تقبّعوا عنه. والتقع: التقبض. وقع القمعة اذا أدخل رأسه فى جلده. وكتى به: قصورهم وقعودهم عن مقاماته، ومضيت بنور الله قيل: فى جملة

سورة براءة، وهى نور الله للمشركين حين وقف عنها كثير من الصحابة، ويحتمل ان يريد مصيب في سبيل الله عن نور العدم حين وقف عنها كثير من الجاهدين وعمى عن مواردها، وكفى بكونه احفضهم صوتاً؛ عن رباطة جأشه في الامور وثباته فيها، ومن كن كذلك كان اشد سباً في المعالى، واغوى سباً في درجات الكمال، بحيث لا يالحق. ومثل نفسه في ذلك بالمجرى في البرهان لدى لا يشق غباره.

واستعار وصافه من الطيران بالنعان والاستبداد بالزهر ن. واضمير فيهم للمفضلة التى يسبق عليها.

الثانى، كالجبل، الى قوله: آخذ الحق منه، ويحكى قيامه بأعباء الخلافة حين انبهاها اليه، وجريه فيه على قانون العدل، وشبه نفسه في الثبات على الحق بالجبل، و اشار الى وجه الشبه بقوله: لا تحركه، الى قوله: العواصف، والمهمز والمعمز: العيب.

الثالث، قوله: رضينا عن الله قضاءه، الى قوله: كذب عليه. قيل: ذلك فى معرض تفرسه فى طائفة من قومه اتهم يتهموه فم يحرمهم عن السبى صلى الله عليه وآله من الامم المستقلة، حتى كن فهم من يوحه يدك. وذكر الرضا باعضاء: تسلياً لنفسه عن هذا التكذيب باسناده الى القضاء بالإلهي.

الرابع، قوله: فظرت، الى آخره، وفيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين: انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وانه كان معهوداً اليه لا يبازع فى امر الخلافة بل ان حصل به بالرفق والآ فيممسك. فقوله: فاذا طعنى قد سبقت بيعتى، اى: طاعنى لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرنى به من ترك القتال. قد سبقت بيعتى لنقوم فلا سبيل الى الامتناع منها لادائها الى المشقة.

قوله: واذا الميثاق، اى: ميثاق رسول الله وعهده الى بعدم المشاققة. وقيل الميثاق: ما لزمه من بيعة ابى بكر بعد وقوعها اى: فاذا ميثاق القوم قد لرمى.

الاحتمال الثانى: ان يكون ذلك فى معرض تصجره من ثقل اعباء الخلافة، ويكون المعنى اتى نظرت فاذا طاعة الحق لى قد سقت بيعتى منهم، واذا ميثاقهم قد صار فى عفى فلم اجد بُدّاً من القيام بأمرهم.

١ - زيادة كلمة: صلى الله. عي ش.

٣٧- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَنَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ شَهْرَهُ لَهَا تَشْبِيهُ الْحَقِّ: فَأَمَّا أُولَئِكَ اللَّهُ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْبَقِيَّةُ،
وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهَدَى، وَأَمَّا أَغْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمْ لَنَمَى، فَمَا يَنْجُو
مِنَ الْمَوْتِ مِنْ حَاقِهِ، وَلَا يُغْنِي لِبَقَاءِ مَنْ أَحَبَّهُ.

أقول: استعار لفظ الضياء لليقين بالله ورسوله، وما جاء به من الغيب، باعتبار
هدايتهم بذلك في طريق الحق كضياء. ولفظ اندبيل: لمقصود هدى الله في سبيله،
باعتبار هداية المقصد لهم كاللدليل للهادى. وتحوز بلفظ الضلال في المضل، وهو:
دعاء الكفار بطلان اسم الآدم على مدومه، واستعار لفظ العمى: للجهل. ولفظ الدليل
له باعتبار كثرة قائدهم الذى به يفتقدون. وقوله: فما ينحو، الى آخره: يشبه ان يكون
كلما منقطعاً عما قبله.

٣٨- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُحِبُّ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَالُكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِضَرْمِ
رَبِّكُمْ؟ أَمَّا دِينَ يَحْمَعُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةَ تُحْمِسُكُمْ أَقْوَمُ مِنْكُمْ مُسْتَضْرِحًا، وَأَنَا دِينُكُمْ مُنْعَوًّا،
فَلَا تَسْمَعُونَ لِى قَوْلًا، وَلَا تُبِيعُونَ لِى أَمْرًا، حَتَّى يَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا
يُذَرِّكُ بِكُمْ ثَانٌ وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَّجْتُمْ جَرَّ جَرَّةِ الْجَبَلِ
الْأَمْرِ، وَتَدَقَّلْتُمْ تَسَاقُلَ النَّصْرِ لِأَذْرِهِ، ثُمَّ حَرَّحَ إِلَى مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَثِّبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا
يُسْقَوْنَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ).

قال السيد رحمه الله: قوله عليه السلام، متذائب، أى: مضطرب من قولهم تَذَاعَبَتِ
الرياح، أى: اضطرب هبوبها. ومنه سَمِيَ الذَّبُّ ذُبًّا لاضطراب مشيته.
أقول: منيت: ابتليت. وتحمسكم: تعصبكم. والعوث: طلب التصرة بالتداء.

والنار: الذحل. والحرجرة: ترديد اصوات البعير عند عصفه. والسر: داء يأخذ البعير في سرته. والتصو: البالي من تمب السير. واستعار لهم وصف الحرجرة: باعتبار تضجرهم من دعوتهم الى الحرب. وشبه ذلك منهم بحرجرة لجمل الاسر، وتشاغل التصو الادبر، اى: في شلة التصحر والصعف^١.

٣٩ - وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى الحوارح لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله؛ قال عليه السلام:

كَيْفَهُ حَيَّ يُرَادُ بِهَا أَنْ يَطْلُ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا نَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ تَرَوْا قَاجِرٍ، يَقَعْنَ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيَتَلَعَّ اللَّهُ فِيهَا الْأَخْلَ، وَيُجْنَعُ بِهِ الْفَقِيرُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَ يُؤَخَذُ بِهِ لِلصَّيْبِ مِنَ الْقَوَى حَتَّى يَسْتَرْجِعَ نَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ قَاجِرٍ.

وفى رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع نحيبهم قال: حُكِّمَ اللَّهُ أَنْتِظَرُ فِيكُمْ. وقال: - أَمَا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ قَبِعْمَنْ فِيهَا التَّقَى؛ وَأَمَا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ قَبِعْمَنْ فِيهَا الشَّقَى، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مَدَّتُهُ، وَتَذَرِكُهُ مَبِيتُهُ.

أقول: قول كلمة حق اى: هذه كلمة حق ارادوا بها باطلا، وهو انه ليس لمعبد ان يحكم بغير ما نص كتب الله عليه، فان اكثر الاحكام الفروعية غير مصوص عليها مع انها احكام الله، بل يكون منتزعة بحكم الاجتهاد. وقوله: نعم: تقرير لحقيقتها، ولما كان من لوازم اعتقادهم انه لا حكم غير ما نص الله عليه نفى الامر لان استنباط الاحكام والنظر فى وجوه المصالح، من لوازم الامرة التى هى حال الامير فى رعيته، ونفى اللأزم يستلزم نفى الملوم، ولما كانوا قد نفوا الامر قال: ولكن هؤلاء يقولون لا امرة وكذبهم، بقوله: ولابنة لسان الى آخره. وجملة الكلام فى صورة قياس استثنائى، هكذا، اذ قالوا: لا حكم إلا لله كما تصوره فقد قالوا بنفى الامر لكس اللأزم باطل، فالقول بنفى الحكم

١ - كلمة: والصعف. غير موجودة في نسخة ش.

الآله كما تصوّروه باطل.

وقوله: لابد في قوة استثنائي: نقبض لازم المتصّصة، وطبيعة وجود هذا العالم يشهد
مضرورة الحاجة الى إمام كما قال الشاعر:
تُهدى الامور باهل الرأي ما صلحت
فان تولّت فبالأشرار تنقاد
وقوله: حتّى يستريح، غاية من قوله: ويقا تل به العدو الى قوله: من القوى. والبقى
ظاهر.

٤٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَامُ الصَّدَقِ، وَلَا أَعْلَمُ جَنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَمَّ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَ
لَقَدْ أَضْبَحْنَا فِي زَمَانٍ، قَدْ اتَّحَدَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعَدْرَ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى خُسْنِ
الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقَسْبَ وَجَهَ لِحِيلَةَ وَدُونَهُ مَنِيعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ
فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِرُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

أقول: الوفاء فضيلة نفسانية يشأ من لزوم العهد الذي ينبغي والبقاء عليه. والصدق:
فضيلة تحصل عن لزوم الأقوال المطبقة، وهما داخلتان تحت فضيلة العفة فلذلك استعار
لهما لفظ التوأم، باعتبار اقترانهما تحت فضيلة واحدة ونشوءهما عنها كالأتم. وقوله: ولا
اعلم جنة أوقى منه، أى: ليس الفصائل المتعلقة بالمعاملات، والشركة المدنية شئ
أشدّ وقاية من عذاب الآخرة منه. فانه اصل عظيم يستلزم فصائل كثيرة. والحنة: ما
استترت به من سلاح، ولفظه مستعار. وقوله: ولا يغدر، الى قوله: المرجع: لأنّ علمه
بكيفية المعاد الى الله يستلزم إمتناعه مما يعد منه من رديلة الغدر ونحوها. وخصّ الغدر
بالذكر: لأنّه في معرض مدح الوفاء.

وَلَصَدَّ تَطَهَّرَ حَسَنَةُ الصَّدِّ

وقوله: ولقد، الى قوله الحيلة: ذلك لعدم تمييز أكثرهم بين الغدر والكيس

١ - هي ش هذه الكلمة سابقة.

لاشتراكهما في لطمع لوجه الحيلة والجداع، وأن تمسير العذر بأنه استعمال القصة في تحصيل وجه حيلة يخالف العادى البشرعى والمصلحة العامة. والكيس يتميز باستعمال الذكاء فى استخراج ووجه المصالح التى تسعى والوقوف عليها، ونسبة ساس لهم الى الكيس، وحس الحيلة كما نُسبت عمرو بن العاص ومعووية، ولم يعلموا أنه لا حير فى حيلة حرت الى الرذيلة. وقتال الله بهم: ابعادهم عن رحمته. والحوّل للقلب: كثير التحوّل والسنّب فى سلباط لآراء اضمالحة ووجه لمصالح، واراد نفسه فان فطسته فى ذلك اتم المظن لكن محافظه على حدود الله تحجزه عن كثير من التصرف، فيترك الحيلة رأى عيه خوفا من الله. وانتهار الفرصة: لمبادرة الى الامر وقت امكانه. والحريجة: لتحز من الحرج، وهولاً ثم.

٤١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَسْكُمْ أَنْ يَنْتَبِعَ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُضِلُّ عَنْ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَجْرَةَ، أَلَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَتْ حَذَاءً، قَدْ بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا صَبَاةٌ كَصَبَاةِ الْإِنَاءِ أَصْطَفَتْهَا صَدَّقُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْأَجْرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا نَسْوَنَ، فَكُونُوا مِنْ أَتْسَاءِ الْأَجْرَةِ، وَلَا تَكُونُوا أَتْسَاءَ الدُّنْيَا قَدْ كُنَّ وَلَيْسَتْ حَقٌّ بِأَمْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ لِيَوْمَ عَمَلٍ وَلَا جِسَاتٍ، وَغَدَ جِسَاتٍ وَلَا عَمَلٍ.

نقّر عن اتباع الهوى وطول الأمل، بصميرين صغرى الاول، قوله: واما الى قوله: اتّباع الهوى، وهو طاعة لله. وصغرى لذنّى قوله: واما، الى قوله: الآخرة. وأراد طول الأمل فى الدنيا وتفسير الكبرى فهما، وكل ما كد كذلك فالواجب تركه، ومن الصغرى يتبين أنهما اخوف ما يسعى لى يخاف. وحذاء: خفيفة مسرعة لا يتعلّى احد منهما شئ. والصبابة: بقية الماء فى الإناء، واستعار لمطلها: لم يبق لكل من الدنيا. ولفظ «البنون»: لناس، ولفظ «الأم»: للدنيا والآخرة، باعتبار رغبة أهل الدنيا إليها واهل الآخرة إليها.

١ - فى من صغرى.

كالولد لأُمِّه، وأمرهم أن يكونوا من أهل لآخره لأنها أفضل، وهون صح مشفق، وشه على ذلك بضمير صغراه قوله: فَإِنَّ إِلَى قَوْلِهِ: الْقِيَامَةُ.

ولما كانت الدنيا يومئذٍ بمعزل^١ عن الحس: كان احتيارها منها لاستلزام ذلك عربة أهلها، وشقاؤهم بعدها، وتقدير الكسرى وكل من سيلحق بأُمِّه يوم القيامة فلا بد أن يستعد لها بما يقرِّبه منها، ويصلح حاله معها ليأمن سوء الحظ^٢ ويزول عنه بؤس الغربة. وكسَى باليوم: عن مدة الحياة، وبعد: عما بعدها. ويوم اسم أن وخبرها محذوف اقيم عمل مقامه أي: وقت العمل. وكذلك قوله: وَغَدًا حَسْبُ: وفائدتهما التشبيه على وقتي العمل وعدمه لغاية المبادرة إليه وقت مكانه.

٤٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد أشار عليه أصحابه بالإسعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي

إلى معاوية

إِنَّ أَسْبَغْدَايَ يَخْرُبُ أَهْلَ الشَّامِ وَخَرَّبَ عَنْدهُمْ إِعْلَاقَ لِسْتَمَ، وَصَرَفَ لِأَهْلِهِ عَنْ حَبِيرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلَكِنْ قَدَوْتُ لِحَبِيرٍ وَقَفًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْلُوعًا أَوْ غَاصِيًّا. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَافِ قَارِوْدُوا، وَلَا أَكْرَهَ لَكُمْ الْإِعْدَادَ وَلَقَدْ صَرَّيْتُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ وَعَيْنُهُ، وَفَتَّيْتُ ظَهْرَهُ، وَنَظَّنُّهُ، فَلَمْ أَرَلِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَإِلِ أَخَذْتُ أَخَذْتُ، وَأَوْجَدَ لِنَّاسٍ مَعْلًا، فَقَالُوا، ثُمَّ تَقَمُّوا فَمَيَّرُوا.

قول: إنما كن استعداده إغلاقاً للشام حينئذ، لأن أهل الشام حين كان جرير عندهم في مقدم التروى في اتبعه أو مخالفته، فلودهمهم بالاستعداد لبلعهم ذلك واصرروا على التحالف، وذلك مصداق للحرم، وإنما حصر جرير في الماسعين المذكورين لأن الموانع الاختيارية إنما منهم وغالب الظن هو خداعه حتى يستحكم أمرهم، وإنما منه و

١ - عبارة، في نسخة عن

٢ - في ش: انظر.

غالب الظن عصيانه اذ لا يتصور من جرير في مثل هذا الأمر لهم أن يعدل عنه الى شغل احتياري لنفسه او لغيره الا أنه يكون عاصيا، وقوله: ولرأى، مع الأناة: لأنها مظنة الفكر في الاهتداء الى وجوه المصالح. وارودوا: امهوا، ونه بقوله: ولا اكراه لكم الإعداد، على ان يكونوا في يده من هذا الأمر او على الاستعداد الباطن. واستعار لفظ العين، والانف، والطهر، والبطن: لوجوه الاراء الثلاثة بحاله معهم في الحرب ولتسم، وإنما يلزم من ترك قتلهم الكفر لأنه حيث يكون راضيا بوقوع المكرات مع قدرته على انكارها و متهاونا بأمر الله ورسوله فيها وذلك كفر.

وقيل: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أمره بقاء الساكين، والفسطيين، و المارقين، فكان تركه محالمة لما علمه بالضرورة من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو كفر. وقوله: إنه قد كان، التي آخره: تبينه على وجه عذره عما نسب اليه معذرة من دم عثمان، و اراد بالوالي: عثمان والاحداث التي كان أحدثها هي ما نسب اليه من الامور التي انكروها، وأوجد لئس مقلداً ي: جعل لهم بتلك الاحداث محل قول في حقه، فقالوا ثم انكروا ما فعل فعبروه، والمسهور من تلك الاحداث عشرة ذكرناها في الاصل^١.

٤٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، وكان قد ابتاع سبي منى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه، فسما طابه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:-

فَحَ اللَّهُ مَضَقَّةً فَعَلَ فِعْلَ السَّدَابِ، وَفَرَّوْا زَالِ الْعَبْدِ، فَمَا أُنْظِلَ مَدِيحُهُ حَتَّى أَشْكَنَهُ، وَلَا صَدَقَ وَصِيَّهُ حَتَّى يَكْتَنَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لِأَحَدِنَا مَبْسُورَةٌ وَتَنْظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَةٌ.

أول: مصقلة هذا: كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خرة^٢. وسنو ناجية:

١ - الشرح الكبير ٢/ ١٤٤.

٢ - معجم البداه ١/ ١٤٦.

قبيلة كانوا على دين النصرانية فأسلم كثير منهم؛ ثم ارتدوا عن الاسلام فقتل منهم معقل ابن قيس وكن بعثه عليه السلام اليهم في الفى فارس، وسى بعضهم فاجتزأ بالسبى عى مصقية فاستعدوا اليه، فاشتراهم بخمسمائة الف درهم، ونفذ بعض المال، ثم خاس بعصه اى: لم يف به فبعث عليه السلام يشهده ويطالبه فهرب الى معاوية. وقبحه الله: نجاه عن لخير. وفعله فعل السادة: نخوته على الاسارى و شراؤهم. وفراره فرار العبيد: هربه. وقوله: فما انطق مادحه حتى اسكته: تبيكت له بسرعة الحاقه الفضيلة بلرذيلة حتى كنه جمع بينهما، وهما انطاق مادحه بدائه الاسرى مع هربه قبل تمام انطاقه، و تصديقه لواصفه: بفعل الحميل مع فعل القبيح الذى كن كذبه به ولامه على مدحه. والتبيكت: كالتهريج والتعنيف. وفوره: زيادته.

٤٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَحْمَدُ بْنُ غَيْرٍ مَقْنُوطٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَحْلُوفٌ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٌ مِنْ مَعْفَرَتِهِ، وَلَا مُشْتَكِفٌ مِنْ عَيْبِ دِينِهِ، أَلَيْدِي لَا تَنْزُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْعَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالْدُّنْيَا ذَارُ مَنِي نَهْ الْفَنَاءِ، وَلَا هَيْهَامِئِهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوفٌ حَضِرَةٌ، وَقَدْ عَجَلْتُ لِطَالِبٍ، وَالنَّبِيْتُ بِقَبْلِ النَّازِرِ، فَارْتَجِلُوا عَنْهَا مَا خَسَنَ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الزَّادِ: وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفِّ، وَلَا تَنْظُلُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

أقول: القبوط: اليأس. والاستكفاف: الاستكبار. ومنى: قلدر وكنى محلاتها وحضرتها عن زيتها بمتاعها. والتست بقلب الناظر اى: خالطت قلبه بمحتها. واحسن ما يحضركم من الراد: التقوى والاعمال الصالحة. والكفاف: ما كف عن المسئلة. والبلاغ: ما بلغ مدة الحياة والفصل ظاهر.

٤٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عرمة على المسير إلى الشام

اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَغْثِ السَّفَرِ، وَكَآثَةِ الْمُنْتَقِبِ، وَشَوْءِ الْمُنْتَظَرِ، اِيْ الْاَهْلِ وَالْمَالِ. اَللّٰهُمَّ اَنْتَ اَصْحَابُ فِى السَّفَرِ، وَاَنْتَ الْحَلِیْمَةُ فِى الْاَهْلِ وَلَا يَخْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِاَنَّ الْمُسْتَحَلَفَ لَا يَكُوْنُ مُسْتَضْعَبًا، وَالْمُسْتَضْعَفُ لَا يَكُوْنُ مُسْتَحَلَفًا.

أقول: وعذ السمر: مشقته وتعبه. والكتابة: الحزن، وفي قوله: ولا يجمعهما غيرك. تربيته الله عن الحقة، والحسبة اذ كان اجتماع الامرين في الجسم الواحد محال كما علّله عليه السلام.

٤٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ذِكْرِ الْكُوفَةِ

كَانَتْ بِكَ يَا كُوفَةُ ثَمَدَيْنِ مَدَّ الْأَدِيمُ الْعُكْطَى، تُعْرِكِينَ بِالتَّوَارِي، وَتُرْكَبِينَ بِالرَّلَازِلِ، وَإِنِّى لَأُعْظِمُ اللَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارُ سُوءٍ إِلَّا أَجْلَاةُ اللَّهِ بِشَاغِلٍ، وَرِقَاءُ يَفْتَلٍ.

أقول: الخطاب لشاهد الحال الكوفة دى: كفى حاضريك ومشاهدك. وتمتين وتعركين وتركبين أحوال. واستعار وصف المد والعرك لفعل الظلمة بأهدها كفعل دابع الأديم من مده وعركه ووجه الشبه شدة المد. وعكاظ: اسم موضع مناحيه مكة كانت العرب تجتمع به كل سنة ويقيمون به سوقاً مدة شهر، ويتناشدون الأشعار ويتناخرون وفي ذلك يقول ابو ذؤيب:

اذا بنى القباب على عكاظ
وقام السبيع واجتمع الألوف
ورفع ذلك سلاسلهم، والمصائب والفتن التى وقعت بالكوفة مشهورة، والجبابرة الذين ارادوا بها سوءاً مثل زياد بن ابيه، روى انه كان جمعهم في المسجد لسب

عليّ والبراءة منه، يتلبهم بذلك ويقتل من يعصيه فيه، فيأهم محتمعون ذخرج حاحه
فأمرهم بالانصراف وقال: إنّ الأماير مشغول عنكم، وكذا قدرمي في تلك ابحال والصالح. و
مهم ابيه عبيدالله، وأصابه الحذام. ومهم الحجاج وتولنت في نطنه الحيات واحترق
دبره حتى هلك. ومهم عمرو بن هبيرة، وابنه يوسف ورميا بالبرص. ومنهم خالد
القسري وصرى وحبس حتى مات جوعاً. ومن رمى بالقتل عبيدالله بن زياد لعنه الله،
ومصعب بن الزبير، ويزيد بن المهلب، والمختار بن ابي عبدة الثقفي، وأحوالهم
مشهورة.

٤٧- وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند المسير إلى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُنْزًا وَقَبْلَ لَيْلٍ وَغَسَقٍ، وَتَحْمِيدُهُ كُنْزًا لَاحِ نَجْمٍ وَخَفَقٍ، وَتَحْمِيدُهُ عَيْرٍ
مَقْشُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافِءِ الْإِفْصَالِ.
أَمْ بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدَّمِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِالرُّومِ هَذَا الْمَلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ
أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْمَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوْطِئِينَ أَكْدَفَ ذُجْلَةٍ، فَتُهِصَّهُمْ مَعَكُمْ لِي
عُدْوَكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْنَادِ لِقْوَةِ لَكُمْ.

قال الشريف: أقول: يعنى عليه السلام بالمطاط لسمت الذى أمرهم بنزوله وهو
شاطئ الفرات، ويقال ذلك لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعنى
بالنظفة ماء العرت. وهو من غريب العبارات وغريبها.

أقول: حمد لله تعالى باعتبار تكرر وقتين ودوام حالين. وقب الليل: دخل. و
وغسق: ظلم. وخفق السحيم: غب. ومقدمته التى بعثها هي زياد بن النضر، وشرح بن
هاني، هي اثني عشر ألف فارس. والشردمة: المعر اليسير. والاكاف: النواحي. و
موطين بكسر الطاء: مستوطنين وأراد اهل امدائن.

الْحَسْبُ لِلَّهِ الْبَدِي تَقْلَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَذَلَّتْ عَنِّيهِ أَعْلَامُ الظَّاهِرِينَ وَامْتَنَعَ عَنِّي عَيْنُ
التَّصْيِيرِ؛ فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُشْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُصِيرُهُ؛ سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ شَيْءٌ أَعْلَى
رُتَبُهُ، وَقَرُبَ فِي الْأَشْيَاءِ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلَا أَسْتَعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا
قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَخْجُضْهَا عَنْ وَاجِبِ
مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ
الْمُشْهُونَ بِهِ، وَالْحَاجِدُونَ لَهُ - عُنَا كَبِيرًا.

اقول: بطوره لخصيات الأمور: نفوذ علمه تعالى فيها، يقال: بطئت الأمر إذا علمت
باطنه. واعلام ظهوره: آياته وأثره الظاهرة في العالم الدالة على وجوده الطاهر في كل
صورة منها كقوله تعالى: (مَثَرِيهِمْ آيَاتِي فِي الْأَوَاقِي وَفِي أَنْفُسِهِمْ) الآية. وكونه لا ينكره
عين من لا يبصره لشهد دته فطرته بحجته الى مذهب حكيم، وكذلك لا يبصره قلب من
اثبتته: لا يبصره بعين حسه أولا تدرك حقيقته، وفي هذين السليين: تنبيه على الفرق
بين مدركات العقل، ومدركات الحس، إذ ليس كل معقول يجب أن يكون محسوسًا،
والسلطان: متلازمان متماكسان، وسبقه للأشياء في العلوه هو: السبق بالشرف والعلوية
دون المكاد والجهة والزمان، وقربه لها من دبوها منها قربه بعلمه وجوده، وتصريفه لها
بخفي لطمه، وهو أقرب الى العبد من نفسه لعلمه بهادونه، ولم يباعده عن شيء من
خلقه استعماله عنه، إذ ليس علوه مكانيا ولا قربه يساواهم في المكان به إذ ليس قربا
حسيا، وعدم اطلاع العقول على تحديد صفته إما لأنه لا صفة له فيحدة، وإلأنه لا يتناهى
اعتبار صفاته، وقد سبق بيانه، ولم يحجب العقول عن واجب معرفته، لشهادة فطرها
بوجود صانعها وهو: القدر الواجب الضروري بها. ولفظ اعلام الوجود مستعار
لآثاره الموجودة الدالة على وجوده، وكمال قدرته وعلمه.

وأما قال: على إقرار قلب ذى الجحود: لأن كثيرا من الناس ربما جحد بطريق

عادته أو تربيته، كالمعظمة، وعبدة الاصنام، فإذا راجع قلبه أو نبه عليه عاد معترفاً بوجوده. وروى أن زنديقا دخل على الصادق عليه السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فأعرض عليه السلام عنه، ثم التفت إليه وسأله من أين أقبلت وما قصتك؟ فقال الزنديق: أتيت كنت مسافراً في البحر فعصفت علينا الريح وتعبت بنا لأمواج فانكسرت سفينتنا فتملقت بساحة منها، ولم يزل الموج تقلبها حتى قذفت بي إلى الساحل فبحوت عندها، فقل له عليه السلام: أرايت ألدى كان قلبك إذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم الأمواج فزعاً إليه محلصاً له في التضرع طلباً منه انشراحاً؟ فهو إلهك، فاعترف الزنديق بذلك، وحسن اعتقاده وذلك من قوله تعالى: (وإذا متكم لصرفي البحر) الآية. وبالله التوفيق.

٤٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدَأُوا فُتُوحَ الْيَمِينِ أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ، وَأَحْكَامُ تَشْتَدُّ، يُحَالِفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَنْهَا رَجَالٌ رَخَالًا عَلَى غَيْرِ دِينٍ شَوْ، فَيُؤْأَنُّ الْبَاطِلَ خَبَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُتَرَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ تَبَسِ الْبَاطِلِ سَقَطَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُتَعَادِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ، وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيُزَجَّجَانِ فَهَتَايَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوَّلِيَّةٍ، وَ يُتَحَوَّلُ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى.

أقول: لما كان نظام العالم أنما هو بوجود الشرائع والسنن الإلهية، وكذا هي مبادئ نظامهم فيما خالفها من الآراء المبتدعة والأهواء المتبعة أن يكون أسباباً لأحزاب العالم، وبعدها للمفسر كآراء البغاة وأخوارج. وقوله: فلو، إلى آخر قوله: المترادين: إشارة إلى سبب اتباع الناس للآراء الفاسدة وهو امتزاج الباطل بالحق، فإن المقدمات إذا كانت كلها باطلة تبين فساد الحجة بأدنى متقى، ولم يخف على الصالحين فسادها، ولو أن الحق، إلى قوله: المترادين: وذلك لوضوح الحق حينئذ. والضغث: النقطة

من لحشيش وبحوه، فاستعمر لفظه، للنصب من الحق والباطل، وذئب كشبه قتل عثمان الى تمسك بها الكنود، والفاصول، فان فيها مقدمة صادقة هي: كون امام المسلمين قتيلاً مصوماً، ومقدمة كدنة وهي: نسبة ذلك القتل اليه عبه السلام، ثمرة بأنه اجلب عبيه، ونارياً بأنه حذله، وهذا لك اي: عند مزاح الحق والباطل فيستوي الشيطان على اوليائه، فيزي لهم اتبع من ينق بلك الشبهة وبحوها، وينحون من سبقت عناية الله له بتمييز الحق من الباطل، وبالله التوفيق.

٥٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما علب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شربة

المرات بصفين ومنعوههم الماء

قَدْ اسْتَظَعُمُوكُمُ الْيَمَانَ فَأَفِرُّوا عَنِّي مَدَلَّةً، وَتَأْخِرُ مَخْنَةً؛ أَوْرَوْا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْا مِنَ الْمَاءِ؛ فَلَمُوتٌ هِيَ حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَبِئْسَ مُعَاوِيَةَ قَاذِلُكُمْ مِنَ الْعَوَاذِ. وَتَعَسَّرَ عَنْهُمْ أَحْسَرُ، حَتَّى جَعَلُوا تُخُوزُهُمْ أَعْرَاضَ الْمَيِّتَةِ.

اقول: استعار وصف الاستطعام لطلبهم القاتل بالتحرش بهم، والمحنة: المزالة وتأخيرها عن ربة أهل الشرف والنجاعة. وقرع ترك القتال بضمير صغراه قوله: فلموت، الى قوله: مقهورين. واراد موت الذئب والفهر وتقدير كبره، وكل من كان فيه الموت فيسبقي أن يهرب منه، ورغب فيه بضمير صغراه، قوله: والحياة في موتكم قاهرين. واراد حياة العربيين العرب والذكر الحميل بالحمية لله، وتقدير اكبرى وكل من كانت فيه الحياة فيسبقي ان يرغب فيه. واللمة بالتحفيف: الجماعة القليلة. وعمس بالتحفيف والتسديد: عني وليس، واخبر شهة عثمان وقتله.

٥١- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بجري محرى الحطة وقد تقدم محتارها برواية وندكرها ها برواية اخرى لتمايز الروايتس

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ وَأَتَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَذْبَرَتْ حَدَّاءَ فِيهِ تَخْيِيرُ
بِالْقَاءِ مَسْكَانِهَا، وَتَحَدُّو بِالمَوْتِ حَيْرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرُ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَ
كَبِيرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَسَمِيقٌ مِنْهَا إِلَّا سَمَنَةٌ كَسَمَلَةٍ إِلَّا ذَاوَةٌ، أَوْ خُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْتَةِ،
لَوْ تَمَرَّزَهَا الصَّدِيقَانُ لَمْ يَنْفَعُ، فَأَرْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّجُلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا
الرُّوَالِ، وَلَا تَعْيِسْكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ، فَإِنَّهُ لَوْ حَسَبْتُمْ حَبِيرَ النُّوَلَةِ
الْمَعَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِتَهْدِيلِ الْحَقَامِ، وَجَارْتُمْ حُورَ مُسْتَسْرِ الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، أَلَيْتُمْ الشُّرْبَةَ إِنَّهُ فِي أَرْبَعِ دَرَجَةِ عَذَابٍ، أَوْ غُفِرَ سَيِّئُ أَحْصَانِهَا
كُنْهَ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَبِيلًا وَمَا أَرْحَلُكُمْ مِنْ شَوْبِهِ، وَأَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ عَقْدِهِ.
وَاللَّهُ لَوْ أَمَانَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْيَمَاءًا، وَسَلَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ
عُزِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بِأَقْبَى، مَا خَرَبَ أَعْمَالُكُمْ، وَلَوْ تَمَّ شُغْلُكُمْ مِنْ جَهْدِكُمْ، أُنْعِمَ
عَيْنُكُمْ الْعِظَامَ وَهَدَاهُ إِلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ

اقول: كذبت: اعلمت. وتنكر معروفها: تنكر ما يأنس به كل واحد منها ويعرفه و
تذله وقتنا فوقتنا وحالنا وحالنا من صحة وجاه او مال ونحوه. وحذاء: حفيضة مسرعة
لا يدركها احد، واستعار لفظ الحفر وهو السوق الحثيث ووصف الحذاء لها باعتبار
سوقها لاهبها الى غايته منها وهو الموت، ومصاحبتها لهم كالسائق والحادى. ومرارة ما
كان حلوًا منها وتكسيرا ما كان صموا بالقياس الى كل شخص من أهلهما كالحصنة
بالقسم، والندة بالأم. ولسملة بفتح الميم: البقية من الماء فى الاناء. والمقلة بفتح الميم
ومكون الفاف: حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص.
والتمزق: تمزق الماء قبل ان يفسد. ولصدقان: لعطشان. ونقع يقع: سكن عطسه: وقد
شبه بقيتها ببقية الماء فى الاناء، ونبه على وجهه لشبه بقوله: لو تمرزها الصديقان لم يقع،

وكتبت به: عن عايد قنتها، وقنة السماء فيها. ولازماع: تصميم العزم ولوحيل عنها اي: بالسعر الى الله. وقوله: فوالله، الى قوله: عقابه: تنبيه على عصيم ثواب الله وما ينسى ان يرحى منه، وعنى عظيم عقابه، وما ينبغي ان يحاف منه.

وؤله ابحال جمع وايه، وعجول، وهما: من الأبل والسوق التي تفقد اولادها. وهديل الحمامة: نوحها. ولجوز الصوت المرتفع، والتبيل: الاقطاع الى الله بالاحلاص، والمعنى: ان الذي ارحوه من ثوابه لمستقر اليه مكم اكثر مما يتصوره المستقر اليه بتقربه بجميع اسباب القرية. ولذى اخافه من عقابه اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بذلك، فيسمى لطلب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكيتته في انتقرب الى الله، ليصل اى ما هو عظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده.

وينبى لهارب اليه من ذنبه ان يخلص في الفرار اليه ليخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسية، فان الامر فيما يرجى ويحذف من امر الآخرة اعظم مما يتصوره عقول البشر مادامت في عالم الغربة. وقوله: وتالله، الى آخره. تنبيه على عظمة نعمته تعالى على الخلق، في نه لا يمكن جرائها بأبلغ السعى. وإنما تملأ قلوبكم: ذابت خوفا منه. والعمة: مفعول حزت، وهاء في محل الصب عطفا عليه، وافرد الهدى بالذكر وان كان من نعم الله لشروه د هو لمقصود من كل نعمة افاضها الله تعالى على عباده.

٥٢- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في ذكر يوم النحر وصفة الاصبعية

وَمِنْ كَلَامِ الْأَصْحَابَةِ أَشْتَرَأْتُ أَثِيهَا، وَسَلَامَةً عَنْهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُصْبُعُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كُنْتُ عَصْبَاءَ الْقُرْبَى نَجَرْتُ رَجَتَهَا إِلَى الْمَمْتِكِ.

قول: اشترا ف ادبها: طولها، وكسى به عن: سلامتها من اقطع او نقصان الخلقة.

١ هي ش برادة. انه يصل اليه

ولعصبه: مكسورة القدر الدخيل. وكنى بحررحها عن: عرحها. والمنسك: موضع النسك، والتقرّب بذبحها.

واعلم أنّ المعتبر فيها سلامتها عما ينقص قيمتها، وظهر أنّ العمى، والعور والهزال، وقصع الأذن تشويه لحسبقتها، ونقصان فى قيمتها، دون العرج وكسر القرن، وفى فضتها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما من عمل يوم النحر أحب إلى الله عزّ وجل من اريقة دم، وأنها لتأتى يوم القيامة بقرونها واصلافها، وإنّ الدم لقع من الله بمكان قبل أن يقع إلى الارض فطيبوها نفوساً).

فكنت الصحابة رضى الله عنهم يبالعون فى الثمان لهدى والاصاحى، وافصلها: أعلاها ثمناً، وانسها عند أهلها. روى أنّ عمر أهدى نحيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله، أن يبعها ويشتري بثمنها بدناً، فهد عن ذلك، و قال: بل اهدها. وسردك أنّ المقصود تطهير النفس وتركيتها عن رذيلة البخل، وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم)^١ و ذلك بمراعاة الفضة فى القيمة، لاكثره العدد وللحم فليس العرض ذلك.

٥٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَكُوا عَلَى تَذَاكِّ الْإِمْلِ الْهَيْمِ نَوْمَ وَرَدَهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا زَائِعِيهَا، وَحَقِيقَتْ مَثَائِبُهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيٌّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَى. وَقَدْ قَبِئْتُ هَذَا الْأَمْرَ، بَطْنَةً وَطَهْرَةً، فَمَا وَخَدْتُنِي يَسْتَفْنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَسَّنٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ.

اقول: الفصل اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم، من قتال اهل الشام، وكن عليه السلام يتوقّف عن قتلهم انتظاراً لانجذاب^٢ بعضهم الى الحق الذى

١ - سورة الحج / ٣٧.

٢ - هي ش: لى

هو العرص الكنى لسارع. والمدكة: المزاحمة وشه رحامهم عليه حيثئذ بزحام لابل،
وهى: العطاش حين يطفقها رعائتها من مثايبها يوم ورودها ووجه اشبه شدة لزحام.
والثانى جمع مشاة وهى: الخيل يثنى ويعقل به البعير.

وقوله: وقد قست، لى قوله: أهوب: كناية عن تقيبه روحه الاراء المصلحية
فى القتال، وتركه والكفر اللآرم عن تركه لاستلزام تركه التهاون بأمر الله ورسوله بقتال اهل
البغى، والعقاب هو اللآرم عن ذلك الكفر فى الآخرة. وموتات الدنيا: كناية عن شدائد
الحرب، وقيل: لاقرباء ولاحقاء، وموتات الآخرة كناية عن تكرر عذابها ودوامه.

٥٤- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُنْ ذِيكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبْأَلَى أَدْحَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ
الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللَّهِ مَدَفَعْتُ الْحَرْبَ تَوْفًا إِلَّا وَأَنْ أَظُنُّ
أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتِكُنِي بِي، وَتَعْتَسِبُنِي صَوْنِي، وَذِيكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى
ضَلَالِيهَا؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِثَأْمِهَا.

اقول: هذا الفصل كذاذى قلبه، وسببه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوّا
عليه فى ذلك حتى سبه بعضهم الى المعزو كراهية الموت. وبعضهم ابى الشك فى
وحيوب قتالهم، فآورد سؤل الاولين واجاب عنه، بقوله: فوالله، الى قوله: الى. وأورد
استؤال الثانى، وأجاب عنه بقوله: فوالله ما دفعت الى آخره. وعشا الى النار، استدلل
عليها بصرضعف، وعبائمه: رجع به. وقوله: احب خير مبتداء محذوف أى: وذلك احب. لك

٥٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَمُشُّ بَابًا وَأَبْنَاءَنَا وَخَوَّانَنَا وَأَعْمَامَنَا؛ وَمَا

يَرِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَنُسْلِيَةً وَمُصِيبًا عَنِّي اللَّقْمَ، وَصَرًّا عَلَى مَضَضِ اللَّأَمِ، وَجِدُّ فِي حَيْدِ
 الْعَدُوِّ. وَنَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ غَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَدُّوْنَ الْمَخْلُوسِ، يَتَحَالَسَانِ
 أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ: قَمَرُهُ لَنَا مِنْ غَدُونَا، وَمَرَّةٌ لِعَدُونَا مِثًا، فَسَمَّا
 رَأَى أَنَّهُ صِدْقًا أَرَكْنَا يَغْدُونَا لَكَيْتَ، وَأَرَكْنَا غَلَبَتَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا حِرَانَهُ،
 وَمُسَوِّيًا أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ يَدَيْنِ عُمُودٌ، وَلَا أَحْضَرُ لِلْإِيمَانِ عُمُودٌ،
 وَأَيُّمُ اللَّهُ لَتَحْتَلِيَنَّهَا دَمًا وَلَتُسَيِّعَنَّهَا نَدَمًا.

أقول : صدر الفصل بيان صنع الصحابة رضي الله عنهم في الجهاد، كيف تدى بهم
 السامعون في ذلك . واللقم : مهج الطريق الى الله تعالى . ويتصاولان : يحمل كل منهما
 على الآخر مرة . والكست : الإذلال . وكسى بإفقاء جبرانه : عن استقراره وثباته، وحران
 العير : مقدم عنقه من مذبحة الى منحرة . وتبؤا وطنه : استقر فيه ، واستعار لفظ الاوطان :
 لقلوب المؤمنين وبلادهم . ولمظ العمود : لاصل السين . ووصف احضار العود : لبضارته
 في القيوب ، ووصف احتلال الدم لأفعابهم : ملاحظة شهها بركة التي أصيب ضرعها
 بتفريط من صاحبها . وبالله التوفيق .

٥٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأصحابه

أَمَّا إِنَّهُ سَيَطْهَرُ عَنْكُمْ بَعْدَى رَحْلٍ رَحْلٍ لِبُلْعُومٍ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ
 يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَفَعَلُوهُ؛ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ إِلَّا وَبِهِ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي : أَمَّا السَّبِيُّ
 فَسُبُونِي؛ فَإِنَّهُ إِلَى زَكَاةٍ، وَلَكُمْ نَحَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَبْرَأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وَلِيْتُ
 عَلَى الْبَيْطَرَةِ، وَسَقَفْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ.

أقول : الخطاب لاهل الكوفة قل اكثر الشارحين : المراد بالرجل معاوية لانه كن
 طبياً كبير بالأكل . والمندحق : البارز . وروى أنه كان يأكل لى ان يمل ويقول : ارفعوا

فوالله ما شبعنا ولكن مللت وتعبت، وكان ذلك بدعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله سبق عليه^١. روى أنه بعث إليه مرة فوجدوه يأكل، فبعث إليه ثانية وثالثة فوجدوه كذلك فقال صلى الله عليه وآله: اللهم لا تشع بصة، ولبعضهم في وصف آخر بالأكل فقال: وصاحب لي بطشه كالسهاوية كسأن فني أمعائه معاوية وقيل: هو زياد بن أبيه، وقيل: هو الحجاج. ورخص عليه السلام في سببه عدالته، ولم يرحص في البراءة منه لأن السب فعل اللسان، وهو أمر يمكن إيقاعه دون اعتفاده مع احتماله التعريض. وأما التري فليس بصفة قولية فقط بل يعود إلى المحاربة القلبية وهو المثني عنه، إذ هو أمر باطن يمكن لاشتهاء عنه، ولا يلحق بسببه صرر. وأما أن السب له ركة فلحديث: أن ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له، ودمه بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه. والذي بدأ بسببه معاوية وقطعه عمر بن عبدالعزيز^٢، وفيه يقول السيد الرضوي رحمه الله من قطعة له:

يا ابن عبد لعزیز لو بکنت العبد من فتى من امیة لبکیتک
انت نرہتسا عن اسم والسرحت و لو کنت محزیا لحزیتک
غیر ائی اقول اُنک قد طست و ان لم یطیب و لم یرک بیستک^٣
ولمطرة فطرة الله التي فطر اساس عليها سليما من التمس بالعقائد الباطلة، وعبادة غير الله وسبقه الى الاسلام سبقه الى الدخول في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وملازمته له وهجرته معه.

٥٧- وَمِنْ كَلَامِ لَهٗ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّمَ بِهِ الْحَوَارِ

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ إِلَّا أَبْعَدُ إِيْمَانِي بِاللَّهِ وَجَهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ

١- القدير ١٠/١٤٧. حصائص أمير المؤمنين، للمحافظ النسايف / المقدمة.

٢- القدير ١٠/٢٥٧- ٢٧٢ لمن معاوية وعماله عليا عليه السلام.

٣- ديوان الشريف الرضي ١/١٦٩.

عَلَى نَفْسِي يَا كُفْرًا؟ لَقَدْ خَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بَ، وَأَزْجِعُوا عَلَى
أَثَرِ الْأَغْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي دُلًّا شَامِلًا وَسَيَفُ قَاطِعًا وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الطَّالِمُونَ
فِيكُمْ سُنَّةً.

(قال الشريف: قوله عليه السلام «ولا يبقى منكم آبر» يروى بالباء والراء من قولهم
للدى يأبر النخل - أي: يصلحه - ويروى «آبر» وهو الذي يَأْثُرُ الحديث، أي: يرويه
ويحكى، وهو أصح الوجوه عندى، كأنه عليه السلام قال: لا يبقى منكم مخبر. ويروى
«آبر» - بالزاي المعجمة - وهو لوائث، والهالك أيضاً يقال له آبر.)

أقول: السبب أنه لما كتب عهد الصلح بينه وبين أهل الشام، اعتزلت الخوارج و
تنادوا من كل جانب لاحكم الآلهة الحكم لله يا علي لالك ان الله قد أمضى حكمه فى
معاوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا، وقد كنا زلنا وأخطأنا حين رضينا بالتحكيم،
وقد بان زلنا وخطأنا ورجعنا الى الله وتبنا، فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا.
وقال بعضهم: انت أخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك. فأجابهم
عليه السلام بهذا الكلام.

والحاصب: ربيع ترمى بالحصباء، وهى صغار الحصى. ودعاؤه عليه السلام ظاهر.
والآثر: الاستبداد، والذى لقوه من اللذ، والقتل عسى يده، ويد من بعده كالمهلب و
أولاده، والحجاج وغيرهم. واستبداد الولاة بعده بمال المسلمين يصدق ما اخبرهم به
عليه السلام.

٥٨ - وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنهم قد عبروا جسر النهر وان

تصارعهم دون النطفة، والله لا يغلب منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة.

(قال الشريف: يعنى بالنصف ماء النهر، وهو أفصح، كناية وإن كان كثيراً جماً) وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه.

أقول: خلاصة الخبر أنه عليه السلام حاءه رجل من أصحابه، فقال: اسبرى يا امير المؤمنين آل القوم قد عبروا النهر كما بلغهم وصولك، فقال: الله أنت رأيتم قد عبروا؟ فقال: نعم، فقال عليه السلام: والله ما عبروه وإن يعبروه وإن مصارعهم الفصل. ثم مدراً عليه لسلام اليهم فوجدتهم قد كسروا جفون سبوفهم، وعرقوا دوابهم، وحَنُوا على الركب، وحكموا تحكيمه واحدة بصوت عظيم له زحل، فلما قتلهم كان المفلت منهم تسعة، والمقتول من أصحابه ثمانية. والحكمان من كرامته عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لما قتل الخوارج قيل له: يا امير المؤمنين، هلك القوم باجمعهم

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ يُنْظَفُ فِي أَضْلاَبِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُنْمَا نَجَمَ مِنْهُمُ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لِمَوْضِعِ سَلَاتِنَ.

أقول: أشار بذلك إلى من سوجد منهم، وكنى بالقرارات: عن الأرحام، واستعار لعظ القرن: لمن يظهر من رؤسائهم، ورتج بذكر المجوم وكنى بقطعه (عن قبله) ^٢ وجعل لتراذلهم غاية وهي كون آخرهم فقطعاً للطريق وذلك كشيب، وقطري بن فحاة، وغيرهما، وأخبارهم يشهد بصدقه عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مِنْ ظَنَبِ الْحَقِّ قَاطِئَةٌ كَمَنْ ظَنَبَ الْبَلَّ مَذْرُوءَةٌ

١. هي ش: اسار.

٢. عن قبله غير موحود في ش.

(يعنى معاوية وأصحابه).

قال السيد رحمه الله يعنى : لمن أدركه معاوية وأصحابه.

أقول: الفرق بينهم، وبين معاوية، أنّ لقوم طبعوا الحق بالذات فوقوا على الباطل بالعرض، ومعاوية طبع الباطل بالذات فى صورة تشبه الحق، وأنما نهى عن قتلهم بعده على تقدير أن يلزموا حدودهم، ويكفوا عن العيث والفساد فى الأصل. وقيل أنما قتلهم لأنه امام عادل رأى وجوب قتلهم، وأنما نهى عنه ذلك بعده لأنه علم أنه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة أن يقتل، أو تتولى امر الحدود ويضعها مواضعها.

٥٩- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا خُوفَ مِنَ الْقَيْلَةِ

وَأَنَّ عَلَى مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَبَدَا خَاءَ يَوْمِي أَنْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْتَشْنِي فَعِيَّتِي لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَنْمُ.

أقول: القيلة: الفتك^١ على عرة، وقد كان عليه السلام خوف من قتل عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله مرارا كما نبهنا عليه فى الأصل^٢ واستمرار لفظ الجنة وهى الترس ونحوه، لمدة أجله المعلوم لله تعالى، ووصف الانمراج لا نقضائها، ولفظ السهم: لأسباب الموت، وكنتى بعدم طيشه عن أصابته.

٦٠- وَمِنْ حُظْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يَسْتَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَدَّ لَهَا: أَتَلَى النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا، حُرِّحُوا مِنْهُ، وَحُوسُوا عَلَيْهِ وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَلِمُوا عَلَيْهِ

١- هي سحرة شرقت

٢- الشرح الكبير لابن ميثم ١٥٦/٢.

وَأَقَامُوا بِهِ، فَبَيْنَهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُوبِ كَفَىٰ عِلَاصًا. نَبَاتًا تَرَاهُ سَاعًا حَتَّى قَلْبَصَ، وَزَانِدًا حَتَّى نَقَصَ.

أقول: لا يسلم منها إلا فيها أي، لا يسلم من عذاب الله عليها في الآخرة إلا بما فعل فيها من الأعمال الصالحات، وألدى يكون لها هو ما يقتنى منها للإستمتاع به، والإلتذاذ بفعله لأنه هو دون الوصول به إلى الآخرة، وظاهره أن ذلك لا يكون به نجاة في الآخرة، والابتلاء بها اختبار للمطعم من العاصي، ويس المراد منه أن الله تعالى لا يعلم ما تور إليه أحوال العباد، لأنه يعلم السر وأخفى، بل لما كانت الشرائع والآلهة جاذبة للحق عنها أي العناية التي خلقوا لها، وكانت محاضراتها جاذبة لهم بحسب نفوسهم الأمانة إليها، فمن اطاع داعي الله وصوارفه عنها فازفورا عظيمًا، ومن أتبع هواه بغر هدى من الله حسر خسرانا مبينًا، أشبه ذلك صورة ابتلاء من الله لحبفه بها فاستعير لذلك، وصف الابتلاء، ولطف الفتنة وما أخذ منها لعبها هو ما يقصده وجه الله والدار الآخرة من مال يستصدق ويصرف في سبيل الله، أو سواه أو عمل لله، وبس ما يقدمون عليه في الآخرة هو عين ما أخذ من الدنيا، بل ثمرته من توب لله وسماع الآخرة، وشبهها في شرعة زوالها عند ذوى العقول الباطنين إليها، باعين بصائرهم في الطل، وأشار إلى وجه الشبه، بقوله: بيت إلى آخره.

و اصل يبين بمعنى: الوسط وشيبت المفتحة فحدثت ألف، وقد ترد فيها ما، والمعنى واحد. و قلص: نقص. وبالله التوفيق.

٦١- وَهِيَ حُطْبَةٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَقْمُوا لِلَّهِ عِبَادَاتِهِ، وَتَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَأَبْنِاعُوا مَا يَتَقَى لَكُمْ بِمَا يَرُوكُمْ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّيْكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَطْلُكُم، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَّ بِهِمْ فَاسْتَهُوا، وَغَبِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِذَارٍ فَاسْتَبَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَتَرَلَّ بِهِ، وَإِنْ عَايَةً

تَنْقُضُهَا الْخَطِيئَةُ وَتَهْبِطُهَا السَّعَةُ لِحَدْبَرَةٍ بَفْصِرٍ لُمْدَقَةٍ وَإِنْ غَايَا تَخْذُلُوهُ الْحَدِيدَةُ لِبِ الْمَثَلِ
وَالسَّهَارِ لِحَرَّى بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَإِنْ قَدِيمًا يَمُتُّ بِالْفُورِ وَلِسُفُوفٍ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْصَلِ الْعُدَّةِ
فَتَرَوْدُوا فِي أَسْبَابٍ مِنْ أَسْبَابٍ مَا تُحْرُوْنَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ عَذَابًا فَاتَّقَى عِنْدَ رَبِّهِ تَصَحُّ نَفْسُهُ وَقَدَّمَ
تَوْبَتَهُ وَعَتَّ شَهْوَتَهُ فَإِنْ أَحْبَبَ مُسْتَوْرَعُهُ وَأَمَنَّهُ حَادِثُ لَهُ وَأَشْفِطَانِ مُوَكَّلٍ بِهِ يُرَبِّئُ لَهُ
الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا وَيُمْتَنِيَهُ انْتِبَاهُ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ قَبِيلُهُ عَلَيْهِ أَسْمَلُ مَا يَكُونُ عَنْهَا هِيَ لَهَا
حَسْرَةٌ عَلَى ذِي غَفْوَةٍ أَنْ يَكُونَ عُثْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيْمُهُ إِلَى شِقْوَةٍ نَسَأَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْعَتَنَا وَإِنَّكُمْ مِنْ لَّا تُبْطِلُهُ بَعَثَهُ وَلَا تُقْصِرِيهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً وَلَا تَجْلُ
بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَمُهُ وَلَا كَابَتُهُ.

اقول: مبادرة الأجل: مسبقته بالأعمال الصالحة، وما يبقى لهم هو الثواب
الموعود في الآخرة، وما يرول عنهم هو الدنيا ومتاعها. واستعار وصف الإيتياع: ليدل
الدنيا الغاية في تحصيل الخبرات الآخوية لبقية، وذلك بالزهد فيها، والخروج عنها،
وأشار بالترحل: إلى السفر في سبيل الله له واحد بهم إلى شدة سير الدين ولسهار في
هم الأعمار، والاستعداد للموت. لتسبح له بالكمالات القسائية التي لا يصر معها
موت البدن. وطبكم: أشرف عيكم. وقوله: كونوا قوما صح بهم فانتهاوا: تنبيه على
وحيث حياية الداعي إلى الله وهو لسان شريعة والانتباه بنداثة من نوم العجلة ومراقدة
الطبيعة. ومسدى: مهمس، وكنى بالعاية عن: لأجل وأراد بالعائب: الإنسان مادام
في الدنيا، إذ كان في دار العربى عن مستقره الاصلى وبحسب قصر مدة غيبته يكون سرعة
أوتته. وقبل: ارد به ملك الموت، وكذلك اراد باعدام: الإنسان، وما يزود من الدنيا
فيها: انتقوى، والأعمال الصالحة، وهى الحرر من عذاب الله. وقوله: فاتق، إلى قوله:
شهوته: أوامر وردت بلفظ الماصى وهى بلاعة تريك المعنى فى أحسن صورة،
ونصيحة النفس الظفر فى مصحتها باتخاذ الراد لأبقى، وهو التتوى ومن جملتها
تقديم التوبة وغلب التوبة.

وبه على وحيث ذلك ضمير صغره قوله: فتأجله، إلى قوله: عنها، وتضير كراه
وكن ما كن كذلك فواجب أن يصح بعنه بلروم وأمر الله تعالى، والسويف التماذى

في الأمر وأصله قوب الرجل: سوف فعل، وعمل نصب على الحال، وحسرة نصب على التمييز لمتعجب منه المدعو، واللام في «لها» قر: للاستعانة كونه قل يا للحسرة على الغافلين ما أكثرك. وقيل: لام الحر فحث لدخولها على التمييز المتأدى المحذوف، أي: يا قوم ادعوكم لها حسرة، وإن في موضع المصب محذوف الجار: على كون أعمارهم حجة عليهم يوم القيامة.

٦٢- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْسِقْ لَهُ حَالًا خَالًا، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَتْلُ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَهْرًا قَتْلُ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَبْلُ، وَكُلُّ مُعْرِضٍ غَيْرُهُ ذَيْلُ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ صَعْفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَمِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَفِيدُ وَيُعْجِرُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَيْسَ الْأَصْوَاتِ، وَيَصْمُهُ كَيْسَرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِثْلِهَا، وَكُلُّ تَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ حَيْثُ الْأَلْوَابِ وَلَطِيفُ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرِ بَاطِنٍ، وَكُلُّ نَاطِلٍ غَيْرُهُ غَيْرُ صَاحِبٍ، لَمْ تَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشِيدَ سُلْطَانَهُ، وَلَا تَحُوبَ مِنْ غَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا اسْتِغَانَةٍ عَنْ يَدِ مُدِيرٍ، وَلَا شَرِيكَ مُكَبِّرٍ، وَلَا ضِدَّ مُتَاَوِّلٍ، وَلَكِنْ خَلَقْتَ مَرْتَبُونَ، وَبَعْدَ دَاخِرُونَ، لَمْ تَخْلُقْ فِي الْأَشْيَاءِ قَبِيحًا هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْتَأ عَنْهَا قُبْحٌ هُوَ مِنْهَا يَأْتِي لَمْ يُوْذِهِ خَلْقٌ مَا أَبْتَدَأَ وَلَا تَذَدِيرٌ مَا ذَرَأَ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْرٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَجَعَتْ عَنْهُ شُكْهُةٌ فِيمَا فَصَى وَقَدَّرَ بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَرَّرٌ، وَعِلْمٌ مُخْتَكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْتَرَأٌ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.

اقول: لما ثبت أن السبق والقبليّة، والتأخر والبعديّة، من لواحق الزمان لذاته ومن لواحق الرماسيات بواسطة وكاب تعالى منزهاً عن لحوق الزمان في ذاته، وكمال صفاته لا جرم لم يدحض شيء من اعتبار القبليّة ولبعديّة فلم يجوز أن يقال مثلاً كونه عالمًا قبل كونه قادراً، ولا كونه حيًّا قبل كونه عالمًا، بقى أن يقال أن القبليّة والبعديّة قد ينطقان باعتبار آخر كالقبليّة بالشرف، والقصيلة، ولذات، والعبية لكن قد بينا في الخطبة الأولى أن كل

ما يلحق ذاته لمقدمة من الصفات اعتبارات ذهنية تحدثها لعمول، عند مقياسه الى مخلوقاته ولا سبق لشيء منها على الآخر، بالنظر الى ذاته المقدسة والا لكانت كمالات قابلة للزيادة والقصان، وبعضها علة للبعض وأشرف، وبعضها معول لبعض وانقص بالنظر الى ذاته وذلك من لواحق الامكان هذا خلف، وذلك سر قوله عليه السلام: الذي لم يسبق له حل حل: كى قوله: باطلا، بل معنى اوليته هو اعتبارنا كونه تعالى مبدأ لكل موجود، وآخرته هو اعتبارنا لكونه غاية لكل ممكن او استحقاقه البقاء لذاته، واستحقاق غيره له ببقائه تعالى وهذه الاعتبارات بالنظر الى ذاته تعالى على سواء.

وقوله: كل مسمى بالوحدة غيره قليل، يريد: انه لا يوصف بالقلّة وان كان واحداً وذلك أنّ الواحد يقال لمعان، والمشهور منها هو: كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عاداتها ومكايلا، وهو الذي تلحقه القلّة ولكثرة الاضافيتين، فإنّ كلّ واحد بهذا المعنى قليل بالنسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها، والمتصور لاكثر الناس كونه تعالى واحدا بهذا المعنى، فبذلك نزهه عليه السلام عنه بذكر لازمه وهو القليل لظهور بطلان هذا اللازم في حقه تعالى، واستلزام بطلان بطلان الملزوم المذكور، وذلك الاعراء غيره لدخولهم تحت الحاجة اليه، وصعب كل قوى غيره لدخوله تحت قهر قدرته التامة، وملوكية كل مالك غيره لدخوله تحت الملك المطلق لذى تفذ مشيئة مالكة في جميع الموحودات باستحقاق دون غيره، وتعلم كل عالم غيره لكون كل عالم مستعانا من قبض جوده، وهو العالم المطلق الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض، وعجز غيره عن بعض الاشياء يشهد بكمال قدرته، وانها مبدأ قدرة كل قادر وكونه تعالى سميّا يعود الى علمه تعالى بالمسموعات لنزّهه عن الآلة التي من شأنها أن تصم، لأن ادراكها للصوت على قرب وبعد، وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا جدّا او بعيدا جدّا لم يص لى الصماخ فلم تدركه القوة السامعة، فذلك كانت تصمه عن لطيف الاصوات، ويذهب عن السامع ما بعد منها وان كان في غاية من القوة والقرب، فرما اشتدّ قرعه للصماخ فترق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه، بحيث يظل استعدادها لتأدية الصوت ويحدث الصمم فذلك قال: ويصمه كبيرها. وبحسب تنزهه تعالى عن هذه الآلة لم يعزب عنه ما حفى من الاصوات ولم يذهب عليه

ما بعد منها، ولم تلحقه لواحقها من الضم والنقصان، وخفى الألوان مثلاً كاللون في الظلمة.

واللطيف قد يراد به: عديم اللون كالهواء، وقد يراد به رقيق القوام كالذرة وهو غير مدرك بالمعنيين للحيوان، واطلق اسم العمى: على عدم الابصار مجازاً، ولما كان كونه تعالى بصيراً يعود إلى علمه بالمبصرات لم يعزب عنه شيء منها وإن خفى عسى غيره، و لطف ولم تلحقه من لواحق الآلات آفة، كالعمى ونحوه. وقوله: وكل ظاهر، إلى قوله: غير ظاهر، يريد: أنه تعالى هو المتفرد بالجمع بين وصفى البطون والظهور، دون غيره وقد بينا معناهما في الأصل. وقوله: ولم يخلق، إلى قوله: منافراً: لأنه تعالى لا يفعل لغرض، و تشديد السلطان: تقويته. والتد: المثل. والمثاورة: الموائب. وداخرون: ذليلون وبرهان كونه تعالى غير حادث في شيء، ولا مباين قد سبق في الخطبة الاولى. وآده يؤده: أثقله أى لم يثقله تدبيره للأشياء على وجه الحكمة، ولم تعرض له شبهة فيما قصى أى: حكم به في خلقه لتنزه علمه عن عوارض القوى البشرية التي هي منشأ الشكوك والشبهات. وولجت: دخلت. والمبرم: المحكم. وقوله: المأمول، إلى قوله: النعم: إيماء إلى تنزيهه تعالى عن حالة البشرية، فإن المنتقم من الناس حين انتقامه لا يكون مأمولاً وحال نعمته لا يكون مرهوباً.

٦٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صُمِّينَ

مَتَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْحَشِيَّةَ، وَتَحَلَّبُوا السَّكِينَةَ، وَغَضُّوا عَلَى التَّوَّاجِدِ، قَبْنَهُ أَنْبَى السُّيُوفِ عَنِ الْهَيْمِ، وَأَكْمَلُوا اللَّاتَةَ، وَقَلَّبُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَطُّوا الْخَزْنَ وَأَطْعَمُوا الشَّرْنَ وَنَافِخُوا بِالطُّبَا، وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعِثَ اللَّهُ، وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَاوَدُوا الْكُرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرَقَةِ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَازِلُ يَوْمِ الْحِسَابِ، وَطَبِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَأَمَشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْعًا، وَهَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالزَّوَادِ الْمُطْطَبِ، فَاصْبِرُوا تَبَجَّةً، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ

كَامِينَ فِي كَيْسِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِيُؤْتِنَا يَدًا، وَأَخْرَجَ لِيُكْوِسَ رِجْلًا، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يُنْجِي
لَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّ (وَأَنْتُمْ الْأَغْنَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

أقول: قد اشتملت هذه الأوامر على تعليم كيفية الحرب، وبدأ بالامر باستشعار
خشية الله أي: اتخدها شعاراً، ولشعاراً ما يلي الحسد من الشيب واستعار وصف
تَجَلُّبُس السكينة: للتبس بها كالحلباب وهي: المنفعة، وفائدته طرد المشل وارهاب
العدو. والسواجد: أقصى الاضرار وفائدة المض عيبه، نبوالسيف عن الهامة ليصلب
عصل الرأس ومقاومته حينئذ للضربة. وللأمة بوزن فعلة: الدرع واكمالها بالبيضة
والسواعد، ويحتمل ان يراد بها جميع آلة الحرب والعرض شدة التحصن. وفائدة ففدة
السيوف في اعمادها. سهولة سلها: وقت الحاجة اليها. ولحظ الخز: من امارات العضب
والحمية، وفائدته اخذ العرة من العدو. والشزر سكوب الزاء وهو: الطعن على غير استقامة
بل يميناً وشمالاً، فائدته توسعة المحل للضرر. والمسافحة بالعسي: التناول باطراف
السيوف وفائدته توسعة المحل ايضاً، وباقرب من العدو تمنع من ذلك. وصلة السيوف
بالحظ، وفائدته ان السيف قد يكون قصيراً فطول بالخطوة ومدايد ولأن فيه الاقدام على
العدو والزحف اليه، وذلك مما يوجب له الافعال وانتاخر، وفيه قول الشاعر:

اذا قصرت اسب فنبنا كان وصلها خطابا الى اعدائنا فنضارب

و كونهن بعين الله أي: بحيث يراهم، ويعلم ما يفعلون. وقوله: وطبوا عن انفسكم
نفساً: تسهيل للموت عليهم بما يستلزمه من الثواب الاخروي. والنفس الاولى الشخص
الزائل باسموت، والنفس المصونة على التمييز المدبرة للبدن، وسمحا: سهلاً. والسواد
الأعظم: جماعة اهل الشام. والرواق المطتب: مضرب كالفسطاط لمعاوية وكان يومئذ
في مضرب عليه قبة عالية باطاب عتيمة، وحوله من اهل الشام مائة ألف كانوا تعاهدوا
على ان لا يفرحوا عنه حتى يُقَسُوا. وثبجه: وسطه وأراد بكمون الشيطان في كسره: كونه
مظنة الشيطان اذ ضرب على طاعته ومعصية الله. وقيل: استعار لفظه لمعاوية باعتبار
اغوائه للناس، وكتبى بقوله: قد قدم، الى قوله: اخرى: عن كونه متردداً في أمره، وعلى
غير يقين في قتاله، فهو في مظنة ان يرجع ويهرب. وكسر البيت: جانبه. والصمد:

الفصل اى: اقصدا العدو قسداً حتى ينسلكم ان الحق معكم بنصركم على عدوكم اد الطالب لعبر حقه مريع الانفعال قريب الفرر فى مقاومته، ولن يترككم اى: يقصصكم.

٦٤ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى الأنصار، قلوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال عليه السلام: ما قلت الأنصار؟ قالوا: قالت: مت أمير ومكم أمير، قال عليه السلام:

فَهَلَّا أَخْتَجَّجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي بِأَنْ يُخَسِّنَ إِلَى مُخْسِيهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟! قالو: وما فى هذا من الحجة عليهم؟

فعال عليه السلام:

لَوْ كَانَتْ الْمَرَّةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنْ لَوْصِيَّةً بِهِمْ!!

ثم قال عليه السلام:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: أَخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَصَاغُوا أَشْمَرَةَ.

اقول: الأنباء التى بعتته، هى احبار المشاجرة بين المهاجرين والانصار فى الخلافة فى سقيفة بى ساعدة، فاما ما اشار اليه عليه السلام من الوصية بالانصار فهو ما رواه مسلم والبخارى فى «مستديهما» عن انس قال: مر أبو بكر، والعباس، بمجلس من محالس الانصار وهم يبيكون فقالا: ما يبيكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدخل على الرسول فاخسراه بذلك فحرح رسول الله صلى الله عليه وآله معصياً على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

اوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيتى، وقد قصوا الذى ادى عليهم وبقى الذى لهم،

فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم. واستعار لفظ الشجرة لقريش: باعتبار أنهم أصل للرسول صلى الله عليه وآله، ولفظ الثمرة لنفسه، وأهل بيته، فأثم ثمرة البوة هي فضلهم، وكمال نفوسهم المقدسة. والكلام في صورة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار، وتقديره أنهم ان كانوا احق بهذا الامر من الانصار لكونهم شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فحق اولى لكوبنا ثمرته، والثمرة هي: الغرض من الشجرة لكن الملزوم حق فاللازم مثله.

٦٥ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قُتِلَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَصْرَ فَمَلَكَتْ عَلَيْهِ وَقَتْلَ رَحِمِهِ اللَّهِ

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِّيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنِ عُثْبَةَ، وَلَوْ لَيْسَ يُبَايَا لَمَا خَلَى لَهُمُ الْفُرْصَةَ وَلَا أَنَهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بَلَا دَمَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَكَانَ لِي رَبِيبًا.
 اقول: كان قتله رضى الله عنه بعد وقعة صفين، واضطراب الامر على علي عليه السلام، وطمع معاوية في البلاد. وقتله عمرو بن العاص وحشا جثته في جوف حمار ميت وأحرقه^٢ فبلغه عليه السلام ذلك فخرج له حتى طهر في وجهه. وقال: الفصل. وهشم هو ابن عتبة بن ابي وقاص، وكان من شعبة على المخلصين في ولائه وقتل معه في صفين وكان رجلاً مجرباً. والهزة: الفرصة وأراد أنه لم يكن يمكنهم مما أرادوا، وكان محمد حبيباً اليه لتربيته في حجره صغيراً حين تزوج أمه أسماء بنت عميس وكانت أولاً تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبدالله بن جعفر وقتل عنها يوم موته، فتزوجها ابوبكر فأولدها محمداً فلما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ابني ربيبه ونشأ علي ولائه منذ صغره فكان يقول عليه السلام: محمد ابني من ظهر ابي بكر^٣.

١ - في ش هكدا: اصل الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢ - النجوم الزاهرة. الاصابة ٤٧٢/٣. الاستيعاب ٣٤٨/٣. هامش الاصابة.

٣ - جامع الرواة ٤٥/٢. تنقيح المعال ٥٧/٢ حرف الميم.

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبُكَرَ الْعَمِدَةَ، وَاشْتِيَابُ الْمُتَدَاعِيَةِ! كُنَّمَا حِيصَتْ مِنْ
 بِنَازِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرٍ؟ أَكُلَّمَا أَطْلَعَ عَلَيْكُمْ مَنَسِيرٌ مِنْ مَنَاسِيرِ أَهْلِ الشَّامِ أَعْنَقَ كُلُّ رَجُلٍ
 مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَتَحَرَّ أَحَدُهُمُ الصَّبِيَّ فِي جُحْرِهَا، وَاصْبَغَ فِي وَجَارِهَا؟! الدَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ
 تَصَرَّ نُمُوهُ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ. وَرَبُّكُمْ، وَاللَّهُ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ
 تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُضِيحُكُمْ وَيَقْسِمُ أَوْذَكُمْ، وَلِكَيْنِي لَا أَرَى إِضْلَاحَكُمْ بِفَسَادِ
 نَفْسِي! أَصْرَعَ اللَّهُ حُدُودَكُمْ، وَأَتَعَسَّ جُدُودَكُمْ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمْ الْبَاطِلَ، وَلَا
 تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَانْظَالِكُمُ الْحَقَّ.

أقرب: الفصل في ذم أصحابه لتقاعدهم عن الحرب. والبيان: العمدة التي انشدخ
 باطن اسنمتها لنقل الحمل ويسنى ذلك بعمد، ووجه الشبه مداراتهم بمداراتها قوة
 المدارة وكثرتها. وخص البكار جمع بكرة: لأنها أشد تصجرًا بالحمل عند ذلك الداء،
 وأشار إلى وجه شبهها بمداراه اشتيااب متداعية، أي: المتتابعة في التمرق، بقوله: كنما
 حيصت إلى قوله: آخر. وحيصت: خبطت وجمعت، أي: كنما أصلح حال بعضهم،
 وجمعهم لحرب فسد بعض آخر عليه، وتفرق عنه. واطل: أشرف. والمنسربفتح الميم،
 وكسر السين، وبالعكس: القطعة من لجيش من المائة إلى امائين. والوجان بيت: لضع.
 والأفوق الناصل: السهم لا فوق له ولا نصل ويتمثل به في الاستعانة بمن لا عنه فيه.
 والباحة: ساحة الدار. والأود: الأعوجاج، وأراد بما يصلحهم ويقسم اعوجاجهم كل ضرب
 والقتل، وإن كان عني غير وجه شرعي كما يفعل الملوك.

وقوله: ولكسني إلى قوله: نفسى: كالعذر عن عدم فعل ذلك بهم لما يستلزمه
 من الاتم المفسد للمدين، المهلك في الآخرة. واضرع أي: أدلة. واتعس: اهتد. والجد:
 الحظ. وقوله: لا تعرفون، إلى آخره: تكبى لهم بالجهن وغسة الباطل على عقائدهم و
 أفعالهم.

٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي سَحَرَةِ الْيَوْمِ الَّذِي ضَرَبَ فِيهِ

مَلَكَئِي عَنِّي وَأَنْ جَالِسٌ، فَتَسَّحَّ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمْنِيَّتٍ مِنَ الْأَوْدِ وَاللُّدُو؟ فَقَالَ: «دَعُ عَنْهُمْ» فَقُلْتُ: أَبَدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَأَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

اقول: ملكه عينه: كناية عن بومه. و سح: عرض له خيال في المنام.

٦٨ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ! حَمَمْتُ فَلَمَّا أَتَيْتُ أَفْلَصْتُ، وَمَاتَ قِيَمُهَا، وَظَالَ نَائِمُهَا، وَوَرِثَهَا أَنْعَدُهَا أَمَّا وَاللَّهُ مَا أَتَيْتُكُمْ أَحْيَاءَ، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ مَوْتًا، وَلَكِنِّي بَلَّغْتُ أَنْتُمْ تَقُولُونَ: عَلَى يَكْذِبٍ! فَتَلَكُمُ اللَّهُ، فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَنِّي نَبِيٌّ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، كَلَّا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِيْثُهَا عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيُلَمُّ؟ كَيْلًا بِعَمِيرَتَيْ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ (وَلَسَعْنُ نَبَأَهُ بَعْدَ جَيْسٍ).

اقول: هذا الكلام منه بعد حرب صفين. وامصت المرأة: اسقطت. والأيم: التي لا يعمل بها، ووجه تمثيلهم بالمرأة الموصوفة ما فيه من تشبهات حالهم بحالها، فاستعدادهم لحرب أهل الشام يشبه حمل المرأة، وشارفتهم لضمير يشبه الأيم. فَبَ مالِك الاشتراحه الله شارف دمشق صبيحة ليلة التحرير ليدخلها من غير حرب لولا خدعة معاوية وقومه برفع المصاحف، وانحذاع اصحابه عليه السلام، ورجوعهم عن عدوهم بعد ظفرهم به، يشبه الاملاص وخروجهم عن رأيه عليه السلام، وتفرقهم عنه يشبه موت

قِيمَها، وَهُوَ رُوحُهَا الْمُسْتَدْرَمُ مِنْهَا وَعِجْرُهَا، وَاحْذِ عَدُوَّهُمْ مِنْهَا مِنْ السَّلاَمِ، وَنَعْنَهُ عَلَيْهَا
يَسْبِيهِ مِيرَاثُ الْأَعْدَالِهَا. وَاسْرِبْ سَوْقَهُ إِلَيْهِمْ إِلَى حَكْمِ الْفَصَاءِ الْأَتَهَى عَلَيْهِ يَذَلُّ، أَوْ سِي
كَرَاهِيهِمْ لَهُ عَلَى السَّعَةِ بَعْدَ مَتْنَعِهَا كَمَا وَصَفَهُ عِزْمَرَةٌ وَمَا بَعَثَهُ مِنْ تَكْدِيهِمْ لَهُ، فَهُوَ
كَلَامٌ مِنْ قَبْلِ أَصْحَانِهِ فَانْهَمَ كَانُوا بِكَذَّبُونَهُ فِي بَعْضِ مَا كُنْ يَخْبِرُهُمْ مِنْ أُمُورٍ لِمُسْتَقْبَلِهِ.
رَوَى أَنَّهُ مَا قَابَ: لَوْ كَسَرْتُ لِي الْوَسَادَةَ بِحَكْمَتِ بَيْنِ أَهْلِ النُّورَةِ تَوَرَّاتِهِمْ، وَبَيْنِ
أَهْلِ الْأَنْجِلِ بَانْجِيلِيهِمْ، وَبَيْنِ أَهْلِ الْأَرْبُورِ بَرْبُورِهِمْ وَبَيْنِ أَهْلِ الْفَرْقَانِ بَرْقَانِيهِمْ، وَأَنَّهُ مَا
مِنْ يَتَةِ نَزَلَتْ فِي تَرْثُ وَبَحْرٍ أَوْ سَهْلٍ أَوْ حَصٍّ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ إِلَّا وَأَبْ أَعْمَ فَمِنْ نَزَلَتْ
وَفِي شَيْءٍ أَنْزَلَتْ. قَالَ رَجُلٌ مِنْ تَحْتَ الْمَسْرِ: يَا رَبِّ، وَلِدَعَوَى الْكَدَّةِ.
وَقَوْلُهُ: وَلَكْتَهَا إِلَى آخِرِهِ: إِشَارَةٌ إِلَى مَجْمَعِ كَلَامِهِ، وَأَنَّهُ عَبَّرَ بِمَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْكَذِبِ
وَالسَّهْوَةِ وَاللَّسَانِ وَالْقَوْلِ الْفَصَحِ. وَإِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ: غَبِمْتُ عَنْهَا: لِي أَنْفَرَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِسَمْعِهَا مِنَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ اسْتَعْدَادَ لِعَمَلِهِمْ مِثْلَ
ذَلِكَ وَبَسْمَعِهِ صَوْرَ آخِرِ وَرَاءَ عَقُولِهِمْ الصَّعْبَةِ أَمَّا حَصَلَتْ لِمُنْتَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَالَهُ مَعَ
هَؤُلَاءِ مُحْتَصِرَةٌ مِنْ حَالِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ مَنْ قَفَى قَوْمِهِ. وَقَوْلُهُ: وَيَلِائَةُ:
كَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى الْأَسْتِرْحَامِ، وَقِيلَ: لَسْتُ بِمَنْ الْأَمْرِ وَأَصْلُهَا لِدَعَاءِ عَلَى الْإِيمَانِ فَقَدْ وَلَدَهَا وَ
تَرَحَّمْ لَهَا عِنْدَ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ: كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ: إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَلْفِيهِ لِيهِمْ مِنَ الْحَكْمِ الْبَالِغَةِ
وَالْتَعَلُّمِ السَّافِعِ لَا يَرِيدُ بِهِ حِزَاءَ ثَمَنِ يَفْقَهُوه فَلَدَلِكُ تَعَلُّمِ مِنْهُمْ. وَكَيْلًا مُصَدَّرٌ: أَيْ
أَكْبَلَ لِيهِمْ لَعْنَهُ، وَابْتِدَاءً كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَعْنِي وَيَعْقِلُهُ. وَقَوْلُهُ: وَسَعْلَمُنْ،
الْآيَةُ: فِي مَعْرِضِ التَّهْدِيدِ بِثَمَرَةِ الْجَهْلِ وَالسَّاقِلِ عَنِ الْمَسَارَعَةِ إِلَى دَعْوَتِهِ.

٦٩. وَمِنْ حُظِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَلِمَ فِيهَا النَّاسُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَلَهُمْ ذَا حَيِّ الْمَدْحُوتِ، وَذَائِعِ الْمَشْمُوكِ، وَجَائِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيَّتِهَا وَ

١- هي شريعة: إجمالية.

٢- بزيادة (وقوله) هي ش.

سَعِيدَهَا، أَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَتَوَاقِي بَرَكَاتِكَ عَنِّي مُحَمَّدٌ وَعَنِكَ وَرُسُوكَ: الْحَاثِمُ يَمَّا
 سَبَقَ، وَلَقَدْ بَجَّ لِمَا أَعْلَقَ، وَلَمُعِينَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَالذَّيْفِ حَيْشَابِ الْأَبَاطِيلِ، وَالذَّامِغِ
 صَلَوَاتِ الْأَصَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ قَاضِطَلَعٍ قَيْنَا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوِيًّا فِي مَرَضَاتِكَ، غَيْرَ نَاسِكِلٍ عَن
 قُدْمِ، وَلَا وَهٍ فِي عَرْمٍ وَعِيًّا لِيُخِيكَ، حَافِظًا عَلَى بَعْدِكَ، مَضِيًّا عَلَى نَمَادِ أَمْرِكَ حَتَّى
 أَوْزَى قَبَسَ الْقَابِيسِ، وَأَصَاءَ الظَّرِيقَ لِلْحَاطِطِ، وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُنُوتَ بَعْدَ خَوْصَاتِ اللَّيْلِ، وَ
 أَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَثَبَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَدْمُونُ، وَخَزَنُ عِلْمِكَ الْمَحْرُورُ،
 وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَتَعْيُشُكَ بِالْحَقِّ، وَرُسُوكَ إِلَى الْخَلْقِ. اَللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي
 ظِلِّكَ، وَاجْعَلْهُ مُصَافَعَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اَللَّهُمَّ اغْنِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ
 لَدُنْكَ مَثَرَتَهُ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَآخِرَهُ مِنْ أَيْتِنَايِكَ لَهُ مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ، وَمَرْضَى الْحَقْلَةِ ذَا
 مُنْطَلِقِ عَدَلٍ، وَخُطَّةِ فَضْلِ. اَللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي تَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعَمَةِ، وَمُنَى
 السَّهْوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَحَاءِ الدُّعَا، وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ، وَتَحَفِ الْكِرَامَةِ.

اقول: في هذا الفصل فصول ثلاثية:

الاول، في صفات المدعو كونه ^١ - وهم جميعه.

الثاني، في صفات المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وآله.

الثالث، في انواع المدعوبه.

والاول هو قوله: لَهُمْ، الي قوله: وسعيدها. والمدحوات: المبسوطات اي: باسط
 الارضين السبع، وللمسموكات: السماوات، وداعمها: حافظها بدعائهم قدرته، وجان
 القلوب على فطرتها: خالقها على ما خفيها من النهوة والاستعداد لسلوك سبيل الخير
 والشر، واستحقاق السعادة والشقاوة، بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى: (وفس
 وما سويها فالهممها فحورها وتقوئها)^١ وشقيتها بدل من القلوب اي: خالق شقى القلوب
 وسعيدها على ما فطر عليه، وكتب في اللوح المحفوظ كقوله تعالى (فمهم شقى
 وسعيد)^٢.

١ - سورة الشمس / ٨.

٢ - سورة هود / ١٠٥.

الثاني ذكر للنبي عليه السلام، احد وعشرين وصفاً هي جهات استحقاق الرحمة من الله تعالى. وحاتم لما سبق ي: من نوار الوحي والرسالة، وفاتحاً لما انعلق اي: من سبيل الله قبله. وطريق بجنه، باداء الشرائع، والحق الذي اظهره هوالدين، وانذى اظهره به هوالمعجزات والبراهين، والحاصل انه اظهر الحق بعضه بعض، وجيشات جمع خيشة، وهو غليان الفدر، واستعار لقصها: لثورن ابطل المشركين وفورن فستهم، والنعغ: كسر عظم النعغ، ويستعمل في افهر والعسبة. ولأضاليل جمع ضلال وهو: الجهل، وقوله: كما حتم فاضمع اي: صل عليه صلاة مشابهة لحمله رسالتك، واصطلاحه بها: قوته عليها ونهوضه بها، وقائما وما بعده: من المصوبات احوال. والقدم: التقدّم اي: غير راجع عن تقدّمه في امر الله، وحفظه لعهد اي: العهد المأخوذ عليه، في تبليغ الرسالة. واستعار لفظ القبس وهو: الشعلة: لنور العلم والحكمة. ورشح بذكر الوري اي: اظهر انور العلم في سبيل الله حتى اضاءت لمس كان يحبط فيها ويمشى على غير بصيرة. وموصحات الاعلام: هي الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هي: المطالب الواضح لزومها عن تلك الادلة، وعنه المحروون هو: عدمه الغيب المشر اليه، بقوله: عام الغيب فلا يظهر على غيبه احد الاية وكونه شهيداً اي: على امته بما علم منهم من طاعة وعصيان.

الثالث المدعونه، والمفسح المكان: المتسع اي: في حضرة قدسه، وظن وجوده، وبشاؤه هو: ما شيه من الدين اي: اعى دينه واطهره على سائر الاديان، وكذب نور دينه او نور نفسه الذي يسعى بين يديه، ومقبول القول معقول آخر، وذا مطلق: نصب على الحال وكسى بقبول شهادته عن تمام الرضى عنه، ومطلق عادل لا كذب فيه. ونخلة فصل اي: فاصه لبحق من اسباط. وبرد العيش: كساية عن عدم الكفة فيه، وهو في الآخرة ثمرة الجنة، وقرار العمة: مستقرها، وهو ايضا ثباتها وغبتها، وهواء انذات: ما يهواه ويميل اليه. ورخاء لدعة ومتهى الطمأينة: اتساع سكون النفس بئدة مفارقة الحق والانس بالملا الأعلى، وامنها من مرعات الدنيا، وتحف الكرامة: سائر ما اعده لكرامة اوليائه مما وعدوا به.

٧٠- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسير يوم الحمل، فاستشعر الحسن والحسين
عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكماه فيه، فحلى سبيله، فقال له: يبايعك يا
أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَلَمْ يَدْعُنِي تَعَدَّ قَتْلَ عُثْمَانَ؟ لَأَحَاجُّهُ لِي فِي تَيْمَنِيهِ! إِنَّمَا كَفَّ يَهُودِيَّةً لَوْ تَابَعَنِي
كَفَّهِ لَعَدَزَ بِسَبْتِيهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِفْرَةً كَعَفَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَثْوَلُ لَأَكْثَشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَلَفِي
الْأَمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرُ!

أقول: نته بقوله: يد يهوديه على عذره وخبثه، لأن شأن اليهود ذلك. والستة:
الاست، ولما كان العذر من اقبح الرد ثل سبه إلى الستة في معرض الذم ولاهانة، ثم
نته من أمره في المستقل على ثلاثة أمور:

أحدها أن يكون اميراً للمسلمين ونته على قصر مدة ولايته، في معرض لاستهانة
بأمره تشبهها بعمقة الكلب انفه، وكتب مدتها أربعة أشهر وعشراً، وروى: ستة أشهر.

الثاني أنه سيكون أباً لأكثش الأربعة، وكثش القوم: رئيسهم، فكان له أربعة
ذكور بصلبه، وهم عبد الملك، وولى الخلافة، وعبد لعريز وولى مصر، وبشر
وولى لعراق، ومحمد وولى الحزيرة. ويحتمل أن يريد بالأربعة: أولاد عبد الملك، و
هم: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، وكنهم ولّوا الخلافة ولم يها أربعة أخوة الآهم.
الثالث ما يلقي لامة منه ومن ولده من القتل، وانتهاك الحرمة، وكتي عنه:
بالموت الأحمر، وهو: كناية عن أشدائه. وروى: يوماً أحمر، وكتي به: عن زمان
مدتهم، واحوال الامة مع بني امية مشهورة.

٧١- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُ مَا سَلَمَتِ أُمُورُ
الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ، لَا عَلَيَّ خَاصَّةً النَّاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَقَضِيَّةٍ، وَرُفْعًا فِيمَا
تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَرِثَرِيحِهِ.

أقول: الضمير في «بها» للخلافة. ولا سلمن أي: ذلك الأمر. وما للمدة. وخاصة:
حال، والتماسًا: مفعول له، والعامل: لاسلمن. والرخرف: الذهب والريبة. الزبرج بكسر
الزاء والراء: النقش بالحليّة.

٧٢- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما بلعه اتهام بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْتَ أُمِيَّةٌ عَلِمْتَ بِي عَنْ فَرَسِي؟ أَوْ مَا وَرَعَ الْحَقُّ سَانِقَتِي عَنْ نُهْمَتِي! وَلَمَّا
وَعَظَّمَهُ اللَّهُ بِهِ أُلْتُعُ مِنْ لِسَانِي! أَنَّا حَجَّحُ الْمَارِقِينَ، وَخَصَّيْمُ الْمُرْتَبِينَ وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ
تُعْرَضُ الْأَمْثَلُ، وَيَمَّا هِيَ الصُّلُورُ تُجَاوِزُ الْعِيَادُ.

أقول: القرف: النهمة. ووزع: كلف. وسانته: سقة في الدين والشرف وما
وعظهم الله به كفوله تعالى: (أَنْ بَعْضُ أَطْلَئِثُمْ)^١ وقوله: (ولا يعب)^٢ الآية في النهي
عن العيبة. ولحجج: المحاح. والخصيم: المحاصم. والمارقون: الخارجون عن الدين
بالكباثر. والمرتابون: السافقون لشكهم في الدين. وقوله: على كتاب الله، إلى آخره:
إشارة إلى المحجة التي يحاح بها أي: نسبتهم قتل عثمان التي بوجهه، فاعرضوا ذلك على

١- سورة لحيات / ١٧.

٢- سورة النحر / ١٢.

كتاب الله فعليه يعرض الامثال والاشاء فان دلّ شيء منه على كونى قاتلا فحكم ان تحكموا بذلك .

٧٣ - وَمِنْ حُظِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

رَجِمَ اللَّهُ أُمَّراً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعَى إِلَى رَشَادٍ فَذَنَّا، وَأَخَذَ بِحُجْرَةٍ هَدَى قَتَبًا؛ رَاقَبَ رَبَّهُ، وَحَدَفَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا، أَكْثَسَتْ مَدْخُورًا، وَأَخْتَبَتْ مَخْذُورًا، رَتَمَى غَرَضًا، وَأَحْرَزَ عِوَضًا كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُتَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَانْتَفَى غُدَّةَ وَقَاتِهِ رَكِبَ الظَّرِيفَةَ الْعَرَاءَ، وَلَرِمَ الْمُحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، أَعْتَمَّ السَّهْلَ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

اقول الحكم: الحكمة، والرشاد: الهدى. والحجزة: معذلة الازار واستعار لفظه: لهدى الهادى ولزوم قصده والافتداء به، وفيه تسميه على الحاجة الى الشيخ فى سلوك سبيل الله، والمراقبة والمحافظة وفى عرف السالكين مراعاة القلب للربيب وهو الله سبحانه اذ يقول: (ان الله كان عليكم رقيباً) ^١ واستغراق القلب بمراعاة جلالة، ويلزمها الخوف منه، ويعطل الجوارح عن الالتفات الى المباحات فضلاً عن المحظورات، وخالصاً أى: عملاً خالصاً، ولمدخور: اجر العمل الصالح، والمخدور: الاثم، ورميه لغرض: حذفه لمقصد الدنيا عن نفسه. ويروى عرضاً بالعين المهملة وهو: متاع الدنيا وحراز العوض منه: متاع الآخرة بالعمل الصالح، وما يلزمه من مكدت الخير، ومكابرة هواه: مقاومته لشهوته وغضبه، وقمعها وتكذيب مناه: مقابلة ما يبقاه الشيطان اليه من امانى الدنيا بالتكذيب وتحويز عدم نيلها وذكر غايتها.

واستعار لفظ المطيئة: لتبصر باعتبار ان لزومه سبب للسجدة كظهور المطيئة، والمعذرة: لما استعذ به الانسان للامر، والعراء: الوضحة واراد الشريعة، وهى المحجة البيضاء والمهل: اتمام مهلة العمل فى الدنيا ومبادرة الاجل: مسابقتها بالعمل لئلا يقطع دونه.

١ - سورة النساء / ١

٧٤- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِنْ نَبِيٍّ أُمِّيَّةً لَيْسَ فَوْقُونِي ثَرَاتٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقْوِيًّا، وَلَنْ تَقِيَتْ لَهُمْ
لَا تَنْصَحُهُمْ تَمَّصَ سَحَابُ الْوَدَامِ التَّرِيَّةَ.

ويروى «التراب الودمة». وهو على القلب.

قال الشريف: وقوله عليه السلام «لَيْسَ فَوْقُونِي» أي، يعطونني من لسان قليلًا قليلًا كَفُوقِ
الذِّقَّة، وهو الحلة الواحدة من لبنها، والوذم: جمع وذمة وهي: الحرَّة من الكرش أو
لكبد تقع في التراب فتتفص.

أقول: استعار وصف^١ التفوق: لعطيتهم المال قليلًا قليلًا: (ووجه المشابهة الفنة ما
يعطونه دفعات كما يعطى الفصيل ضرع أمه لتدثر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد إليها
لتدثر^٢، وتراث محمد: إشارة إلى الفية الحاصل ببركته. وكذلك استعار وصف المفض
المذكور لا معادهم عن ذلك الأمر.

٧٥- ومن كلمات كان يدعو بها - عليه السلام -

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَتَيْتُ أَغْلَمُ بِهِ مَيِّ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
مَا وَائَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَمَنْ تَحِدُّهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ
حَالَه قَلْبِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي زَمَرَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَتَقَطَّاتِ الْأَلْمَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَ
هَفَوَاتِ الْمَنَانِ.

أقول: حاصل الفصل سؤال المعصرة ومغفرة الله يعود لي ستره على عيده: ان يقع
في عذابه، ويكشف مقابحه لاهل الدنيا وما الله أعلم به منه، هو ما جازان يكون سيئة من

١ - في نسخة ش: لفظ.

٢ - لبقاره بين القوسين ساقطة من نسخة ش.

أفعاله، ولا يعلم ذلك فيعلمها. و آيت: وعدت، ومخالفة القلب لما يتقرب به في الطاهر من الأعمال هو: الرياء والصدق، ورمزات الالفاظ جمع رمزة وهي: الإشارة بالعين والحاجب الخارجة عن الدين، كما يفعل عند التنبه على شخص ليظلم أويغاب. و سقطات الالفاظ: الردى منها. وشهوات القلوب: هفواتها عن غير تثبت. و روى بالشين المعجمة وهي جواذب الشيطان للقلب الى ما ينبغي. وهفوات اللسان: زلاته وعلطاته. وقد سأل مغفرة الذنوب المتعلقة بكل واحد من الجوارح.

٧٦- وفيه كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم الحوم. فقال عليه السلام:

أَتَرْغُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ لَتَى مِنْ سَارِفِهَا ضَرْفٌ عَشْرُ السُّوءِ؟ وَتُحَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارِفِهَا حَقٌّ بِه الضَّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَ بِهَذَا فَمَدَّ كَذَبَ الْقُرْآنِ، وَاسْتَعْنَى عَنِ الْإِغَاثَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَذَفَعَ الْمَكْرُوهَ، وَتَبَتَّحَى فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنَّ يُؤْتِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ إِنَّكَ - بِرَغْبِكَ - أَنتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّعَمَ وَأَمِنَ الضَّرَّ!!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا كُمْ وَتَعَلَّمُ السُّحُومَ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فإِذَا تَدَعَوْا إِلَى الْكُفَّةِ، وَالْمُجْتَمِعُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّجِرِ وَالسَّجِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ يَسِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللهِ.

أقول: روى أن المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس أحد الأشعث بن قيس، و

١ - عفيف لكندي ... بن عم الأشعث بن قيس، و قيل: عمه، و قيل: أخوه والأكثر أنه ابن عمه وأخوه لأمه.

وقال الطبري: اسمه شرجيل وعفيف لقب. الإصابة ٢/٢٨٧ مرقمة ٥٥٨٦.

كان يتعطى علم الحجوم، واعلم أنه يغفل من بهي الشريعة عن تعلم الحجوم مراراً؛
احدهما، أنّ أكثر المشتغين بها والطالبيين لمعرفة احكامها يعتمدون فيما يرحون و
يخافون عليها و يفرعون الى ملاحظة اوقاتها، فيستقصون بذات عن الالتفات الى الله تعالى
والفرع السوء، وذلك عمّا يضاد مطوب الشارع اذ كان عرصه الاول ليس بالأدوام النعمات
الحق اليه.

الثاني، أنّ الاحبار منها عمّا سيكون في المستقبل يشبه علم الغيب، واكثر الخلق
من لعوام لا يمترون بينهما فيكون ذلك سبباً لصلاب الخلق، وضعف اعتقادهم
في المعجرات، اذ الاحبار من الانبياء عليهم السلام عما يكون منها ويستدرج تشكيكهم في
قوله تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) ^١ وكان هو السبب في
تحريم الكهانة والسحر ايضا، والعقل ايضا بطابق الشرع في تكذيب المنجم في كثير من
حكامه، وقد ثبت في القواعد العنيفة أنّ كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بدّ له من
اسباب اربعة: فاعنى: و غائي، وقاسي، و صوري. ثم القاسي مشروط في قبول كثر
حادث بشرائط فنيكية وعنصرية مما لا يتأهى ويمتنع اطلاع العقول لشدة عليتها، و
احاطتها بها ولا حساب لمنجم متى على قسمة ازمان بالشهر واليوم والساعة والترجة
واجزائها وتقسيم الحركة بأرائها ورفعة بينهما نسبة عددية، وكل ذلك امور غير حقيقية
وأما يوحد على سبيل التقريب، اقضى ما في الباب أنّ التفاوت بينهما لا يظهر في المدد
المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر في المدد المتباعدة ومع تحويل لتفاوت كيف يمكن
الحكم كلياً او جزئياً؟ اذا عرفت ذلك فنقول:

أنه عليه السلام الرمة فيما يدعته الرامات شنيعة بقربها عن قبول قوه:

احدها قوله فمن صدقك الى قوله: القرآن وهو: صغرى صغرى تقدير كبيره، وكل من
كذب القرآن: كان كذبا بيان تكذيبه أنّ المنجم اذا ادعى أنه سيقع كذا في وقت كذا
كان ذلك مكذوباً بقوله: (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ^٢ الآية.

الثاني، استعفاء مصدقه عن الاستعانة بالله، فيما يهتبه من محوف او مرحوف وذلك

١ - سورة النمل/٦٥.

٢ - سورة النمل / ٣٤.

لأنه يفرغ اليه في ذلك دون الله تعالى .

الثالث أنه يصير الأولى بمصدقته ان يوليه الحمد دون الله تعالى ، لأنه يزعمه هداة الى نفعه وضرره ، واستثنى مما نهى عنه من تعلمها ما يهتدى به في ترأوبحر لأن ذلك مما من الله تعالى به على عباده في قوله : (وهوالذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)^١ الآية . وقوله : (لتعلموا عدد السنين ولحساب)^٢ .

وقوله : فاتها ، الى آخره : تعين لتحذير عن تعتمها وفرعها بقياس مفسول مستتح منه ان المنجم في النار . واما معنى الكهن والسحر : فاعلم ان من النفوس نفوساً تقوى على الاطلاع على ما مسكون وعلى التنصّفات العجيبة في هذا العالم فتلك لنفس ان كانت كامنة خيرة مجذوبة من الله تعالى ، بدو على السلوك اليه فهي نفوس الانبياء ولاولياء ذوات المعجزات والكرامات . وان كانت ناقصة شريرة متجذبة عن تلك اجهة طالة لتلك المرتبة بل مقصرة على رذائل الاحلاق وخسائس الامور كالتكهن ونحوه ، فهي نفوس الكهنة والسحرة واكثر ما تظهر هذه النفوس القوية في اوقات الانبياء وقيل ظهورهم فتها تدعو الى الكهانة اى : يقصد قصدها لأن المنجم يشبه بالكاهن في احاره مما سيكون ، ويتميز الكاهن عن المنجم بان ما يقوله عن قوة نفسانية مه بحلاف المنجم ، وذلك ادعى الى فساد اذهن الحلق واعوانهم لزيادة اعتقادهم فيه .

واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التأثير في امر خارج عن بدنه آثاراً خارجة عن الشريعة مؤذية للحق ونافعة كالتفريق بين الزوجين ونحوه ، وتلك زيادة شر آخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه ، وانعمالهم عنه خوفا ورغبة . والكافر يتميز عن الساحر بالبعد الاكثر عن الله تعالى ، وحينئذ صار الضلال والفساد مشتركاً بين الاربعة الا أنه مقول عليهم بالاشد ، والاضعف . هالك فرأوى من الساحر ، والساحر اقوى من الكاهن ، والكاهن اقوى من المنجم ، فذلك جعل عبه لسلام الكاهن اصلا في تشبيه المنجم به ، والساحر اصلا في تشبيه الكاهن به ، ولكافر اصلا في تشبيه الساحر به ، وظهر من ذلك ان وجه التشبيه في الكل هو ضلالهم و

١ - سورة الاعام / ٩٧ .

٢ - سورة يونس / ٥ .

اضلالهم للخلق. وروى أنه عليه السلام سار في تلك اساعة الى الخوارج وكان من طفره بهم ما هو مشهور.

٧٧- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد حرب الجمل، في ذم النساء

مَقَاشِرُ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ تَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، تَوَاقِصُ الْخُطُوطِ، تَوَاقِصُ الْقَوْلِ: فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِيهِنَّ فَمَعْنُوذُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نَقْصَانُ عَمَلِهِنَّ فَشَهَادَةُ أَمْرَاتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَحِيدِ، وَأَمَّا نَقْصَانُ خُطُوبِهِنَّ فَمَوَارِيْتُهُنَّ عَنِّي الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ؛ فَتَقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَنِّي حَدِيثٌ وَلَا تُظِعُّوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَظْلَمَنَّ فِي الْمُتَكْرِ.

اقول: لما كانت تلك الحرب من الوقائع الكبار، والفتن العظيمة في الاسلام المشتملة على هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبة الى رأى امرأة. اراد ان ينبه على وجه نقصان النساء واسبابه، ليتجنبن متابعتن ولذلك حذر بعده من شرارهن وأمر بالكون مع خيارهن على الحذر والتحرز منهن في ايداع سرّ وقول مشورة وان كانت بغير معروف لما يستلزم ذلك من طمعهن وتعلّيهن فيما يطمعن فيه الى حد الافراط وتجاوز قدرهن وهو منكر.

٧٨- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، الرَّهَادَةُ قَصْرٌ، لِأَمَلٍ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ التَّعَمُّ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَزَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَسْتَوْا عِنْدَ التَّعَمُّ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَغْدَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَّحٍ مُشْعِرَةٍ طَاهِرَةٍ، وَكُنْتُ بَارِزًا لَعْدِي وَأَضْعَفِي.

اقول : رسم الرهد بثلاثة لوازم، وهى : قصر الأمل فى الدنيا، وشكر نعم الله، والورع وهى : هى قوة خاصة مركبة وفى ذكرها تبيى على الامر بدرومها ولزوم الرهد. وقوله: فان عزب الى آخره. يحتمل معنيين.

احدهما: أنه ان بعد عليكم وشئ استجماع هذه الامور الثلاثة فالزموا بها الورع و فتره: بالصبر لانه من لوازمه، ثم الشكرو كانه رخص لهم فى طول الأمل لما ينصور فيه مما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة ولأن قصر الأمل كثر ما يعرض من غيبة الخوف على القلب، والاتفات عن الدنيا بالكلية وذلك غير مراد لشارع من كل الناس.

الثانى: يحتمل ان يكون لما عسر الرهد باللوازم الثلاثة هى معرض الامر بها، قال بعده: ان صعبت عليكم هذه فعدلوا الى ما هو اسهل منها. وهو الصبر عن المحارم عوضاً عن تمام الورع وهولزوم الاعمال لحمة والتذكر لعمدة الله عند وقوعه لغرض شكرها، بحيث لا ينسى بالكلية عوضاً من دوام الحمد والثناء. وقوله: فقد اعدس اى: اظهر عذره اليكم. ومسفرة: مشرفة.

٧٩ - وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى صفة الدنيا

مَا أَصْبَفُ مِنْ ذَارِ أَوْلَئِهَا غَتَاءً، وَآخِرُهَا قَتَاءٌ، هِيَ حَلَالُهَا حِسَاتٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَاتٌ، مَنْ أَسْتَعْتَى فِيهَا قُتْرًا، وَمَنْ أَتَفَرَّجَ فِيهَا حَرَبًا، وَمَنْ سَاعَاها فَأَسْتَهْ، وَمَنْ قَعَدَ نَتَهَا وَأَنَسَهُ، وَمَنْ أَنْصَرَبَ بِهَا بَصَرُهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ.

(قال الشريف: اقول: واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرته» وجد تحتها من المعنى لعجب والغرض البعيد مالا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولا سيما اذ قرن اليه قوله «ومن أبصر اليها أعمته» فإنه يجد الفرق بين «أبصرها» و «أبصر اليها» واضحاً تيراً وعجيباً باهراً.)

أقول : العناء : التعب وقد ذكر الدنيا في معرض دقها والتفسير عنها وصافا عشرة :
 أولها إشارة الى زمن الوجود فيها ، وعناء الإنسان فيها ظهر ، والمثنة : الابتلاء وهو
 من لوزم اعنى فسها ، ومساعدتها : استعارة كنه مع حرص طلبها عيها وتعسرهما عيه
 كالهارة منه سعياً وهو ساع في طلبها ، وقوى اسباب فواتها طائلها ان اكثر ما يكون
 تحصيلها بمسارعة اهله ، ومحاذبتهم ياء ، وذلك مما يوجب تصويت بعضهم لها على
 بعض . ولما كان هذا السبب مفعولاً في حق من قعد عنها كان فواتها قبيلاً له ، وفواتها و
 مكانها اكثرية كما في حق الراهدين فيها ، وقال الحلق وانتقرب بها اليهم . وقوله : و
 من أبصرها بصيرة ، اى : من جعلها سبب هدايته ، ومحل ابصاره بمن عقله ، استمدادها
 البصر والهداية . وقوله : من ابصر اليها اعتمته ، اى . من مد اليها بصر بصيرته محبة ليه
 اعتمته عن دراك سورائه ، وهو كقوله تعالى : (لا تمدن عينيك الى ما متعاه ارواحا
 مهم)^١ الآية وقد ظهر الفرق بين قوله : انصربها ، وبصر اليها .
 ومدح السيد لهذا الفصل ظاهر الصديق وبالله التوفيق .

٨٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من الخطب العجبة وتسمى العراء

اعلم انّ هي هذه الخطبة فصولاً :

الفصل الأول قوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِجٌ كُلَّ غَيْبَةٍ وَقَصِلٌ، وَكَاشِفٌ كُلَّ
 عَظِيمَةٍ وَأَرْلِ أَحْمَدُهُ عَلَى غَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَافِجِ بَيْتِهِ، وَأَوْمِرُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْبَارِهِ، وَأَسْتَهْدِيهِ
 قَرِيبًا هَدْيًا، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَهْرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي
 رَفَعَ السَّمَاءَ فَبَنَاهَا وَسَطَّحَ الْأَرْضَ فَطَحَهَا (وَلَا يُؤَدُّ جَمْعُهَا) وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
 مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْعَادِ أَمْرِهِ، وَنَهَائِ عُدْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُدْرِهِ.

أقول: لما تَزَهَّ الله تعالى عن العوالمكاني، كما سبق فهو المعنى باعتبار كونه رب كل شيء وموحده، وهو باعتبار يحقه بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته، فلذلك نسب علوه الى حوله، اذ ليس دتوه مكانياً فهو باعتبار قرنه المقول من خلقه بحيث يشهدونه في صور طولوه، وهو: فضله وهيئته لكل مستحق ما يليق به. والمنتحة: العطية. والأزل: الشدة. وعواطف كرمه هي: آثاره الاخيرية التي تعود على عبده مرة بعد اخرى، واولاً بدياً: حالان، اما من ضمير الفاعل، وهو الاظهر ويكون بادياً مهموزاً، والمعنى: اني اول ما اندأ بايماني به، واما من الضمير المجرور وبادياً ظاهراً وظهر كون اوليته، و مبدأيته لخلقها وظهوره لمقولهم في جميع آثاره مبدأ الايمان به، والتصديق بالهئته، وكذلك كونه قريباً من عبادته، هادياً لهم مبدأ يطلب: الهدية منه، وقهره، وقدرته: مبدأ للاستعانة به، وكمايته اى: كونه معطيًا لكل مستحق من خلقه ما يكفى استحقاقه، واستعداداه. ونصره لعباده: سبب توكلهم عليه، وعذره: ما يشبه الاعذار الى الحلق من النصائح الالهية لهم. ونذره: تحويجه بلوعده وظاهر كون اعداء اوامر الله مع الاعذار والانذار اغراضاً للثبته.

أَوْحَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا، وَوَقَّتْ لَكُمْ الْآجَلَ، وَالْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ وَأَرْضَ لَكُمْ الْخِزَاءَ، وَأَتَرَكُم بِالْتَّعَمِ السَّوَاعِ، وَأَرْقَدَ الرُّوْفِغَ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجْحِ الْبَوْلِغِ، وَأَخْصَاكُمْ عَدْدًا وَوَطَّفَ لَكُمْ مُدَّةً فِي قَرَارِ خَيْرَةٍ، وَذَارَ عِثْرَةَ أَنْتُمْ مُحْتَبِرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسِبُونَ غَنِيهَا.

فَإِنَّ أُنْدُسِيَّ رَقِ مَشْرِئَهَا، رَدِغَ مَشْرِئَهَا: يُوقِ مَسْطَرَّهَا، وَيُوقِ مَخْبِرُهَا عُرُورَ حَائِلٍ وَصَوَّ أَقِلٍّ، وَبِلَّ زَيْلٍ، وَيَسَدُّ مَائِلٍ حَتَّى إِذَا أَيْسَ نَاوِرُهَا، وَأَظْمَأَنَّ نَاكِيرُهَا: قَمَصَتْ بِأَرْحُلِهَا، وَقَنَصَتْ بِأَحْلِيهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُيْهَا، وَأَغْلَقَتْ الْمَرَّةَ أَوْهَقَ الْمَنِيَّةِ حَائِدَةً لَهُ إِلَى صَنِيعِ الْمُنْصَحِّ، وَوَحْشَةَ الْمُرْجِعِ وَمُعَيَّةَ لِمَحَلٍّ، وَتَوَابَ الْعَمَلِ، وَكَذَلِكَ أَلْغَفَ يَغْفُ السَّلَفَ: لَا تُفْلِحُ الْمِيَّةُ أَحْتِرَامًا وَلَا يَرْغَى الْبَاقُونَ أَحْتِرَامًا يَتَحَدَّثُونَ مِثَالًا، وَ يَتَصَوَّرُونَ أَمثالًا، إِلَى عَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصُورِ الْقَاءِ.

والرياءش: اللباس الفاحش، وقيل العنى بالمال. وأرفع: أوسع. وأرصد: اعتد.
والرغد جمع روده وهى: العطية. والروافع بائعين السمحة: الواسعة الطيبة. وقرار
الخبرة: محل اختبار الله وابتلائه لحقيقة وهى: الدنيا. ورتق مشربها: كدر لذاتها بشوائب
آفتها، واستعار لفظ الرذع بالعين المعجمة لشرعها: باعتبار أن موارد تولد لها والشروع فيها
مزالق، فقام العفول عن سواء الصراط الى طرفى التفريط والافراط. والرذغة: الوحل
والطين اللزق. وسونق: يعصب. ويونق: يهلك، وهو إشارة الى اعجابها بذوى العفلة
بزيستها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها لغرض اللذائذ بها. وغرور بالفتح: غارة لأهلبها.
والحائلة: الرائدة، وروى غرور بالقسم وهو محاق. واستعار لفظ الضوء: لما يظهر منها
من احسن فى عيون العافيين، يقال: على فلان ضوء اذا كان له مطر حسن، وكذلك
لفظ الاقول: لزواها. ولعظ انقل: لما فيه اهلها من نعيمها. ولفظ السناد: لما يعتمد
عليه لمعاولون من وجودها الذى لا ثبات له. ولفظ الميل: لكونها فى معرض انزوال
مظنته. وناورها وناكرها: من كان باعرا عنها بعقده، ومكرها لها، وكذلك استعار وصف
انمض بالأرحل: لامتناعها على الاسناد عند تنكرها عليه. ولقص بالأحبل ليمكن
محبتها فى اعناق السفوس. ولفظ الاسهم للامراض واسباب الموت. ووصف
الاقصاربها: لاصابتها تنزيلا لدنيا مرله الرامى، ووصف الاعلاق بالحيال: لوقوع فى
اسقامها ومهلكاتها. والاولدق جمع وهق وهو: الحل.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّعَتِ الْأُمُورُ وَتَفَصَّيْتُ الْأُفُورُ، وَأَرَفَ الشُّورُ أَحْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْغُورِ
وَأَوَّكَارِ الْغُيُورِ وَأَوْحَرَةَ السَّبَاعِ وَمَضَارِجِ الْهَمَالِكِ، سَرَعَتْ إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَقَادِهِ
رَعِيلاً صُمُوتًا، قِيَامًا صَفُوقًا، يُفِيدُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ،
وَصَرُخُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالسَّلَهِ قَدْ صَلَّتِ الْحِجْلُ، وَأَنْفَطَعَ الْأَمْلُ، وَهَوَتْ الْأَقْبِدَةُ كَاطِنَةً، وَ
خَسَمَتِ الْأَصْوَاتُ مَهْيِمَةً، وَالْجَهْمُ الْغَرَقُ، وَعَظُمَ السَّقَرُ، وَأَرْغَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرِ الدَّاعِي
إِلَى قُضْلِ الْخُطَابِ وَمُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَابِ الْعِقَابِ، وَنَوَابِ الثَّوَابِ.

وقوله: حتى اذا تصرعت، الى قوله: وسوال الثوب، فاعلم انه قد تطابقت السن

الانبياء عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني، ونطق به الكتاب العزيز وصرح به
 نبينا محمد صلى الله عليه وآله، تصريحاً لا يحتمل التأويل. وأما الحكماء والمشهور من
 مذهبهم معه لا متنازع إعادة المعدوم، وربما قُذِّت الفلاسفة الاسلام ظاهر الشريعة في
 اثباته.

قال ابن سينا: في «كتاب الشفاء» (يجب ان تعلم ان المعاد منه ما هو المقبول من
 الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن
 عند البعث، وخيرات البدن وشروطه معلومة لا تحتاج الى ان تعلم. وقد بسطت الشريعة
 الحق التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة التي
 يحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل، والقياس البرهاني، وقد صدَّقَتْ النبوة وهو
 السعادة والشقاوة البالغتان اثباتاً بل مفيدتين للتأويل لانفس وان كانت الاوهام من
 تقصير عن تصورهما الآن لما توضح من العلل. والحكماء الالهيين رغبتهن في اصابة
 هذه السعادة اعظم من رغبتهن في اصابة لسعادة البنية بل كنهن لا يلتفتون الى تلك و
 ان أعطوها ولا يستعظمونها في جنبة هذه لسعادة التي هي مقاربة الحق الاول).

واعلم ان الذي ذكره عليه السلام هو صريح في اثبات المعاد الجسماني ولو اختلف،
 بقوله: اخرجهم، الى قوله: المهات: اشارة الى جمعه لاجراء البدن بعد تشذيبها
 وتفريقها، وتأليفها كما كانت. وازف: دنا. والضرائح جمع ضريح: القبور. ولاوارة
 جمع وجارو هو: بيت السبع. ومهطعين: مقبلين. ورعيلا: مجتمعين. واللبوس: ما
 يلبس. والضرع: الخضوع. وكاظمة: ساكنة. والهيئمة: صوت خفي. والجم: العرق بلع
 موضع اللجام، وهو كناية: عن بلوغه الافواه. والشفق: الخوف. والزبرة: الانتهاز.
 والمقايضة: المعاوضة. والتمكال: تنويع العقوبة. واحتصار: طلب حضورهم بالموت.
 ولاجداث: القبور. والرفات: القنات من العظم ونحوه. ومدينون، محزيون. وجزاء:
 مصدر نصب بما في معنى فعله. وكذلك حساباً عن قوله: مُمَيَّنُونَ، واما لهم في
 طلب المخرج: تأخيرهم لذتهم في الدنيا ليخرجوا من ظلمات الجهل وورطات المعاصي
 الى نور الحق، ومتسع الرحمة وهدايتهم سبيل المسحح، الهامهم باصل فطرتهم وما دلت
 عليه الاعلام الواضحة من الكتب الالهية والسنن الشرعية على طريق الله سبحانه.

و لما كان من يطلب استعابه، و رجوعه عن غيّه، بامهال و مداراة كاست : مهلة الله سبحانه لخلق ملة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته، تشبه ذب فتزلت مرلته، و يصب مهل على المصدر عن قوله: عمروا، لآث التعمير امهال. و استعار لفظ السدف: لئلا يغشاهم من ظلمة الشكوك والجهالات، و كشفها بما وهبه تعالى لهم من العقول، و ائدهم به من بعثة الرسل. و قوله: قد حلّوا المضمار الحياذ، اى: تُركوا فى الدنيا ليضمّروا انفسهم بازواد التقوى، و استعار لفظ المضمار و رشح بذكر الحياذ و كذلك تحييتهم لروية الارثاء، اى: ليتفكروا فى طلب ما يتخصّصون به الى الله. وليتأوّا ائدة المقتبس لاثوار الله: للاستشارة بها فى ملة آجالهم، و محلّ اضطرابهم فى مهلتهم، و تحصيلهم لما ينفعى من الكمالات. و من ملك من عبده هذه الحالات، و افاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق بأحدهم ان يحاهره بالعصيان، او يتحاسرأن يقبله بالكفران، و صواب الامثلة: مطبقتها للمثل به او كونها من شأنها ان تفعل فى القلوب الذكية الواعية لها، و شفاء الموعظة: تأثيراتها فى القلوب ازالة امراض لعملة والجهل، و اناية المستعظ بها الى ربه، و زكاة القلوب: استعدادها لقبول الهداية و قربها من ذلك. و وعى الاسماع: فهم القلوب عنها، و وصفها بالوعى لقولها الالط مؤدبة لها اى قوة الحسن. و عزم الآراء: توجيه الهمم الى ما ينبغى والثبات على ذلك. و حزامه الأبواب: حودة رأى العقول فيما يحتار، و طاهران هذه الثلاثة هى اسباب نفع الموعظة.

و قوله: فأتقوا الله، الى قوله: مقامه: امر بتقوى الله تقية من استجمع هذه الاوصاف الشامية عشر. و اقرن: اكتسب الاثم، و اعترف اى: بذنبه و هو اذنبه اربابها. و وجل اى: من خوف الله فعمل له. و ايقن اى: ببقاء ربه، فحسن اى: عمله، اذ كان اليقين له مستمرا لحسن طاعته. و عبّر اى: رمي بالعبير فأعتبر، و اجاب اى: داعى الله، فأنا اب اليه بسره و امتثال امره، و راجع اى: عقبه فتاب من اتباع شياطينه، و اقتدى اى: بهدى الله فحذا حذوه، و أرى الحق فظهرت لعين بصيرته طريق الله. فرأى اى: فعرفها فأسرع فيها طالبا لما يؤدى اليه، فبجا هاربا: من ظلمات جهله و شمراته. فأفاد اى: فاستفاد بسلوكه، ذخيرة لمعاده، و اطاب بسلوكها سريره: عن نجاسات الدنيا و عمر: بما اكتسبه

١- فى ش بريادة، الى.

من الكمالات المسعدة معاده. وقوله: جهة ما خلقكم له، اى: اتقوه باعتبار ما خلقكم له من عرفانه، واجعلوا تقواكم فيه: نظراً الى تلك الجهة لا للرياء والسمعة، وجهة: منصوب على الظرف، ويحتمل ان يكون مفعولاً به لفعل مقدر اى: اقصداوا بتقواكم جهة ما خلقكم له، وكنه ما حذركم اى: اقصداوا فى حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه، وذلك يستلزم الفحص عن حال المحذور منه. وتنبذهم لصدق ميعاده بالاستعداد لذلك بانواع طاعته، وبالله التوفيق.

اقول: قوله: جعل لكم، الى قوله: بأوقاتها: تذكير بنعمة الله تعالى فى خلق الابدان، وما يشتمل عليه اعضاؤها من الحكمة والمنافع، وعناها: اهمها، واستعار لفظ انشاء: لعدم ادراك الابصار ادراك يحصل منه عبرة اذ كانت فائدة خلقها ذلك وفائدة عن ان الجلاء يستدعى مجلوا هو: انشاء، ومجلوا عنه هو قوة البصر، فاقام عليه السلام المجلوا مقام المحلوع عنه، فكأنه قال: لتجلوا عن نورها عشاها. والاشلاء جمع شلوه هو: الجسد. والحنو: الجانب اى: متناهية الجوانب والاقطار والارفاق: المنافع. وحواجز عافيته: ما يحجز منها عن الاسقام. والخلق: البصير اى: ما استمتعوا به من دنياهم، والخنق بالكسر: حبل يخنق به، واستعار لفظه: للأجل، ومستفسحه: مدة الحياة. والارهاق: الاعمال. والتشذب: التفرق. ومهد الأمر بالتحفيف والتشديد: هتاء. وأنف الأوان: أول الوقت. والبضاضة: امتلاء البدن وقوته. والهرم: الكبر. وغضارة: العيش طيبه. وآونة: جمع أوان كأزمنة وزمان، ولما كانت هذه غايات للمرء من شبابه ينتهى اليها، اشبه المنتظر لها: اذا قصر عما ينبغي له. وأزف: دنى. والعزب بالتحريك: كالرعدة تأخذ المريض. والجرض: ان يلعب ريقه على هم وحزن. والحفدة: الأعوان. وغودن: ترك. والمعالم: الآثار والشجب: الهالك الناحل. والنخرة: البالية. والأعباء: الاثقال. وإيقانها بغيب ابنائها: تحقيقها ما كانت تجهله فى الدنيا من أحوال الآخرة واختبارها الغائبة عنها، او ما غاب عنها فى الآخرة من اخبار الدنيا، وعدم استزادتهم من صالح عملها عدم صلاحيتها لذلك، وكذلك عدم استعابها كقوله تعالى: (وان يستعابوا فما هم من المعتبين)^١. والقدة بكسر القاف والدال المهملة: الطريقة.

١- سورة فصلت / ٢٤.

واعلم ان القول بالصراط يحجب الايمان به، وهو في الدنيا يرجع الى الوسط بين الاخلاق استمداة كالحكمة بين الجهل والجريزة، وكالسقاء بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهور ولحن، ولعدالة بين الظلم والانطلام، وبالحكمة الوسط الحق بين طرفي افراط وتفریط من اطراف المضائل وهو الطريق الى الله المطلوب سفوكه.

وشبّيل الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى: (اهدنا لصراط المستقيم)^١ فقال: ارشدنا للروم الطريق المؤدى الى محبتك، والمبلغ ذيك، والمانع من ان نتبع اهواءنا فنمطب او نأخذ بأرائنا فنهلك^٢.

اذا عرفت ذلك، فنقول: مرائق الصراط في الدنيا هي مظنّ ابخطأ من العقل والشهوة والعصب، والعبور عن فضائلها الى احد طرفي الافراط والتفریط معها، واهويل ركبها وهو ما يزم ذلك العبور من عذاب الله، ثم عاد الى الأمر بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف الايمان، واراد بالعكسها: الفسك في امر المعد، فانه مشعل عن محبة الدنيا وجاذب الى الله، وكذلك خوف المعد، وانصه: تعبه. والعراز: اسوم لقبيل. واطمأ الرعاء هو اجر يومه كناية: عن كثرة حصومه في اسد اوقات الحرجاء لما اعد الله لاوليائه، وجن الهواجر: مفعولا به اقامة لطرف مقدم لمظروف وهو احد وجوه المحن وظيف بالتخفيف: مع. وواجف: أسرع. ولوجيف صرب من السير فيه سرعة. والمعالج: الامور القاضية للانسان عن طاعة ربه، وتنجبها عدل عنها الى الحق. واقصد المسالك: اولها بالقصد وهي طريق الله. وانفلت الصرف اي: تصرفه المعصيات السيوية الصارفة عن ربه، ولم تعم عليه اي: لم يحهل الشبهة من اسحق. والبشري: بشري الملائكة يوم القيامة (بشراكم اليوم حثات تجري من تحتها الانهار)^٣. وراحة العمى: الراحة من متاعب الدنيا بعمى الآخرة. واطلق لفظ السوم في قوله اعمى: نومه على راحته هي الحسة اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه. ومعبء العاجبة: طريق الدنيا. واكمش في مهل اسرع الى طاعة ربه يوم مهله. ورغب في صلب اي: كانت رغبته فيما عنده مقرونه بطلبه له. وذهب اي:

١- سورة المائدة / ٦.

٢- تفسير نور الثقلين ٢١/١. تفسير الميراث ٣٧/١. تفسير فاتحة الكتاب ٢٨. تفسير البيان ٤٠/١.

٣- سورة الحديد ١٢.

عن المعاصي عن هرب من خوف الله. وكفى باليوم وبالعد: عن الدنيا والآخرة. ونظر
 قدما، أي: لم يلتفت عن الله ولم يعرج على سواه، ونسبة الاحتجاج والحصام إلى
 الكائن مجاز، ونفوذ بليس في الصدور وبفثه في آذان كناية: عن وسوسته، والقائنها
 في القلوب بصورة الالفاظ وغيرها. والموبقات: لمهلكات، وقرينته هي: النفس
 الناصفة. واستدراجها: اخذها بالاستغفار والوسوسة، وهي أيضا هيئته باعتبار احاطة
 المعاصي بها من قبله كما يستغلظ الذهب بما عليه من المال، وانكاره ما زين كقول
 تعالى: (نكص على عقبيه، وقل: أنى برئى منكم).

مها في صفة خلق الانسان:

عَادَ مَخْلُوقُونَ أَقْبَدَ رَأَى، وَمَرْبُوبُونَ أَقْسَرَا، وَمَقْبُوضُونَ أَخْيَضَرَا، وَمُضْمَسُونَ
 أَجْدَلَا، وَكَابُوتُونَ رَفَاتَا، وَمَتَعُونُونَ أَفْرَادَا، وَمَقْدِيُونُونَ خَزَاءَا، وَمُمَيَّزُونَ حِسَابَا، قَدْ أَهْلُوا فِي
 ظَلَبِ الْمُنْخَرَجِ، وَلَهْدُوا سَبِيلَ الْمُنْتَهَجِ، وَغَمَرُوا مَهَنَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَكُتِبَتْ عَنْهُمْ مَدَفُ
 الرِّيبِ، وَخُلُوا لِمُضْطَارِ الْحَيَادِ وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِدِ، وَأَدَا الْمُقْشِيسِ الْمُتَرَادِ فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَ
 مُضْطَرَبِ الْأَهْلِ.

قِيلَ لَهَا أَمْسَالًا صَانِيَةً، وَمَوَاعِظَ شَفِيَّةَ لَوْ صَدَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً، وَآرَاءَ
 عَارِمَةٍ، وَالْيَبَابَ حَارِثَةً، فَأَتَقُوا نَفِثَةً مِّنْ سَمْعٍ فَحَشَعُ، وَفَقَرَتْ فَاغْتَرَفَ، وَوَجَلَ فَعَمِ، وَ
 حَادَرَ قَدَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَغَبَرَ فَاغْتَبَرَ، وَحَدَرَ فَرَدَجَرَ، وَأَحَابَ فَأَنَابَ، وَرَخَعَ قَنَابَ،
 وَافْتَدَى فَاخْتَدَى، وَأَرَى فَرَأَى، فَأَسْرَعَ ظَلَبًا، وَتَجَاهَرَبًا، فَفَادَ ذَجِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً،
 وَغَمَرَ مَعَادَا، وَأَسْتَظْهَرَ رَدَا لَيَوْمِ رَجِيلِهِ، وَوَلَّخَهُ مَسِيلِهِ، وَحَالَ حَاجِيَتِهِ، وَمَوَظِنَ فَاقِيَتِهِ، وَقَدَّمَ
 أَمَامَهُ لِذَارِ مُقَامِهِ. فَأَتَقُوا اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ جَهَةً مَا حَقَّقَكُمْ لَهُ، وَأَخَذُوا مِنْهُ كُنَّةَ مَا حَدَرَكُمْ مِنْ
 نَفْسِهِ، وَأَسْتَحْجَمُوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجْزِيرِ لِبَصْدِ مِتَاعِهِ، وَالْحَدَرِ مِنْ هَوَى مِتَاعِهِ.
 جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا يَسْمَعُ مَا عَنَّاهَا وَأَبْصَارًا يَنْجُلُو عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً
 لِأَعْيَانِهَا مُلَانِمَةً لِأَحْدَانِهَا: فِي تَرْكِبِ صَوَرِهَا، وَمُدُّ عُمْرِهَا، بِإِبْدَنِ قَائِمَةٍ بِأَرْقَاقِهَا، وَ
 قُلُوبَ رَايَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلَّاتِ بَعِيهِ، وَمُوجِبَاتِ مِثْلِهِ وَخَوَاجِرِ غَافِيَتِهِ. وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا
 سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَقَ لَكُمْ عِبْرًا، مِنْ أَمَارِ الْمَاصِي قَسَمَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلْقِهِمْ،

وَمُسْتَفْسِحَ خَنَائِهِمْ أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَاسِيَا دُونَ الْأَمَالِ، وَشَدَّيْهِمْ عَنْهَا تَحَرُّمُ الْأَجَالِ، لَمْ يَتَمَهَّدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَتَغَيَّرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ، فَهَلْ يَسْتَظِرُّ أَهْلُ بَقَاةِ الشَّيَابِ إِلَّا حَوْلِي الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَةِ الْأَتَوَارِكِ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ النَّقَاءِ إِلَّا آوِيَةُ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزَّيَالِ، وَأَرْوِفِ الْإِنْيَقَالِ، وَعَلَرِ الْقَلْقِ، وَالْمِ الْمَضْضِ، وَغُصَصِ الْحَرَضِ، وَتَنَفَّتِ الْإِسْتِمَانَةُ بِتَضَرُّعِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِيَاءِ وَالْأَعَزَّةِ وَالْفَرَتَاءِ، قَهْلَ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ التَّوَالِيَةُ، وَقَدْ حُوِّدِرَ فِي مَعْلَى الْأُمُوتِ رَهِيئًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَجِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ وَابْتَلَتْ التَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَغَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحْبَةً بَعْدَ بَضِيئَتِهَا، وَالْعِظَامُ نَجْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْيَانِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبِيَائِهَا، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلِيلِهَا أَوْلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْأَبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِيَاءَ تَحْتَدُونَ أَمْنَتَهُمْ، وَتَرْكِبُونَ قَدْرَهُمْ، وَتَطَاوُونَ جَادَتَهُمْ؟ فَانْقَلَبُوا قَاسِيَةً عَنْ حَفَلِهَا لَا هَيْبَةَ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةً فِي غَيْرِ مَضَارِهَا! كَانَ الْمَعْنَى سِوَاهَا وَكَانَ الرُّشْدُ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَارِئَهُمْ عَلَى الصَّرِجِ، وَمَزَالِقُ تَخْصِيصِهِ، وَأَهَاوِيلُ زَلِيلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ دِي لُبِّ شَعْلِ التَّبَكُّرِ قَلِيلَةٍ، وَأَلْيَسِبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَشْهَرَ التَّهَجُّدَ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَطْمَأ الرُّجَاءَ هَوَاجِرَ نَوْمِهِ، وَطَلَّتِ الرَّهْدُ شَهْوَانِيهِ، وَأَزْجِفَ الذُّكْرُ يِلْسَانِيهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفُ لِابْنَانِيهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَّكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى التَّهَجُّدِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَقِيلُهُ قَابِلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْبِهَاتُ الْأُمُومِ ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ الشُّعَى فِي أُنْعَمِ نَوْمِهِ، وَأَمِينِ نَوْمِهِ، قَدْ غَبَرَ مَقْبَرُ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلِ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلِ، وَرَفَغَ فِي ظَلَبِ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبِ، وَزَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قَدَمًا أَمَانَةً فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَانًا وَنَوَالًا، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَبَصِيرًا وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَتَخْصِيمًا أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَعْدَرَ بِهَا أَنْزَرَ وَأَحْتَجَّ بِهَا نَهَجَ وَحَدَّرَكُمْ عُدُوًّا مَدَّ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا فَأَصْلَ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَتَنَى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوَبِقَاتِ الْمُظْلَمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَعْلَقَ رَهِيئَتَهُ، أَكْثَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَغْطَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَدَّرَ مَا أَمَّنَ.

ومنها في صفة حلي الانسان:

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَ فِي تِلْكَ الْأَرْحَامِ، وَشَعَفَ الْأَشْتَارَ نُظْمَةً دَهَائِقًا وَعَلَقَةً مَحَافَاً، وَحَسِنًا وَرَاضَةً، وَوَلِيدًا وَتَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَاطًا، وَلِسَانًا لَاطِبًا، وَبَصَرًا لَاحِظًا لِيَقْفَهُمْ مَغْتَبِرًا، وَيُعَصِّرَ مُرْدَحِرًا، حَتَّى إِذَا قَامَ أَغْيَدَ لَهُ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ، نَعَرَ مُشْتَكِبَرًا، وَحَظَّ سَادِرًا، مَبْتَحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا مَغْيَا يَدْبَاهُ؛ فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ، وَتَدَوَاتِ أَرْبِهِ، لَا يَخْتَسِبُ رَزِيئَةً وَلَا يَحْشَعُ نَقِيئَةً، فَمَاتَ فِي فُتَيْتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا، لَمْ يُعِدْ عَوْضًا، وَلَمْ يَقْضِ مُقْتَرَضًا، دَهَمَتْهُ، فَتَعَاتُ السَّيِّئَةِ فِي غُيْرِ جَمَاحِهِ، وَسَتَنِي مِرَاجِيهِ، قَطَلَ سَادِرًا، وَبَاتَ سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ الْأَلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَعِ وَ الْأَسْقَامِ بَيْنَ أَحْمَقِ مُصِيقٍ، وَوَالِدِ مُصِيقٍ، وَ ذَائِعَةِ بِالْوَيْلِ جَرَمًا، وَلَادِمَةِ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِيَةٍ، وَآيَةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْفَةٍ مُثْبِتَةٍ. ثُمَّ أَذْرَحَ فِي أَكْعَانِهِ مُنْبَسًا، وَجَذَبَ مُنْقَادًا سَيْسًا، ثُمَّ أَلْقَى عَلَى الْأَعْوَادِ رَجْعَ وَصَبٍ، وَنَضْوَسَقَمَ، تَحْمِيلُهُ حَفْدَةَ الْوَلَدِ، وَحَشْدَةَ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرَبِيِّهِ، وَمُنْقَطَعِ زُورِيَّتِهِ، حَتَّى ذَانَصَرَفَ الشُّشْبُغُ، وَزَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أَغْيَدَ فِي حُمْرِهِ نَحِيًّا لِنَهْنَةِ السُّوَالِ، وَعَشْرَةَ الْأَمْتَحَبِ، وَأَغْضَهُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةَ نَزْوِلِ الْحَمِيمِ، وَتَغْلِيَتُهُ الْبُحْجِيمِ، وَقَوَارِثُ السَّعِيرِ، وَسَوَارِثُ سَرِيرٍ، لَافْشَرَةُ مُرْبِيحَةٍ، وَلَادَعَةُ مُرْبِيحَةٍ، وَلَا قُوَّةَ حَاحِرَةٍ، وَلَا قُوَّةَ نَاحِرَةٍ، وَلَا سِيَّةَ مُسْلِيَةٍ، بَيْنَ أَطْوَارِ السُّوَالِيَّاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ!! يَا

يَا اللَّهُ تَعَالَى.

عَبْدَ اللَّهِ، أَيُّنَ الَّذِينَ عَمَرُوا قَتَعُمُوا، وَعَلَّمُوا قَهَمُوا، وَأَنْظَرُوا قَلَهُوا، وَسَلِمُوا قَتَسُوا؟ أَنَهَلُوا ظَوِيلًا، وَمُنَحُوا جَبِيلًا، وَحُدُّرُوا أَيْمًا، وَوَعِدُوا جَيْسِمًا!! أَحْدَرُوا الدُّنُوبَ الْمُوَرَّطَةَ، وَلَعِبُوا الْمُنْجِطَةَ.

أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَدْعِ! هَلْ مِنْ مَنَاصٍ، أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَقَادِ، أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ مَحَارٍ؟ أَمْ لَا؟ فَأَيُّ تَوْكُونٍ! أَمْ أَيْنَ تُصْرُقُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَعْتَرُونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْمَعْرُضِ قَبْلُ قَدْوٍ، مُتَعَمِّرًا عَنِ خَدْوِ. الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخَتَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ؛ فِي قَيْتِ الْإِرْتِسَادِ، وَرَاحَةِ الْأَخْسَادِ، وَبَاحَةِ الْإِخْتِسَادِ، وَمَهْلِ الْبَقِيَّةِ، وَنَيْفِ الْمَشِيَّةِ، وَنَظَارِ التَّوْبَةِ، وَاتِّسَاجِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّلَكِ وَالْمَصِيقِ، وَالزُّوْجِ وَالزُّهْوقِ، وَقَبْلُ قُدُومِ الْعَايِبِ الْمُتَنْتَرِ، وَأَحْدَقِ الْغَرِيرِ الْمُغْتَبِرِ.

وهي الخبر أنه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها لجلود، وبكت لها العيون، ورجعت القلوب، ومن الناس من يستقى هذه الخطبة «الغراء».

اقول: مدار الفصل على وصف حال الإنسان من مبدأ عمره بالنقصان، وبيان نعمة الله عليه بتزويده في أطوار الخلقة، وتبكيته بمقامتها بالكفران، والعملة في متابعة الشيطان، وتذكيره بعاقبته، وهي: الموت وتوابعه من إحوال الموت، وما يكون بعد ذلك من عذاب القبر وغيره تفهيرا له عن الدنيا بتلك الأمور لغاية اصلاح معاده، وذكر مبدئه لعنه يتذكر أو يخشى. و«ام» هـا: استفهم في معرض تعديد نعم الله كنهه قال: (فلا يظنوا الى كذا من خلق الله؟ ثم الى هذا الانسان الذي من حاله كذا؟ واشغف بالعين المعجزة جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب. ولدوق: المفرغة. والمحرق: الساقة. والعلقة: لكونها بعد لم يقض عليها الصورة الانسانية، ولولد حين الرضاع يسمى: رصيعا، وبعده: وليدا، وبعده: باقعا، وهو: المرتفع فاذا طرشره فهو: علام، وادا ادرك فهو: رجل، وللرجولية ثلاثة حدود: شب، وهو: تمام النمو. وبعده: الكهولة، ثم: الشيخوخة.

والسادس: اللاهي. والمانح: العاذب ليدلو المستقى^١. واستعار لفظ الغرب: لما تملاؤه من هواه صحائف اعماله في المآثم. وكدح: السعي. واليدوات جمع يدوة وهو: ما ييدوله من الخواطر. ودهمه بالكسر: غشيه. وغرائشه: بقيته. وجماعه: سعيه في هواه على عرفان شرعي ولا ائتمار للعقل. والسادن: الثاني المستحير. والدم: صرب الصدر، وروى سكره ملهثة بالشاء. وكارثة: مستنزمة لشدة الغم. والجدية: المكربة، جذبة الملائكة لروح منه كقوله تعالى: (ولو ترى إذا أطالمون في غمرات الموت) الى قوله: (أُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ)^٢. ولا يلاس: اليأس واستعار وصف التراجع وهو: الجمل المرقد في الاسفار البالي فيها للمريض، باعتبار تردده في اطوار المرض المبلى له. ولفظ المضو هو: الجمل الباحل من السير له تحول من الاسقام.

واعلم ان قومه: أقعد في حفرته، الى آخره صريح في القول: بعذاب القبر ومؤان منكر ونكير، والايمان بما جاء من دين عسى وجهين: احدهما وهو الاظهر الاسلام ان

١- في نسخة ش هك: والمانح المستقى. ٢- سورة الانعام / ٩٣

نصدق بذلك ونحمله على طاهره وانّ هناك ملكين يقال لهما: مكر، وكبر، يتوليان
سؤل الانسان على الصورة المحكيّة، وحيات وعقارب تدع لميت، وان كان
لا يشاهدها، اذ لا يصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو
من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بسؤل جبرين، وكان النبي صلى الله عليه
 وآله يشاهده، وهم لا يشهدونه وكما انّ جبريل لا يشبه الناس فكذلك منكرو، وكبر،
وفعلهما والحيات، والعقارب في القبر ليس من حيات عالما فتدرك بمعنى آخر.

الوجه الثاني، انّ يتدكر ما قد يراه الدائم في صورة شخص هائل يقتله، وحية تدغه،
وقد يتألم بذلك حتى يراه في نومه فيصيح ويعرق جيبه وينزع من مكانه، كل ذلك
يدركه من نفسه ويشاهده، ويتأذى به كما يتأذى البططان، وانت ترى طاهره ساكناء، ولا
تري حوله شخصاً، ولا حية، والحية موجودة في حقه متحيّة له، ولا فرق بين ان يتخيّل
عدواً، او حية او يشاهده، والمناص: المسحأ. والمحرز: المرجع. وفك: صرف، وقيد قدّه
مقدار قامته، والمتعفر: المترب، والعمر: شرب. والمينه: الحين، وانف الشئ: اوله.
الحويّة: الحاجة والمسكة. والضنك: الصيق. وكسى بالآن: هن مذل الحياة. ودلخناق:
عما يؤخذ به صدق الفوس وهو الموت، وكذك بالعائب: المستطر، وبقي الفصل ظاهر.

٨١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر عمرو بن العاص

عَجِبْنَا لِإِسْنِ الثَّابِتِ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابِهِ، وَأَنَّى أَمْرُو نِلْعَانَهُ: ائْتَفِسُ و
اُتَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ كَيْمَا. أَمَا، وَسُرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ
فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْجِفُ، وَيَسْأَلُ فَيَبْخَسُ، وَيَحُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإِذَا كَانَ
عِنْدَ الْحَرْبِ قَاتِي زَاحِرٍ وَآمِرٌ هَوَ؟!! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفَ مَا جَدَّهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ
أَكْثَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَسْمَحَ الْفَرَسَ سُبَيْتَهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَسْتَعْسِي مِنَ الْغَيْبِ ذِكْرُ لَمُوتِ، وَأَنَّهُ
لَيَسْتَعْمَلُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ يَمِيدًا لَا يَجُوزُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَيْتَهُ وَيَرْصَحَ

لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَفِيعَةٌ.

أقول: السبوغ: مطهون، وقيل: أنما سميت أم عمرو بن العاص «السافعة» لشهرتها
بالمحور والدعابة والمزاح. واللعانة: كثير اللعب. والمعافسة: المداغبة، والممارسة:
المعالجة بالمصارعة ونحوها.

واعلم أنه عليه السلام أنما ينكر مدعى عمرو، من المزاح البالغ إلى حدّ ألا غراط
الصديق عليه أنه لعنت دون، لقدّر المعتدل معه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان
يمزح ولا يقول إلا حقاً، وهو من تواع التواضع وحسن الحلق. قوله: لقد قال، إلى قوله:
سبته: يشتمل على ذكر رذئته المستلزمة لفسقه المانع من قبول قوله. وذكر منها خمساً،
وهي الكذب، وحنف الوعد، والغدر، والخيانة في العهد، وقطع الألف، وهو الأصل،
والرحم، ثم الجن، ونسبه عليها بقوله: وإذا كان عند الحرب، إلى قوله: سبته، وهو إشارة
إلى ما صدر عنه في بعض أيام صفين حين حمل عليه السلام عليه، فلما تصور أنه قاتله
ألقى نفسه عن فرسه، وكشف سوائه مواجهاً به فلما رأى ذلك منه غصّ بصره عنه، و
انصرف عمرو مكشوف المورة ونج بذلك، فصار مثلاً لمن يدفع عن نفسه مكروهاً
بارتكب الذلّة والمضيحة، وفيه يقول أبو فراس رحمه الله:

ولا خير في دفع الأذى بمذلة كما ردها يوماً بسؤته عمرو
والآنية: العطية. ولزصيحة: الرشوة، وهي مصر، وقد كان معاوية اعطاه مصر
طعمة على أن يباهر في حرب عتي عليه السلام وقد سبق مثله.

٨٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَلَا جُرْأِيَّةَ لَهُ،
لَا تَفْعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَفْعُلُ لَمُلُوبٍ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَأْلُهُ التَّجَرُّدُ
وَالْتَبَعِصُ، وَلَا تُحِطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَلِقُلُوبُ.

أقول: كونه تعالى أولاً أى: غير مسبوق بالغير، و آخر غير مته فى وجوده الى غاية يتقف عندها، وتنزيهه عن ادراك الالهام ووصفها له لتنزهه تعالى عن الجسمية ولواحقها، وعدم صدق الوهم فى غيرها، و كونه لا تعقل له كيفية اذ لا كيفية له فتعقل، ونفى التجزية والتبعض عنه، لعدم لحوق الكمية له، ولا تحيط به الابصار لتسزّه عن مدركاتنا من عوارض الجسمية ولا القلوب لعدم تركبه، وما لا تركيب فيه لاحد له فلا يدرك كنه حقيقته، وقد سبق تقريره.

مها:

فَاتَّبِعُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ السَّوَاطِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالْأَسْرِ
الْبَوَالِغِ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَانَ قَدْ عَلَّقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَيَّةِ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ
عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَذَهَبَتْكُمْ مُنْطِقَاتُ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ، وَكُلُّ نَفْسٍ
مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ: سَائِقٌ يُسَوِّفُهَا إِلَى مَخْشَرَتِهَا، وَمُشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

أقول: الآي: جمع آية. والسواطع: البرقع، ومقطعات الامون: شدائدها. ودهمه
بالكسر: هجم عليه.

واعلم ان لا لاتعاط سبباً و حقيقة وثمره فالسبب كالنظر فى آثار الماضين
وقصصهم، و هو الاعتبار، و اما حقيقته فالخوف والافعال الحاصل عن ذلك النظر، لتوهم
مثل احوالهم فى حقه. و اما ثمرته فالانزجار عن مناهى الله، واستعار وصف المخاطب:
لاسباب المنيّة من الامراض والاعراض وبالله التوفيق.

ومنها فى صفة الجنة:

ذَرَبَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَتَارِكٌ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَنْظَعُنْ مُقِيمُهَا، وَلَا
يَهْرُمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَتَأَسُّ سَاكِنُهَا.

أقول: هذا الوصف صادق فى الجنة المحسوسة الموعودة فى القرآن الكريم،

وفى لجنة لمعقولة وانفتحت المفلاء على ان اذنتهاها هي المعارف الالهية والبطر الى وجهه الله دى الحلال ولا كرام، ولسعداء فى الوصول الى نيل هذه الشمرة على مراتب متفاوتة، ودرجات متفاضلة كما نهب عليه فى الاصل^١ والله التوفيق والعصمة.

٨٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّارِرَ، وَخَمَرَ الصَّامِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَلَمَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَلْيَعْمَلِ النَّاسُ مِنْكُمْ فِي أَيِّمْ مَهْلَةٍ. قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاحِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُعْلِهِ، وَفِي مُسْقَبِهِ قَبْلَ أَنْ يُوَحَّدَ كُطْبِيهِ، وَلِيَتَمَهَّدَ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ. وَلِيَسْرُودَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِذَارِ قَامَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَخَفَّكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حَقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، شَيْخَانَهُ نَمَّ يَخْلُقُكُمْ غَيْبًا، وَلَمْ يَتَرَكُكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي خِفَالِهِ وَلَا عَمَى: قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ، وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ تَجَالِكُمْ، وَأَرَزَّ عَنْكُمْ لِكِتَابِ بَيِّنَاتٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّ أَرْمَدًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ. فِيمَا أَرَزَّ مِنْ كِتَابِهِ. دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُى إِبْنَكُمْ، عَنِ لِسَانِهِ، مَحَابَّةً مِنَ الْأَعْمَابِ وَمُكَارَهَةً، وَنَوَاجِيسَ وَأَوَامِرَهُ، وَلَقَى إِبْنَكُمْ الْمَغْذِرَةَ، وَأَتَحَدَّ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِبْنَكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَسْرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرَكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَضَبُّوا لَهَا أُنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَبِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ أَلْيَى تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْعَقَةُ وَلَتَشَاغُلْ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تَرْحُصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّحُصُ فِيهَا مَذَاهِبُ الظُّلْمَةِ، وَلَا تُدَاهِيُوا فَيَنْهَضَكُمْ بِكُمْ الْأَذْهَابُ عَنِ الْمُصِيبَةِ. عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَضْحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَظْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنْ أَعْنَتْهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَعْمُورُ مَنْ عَنِ نَفْسِهِ وَأَمْعُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِعَبْرِهِ، وَالسَّقِيُّ مَنْ اتَّحَذَّ لِهَوَاهُ، وَأَعْمَمُوا أَنْ يَسِيرَ الرِّيَاءُ بِشِرْكٍ، وَمُخَالَسَةُ أَهْلِ الْهُوَى مُسْتَهْزِئَةٌ لِلْإِيمَانِ وَمُخَصِّرَةٌ لِلشُّبْطَانِ. جَاءُوا الْكَذِبَ قَبْلَهُ مُجَانِبِينَ لِلْإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفٍ مُتَجَدِّدٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شِقَامَةٍ وَمَهَنَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ آثَارُ الْحَطَبِ، وَلَا تَتَأَصَّوْا بِهَا تَحَالِفَةً

١ - الشرح الكبير ٢ / ٢٧٧.

وَأَعْتَمُوا أَنْ لَا تَمَلَ يُنْهَى الْعَقْلَ، وَيُنْبِئِي الذِّكْرَ فَأَكْثَرُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ عُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَعْرُورٌ.

اقول: احاطته بكل شيء: عنه يكتبات الأشياء، وجريانها، وعلمه وقوته على كل شيء: استيلاء سلطان قدرته على كل مقدور، وارهاق الاحل: سرعة لحوقه، وشغله اى: بأهوال الآخرة. والكظم: مجرى لنفس والاخذ به كناية: عن الموت، وبه على وجوب الحذر من مخالفة الله بضمير صغراه قوله: فإنه لم يحلثكم عثاء، اى: خاليه عن وجه الحكمة بل ليستكملوا فى الدنيا، وأشار الى وحوه حكيمته فى خلقهم والصفه فى حقهم، من انزال الكتاب وبعث الرسول صلى الله عليه وآله، واكمال دينه لذى ارتضى لهم، وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يحفظ حقوقه، ويحذر من تعصيه. استودعه. والرخصة هنا: المساهمة فى تبويب المأكل والمشرب وغيره، من المباحات. واذ ذلك مظنة الحروح فيها عن حد الاناحة الى ما لا ينبغي فى الدين، ومذاهب الطلعة: مسالكها وطرقها الجائرة.

روى ان اسليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهم السلام، فرأى عليه معاليق كل شيء فقال له: يا ابيس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه هى الشهوات التى اصيب بهن قلوب بنى آدم، فقال: هل بى فيها شيء؟ قال: نعم ربما شبعتم فسلعنك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا قال الله على ان لا أملاً تطى من طعام ابداء، فقال ابليس: لله على ان لا أنصح مسلماً ابداً. ولا تداهوا انفسكم. لا تصنعوها بالأنويلات الصعبة والشبهات الباطنة فان ذلك سبب للهجوم على المعصية والعبور اليها عن حد المعصية من المباح. وبيان قوله: ان أنصح الناس لنفسه، اطوعهم لربه. لما كان غرضه ان يبرح الدنيا هو: جلب الخير والمنفعة للمنصوح وكان اتم خير ومنفعة هو السعادة لبقية الابدته وكانت تلك السعادة انما تنال بالطاعة فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعاده اتم، كان هو انصح الناس لنفسه بمبالغة فى طاعته، وظهر من ذلك معنى قوله: وان أعشهم لنفسه أعصاهم لربه. والمعون: من غش نفسه بالمعصية وبحصوله على السهم الاخيبي فى الآخرة وتمويت نفسه نصيبها الأوفى من الجنة. وقوله: المغبوط، اى: من يستحق ان

يغبط، ومعنى العسطة: ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حل او مال، مع قطع النظر عن تمتى زوال تلك الحال متى هي له، وبهذا القيد يتميز عن الحمد. والسعيد: من وعط بغيره، اى: السعيد التام، وذلك ان العطة قد تحصل للانسان من نفسه، معبرة تقع له كمرض او أمر ينزل به، وقد تحصل بمشاهدة الغير وهذه اتم من تمت و افضل، لاستمرارها ثواب الآخرة مع السلامة من عبرة تلحق الممتبر في نفسه، ولذلك خص صاحبها بالسعيد مبالغة. و اهل الهوى: المتدنون لدواعى الشهوة والغضب الخارجة عن حدود الله، ونقر عن مجالسهم: باستمرارها الأمرين، وهو ظاهر ونقر عن الكذب بضمير صفراء قوله: فانه، محانب للايمان، وهو: خبر نسوى، ومجانبته له لكونه من الكيائير المضادة للارم الايمان وهو: الصدق، ومضادة الارم مضادة للمنزوم، ومجانب له. ونقر عن الحسد بضمير صفراء قوله: فانه، الى قوله: الحطب، ووجه الشبه: ان الحاسد قد يفرق فكره فى الاهتمام بأمر المحسود حتى لا يتفرغ لدعة وعادة بل قد يذهل عما حصل عليه من الكمال، ويدوامه يقطع به عن تحصيل الحسنات فيكون مغبواً لها كفعل البار فى الحطب.

ولفظ الأكل: مستعار لذلك التعميت: ونقر عن التباعد بضمير صفراء قوله: فانه الحالفة. والصير فى قوة: فانه، يعود الى المصدر، وهى المباعضة، واستمار لفظ الحالقة للحالفة التى تقع بسبب التباعد عن الفرقة واختلاف الكلمة المستزيم لطمع العدو فى المتباعدين، واستيصالهم و افاء بعضهم لبعض كالألة الحالقة، ونسبة السهو والنسيان والمعة الى فعل الأمل لما يستلزمه من المعلة من الآخرة، وتكذيبه برء العوض لاحكام الوهم بيل المطلوب، وبذكر الموت وقواطع الاقدار عن بوعه، وبالله التوفيق.

٨٤- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفىها فصول:

المصل الأول: فى صفات المتقين وهو قوله:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى تَمْيِيهِ فَأَشْتَقِرَ الْخُرْنَ، وَ

تَجَلَّبَتِ الْخَوْفُ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَأَعَدَّ الْقَرَى لِيَتَوَمَّعَ النَّارِلُ بِهِ، فَتَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبُعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ: بَطَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَأَزْنَى مِنْ غَذِبِ مُرَاتٍ سَهَلَتْ لَهُ مُوَارِدُهُ، فَتَقَرَّبَ نَهْلًا، وَسَلَّتْ سَبِيلًا جَدًّا، قَدْ خَنَعَ سَرَايِينَ اشْهَوَاتٍ، وَتَحَلَّى مِنَ الْهَمُومِ إِلَّا هُمَا وَاجِدًا أَفْرَدَ بِهِ، فَحَرَّجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَتَانِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَعَالِيْقِ أَنْوَابِ ارْتَدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَسَتْ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَتَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، اسْتَشَسَتْ مِنَ الْعُرَى بِأَوْفَاقِهَا، وَمِنْ الْحِثَالِ بِأَمْتِهَا، فَهَوَّ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ: قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - لِيُزْفَعَ الْأُمُورُ مِنْ إِضْطَارِّ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَفْسِيرِ كُلِّ قُرْعٍ إِلَى أَضْلِهِ، مِصْبَاحُ طُلُوعَاتٍ، كَشَفَ عَشَائِرَ، وَمِفْتَاحُ مَهْمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْصَلَاتٍ، ذَلِيلُ قُلُوبَاتٍ، يَقُولُ قِيَمُهُمْ، وَيَسْكُتُ فِتْنَتُهُمْ: قَدْ أَحْلَصَ اللَّهُ فَاسْتَحْضَنَهُ فَهَوَّ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِيهِ، قَدْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، مَكَانَ أَوَّلِ عَدْلِهِ نَفَى الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ عَايَةً إِلَّا أَمَّهَا، وَلَا مِطْئَةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْسَكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِيَامِهِ فَهَوَّ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حُلَّ ثَقْلُهُ، وَيَتَرَكُ حَيْثُ كَانَ مَثَرَتُهُ.

أقول: اعانته على نفسه، اودته تعالى لعقله قوة قهر نفسه الامارة بالسوء، واتخذته الحزن شعاراً اى: على معصية الله. والخوف جيباً اى: من عقابه، ووصف الاستشعار والتجلب مستعاران. وزهراً مصباح الهدى فى قلبه شروق نور المعارف الالهية فى سره، وهو: ثمرة الاستعداد، والخوف والحزن، واستعار لفظ المصباح: لنور المعرفة لاشتراكهما فى افادة الهدى. ولفظ القرى: للاعمال الصالحة التى تعد ثمراتها ليوم موته، وما بعده ملاحظة لشبهها بما يعد من الضيافة للقدم، وتقربه على نفسه البعيد تقصيره لأمله الطويل فى الدنيا، بذكر الموت او تقربه لما بعد من احوال الآخرة بدوام انخطارها به له، حتى كأنها حاصرة له. ونهوينه الشديد: تسهيل شدائد الدنيا على خطره، واستحقاقه فى جنب ما يتصوره من الفرجة بقاء الله، ووعده ووعيده، او تسهيله لشدائد الآخرة وتهوينها بالأعمال الصالحة. ونظر اى: فكرر فى ملكوت السموات و لارض، فأبصر اى: الحق سبحانه فى عجائب خلقه، يعنى: بصيرته. وذكر ربه ومعاده، فاستكثر من الاعمال

الصاحبة ولدكر، حتى صار مدكة، واستعار لفظ العذب بوصف الفرات للعلوم والكمالات
الفسائية، ووصف لارتواء: لتمام الاستكمال بها، وموردها: مطائنها من العبر والامور
التي تُحَصِّلُ نفوس المتقين منها العلوم، وتسهلها بهم: سرعة اخذهم عنها الكمالات
لكمال استعدادهم بذلك. والهل: الشرب في اول الورد واستعار لفظه: لسيق احدهم
الى اخذ الكمالات عن مطائنها. والسيل الجدد: مسيل الله اوصح. وخلصه سرايل
الشهوان، اشارة الى: صرف لرهده، ولفظ السرايل مستعار: لما يلبس به من الشهوات
والهم الذي انفرده به هو الوصول الى ساحل العرة. واستعار لفظ العمى: للجهل. وابواب
الهدى هي الفضائل وانصاعات. وابواب لزدى هي: الردئ والمعاصي. ومنازه، اعلام
طريق الله، وهي البراهيس ولادلة التي تهدي بها. وعمارة: ما كان معموراً به من احوال
الدنيا. واوثق العرى: الإيماء بالله وهو امن الجبال، ولفظهما مستعاران: باعتبار وثاقه
التمسك بهما.

وقوله: فهو من اليقين، اي: بالله ومخاطب به رسله، من احوال انبيى على اتم
يقين. وقوله: قد نصب نفسه، لي قوله اصله، اي: لما كمل في داته كان اهلاً لهداية
الخلق، واعادتهم لقوانين طريق الله، وتفرغ عنها. والظلمات: ظلمات الجهل.
والعشوات: ما التبس على البصائر من المسائل الدقيقة، وكذلك المبهمات،
والمعضلات، والنفوت استعارة. وقوله: يقول، الى قوله: يسلم، اي: يستعمل كلاماً من
لقول. والسكوت في موضعه، وبصيص به مقصوده، واستعار له لفظ المصباح: باعتبار
هدايته للخلق، ولفظ المفتاح: بفتح ما يغلق من مشكلات المسائل. ولفظ الدليل:
لهدايته في معاوز الجهلات على طريق الله. ولفظ المعدن: لكونه مطقة دين الله عنه يؤخذ.
ولفظ الورد: لكون ارض الله به تحمط. ولفظ الرمام: لعقده باعتبار تسليمه الى حكم الله و
اوامره فكانها تقوده بعقله في طريق الله.

الفصل الثاني:

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى غَالِماً وَلَيْسَ بِهِ فَاقْسَسَ جَهْلٌ مِنْ جُهْلٍ وَأَصَالِيلٌ مِنْ ضَلَالٍ
وَنَصَبَ يَدْنِاسَ شَرْكَاءَ مِنْ حَبَائِلٍ غُرُورٍ وَقَوْلٍ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَعَظَمَ

الْحَقَّ عَلَى أَهْوَايِهِ، يُؤْمَرُ مِنَ الْعَطَائِمِ، وَيُهَوَّنُ كَثِيرَ لُجَرَائِمِ يَقُولُ «أَيْفَ عِنْدَاسْتِهَابِ»
وَفِيهَا وَقَعَ؛ «وَأَشْرَكَ الْبِدْعَ» وَتَبَيَّنَتْهَا أَصْطَحَعَ: فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْمَلْبُ قَلْبُ
حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ تَابَ الْهَيْئَةِ قَبِيحَةً وَلَا بَابَ الْعَمَى قَبِيحَةً؛ فَذَلِكَ مَيْتٌ الْأَحْيَاءِ.
(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟) وَأَتَى تَوَكُّوْنَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاصِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ!
فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ هَلْ كَيْفَ تَعْنَهُونَ؟ وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ، وَهُمْ أَرْمَةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الَّذِينَ،
وَالْيَسَّةُ الصَّدُوقِ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَقَارِلِ الْفُرْقَانِ وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ.
أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُواهَا عَنْ خَاتِمِ السَّيِّئِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَهْ يَمْشُوتُ مِنْ
مَمَاتٍ مِمَّا وَلَيْسَ بِحَيَاتٍ، وَيَبْلُغِي مَنْ بَلَّغِي مِمَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ
أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُذَكِّرُونَ، وَغَيْرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَمَّا هُوَ أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالْقَلِيلِ
الْأَكْبَرِ؟ وَأَنْزَلْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَضْعَفَ، وَزَكَّرْتُ فِيكُمْ رَأْيَةَ الْإِيمَانِ، وَوَفَّقْتُكُمْ عَلَى
حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمْ الْغَافِقَةَ مِنْ غَدَلِي، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفَعَلِي،
وَأَرْزَيْتُكُمْ كَرَامَتِ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تُسْتَعْمِلُوا الرِّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَةَ الْبَصَرِ وَلَا
تَتَمَلَّعُ إِلَيْهِ الْمَكْرُ.

قول: الجهائل: جمع جهالة، و اراد انجهل المركب، وهو: الاعتقاد غير المطابق
للحق من شبهة، واستعار لفظ الاشراك والحيال: لما تفرع علماء لسوء به الناس
من الأقوال الباطلة وحيلة لكتاب على آرائه بتفسيره، بحسب رأيه، وكذلك عطفه على
اهوائه، تأويله بحسب هوه، وتأمينته الناس من المطائيم، كاستعمال علماء السوء
وجهائل الوعظ آيات الوعد في كل موضع استجلايا لقبوب العوام، واستعار له لفظ مَيْت
الاحياء: باعتبار عدم الانتفاع به لجهله لمركب الذي هو موت النفس المضاد لحياتها
الحقيقية باستكمال العلوم والفضائل الحقيقية، فلجاهل بالحقيقة مَيْت و ن كان في صورة حتى.
وقوله: فأين تذهبون الى آخرة: تنبيه على كونهم في ضلال وعسى عن الحق،
وتخويف وتذكير بكتاب الله وعثرة رسوله، ليلزموا هدايتهم. وتوكلون:
تصرفون، واتي هما: بمعنى متى، اي: متى تصرفون عن ضلالكم والاستفهام: بتقريع، و
استعار لفظ الاعلام: لائمة الدين وكذلك المنار، ونصها قيام لائمة بيهم. وعثرة

الرجل: أقاربه من ولده وولد ولده. و داني: بنى عمه، وعتره الرسول صلى الله عليه وآله: اهل بيته. واستعار لهم لفظ الازمة: بأعتبار كونهم قادة للحق الى طريق الحق كالتزام، وكونهم السنة الصدق اى: تراجمة الوحي الصادق، او أنهم لا يقولون الا صدقاً لعصمتهم. وقوله: فَأَنزِلُوهُمْ بأحسن منازل القرآن.

فاعلم ان للقرآن منازل احدها القلب، وله فيه منزلتان: منزلة الاكرام والتعظيم، ومنزلة التصور فقط، ثم منزلة في الوجود الدانى، ثم فى الكتب والدفاتر، واحسن منازلها هى الأولى. فالمراد: الوصية باكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم كما يكرم القرآن بذلك. وقوله: ورودهم: ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى الاسراع فى اقتباس العلوم، وكرائم الاخلاق منهم كما يسرع الهيم وهى الابل العطشى الى الشرب. والضمير فى قوله: خذوها: للرواية الحاضرة وهو تقرير لقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قُتِلُوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء) الآية، ويسى اى: بحسبه، وليس ببال اى: بنفسه، وذكره. قوله: ولا تقولوا بما لا تعلمون، اى: مما جوى عنكم غيبه وعلمناه، وذلك: أنهم كانوا يخوضون فى امراء المعاد، ويقول كل منهم بحسبه ما يتصور من القرآن، والحديث، والائمة عليهم السلام، أعلم بذلك، ^{وَيَسِّرْ عَلَى الْوَحِيدِ الْإِنْهَاءَ} عن التسرع الى القول بغير علم بضمير صغراه، قوله: فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وتقدير كبراه: وكل ما كن أكثر الحق فيه لم يجز التسرع الى انكاره، لحوازان يكون هو الحق، والثقل الأكبر: كتاب الله لكونه الاصل المتبع. والثقل الاصغر: العترة الطاهرة^٢.

واستعار لفظ راية الايمان: لسنته المثبعة فى العمل بكتاب الله. وركزها: وضعها بينهم ليقتدوا بها. وقعر الشىء: اقصاه. والبصر: بصرائع العقل. والتغلغل: الدخول فى الاعماق، وهوى عن استعمال مجرد الرأى فى دقائق المسائل الالهية، وامراء المعاد فَإِنَّ ذَلِكَ مَهْلِكَةٌ.

منها:

١ - سورة آل عمران / ١٦٩.

٢ - مأخوذ من قول اسبي (ص): بى مختلف فيكم الثقلين.

حَتَّى يَطْرَأَ الطَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَنِ بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتَوْرِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَيْدِ الْأُمَمِ سَوْطُهَا، وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ لَطَانُ يَدَايْكَ؛ بَلْ هِيَ مُجَنَّةٌ مِنْ لَيْدِ الْعَيْشِ يَنْطَعُمُونَهَا نَرَقَّةً، ثُمَّ تَلْطِطُونَهَا جُمْلَةً.

الفصل غاية من عدايات دولة بني أمية، وهو اخيار عمدا سيكون. ومعقولة: محبوسة، واستعار لفظ الذر والصفوف لذاتها وقساتها، ولفظ المحبة: لما يحصلون عليه من الدولة ولملك، باعتبار قننه بالسنة الى رمد عمده، ووصف التطعم: لا لتذاذهم بالإمرة. ووصف النقط: لزوالها عنهم.

٨٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْضِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَعَمُّسٍ وَرَحَاءٍ، وَلَمْ يَجْعَرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَرْزُلٍ وَبَلَاءٍ، وَفِي ذَوْبٍ مَا سَتَقَبِلْتُمْ مِنْ غَيْبٍ، وَمَا تَسْتَدْبِرْتُمْ مِنْ خُطْبٍ؛ مُعْتَبَرًا وَمَا كُنْ ذِي قَلْبٍ يَلْسِبُ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ يَسْمِعُ، وَلَا كُنْ نَاطِرٌ يَبْصُرُ، فَيَا عَجَسِي - وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَايَا هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهِ فِي دِينِهَا؛ لَا تَقْتَصُونَ أَنْزَنِي، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَقْلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَتَّقُونَ عَنْ غَيْبٍ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ عَنْهُمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عَنْهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُنْصِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهْتَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمْدٌ نَقْبِهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى مَعْرَى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابَ مُعْجَزَاتٍ.

اقول: مقصود الفصل توسع الأمة على اختلافهم في الدين، وتشيت رائهم في الأحكام والمذاهب.

والقصم: الكسر، وجبر اعظم: كناية عن استقوية بعد الضعف. والأزل: الشدة. والعتب: الذي استقبلوه عنده عليه السلام وما ينفي منه. ولخطب: الذي استدبروه، الأحوال التي لحقتهم من المشركين. وفي دون ذلك معتبر لمن كان له قلب، فانهم لو اختلفوا حينئذ كاختلافهم الآن لما كان لهم مع قلتهم وقع عند مشركين، وكأنه قال:

فحبب الآن ان تعتروا بذلك وتلارموا الاتحاد في الدين. والليب: من يستمع بقلته، وهو: عقله، وفائدة قوله: فما كنّ دى لبّ لى قوله: ببصير: تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعتد التارك غير لبّ ولا سمع ولا بصير. ثم ذكر من مذقهم اربعة تروك لما يسعى ان يفعلوه، واربعة اقل من ينهين ان يتركوه، وقدم على اكل ذكر السبب وهو اختلاف حججهم في دينهم، لانّ ذلك هو الأصل الذى نشأت عنه هذه الرذائل، والعيب: انذى تركوا الايمان به هو ما حياءه الرسول صلى الله عليه وآله من السمعات الصرفة كأحوال المعاد البدني، و احوال القسامة، والحنة ونسار. وقوله: المعروف، الى قوله: ما انكروا، أى: ان المعروف ولمسك محصورا فيما عرفوه وانكروه، وان كان ما تصوّروه جهلا وما انكروه هواحق. والمضلات: ما اشكل امره وأصعب فهمه، من الاحكام الدينية، والاسباب المحكمة، النصوص الحلة.

٨٦- وَمِنْ حُظَيْهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أرسله على حين فطرة من ارسل، واطول حقيقة من الأمم، وانعزام من لفتن، واتيسار من الأمور، وتبليط من الشرور، ولدتا كاسمة اشور ظاهرة، والعروب: عسى حين اضيرار من وقها، وإتاس من ثمرها، وأغوار من مايتها، قد درست متار الهذى، وظهرت أعلام الردى، فهي متجهمة لأهبا عيسى في وجه طلبها، ثمرها الفتن، وطلعتها الحيفة، وشعارها الخوف، وذيّارها السيف. فاعتبروا عباد الله، وأذكروا نيك النى أبائكم ولا إخوانكم بها مرتهلون، وعينها محاسن. ولعمري ما قد قتت بكم ولا بهم العهود، ولا حلت فيما تبسكم وتتهم الأخطاب وتقرؤن، وما أنتم اليوم من يوم كنتم في اضلائهم يتعبد. والله ما أستمعكم الرسول شيئا إلا وه أنا ذا اليوم مسمعكم، وما أسمعكم اليوم بدوين أسمعكم بالأمس ولا شقت لهم الأنصاء ولا خيلت بهم الأفتنة في ذلك الأولاء إلا وقد أعطيتم يشها في هذه الرمان. والله ما يصرتهم تغدئ شيئا جهلوه، ولا اضفيتم به وحرؤوه، وقد نزلت بكم، انيئة خابلا خطاها رجوا بظيها، فلا يترنكم ما أضح فيه أهل العروب، فاسما هو طر مندود، الى أجل مندود.

أقول: خلاصة الفصل التذكير بسمعة الله التي نفت ما كانوا فيه، من بؤس، وهي
نعمة بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وما استلزمته من الخيرات لتعتبروا فتشكروا.
والفترة ما بين زمانى الرسولين، واستعار لفظ الهجعة: لما كان عليه الناس قل السعة
من الغفلة المُنْهَبة لسوم. والاعتزام: العزم، ونسبتها لى الفتن مجاز. وروى احترام بالراء
المهمنة وهي: كثرتها. وروى^١ اعترض الفرس فى الطريق اذا مشى عرضاً من غير قصد.
وتبطلت الحرب: تلهت. و لتجهم: العبوس. والاحقاب جمع حقب: الدهور. واستعار
لفظ النور: للانبياء والشرائع والاولياء القائمين بها. ولفظ الورق ولثمر والماء: لمتاع
الدنيا وزينتها. ولفظ الاصفرار: تبعثها عن العرب فى ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم،
وخشونة مطاعهم اذن، والياس من ثمرها: انقطاع آمالهم^٢ من الملك والدولة. ولفظ
الأعلام: لائتمة الهدى وقوانين الشرع، ولفظ اعلام الردى: لائتمة الضلال الداعين الى
الفساد ووصف التجهم والعبوس من الذنب: لعدم وضوح مطالبها وتيسرها لطلابها
من العرب اذ الخطاب معهم. ولفظ التمزق: لسفينة باعتبار انها غاية لمعرب يومئذ من
حركاتهم وحروبهم. ولفظ الجيفة: لما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، او ما كانوا
ياكلونه من النهب والغارة تنفيرا عن تحريمه.
ولفظ الشعان: للمخوف من النهب والغارات، باعتبار ملازمته لهم. ولفظ الدثار:
للسيف لعلوه لهم غالب. وقوله: واذكروا تيك: تذكير لهم بوجه الصبرة من قبائح الاعمال
والخطايا التي كانت عليها اسلافهم من العاهلية، فى معرض التخويف بما يلزمها
من العقاب فى الآخرة. وارتهانهم بها: حبسهم فى سلاسل لهيئات البدنية. وقوله: و
لمعرى، الى قوله: بعيد: الحاق لهم بهم فى معرض الوعيد ان يصيبهم ما اصابهم، و
انداء لقنوده فى إسماعهم، كأسماع الرسول صلى الله عليه وآله، أسلافهم، واستعار لفتنة
بنى امية: وصف جولان الخطام، ورخاوة البطان: ملاحظة لشبهها بالناقة الضعيفة، ووجه
الشبه كونهما مطلة الهلاك. والبطان: للقتب كالحزام للفرس. ولفظ الطل: لدولتهم
باعتبار سرعة زوالها. ونفر عما أصبح فيه اهل الغفلة والغرور. وأراد بنى امية فى دولتهم

١- فى ش. وروى اعتراض من عترض الفرس

٢- فى نسخة ش: ما لهم.

و غرورهم فيها عن الله بضمير صغره قوله: فانما هو آخر، وتقدير كبره، وكل ما كان كذلك فينبغي ان يفتقر به، ويركن اليه.

٨٧ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا، وَالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا، الَّذِي لَمْ يَرَكَ قَوْمًا ذِيْمًا؛ إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاحَ، وَلَا حُجَّتَ ذَاتُ أَرْبَحَ، وَلَا لَيْلَ دَسَ، وَلَا تَحْرَ سَاحَ، وَلَا حَتْلَ دُو فَيْحَاحَ، وَلَا فُحَ دُو أَغْوَجَاحَ، وَلَا أَرْضَ ذَاتُ مَهَادَ، وَلَا خُفَّ دُو أَغْيَاحَ؛ ذَلِكَ مُتَدَبِّحُ الْحَلِيِّ وَوَارِيهِ، وَابْنُ الْحَلِيِّ وَرَافِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ذَاتَايَا فِي مَرْصَدِيهِ: يُبَيِّنَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُفَرِّقَانِ كُلَّ تَعْيِدٍ، قَسَمَ أَرْزَقَهُمْ، وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَغْمَا لَهُمْ، وَعَدَّدَ أَلْفَابِهِمْ، وَخَانَتَهُ أُغْيَبَهُمْ، وَمَا نَحْنُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْصَّيْرِ، وَمُسْتَقَرُّهُمْ وَمُسْتَوْدَعُهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَلِظُهُورِ، لِي أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْعَايَاتُ، هُوَ الَّذِي شَدَّدَتْ بِقَمَّتِهِ عَلَى أَغْدَايِهِ فِي سَمَةِ رَحْمَتِهِ وَأَنْشَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ بِقَمَّتِهِ، قَاهِرٌ مِنْ عَزَّةٍ وَمُدْمِرٌ مِنْ شِدَّةٍ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَنْعَاطُهُ، وَمَنْ أَفْرَضَهُ فَصَدَّ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَوَّاهُ. عِبَادَ اللَّهِ، زَيُّوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُورَثُوا، وَخَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْحِقَاقِ، وَتَمَادُّوا قَبْلَ غُفِّ السَّيَاقِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مَبْنَاهُ وَأَعْطَى وَزَاحِرُهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاحِرٌ وَلَا وَاعِظٌ.

اقول: انه وصف الله سبحانه باعتبارات من صفات حلاله، وقد سبق بيان اكثر هذه الاعتبارات، وقيامه دوام وجوده لداته. وقوله: ذلاسماء، الى قوله: ذواعتماد، اشارة الى: اعتبار ازيلته وقيامه بداته، وسبقه لكل ممكن تقديرا لقول الرسول صلى الله عليه وآله: كما ان الله ولا شيء، والحب ذات الارواح: السموات. واهلاء الشمس والممر لكل جديد كناية عن: تفانيهما بعده، ويحتمل ان يريد كونهما اسبابا معدة لزوا كل كائن في هذا العالم، وفساده وتفرقهما لسعيد: جذبهما الى الموت وما بعده من احوال

الآخرة وغياتهم التي تنهاى بهم ما يحتم به اعمالهم من معادة وشفاعة.
 وقوله: وهو الذي اشتدّت، الى قوله: نعمته، اشارة الى: كماله وتنزيهه، في اعتبار
 احواله عن ملوك الدنيا فانّ حال الرحمة وحال الغضب فيهم متضادّان لا يجتمعان.
 ولما كان كماله تعالى يقتضى ان يفيض على كلّ نفس ما يستعدّ له، وجاز ان يستعدّ
 الشخص الواحد للنعمة التي هي اثر الرحمة، ولنقمة التي هي اثر الغضب في حال
 واحد، لاجرم جاز اجتماع رحمته ونقمته في محلّ واحد في وقت واحد، باعتبار
 كمال الكفّار مثلاً في الدنيا. وقوله: وعأته: غالبه، وناواه: عداه. وزنة السفوس
 في الدنيا: اعتبار اعمالها من الخير والشرّ ومراعاة استقامتها على حاق الوسط من الفضائل
 في سبيل الله، ومحاسبة النفس: ضبط اعمالها الخيرية ولشّرية ليزكيها بما ينبغي لها
 ويعاقها على فعل ما لا ينبغي، وباب عظم من ابواب المراقبة في سبيل الله، واستعار
 لفظ وصف التسفّس: لتحصيل الراحة والهيحة للآخرة بالاعمال الصالحة في الدنيا
 المستلزمة لها كما يستلزم النفس راحة القلب من الكرب. ولفظ الحاق من الحبل:
 للموت. واتقوا اي: لأوامر الله قبل عصف ساق الموت، واعانة العبد على نفسه: اعداد
 العاية الالهية لقوّته العقلية على قهر النفس الاثارة بالسوء، وتهياتها لقول السوانح الخيرية
 ومن لم يحصل ذلك الاستعداد مكنة حتّى يكون هو الفاهر لنفسه لم يتمكن من قهرها
 بموعظة. لغير وزجره، وذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس
 ودفع الشيطان عنها، والله التوفيق.

٨٨- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تعرف بخطبة الاشباح. وهي من جلائل الخطب. روى مسعدة بن صدقة
 عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، انه قال: خطب امير المؤمنين صلى الله عليه وآله
 بهذه الخطبة عن منبر الكوفة، وذلك ان رجلاً أتاه فقل له يا امير المؤمنين: صف لي ربنا
 لردد له حبّاً، وبه معرفة فغضب عليه السلام، وبأدى الصلاة جماعة فاجتمع الناس حتّى

١- هي ش: تركها.

غص لمجلس بأهله فصعد المنبر وهو معصب مغير لونه، فحمد الله سبحانه وصلى على
 نبي محمد صلى الله عليه وآله ثم قال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْرُءُ الْمَسْعُ وَالْحُمُودُ، وَلَا يَكْذِبُهُ الْإِغْضَاءُ وَلِخُودِهِ؛ ذُكُلُ مُعْطِ
 مُنْقَضِ سِيَوَاهُ، وَكُلُّ مَا جَعَلَ مَسْمُومًا مَخْلُودًا، وَهُوَ الْمَدَنُ بِقَوَائِدِ النِّعَمِ، وَغَرِيدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ،
 عِيَالُهُ الْحُلُوقُ؛ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَامَهُمْ، وَبَنَعَ سَبِيلَ الرَّائِسِ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَسْأَلَتِهِ،
 وَلَيْسَ بِمَا سَبَّلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسَأَلْ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَتْلٌ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ؛
 وَلَا خَيْرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ؛ وَلِرَأْدِغِ الْأَيْسَى الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَاقُ أَوْ تُدْرِكُهُ
 مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ ذَهْرٌ فَيُخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانُ فِي مَكَانٍ فَيُجُوزُ عَسِيهِ إِلَّا نِقَالًا؛ وَلَوْ
 وَهَتْ مَا تَنَبَّهَتْ عَنْهُ مَقَادِنُ الْجَبَالِ، وَضَحَكَتْ عَنْهُ أَصْدَفُ الْبِحَارِ مِنْ بِيرِ الْأَنْجِينِ وَالْعُقْبَانِ،
 وَنَارَةُ اسْرٍ وَحَصِيدِ الْمَرْجَبِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي حُودِهِ، وَلَا تَبَعُ سَعَةِ مَا عَيْدُهُ، وَلَكِنْ عَيْدُهُ مِنْ
 دَحَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُعِيدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ؛ لِأَنَّهُ الْخَوْدُ الَّذِي لَا يَنْفِضُهُ سُؤْلُ السَّائِلِينَ،
 وَلَا يَنْجِلُهُ الْخَاجُ الْمُتَلِحِّينَ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْفَرْقُ عَنَّهُ مِنْ صِفَتِهِ فَأَنْتُمْ بِهِ، وَأَسْتَصِي بُشُورَ هِدَايَتِهِ،
 وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي لِكْتَابِ غَلِيكَ فَوْضُهُ وَلَا فِي سُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَيْمَةِ الْهُدَى أَنْزَهُ؛ فَكُلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ .
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَعْدَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْعُيُوبِ،
 الْأَقْرَارُ بِحُمْنَةٍ مَا جَهِلُوا تَقْسِيرَهُ مِنَ الْعَيْبِ الْمَخْضُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ أَغْثَرَاهُمْ بِالْعَجَزِ عَنْ تَدْوِي
 مَا لَمْ يُجِبْطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يَكْتَفِهِمُ السَّحْتُ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا؛
 فَأَقْتَصَرَ عَنِّي ذَلِكَ، وَلَا تُعَذِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَفْيِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ؛ هُوَ
 الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرَادَتْ الْأَوْهَامُ لِيُتْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْعُكْرُ الْمُبَرِّأُ مِنْ حَظَرَاتِ
 الرِّسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي غَمِيقَاتِ عُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّيْتَ الْغُلُوبَ إِنَّهُ لَيُتَجَرَّى فِي كَيْبِيَّةِ
 صِفَاتِهِ، وَغَمَصَتْ مَذَاجِلُ الْعُضُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصَّمَاتُ لَيْتَ وَلِي عِلْمٍ ذَاتِهِ رَدَّعَهَا وَهِيَ
 تَجُورُ مَتَاهَوِي سُدِّ الْعُيُوبِ مُتَحَلِّصَةً إِلَيْهِ، سُبْحَانَهُ، فَتَحَقَّتْ إِذْ حَبِثَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يَنَالُ
 بِخَوْرِ لَاغْتِسَافٍ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَحْطُرُ بِتَالِي أُولَى الرُّؤْيَا خَاطِرُهُ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عَرِيَّةِ
 الْبَرَى ابْتَدَعَ الْحُلُقَ عَلَى غَيْرِ مِثْلِ امْتِنَانِهِ، وَلَا يَفْذَرُ اخْتَدَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ

قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَغَضَائِبِ مَا نَظَمْتَ بِهِ آثَارَ حِكْمَتِهِ، وَغَبْرِيفِ الْحَاجَةِ
 مِنْ لِحْلُقِ إِلَى أَنْ يُقَسِّمَهَا بِمَسَالِكِ قُدْرَتِهِ، مَا ذَلَّلْنَا بِضُطْرَارِ قِسَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ،
 وَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَخَذَتْهَا آثَارُ ضَعْفِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَضَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ
 وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً، وَدَلَالُهُ عَلَى الْمُنْبِيعِ قَائِمَةً.
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَيُّنِ أَغْصَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاخُمِ حَقَاقِ مَقْصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ لِتَدْبِيرِ
 حِكْمَتِكَ لَمْ يَغْفُذْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا يَدُّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ
 لَمْ يَسْمَعْ نَبْرًا السَّابِقِينَ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ إِذْ يَقُولُونَ: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ
 نُسَوِّغُكُمْ بَرْتَ الْعَالَمِينَ) كَذَبَ الْغَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوا بِأَصْطَاهِمِمْ وَتَحْلُوكَ حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ
 بِأَوْهَامِهِمْ وَجَرَأُوكَ تَحْرِيَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِحَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْجَلْفَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْعَوَى
 بِفَرَاحِ عَمَلِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَوَّاهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَلِغَادِلِ بِكَ كَذِبُ
 بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَظَّمْتَ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَنُتِ أَنْتَ اللَّهُ الْبَدِي لَمْ
 تَنْسَهُ فِي الْعُمُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهِ مُكْبَدٌ، وَلَا فِي رَوَايَاتِ حَوَاطِرِهِ فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُصْرَفًا.

أقول: قيل منبت الأشباح لاشتغالها على ذكر الأشباح، وهي: الأشخاص. وقيل:
 لأنَّ الشبح هو الطول والامتداد. وهذه الخطبة ذات قسام صوال ممثلة كذكر السماوات، و
 كيفية تخليقها، و كذكر الملائكة واقسامهم، وكيفية خلقهم واحوالهم، وذكر الارض و
 كيفية خلقها. ويفرّه، يزيده وفرأ وهو: المال. ويكديه: يسقص خيره. وأما لم يقبل
 الزيادة والبقصان لاستلزامهما الحاجة والامكان المنزّه قدسه عنهما، وترهه في الحكمين
 عن حان غيره من المعطلين والمانعين، وفوائد النعم ما افاد منها، وعوائد المزيد،
 وقسم ما اعتاد منهما، واستعمار لفظ العيال: للحق باعتبار ضمان ارزقهم، والقيام
 لأحوالهم، ولُقط الضمان لما وجب في الحكمة من تقدير الأوقات والارزاق التي لا بد
 منها كلضمان. وسبيل الراغبين اليه، شريعته ودينه، ونهجه لهم: إبطاحه بالادلة. و
 قوله: ليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل عنه، فيه لطيفة وهي: أنَّ قبضان ما يصدر عنه
 سبحانه له اعتباران:

أحدهما، بالنظر إلى حوده، وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع لمحوذات، بل بسببها. ليه عسى سواء، فلا يقل هو بكدا أجود منه بكدا، و إلا لاستمر ان يكون ببعض الاشياء، أجل، أو اليها احوح فيزمه النقصان تعاني عن ذلك.

والثاني، بالنظر إلى الممكن نفسه، والاختلاف بالقرب والعدى جوده، إنما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان انتم استعدادًا و قبل كان أقرب إلى جوده، فلسائل ان وان حصل له ما سأل منه تعالى دون ما لم يسأل فببب سمعه ما سم يسأله لغرته عنده وليس سبه و ببب ما سأل بالنسبة إلى حوده فرق وتفادى بل تخصيصه بما سئل لتمام قبوله به، ولو كن قابلًا لما يسئل لوصل اليه من غير مسألة وان عظم خطره، و لى هذا اشار على بن موسى الرضا عليه السلام، وقد سئل عن الحواد فقال: لسؤايت وجهان: ان اردت المحنوق هلدى يؤذى ما فترض الله عبه. وان اردت الحائق فهو الحواد ان عصى و ان مع لاته ان أعطى أعطى من له، و ان مع منع من ليس له.

وارد ان جوده متوقف على الاستعداد وعدمه. وردعه اناسى الابصار عن ادراكه: قهره لها مثل النقصان عن قبول ذلك، لان القوة الباصرة إنما يتعلق بذى الوضع وجهة المنزلة قدسه تعالى عنه، و لم يحسب عليه دهر لعنة عن الزمان، و بذلك لم نختلف عليه الأحوال، لان اسرمان هو مبدأ الاختلاف. و غلر التجين: خبته و ما يقيه الكبر منه. والعقبان: الذهب الحالص، والمرحان: صغار اللؤلؤ، و حصيده: محصوله و ما احتج منه. و استعار لفظ الضحك: للاصداق، و وجه لشبه: انتاح الصدفين و اسفارهما عن اللؤلؤ الشبه فى بدوه بالاسنان عن لحمه شبيهة باللسان فى هيئته، و وصوص المشابهة تستدعى المشاهدة. و لفظ احصيد لصغار اللؤلؤ لشبهه بالحصيد من العلات. و ببه بهذه القضية السرطية على كمال قدرته، و عدم تنهاى مقدوراته، و بين ذلك ضمير صغراه قوله: لانه الجواد إلى قوله: المتخبين، و تقدير اكبرى و كل من كان كذلك فلو وهب جميع ما ذكر لم ينقص ملكه.

وقوله: فانظر إلى آخرة: تأديب للحن فى وصفهم لله سبحانه، و تعليم لهم كيفية مدحهم و ثنائهم عليه، فأمرهم ان يقتدوا فى ذلك بكتاب الله تعالى، و من يقوم به من الأنبياء و الأئمة من بعدهم، اد كاب آون ما يوصف به ما وصف به تعالى نفسه، و ان

مقوضوا علم عالم يعلمو الى علمه تعالى وهو المرد: بالنعويض المشهور وقوله: انّ
الراسخين، الى قومه: المحجوب: تفسير لمعنى لرسوخ فى العلم. والإفتحام: لدخول
فى الامر بشدة. والسدد جمع سدة وهى. الأبواب والحجب.

و علم نّ لحجب العيوب طبقات كثيرة كما أشد الله الرسول صلى الله عليه وآله:
(ان الله سميع العليم) حجاب من نور وظلمة لو كشفها لا حرقّت سبحات وجهه كل من
ادرك بصره) وقد نهت عنها فى الأصل، وهما الطبقة وهاتئ لما كان التكيف فى نفس
الأمر أنّما هو على قدر لمقول وتفاوت مراتبها كما قل صلى الله عليه وآله: (بعثت لأكتم
الناس على قدر عقولهم). كذلك عقل قوى على رفع حجاب من حجب الغيب، وقصر
عمق ورائه، واعترف به، وبالعجز عنه، فذلك تكلفه وهو من الراسخين فعلى هذا ليس
الرسوخ مرتبة واحدة هى تقليد ظاهر للشرعية واعتقاد حقيقتها فقط بل تقيدها مرتبة أولى
من مراتبه، وما وراء ذلك من مراتب غير متناهية بحسب مراتب السالكين وقوتهم على
رفع حجاب الانوار. وظاهر كلامه عليه السلام، لا يفى ذلك اذا نُزل عليه، فُتّ قوله: و
سمي ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه: رسوخا صادقا أيضا على من قطع
حمية من مآزل السائرين الى الله، و عجز عما ورائها فوقف ذهبه عن التعمق فيه اذ لا
يكتف بما لا يفى به قوته بدركه، والمقدر لعظمة الله بقصر عقده هو المعتقد أنّ عقده ادركه
وحاط به علما، ووجه الهلاك فى ذلك: الاعتقاد أنّ ما يحيط به العقول الشرية محدّد و
مركّب، فكان ممكنا فامعتقد لذلك معتقد لغير لاله الها. وقوله: هو القادر، الى آخره،
إشارة الى: اعتبارات اخر من صفاته تعالى، بته مها عسى أنّ غاية استقصاء العقول و
تعمقها فى طلب تفصيل صفاته ان تنقف خاسئة وترجع حسيرة. وارتقاء الأوهام: استرد
سألها محنة فى المطالعة والتفتيش، وعمقات غيوب ملكوته: فى اسرار علم الغيب. و
استعار لفظ العمق: بأعتبار عدم وصول عنص المكنى الى مستهاها. والبوله: شدّة الشوق.
وردها: خلقها قاصر عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب، وردع لاهم لقصورها عن
ادراك ما ليس بمحسوس، وردع لمكر والعقول له قصورها عن دراك حقيقة ما ليس
بمحدود مركّب. وقدم اعتبار قدرته تعالى على الشرطية لأنها الأصل فى ذلك الردع. و

تجوب: تقطع وتطوف. واستعار لفظ السدف جمع سدف، وهى: الظلمة لما لا يهتدى اليه الفكر من العيوب، ملاحظة لشبهها بالصدمة لمحسوسة.

«ولو ان» فى قوله: وهى: للحال، والعامل: ردها، وجور الاعتساف: شدة الحولان فى ببداء حلال الله فطهر آله غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن. وقوله: وأردا الى قوله: معرفته، فملكوت قدرته: ملكها، وإنما نسه الى القدرة لأن اعتبارها مبدأ الوجود كله، فهو مبدأ المالكية، واعتراف: عطف على عجائب، والى: ان متعق بالحاجة. وقوله: ما دلنا: مفعول ثان لأرانا: وعلى معرفته: متعق بدلنا. واستعار لفظ الاعلام: بما يدت على حكمة الصانع فى فعله من الأتقان والأحكام. والضمير فى قوله: فحجته: يحتمل عوده الى الله ويحتمل عوده الى الخلق الصامت، وللناكس فى سماع نظير آثاره ومساهمته فى مصنوعاته، مراتب ودرجات متفاوتة.

وقوله: واشهد، الى قوله: رب العالمين: الثبات وأما جعل المشبه به هوديين الاعضاء وتلاحمها وان كان المشبه به هو لحسم متباين الاعضاء، لأن تباين الاعضاء هو وجه الشبه المستلزم للتركيب فكان ذكره اهم لسطهر به تنزيهه تعالى عن هذا التشبيه سريعاً، لبرائته عن الاعضاء، وتباينها وتركيبها. فاما شهادته عليه السلام بان المشبه له غير عارف به، ولا متيقن لتنزيهه عن المثل فالقرآن والبرهان مصدقان لشهادته، اما القرآن فما شبه عليه بقوله، وانه لم يسمع الى آخر الآية ووجه الدليل ان المشبه، وعبد لا صنم، ينكشف لهم فى الآخرة أنهم كانوا ضالين فى تشبيه اصنامهم برب العالمين، فترتب دليل هكدا، المشبه ضالون فى تشبههم لربهم، وكن من كان ضالاً فيه فيس بعارف به، وكذلك كن من كان كذلك فليس بمنزه عن المثل.

واما البرهان: فلان المشبه له حقيقة يلزمه الحكم عليه بلوازم خفيه من الامكان، والحدوث لأن لازم المتشبهين لا يختلف. وقوله: كذب العادلون، الى قوله: عقولهم: تكذيب لهم و اشارة الى تفصيل جهات عدولهم الى سبب ذلك وهو الوهم الذى هو منشأ التشبيه، اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات ولذلك لم يرتفع المشبه الله عن تشبيه الاصنام، واشخاص الاجسام، وتجزئتهم له تحزئة المجسمات هو: ما يدرم حكمهم بكونه جسماً من اثبات الاعضاء له وتباينها. وقوله: واشهد، الى قوله: يثبت: شهادة

ثانية بالكفر على من شبهه، وبين ذلك بقياس اسند كبراه الى كتاب الله، ونصوص آياته المحكمة، ويساته لانبياء وشواهد حجاجهم هي تلك الآيات كقوله تعالى: (قُلْ اَلْاَكْمَرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْاَرْضَ) الآية. واما صفراء فلان الشبيه هو المثل والمبيل. وقوله: واشهد، لى قوله: مصروف: شهادة ثالثة هي خلاصة الاقليات يكسان الوهيت، وتنريهه عن التدهى فى العقول لبشرية واحاطتها به، وتنبيهه على ما يلزم تناهيه فيها من كونه ذا كيفة تستثبته العقول: ويصرفها بها الوهم والخيال. ومصرفا اى: محكوما عليه فى ذاته فى القول باطلا.

ومنها:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَحْسَنَ تَدْوِيرَهُ، وَوَحَّهَ يُوحِيهِتِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَرَلِيَّتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْاِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِزْدِيَّتِهِ، وَكَيْفَ وَأَسْمَا صَدَرَتْ الْاُمُورُ عَنْ مَقْشِيَّتِهِ؟ الْمُنْشِئُ وَالْمُشْتَفِ الْأَشْيَاءِ بِلَا زَوْيَةٍ فِكْرِ آلِ اِنْهَاءِ، وَلَا قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ أَصْمَرَ عَنْهَا، وَلَا نَخْرَسَ أَفْذَاهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلَا شَرِيكَ أَعْنَاهُ عَلَى اَبْتِدَاعِ عَنَائِبِ الْاُمُورِ، فَتَمَّ حَلْفُهُ وَأَدْعَى لَطْفُهُ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَلَمْ يَعْزِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُنْطَلِقِ، وَلَا أَلَاءُ الْمُسْكِي، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلَا عَمَّ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَّيْهَا، وَوَصَلَ أَشْبَاتَ قَرَائِبِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاثًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْعَرَائِزِ وَالْهَيْسَاتِ نَدَايَا حَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَقَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَبَعْدَهَا.

اقول:

احكام تقديره خلقه على وجه الحكمة، وحسن تدبيره ايجادا كاملا فى مفعته، وما خلق لاجه حسنا فى صورته، وتوحيه: لوجهته بعنه بحسب الحكمة والعبية الالهية الى غايته، وتيسيره لها ووقوفه عندها فى ابدعه لحقه، وقريحة العريضة: قوة الفكر، واذعان خلقه دخوله فى حكم قدرته وذلك الحاجة اليه. والريث والالانة ولتلكى: التباطؤ وهو من لواحق الجسم، فكان تعالى مزها فى خالقيته عنها. ولأود: الاعوجاج، واقامتها

لأودها: افادتها ما ينبغي لها على وجه الحكمة. وحدودها: طرقها. ونهجه لها: ايضاحه لكل شئ سبيل قصده وعابته وتيسيره لذلك، ووصلة لاسباب قرائنها: كون كل شئ له قرينة من غريزة وطبيعة ولازم ونحوها، واقتران الشئين مستلزم لاقتران اسبابهما واتصالهما لاستحالة قيام الشئ بدون سببه، وهو منسوب الى قدرته تعالى. البدايا جمع بديّة وهي: الخلقة المعجبة، و اراد هي يدينا اي: عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته، وبالله التوفيق.

منها في صفة السماء:

وَنَظَمَ بِلَا تَعْيِيقٍ رَهَوَابَ، فُرُجَهَا، وَلَا حَمَّ صُدُوعِ انْفِرَاجِهَا، وَوَسَّحَ بَيْتَهَا وَبَيِّنَ أَرْوَاحَهَا. وَذَلَّلَ لِلَّهِاطِينَ بِأَمْرِه، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، خُرُوءَةً مِفْرَاجِهَا، نَادَاهَا نَعْدُ إِذْ هِيَ دُحَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِثْنَانِ صَوَامِثَ أَبْوَابِهَا. وَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ الْتَوَقُّبَ عَلَى بَقَايَهِ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُوتَ فِي خَرْقِ أَهْوٍ بِأَيِّهِ وَأَمَرَهُ أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِه، وَحَمَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُنْصَرَّةً لِنَهْرِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مُنْحَوَّةً مِنْ لَيْبِهَا، فَأَخْرَاجُهَا فِي مَنَاقِلِ مَجَرَّاهُمَا، وَقَدَّرَ سُرُوحَهَا فِي مَدَارِجِ دَرَجَتِهَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَيْنَهُمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ الْأَسْنِينِ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ غَلَّقَ فِي جَوْفِهَا فَكَّهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا: مِنْ خَبَائِثِ دَرَارِيِّهَا، وَمَصَابِجِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَخْرَاجَهَا عَلَى إِدْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَنَاتِ ثَابِتَتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهَوُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَخُوسِهَا وَصُعُودِهَا.

اقول: الرهوات جمع رهوة، وهي: الفرحة المتسعة. والصدوع: الشقوق. ووسّح بالشديد: شيك، و اراد بازواحها: نفوسها وهي الملائكة السماوية، بمعنى قرائنها و كل قرين روح اي: ربط بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقلها غيره، والحزونة: الصعوبة. والاشراح جمع شرح بالفتح وهي: عرى العيبة التي تخاطبها، وهو اشارة الى تأليف اجزئها في حدودها و مدوّنها لها حكم قدرته الالهية عليها بالكون،

والارتفاق: الالتصاق. وفتق صوامت أبوابها: مثل بالمطر وقيل: كانت كرة واحدة ففتق ما بينها كقوله تعالى: (اولم ير الذين كفروا انّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما)^١ والسحاب جمع نقب بفقع النون وهو: الطريق في الجبل. والرصد الذي اقامه هو: الشهب: وذلك انّ العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسرق الغيب من الملائكة، ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة فلما انّ دور السحر والنهي عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق، ألقى الوحى اليهم انّ الشهب انما جعلت رجوما للشياطين، فكل من استرق منهم رعى بشهاب، وانّ السماوات حجبت عنهم لتقطع اوهاهم الخلق عن غير الوحى وانوار النبوة وقد قر ذلك في الخطبة الأولى.

وتمور: تتحرك. وايد: قوته، وروى بائة امى: هالكة. وابصار آية النهار هو: تمام ضياء الشمس الذي هو مادة الإبصار ومحو آية الليل هو: ما على القمر من لطخ السواد وقيل: ابصار آية النهار كون نور الشمس لذاتها، ومحو آية الليل: كون نور القمر مستفادا من الشمس، ومناقل مجراها ومدارح فرجها هي: بروجها ومنازلها، ومقادير سيرها، واذلال تسخيرها: ذلتها مستخرتها بحكم القدرة الالهية كقوله تعالى: (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)^٢ والسيارة هي: الكواكب السبعة النيران، والخمسة المتحرية. والثواب هي: باقى الكواكب، وفلكها الثامن، وصعودها: طلبها لشرفها ما دام الكوكب متوجها الى قوة شرفه، فهو فى الصعود والازدياد، فاذا جازها صار فى الانقراض والهبوط، وهبوط كل كوكب يقابل شرفه، ومعنى صعودها ونحوسها: كون اتصالها اسبابا لصلاح شئ من عالم الكون وفساده، وبالله التوفيق.

ومنها فى صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ مُبَعَاتَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيفِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلَقًا بَدِيدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأَهُمْ قُرُوجَ فِتَاجِهَا، وَحَشَايِهِمْ قُتُوقَ أَجْوَانِهَا وَبَيْنَ فُتُوحَاتِ تِلْكَ الْقُرُوجِ رُجُلُ الْمُتَبَجِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَقَائِرِ الْقُدُسِ، وَسُتُورَاتِ الْمُحْجَبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَعْجِدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ

١ - سورة الانبياء / ٣٠.

٢ - سورة الاعراف / ٥٤.

الرياح الذي تشكك منه السماع سُخَّاتُ نُورٍ تَزْدَعُ الْأَصَارَ عَنْ ثُلُوعِهَا، تَقْفُ خَاصِيَةً
عَلَى حُدُودِهَا، أَنشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُحْتَبَقَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَدَوِّنَاتٍ أَوْسَى أَجِيحَةٍ تُسَخِّجُ جَلَانَ
عِرْتِهِ لَا يَتَحَلَّلُونَ مَطَهَّرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَمَا اسْتَرَدَّ بِهِ، بَلْ
عِنَادٌ مُكْرَمُونَ (لَا يَسِفُونَهُ بِقَوْلٍ وَهُمْ بِأَمْرِ يَحْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيهَا هَذَا لِكُلِّ الْأَمَانَةِ عَلَى
وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى لَمْرَتَيْنِ وَذَنُوعٍ أَمْرٍ وَتَهِيٍّ، وَغَضَبَهُمْ مِنْ رَتَبٍ لَشَهَاتٍ، فَمَا مِنْهُمْ
زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرَصَاتِهِ، وَأَمَدَهُمْ بِقَوَائِدِ الْمُعَوَّةِ، وَأَشْفَرَقُوا مِنْهُمْ تَوَاضَعُ إِحْبَابَاتِ السَّكِينَةِ،
وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا دُلَالًا إِلَى تَدَحِيهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَدَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامٍ تُوْجِيهِهِ تَمَّ تَنْبِيهِهِمْ
مُؤْصِرَاتِ الْأَنَامِ، وَلَمْ تَرْتَجِلْهُمْ غُصْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ تَتَوَارِعَ عَرِيَمَةً
إِسْمَانِيَهُمْ، وَمَنْ تَعَثَّرَ الطُّنُوجُ عَلَى مَعَايِدِ يَقْسِيهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ يَسْمَانِيَهُمْ،
وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَبِيرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بَضَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَّرَ مِنْ غُظْمَتِهِ وَهَيْبَتِهِ جَلَالَتِهِ فِي
أَنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْلُعْ فِيهِمْ الْوَاوُ أَوْسُ فَتَفْتَرِعَ بِرَبِّيْهَا عَلَى فِكْرِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي
حَقِّ الْعَنَامِ الدَّلَاجِ، وَفِي عِظَمِ الْحَبَابِ لَشَمِخٍ، وَفِي قَفَرَةِ الطَّلَامِ الْأَنْهَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
خَرَقَتْ أَفْئِدَتُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ السُّقْسَى، فَهِيَ كَرِيَاتٍ بَيْصٍ قَدْ تَعَدَّتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ،
وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَمَقَةٌ خَسِبَتْهَا عَلَى حُسْنِ أَنْتَهَتْ مِنْ لُحُودِ الْمُنْتَأَهِيَّةِ، قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْعَالُ
عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيصَادِ يَتِيمَهُمْ وَتَبَيَّنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَضَعَهُمْ الْإِنْقَادُ بِهِ إِلَى لَوْلِهِ إِلَهِهِ، وَلَمْ
تُحَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدَّزُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرُّوا بِكَاسِ الرُّوِيَّةِ مِنْ
مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَائِهِ قُلُوبُهُمْ، وَشَيْخَةُ خَيْفَتِهِ، فَحَصُوا بِطُولِ الطَّدَعَةِ أَغْيَادَ مُطَهَّرِهِمْ،
وَلَمْ يَنْهَدِ طُولُ الرُّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَطِيسُ الرُّلَقَةِ رَتَقَ خُشُوعِهِمْ،
وَلَمْ يَتَوَلَّ لَهُمْ لِإِعْجَازَاتٍ قَيْسُ كَثِيرُوا مَا سَلَفَتْ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ أَسْنَكَةُ الْإِجْلَالِ، نَصِيبًا
فِي تَغْطِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَسْخِرِ الْقُرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُورِهِمْ، وَلَمْ تَعِضْ رَغْبَاتُهُمْ،
فِي خَالِقُوا عَنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لَطُولُ الْمُسَاجَاوَةِ أَسْلَاطُ الْيَسْتِيهِمْ، وَلَا مَدَكْتُهُمْ
الْأَشْعَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَيْسِ الْخَوَارِ إِلَيْهِ أَصَوْتُهُمْ، وَلَمْ تَحْتَلِفْ فِي مَقْدِمِ الطَّدَاعَةِ مَتَا كَيْهَهُمْ، وَلَمْ
يَسْتَوْا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ رِقَابَتِهِمْ، وَلَا تَعْلَوْ عَلَى عَرِيَمَةِ جَدَّتِهِمْ بِلَادَةَ الْعُقَلَاتِ،
وَلَا تَنْتَقِلْ فِي هَمِيمِهِمْ حَدْبُوعِ اسْتِهْوَاتٍ قَدْ أَحْصَوْا دَاغُزْخَ ذَخِيرَةِ لَيْلِيٍّ وَاقْتِيهِمْ. وَتَمَسُّوهُ
عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمُخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَمْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ

أَلَا شَيْهَاتُ يَلُومُ طَائِفَهُ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَحَابَّتِهِ، لَمْ تَنْقُصْ أَشْبَابُ الشَّقَةِ مِنْهُمْ، قَبْلُ فِي جَدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَعُ فَيُوتِرُوا وَشَبَكَ السَّمِي عَلَى أَحْبَابِهِمْ، وَلَمْ يَشْتَغَلُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَشْتَغَلُوا ذَلِكَ لَنَسَحَ الرِّجَاءُ مِنْهُمْ شَقَاتٌ وَخَلِيمٌ، وَلَمْ يَحْتَبُوا فِي رَتَبِهِمْ بِأَشْيَاخِ السَّيْطَانِ عَدُوِّهِمْ وَلَمْ يُعْرِفْهُمْ سُوءُ النَّدَامَةِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غُلُّ النَّحَاسَةِ، وَلَا شَغَبَتْهُمْ مَضَارِفُ الرَّيْبِ، وَلَا تَقَسَّسَتْهُمْ أَحْبَابُ الْوَحْمِ، فَهُمْ أَسْرَاءُ يَمَانٍ لَمْ يَمُكِّهُمْ مِنْ رَشْقِي زَنْجٍ، وَلَا عُذُولٍ وَلَا وَنَى وَلَا تَوَرَّى، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ لِهَابٍ إِلَّا وَغِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْسَعُ حَفْزٍ زُرْدٌ دُونَ غَيِّ طُولِ إِطَاعَةٍ بِرَتَبِهِمْ عَلَيْنَا وَتَرْدَادُ عِزَّةٍ رَتَبِهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا.

أقول: الصفيح لأعلى: إشارة إلى الفلك التاسع، وهو العرش لكونه أعظم الأجرام وعلوها، وسكانه الملائكة المدبرون له. وفحاحه: طرفها الواسعة. واجوائها: الامكنة العالية المتمسكة بها. وفجوت الصرح: متمسكه. والرجل: الأصوات. وسُميت حطائر القدس: لطهارتها عن فجآت الجهل. ولحجب: إشارة إلى حجب الغيب أو السماوات. واستعار لفظ السرادق وهو الستر لدى يَمْد فوق البيت، لما يعقل من عظمة الملائكة في تزهرهم عن الجسمية ولواحقها، باعتبار أن ذلك المحمد والشرف هو العاجب لهم عما. وكلسرادق المضروب بيننا وبينهم. والريح: الزلزلة والاضطراب. وتشتك الاسماع: تصم. وإشار بسمحات السور إلى جلال الله وعظمته وتنزيهه أن يصل إليه أنصار الملائكة، ونسب يكون ذلك وراء رحيبهم على أن معارفهم لا يتعلق به كما هو، بل وراء علومهم أطوارا أخرى من جلاله يقصر معارفهم عنها، وخاسئة ذليلة متحيرة. واختلاف صورهم: اختلافهم بالسوء وتفاوت أقدارهم: تفاوت مراتبهم في الكمال، واستعار لفظ الأجسحة: أقالقهم العقلية، أو لمعارفهم التي يطيطون بها في بيضاء جلال الله، ويتحلون: يذعنون صنعة شيء من خلقه. ورب الشبهات: الشك الواقع عنها. وأخبت السكينة: تذلّلها، وأشر قلوبهم ذلك التواضع جعله شعارًا ملازمًا لها. واستعار لفظ الأبواب: بوصف الدلة للوحوه اللائقة من تمحيده. ووصف الفتح: لسهولة عليها لراءة عقولهم عن معارضا النفس الامارة. ولمط المسار: لما يستفيدون منه تصورات صفته

اللائقة بجلاله وكماله من اللوازم والخواص وما يستعيدون به اثبات ذلك له من البراهين والادلة، ولفظ لاعلام: لصفاته وما ينبغي ان يعرف به، ونفى عنهم موصرات الآثم وهي ما انقل الظهر منها. ونوازع الشكوك وهي: الخواطر المفسدة لعقائد، وما يقدح في النفوس من الأثرن وهي: الاحقاد والحيرة والوساوس الشيطانية، لأن مبادئ كل ذلك هو النفس الامارة، وعقب السليالي والأيام تعاقبها، والعقة: المرة من التعقب، وروى بنوازعها بالعين اسمهلة، وهي: اليقسي، وهو مستعار لتلك الخواطر المفسدة ايضا. والاقتراع والتفارع: التضارب. والرین: العلية ولتعطية. واندلج جمع دلجة وهي: النقال بالماء. والشمخ: العالية. وفترة الظلام: سواده. والأهمم الذي لا يهتدى فيه. والهفافة: الساكنة الطيبة. وشيخة الشجرة: عروقها. وشيخة خيسته: ما خايط منها ذواتهم. واستعار وصف حنى الظهور: لكمال عبادتهم. ولفظ الریق: لما حصلوا فيه من الحشوع، ونفى الاعجاب عنهم لاستلزامه النفس الاقيرة. ولذؤوب الجدة في العمل. و رغبات الملائكة السماوية: اشواقها الى كمالاتها. واستعار لفظ الألسنة ورتج بذكر الاسلات جمع أسلة وهي: طرف اللسان. وقوله: ولاملكتمهم، الى قوله: اصواتهم، فالهمس: الخفى من الصوت اى: لم يضعهم العباداة فتقطع اصواتهم فتخفى بالتضرع اليه، وهو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية والعوارض البدنية.

وقوله: ولم يختلف، الى قوله: رقابهم: استعار لفظ المقدم من ريش الطائر لما مسق وجوبه من الطاعة ك معرفته تعالى وتوجيهه. ولفظ المنكب وهي: الريش بعد المقدم لذوتهم، ووجه المشابهة ان الملائكة لا تحتف ذواتهم، واجرامهم الفلكية، فى نسق ما اهتم من عبادة الله ومعرفته، بل صاقون لايترايلون فى استقامة طريقهم اليه، كالمناكب السالية لمقادم، وعلى نظامها وترتيبها لا يختلف نسقها. وروى مقاوم الطاعة: جمع مقدم. وعزيمة جدتهم: ارادتهم الجازمة فيه، واستعار وصف الانتصل: لما ترمى به النفس الامارة العقل من غرورها وخداعها بشهواتها، فتقطعه عما هم به من الطاعة. ولاستهتار باشئ: الولوع والتهاجر به. ولشفقة الاسم من الاشفاق وهو الخوف. ويوا: يضعفوا ويتكاسلوا. وشيك السعى: قريبه، ونفى لاطماع عنهم لانها من عوارض البشرية، وكذلك استحوذ الشيطان عليهم اى: احاطته بهم. وغل التحاسد:

أى حقه، وتصاريه الرب وجوه الشكوك . وتشعتههم: اقتسمتهم. واخفاف الهمم
مختلفاتها. واستعار لفظ الاسراء لهم باعتبار عدم تمكيبهم من الحروح عن الايدى
بمقتضى ذواتهم. ولط الرقة وهى: العروة فى الحل للامان اللازم لهم.
وغرض الفصل تمجيد الله تعالى: بخلق العاصم الأعلى من الملائكة على اختلاف
انواعهم وما لهم من الكمال الاشرف على سائر الموحودات، وقد نبهنا على تأويلات
ضعيفة عماها بصار الى بعضها فى الأصل، والله أعلم.

ومها فى صفة الأرض ودحوها على الماء.

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَرْأَمَوحٍ مُسْتَفْجِلَةٍ، وَلَخَجَ بِحَارٍ زَاجِرَةٍ، تَلْتَنِيْمُ أَوَادِيْ أَمْوَجَهَا،
وَتَضْطَبِقُ مُتَضَادَّاتٍ أَتْبَاجَهَا، وَتَرْغُو زَسَدًا كَ لُحْمُولٍ عِنْدَ هَيْبَاحَهَا، فَخَصَّصَ جَمْبَحُ الْمَاءِ
الْمُتَلَاظِمِ لِغُفَى حَمْلَهَا، وَسَكَنَ هَبْحُ أَزْمَانِهِ إِذْ وَطَنُهُ بِكُلْكِيَّتِهَا، وَذَكَ مُسْتَحْذِبًا، إِذْ تَمَعَّكَتْ
عَبِيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْحَ بَعْدَ أَصْطِحَابِ أَمْوَجِهِ سَحَابًا مَقْهُورًا، وَفِي حَكْمَةِ الذَّكَ مُلْعَدًا أَسِيرًا
وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مُدْخُوَّةً فِي لَحْزِ تَبَارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَحْوَةِ تَأْوِهِ وَأَغْيَلَاتِهِ وَسُمُوخِ أَسْفِهِ وَسُمُو
عُتُوَاتِهِ، وَكَعَمَتْهُ عَلَى كَيْطَةِ حَرَّتِهِ، فَهَمَّتْ تَعْدُ رَفْقَهُ وَلَكِنَّ تَعْدُ زَيْمَدٍ وَتَبَاتِيهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْبَاحُ
الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْثَافِهَا، وَحَمَلِ شَوْهَقِ لِحَابِ السُّجُجِ الْبُدُخِ عَلَى أَكْثَافِهَا فَحَرَّتَابِيعِ
الْعُيُونِ مِنْ عَرَاتِيْنِ أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ يَدَيْهَا وَأَحَادِيدِهَا، وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِبَاتِ
مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَدَوَاتِ السَّخَابِيبِ السُّمِّ مِنْ صَيَانِعِيْدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ السَّيْدَابِ لِرُسُوبِ
الْحَبْلِ فِي قِطْعِ أَيْدِيْهَا، وَتَعَمَّلِيْهَا مُسْتَرْبَةً فِي جَوَابَاتِ حَيَاشِيْهَا وَرُكُوبِهَا أَغْنَقَ سُهُولِ
الْأَرْضِيْنَ، وَخَرَاتِيْيِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْحَوَوِيَّتِهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَسَمًّا لِسَاكِيْهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا
أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرْفَقِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرْزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيْهَا، وَلَا
تَجِدُ جَذَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُخَيِّى مَوَاقِعَهَا،
وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَسَفَ عَمَامَتِهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُحْمِيْهَا، وَتَبَاتِيْنِ قَرْعِهَا، حَتَّى إِذَا تَمَحَّصَتْ لَحْدُ
الْمَرْزَنِ فِيْهِ، وَلَتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِيْهِ، وَلَمْ يَتَمَّ وَمِصُّهُ فِي كَتَهَوْرَاتِيْهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِيْهِ، أَرَسَتْ
سَحَابًا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسَفَ هَيْبَتُهُ تَمْرِهَ الْجَبُوتِ دَرَرَ أَهْصِيْبِهِ وَدَفَعَ شَائِبِيْهِ، فَسَا أَلْقَتِ
السَّحَابُ بَرَكَةَ بَوَابِيْهَا، وَبَتَاعَ مَا اسْتَحْلَلَتْ بِهِ مِنَ الْعَلْبِ وَالْمُحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ

هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتِ، وَمِنْ زُغْرِ الْحَبْلِ الْأَغْشَابِ فِيهِ تَبْهَجُ بَرِيَّةُ رَبِّضِهَا، وَرَدَّهِيَ مَنَا
الْبَيْتَةُ مِنْ رِبَاطِ أَرَاهِيرِهَا، وَجَلْبَتِ مَشِيمَتُهَا مِنْ ذَصِيرِ أَنْوَارِهَا، وَخَعَلَ ذَلِكَ بِلَاعًا لِأَقْدَامِهَا،
وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَحَرَّقَ الْيَحْيَا فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ السَّارِيسَالِ الْكَيْسَ عَلَى حَوَادِ ظَرْفِهَا، فَلَمَّا
مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَأَنفَذَ أَمْرَهُ، أَخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلِّيَّةٍ،
وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْعَدَ فِيهَا أَكْثَمَهُ وَأَوْعَزَ لِيُوَفِّمَ نَهَاهُ غَنَّهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَنْهُ
النَّعْرُضَ لِمَنْعِيَّتِهِ، وَلِمَحَاطَرَةِ بِمَرِّئِيَّةٍ فَأَقْدَمَ عَلَى مَانَهَاهُ غَنَّهُ مُوَافَاةَ لِسَانِهِ عَلَيْهِ، فَأَهْبَطَهُ
بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْيِهِ، وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُحْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَضَى، مَنَا
يَوْمَ كَذَّ عَنْهُمْ حُجَّةَ رُؤُوبِيَّتِهِ، وَتَبْصَلَ بَيْتُهُمْ وَتَبَيَّنَ مَعْرِفِيهِ، لَنْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجْعِ عَلَى الْأَسْرِ
الْجَبْرِ مِنْ أَلْبِيَانِهِ وَمُنْتَحَلِي وَدَيْعِ رَسَالَتِهِ، قَرْنَا، فَصَرْنَا، حَتَّى تَمُتَ بِبَيْتِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - حُجَّتُهُ، وَتَبَعَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ وَنُدْرَهُ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقُ مَكْرَهَهُ وَقَلَّلَهَا
وَقَسَمَهَا عَلَى الصَّبِيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَتَنَبَّأَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَحْزَنَ بِذَلِكَ
السُّكْرَ وَالصُّبْرَ مِنْ غَيْبِهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَدَ سَعَتَهَا عَقَابِيلَ فَاقِيَّتِهَا، وَبَسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاقِهَا،
وَبَفُرَجِ أَفْرَاجِهَا غُصَصِ أَرْحَمِهَا، وَحَسَنَ لَأَحَالَ فَاظَلَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَحْرَمَهَا، وَوَصَلَ
بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَحَمَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَابِهَا، وَوَطَّأَ لِمَرَاتِبِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السَّرِّ مِنَ ضَمَائِرِ
الْمُضْمِرِينَ، وَنَحَوَى الْمُتَحَافِيِينَ، وَحَوَاطِرَ رُحْمِهَا، وَطَلُّونَ، وَغَفَقَدَ غَزِيَمَاتِ الْبَقِيَّةِ، وَمَتَارِقَ
إِيمَانِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِينَتُهُ أَكْثَانُ الْقُلُوبِ وَغِيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِغْرَاقِهِ مَصَائِغُ
الْأَسْدَعِ، وَمَصَائِفِ اسْدَرٍ وَمَشَاتِي الْهَوَامِ، وَرَجَعَ الْحَيْنِ مِنَ الْمَوْلَهَاتِ، وَهَمَسَ الْأَقْدَامِ،
وَمُتَمَسَّجِ الشَّمْرِ مِنْ وَلَايَحِ غُلْفِ الْأَسْطِمَامِ، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ، مِنْ عِيَرَانِ الْحَنَاءِ وَأَوْدِيَّتِهَا،
وَمُحْتَبَأِ الْبَهْمُوسِ بَيْنَ مَوَاقِفِ الْأَشْجَرِ وَالْجَنِينِهَا، وَمَغْرِزِ الْأُورَاقِ مِنَ الْأَقْنَانِ، وَمَحْظَ
الْأَمْشَاحِ مِنْ مَتَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَدَشِيئَةِ الْعُيُومِ وَمُتَلَاجِيَّتِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي
مُتْرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْقَى الْأَغَاصِيرُ بِدُبُولِهَا، وَتَعْمُو الْأَمْطَرُ بِسُيُولِهَا، وَغَوِمَ تَبَاتِ الْأَرْضِ فِي
كُتُبَانِ الرَّمَالِ، وَمُسْتَقَرَّ دَوَاتِ الْأَجِيحِ يَسْرَى شَاخِيبِ الْحَبْلِ، وَتَعْرِيدِ دَوَاتِ الْمَطْلِقِ
فِي دِيَابِهِرِ الْأَوَكَاثِ وَمَا أَوْعَيْتُهُ الْأَصْدَافُ، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاحُ لِحَارِ وَمَا عَشِيَّتُهُ سُدُفُهُ
لَيْلِ أَوْ دَرَّ عَنْهُ شَارِقُ نَهَارِ، وَمَا اغْتَبَهَتْ عَلَيْهِ أَطْلَاقُ الدِّيَابِجِ، وَسَبَّحَاتُ السُّورِ وَآثَرُ كُلِّ
خَطْوَةٍ، وَجَسَّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجَعَ كُلِّ كَيْمَةٍ، وَتَحْرِيكَ كُلِّ شَفَةِ، وَمُسْتَقَرَّ كُلِّ نَسَمَةٍ،

وَمِنْ ثَمَارِ كُلِّ دَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ مَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارِ نُظْمَةٍ، أَوْ نِقَاعَةِ دَمٍ وَمُصَنِّةٍ، أَوْ نَاشِئَةٍ خَلْقٍ، وَسَلَاتِيٍّ، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ، وَلَا اغْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا اتَّكَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا اغْتَوَرَّتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فُتْرَةٌ، بَلْ نَعَدَّ فِيهِمْ عِلْمَهُ وَأَخْصَاءَهُمْ عُدَّهُ، وَسِعَتُهُمْ عُدْلُهُ، وَعَمَرَهُمْ فَصْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالْتَعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلْنَا فَخِيرُ مُؤْمِلٍ وَإِنْ تَنَزَّجْنَا فَآكِرُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدُحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِينِ الْحَيَّةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيَّةِ وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْأَتَمِيمِينَ وَالنِّسَاءِ عَلَى الْمُزْبُورِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَبِكُلِّ مَثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَائِهِ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَقَائِهِ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ ذَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ أَوْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرْمُسْتَحَقًّا لِهَذِهِ الْمُحَامِيدِ وَالْمَمَادِجِ غَيْرَكَ، وَبِي فَافَةِ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَتَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَسُ مِنْ خَلْقِهَا إِلَّا مَتَكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَعِيتَا عَنْ مَذَى الْأَلْيَدِي إِلَى سَوَالِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أقول: هذا الفصل يشتمل على فصيلين:

الفصل الأول، في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه الأرض وحملته من أحوالها، واعداده فيها تمام مرافقتها، وخلقه لآدم وذريته بعد ذلك في معرض الإمتنان عليهم بذلك، وهو قوله: كبس الأرض، الى قوله: طرقها. واستعار لفظ الكبس: لخلقها في وسط كرة الماء، والمور: التحرك، واستعار لفظ الاستفعال: للموج ملاحظة للشبه بالفعل عند صياله، والأواذي جمع آذى وهو: ما عظم من موج البحر. والاثباج جمع ثبج وهو: معظمها وعواليتها، واستعار لفظ الجماع: بحركة الماء على وجه لا يملك. والارتماء: التقاذف. الترداد والتمتك: التمرغ. واستعار لفظ كلكل وهو: الصدر للأرض. والمستخدى: الخاضع. واصطغاب الأمواج: غلبتها. والساجي: الساكن. واستعار لفظ الحكمة وهي ما احاط من اللجام بعنك الذابة: لأمر الله بتسكينه. والمدحوة: المبسوبة. والتيان الموج. والبأون الفخر. وشموخ الأنف كناية: عن التكبر. والغلواء: تجاوز الحد.

و كعمته: سددت فاه. والكطة: شدة الامتلاء. وهمد: سكن. والترقات جمع ترقه وهي: الخفة. ولبد: لصق بالارض ساكنًا. والزيفان: التمايل. والاكف: الجوانب. والبذخ: العالية. والعرين: اعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين ولفظ مستعار لأعلى الجبال. والسهوب جمع سهب وهو: الفلاة الواسعة. والبيذ جمع يبداء وهي: الفلاة ايضا. والجلاميد: الصخور. والشناخيب: رؤس الجبال. والشم: العالية. والصيخود: الصخرة الصلبة. واديمها: سطحها. والتسرب الدخول فى اسرارها واعماقها. والمتنسم: المستشق. والمرافق: المنافع. وارض جرز لانبات بها لانقطاع الماء عنها. والدمع: القطع، وكذلك القرع. واكفة بالضم: ما استطل من السحاب وما استدار. وبالكسر وميضه: ضياؤه. والكهوز: العظيم من السحاب. والرباب: الغمام الابيض.

والسح: العيب. واسف: دنا من الأرض اى: تدلى. وتمريه: تستخرج مائه ودره القطر. والشايب جمع شؤبوب وهو: الرشفة القوية من المطر. والبرك: الصدر. واليوانى: ما يليه من الاعضاء وهو مستعار لما نقل من المطر. وبعاع السحاب: ثقله بالمطر. العب: الثقل. وهو امد الارض: ما نبت بها كانتها ساكنة من الحركة ثابتة كقوله تعالى: (وترى الارض هامدة) الآية. وجبله زبراء لا يثبت بها: تزدهى: تزدان وتتكبر. والريط جمع ريطة وهي: الازاهير النيرة. وسملت زينت بالسمط وهو: العقد، وروى بالشين المعجمة اى: خبطت. والفجاج: الخلفة و اراد: اول الجبل الانسانية. واوعز اليه بكذا: امره به ومانهاه عنه هو الاقدام على الشجرة واكلها. وقرنا نصب على البدل من الضمير فى تعاهدهم. والمقطع: الغاية. وقد تكررت قصة آدم عليه السلام. وعقاييل: المرض والفقر بقاياها. والاتراح: الحزن. واستعار لفظ الاسباب وهي الحبال: لما امتد من الآجال. والخدج: الجذب، وكذلك لفظ الاشطان. والمرائز: ايضا الحبال. الأقران جمع قرن وهي: الحبال لما امتد منها. وباقى الفصل ظاهر وان تعلقت به فوائد خارجة عن المتن ذكرناها فى الاصل.

الفصل الثانى ، فى تمجيده سبحانه واعتبار كونه عالماً بالاشياء وعد من جزئياتها جملة يشهد بأحاطة علمه وكماله وهي قوله: عالم السر، الى قوله: اهله.

والتخافت: المساواة. واستعار لفظ الرجم: باعتبار الرمي بالظن كما يرمى بالحجر ونحوه. وعقد عزميات اليقين: ما انعقد في النفس من العزم عن يقين. واستعار لفظ المسارق: لمخارج اللحظ من العيون على غرة. وروى مشارق بالشين المعجمة. والغاية: ظلمة قعر البر، واستعار لفظ الأكنان والغيابات: للغيوب باعتبار ما خفى فيها من الأسرار ومصانغ الأسماخ: خروقتها. ورجع الحنين: تردده. والمولها: النوق فقدت اولادها. والولائج: المداخل. والاكمام جمع كم بالكسر وهو: غلاف الطلع. والمنقمع: محل الانقماح وهو الارتداع. ولحاء الشجرة: قشرها. والامشاج: النطمة المختلطة بالدم. ونبات الارض: حشراتها، واستعار لها وصف العموم: باعتبار دخولها في اعماق الرمال. والشناخيب: رؤس الجبال. والدياجير جمع ديجور وهو: الطلام. ووصف الحصن مستعار لاشتغال امواج البحار على ما اشتملت عليه. والسدفة: الظلمة. وذو: طلع. وسبحات السور: مظانه. واثر عطف على المجزورات السابقة. والهمهمة: الصوت الخفى. والمقاعة: نقرة يجتمع فيها الدم وكنى بها: عن الأرحام. واعتورته: احاطت به. والتعداد: الكثير. تعداد: اعتبارات وصفه بالنسبة الى مخلوقاته، اذ كان له بكل نسبة الى كل جزءين منها مدحة وثناء. واستعار لفظ معادن الخيبة: للناس باعتبار انهم مظنة رد الطائب، ومواضع الشك في ذلك، وباقي الفصل ظاهر وبالله التوفيق.

٨٩- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَأَتَّبِعُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَحُوءٌ وَالْوَأْدُ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَنْتَبِهُ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَأَعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُمْ رَكْبَتِي بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أَضْغْ إِلَى قَوْلِي الْقَائِلِ وَعَسِبَ الْغَائِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْتَعُكُم وَأَطُوعُكُمْ يَمَنٌ وَلَيُتَمُوهُ أَمْرُكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا.

اقول: اراد بذلك الامر ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب الشبهة العائدة، وفستهم، واستعار لفظ الوجوه والالوان لتفتن الاختلافات ووصف الغيم: لما غشى البلاد من ظلمات الظلم، وتعبير الشريعة ووصف التسكر: ليعبر طريق الشريعة وجهل الناس بها، واهمالهم لسلوكها لا تقوم لها القلوب، ولا تثبت عليه بل تنفر منه لمخالفته الدين، ووزيراً واميراً: حالان، والعامل فيهما هو العامل في لكم، وكونه خيراً في وزارته لأنه في امارته يحيلهم على ما يكرهون دون حل وزارته، والله اعلم.

٩٠ - وَمِنْ حُطَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ نَكُنْ لِنَجْرُو عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاحَ عَنْهَا، وَشَتَّتْ كُلَّهَا، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ يَفْهَمُونِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ نَهَى يَأْتِي وَتَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَا نَكُنُّمُ بِتَأْخِيقِهَا، وَوَيْدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاجِ رِكَائِهَا، وَمَحْظَرِ رَحَالِهَا، وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَيَمُوتَ مِنْهُمْ مَوْتًا، وَلَوْ قَدْ قَدْ شَمُونِي، وَسَرَكْتُ بِكُمْ كَرَانَهُ لَا مُؤَبَّرَ وَحَوَارِثَ الْخُطُوبِ، لَا طَرَفَ كَثِيرٍ مِنَ السَّائِينَ، وَقَبِيلَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصْتُ حَرْبَكُمْ وَشَمَرْتُ عَنْ سَائِقِ، وَصَافَيْتِ الدُّنْيَا عَنْكُمْ ضَيْفًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِيَقَّةَ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ؛ إِنَّ الْبَيْتَ إِذَا أَقْلَتْ شَهْبُهُ، وَإِذَا أَذْبَرَتْ بَيْهَتُهُ؛ يُتَكَرَّرُ مُضِلَّاتٌ، وَيَعْرِفُنَّ مُدْبِرَاتٌ، يَحْمِلُنَّ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِشْنَ بَلَدًا وَيُحِطِرْنَ بَلَدًا، أَلَا إِنَّ أَحْوَفَ الْفِتَنِ عَيْنِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَرُبَّهَا فِتْنَةُ عُمَيَّاءَ مُطْلَبَةٌ؛ عَمَّتْ خُطُوبُهَا، وَحَصَّتْ تَلِيغُهَا، وَأَصَابَتْ الْبَلَاءُ مَنْ أَنْصَرَفَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ غَيَّبَ عَنْهُ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتُحْدِثَ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْزَاقَ سُوءٍ تَعْبُدِي كَالْكَاتِبِ الضَّرُوسِ: تَعْزِمُ فِيهِ، وَتَحْطُ بِبَيْدِهَا، وَتَزِيرُ بِرِجْلِهَا، وَتَسْمَعُ دَرْهَقَ، لَا يَرَاوُنَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَنْتَرِكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ صَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَرَاوُنَ بَلَاءُ لَهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْصَارِ الْعَدُوِّ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ، تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فَتْسْتَهْمُ شَوْهَاءَ مُحْشِيَّةً، وَقَطْعًا جَاهِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَتَارُ هَذِي، وَلَا عَنَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا

بِمَنْحَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُعْرِجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيعِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُوهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوهُمْ غَسْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُخَيِّسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَيُؤْتِي ذَلِكَ تَوْدُقُ فَرِيشٍ، بِالْذُّنُوبِ وَمَا فِيهَا، لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَسَرَ حَرْبُ جَزُورٍ لِأَقْبَلِ مِنْهُمْ مَا أَظْلُتُ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَارَ يَعْطَلُونِي.

أقول: اراد بالفتنة فتنة اهل البصرة، واستعار وصف فقهاء العيين: لقتله لهم وازالة فتنتهم، وقوله: ولم يكن ليجرئ عليها احد غيري لأن الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ولا يعلمون كيفية قتالهم، هل يلحقون بالكفار في اتباع مدبرهم والازهاز على جريحهم وسبي ذراريهم واخذ أموالهم اذا بغوا، ام لهم حكم آخر حتى اقدم عليه السلام على قتلهم وعلمهم كيف تصنع بهم، واستعار لفظ الغيب وهو الظلمة: لتلك الفتنة باعتبار التباس الحق فيها. والكلب: الشر. واستعار اوصاف الإبل ولواحقها من الناعق والقائد والسائق والتمناخ والركاب والرحا: للفتنة الهادية والمضلّة والمهدية والفضالة باعتبار انقيادهم لدعاتهم. وحوازي الامور: ما عظم منها واهم. واطراق السائلين لجبرتهم في عواقب تلك الخطوب وكيفية الخلاص في الدين. وقوله: وذلك اشارة الى مثل المسؤولين. واستعار وصف التقلص وهو التقبض للحرب ملاحظة لشبهها بالجد في السعي المشتمر ثوبه. وبقية الابرار من يسلم من دولة بنى امية في دينه ومن يولد من اهل طاعة الله. وقوله: ان الفتنة اذا اقبلت شتبت، اي: تكون في مبدء امرها مشابهة للحق في اذهان الخلق فاذا ادبرت نهبت اذهانهم على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج واضطراب الامر.

وقوله: ينكرون، الى قوله: مدبرات: تفسيره واستعار وصف الحوم: لدورانها الموهوم، ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد، دون بلد، ملاحظة لشبهها بالطائر. وقوله: الا ان اخوف الفتنة، الى آخره: انما كانت هذه اخوف الفتن لشدة نها وطول مدتها وانهدام قواعد الدين بها. واستعار لها لفظ العمياء: لانها مخالفة للحق او لجريانها على غير طريق شرعي كالأعمى في طريقه، وكذلك لفظ الظنمة وعموم خطتها: كناية عن احاطتها وشمولها لاس. ونخصت بليتها اي: بأهل التقوى من شيعة

عليّ، ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان لاسلام. ومن أصر فيها أى: عم كونها فتنة كان منها فى ملاء مع نفسه بالحزب الطويل لمشاهدة المسكرات، ومن شأن ائمة الضلال تشجيع من انكر افعالهم بالقتل والإذلال فكان البلاء به اخص، وإقا من عمى عن كونها فتنة حتى خبط معهم فى ضلالهم اخطاء هم بلاؤهم، وشبههم فى أفعالهم الردية بالندب الضرس وهى: الناقة الممسة التى تقض حالها. ووجه شبه انتصارهم من ائمة الضلال بانتصار العبد من سيده عدم انتصافه منه إلا بالغبية والسب فى الخوة. والشآبيب جمع شؤبوب وهو: الدفعة من امطر. واستعار لفظ الشوواء لقبه، عقلا وشرعاً. ولفظ المتدبر هو العم: للامام العادل، باعتبار الهداية به. وقوله: نحى اهل البيت عنها بمنجدة، أى: من آثامها والدعوة الى مثلها، وليس المراد أنّ سالمون من اذاها، ومن يسومهم خسفاً: اشارة الى بنى العباس وظهرهم عليهم واستبصالهم. واستعار لفظ الكأس المصبرة: لمرارة ما يفعل بهم وتألمهم به. ووصف الاحلاس: لالزمهم اللاء ممن يظهر عبيهم. ولحليس: كماء رقيق يوضع تحت قتب البعير. وقوله: حتى، الى آخره: اشارة الى ما ينتهى اليه هذه الفرقة المتغيب من قريش من التراذل والضعف الى ان يتمتوا رؤيته مقاماً واحداً.

وروى أنّ مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية قتل يوم الزاب حين شاهد عبده الله ابن محمد بن عسى بن عبدالله بن العباس ماراً به فى صف حراسان: لوددت أنّ عسى بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلاً من هذا الفتى. والقصة مشهورة وبالله التوفيق.

٩١- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَسْتَعِينُهُ بَعْدُ الْهَيْمُ، وَلَا يَنْتَالُهُ حَدْسُ الْفَيْضِ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَا عَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهَى، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضَى.

اقول: الحدس فى اللغة: الظن، وفى الاصطلاح العلمى: سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب، وقد مر تفسير أوليته وآخرته.

مها: في وصف الانبياء

وَسُودَعَهُمْ فِي أَفْصَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَبَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَسَاحَنَهُمْ كَرَامُهُمُ الْأَصْلَابُ
إِلَى مَظْهَرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُنَمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَقْصَتْ
كَرَامَةُ اللَّهِ سُحْنَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْصَلِ لِمَعَادِي
مَتْنِيًا، وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا مِنَ الشَّحْرِ الْبَيْتِ صَدَقَ مِنْهُ أَنْبِيَاءُهُ، وَأَتَتْهُ مِنْهُ أُمَمَاءُهُ،
عَثَرَتْهُ خَيْرُ الْعَثَرِ، وَأَسْرَتْهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتْهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَسَبَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي
كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَتَمَرَةٌ لَا تُنَالُ، فَهَوَامُهَا مِنْ نَفْسِي، وَتَبْصِيرُهُ مِنْ أَهْلِي، سِرَاحٌ لَمَعَ
ضَوْؤُهُ، وَشَهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَرَنَدٌ بَرَقَ لَمَعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَسُتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ،
وَحُكْمُهُ الْبُدْلُ، عَنَى جِبِينَ قَفَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَمُوهَ عَنِ الْغَمَلِ، وَغَاوَةَ مِنَ الْأُمَمِ.
إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى أَغْلَامٍ بَيْتَةٍ، فَطَرِيقُ نَهْجٍ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي
دَارِ مُسْتَقْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَشْهُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ حَارِيَّةٌ، وَلَا يَدُنْ صَحِيحَةٌ،
وَالْأَلْسُنُ مُظْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ

اقول: الاشارة الى الاتبياء عليهم السلام، و افضل مستودع استودعهم فيه، اما
نفوسهم فحضائر اقدس و مازل الملائكة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر و اما ابدانهم
و اصولها فكرايم الاصلاب التى هى مستودع اللطف، و ارحام المظهرات التى هى
مفازها. و الشيعة يطهرون اصول الانبياء من طرف الآباء و الاتمهات عن الشرك، و اليه اشار
الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: (نفسا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الركية)^١.
و امضت: انتهت، و كتى بكراهة الله عن: النبوة. و استعار لفظ المعدن و المغربس
و المتببت: لطيفة النسوة و هى مادته القريبة التى استعدت لقبول مثله. و قيل: اراد بذلك
مكة. و قيل: بيته و قبيلته. و الارومة: الاصل، و لفظ الشجرة: لقريش. و عترة الرجل:
نسبه و اسرته و قومه، و وجه افضلية عترة قوله صلى الله عليه وآله: (سادة اهل المحشر
سادة اهل الدنيا انا، و على و حسن و حسين و حمرة و جعفر)^٢. و وجه افضلية اسرته قوله

١ دلائل نبوة/ ٢٤ تفسير البحر الرأى ١٧٣/٢٤.

٢ - مستدرك الصحيحين ٢١١/٣. تاريخ بغداد ٤٣٤/٩.

صلى الله عليه وآله: (إن الله اصطفى من العرب معداً واصطفى من معدى لضرب بن كنانة، واصطفى هاشماً من بنى النضر، واصطفانى من بنى هاشم)، وقوله: (الباس تبع لقريش برّهم لبرّهم، وفاجرهم لفاجرهم).

وقيل: أراد بالشفرة فى الموضعين ابراهيم عليه السلام. وقيل: أراد هاشماً ووسه بقرينة قوله: نبئت فى حرم وأراد مكة. ويسقت: طابت وكنى بفروعها عن: منه عليه السلام وذريته بوصفهم بالطول عن بوصفهم فى الشرف العلية البعيدة. واستعار لفظ الثمرة: لكمالهم الذى لا يدرك من العموم والاخلاق الكريمة. واستعار لفظ السيرة والسراج والشبهات والزند له: باعتبار كونه سبب هداية الحق بانوار الدين. وافصل: الفاصل بين الحق والباطل. والهموة: الدلالة. والغباوة: اجهل. واستعار لفظ الاعلام: لأنّمة الدين ودلائله الواضحة وطريق نهج واضح. ودار مستعتب أى: يمكن فيها طلب العتبى، وهو الرجوع الى الحق. وقيل: أى دار يمكنهم فيها ان يطلبوا من الله العتبى وهو: الرضى والعفو عنهم. والمسشورة: صحف الأعمال. والحارية: اقلام الكرام الكاتبين.

٩٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَعَنَّهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَائِطُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ لَأَهْوَاءُ وَاسْتَرْكَلَتْهُمْ الْكِبَرِيَاءُ، وَاسْتَحَنَّتْهُمْ الْعَاهِيَّةُ الْجَهْلَاءُ. حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأُمُرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْخَلْقِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَعَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

أقول: انخبط: المشى على غير طريق. وروى خائطون وهو مستعار: بجمعهم فى فتنهم مالا يشفى من أقوال، وأفعال، واستزلهم: استخفهم. والجهلاء: وصف لما اشتق من الموصوف تأكيداً كما قال: ليل أنيل، والطريقة التى مضى عليها: سبيل الله، ودعوته الى الحكمة والبرهان والى الموعظة الحسنة بالخطابة. وبالله التوفيق.

٩٣- وَمِنْ خُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَلَا آخِرَ فَلَا شَيْءَ تَعْدَهُ، وَالْقَاضِي فَلَا شَيْءَ قَوْفَهُ،
وَالْبَاطِلُ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

اقول: المراد بظواهرها الحال لتأكيد معنى الفرقية عنه، والباطل هو الذى بطن
خصيات لامور، علماً، وهو قرب الاشياء اليها بهذا الاعتبار فسدك سلب ما هو دونه اى: ما هو
اقرب اليها منه، وقد سبق بين هذه الاعتبارات.

مها فى ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:
مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمُسْتَهْ أَمْرٌ مَثْبُتٌ، فِى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قَدْ
صُرِّقَتْ نَحْوُهُ أَفْبَدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثَبَّتَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَنْصَابِ، ذَوَى بِهِ الصَّعَائِنِ، وَأَطْلَأَ بِهِ الثَّوَائِرِ،
أَلْفَ بِهِ خَوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَابًا أَعْرَبِ الدَّلَّةِ، وَأَذَرِ بِهِ لُجْبَةً، كَلَامُهُ بَيَّاتٌ، وَصَمْنَتُهُ لَسَدٌ.

اقول: مستقره: مكة، وهى خير مستقر لكونها أم القرى، ومحل بيت الله الحرام.
واستعار مهاد السلامة: لأراضى الحجاز كالمدينة ومكة لكونهما محلّ العبادة والخبرة
بالله والسلامة من عذابه. ويحتمل ان يريد ما يسقط فيه، وينشأ عليه من مكارم
الاخلاق الممهدة للسلامة من مخط الله، وفى قوله: قد صرقت: تنبيه على ان اصارف
لافئدة الاسرار اليه، هو: لطف الله تعالى، وعايته بهم. وثبت اى: صرقت. والأقران
المفترق لهم: المتألمون على الشرك. ولذلة التى اعرفها به ذلة المسلمين، والدلة التى اذلها
به عرة المشركين. وقوله: وصمته لسان اى: نأ سكوتة مما يفيد حكما ككلامه، فان
الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلاً على عادتهم فسكت عنه عموماً انه مباح فى الدين، فشبّه
ذلك البيان باللسان فاستعار لفظه له.

وَلَسْنَا أَنَّهُنَّ أَطَّيَّبَةٌ فَلَنْ تَثُوتَ أَحَدُهُ، وَهُوَ لَكُمُ بِالْبَرِّ صَادٌّ عَلَى مَحَارِطِ رِيقِهِ، وَيَبْذُوعُ اسْتَحْيَ مِنْ مَسَدِ رِيقِهِ، أَمَّا وَلَدِي تَقْسِي بِيَدِهِ لِيُظْهَرَ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَنَّا كُمْ، لَيْسَ لَانْهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنَّا كُمْ، وَلَكِنْ لَا شِرَاعِيَهُمْ إِلَى تَابِطِ صَاحِبِهِمْ وَانْقَدُوكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْحَبَ الْأَنْفُ تَحَدُّفَ ظِلِّمْ رَغَائِيهَا، وَأَصْبَحْتُ أَحَافَ ظِلِّمْ رَغَائِيهَا: اسْتَفْرَكْتُكُمْ بِالْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ هَمَّ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَخَفَرًا فَتَمَّ تَسْجِيؤُكُمْ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَسْهُودُ كُفُؤًا، وَعَبْدُ كَارِثَاتٍ ١١٩٩ أَسْأَلُكُمْ عَنِّي كُمْ، لِحِكْمِ تَنْفِرُونَ مِنَّا، وَأَعْطَاكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَنْفِرُونَ عَنْهَا، وَأَحْكُمُ عَلَى جِهَادِ هَلْ أَلْبَسِي فَمَا آتَى عَلَى جِرِ الْفَوَلِ حَتَّى أَزَاكُمُ مُتَفَرِّقِينَ آيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَذُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أَمُومَكُمْ عُدُوَّةً وَتَرْجِعُونَ إِلَى غَسِيَّةٍ كَصَهْرِ الْحَيَّةِ عَنَزَ الْمُقُومُ، وَأَغْضَلَ الْمُقُومُ.

أَيُّهَا الشَّهِيدُ أَبَدُ نُهُمُ، الْعَالَمَةُ عَفْوُهُمْ لِمُخْتَلِفَةِ أَهْوَاؤِهِمْ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرًا وَهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَصَاحِبُكُمْ لَسَّامُ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَ ١٢٠ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَ فِي بَيْتِي صَرَفَ الذَّبْرِ بِالذَّبْرِ، فَأَحَدٌ مِنِّي عَشْرَةٌ مِنَّا وَتَغَايَ رَحْلًا مِنْهُمْ.

وَأَهْلُ الْكُوفَةِ، مُبِيتُ مِنْكُمْ يَتَلَاثُ وَتَنْتَبِهُنَّ: صُمْ دُؤُومَ اسْتَمَاعٍ، وَنُكْمُ دُؤُومَ كَلَامٍ، وَغُمِّي دُؤُومَ أَنْصَابٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقِي عِنْدَ لُقَاءٍ، وَلَا إِخْوَانُ يَفْقَهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ.

يَا أَشْبَهَ الْإِبِلِ غَدَتَ عَنْهَا رُغْمُهَا؛ كَلَّمَا لُجِمَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَهِيَ لَكَ فِي بَيْتِي إِحْدَى أَنْ نُوْخَمَسَ الْوَقْعَى، وَحَمِيصَ الصَّرَابِ، وَقَدْ تَفَرَّقْتُمْ عَنْ أَنْبِيَاءِ أَبِي طَالِبٍ تَفَرَّقَ الْمَرْأَةُ عَنْ قُبَيْلِهَا، وَأَنْبِيَاءُ لَعَلِّي بَيْتِي مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَا حَقٌّ مِنْ نَبِيِّ، وَأَنْبِيَاءُ لَعَلِّي الطَّرِيقَ الْوَاصِحَ الْقَطْعَ لَقَطَ أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِي نَبِيَّكُمْ فَارْلَمُوا سَنَنَهُمْ، وَأَتَّبَعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِدُّوكُمْ فِي رَدًى. قُلْ لِبَدُوا قَبْدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَتَهَضُّوا، وَلَا تَسْمَعُوا قَصْلًا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهَبِكُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا رَأَى أَحَدًا مِنْكُمْ يَسْتَهْجُهُ! لَقَدْ كَانُوا يُضَيِّحُونَ شَعْنًا غُرًّا، وَقَدْ بَاتُوا مُتَحَدِّينَ، وَقِيَامًا، يُرَاقِبُونَ بَيْنَ جَبْهَتِهِمْ وَخَلْدِهِمْ، وَيَقْبُضُونَ عَلَى مِثْلِ الْخَمِيرِ مِنْ ذِكْرِ مَعْدِيهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ

أَعْيَبَهُمْ رَكَبَ الْيَمْرِ، مِنْ طَوْلِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَسَتْ أَعْيَبُهُمْ حَتَّى تَكُلَ جُيُوبُهُمْ،
وَمَذُوا كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْمَصِيفِ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلتَّوَابِ.

اقول: المرصاد: الطريق يرصدها. والشحى: العصص. وقوله: ولئن امهل الله، الى
قوله: ريقه: فى معرض الوعيد لمعاوية واهل الشام بأخذ وعقوبة. والقوم: اهل الشام.
وشتهم فى شهودهم بالعتاب لعدم فائدة خطابهم. وبالارباب مع كونهم رعية من شأنهم
التعبد لأوامر امامهم، اولان فيهم عيباً. ووجه الشبه كونهم لا ياتمرون لأمرهم. وإيادى
سما مثل: وهما اسمان بجلا اسماً واحداً كمعدى كرب. وسيا: قبيلة من اولاد سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان. وهذه القبيلة كانت بمأرب وقصتهم فى تفرقهم مشهورة
يضرب بها المثل. وشبه رجوعهم عن الصلاح مظهر الخيبة وهى: القوس. وأعضل:
أشكل، وأنما قال:

بثلاث واثنتين لتناسب الثلاث، وكون الشنتين من نوع واحد فالثلاث
اثلاث والثنيتان سلب واستعار لهن: وصف الصم والبكم والعسى، باعتار عدم
انتفاعهم بهذه الآلات فى طاعة الله. ولا حرار صدق لعدم خلوص حريتهم من لحبن
والعش. وتربت: اصابته التراب وهودعاء بالحبة والحرمان. ويروى عوض جمعت:
حيصت اى: جمعت ايضا. واخاء: احسب. وحسن الوعى: اشتدت الحرب. ولفظ
طريق اذا مشى على بصيرة وَتَوَكَّدَ، ويلزم ذلك ان يعرفها خلاف المستعجل فيها. ولبدو
سكنوا، واراد: ان سكنوا عن طلب الأمر فاتيهم فى ذلك، وان بهضوا فى طبه فبهضوا
ولا تسقوهم ي: الى امر لم يتقدموا فيه، فَنَ التقدّم على الدليل مطّة لصلال عن القصد،
وان لا تتأخروا عن امثال اوامرهم بالمحاملة لهم وعدم متابعتهم.

والشعث البخر كناية: عن قسهم وتركهم لزية الدنيا. وكفى بوقوفهم على مثل
الجمعر عن خوفهم من ذكر معادهم، وبالله التوفيق.

٩٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَنَّهُ لَا يَرَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا إِلَهُ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ، وَلَا عَمْدَ إِلَّا حُلُوهُ وَحَتَّى لَا يَتَنَبَّأَ نَبِيٌّ وَلَا وَتَرٌ إِلَّا دَحَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَبَنَاهُ سُوءُ رَغِبِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ لَنَا كَيْدٌ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِيَدِيهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِذُنُوبِهِ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ؛ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اعْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَغْضَاكُمُ فِيهَا عَتَاءُ أَحْسَنَكُمُ بِاللَّهِ طَاءً، فَإِنَّ أَنَا كُمْ اللَّهُ سِقَايَتِي فَأَقْبِلُوا؛ وَإِنْ أَبْتَلَيْتُمْ فَصَبِّرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

٩٦- وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَتْ، وَنَسْتَعِيزُ بِهِ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَقْدَابِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَنْدَابِ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ أَوْصِيَكُمْ بِالرَّقْصِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا الشَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحْسِنُوا تَرْكَهَا وَلَمْ يَلْبِسْهُمُ لَأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهُ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَمَثَلِ مَلِكٍ مَسِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمَّا عِلْمًا، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَعُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمَجْرَى إِلَى الْعَايَةِ أَنْ يَخْرِيَ إِلَيْهَا، حَتَّى يَنْبُعَّهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَبْعُدُوه؟ وَطَلِبٌ حَيْثُ يَخْذُلُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِرَالِ الدُّنْيَا وَقَحْرِهَا، وَلَا تَفْعَلُوا بِرَبِّتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْرَعُوا مِنْ ضَرَائِجِهَا وَبُؤْسِهَا؛ فَإِنَّ عِرَالَهَا وَقَحْرَهَا إِلَى انْقِطَاعِ، وَإِنَّ رَبِّتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَاءِهَا وَبُؤْسِهَا إِلَى تَعَادٍ، وَكُلُّ مُلْكٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوَّلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُرْدَجَرٌ، وَفِي آثَابِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبَصُّرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؟ أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِثْلَكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَإِلَى الْخَافِيفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟ أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّهُنَّ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُعْجَى، وَآحِرٌ يُعْرَى، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَغَائِبٌ يَفُودُ، وَآحِرٌ يَنْفُسُوهُ يَحُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَمُوتِ يَطْلُبُهُ، وَعَاقِلٌ وَلَيْسَ يَسْمَعُ قَوْلَ غَنَةٍ!!؟ وَعَلَى أَثَرِ الْمَضِيِّ مَا يَمْضِي الْبَقِي.

أَلَا فَذُكِّرُوا هَٰذِهِمُ الذَّنَابِ، وَمُنْتَعَصِ الشَّهَوَاتِ، وَقَطِّعِ الْأُمِّيَّاتِ، عِثْدَ الْمُسَاوِرَةِ
لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَىٰ أَذَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يَخْصِي مِنَ الْغَدَادِ نَعِيمِهِ وَ
إِحْسَانِهِ.

أقول: خص الحمد بما كان لأن الشكر على النعمة مترتب على وقوعها، والاستعانة
بما يكون، لأن طلب المعونة إنما هو فيما يتوقع فعله، ولما كان للاديان سقما أشد من سقم
الأسدان، وهو: مرض النفوس بداء الجهل، ورموز الأخطاء سأل العافية فيها، ورفض
الدنيا: تركها. والمفسر: المسفرون. وقد كان في الموصفين قريبا الأحوال لمستقبله. من الأحوال
الواقعة وكم عسى، وما عسى، استفهام تحقير لما يرحى من البقاء في الدنيا. وكفى بالطالب:
الحديث عن الموت، واستعمار وصف الحد ولما يتوهم من سوق اسباب الموت اليه. وما
في قوله: ما يمضي: مصدرية. وكفى بها دم الذنات: عن الموت. والمساورة: الموائمة.
وإنما أتى بوزن المفاعلة باعتبار أن المعنى للمصح، لا بد فيه من ممانع كواضع الشرع
والعرف فيتوهم فيه معنى الموائمة وباقي فصل ظاهر.

٩٧ - وَمِنْ حُظَيْتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ انْشَارِي فِي الْحَقِّ قِصَّةَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمُ دَلْجُودَ يَدِهِ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ
أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِغَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ:
أَرْسَنَهُ بِأَمْرِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَذَى أَمِيًّا، وَمَقْصَى رَشِيدًا. وَخَلَقَ فِي تَارِيَةِ الْحَقِّ:
مَنْ تَقَدَّمَ مَرْقًا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقًا، وَمَنْ لَرَيْتَهَا لِحَقٍّ، ذَلِيلُهَا مَكِيدُ الْكَلَامِ، بَطَلُ
الْقِيَامِ، سَرِيعُ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابُكُمْ، وَأَسْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ لَمُوتُ
قَدْ هَبَ بِهِ، فَلَيْسَتْ بَعْدَهُ مَشَاءُ اللَّهِ، حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَصْمُ تَشْرِكُمْ
فَلَا تَظَنُّوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَ
تَبُتَ الْأُخْرَى، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَنْبُتَا جَمِيعًا.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَحْمُ طَلَعَ

نَحْبُ، فَكَتَبْتُكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُ مِنْ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَأَرَأَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ.

اقول: لفظ اسد محار في النعمة طلاقاً لاسم السب على المستب. واقتصر في الفصل ما يكون بعده من امر الائمة، ولصنع: النش، وذلك انه صلى الله عليه وآله صعد بأمر الله، ببصية اشرك وشق عصا المشركين، وقطع ما اتصل من كفرهم ودام من غفرتهم الباطنة. وروى بذكره باصفاً، واستعار لفظ اريية: لكتاب الله وسنة رسوله. و اشار بتقدمها: الى طرف الامراط من فضيلة الاستقامة عليها وبالحنف عنها الى طرف لتفريط منها، ولتقصير وكتي بدليها: عن نفسه اذ كان هولهاى باكتاب والسنة الى سبيل الله، كما يهدى حامل الرية بها. وكثي يكونه مكبث الكلام اى: بغيته عن تأنيه في حركته في لامور الى حين تبين ارأى الأصلح، وسرعة قيامه عن: مبادرته الى الامر حين ظهور وجه المصححة فيه واشتاره الفرصة. وبلائة رفاقكم^١ له عن: خضوعهم لطاعته. وبأشارتهم اليه بالأصابع عن: اشتهاره بهمة ونعته، وتعظيمهم له. وثبه بقوله: فبئس ثم بعده ما شاء الله: على أنهم يحولون عن امر محسبهم مُلدة، و راد مدة دولة نبي امية. وبقوله: حتى يصنع الله، الى قوله: شركم: على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم وطلوعه: صهوره، وتعيته للرياسة بعد احتفاء، فقل: هو الامام المستطر. وقيل: هو قيام نبي العباس بعد نبي امية. وقوله: فلا تطمعوا في غير مقس، اى: من يقل على طلب هذا لامر ممن هول، و اثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فآلله به شعلا. وقيل: اراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكروته لاجوز الطمع في ان يكون امراً لكم. و روى: فلا تطمعوا في عين مقس ي: من اقل عديكم من اهل البيت طامباً لهذا الامر وهو من اهله فكونوا معه.

و كتي باطن في عيه: عن دفعه عما يريد. وقوله: ولا تياسوا من مدبري الى قوله: تنبأ جميعاً: اى من ادبر عن طلب الخلافة من اهله فلا تياسوا من عوده الى الطلب، فمساء انما ادبر لاحتلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها القيام. و اشار بزوال احدى قائمته الى فقدته لبعض اشرائد كعدم الناصر ونحوه. وبثبات الاخرى الى وجدانه لبعضها. و

١ - في شرحه: ربهوم.

بقوله، فبرحماحتى تنبأ الى بكامل شرائط قيامه.

و اراد بأل محمد: الانمة منهم، قالت الامامية: هم الاثنا عشر من اهل البيت عليهم السلام. و اشار الى وجه شبههم بالنعوم، بقوله: كلما خوى نحيم اى: سقط للمغيب، اى: كلما حلاستهم قام بالأمر بعده سيد. و لامامية يستدلون بذلك بعد بيان عصمته عليه لسلام، انه لا يحلور من من ازمنة التكليف عن وجود قائم من اهل البيت عليهم لسلام يهذى الى الحق، و الى طريق مستقيم. و قوله: فكأنكم الى آخرة: تنبيه على ممة الله عليهم بامام متصرف يظهر ويصلح بوحوده احوالهم، ويتكامل به نعم الله لديهم.

٩٨ - وَمِنْ حُظَيَّة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(يشتمل على ذكر الملاحم ...)

الْأَوَّلُ قَبْلُ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرُ سَعْدُ كُلِّ حَرْبٍ، بِأَوْلِيَّيْتِهِ وَحَبَّ أَنْ لَا أَوْتَ لَهُ وَبَحْرِيَّيِهِ وَحَبَّ أَنْ لَا حِرْلَةَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهِدَةً يُؤَاقِفُ فِيهَا السَّرَّاءُ الْإِعْلَانُ، وَأَقْلَبُ اللَّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَخِرُّ مَنَّا شِقَاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَتُكُمْ عِصْيَايَ، وَلَا تَمْرَأُوا بِالْأَبْصَرِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، فَوَلَدِي فَقَّ الْحَقُّ، وَتَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنْ أَلَدَى أَسْأَلُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبْتُ الْمُبْلَغُ، وَلَا خَجَلُ السَّامِعُ. وَلَكِنِّي أَنْظِرُ إِلَى ضَلِيلٍ، قَدْ نَعَقَ بِأَسْأَمٍ، وَفَحَصَ بِرَبَائِيهِ، فِي ضَوَاحِي كُوفَةٍ. فَرَدَا فَعَزَّتْ فَأَغْرَبَتْهُ، وَأَشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَتَهَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَانُهُ عَصَبٌ أَثْبَتَهُ أَبْنَاءُهَا بِأَبْنَائِهِ، وَمَا حَبَّ الْحَرْثُ بِأَمْوَاحِهَا وَتَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا، وَمِنْ اللَّيَالِي كُدُوْحُهَا، فَرَدَا أَبْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَنَى يَشْعَرُهُ، وَهَدَّرَتْ شَفَا شِفَعُهُ، وَتَرَفَّتْ بِوَارِقَتِهِ، عَصِدَتْ رَايَاتُ الْيَمِينِ الْمُفَصِّلَةِ وَأَقْبَلَتْ كَالْجَلْبِ الْمُنْطَبِمِ، وَتَبَخَّرَ الْمُنْطَبِمُ، هَذَا، وَكَمْ يَخْرُقُ الْخَوْفَةُ مِنْ قَصِيصٍ، وَيَلْمُرُ غَلَّتْ مِنْ غَاصِيصٍ، وَعَنْ قَبْلِ ثَلَاثِ الْقُرُونِ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْعَالَمُ، وَيُحْطَمُ الْمُخْصُودُ.

اقول : لما كان معنى اوليته كونه مبدءا لكل موجود، ومعنى آخريته كونه عاية ينتهى

اسيها كل شئ في جميع احواله، عدم من ذلك ان لا اول له ولا آخر والا لم يكن اولاً
 وآخر بالمعنيين المذكورين. ولا يجزمكم اي: لا يحق عيكم، وسهواه: اشتماله،
 والفضيل: كثير الضلال، قل: هو اشارة الى السمياني، والنجاش: وقيل: راد معاوية،
 فان مبدء دولته بالشام، ودعوته بها، وانهت عراته لى يواحي كوف، والانصار
 وكوفان: سم لكوفة، وانصواحي: الواحي الباردة، وحصى الطائر برجله الارض:
 بحثها، فعرهوه: انفتح، هو كناية عن قدامه وقوة طمعه في امر الناس. واشتداد شكيبته:
 قوة بأسه وشدة. وقل: اراد عبدالملك بن مروان. واستعار وصف اعص: لفتنة باعتبار
 شدتها ولرومها الناس. وشرح بذكر الانياب ولكسوح: تكثر في لموس وهو مجاز
 في الشدة. والكسح: فوق اخدش وكنى به: عن اذى الفتنة، وايح الزرع: ادرك واستعار
 وصفه لتمام فعه، ولفظ الشفائق ولروق: بحركاته الهائلة واحواله المحوكة، و اراد ان
 هذا الحارح اذا تمت فنته ثارت فتب كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج. وشه تبت
 الفتى في اقبالها: بالليل اسطلم، باعتبار انه لا يهتدى فيها بحق كما لا يهتدى في مظلمة.
 والبحر الملتطم: باعتبار عظمها. و اشار الى: لما يحق لكوفة بسبب تلك الفتنة من اوقوع
 والفتن. واستعار وصفى القاصص والعاصف: لما يمر بها من الشدائد كالريح، وقد وقع
 فيها وفق احباره من كثيرة وقائع حمة كفتنة الحجاج والمختار. و اشار بالتماف بعض
 القرون ببعض: الى اجتماعهم في بطن الارض. واستعار لهم وصف الحصد والحطم:
 ملاحظة لشبههم بما يحصد من ازرع ويداس، وبالله التوفيق.

٩٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تحري هذا المجرى ...

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيُقَاسَ الْحِسَابَ، وَخَزَاءُ الْأَعْمَالِ،
 خُضُوعٌ، قِيَامًا، قَدْ أَلْحَمَهُمُ الْعَرْقُ، وَرَجَعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَحْسَنَهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ
 مَوْصِعًا، وَلِنَفْسِهِ مَسْعَةً.

أقول: الفصل اقتصاص لبعض أهوال يوم القيامة، ونقاش احساب: الاستقصاء فيه. والحمهم العرق: بلغ منهم الأفواه، وهو كناية: عن غاية الشدة.

مها:

فَتَنْ كَتِّعَ لَلَّيْسِ الْمُطْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَرْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَدْلَةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، قَوْلُكَ لَكَ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، مِنْ حَيْثُ مِنْ يَقُمُ اللَّهُ لَا رَهْجَ لَهُ، وَلَا حَسَّ، وَسَيُتَلَّى أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَخْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

أقول: نذر في هذا الفصل بما سيقع بعده من الفتن وخص فتنة صاحب الزنج بالبصرة. وشبهها بقطع النيل المظلم في كونه لا يهتدى فيها لوجه الخلاص منها. وكنى: بكونها لا يقوم لها قائمة الى قوله: راية عن شدتها. و اراد بقائتها: مشيها، وراكبها: اعوانه فيها استعارة. وكذلك جسرهما وهو سوقها، وجهدها سرعتهم فيها: استعارة اوصاف الناقة المركوبة لغاية اشتد طلبها في الفتن، واهلها: الزنج و كلبهم: شرهم. وقيل سلبهم: اذ لم يكونوا اهل حرب و عتة و خيل. و وصف مقاتليهم بأوصاف المتقين و يحتمل ان يريد بمجاهدتهم في الله اخلاص همتهم في دفعهم و هلاكهم، و ظاهر انه لم يكن للريح رهج و هو: الغبار و لاحس اذ لم يكن له خيل و لا قعقة لجم، و ظاهره انه من نعم الله للعصاة و ان عمت الفتنة اذ قلما يخص الفتنة بقوم كما قال تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) ١ و الموت الأحمر كناية: عن القتل بالسيف، و قيل: ذلك اشارة الى الطاعون. و وصف الجوع بالأغبر: لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه و غير السحنة و قيل: لانه يلصق صاحبة الغبراء و واقعة الزنج مشهورة.

اَنْظُرُوا إِلَى اَنْتَبَا نَظَرَ اَرَاهِدِيْنَ فِيْهَا، الصَّادِيْنَ عَنْهَا، فَاَنْتَبَاهَا وَنَهَى عَنْهُ قَلِيْلٌ تُرِيْلُ
النَّائِيْنَ السَّائِيْنَ، وَ تَفْتَحُ الْمُتَرَفَّ، لَا مِيْنَ، لَا يَرْجِعُ مَا نَوَلَى مِنْهَا فَاَذْنَبَ، وَلَا يَذَرِيْ مَا هُوَ آتٍ
مِنْهَا فَيَسْتَنْظِرُ، شُرُوْهَا مَسُوْبٌ بِالْحَرْبِ، وَجَلَدَ الرَّجَابِ فِيْهَا إِلَى الصَّغْفِ وَالْوَهِيْ، فَلَا يَعْرِتُكُمْ
كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيْهَا، لِيَمِيْنَهُ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ مُرّاً تَفَكَّرَ فَاَعْتَشَرَ، وَاعْتَشَرَ فَاَنْصَرَ، مَكَانَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الثُّبَا عَنْ قَبِيْلٍ لَمْ
تَكُنْ، وَكَانَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآجِرَةِ عَمَّا قَلِيْلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مُعْلُوْدٍ مُنْقَصٍ، وَكُلُّ مُوَقَّعٍ
آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ ذَاكَ.

اقول : نظر الراهبين فيها الصّرفين نظر الاحتفار لها و الاعراض عنها. و النّايي:
المقيم بها. و ااحل: القوة. و اللام في قوله: نقلة ما يصحبكم للتعليل، اي: لا يفرونكم
كثيرها لانّ الذي يصحبكم من ذلك فلس ككف و نحوه، و لا اعتبار ما يهينه الفكر الى
ما هو الحق من و حوب ترك الاله، و العمل للآخرة. و لا بصر: ما يلزم ذلك الانسفال من
دراك الحق و مشاهدته بصر البصيرة. ثم اورد بالتشبيه الاول تقريب حال وجود
متاع الدنيا من عدمه، و بالتشبيه الثاني تقريب حال عدم الاحوال لآخروية من وجودها، و
نبه على ذلك بقياس كامل من الشكل الاقرب، و هو قوله: كل متوقع. اي آخره.

مها:

اَعْدِلُمْ عَنْ عَرَفٍ قَدْرُهُ، وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا اَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَاَنْ مِنْ اَنْعَصِ
الرَّجُلِ لَعَبْدًا وَ كَفَى اللهُ إِلَى تَقْبِيهِ! جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا بِغَيْرِ ذَلِيلٍ، اِنْ دُعِيَ إِلَى
حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَاِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ،
وَكَأَنَّ مَا وَتَى فِيْهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

اقول. حصر العالم فيمن عرف قدره لانّ ذلك يستلزم معرفته لنفسه، و نستنها الى

العالم ومقدار مرتبته من خلق الله، وفي ذلك تمام اعلم، ويلزم من ذلك ان لا يعرف قدره لا يكون عالماً لان سلب اللازم يستلزم سلب المعلوم فيكون اذن جاهلاً. و اشار الى قوله: ذلك الجهل، بقوله: وكفى، الى قوله: قدره: واراد بالليل ما هدى الى الحق من امام او كتاب وسنة وما عمل له هو الدني، وما ونى فيه: حرث الآخرة. ونقص واضح.

مها:

وَذَلِكَ زَمَنٌ لَا تَجُودُ فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ: إِنَّ شَهِدَ لَمْ يَعْرِفْ. وَنَ غَاتَ لَمْ يُفْتَقِدْ، أُولَئِكَ مَضَابِغُ أَهْلَدَى، وَأَعْلَامُ اسْرَى لِيُشَوَّ بِأَلْمَسَايِجِ، وَلَا أَلْمَدَايِجِ الْبُذْرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمُ ابْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ يَفْتَنِيهِ.
أَنَّهَا النَّاسُ، سَبَاتِي غَيْبِكُمْ زَمَنٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ سَمَاءً بِهِ! أَنَّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَادَكُمْ مِنْ أَنْ يَنْجُوزَ غَيْبُكُمْ، وَلَمْ يُعِدْكُمْ مِنْ أَنْ يَسْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَاتَ جَلٌّ مِنْ قَائِلٍ: (رَبِّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنْتُمْ مُشْتَبِلِينَ).

اقول : ذلك اشارة الى زمان بسي امة وما بعدها. واولئت اشارة: الى كل مؤمن. وروى نومة بسكون الواو وهو: الضعف، واستعار لهم لفظ المسايح والاعلام: لهدى الخلق بهم في سبيل الله. وكفأت الاناء: كبته لوحده، واستعار وصف الكفاءة للاسلام باعتبار خروجه عن الانتفاع به، كما يقلب ما في الاناء من ماء وغره، وذلك وجه الشبه وعاده الله تعالى عباده من الظنم في قوله: (وما رنك بظلام للعبيد)¹.

١٠١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا تَعْلُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَفْقَهُ الْكِتَابَ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بَيْنَ أَطْعَمَ مَنْ غَصَاهُ، يُسَوِّفُهُمْ إِلَى مُتَجَانِهِمْ، وَ

يُنَادِرُهُمُ السَّاعَةُ أَنْ تُنْزِلَ بِهِمْ يَغْسِرُ الْخَبِيرُ وَيَقِفُ الْكَبِيرُ، فَيَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْجِمَهُ غَايَةً،
إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرْهَمَ مَنَحَاتَهُمْ، وَوَأْهَمَ مَحَبَّتَهُمْ، فَأَسْتَدْرَكَ رَحْمَهُمْ،
وَسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَافَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَدَائِيرِهَا، وَأَسْتَوَيْتُ
قِيَادَهَا: مَا صَعُفْتُ وَلَا جَبَيْتُ، وَلَا حُنْتُ، وَلَا وَهَيْتُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا يُفَرِّقُ الْبَاطِلُ، حَتَّى
أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

وقد تقدّم مختارها

قال لسيد: قد تقدّم مختار هذه الخطبة ألا أنسى وحدثها في هذه الرواية على
خلاف ما سبق من زيادة وبعضان فأوجبت الحدّ إثباتها.

قول: الحسبر الذي اعيا في طريقه. وقوله: يحسر، الى قوله: لا خير فيه: بعض
مكارم اخلاق الرسول عليه السلام من الشفقة على الخلق، ومحبتهم: هداهم بالاسلام
الذي هو محلّ نجاتهم من عذاب الله. ومحنتهم: مقامهم من الدين والموت. ووأهم:
اقامهم ذلك المقام. وأوصهم: بأه. والرحا: القطعة من الارض تستدير وترتفع على ما
حولها، واستعار لفظها لحلهم عنار اجتماعهم وارتدعهم عن غيرهم. واصمير في
سافتها: للعرب. وحدائيرها: جميعها. واستوييت: انتظمت في دخول الاسلام. واستعار
لفظ السفر: لتفريق الباطل عن الحق، وتميزه منه، ولعلّ لخاصرة: ترشيحاً للاستعارة،
وباقى المصل ظاهر ممامرة.

١٠٢- وَمِنْ حُطَّتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَهِيدًا، وَنَبِيًّا، وَنَذِيرًا، خَيْرَ النَّبِيِّينَ
طِفْلًا، وَبَجْنًا كَهْلًا، أَظْهَرَ الْمُطْهِّرِينَ شَيْئَةً، وَأَمْظَرَ الْمُسْتَمْطِرِينَ دِيَمَةً، فَمَا أَخْلَوْتُ لَكُمْ
الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِصَاعِ أَحْلَافِهَا إِلَّا مِنْ تَعْدِي مَا صَادَفْتُمُوهَا حَدِيْلًا حِطُّهَا،
فَيَفٍّ وَبُيُوتُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَحْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعْدَ عَيْتِ مَوْخُودٍ،
وَصَدَفْتُمُوهَا، وَأَسْوَى، طَلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَلَا رِضَ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَبَيْنَكُمْ فِيهَا

مِنْهُوَ. وَابْدِ الْقَادَةَ عَنْكُمْ مَكْمُوفَةً، وَسُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسْطَّةٌ وَسُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْصُوفَةٌ،
 أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ذَبْرًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ طَلِيئًا، وَإِنَّ الْبَارِئَ لِحَكِيمٍ فِي حَقِّ تَقْيِهِ، وَ
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَعْجِرُهُ مَنْ صَلَبَ وَلَا يَغُوبُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي آدَمَ عَمَّا قِيلَ
 لَتُفْرِقَ بَيْنَ أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي ذَارِعِدْكُمْ. أَلَا وَإِنْ أَبْصَرَ الْأَبْصَارُ مَا نَفَذَ فِي الْحَيْرِ طَرَفُهُ،
 أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَغَى التَّنْكِيرَ وَقِيئَهُ.

أَلَيْهَا النَّاسُ، اسْتَظْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاجٍ وَأَعِطِ مُنْبِطِطًا، وَانْمَاحُوا مِنْ صَفْوَعَيْنِ قَدْ
 رُوِّفَتْ مِنْ الْكَدَرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَبُوا إِلَى جَهَنَّمَ، وَلَا تَقْدُوا إِلَى آهْوَانِكُمْ؛ فَإِنَّ الْبَارِئَ هَذَا الْفَنَائِلِ،
 نَارُكَ بِسَمَاءٍ جُرُفٍ هَدَى، يَنْقُلُ الرَّذَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيِ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ،
 يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَتَصَقَّقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ، فَدَلَّ اللَّهُ، أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي
 شَجْوَكُمْ وَلَا يَنْقُصُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِنَّمَاءِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَفْرِزِيَّةٍ،
 إِلَّا الْبَلَاغُ فِي التَّوَعُّطِ، وَالْأَجْنِيَّةُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُّمَةِ، وَاقْصِدْ الْخُدُودَ عَلَى
 مُسْتَحْشِفِيهَا، وَاصْدَأِرِ السُّهُمَاتِ عَلَى أَهْلِهَا: فَدِرُوا أَلْعَمَ مِنْ قَتْلِ تَضْوِيجِ نَسَبِهِ، وَمِنْ قَتْلِ
 أَنْ تُشْعَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعَمَى مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَآهْوَاءِ عَنِ التَّنْكِيرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا
 أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّهْنِئَةِ.

اقول : الفصل غاية لكلام سبق فيه ذكر العرب وما كنت عليه من سوء الحال.
 والمحابة: الكرم. والشيمة: لخلق، واستعار لفظ الديمة وهي المطر الذي لا رعد له
 ولا برق: باعتبار غاية حوده صلى الله عليه وآله، وكان إذا امسى آوى الى البيت فلا يجد
 فيه شيئاً من ذهب او فضة الا تصدق به ولم يست بيته شئ منه، وشيمة وديمة: تمييز
 واحلولي: حلال، والمحطاب للعرب. واستعار لفظ الاحلاف جمع خلف وهو: حلقة ضرع
 لباقة لوجوه المطالب والمكاسب من الدنيا. ووصف المارقة: من جولان الخطم، وقلق
 الوضين وهو: حزام القرب باعتبار عدم صلاح الدنيا لعدم الرسول صلى الله عليه وآله ومن
 يحرى الامور على منن الحق. ووجه: شبه بالسدر المخضود: استحلال الحرام. واستعار
 لها لفظ اطل: باعتبار كون ما ينتفع به فيها في معرض الزوال. ولفظ السقرة: باعتبار

حدوها عن مدبر، يقال: سقطت البلاد شدة عرة برجلها إذا حلت عن مدتها. وقوله: و
 أن الثائر إلى قوله: وهو لله يريد أن دماهم عليهم السلام ودعاء غيرهم ممن عصم دمه
 يحرق مجرى الحق لله في أنه لا بد من طلبه، وهو الحاكم المظنق فهو الثائر بها لنفسه
 كالحاكم بحق نفسه لها، وذلك في معرض الوعيد. والصمري في قول لتعرفتها: للديا و
 للامرة. واستعار لفظ المصاح: لنفسه، ورشح بذكر الشمة ووصف المتبحر: لاستعادة
 العلوم منه. والماتح: جاذب الدلو من الشر ولفظ العين له. ووصف ترويضها عن الكبر:
 براءة نفسه القدسية عن شوائب سوء الباطل، وأشر بهذا المنزل إلى مقام الركون إلى الجهل
 والانقياد للهوى.

و اصل هار، ه نرائ: مههم وأراد أن الباني لأمره على جهلته في معرض أن لا يتم
 عمله لكونه على غير اصل. والزدي: الهلاك، وأرد بعله: من موضع إلى آخر أن المشير
 بالرأي عن جهل منه يشر على واحد بما يستلزم إذا وهلاكه، ثم يتمثل ذلك الرأي
 المهلك إلى غيره، فيكون كقول الهلاك من واحد إلى آخر لرأي يحدثه بعد رأي. وقوله:
 يريد، إلى قوله: يتقارب، أي: يريد مثلا الصبح بين الناس كما كان يشير به بعض
 أصحابه ممن لا يرى الحرب بينه وبين معاوية مع مخالفة ذلك الصلح للحق، وكون الرأي
 به يستلزم تفرق الكلمة فلا يلتصق بالحق ولا يبقى به، ويقرب بذلك الرأي ما لا يتقارب
 من القلوب والطباع، ومن لا يشكي شحهم أي: حريهم كالمفقيين فلا يشير بما يسعى.
 واستعار لفظ تصويح النسب وهو: نسبته لموته عليه لسلام. ونه على أنهم سيحعلون
 عن العسم، وما يستمد منه أي: بالحوادث وأسفن بعده. وأكثر اسفصل طهر، والله
 التوفيق.

١٠٣ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ عَاقَبَهُ
 فَجَعَلَهُ أَمْسًا لِمَنْ عَقِبَهُ، وَسَمًّا لِمَنْ ذَلَّهَ، وَرُحْمًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ حَصَمَ بِهِ،
 وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَذَبَّرَ، وَأَبَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَتَنْصِيرَةً لِمَنْ

عَرَمَ، وَغَرَّةٌ يَمَسُّ أَتْعَطُ، وَنَحَاةٌ يَمَسُّ صَدَقَ، وَنَعَةُ لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةُ لِمَنْ قَوَّضَ، وَجَنَّةٌ لِمَنْ
 حَسَنَ، فَهُوَ أَبْنَحُ لِمَسَاهِجٍ، وَأَوْصَحُ الْوَلَائِحِ، مُشْرِفُ الْحَتَارِ مُسْرِقُ الْحَوْدِ، مُصِىءُ
 الْمُصْبَحِ، كَرِيمُ لِمُضْمَارٍ رَفِيعُ لَعَايَةِ، جَامِعُ الْحَلِيَةِ، مُتَنَاقِسُ السُّبُقِ، شَرِيفُ الْقُرْمَدِ،
 الصَّدِيقُ مَثَاهُ، وَالْمَلَّةُ لِحَاثٍ مَنَارَةٍ، وَلَمَوْتُ غَايَةِ، وَالنَّبِيُّ مِضْمَارُهُ وَلَقِيَمَةُ حَلِيَّتُهُ، وَ
 الْبَهْنَةُ مُبَهْنَةٌ.

قوله: تسهيله لشرائع الاسلام جعلها واضحة للذكرى والعسى، وعزار اركانها: حمايتها
 فمن قصد هدمها، واستعار لفظ الأمن له: باعتبار رسالته داخله من عذب الله. وخط
 المعلم: باعتبار عدم اذاه. لمن دخله فهو كالمسالمة له. ولفظ الورد: باعتبار هدايته. وفهما
 اى: مفهومهما واطبق عليه لفظ الفهم محازا اطلاق لاسم المسبب على السبب، اذ هو
 مسبب فهم من فهم عنه وعقل مقصده وكذلك لفظ النبى وهو: العقل، اذ كان تدبره
 مسببا لمراتب العقل. والآية: العلامة. وتوسم: يتفرس اى: من تفرس الخير في الاسلام
 كان علامة له عليه، ومن عزم على امرك في لاسلام تبصرة وهداية الى كيفية فعله، و
 عزة لمن اتعظ اى: فيه معر لذهن حائث من الله اله، وفيه الثقة بالله للمحتوكن عليه
 لقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) واقترن اصل الدين والاسلام، وفيه الدب
 اى: تفويض الامور الى الله، وعلم ما لم يعلم منها، وترك التكليف بذلك وهوارحة و
 حمة لمن صبر اى: على العمل الصالح. ومناهج الاسلام: طرقه من الكتاب والسنة.
 والأبلح: الواضح المشرق. والولائح: لبواطن. والاسرار وهى واصحة لمن تدبرها، و
 جواده: طريقه. واستعار لفظ المنار وهى لاعلام والمصامح: لأئمة المديس. وكنى
 باشرافها: عن عموق درهم. واستعار لفظ المصمار للدين باعتبار ان النفوس تصمر فيه
 للسياق الى حضرة الله وطاهره كرم ذلك المصمار وشرقه، وغايته الوصول الى حضرة
 الربوبية. و ارفع منها: مرتبة. واستعار لفظ الحلة لقيامه. والسبة للجنة ومتنافس السبة
 اى سبقت مما تنفس فيها وفرسانه المؤمنون والصديقون. وقوله: لتصديق مساهجه، الى
 آخره: تفسير للامور السابقة واراد التصديق بالله وبما جاءه الاسلام واشتمل عليه. وبالله، لتوفيق.

مها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

حَتَّى أَوْزَى قَبْسًا لِقَابِيسَ، وَأَتَرَ عَنَّا لِحَابِيسَ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ
الدينِ، وَتَبِيئُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَكَ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، وَأَخْرَجِ
مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ قَضَاكَ. اللَّهُمَّ أَغْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِيَنِ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمِ لَدَيْكَ نُزُلَهُ،
وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَثَرَتَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَخْشُرْ فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَائِنَا،
وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِسِينَ، وَلَا نَاكِسِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مُفْتُونِينَ.

قول: الفصل عاية من كلام مدح فيه ارسول صلى الله عليه وآله بحهاده، واجتهاده
في اقامة الدين. واورى: اشعل، واستعار لفظ القبس وهو المشعة: لأنور الدين التي
تقتبسها قلوب المؤمنين. والحابيس: الوقف بالمكان. واستعار لفظ العمم: لدليل الهدى.
وانارته له ايضاحه ادلة الهدى للموقنين في حيرة اضلال والجهل. ويحتمل ان يريد
بالعمم: ائمة الدين، وانارته: تنوير قلوبهم بالشرق نفسه القدسية بالعلوم، والكمالات على
مرايا نفوسهم. والمقسم: النصيب ومقتضى عدله تعالى ان يقسم لاشراف النفوس اشرف
الكمالات واعلى المراتب من حصرت. وبانه ما شئده من فواعد الاسلام، واركاه و
هودعاء بظهوره على سائر الاديان. والوسيلة: الاستعداد التام لکمان اعنى المراتب و
قيل: هي درجة عالية من درجات الجنة والسناء: الرفعة. وناكب: المنحرف عن الطريق.
وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا اننا كررناه هاها لما في روايتين من الاختلاف.

ومها في خطب أصحابه:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَثَرَةً تُكْرَمُ بِهَا إِسْوَاكُمْ، وَيُوصَلُ بِهَا حَيْرَانُكُمْ
وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَذْكُوكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا
لَكُمْ عَنَيْهِ إِمْرَةٌ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُھُودَ اللَّهِ مَقْضُوزَةً فَلَا تَعْصُونَ وَأَنْتُمْ لِيَتَقَضَّرَ دِمَ آبَائِكُمْ تَأْتِفُونَ،
وَكُنْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ، وَعَنْكُمْ تَضُدُّ، وَبَيْنَكُمْ تَرْجِعُ، فَكُنْتُمْ الظُّلْمَةَ مِنْ مَلِكِيَّتِكُمْ.

وَأَقْبَبْتُمْ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ وَأَسْتَنْصِمُ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَغْمَلُونَ فِي الشُّهُاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشُّهُوتِ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ قَرَعْتُكُمْ نَخْتٌ كُلُّ كَوَكِبٍ لَحَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّتِهِمْ لَهُمْ.

اقول : كرامة الله لهم بالاسلام. وقوله: وكانت امور الله، الى قوله نرحع، اى: انكم كنتم اهل الاسلام والحل ولعمد فيه لانهم المهاجرون والانصار، والطلعة والبعاء، و مورد الله التى اسلمت فى ايديهم احوال العباد والبلاد وتسليمهم ذلك بترك جهدهم. وقوله: وايم الله، الى آخره: وعبد لهم بدولة بنى امية، ويحتمل ان يكون وعد البقية اصحابه، و ذريتهم بل ظهور على بنى امية عند انتهاء دولتهم. والله التوفيق.

١٠٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى بعض ايام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَاسْتَجْيَارَكُمْ عَنْ ضُفُوفِكُمْ؛ تَحُورُكُمْ الْخُفَاءُ الطَّعَامُ وَأَغْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مَيْمُ الْقَرَبِ، وَبَافِيحُ لَشَرَفٍ، وَأَتَفُ الْمُضْمِمْ وَالسَّتَمُ الْأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَمَى، وَحَاوَحَ صَدْرِي، أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَحْرَةٍ تَحُورُوهُمْ كَمَا حَارُوكُمْ، وَتُرِيْلُوهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَرَأَلُوكُمْ؛ حَسًّا بِالنُّصَالِ وَشَجَرًا بِالرَّمَاكِ، تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ الْخُرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِمِ الْمَطْرُودَةِ، تُزْمَى عَنْ حَيَاضِهَا، وَتَدُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

اقول : الطعام: ارادل الناس. والهاميس جمع لهموم وهو: الحواد من الناس، و استعار لهم لفظ الياقوخ، والياقوخ على الدماغ: اذ كانوا سادات العرب. ولفظ الأنف والسنام، والوحاوح. جمع وحوحة وهي: صوت فيه بحج، يصدر عن المتألم كنى بها: عما كان يجده من التأم بسبب تعاخر اصحابه عن عدوهم. والحس: القطع. والاستئصال و نصال: السيوف. والشجر: الطعن. والهم: لابل العطشى. وتذاذ: تساق، وتطرده.

١٠٥ - وَمِنْ حُظَيْهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وهي من حطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَالَى لِحَقِّهِ بِحُفْنِهِ، وَالطَّاهِرِ لِمُؤَيِّهِمْ بِحُجَّتِهِ، حَقِّ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتْ لِرَوِيَّاتٍ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الصَّمَانِ. وَلَيْسَ بِذِي صَمِيرٍ فِي تَقْيِهِ حَرَقَ عِلْمُهُ بِأَيِّ غَيْبٍ لَسْتُ بِ، وَأَحَاطَ بِمُؤَيِّ غَفَائِدِ اسْتِرِيَتْ.

اقول : تجليه لحقه بخفه يعود الى ظهوره في بدائع مصوعاته لقلوب عده. و
حجته: آثار قدرته. وغيب لست ب: ما غاب من لامور المحجوبة عن عوم الحق.

مها في ذكر السى صلى الله عليه وآله وسلم:
حُجْرَةٌ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَشْكَاةٌ لَصَّيَاءِ، وَذُوْبَةٌ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةٌ لِنُظْحَاءِ، وَ
مَصْبِيحٌ لِعُظْمَاءِ، وَيَتَابِيعُ الْحِكْمَةِ.

اقول: استعمار لفظ الشجرة لصف الانبياء اولآك ابراهيم عليه السلام، باعتبار
مروءها وهي الانبياء، وثمرها وهي العلوم ومكارم الاخلاق. ولفظ المشكاة: باعتبار
سطوع صباء النور عنهم. ولفظ الذوبة وهي ما تدلى من الشعر ونحوه: باعتبار هبوط هذا
الصف وتدليهم من مقام العز والشرف وهي حصائر القدس. ولفظ مكة بسط
وايدها. وسرة: الوادي اشرف موضع فيه. و ستعمار لفظ لمصباح: لانساء لهداية الحق
بهم. ولفظ اليتابيع: لتعجر العلوم والحكمة عنهم.

ومها:

عَلَيْتُ دَوَارَ طَيْفَةٍ: قَدْ أَحْكَمْتُ مَرَاهِمَهُ، وَأَخَمْتُ مَوَاسِمَهُ بَصْعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ
لَيْدٍ: مِنْ قُلُوبِ غَمِي، وَأَدَانِ صَمِّ، وَلَيْسَ لَكُمْ مُتَبِعٌ يَدْوَاهُ مَوَاصِعَ الْعَفْهِ، وَمَوَاطِنَ الْحَزَنِ،
لَمْ يَسْتَصْبِحُوا بِأَصْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَفْعَلُوا بِرِيَادِ الْعُلُومِ التَّقِيَّةَ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَ لَا نَعَامِ

السَّيِّئَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ، قَدْ اتَّخَذَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ النَّصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَبَّةَ الْحَقِّ لِحَاطِبِهَا، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْقَلَامَةُ لِمُنَوِّسِيهَا. مَدَى أَرَاكُمُ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحَ؟ وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحَ، وَنَسَاكِي بِلَا ضَلَاحَ، وَتَعْدَرًا بِلَا أَرْبَاحَ، وَيَقْطَا نَوْمًا، وَشُهُودًا غَيْبًا، وَنَاطِرَةً غَمِيًّا، وَسَامِعَةً صَمًّا، وَنَاجِيَةً نَكَمَاءَ؟ رَأَيْتُ ضَلَالَةً، قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ شُعْبُهَا، تَكَلِّمُكُمْ بِصَوْبِهَا وَتَحْطِطُكُمْ بِبَاطِلِهَا، قَانِدًا حَارِجًا عَنِ الْمَلَةِ، قَائِمٌ عَلَى الْفُضْلَةِ، فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَانَةُ كُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ مَوَاضِيَةُ كُفْضَةِ الْعِزِّ، تَعْرِكُكُمْ، غَرْكَ الْأَدِيمِ، وَتَدْلُسُكُمْ دَوَسَ الْحَصِيدِ، وَتَشْخِصُ لُمُومِينَ مِنْ بَيْتِكُمْ أَشْخِلَاصَ الطَّيْرَانَةِ النَّطِيبَةِ، مِنْ تَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، أَيْنَ نَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ وَتَبِيهُ بِكُمْ الْعِيَاهِبُ، وَتَعْدُكُمْ الْكَوَائِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَأَيُّ تَوْفُكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَحَدٍ كِتَابًا، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَجِيعُوا مِنْ رِثَائِكُمْ وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَبْطِئُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْذُقْ رَايِدُ أَهْلِهِ، وَلْيَجْمَعْ شَمْعُهُ، وَلْيَحْضِرْ دِهْنُهُ، فَمَدَّ قَبْلَ لَكُمْ الْأُمُورَ فَنَقِ الْحَرَرِ، وَفَرَقَ قُرْفَ الصَّمْعَةِ، فَبَعْدَ ذَلِكَ أَحَدُ النَّبَاطِ مَاجِدُهُ، وَرَكِبَ الْخَهْرَ مَرَاكِبُهُ، وَغَطَّمَتِ الطَّائِفَةُ، وَقَبَّتِ ابْدِ عَيْتُهُ، وَصَالَ ابْدَهُرُ صِيَانِ السَّجْعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ قَبْلُ لَسَطِي نَعْدَ كُطُومِ، وَتَوَاضَى اسَاسُ عَلَى الصُّخُورِ وَنَهَاحُوا عَنِ الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَنَاضَوْا بِهَيِّ الصَّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْطًا وَالْمَنْظَرُ قُطْعًا، وَنَيْصُ لِلَّامِ قَيْصًا، وَتَغِيصُ الْكِرَامُ قَيْصًا، وَتَمَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الرُّومِ نِيَابًا، وَسَلَاطِنُهُ مِسَاغًا، وَمُتَاطِلُهُ أَكْلا، وَفُقَرَاؤُهُ أُمُوتَا، وَعَارَ الصَّدْقِ، وَقَاصِرَ الْكَذِبِ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللَّسَانِ، وَتَنَاجَرَتِ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْقَدَفُ عَجَبًا، وَلَيْسَ الْإِسْلَامُ لَيْسَ اقْرَؤُ مَقْصُوبًا.

اقول: اراد بالطيب نفسه فانه طيب مرضى الجهل وريثا للاخلاق، وذورانه بصره: تعرضه لملاح الجهال، ونصب نفسه لذلك، واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلم والحكمة. ولفظ المواسم وهي المكاوي: لما عنده من القوة على اصلاح من لا يتفعه الموعظة، ومن يحتاج الى الحلد والقطع وسائر الحدود، فهو كالصليب الكامل يصع كل واحد من ادويته حيث الحاجة اليه من قلوب عمى يفتحها لفهم مراد الله، ومن اذان صم: يعدها لسماع الموعظة، وتحوز بلفظ الصم في عدم انتفاعها بالموعظة اطلاقا لاسم السبب

على المسبب. ومن السنة بكم: يطلقها نذكر الله، واستعار لها لفظ البكم: باعتبار عدم تكبيها بما ينبغي، وموضع العلة والحيرة كناية: عن قلوب الحقال، واستعار لفظ الرناد: لفكرة ووصف انقدح: لاكتساب العلم به. وقوله: فهم فى ذلك اى: فى عدم استصاعتهم بأضواء الحكمة. وعفتهم فى الدنيا: كالانعام السائمة، وكالصخور القسبة فى عدم انفعالهم عن الموعظ. وانجابيت: انكشفت. والسرائر: ما يكون بعده من الحوادث. وذو البصائر: نفسه عليه السلام، واهل بيته، ويحتمل ان يريد بالسرائر: اسرار الدين ومنازل سبيل الله. وكذلك قوله: ووضحت مححة الحق لحابطها، والمحجة: الطريق القاصد. وكى نامصار اساعة عن «بدوها بوقوع الفتن وقوتها علاماتها المتفرسة» وهى: الفتن. وكى مكونهم اشباحا بلا ارواح عن: غفلتهم وعدم اتعافهم بعقولهم فيما ينبغى من طاعة الله، وأرواحا بلا اشباح قيل: هومع ما قبله فى معرض التقبص لهم، فان بهم من هو كروح بلا جسد فى قبة بهضت للحرب والمجاهد، وذلك ككثير من زهادهم، ومعتزلى الحرب منهم كعدى بن عمرو وغيره. ولستاك بلاصلاح، كناية: عن زهد مسهم عن جهل اوريا. وتخارا بلا ارباح لمعا ملتهم الله بالاعمال المدحولة التى لا ثواب فيها، وايضا نوما، اى: ايقاظ العيون نوم العقول وشهودا بأبدانهم، غيبا بعقولهم عن قول انوار الله. ونظرة اى: نفسا ناطقة تحسها عمياء يعنى: بصيرتها. وكذك سامعة صفا: لفقدتها قبول الموعظة. وناطقة بكما: عما ينغى لها من القول. و روى عميا، وصميا، وبكيا: صمة للجميع اى: نفوسا لذلك. وقوله: راية ضلالة اى: هذه راية ضلالة واراد ما قرب ظهوره من قيام دولة بنى امية، فهو الموجد المسار اليه. وكى بقيامها على قطبها عن: اجتماع اهبا على من تدور عليه من الرؤساء. وتفرقها بشعبها: انتشارها فى الآفاق، واستعار لها وصف الليل: باعتبار اهلاكها لهم جزائفا. ووصف الخبط: ملاحظة لشبهها بالذقة السقور، وقيامها على المضى: وقوفها على طريق الضلال لاضلال الخلق وفتنتهم. وكنى بالثفالة: عن لاخبر فيه من الارذل. والعلم: العدل. و نفاضته: ما بقى فيه من اثر الزاد. واراد أنه لايبقى منهم يومئذ من يتفتت اليه ممن له شهرة، واستعار لفظ العرك: لفتن باعتبار ما ينزل بهم من بلائها.

و وصف الدوس: باعتبار اهانتها لهم، واستحلاص المؤمن لايقاع المكروه به.

وانغياهب: ظلمات الجهل، ولكواذب: النفوس الامارة بخداعة للانسان بالآمال الكاذبة. و ائى بسعى: متى، اى: متى تصرفون عما ائتم عليه من العصة. والريانى، العالم علم الربوبية وعين نفسه. وقوله: وليصدق: رائد اهله مثل، واصنه: لا يكذب رائداهه، و اراد: ان يبلغ كل من الحاضرين أهله وقبيلته ما سمع منه من الحكمة والموعظة ليرجعوا الى طاعته، و يستمعوا بعلمه كما يرجع طلب الكلاء والماء الواحد له الى قومه، فيبشروهم وبصدة قهم، ويحتمل ان يريد بالرائد: الفكر، وبأهه: النفس الانسانية فكأنه قال: فلتصدق افكاركم نفوسكم، اذ كان الفكر معنوث من قبل النفس فى طلب مرعها، ومحباتها من العلوم والكمالات كرائد لأهه و صدقه لها: تصرفه على حسب العقل فيما يشريه دون مشاركة الهوى فانه اذا أرسله النفس عن مشاركة الهوى كذبها ودلاه بغرور. وقوله: وليجمع شمله، اى: ما تفرق من خواطره وهوميه فى امر الدنيا. و فبق الأمر: اوضحه. و شق ظلمة الجهل عن مصابيح اليقين. و خصّ حق الحرزة: لأن فلقها لا يكاد يلتحم ويخفى. و قره قرف صمعة: القى علمه اليهم بالكىة، يقال: تركته على مثل مفرق الصمعة: اذا لم يترك له شىء. لأن الصمعة تقتلع من شحرتها حتى لا يبقى عليها عتقة.

وقوله: فعند ذلك متصل، بقوله: من بين هزيل الحب، واحذ الباطل مأخذه: استحكامه واستقراره فى مقارنه. ومراكب الجهل: حملته، واستعار له وصف الركوب: ملاحظة له بالمستعد المعير. والطاغية: الفئة الصاغية، والداعية: رعاة الدين، و روى الداعية اى: المردة الداعية الى الله. واستعار لفظ الفيقي هو: الفحل المكرم. و وصف الهدير: لاستفحال الباطل وقوته يومئذ. و لفظ الكطوم وهو امساك البعير عن لجرة: لضعف الباطل وسكون الفتن فى زمان العدل، و كون الولد غيطا ي: مسيا لعبط والده لئشأته على عيردين و ادب ناطم به، او لحاجته الى مؤنثه التى يصعب فى زمن الحور. و كون المطر قبضا كناية عن: الجذب واستعداد الزمان لشروء او المفسدة لحال الخلق بسبب الحور اذ المطر القيطى لا ينبت ما يستفع به من الزرع، و مقتضى قسمته عليه لسلام الناس اربعة اقسام: سلاطين، و اكابر، و اوساط، و فقراء. واستعار لفظ السباع: للسلاطين. و لفظ الذئاب: للأكابر باعتبار تسلطهم على من دونهم من اهل الحرقة

والمتجر. واكلا: جمع أكلة ولفظ الأموات: سقراء باعتبار انقطاع مادة الحياة عنهم و
استيلاء الطئمة عليهم. وتشبيه لبس الاسلام ببس المرو كناية عن: الصلح واستعمال
الاسلام في الظاهر دون الباطن، بخلاف مراد عبادة الله به كس الفرو، والله التوفيق.

١٠٦- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُنْ شَيْءٌ خَاضِعٌ لَهُ، وَكُنْ شَيْءٌ قَبِيحٌ يَغْتَى كُنْ قَصِيرٌ، وَغَيْرُ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ
كُلِّ صَعِيبٍ، وَمُفْرَعُ كُلِّ مَذْهُوبٍ، وَمَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُظْمَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَرَ
فَعَلِمَ رِزْقَهُ، وَمَنْ مَاتَ فَبَلِيَّةٌ مُتَقَلِّبَةٌ، لَمْ تَرَكَ أَلْعُنُوتُ فَتُحِيرَ عَنْكَ، نَنْ كُنْتُ قُلْتُ الْوَاصِفِينَ
مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيُخْشِيَ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِيَمْنَعَنِي، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ خَلَقْتَ،
وَلَا يُفْلِكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَرِيدُ هِيَ مُلْكُكَ مَنْ أَطَاعَكَ،
وَلَا يَزِيدُ أَمْرُكَ مَنْ سَحَبَ قَصَاءَكَ، وَلَا يَسْتَعِي عَنْكَ مَنْ تَوَكَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُنْ مِيرَ عِنْدَكَ
عَلَانِيَةً، وَكُنْ غَيْبٌ عِنْدَكَ سَهْدَةً، أَنْتَ الْأَمْدُ لَا أَمْدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْاُمْتُهُى لَا مَحِيصَ
عِنْدَكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَتَحَى مِنْكَ، لَا إِلَهَ، بَدَدَ نَاصِيَةِ كُلِّ دَائِيٍّ، وَالْبَيْتُ فَصِيرُ كُلِّ
تَسْمِيٍّ، مُبْعَاثُ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَضْعَفَ عِصْمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ
مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَخْفَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَاثَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْمَعَ يَقْمَكَ
فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَضْعَفَهَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ.

أقول: خشوع الاشياء له دحولها فيسما يتوهم من ذلة الحاجة اليه، وقيامها به
في الوجود قيام معلون بعلته. والمهلوف: المظنوم يستعش. وسمعه تعالى: يعود الى عمه
بالمسموعات. وقوله: فيحسر عك اى: ارباب العيون اى: لم تترك ارباب العيون
بعيونها، فحذف المضاف وقدمت تسميه تعالى عن الوحشة والمنفعة. وقوله: انت
الأيذ لا امد لك، اى: الدائم فلا غاية لك. وقيل: ذوالامد اى: ذوالدوام. والمحيص:
المعدل، وباقي الفصل طاهر.

مِنْ مَلَائِكَةِ اسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْمَى حَيْكِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفَهُمْ
لَكَ ، وَأَفْرَهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا لَأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُصْنُوا لَأَرْحَامَ ، وَهُمْ يُحْسِنُوا مِنْ مَاءِ
مِهْنٍ ، وَلَمْ يَسْتَعْنَهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ ، وَأَنْتَهُمْ - عَلَى مَكَائِبِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعِ
أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ ظَلَعَتِهِمْ لَكَ ، وَلَعَلَّ عَقْلِيَّتَهُمْ عَنْ أَمْرِكَ - لَوْعَبُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ
مِنْكَ لَحَقُّوا أَعْمَالَهُمْ ، وَكَرَّرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْبُدُوا حَقَّ عِبَادَتِكَ ،
وَلَمْ يُطِيعُوا حَقَّ طَاعَتِكَ .

سُحْنَانِكَ خَالِفًا وَمَقْشُودًا: بِحُسْنِ تِلَاثِكَ عِنْدَ حَيْكِكَ ، حَلَفْتُ دَرَاءَ ، وَحَلَفْتُ فِيهَا
مَأْدُونُهُ: مُشْرَبًا ، وَمَطْعَمًا ، وَأَرْوَاجًا ، وَحَدَمًا ، وَفُصُورًا ، وَأَنْهَارًا ، وَزُرُوعًا ، وَبِمَارًا ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ
دَائِعِيَا يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَاوُوا ، وَلَا فَيْسَا رَغِبَتْ إِلَيْهِ رَغْبًا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّكَتْ إِلَيْهِ
اشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جَبْمَةٍ فَتَصَحَّحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَضْطَحُّوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَشْغَى
بَصَرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ بَعَيْنٍ غَيْرَ صَاحِبِيهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرَ سَمِيعِهِ ، قَدْ خَرَفَ
الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ فَهُوَ عِنْدَ لَهَا ، وَلَكِنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ
مِنْهَا: حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَبَسَتْهُ أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزِدُّ جُرْمَ اللَّهِ نِزَاجَهُ ، وَلَا يَبْطِئُ
مِنْهُ بِوَأَعِطَ ، وَهُوَ يَرَى الْمَسْحُودِينَ عَنِ الْغَيْرَةِ: حَيْثُ لَا قَوْلَ وَلَا رُفْعَةَ: كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا
كَانُوا يَحْتَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمُنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْقَوْتِ ، فَفَقِرَتْ
لَهَا أَظْرَافُهُمْ ، وَتَعَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ارْدَدْنَاهُ فِيهِمْ وَلُوجِبَ ، فَجَبَلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ
مَنْطَلِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَهْلِيهِ يَنْتَظِرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ: عَلَى صِحَّةٍ مِنْ غَيْبِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لَبِّهِ -
يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَتَى عُمْرُهُ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ ذَهْرُهُ ، وَيَسْتَذْكُرُ أَفْوَلاً جَمْعَهَا: أَعْمَصَ فِي مَطَالِهَا ،
وَأَحَدَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُسْتَهَائِبِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَنَّتِهَا ، وَأَشْرَفَ عَنِ هِرَافِهَا: تَنَقَّى
لِمَنْ وَرَاءَهُ يَتَحَسَّنُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْطَا لِلْغَيْرَةِ ، وَلَعِبٌ عَنِ ظَهَرِهِ . وَالْمَرْءُ
قَدْ عَقِبَتْ رُهُونُهُ بِهِ ، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ ، نَدَامَةً عَلَى مَا أَضْحَكَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَرْهَدُ
فِيمَا كَانَ يَرْتَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ ، وَيَسْتَمِي أَلَّ لَدَى كَانِ يُعْطِيهَا بِهَا وَيَخْشَدُ عَنْهَا قَدْ حَارَهَا
دُونَهُ! فَتَمَّ يَزِلُّ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَنْبِهِ حَتَّى حَاظَ لِسْتَهُ سَمْعَهُ ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِيهِ لَا يَبْطِئُ

بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ يَسْمَعُهُ: يُرَدُّ طَرَفُ النَّصْرِ فِي وَجْهِهِمْ يَزِيدُ حَرَكَةَ النَّسْبَةِ. وَلَا تَسْمَعُ رَحْمَةُ كَلَامِهِمْ. ثُمَّ أَرَادَ الْمَوْتَ الْبَيَاطَ بِهِ فَفَضَّ نَصْرَهُ كَمَا فَضَّ شَعْرَهُ. وَحَرَّجَ رَجُلًا مِنْ حَسْبِهِ قَصَارَ حَفَّةٍ بَيْنَ أَهْلِهِ: قَدْ أَوْحَنُوا مِنْ خَابِهِ، وَتَعَدُّوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا تَسْعِدُ - كَيْدٌ. وَلَا يُجِيبُ ذَاعِيًا. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحْجِلٍ فِي الْأَرْضِ. وَتَلَمَّوْهُ بِهِ إِلَى عَسْبِهِ، وَشَفَعُو عَنْ زُورِيَّةٍ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ قَدِ دِيرَهُ. وَالْحَقُّ آخِرُ الْحَقِّ بَأَقْبِهِ، وَجَاءَ مِنْ مَرِّ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ: مِنْ تَحْيِيدِ خَلْقِهِ، أَمَّا السَّمَاءُ وَفَضْلُهَا، وَالْأَرْضُ وَأَرْحُفُهَا. وَفَتَحَ حَسْبَ وَتَسَفَّهَا، وَذَكَ تَعَفُّهَا تَعَفُّ مِنْ هَيْئَةِ خَلْقِهِ، وَمَحُوفَ سَقْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهِ فَعْدَهُ عَلَى أَحْلَاقِهِمْ، وَخَمَعَهُمْ بَعْدَ تَرْفِيقِهِمْ، ثُمَّ مَرَّخَهُمْ بِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسَائِلِهِمْ عَنْ خَدَيِّ لَافِغِيهَا، وَخَبَائِي الْأَفْعَالِ؛ وَخَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَتَنَقَّهَ مِنْ هَؤُلَاءِ: فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَتَانَهُمْ بِجَوَارِهِ وَحَدَّاهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَطْعُنُ الرَّكَّ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ الْحَوْلُ، وَلَا تُؤْتِيهِمُ الْأَقْرَبُ، وَلَا تَدُلُّهُمْ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَغْرُصُ لَهُمُ الْأَحْطَرُ وَلَا تُسْجِطُهُمُ الْأَسْفَرُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَسَرَّخَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَعَلَّ الْأَبْنَى إِلَى الْأَعْدَقِ، وَفَرَّقَ سَوَاسِي بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْتَسَّهُمْ سَرَائِلَ الْفَطْرَانِ، وَمَقْطَعَاتِ الْأَسْرَارِ فِي غَذَابٍ قَدْ أَشَدَّ حَرًّا، وَتَابَ قَدْ أَطْلَقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارِهَا كَلْبٌ وَنَحَبٌ وَهَبٌّ سَاجِعٌ، وَفَقِيفٌ هَدِلٌ، لَا يَطْعُنُ مُنْجِسُهَا، وَلَا يُدْخِلُ أَبْيَرُهَا، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا، لَا مَدَّةٌ يَذَارُ قَسَتِي، وَلَا جَلٌّ يَقُومُ قَيْصِي.

اقول : إنما كانت الملائكة أعلم خلق الله به، لبراءة عبودهم من متارعة البهس الامارة، ولهمهم من ابداع قدرته وكونهم احوف لكونهم اعلم به. وريب المومن: حادث الموت. وقوله: واتهم، الى قوله: طاعك: اشارة الى تنزيهه تعالى عن اطلاع الملائكة على كنه معرفته، لان ذلك غير ممكن لأحد سواه كما مر بيانه. والباء في قوله بحس بلائك قيل: أنها يتعلق بسبحانك اي: انزهت بهذا الاعيار. وحلقاً ومعوذاً: حالان و يحتمل ان يتعلق بمعبود، ويحتمل ان يتعلق بخلفت. واستعار لفظ الدار للاسلام: باعتبار جمعه لأهله. ولفظ المأدبة وهي اطعام: سدعي اليه للحمه بأعتبار جمعها للمشتبهات. والدعي هو: ارسول صني الله عليه وآله. وقد جمعها الخبر: ان الله حمل الاسلام دار

والحنة مأذبة والداعى اليها محمد . واستعار لفظ الحيفة: للدنيا لاستفاد ر نفوس الاولياء لها. و وصف الافتضاح بأكلها: للاستهتار بافتنائها والخروج به عن شعار الصالحين و طاعة الله. و وصف العشاء لما يعرض لأبصار بصائر اهلها من غلبة الجهل فيفسد نظرها فلا يبصر ما يستمع به ولا تسمع ما يتعظ به. و وصف التخریق لتفريق افكاره فى تحصيل المشبهات. و وصف الامائه: لاخراج قلبه عن الانتفاع به فى امر الآخرة فهو كالعميت عنها. و وهت عليها نفسه اى: حيرته محبة لها. وقوله: فغير موصوف ما نزل بهم اى: لشدة. و اغمض فى مطالبتها تساهل فى وحوه اخذها، ولم يضبط دينه فيها. و مصرحاتها: ما وضع منها. والمهنا: المصدر من هتأبها. والعبأ: الثقل. واستعار وصف غسق الرهون: ملاحظة لعدم انفكاك نفسه من تبعاتها المشبه لعلق لرهن بما عليه من مال. واصحظهر ونكشف. و رجع القول جوابه وترديده. والالتياط: الالتصاق. و مخط: كناية عن اللحد لانه يخط ثم يحفر، و روى بالحاء المهملة. و محط القوم: منزلهم. و بئوخ الكتاب أجله: انقضاء المدة بمضروبة لبقاء الخلق فى الدنيا أوفى البرزخ. والمقطعات: ثياب من نسيج الكلب الشدة. والجب: غلبة الاصوات. والقصيف الصوت الشديد. و لكبر: جمع كبر وهو القيد الضخم. وصفه القيامة و احوالها و غايتها فى غاية الوضوح، وبالله التوفيق.

ومنها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

قَدْ حَسَرَ الدُّنْيَا وَصَغُرَهَا، وَأَهْوَنَهَا وَهَوَّنَهَا، وَغَيِمَ أَنْ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ تَحِيَّتَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ أَحْيَاتَارًا، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بَقْلِيهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيْبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يُزَجُّوْهَا مَقَامًا، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْجِرًا، وَتَصَحَّ لِأَمْرِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا، نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبْوَةِ، وَنَحْطُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمُقَادِنُ الْعِلْمِ، وَتَتَابِيعُ الْحِكْمِ، نَاصِرَتَا وَمُجِبِّدَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَغُلُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

أقول: روى: حقر الدني محققا ومشدداً، اى: رهد فيها او زهد غيره فيها، وكذلك:

اهوائها، وتهويته لها. والرياش: اللباس والرسة. والمعذر: الذي المي في العذر فلا يلام بعده. واستعار لمط الشجرة: لبنتي هاشم، وكذلك مط المعادن والينا بيع والسقوة المنتظرة لعدوهم، من الله تعالى. والفصل واضح.

١٠٧ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِأَفْضَلِ مَا تَوَسَّلَ بِهِ لِمُسْتَوْسَلُونَ إِلَى اللَّهِ، سُحَّانَهُ، لِأَيِّدِيهِ وَرُسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّ دِرْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَقَدْ أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهَا لِمَلَّةٌ، وَإِنَّهُ الرُّكَّةُ فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَحُجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا تَقْيَاتَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحِضَانِ الدُّنْيَا، وَصَلَةُ الرَّجَمِ فَإِنَّهَا مَرَّةٌ فِي الْعَالِ، وَمَسَاءَةٌ فِي الْأَخْلِ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَايَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مَيْسَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَضَارِعَ الْهَوَى.

أَيْضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ مَذْكُورٍ، وَارْعَنُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ أَصْدَقُ لَوْعِدٍ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ نَهْدِي، وَاسْتَوْسَلُوا بِهَدْيِ الْهُدَى السُّبْحِيِّ، وَتَعَلَّمُوا اقْرَأَنَّ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَمَقَّقُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَيْحُ الْمُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِثَوْبِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَاسْتَحْبُوا بِتِلَاوَةِ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ الْعَمَلُ بِغَيْرِ عِيَمِهِ كَالْحَاهِلِ لِحَاظِ الْبَدَى لَا يَسْتَمِيقُ مِنْ حُجَّتِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أُعْظُمَ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَرْمَ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ.

أقول : اراد: أنَّ فضل الوسائل الى الله، الايمان الكامل، فلايمان بالله ورسوله هو اصله، وباقي العرائض والسنن كمالات له، ورغب في كل منهما بضمير صغره، قوله: فإنه كذا، وتقدير الكبرى هي الكل، وكل ما كان كذلك فيشبهى ان يفعل. واستعار لمط النروية: للجهال لأنه اصل لقيام الدين في الوجود، فكان اشرف واعنى من غيره من سائر العبادات. والقطرة: قطرة الله التي فطر الناس عليها من استعبده، والاقرار برؤيته. وجعل الصلاة هي الملة: مجازاً تشريفاً لأنها اكثر اشتمالاً على مفصود الملة في جميع اجزائها، وهو: الالتفات الى الله تعالى ودوام ملاحظة عظمته.

قال الراوندي رحمه الله: ^١ أراد بكون الركة فريضة: كونها سهما مقتطعا من المال وجوبا، وألا لما كن لتحصيلها بافريضة من بين سائر الفرائض معنى. وخصص صوم رمضان باستعارة لفظ الحجّة: لأنه اشد في كسر النفس الامارة وقطع وسائل الشيطان لئلا هي الشهوات، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: (نّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فصيقوا مجاريه بالحوغ). فكان الصوم على الخصوص اشدّ قمعاً للشيطان من سائر العبادات فكان أقوى جتة في دفع ما يلزم بسببه من العقاب.

ورغب في الحج، والعمرة، بضميتين: دنيوية وهي: كونهما ينفيان الفقر، وكن ذلك بسبب التجارة الحاصصة في موسم الحج، وقيام الامواق بمكة حينئذ. واخرية وهي: كونهما يرحصن الدنوب اي: يعسلانه. وكون صلة الرحم مثارة لسماح بفهم له شيئا: احدهما: انّ العناية الالهية قسمت لكل حي قسطاً من الرزق مدّ حياته فذا بعدت شحفاً من الناس للقيام بأمر جماعة و كفلته بمدادهم، وجب في العناية افاصته ارزاقهم بحسب استعداده لذلك وهو معنى كونه مثرة سماح. الثاني، انّ صلة الرحم من الاخلاق الحميمة التي تستمال بها طباع الخلق وتستحلب عاطفتهم فيكون سبباً لامداده ومعونته من ذوى الامداد، والمعونات: بك لملوك وغرهم مكان مثارة. واما كونها منسأة في الأجل فلأنها توجب تعاطف ذوى الارحام، ومعددتهم لواصلهم، فيكون عن اذى الاعداء ابعد وذلك مطقة طول عمره وتأخير، ولأنها توجب تعلق همتهم بقاءه واصهم وامداده بالدعاء الذي قد يكون شرطاً في بقاءه، فكانت صلتهم منسأة. والمسأة: محل النساء وهو: التأخير.

وكون صدقة السر تكفر الخطيئة: لأنها ابعد عن الرياء، واقرب الى رضى الله. وتكفيرها: سترها. وكون صدقة العلانية تدفع مبته السوء لاستئزازها الشهرة بفعل الحيرات، ولذكر الجميل، ومحبة المستصدق، وذلك يجمع غالباً من مبتد السوء كالقتل، والحريق، وكل ما يكون بقصد القبر وفعله، لكان محبته واشتهره بفعل الجميل. والافاضة في ذكر الله: الاندواع وكونه أحسن الحديث لقوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث) ^٢ الآية. واستعمار لفظ الربيع: لما فيه من فنون العسم الذي هو مسارح أبصار

البصائر لرياض الربع. وشفاء للصدور من امراض الجهل. والحقبة على العالم اعصم: لان العالمين ليس لهم ان يفولوا يوم القيامة (اِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) ١. والحسرة له الرم: لعلمه بما يفوته من اكمال بسبب تنفرط، بحلاف الجاهل لجهله بما يموت من ذلك، وهو عند الله ألوم: باعتبار انقطاع عذره يومئذ، وقوته: جراته على المخالفة عن علم ٢.

١٠٨ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَّا تَعْدُ، فَإِنِّي أَحَدَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْمَبِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْمُرُورِ، لَا تَدُومُ حَيْرَتُهَا، وَلَا تُوْمِنُ فَحَنَّتُهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ، حَائِيَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَانِدَةٌ، أَكَلَتْ عَوْلَهُ، لَا تَعْدُو إِذَا تَهَتَّتْ إِلَى أُمِّيَّةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا، وَالرَّضَا بِهِ. أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ مُنْحَانَةً وَتَعَالَى. (كَمَا أَرْكَدَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَلْظَمَ بِهِ نَارًا) أَدْرَجِي فَأَصْنَحْ هَيْبِمَا تَدْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ٣ لَمْ يَكُنْ أَمْرُوهَا فِي حَسْرَةٍ، لَا أَغْصَنَتْهَا غَبْرَةٌ، وَتَمَّ بَلَقٌ فِي سَرَائِفِهَا بَطْءًا، إِلَّا مَتَحَنَّتْ مِنْ ضَرَائِفِهَا طَهْرًا، وَلَمْ تُطْلَقْ مِنْ دِيمَةٍ رَحَاءٍ، إِلَّا هَتَّتَتْ عَلَيْهِ مُرَّةً تَلَاءً، وَحَرَّى، إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ، أَنْ تُسَبِّىَ لَهُ مُشْتَكِرَةٌ وَإِنْ جَانِبَ مِنْهَا أَغْدُوْدَتْ، وَأَخْذَوِي أَمْرَ مِنْهَا جَانِبٍ فَأَوْسَى، لَا يَتَاكَ أَمْرُوهَا مِنْ عَصَارِهَا رَعَاءً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوْنِهَا تَعَاءً، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي حَتَّاجٍ أَمْنٍ إِلَّا أَصْنَعَ عَلَى قَوَادِمِ حَوْبٍ، غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا قَائِيَةٌ، فَبِ مَنْ عَدَّتْهَا لِأَحْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَاحِهِ إِلَّا التَّشْوَى، مَنْ أَهْلٌ مِنْهَا اسْتَكْرَمًا يَوْمِيَّةً، وَمَنْ اسْتَكْرَمَ مِنْهَا اسْتَكْرَمَ يَوْمِيَّةً، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عُنْهُ، كَمَ مِنْ وَائِلٍ بِهَا فَجَعَلَتْهُ، وَذَى طُمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذَى أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ خَصِرًا، وَذَى تَخَوُّةً قَدْ رَدَّتْهُ دَلِيلًا؟ سَطَّاسُهَا دَوْلٌ، وَعَيْشُهَا رَيْنٌ، وَعَذْبُهَا الْجَبَّاحُ، وَخُسُوهَا مَبِيرٌ، وَعَدَاوَتُهَا مَسَمٌ، وَأَسْبَابُهَا رِيْمٌ، حَيْثُهَا بِعَرَضٍ مَوْتٌ، وَصَحْبُهَا بِعَرَضٍ سُقْمٌ، مُكَلَّفٌ مُسْلُوبٌ، وَغَرِيْبٌ مُعْلُوبٌ، وَمَوْفُورٌ مُنْكَوْبٌ وَجَارُهَا مَخْرُوبٌ، أَسْنَمُ فِي مَسَاكِينِ مَنْ كَذَبَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَثْقَى أَزْدَادًا، وَأَعَدَّ أَمَلًا،

٢ - كلمة يومئذى احرفها من تك في ش

١ - سورة الاعراف ١٧٢

٣ - سورة الكهف/٤٥.

وَعَدَّ عِيدَهُ، وَأَكْتَفَتْ جُودًا: تَعَدُّوْا لِدُنْيَا أَيْ تَعُدُّوْا وَأَتْرُوْهَا أَيْ إِشْرَءُ ثُمَّ طَعَنُوا عَلَيْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٌ !!؟؟ قَهْلٌ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَعْمًا بِيَدَيْهِ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِتَعَوُّدِهِ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُخْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَائِحِ، وَأَوْهَشَتْهُمْ بِالْمَقَارِعِ وَصَفَعَتْهُمْ بِالسَّوَابِ، وَعَمَّرَتْهُمْ لِلْمَتَاخِرِ، وَوَسَّطَتْهُمُ بِالْمَتَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِّبَ الْمَتُونِ، فَقَدَّرَ رَأْيُهُ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ ذَاكَ لَهَا، وَأَتْرَفَهَا، وَأَحْنَدَهَا حَتَّى طَعَنُوا بِهَا يَفْرَاقُ الْأَبْدَ، وَهَلْ زُوْدَتْهُ إِلَّا السَّقْبُ، أَوْ أَحْلَتْهُمْ إِلَّا الصَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا ضُمَّةً، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا سَدَمَةً؟ مَبِيدُهُ تَوُزُّونَ، أَمْ إِلَيْهِ تَنْظَمُونَ، أَمْ عَيْتُهَا تَحْرُصُونَ؟؟ فَسَبَّتِ الْكَذَّارُ لِمَنْ لَمْ يَنْفَعَهَا وَتَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْتَمُوا- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنْكُمْ تَارِكُوْهَا، وَطَاعِيُونَ- وَتَعْصُونَ- بِأَلْدِينِ قُلُوبًا: (مَنْ أَشَدُّ مِتَاقُفَةً) حَمِلُوا إِلَى قُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رَبَّيْنَاهُ، وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يَدْعُونَ سَيْفَانَا، وَحَمِلْ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَاثًا وَمِنْ انْتِرَابِ أَكْدَانٍ، وَمِنْ الرُّقَايَةِ خَبْرًا، فَهُمْ حَبِيرَةٌ لَا يَحْيِيُونَ ذَا عِيًّا وَلَا يَتَنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يَكِيدُونَ مَسْدَةً: إِنْ جَبَدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ قُجِبُوا لَمْ يَفْزَحُوا وَلَا يَفْطَحُوا لَمْ يَفْتَحُوا: جَمِيعٌ وَهُمْ أَحَادٌ وَحَبِيرَةٌ وَهُمْ أُنْعَادٌ مُتَسَادُّونَ لَا يَتَزَارَعُونَ وَوَرُونَ وَقَرِيُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءٌ قَدْ دَهَسَتْ أَصْدَانُهُمْ، وَخُهْلَاءٌ قَدْ قَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُحْشَى فَعْمُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ؛ اسْتَبَدُّوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ نَقْطًا، وَبِالسَّعَةِ صَيْقًا وَبِالْأَهْلِ عُزْبَةً، وَبِالنُّوْبِ طُمَّةً، فَبَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوا حَفَاةَ غُرَاءَ، قَدْ صَنَعُوا عَلَيْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالْذَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ، وَعَدْنَا عَلَيْهَا، بِمَا كُنَّا قَائِلِينَ).

أقول: مدارُ الفصل على ذمِّ الدُّنْيَا، ولتنصيرِ عنها، بذكرِ معانيها، وما يلزمها من غاية الموت، واستعار لها لفظ الحُلوة لحضرة: باعتبارِ رزقيتها، وبهبتها، وخصِّصَ متعلقي الذوق والبصر اعسى: الحضرة والحبوة: لاكثرية تأدية الحسنيين المذكورتين، إلى النفس الالتئاذ بواسطتهما دون سائر الحواس.

ورافت: أعجبت، والقسيل: متاعها في متاع الآخرة، ووجه رزقيتها بالغرور: أنَّ ما يعد فيها زينة وخيرًا من متاعها إنما هو سبب إعنة عن عقبة ذلك وثمرته في الآخرة. وحبرتها: سرورها. والحائلة: الزائنة، وماندة: هالكة. والعوالة: التي تأخذ على عرة.

وقوله: لا تعدوا، الى قوله مقتدرًا، اى: عاية ما يحصل لراغبين منها، وما بلغته امانيتهم ان يقضى وهو وجه التمثيل. وكفى بالسطن ولطهر: عن قبالها، وادباره عن المرء. وطته اى: بته، واستعار لفظ الذيمة: للرخاء، ولفظ المزنة: للبلاء. وهتت: سالت و اراد: ان كى حير ناله المرء منها فنه غالب لأحوال يستعقب شرًا اكثر منه. وثبه على دك بالطل، والهنن. والمتكررة: المتعيرة. واعذوذب واحلولى: مبالغة فى اعذوبة واحلاوة. واوبى: امراض. والعسارة: طيب العيش. وارهقه تعأ: كتمه اياه. وثبه باستعارة لفظ الجباح: للأمن. ولفظ القوادم: للحواف و اراد: أنه ما من آمن فيها الا ويستعقب خوف اقوى منه وما يؤمنه: هو الاعمال الصالحة. وما يوقه اى: يهكك فقياساتها المهدكة بمحبتها فى الآخرة. ولا بهة: العظمة، ولحوة: اكبر. ورنق: كدر. واستعار لفظ الاجاح ولصبر والسام لعدها، وحلوا، وعذايها، باعتبار ما يلزمها فى الآخرة من مرارة العقاب وسوء المدق. وأسبابها: ما يتعق به المرء منها. والرمام: الدالية لأنها فى عدم نقائه كالبالية. والموهور: دوالوهور من المال واستحروب: المسبوب ماله. والطهر: المركوب. وارهقته: غشيتهم. والفادح: الامر سيئ. ومارعة: الداهية. وضعصعهم: ادلهم. والتعفير: الصاق الوحه بالعفر وهو التراب. والمنسم: خف البعير. وريب المنون: صروفها. ودا: اطاع. واحمد الى كد: لصق به ولزمه. والسعب: الجوع.

وقوله: أو تورت لهم الا انظمة اى: مانورت لهم، ولكن اوجبت لهم الضمة وذلك ما يكتسبه ط لبوها من الجهل ومنكبات السوء ومن لم يتهمها هو لمعتقد أنها مطلوبة لذاتها، وذلك من الهالكين لغفته عن حقيقتها. وبست الدارله، ونعم، دار لمن اتهمها فعمل فيها على وجل منها وعلم بعاقبتها. والمدبة: السوح. وجيدوا: مطروا. والقنوط: اليأس. وقوله: مجاؤه، الى آخره، اى: كان محيئهم اليها بالعود فيها كما فارقوها، وانقصوا عنها بالحبس منها، وهو اشارة الى قوله تعالى: (مها خنساكم وفيها نعيدكم)¹.

١٠٩ - وَمَنْ حُطَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذَكَرَ فِيهَا مَلِكُ الْمَوْتِ

هَلْ تُجَسِّسُ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَسْرَلاً؟ أَمْ هُنَّ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ يَسُوقِي الْخَبِيرِينَ
فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيْلُحُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَتَابَتْهُ بِأَذْنِ رَتْهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ
مَعَهُ فِي أَحْسَانِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْشُوعٍ مِثْلِهِ!!؟

أقول: هذا الفصل من خطبة ذكره في معرض تنزيه الله تعالى عن ادراك العقول البشرية. ووجه الاستدلال به: ان الإنسان عاجز عن وصف محسوس مثله، كملك الموت، وعن معرفة كيفية تصرفه في قبض النفوس الانسانية، وكل من كان كذلك كان عن صفة الله الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز.

١١٠ - وَمَنْ حُطَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَوْنَهَا مِثْرُ قُتْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِذَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَرَبَّسَتْ بِمُروِّهِ، وَغَرَّتْ
بِرَبِّتِهَا، هَانَتْ عَلَى رَتْهَا: فَحَسَّطَ حَلَالُهَا بَحْرَامَهَا، وَخَيْرَهَا بِشْرَهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَ
حُلُوهَا بِمُرُّهَا: لَمْ يُضَفِّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَانِهِ، وَلَمْ تَصُرْ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرَهَا زَهِيدًا، وَ
شَرُّهَا غَنِيًّا، وَجَمَعَهَا يَتْلُو، وَمَلَكُهَا يُسَدِّبُ وَغَامِرُهَا يَحْرُبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَفْصُ
النَّيَاءِ؟ وَغُمْرُ يَتَّقَى فِيهَا قِتَاءَ الرَّدِّ وَمُدَّةَ تَفْطَعُ أَمْطَاعُ السَّيْرِ؟! أَعْلَلُوا مَا قُتِرَ صَ لَّهُ
عَيْنُكُمْ مِنْ طَبِئِكُمْ وَأَسْأَلُوهُ مِنْ أَذَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَاسْمِعُوا دَعْوَةَ التَّوْبِ إِذَا نَادَاكُمْ قَتْلُ أَنْ
يُدْعَى بِكُمْ. يَا الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ صَحَّحُوا، وَيَسْتَدُّ حُرْبُهُمْ وَإِنْ فَرَّحُوا،
وَيَكْثُرُ مَعْنُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ أَعْطُوا بِمَا رَزَقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ لَآجِلِ، وَ
حَضَرَكُمْ كَوَاذِبُ الْآتَمَالِ، فَضَارَبَ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ
الْآخِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ: مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا حُبُّ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ اصْصَايِرِ:
فَلَا تَوَارَّوْنَ، وَلَا تَتَاضَحُونَ، وَلَا تَبَادُلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ!! مَا بَلَّكُمْ تَفْرَحُونَ بِالتَّيْسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

تُذَكُّونَهُ، وَلَا تَخْرُجُكُمُ الْكِبَرُ مِنَ الْآجِرَةِ تَغْرُمُوهَ، وَيَتَعَبَّكُمْ أَيْسِيرُ مِنَ دُنْيَا يُفُوتُكُمْ حَتَّى
يَتَسَنَّ دَيْتٌ هِيَ وَحُوهُكُمْ وَيُوَيِّهِ صَبْرُكُمْ عَمَّا رُويَ مِنْهَا عَنْكُمْ !!! كَتَبَهَا ذُرْمُفُكُمْ، وَ
كَأَنَّ مَتَّعَهَا نَقِي غَيْبُكُمْ !! وَمَا يَتَّبِعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ أَحَدًا بِمَا يَخَافُ مِنْ غَيْبِهِ، إِلَّا مَعَهُ
أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، فَدَنَصَافِيْتُمْ عَلَى رَفِصِ الْآجِلِ، وَحَتَّى الْفَاجِلِ، وَصَارَ دَيْنُ أَحَدِكُمْ لُغَةً
غَنَى لِسَائِهِ ضَيْعٌ مَنْ قَدْ فَرَعَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَخْرَجَ رِضَا سَيِّدِهِ!

اقول: منزل قلعة، ماضم اذا لم يصح بالاستبطان، والجمعة: بالصم طلب الكلاء،
والمرء بغروره الاول: اقتسابها وملكاتها محاراً، اطلاقاً لاسم الحسب على السب.
وقوله: عَرَّتْ اى: استعصت، وهوانها على ربتها: يعود الى عدم العندية بها بالذات، فلم
تكر حيراً محضاً. ومعنى خطه حلالها بحرامها: جمعه فيها بينهما. واستعار لفظ حلوه
ومرها: لخرها وشرها. والعنيد: المهتا. وقوله: من طبتكم، اى: من حمىة طلبكم
فى الدنيا. وقوله: واسألوه، الى قوله: ما سألكم، اى: اسألوه الذى سألكم اياه من ادء
حقه بالاعانة والتوفيق له. واسمعه دعوة الموت: إذ انهم اخطار نزوله بهم بالبال من
سماع ذكره. وقلة صبركم: عصف على وحوهكم. واللغة بالصم: اسم لما يأخذ المنفعة
مما يلحق، واستعاره: للاقرار بالدين باللسان، وكتى به: عن صغفه وقله. وصنع:
مصدر اى: يصنعون فى ترك الدين الصنيع المذكور.

١١١. وَمِنْ حُظْنَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ لَوَاصِلِ الْحَمْدِ بِالنَّعَمِ، وَاسْتَعْمَ بِالشُّكْرِ نَعْمَتَهُ عَلَى آلَيْهِ، كَمَا نَعْمَتُهُ
عَنى بِلَايِهِ، وَتَسْتَعِيْنُهُ عَلَى هَذِهِ الْقُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرْتُ بِهِ، السَّرَّاجِ إِلَى مَا نُهِيتُ عَنْهُ، وَ
تَسْتَعِيْنُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَخْضَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ، وَتُؤْمِنُ
بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ عَابَتَيْنِ أَنْعُوبُ، وَوَقَفْتُ عَلَى الْمُؤْعَدَةِ: إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ اشْرَكَ، وَيَقِيْنُهُ
السَّنْكَ. وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ

غِيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. شَهَادَتَيْ تَضَعْدِي الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ: لَا تَجْعَلُ مِيزَانُ تَوْصَعَدِي بِهِ،
وَلَا يَنْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعِي عَنْهُ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الرَّادُّ، وَبِهِ الْمَعْدَةُ رَدْمُكُمْ، وَمَعْدَةُ مُنْجِيكُمْ، دَعَا أَمَّا
أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَدَهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعُ دَاعِيَهَا، وَقَارَ وَاعِيَهَا. عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَلَتْ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مُحَارِبَةً، وَالْكَرَمَتِ قُلُوبُهُمْ مُحَافَتَةً حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيْسَالِيَهُمْ، وَأَصْنَاتُ هَوَا حَرَمَهُمْ،
فَاحْذَرُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَلَرِّى بِالظُّلْمَاءِ، وَاسْتَغْفِرُوا الْأَجْنَ، فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَكَدُّوا الْأَمْسَ،
فَلَا تَحْطُوا الْأَجْنَ. ثُمَّ إِنَّ الشُّبَّاءَ دَارِقَتَاءَ وَعَسَاءَ، وَغَيْرَ وَغَيْرَ فَمِنْ الْعَتَاءِ أَنَّ الْبَدْرَ مُؤَيَّرُ
قُوَّتِهِ، لَا تُحْبِىءُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤَسِّى حِرَاحُهُ، يَنْمِي الْحَيُّ بِالْمَوْتِ وَالصَّجِيعُ بِالسُّقْمِ،
وَالدَّجَى بِالْعُظْبِ؛ أَكْبَلُ لَا تَشْتَعُ، وَسَارِبُ لَا يَنْقَعُ وَمِنْ الْعَتَاءِ أَنَّ التَّمَرَةَ تَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ،
وَيَنْشِي مَا لَا يَشْكُلُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ لَا مَالًا حَصَلَ، وَلَا بِنَاءً تَقَلَّ، وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى
الْمَرْحُومَ مَعْوِطًا، وَلَمْ تَعُوطْ مَرْحُومًا، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَكَّ، وَبُوسًا نَزَلَّ، وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّ
لَمَرَّةً يَشْرَفُ عَلَى أَمْلِيهِ، فَيَقْطَعُهُ حُصُورُ أَخِيهِ، فَلَا أَمْلَ يُدْرِكُ، وَلَا مُوَمَّلَ يُتْرَكُ! فَسُبْحَانَ
اللَّهِ!! مَا أَغْرَمُورُورَهَا، وَأَطْمَأْرُورَهَا، وَأَصْحَى فَنَهَا، لَا جَاءَ يُرَدُّ، وَلَا نَاضَ يَرْتَدُّ! فَسُبْحَانَ
اللَّهِ!! مَا أَفَرَّتْ لَحَى مِنَ الْمَسِّ لِحَافِهِ، وَأَعْدَتِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَشْرِي مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَحْجِرُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوْبُهُ وَكُلُّ
شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَسَاعُهُ أَكْثَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَكْثَمُ مِنْ مَسَاعِيهِ،
فَتَبَكِّمُكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمْعُ، وَمِنْ الْعُتْبِ الْخَيْرُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ النَّبِيِّ زَادَ فِي
الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَمْ مِنْ مُنْقَرِصٍ زَالٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ. إِنَّ
الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْفَعُ مِنَ الَّذِي يُهْتَمُّ عَنْهُ، وَمَا أَجَلَ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَتَرَوْا مَقَرَّ
لِمَا كُنْتُمْ. وَمَا ضَاقَ لِمَا أَتَيْتُمْ، فَذُنُكُلْ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَامْرُتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونُ الْمُضْمُونُ
لَكُمْ ظَلْمُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ، وَاللَّهِ، لَعَدَ أَغْشَى اسْتِكْ وَ
دَحَلُ الْبَقِيرِ، حَتَّى كَانِ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَانَ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ
قَدْ وَضِعَ عَلَيْكُمْ! فَتَدِيرُوا الْعَمَلَ، وَحَافُوا بَعْتَهُ لِأَجَلٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْخَى مِنْ رَخْعَةِ الْعُمَرِ مَا يُرْخَى
مِنْ رَخْعَةِ الرِّقْوِ، مَا فَاتَ مِنَ الرِّقْوِ رُحَى عَذَابِ رَبِّهِ، وَمَا فَاتَ أَمْسَ مِنَ الْعُمَرِ لَمْ يُرْخَ
الْيَوْمَ رَخْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْخَيْرِ، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي (فَاتَمُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْدِيرِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا

اقول: وصله تعالى الحمد والنعمة: اقصتها على الشاكرين، بحسب استعدادهم لحمده ومقتضى وعده الكريم (لئن شكرتم لأزيدنكم)^١ وصله العم بالشكر: اذصة صور الشكر على قلوب المعمر عليهم، واعتراهم بالنعمة وتلك الافاصة نعمة اخرى من فصله ويحتمل ان يريد: انه تعالى يصل نعمته على حامديه بشكره لهم (فان الله شاكر عليم)^٢.

وجعل الحمد على البلاء اصلا في التنبيه: لان الالتئام نعمة عظيمة وفي حق اولياء الله اقوى من النعم المشهورة، تبيها وجذا بي الله وكفى به: اللوح المحفوظ الذي لا يعادر صغيرة ولا كبيرة الا حصها. ومن عين العبر اي: شاهدين يقيه الامور العائنة، وكوشف بالموعود من احوال الآخرة، وتصفاء القلوب الى محل القول من حصرة العزة لانهما اصلا في الإيمان. وسمع داغ: هو الرسول صلى الله عليه وآله اي: اشدتهم اسماعا للحق وتسبعا. وجرع هو عية السلام، ومن سارع الى اجابة لدعي. ونسة السهر الى الليالي واظماء الى الهواجر: فحازبه قامة انظر مة المطروف المقبول به مبالغة كقولهم: بهر صائم، وليه قائم. وقوله: فاحذوا الى قوه: انطما، اي: استعدوا بتعهم في الدنيا، وضمانهم فيها لراحة الآخرة، والدين من رحيقها المختوم، وروى: فلاحظوا بامدء ولاشبه الوود لترتب تكذيب الأمل على ملاحظة الأجل، دون العكس والواو لا يفيد ترتب، ويحتمل العاء لافادة املازمة بين تكذيب الأمل وملاحظة الأجل، وترتب تصور كس منهما على تصور السابق منهما في الذهن. ولا توسى اي: لا يمكن طها ودوائها. ولا يقع: لا يروى، وقوله: ومن غيرها، الى قوله: تد، اي: انك ترى المرحوم بها وهو فقير العاخر قد استبدل بقره غني، ويدته عرا، فصار مغبوطا بعد ان كان مرحوما، وتارة يرى العكس من ذلك وليس ذلك الا نعيما زال عن المغبوط، وبؤسا بدل به: وهو معنى تغيره. و ستع لفظ الرزي: لكمال لا لتذاه سها، ولقد اعني:

١ - سورة ابراهيم / ٧.

٢ - سورة البقرة / ١٥٨.

للاستغفار بقيتها، واذ ذلك أقوى صارف يستعفل العبد عن الله، فسروها أقوى ما يفر صاحبها، وريتها اعظم ما يظما به صاحبه من شراب الأبرار في دار القرار، وفيها اشد ضحى لمستظل بها، والضحى: الروز لحر الشمس.

وقوله: ليس شيء الى قوله: ثوابه، يريد الخير والشر، المتصورين بالقياس الى ضرور الدنيا وخيراتها، فانها امور مستحقرة في حنب عقاب الله وثوبه، ويحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين لمبالغة، ذيقال: هذا اشد من الشديد. وقوله: فليكمكم اى: من عان الامور الاحروية سماعها، ومن غيها الخير عنها اذ لا يمكن الاطلاع عليها في هذا العالم، وما نقص من الدنيا: كالزكاة، والعبادة البدنية الآخذين من المال والبدن، فانه مستلزم لزيادة الدرجة في الآخرة لمن قصدها به، وما يقابل ذلك من الزيادة في الدنيا مستلزم لبعضة عن الآخرة، ونقصان الحال فيها، وما امرنا به واحل لنا اوسع من الذي نهيا عنه وحرّم عينا، لانّ الحلال اقسام اربعة: وهي: الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والحرام قسم واحد فقط، واعترض الشك فيما اقول من ضمان الرزق وفرض العبادة. وقوله: الرجاء مع الحائى، اى: مع الرزق، واليأس مع الماضى اى: من العمر.

١١٢. وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَحْتُ جِبَلَنَا، وَأَعْبَرْتُ أَرْضَنَا، وَهَامَتْ ذَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرْتُ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَبْتُ عَجَبَ الشَّكَايِ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدُ فِي مَرَاتِبِهَا، وَالْحَيْنُ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْمَنَ آلَاءِ، وَحَيِّنَ لِحَائِئِ. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَنْبِئَتِهَا فِي مَوَالِحِهَا، اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ أَعْتَكِرَتْ عَيْنَا حِدَائِيرُ الشَّيْءِ، وَأَحْقَقْنَا تَحَايِرُ الْجُودِ، فَكُنْتُ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِيسِ وَلِبَلَاغِ لِلْمُلْتَمِسِ: نَدْعُوكَ حِينَ قَطَعَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَدَمُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَارِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِدُسُوبِنَا، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْتَبِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُعْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُؤْنِقِ، سَحَا وَأَبْلَا، تُخَيِّرُ بِهِ مَا قَدَّمَاتِ وَتَرْدُهُ مَا قَدَّمَاتِ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِلْكُ، مُخَيَّةٌ، مُرْوِيَّةٌ، تَامَّةٌ، غَامَّةٌ، طَيِّبَةٌ، مُبَارَكَةٌ، هَيَّسَةٌ، مَرِيَّةٌ، رَافِيَّةٌ

بَيْتُهَا، ثَامِرًا فَرَعُهَا، نَاصِرًا وَرَفْعًا. تُسَلِّسُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُخْشِي بِهِ الْفَتَنَ مِنْ
يَلَادِيهِ. أَلَمْ تَهْهَنْ سَفِيًّا مِنْ تَعَدُّ بِهَا يَحْدُودَ، وَتَجْرِي بِهِ وَفَدُنَا، وَتُعْصِبُ بِهَا جَبَابَةً،
وَتُضِلُّ بِهَا يَتِيمًا، وَتُعْيِشُ بِهِ مَوْشِيًّا، وَتُسَدِّدُ بِهِ أَقَابِيئَنَا، وَتُسْتَعِينُ بِهَا صَوَاحِبَنَا، مِنْ
بَرَكَاتِكَ الْوَسِيعَةِ، وَغَطَايَاكَ الْحَزِينَةِ سَيِّئَاتِكَ الْمُزْمَلَةِ وَوَحْيِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَأَنْتَ عَيْنُ
سَمَاءٍ مُحْصَنَةٍ، مَذَرَّاءُ هَدِيلَةٍ، يُذَفِّعُ لَوْدُفُهَا لَوْدُفًا، وَيَحْجِرُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ حَبِّ
بَرَقُهَا، وَلَا جَهَامٍ غَارَضُهَا وَلَا قَرَعَ رَبَائِهَا، وَلَا سَفَاكَ ذَهَبُهَا، سَيِّئَاتُهَا يُعْصِبُ لِامْرَأَتِهَا
الْمُعْدِيئُونَ، وَيَحْيَا بِرَكَّتِهَا الْمُتَسَيِّئُونَ، فَبَيْتُكَ تُشْرِكُ لَعْنَتُكَ تَعْدَمُاقُطُوا، وَتُسَرُّ رَحْمَتُكَ وَ
أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قال السيد - رحمه الله - ! قوله عليه السلام «انصاحت جبالك» أي تشققت من
المحمول. يقال: انصاح شئ، إذا اشق. ويقال أيضاً: انصاح السبب وصاح وصَوَّح إذا
جفَّ وَيَسَّ، وقوله «وهدمت دوابك» أي عطشت، واسهيام: العطش، وقوله «حدابير
السبب» جمع حداس: وهي الدقة نبي أصداها السير فشبه اسمه التي فش فيها لجذب،
قال دوالرمة:

حدابير ماتتكم إلا مساحة عني الحسف أو نرمي بها تله أقمر

وقوله «ولا قزع رسابها»: القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب، وقوله
«ولا شمان ذهابها» ونا تصديره: ولأذات شمان ذهابها، والشمان: الريح لبارده،
ولذهاب: الأمطار البينة، فحذف «ذات» لعلم السامع به.

أقون: اعتكرت: اختطبت. والمخايل: جمع مخيلة: للحاجة أنتى ترجى المصر
مها. والمبتس: الحزين. والمبغق والمبغ: السحاب المتصب بشدة. والمغفق: كثير
الماء، ويحتمل أن يريد بالربيع هب: لمطر. والسقيا: بالضم، الاسم من لسقى.
والحلب: السحاب الذي يكذب الظن. واسمرع: المخصب. والبجاد: جمع نجد،
للمرتفع من الأرض. والضواحي البارزة أي: أهل نواحي. والمرقة: القليلة المطر.
والمحصلة: الرطبة. والودق: القطر. والحمام: المطلم الذي لأماء فيه. والمسترون الذين
اصابنهم شدة السمة. وسخاً: مصدر وحا. واسماء المحصلة: المطر بفسه. وفصل واضح.

١١٣ - وَمِنْ شُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَرْسَنَهُ ذَائِعِيًّا إِلَى الْحَقِّ، وَشَهِدَ عَلَى الْخَلْقِ، فَتَلَعَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقْصِرٍ، وَجَهِدَ فِي اللَّهِ أَغْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعْذِرٍ، إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَتَصَرَّ مَنِ اهْتَدَى.

أقول: الوهن: الضعف، والمعدن: المقصر في عذره، واستعار له لفظ البصر: لهداية الحلق به.

مها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَى عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذَا تَخَرَّجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَغْنِيَاكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَتَرَكُنَّ أَمْوَالَكُمْ لِأَحَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِي نَفْسُهُ، لَا يَنْتَقِثُ إِلَى غُرْهَا، وَلَكِنَّكُمْ نَيْسُكُمْ مَا ذُكِرْتُمْ، وَأَمْسُكُمْ مَا حُدِّرْتُمْ، فَتَاءَ عَنْكُمْ رَأْيَكُمْ، وَتَشَتَّ عَنْكُمْ أَمْرُكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَالْحَقِّي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِبَيْنِكُمْ: قَوْمٌ، وَاللَّهِ، مَبِينُ الرَّأْيِ، مَرَاحِجُ الْجِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِتَبْقَى، مَضُوءًا قُدَّمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَعُوا عَلَى الْمُحْصَةِ، فَطُفِرُوا بِالْعَفْصِ الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ، أَمَا وَاللَّهِ لَيَسْتَظِلَّ عَنْكُمْ غُلَامٌ تَقِيفُ الدِّيَانُ الْمَيَالُ: يَأْكُلُ خَضِرَكُمْ، وَيَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ بِهِ أَنَا وَذَخَّةُ

قال السيد رحمه الله: أقول: يودحه: الحفساء، وهذا القول يومئ به إلى الحجاج، وله مع الودحه حديث ليس هذا موضع ذكره.

أقول: ما طوى عنهم غيبه: هي الفتن المستقبلية. وقيل: الأحوال الآخروية. والصعدات: جمع صعيد، وهي: الطرق. وكفى بذلك: عن قوة جزعهم لو علموا ما ميقع. ولقد ضرب الوجه والصدر ونحوه. ونسيانهم ما ذكروا أي: من آيات الله. وقوله: قوم: تفسير لمن هو أحق به منهم، وأراد: من درج من أصحابه رضى الله عنهم. ورأى ميمون: مبرك. وقدماً: بضم الدال أي: متقدمين هي سبيل الله لم ينشوا عنها. الوجيف: سيرفيه سرعة. ولمححة: طريق الله الواضحة. والعرب نصف الكرامة ولعمرة: بالبرد. وغلام

ثقيف: هو الحجاج بن يوسف. من الاحلاف: قوم من ثقيف. والذيات: طويل الدليل
 يسحبها تبختر. وكنى به: عن تكبره و كنى بحضرتهم: عن دياهم. و ايه: كمنه من
 اسماء الأعمال لامر يشدعى بها الحديث او الفعل المعهود، وتسن في الدارح، و اصل
 الودحة: ففتح الدال، ما يتعق نبت الشاة من بعرها، واستعار لفظها: للخصاء. و اقا
 حديثه معها فروى: انه كان يوماً على سجادة له فهدت ليه خفساء، و كان يكرهه،
 فقال: نحوها فانها وذحة من وذوح الشيطان.

١١٤- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَلَا أَمْوَالَ تَبْتَغُونَهَا بِلَدَى رَزَقِهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِيَدَى حَقِّهَا، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ
 عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ، فَانْتَبِهُوا بِسُرُوكُمْ مَسْرِينَ مَنْ كَانَ قَتْلُكُمْ، وَ
 اتَّبَعْتُكُمْ عَنْ أَوْصِلَ إِخْوَانِكُمْ.

أقول: تكرمون الله: أى يعظمكم عباد الله بطاعته، و دحولكم في دينه. و اصل
 احوانهم: هى الدنيا. و روى: اصل أى: اقربهم اليه اصلاً. و روى: اوصل. و المصل طهر.

١١٥- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَ الْإِخْوَانُ فِي الْمَدِينِ، وَ الْحُسْنُ يَوْمَ النَّاسِ وَالْبَطَانَةُ دُونَ
 النَّاسِ، بِكُمْ أَصْرُ الْمُدْبِرِ، وَ أَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُتَاصِحَةِ خَلِيقَةٍ مِنَ الْوَيْسِ؛
 سَلِيمَةٍ مِنَ الرِّيبِ؛ قَوْلُهُ إِنِّي لَأَوَّلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

أقول: البجة ما استترت به من السلاح. و بطانة الرحل: خاصته. و الريب: الشك.

١١٦ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكرتوا ملأ

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بِالْكُمِ أَفْخَرُشُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سَكِرَتْ سِرْنَا مَعَكَ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا بِالْكُمِ لَا سُدُّنَا لِرُشْدِهِ، وَلَا هُدْيُنَا لِقَصْدِهِ؟ أَفَى مِثْلِ هَذَا يَتَّبِعُنِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُخَّاعِيكُمْ وَدَوَى بِأَيْسِكُمْ، وَلَا يَتَّبِعُنِي لِي أَنْ أَدْعَ الْبِضْرَ، وَالْبُخْدَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجَبَابَةَ الْأَرْضِ وَأَنْقَصَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُضَالِيينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَيْبَةٍ أَتْبَعَ أُخْرَى أَنْفَلَنْ تَقْلَمُ الْعِدْجَ فِي الْحَفِيرِ الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنْ فَطَبَ الرَّحَى: تَذَوُّرُ عَلَيٍّ وَأَنْ يَسْكَانِي، فَبَدَا فَارَقَتْهَا اسْتَحَارَ مَذَارُهَا، وَأَصْطَرَبَ ثَمَالُهَا هَذَا - لَنَعْمَ اللَّهُ - الْتَرَأَى السُّوءُ!! وَلِلَّهِ لَوْلَا رَحْمَتِي اسْتِهَادَةٌ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَحَصْتُ عَنْكُمْ، فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا أَحْنَفَتْ جَنُوبُ وَشَمَالُ، إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ، مَعَ قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْتِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَذَابٌ، مَنْ اسْتَقَامَ فَالَى الْحَيَّةِ، وَمَنْ ذَلَّ فَالَى النَّارِ

أقول: الحَضُّ: التحريض. والكَيْبَةُ: الحيش. والقِدْحُ: السهم قبل ان يراش. ولجُمُير: الكسانة أوسع منها، واستعار لنفسه: لفظ القطب باعتبار دوران رحي الإسلام عليه. واستحارَ تَرَدَّد، واصطرب. وثقال الرحي: الجلد الذي توضع عليه لحفظ الدقيق. وحَمَّ: قَدَّر. ولقَرَّبْتُ: جواب لولاء، وحواب لوز مقدر فيما قبلها.

١١٧ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قَالَ لَقَدْ عَيَّمْتُ تَلْيِغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِنَّمَا الْعِدَابُ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكْمِ، وَصِيَاءُ الْأُمَمِ، أَلَا وَإِنْ شَرَّاعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلُهُ قَصِيدَةٌ، مَنْ أَحْدَثَهَا لَجِقَ وَعَيْمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا ضَلَّ وَتَدِمَ أَعْمَلُو لِيَوْمَ تَذْخِرُهُ الدَّحَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ

السَّارِيرُ، وَمَنْ لَا يَنْقَعُهُ حَاصِرُهُ لَيْسَ فَعَارِيَهُ عَنْهُ أَغْرُ، وَغَايِبُهُ أَغْوَرُ، وَنَمُّوا نَبْرًا حَرْهَا شَدِيدٌ، وَفَعَّرَهَا تَعَدَّى، وَجَلَّتْهَا حَدِيدٌ، وَشَرَانَهَا صَدِيدٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ حَيْرَةً مِنْ لَمَالِ بُورِهِ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

اقول : علم تبليغ الرسالات: علمه بكيفية ادائها، بحسب كل فهم. واتمام لعدات
 اى: من الله تعالى لعباده لصاحبه، وتمام الكمالات: تفسير كلام الله وتأويله. وضيء
 الامر: ببيان الامور المشتهية في الدين. استعار لفظ الشرائع والمسبل: لقوانين الدين
 ولأتمته، لأنهم موارد الحق، يعترفون بها فرات العلم والحكمة واحدة، اى: من مفسدها
 وغايتها. وقاصدة لاجور فيها. والذخائر: الأعمال الصالحة. وابتلاء السرائر: اختبارها
 بالسؤل في محفل السقاية. ومن لا يشفعه حاصر ليه، اى في الحية الدنيا. فعاربه اى:
 حين الموت اعوز اى: أشد فويتا لمصغته. وقوله: وحيتها حديد: كلساسل والاعلال.
 وللسان الصالح: هو الذكر الجميل نفع الحمر.

١١٨ - وَمِنْ حُظِيَّةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهت عن لحكومة ثم أمرت بها، فم بدرأى
 الأمرين أرشد؟ فصق عليه اسلام إحدى يديه على الأخرى ثم قرأ:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكْتُ الْعُقْدَةَ! مَا وَاتَى لَوَاتِي جِبْنَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَسْتُكُمْ عَلَى
 الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا: فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنْ أَغْوَحْتُمْ قَوَّيْتُكُمْ، وَإِنْ
 أَنْتُمْ تَذَارَكْتُمْ لَكَائِثِ الْوُقُوعِ، وَلَكِنْ يَمْ؟ وَالْأَيُّ مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدْوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ
 ذِي، كَذَيْبِ اسْتَوَكَيْتُمْ بِالسُّوَكَةِ، وَهُوَ يَغْمُ أَنْ صَلَّعَهَا مَعَهَا.

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَأْتَ أَطْيَاءَ هَذَا الدَّاءِ الْدَّوِيَّ، وَكَلَيْتَ السَّرْعَةَ بِأَشْطَرِ الرُّكِيِّ أَيْزِ الْعَوْمِ لَيْدِي
 دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْفُرْقَانَ فَأَحْكُمُوهُ، وَهَيَّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّهُاج
 إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَبَّوْا الشُّيُوفَ أَعْمَدَهَا وَأَحْدَوْا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ رَحْمَةً وَرَحْمَةً صَفًا؟
 نَعَصَ هَذَا وَبَغَضَ نَحَا لَا يَبْسُرُوبَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يَعْرُودُ بِالْمَوْتِ، مُرَّةَ الْعُودِ مِنَ الْبُكَاءِ،

خُصُّ الْبُطُونِ، مِنَ الصَّيَّامِ، ذُلُّ الشَّمَاءِ مِنَ الدَّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنْ لَسَهْرِ، عَلَى وَجْهِهِمْ
عُبْرَةُ الْحَامِئِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي إِذَا هُمُورٌ، فَحَقٌّ تَمَّا أَنْ نَطْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَمَعَصُ الْأَيْدَى عَلَى
فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّ لَكُمْ طَرَفَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِيْنَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْصِيَكُمْ
بِالْخَمَاعَةِ الْفُرْقَةِ، فَاصْطَفُوا عَنْ نَرَعَاتِهِ وَنَفْسَاتِهِ، وَاقْبَلُوا الصَّبْحَةَ مِنْ أَهْذَاهَا، بِإِيْكُمْ،
وَأَغْمِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

أقول: كان عليه السلام انهاهم عن الحكومة حين طلبها اهل الشام، فلما غلبه عليها
اكثر اصحابه، رجع اليها فبقيت الخورج على انكارها، وقال له بعضهم: كنت نهيتا،
الى قومه ارشد، فصفق بأحدى يديه على الاخرى: فعل المعضب النادم. والعقدة: ما
عقده واحكمه من الرأى فى البقاء على الحرب، وهى: المكروه الذى لو حملهم عليه لحمل
الله فيه الحبر، وهوى الضمر وسلامة العقبة وتفويمهم وتداركهم: بما يمكن كالضرب
والقتل ونحوه. وقوله: لكاتب الوثقى: سعة المحكمة ولكن بمن اى: بمن اغفل
ذلك من الأعوان، والى من ارجع فيه. وقوله: كما قس الشوكة الى قوله: معها: كالمثل
يضر ب لمن يستعان به، وميبة مع لمستعد عليه. واضلع: بفتح الضاد وسكون اللام:
الميل، واصه: ان الشوكة لما تلتها احتها ربما انكسرت فى عضو لانسان معها، فكأنه
يقول: كيف استعين ببعضكم على بعض مع اتحاد طباعكم ومل بعضكم الى بعض.
واستعار لفظ الداء الدوى: لما يتم عليه من مخالفة امره. ولعط الاطباء: لنفسه واعوانه،
وكذلك لفظ السزعة: وجهها انه يتزع لهم ووجه الآراء الصالحة كما ينتزع المستقى
الدلو من البشر. والوله: اشد الحزن. وتولييه القناح: ولادها: تفرقهم بينها كركوبها
فى الحال، ونصب اولادها بحذف الحاء اذ لا يتعدى الفعل الى مفعولين بنفسه. و
اغمادها: بدل من السوف. وقوله: لا يشرور، الى قوله: القتل: كاية عن شدة تجذدهم
لجهاد حتى لا يعتنوا بحياة حتى منهم فيشرور به او يعززون عنه. وعين مبارهة: اذا
فسدت. والمرة: الجمع. وستى لكم: كذا حسه وسهله. وعقد الدين: ما انحكم منه
فى النفوس فعقد. وصدف على الأمر: أعرض عنه. ونزعات الشيطان: حركاته بالافساد
بين الناس. ونفاته، الفء وساوسه فى الصدور واعقلوها: احبسوها.

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام: أَكُلُّكُمْ شَهِيدٌ مَعْتًا صَفِيٍّ؟ فقالوا: منا من شهد ومنا من لم يشهد، قال: فَاثْبَارُوا بِرَقَّتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صَفِيٍّ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكَلَّكُمْ كَلَامُ بَكَلَامِيهِ؛ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَقِيلُوا بِأَفْيَظِّبْكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ تَشَدَّدَ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعَيْنِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلِمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْهُ:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمُصَاحِفَ - حِيلَةً وَغِيثَةً، وَمَكْرًا، وَخِدْعَةً - إِنْ خَوَّاتُ، وَأَهْلُ دَعَوْتِ: أَشَقُّ لَنَا، وَاسْتَرَأَوْا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ شُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقْبِمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالرَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَصُوا عَلَى الْجِهَادِ بِتَوَاجِدِكُمْ، وَلَا تَنْتَفِتُوا إِلَى نَاقِيٍّ نَقَى إِنْ أُجِيبَ أَصْلٌ، وَإِنْ تَرَكْتُ ذَلِكَ. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَعْنَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَغْطِشُوهَا وَاللَّهُ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجِئْتُ عَلَى قَرِيبَتِهَا، وَلَا حَمْلِي اللَّهُ ذَنْبَهَا، وَاللَّهُ إِنْ حُثَّتْهُ إِنْئِي لِلْمُجِقِّ الَّذِي يُسْعَى، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعَى: مَا وَرَقْتُهُ مُذْ صُجِّتُهُ؛ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ لَقُلْنَا لَنِدْورُ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ فَلَا تَرْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ، وَصَرًّا عَلَى مَقْصُصِ الْجَرَاحِ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الرِّبْغِ وَالْإِغْوِاجِ وَاسْتَهْجَةٍ وَلِتَأْوِيلِ، فَإِذَا ظَلِمْنَا فِي حَضْرَةِ يَلْمُ اللَّهُ بِهَا شَعْنًا، وَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْقِيَةِ يَمَّا يَتَنَاءَى رَغْنًا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

أقول: طاهره ايمان: لانه اجتهد في الدين. وباطنه عدوان: اذا كان حيلة لظلم والغلبة. واوله رحمة: مكرم لهم، و آخره ندامة: منكم، عند تمام الحيلة عليكم. وشأنهم وطريقهم: ما كانوا عليه من الرأي في الحرب. والعض عليه بالواجد: كساية عن لرومه. والساق: معاوية، وعمر بن العاص. وقوله: ولكنا، الى آخره، اي: نا الآن لا نقاتل على ما كنا نقاتل عليه من الكفر في أول الدين، ولكنا اصبحنا نقاتل على ما دخل

فيه من الريغ ولشهة بالتأويل، وغرضنا الاقوى هو قيام الدين. خصلة: ينتظم بها امره، و
يجمع الله بها ما تفرق من امر المسلمين، ويتقاربون بها الى ان يبقوا بينهم شيئاً من الألفة
ولا اجتماع فى الحق، وجب ان يسارع اليها، وتلك الحصلة ما كان يرحوه من تمام
الصلح، ورجوع الفئة الباغية الى الحق.

١٢٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِأَصْحَابِهِ فِي سَاعَةِ الْحَرْبِ

وَأَيُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةً جَاشَ عِنْدَ الْمَلَأَةِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ
إِخْوَانِهِ فَشَلَّاءَ فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ، بِفَضْلِ تَجَدُّدِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ.
فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يَعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنَّ
أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَلَيْدَى نَفْسٍ أَتَى أَبَى طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفَ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَى عَلَى مِنْ
مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ.

أقول: جاش القلب: روعته واضطرابه، من الفزع. ورباطته: ثباته. والنجدة: فضيلة
تحت الشجاعة. ورغب فى الاقدام للحرب بضميرين: صغرى الاول، قوله: ان الموت،
الى قوله: الهارب، وتقدير كبراه، وكل ما كان كذلك فلا ينبغي المرارته، اذ لا فائدة
فيه، وصغرى الثانى، قوله: ان اكرم الموت الى آخره. تقدير الكبرى: وكل ما كان اكرم
الموت الذى لا بد منه فينبغى ان يموت الانسان عليه.

١٢١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَيْكُمْ تَكِيُفُونَ كَشِيشَ الصَّبَابِ، لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَلَا تَمْتَعُونَ ضِيْمًا! قَدْ
حُبِّبْتُمُ وَالطَّرِيقَ. قَالَتِجْدَةُ لِلْمُعْتَمِدِمْ، وَلَهْلَكَهُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

أقول: كشييش الصباب: صوت حاك حبلودها بعضها البعض، وكنى بذلك: عن

حالهم في الازدحام في الهزيمة. والطريق: طريق الآخرة، ونصب على المفعول معه. والنجاة للمقتحم، أي: لمقتحم الجهاد. والمتوقف: المتوقف عن سلوكها وإراد: الهلاك الآخرى.

١٢٢- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدْ مُوا الدَّرْعَ، وَأَحْرُوا الحَاسِرَ، وَعَضُوا عَلَى الْأَصْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ نَسَى لِلشُّبُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَاتَّقُوا فِي أَطْرَافِ الرَّمَاكِ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ، وَعُصُوا الْأَنْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْطَ لِلْجَاشِ، وَأَسْكُرُوا لِلْقُلُوبِ وَأَيْتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلنَّفْسِ، وَزَانَتْكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا، وَلَا تُحْلُوها وَلَا تُحْمَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُرُوبِ الْحَقَائِقِ، هُمْ الَّذِينَ يَحْفَونَ بِرَأْيَاتِهِمْ، وَيَكْتَسِفُونَهَا: حِفَافِيهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسِيمُوهَا، وَلَا يَتَفَتَّحُونَ عَنْهَا فَيَفِرُّوهَا

أَخْرَأَ أَمْرُؤُوهُ، وَآمَسَى أَحَاهُ نَفْسِهِ، وَنَمَّ بِكُلِّ قِرْنَةٍ إِلَى أُخْبِيهِ فَيُخْتَمِعُ عَنْهُ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أُخْبِيهِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ لَئِنْ فَرَسْتُمْ مِنْ سَنَفٍ أَلْعَلَّه لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَنَفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهُامِمْ الْعَرَبِ، وَالسَّامِ الْأَعْظَمِ. إِنَّ فِي الْبَرَارِ مَوْجِدَةً، وَبِئْسَ اللَّارِمْ، وَلَعَارَ الْبَاقِي، وَإِنَّ الْقَرَّ لَعَرٌّ مَزِيدٌ فِي عُمَرِهِ، وَلَا تَمْخُجُوزِ بَيْتَهُ وَتَبْرُكُ يَوْمِهِ. الرَّايِحُ إِلَى اللَّهِ، كَمَا طُنَّابِي يَرُدُّ السَّمَاءَ، الْحَمَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَجْبَارُ، وَاللَّهُ لَا آسُوقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. ائْتَهُمْ فَإِنَّ رَدُّوا الْحَقَّ فَاقْصُصْ حِمَاغَتَهُمْ، وَشَتَّتْ كَيْبَتَهُمْ وَأَنْسِلُهُمْ بِحَظَايَاهُمْ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ ظُلْمِ دِرَاكِ يَخْرُجُ مِنْهُ السَّيِّمُ، وَضَرْبُ يَمْلُوقِ الْهَامِ، وَيَطْبُحُ الْعِطَامِ، وَيُبْدِرُ السَّوَاعِدَ، وَلَا فَنَادَمَ، وَحَتَّى يُرْتَمَوْا بِالْمَتَابِرِ شَيْعَتِهَا الْمَتَابِرُ، وَيُرْجَمُوا بِالْكِتَابِ تَعَفُّوْهَا الْعَلَابِثُ، وَحَتَّى يُجَرَّيْلَ دِيَهُمُ الْحَمِيمُ يَتْلُوهُ الْحَمِيمُ، وَحَتَّى تَدْعُو الْحَبُولُ فِي نَوَاجِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْيَانِ مَسَارِيهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ.

أقول: صدر الفصل معهم كيفية الحرب، وبته عسى امرأ صغراه. وقوله: فانه، الى

تعمد الكلام وقد سبق مثله والحاسر: المعاري من الدرع. وامور: اشد حركة ومفودا. والمور: احركة. وفائدة غصّ البصر: انّ مده الى العدو يوجب انفعالا عنه، وربما خيف على البصر من بريق الصال والامسة. والذمار: ما يحمله الرجل. والحقائق: كناية عن الامور لشديده التي حتى نزلها ووجب في القدر. وحماها الشيء: حانها.

وقوله: أجراً وآسى: خيران في معنى الامر. ولهاميم: الاشراف جمع لهم. والموجدة: الغضب. وكالطمان: في محل الرفع صفة لريح اي: من يروح الى الله بهذه الصفة. والموالي: جمع عالية لبقاء. ولاخبار المبلولة: اخبار بواطن اهل الحرب يختبرها والضمير في لقائهم لاهل لثام. وابسلمهم: اسلمهم للهلكة. ودراك، اي: متدارك. والمنسر: القطعة من الجيش. والحلائب: جمع حلوبة اي: حتى يرموا بالكتائب في الحيل يتبعها الأمل. وقيل: الحلائب جمع حلبة وهي: النخيل، يجمع للسباق وفي الحرب. والخميس: الجيش. ولدعق: الدق. وبواحرارصهم: واخرها واقاصيها جمع نحرة. واعنان مساربهم: نواحي مراعيهم.

١٢٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التحكيم

في معنى الحوارح لما اذكروا تحكيم الرجال ويزم فيه اصحابه قال عليه السلام

إِنَّمَا نُحَكِّمُ الرَّجُلَانَ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ
اِثْنَيْتَيْنِ، لَا يُطْلَقُ بِلِسَانٍ، وَلَا يُدْرَأُ مِنْ تَرْخُمَانٍ، وَإِنَّمَا يُنْطَلَقُ عَنْهُ الرَّجُلُ، وَلَمَّا دَعَا الْقَوْمُ
إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنْ الْمُرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ
مُسْتَعَانَةً: (فَبِئْسَ تَارَغُثٌ فِي شَيْءٍ قُرْآنُهُ إِلَى اللَّهِ وَلِرَسُولٍ) فَدَرَّهَ إِلَى اللَّهِ: أَنْ تُحَكَّمَ بِكِتَابِهِ،
وَرَدَّهَ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ تَدْحُدَّ بِشَيْئِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِلِطْفِ اللَّهِ فَتَحَرَّ أَحَقُّ سَائِسٍ بِهِ.
وَإِنْ حُكِمَ بِسُوءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَحَرَّ أَوْلَاهُمْ بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجْلاً فِي الْحُكْمِ، فَإِنَّمَا جَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَبَيَّنَ

الجاهل، وَيَسْتَكْتِ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَضْحَكَ فِي هَبِّهِ الْهُدَى أَمْرُهُبِهِ الْأُمَمِ، وَلَا تُؤَوِّدَ بِمُكْتَاطَمَهَا، فَتَمُحَقَّ عَنْ نَسْتِ الْحَقِّ، وَتَسْتَدَّ لِأَوَّلِ الْعَمَى إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَتْ أَعْمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ—وَأَنْ تَفْضَهُ وَكَرْهَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَرَنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَبَيْدَهُ وَزَدَهُ، أَيْلَ يُقَاتَهُ بِكُمْ؟ مِنْ أَيْلَ يُبْتَلَى؟ اسْتَعِيدُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا تُبْصِرُونَهُ، وَمُورِعِينَ بِالْخَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ! جُمَاعًا عَنِ الْكِتَابِ، نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَيْثَمٍ يُغْنُو بِهَا، وَلَا رَوَاقٍ عَزِيزٍ يُغْتَضَمُ إِلَيْهِ، لَيْسَ خَشْشٌ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَفْ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُمْ مِنْكُمْ تَرْحًا! تَوْمًا! أَدَابَكُمْ، وَيَوْمًا! تَأْجِبَكُمْ! فَلَا أَخْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ التَّدَايِ، وَلَا إِخْوَانُ يَفْقَهُ عِنْدَ التَّجَاوِي. أقول: الفصل من أوله، الى قوله: اولاهم به: جواب لما انكره الحوارج من موافقته عليه السلام على التحكيم. وقوله: ليمتتين الجاهل، اى: طريق لحق، والهدية: الصلح. والكظم: محجى النفس والاحده، كساية عن الاعحال والاخذ بغتة. فانه عليه السلام لو احدهم بالصنا بعتة الحأهم الى لروم صلالهم من عورترو، وذلك يحالف مقصود لشارع من جمع الحلق على الدين. وكرهه ومن الباطل: متعلق باحب. وموزعين بكنا اى: مغرين به. وجفلة عن كتاب الله، نسوا فيهاهم عنه. ونكس: يضم لكاف وسكونها جمع ككوب وهو كثر الخدول عن الطريق. والوشعة ما يوثق به عبد السندان، وزواجر لرحل. نصاره وعشيرته. والحناش: ما يحترق به النار اى توقد. والترج: الحزن. وروى: يرحا اى: شدة. وتوله: يوما، الى آخره، اى: يوما نديكم لئصرة فى الدين، و يوما اساركم فيه بالصيحة والمشورة بالرأى فلا حرار صدق عبد لئداء: اد شأن: حترآن يحصر من وثاق اللانمة والتقصير: ولا اخوان يوثق بهم: فيما يسر اليهم ويلقى من الصيحة، اد كانوا يمشون سره ولا يعبون نصيحته.

١٢٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما غوث على نصرة الناس اسوة فى العطاء من غير تفصيل
اولى الساقات والشرف فقال:

أَنْتُمْ مُرَوِّى أَنْ أَظَلْتُ التَّصْمِرَ بِالْخَوْرِ وَبِمَنْ وَلَيْتَ عَلَيْهِ؟ وَأَنْتُمْ مَا أَصَوْرُ بِهِ مَا سَمَرْتُمْ مَبِيرُ،

وَمَا أَمْ نَجْعُ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، لَوْ كَانَ الْمَلِكُ لِي لَسَوَّيْتُ لَنَجْمًا؛ فَكَيْفَ وَأَيْنَا الْمَلِكُ مَا؟
 اللَّهُ! أَلَا وَإِنَّ عِظَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدِّينِ وَ
 يَصْعَقُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهَيِّئُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ أَمْرًا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا
 عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَزَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِعَبِيدِهِ وَذُلُّهُمْ، فَإِنَّ زَلَّتْ بِهِ الشُّمُورُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ
 إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرَّ عَبِيدٍ، وَالْأَمُّ حَلِيلٍ.

أقول: التسوية: سمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولزمها ابوبكر، فلما فضل من
 بعده، اعتاد كبار الأمة ذلك، فلما ترك عليه السلام التفضيل، شق على القوم وتآمرت
 أضعافهم. حتى كان من طلحة والريبر وغيرهما ما كان من نكث البيعة، والحلاف عليه.
 والبصر: نصر الناس له. ولا طوره به أي: لا اقربه. والسمير: الدهر. يقل: لا افعله ما سمر
 سميراي: الدهر كنه، وكذلك لا افعله ما سمر باسمير، وهما: الليل والنهار. والتبدير،
 ولاسراف: رذيلة الافراط من فضيلة السعد، وظهر أن الرذائل سبب للاهانة عند الله في
 الآخرة. والضمير في أهله: للمال. وبأجرى أن يمنعه الله شكرهم إذا عدل عنهم بما هم
 به أحق ويلحقه خذلانهم. وقيل: أراد بالذين بمنعه الله شكرهم: الذين اعطاهم المال من
 غير أهله، ويوح من سر ذلك: أن إعطاء المال لغير أهله يكون أما رغبة أورهة للمعطي
 من دون الله، ونظر الآخذ إلى تلك الجهة يمنعه عن الشكر، وبصرفه عن معونة المعطي.

١٢٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيْضًا لِلْحَوَارِ

فَإِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَرْغُمُوا إِلَى أَعْطَاتٍ وَصَلَّتْ قَبِمَ تُصَلُّونَ غَاثَةً أُمَّةً مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِحُطْبِي وَتُكْفَرُونَهُمْ بِدُنُوبِي؟ ١؟ سُبُوحُكُمْ عَلَى عَوَائِمِكُمْ
 تَقْصُوبُهَا مَوَاصِعَ الْبُزْءِ وَالشَّقَمِ وَتَحْطِيطُونَ مَنْ أَدَّتْ بِمَنْ لَمْ يَذِيبْ، وَقَدْ عَيْمَنْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَمَ الرَّائِي ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَثَةُ أَهْلُهُ، وَقَتْلَ لَقْدِيلٍ وَوَرَثَ مِيرَانَهُ
 أَهْلُهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الرَّائِي غَيْرَ الْمُتَخَصِّنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْقِيَمِ، وَكَسَحَا

الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِدُيُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَسْتَهْلِكْهُمُ سَهْلَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تُخْرِجْ أَسْمَاعُهُمْ مِنْ تَبِينِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ الدَّسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ قَرَامِيَّةً، وَصَرَّتْ بِهِ تَبَهُةً.

وَسَهْلُكَ فِي صِنْدِن: مُحِبٌّ مُقِرٌّ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبِصٌّ مُقِرٌّ يَذْهَبُ بِهِ الْبُصْرُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَبَرُ الدَّسِ فِي حَالِ اسْمُطُ الْأَوْسَطِ قُلُومُهُ، وَلَرْمُوا اسْوَادَ الْأَعْظَمِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِسَيِّطَانٍ، كَفَّ أَنْ الشَّاذَّ مِنَ الْعَمَةِ لِيَدْنُسَ الْأَمْنَ دَعَا إِلَى هَذَا اسْتِغَارَ فَأَقْتُلُوهُ، وَلَوْ كُنْتُ نَحْتُ عِمَامَتِي هَذِهِ. وَنَمَا حُكْمُ الْحَكَمَانِ لِيُخْبِيَا مَا أَخْبَا الْقُرْآنُ، وَيُخْبِي مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَأَخْبَاؤُهُ إِلَّا جُتِمَا عَلَى، وَأَقَاتَنَهُ الْإِفْرَاقُ عَنْهُ: فَإِنْ جَرَى الْقُرْآنُ لِيَهُمُ اتِّغَاهُهُمْ وَنُ جَرَهُمْ إِلَيْنَا أَتَعُونَا، فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا، وَلَا خَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَسْتُ عَنْكُمْ، إِنَّمَا أَتَمَعْتُ رَأَى مَلِكَكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَحْلَيْنِ أَحَدُنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَغَدَّ بِمَا لَقُرْآنَ فَتَأْكُلَهُ عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِي، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَى عَنْهُ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِغَارُونا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْقُدْلِ، وَالصُّمْدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا وَخَوَرَ حُكْمُهُمَا.

أقول: كانت الخوارج تقول: الله عليه السلام: ضلّ واحطأ هي التحكيم، وكن محصى كافر، وكنوا يقتلون حين اعتراضهم عنه من خالف اعتقادهم، فسين عليه السلام كذب رأهم: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخرج احدا من الاسلام بدنب ارتكبه، بل كان يجزيه على احكام المسلمين، ويؤاخذ به بما فعل، واصمير في قوله: وكجا: يرجع الى السارق، والزاني. وفي قوله: فأخذهم: رجع الى كل من جرى ذكره من المذنبين، واصمير في اهه: يرجع الى الاسلام، ومرامى الشيطان: الحصايا والمعاصي. وتبهه: حيث لا يهتدى الصالح لوجه الحق والعلو في حبه: طرف الافراط من فضيلة محبته كما عليه الغلاة، وفي بغضه: تفريط كما عليه الخوارج، وكلاهما رذيلتان يستلزمان الكفر والهلاك، لا خروى، والسمط الاوسط: اهل فضيلة العدل في محبته، وفي الحديث (حير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي، ويرجع اليهم العالي)^١

١ - مجمع البحرين ٤/ ٢٧٦.

والسواد الأعظم جمهور المسلمين المتعقبين على عمود الاسلام، المتمسكين بسنة الله. و
استعار لفظ ليد: لعناية الله. والشعار: شعار الخوارج من مفارقتهم، لجماعة وما ارتكبه من البدعة.
وقوله: ولو كن تحت عمامتي هذه، قيل: اراد ولو كنت انا ذلك. وقيل: انه مبالغة
في صفة من كان بناية القرب منه والعناية به. والبجر: الشر ولامر العظيم. والحن:
الخديعة. والصمد: القصد. وسوء رايهما: مفعول به لما يسبق.

١٢٦ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فما يخبره عن الملاحم بالبصرة

يَا أَشْتَفْ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْحَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ عُيَارٌ وَلَا تَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةٌ
لَهُمْ، وَلَا حَمَمَةٌ خَيْلٍ يُسْرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ أَقْدَمُ النَّعَمِ.
يوميء بذلك إلى صاحب الزنج. ثم قال عليه السلام: وَيَلَّ يَسْكِكُكُمْ الْقَامِرَةَ،
وَالدُّورَ الْمُزْعَرَفَةَ، أَلَيْسَ لَهَا أَجْنَحَةٌ كَأَجْنَحَةِ اسُّورَ وَحَرَاطِيمِ كَحَرَاطِيمِ الْبَيْلَةِ، مَنْ أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَا يَنْتَدِبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يَنْتَقِدُ عَائِبُهُمْ؟ أَلَا كَأَنَّ الدُّنْيَا لِيُوجِّهَهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا،
وَيُدِيرُهَا بِعَيْنَيْهَا.

أقول: الملحمة: الواقعة العظيمة، الفتنة. والاشارة في ذلك: إلى صاحب الزنج، و
فتنته بالبصرة مشهورة، والحيش بالصفة المذكورة هم: الزنج، لأنهم لم يكونوا أصحاب
خيال. واللجب: الصوت الهائل، وشبه قدامهم: ساقدام العام باعتبار عرض صدورهم، و
تفرق اصابعهم وقصرها. والسكة: المحلة، واستعار لفظ الاجنحة: للقطاعات،
والحراطيم: للمياديب من الحشب والخوص المقيرة. وقوله: لا يندب، الى قوله: عائبهم،
قيل: اراد: أنهم لا ينالون بالموت والقتل لشدة بأسهم، وشبه ان يكون ذلك، لأنهم عرباء
مجتمعون لاهل لأحدهم يكيه ويفتقده. وقوله: ان كات الدنيا، الى آخره، كناية: عن
زهده فيها عن علم بها وبقدرها وما خلقت له، يقال: كسبت فلانا لوجهه اذا لم يتعت

اليه. وقدرها: مرلتها في أعين المعترين التي وضعها الله عنه. وعينها: هي العين التي ينبغي ان يعتبر بها وهي عين البصرة.

١٢٧- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يؤمى به إلى وصف الأتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ؛ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدَّبَّاحَ، وَيَنْتَقِبُونَ الْحَبْلَ الْعَتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِخْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمُوتَ الْمَخْرُوحُ عَلَى الْمَقْنُوبِ، وَيَكُونُ الْمُخْلَبُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم العصب! فصحك عليه السلام، وقال لرجل وكان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْبٍ، تَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلَمُ مِنْ ذِي عَيْنٍ! وَإِنَّمَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَعْلَمُ السَّاعَةَ) الْآيَةُ قَبْلُكُمْ مُبَاحَةً مَا فِي الْأَرْحَامِ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَفَيْسِجٍ أَوْ حَمَلٍ، وَسَحْيٍ أَوْ تَحِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي الدَّارِ حَظًّا أَوْ فِي الْحَبَابِ لِلْيَسِيِّ مُرَافَةً، فَعَلِمَ الْغَيْبَ الْبَرَى لَا يَقْلُمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا يَسُوذُ ذَلِكَ فَعِلْمُ اللَّهِ تَبَيَّنَ فَعَلَمْنِيهِ، وَذَعَا لِي بِأَنَّ يَمَنَهُ صَدْرِي، وَتَضَعَمَ عَلَيْهِ خَوَائِجِي. أقول: المحاذ. جمع مجن، وهي: الترس. واسطرقة: تضم المسم وتحصف الراء وفتحها، التي اطرقت بالجلود والعصب أي: البست. والسرق: شقق الحرير، واحداثها سرقة. ويعتقبون الخيل أي: يحتبسونها ويرتطونها. والعنق: الحمال، وقرس عتيق: رائع. واستخر القتل: اشتد. وشبه وجوه المجان: باعتدات أساعها واستدانتها، ووصف كونه مطرقة: باعتبار غصصها، وكثرة لحمها. ونبه عليه لسلام، عسى الفرق بين علم الغيب وعبره، بما يعود خلاصته إلى أن ما كان بواسطة معلم ومفيد فيس بعلم عيب، وما كان دون واسطة فهو علم عيب.

١- سورة لقمة ٢ / ٣٤

٢- حنية الأول ٦٠ / ٦٨. كبر العمل ٦٦ / ٣٩٨. مستدرک لحاکم ٣ / ١١٠. كذبه الغالب ١٠٩ / ١٠٩.

عَبَدَ اللَّهَ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمَلُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَتُؤَيِّدُ مُوَحِّلُونَ، وَمَتَبَشُونَ مُقْصِفُونَ، أَجَلٌ مَقْصُوفٌ، وَعَمَلٌ مَحْضُوفٌ، قُرْتُ ذَائِبٌ مُصْبَغٌ، وَرَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ. وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزِيدُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَالشَّرُّ فِيهِ إِلَّا قُبَالًا، وَاسْتَظَنُّوا فِي هَلَاقِ النَّاسِ إِلَّا ظَمَعًا. فَهَذَا أَوَّلُ قَوِيَّتِ عُدَّتِهِ وَعَمَّتِ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَّتِ فَرِيَّتُهُ. إِصْرِبْ بِظَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: هُنَّ تُصِيرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكْبِدُ قَفْرًا، أَوْ غَنِيًّا يَذَلُّ نِعْمَةً اللَّهُ كُفْرًا، أَوْ بَجِيلًا اتَّحَدَ الْبُحْنَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَ بِأَدْيِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرًّا؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَخْرَازُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرَّغُونَ فِي مَكَاسِيهِمْ؟ وَالْمُسْتَرْهُونَ فِي مَدَاهِيهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ طَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيَّةِ وَالْعَاحِلَةِ الْمُتَعَصِّةِ؟ وَهَلْ حُلِفْتُمْ إِلَّا فِي حُسَانَةٍ، لَا تَلْتَقِي بِدَمَتِهِمُ الشُّنَابُ اسْتِضْعَارًا لِقُدْرَتِهِمْ، وَدَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِذَا هُوَ وَإِنَّا نَبُو رَاجِعُونَ: ظَهَرَ الْمَسَادُّ فَلَا مُشْكِرٌ مُعَبَّرٌ، وَلَا رَاحِرٌ مُرْذِحِرٌ! أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُحِبُّوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعْرَ أَوْلِيَايَاهُ عِنْدَهُ؟ هَبْهَا! لَا تُحْدِثُ اللَّهَ عَنْ حَتِيَّتِهِ وَلَا تُدَلِّقُ مَرْصَأَهُ وَلَا يَطَاعِيَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ لَا مِيرِينَ بِالْمَعْرُوفِ السَّارِكِينَ لَهُ، وَاسَاهِينَ عَنِ الْمُتَكْرِ الْعَمِيلِينَ بِهِ.

اقول: أتوباء: جمع توبى وهو الصبغ. ومديون: عليهم دين واراد كونهم مكلفين بأمور تقتضى منهم وتطلب وهي: وامر الله. وتبته بقوله: قرب ذائب اى: مجده في العمل مطيع على اذنية اهل طاعة الله وان كثر عملهم. وروى: مضجع، ومعناه: ان العامل قديداً في عمله لله لكنه يكون مصعباً لعمله، لجهله بكيفية ايقاعه واتيانه به على غير وجه المرمى، وكذلك قوله: ورب كادح خاسر، والكدح: العمل. واستعار لفظ الفريسة للانسان: باعتبار استيلاء الشيطان عليه واهلاكه له. وقوله: اصرب بظرفك الى قوله: وقر، شرح لاتوع الشر وازديد اقباله. والوقر: المال. ولتمترد: الخارج عن الطاعة. والوقر: الضمم. وبحشاة: الشغل والردى من الشئ. واستعار لفظه لأهل الزمان. وباقي الفصل واضح.

١٢٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الرinde

يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ عَصَيْتَ اللَّهَ فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنْ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَجَفَّتْهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَارْكُ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَهَرُثَ بِمَا جَفَّتْهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَخَوَجَّهُمْ إِلَى مَا مَنَعَتْهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَمَسْتَعْلَمُ مِنَ الرَّايِحِ عَدَاءُ، وَلَا أَكْثَرُ حَسَدًا. ۱؟؟ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عِدِّ رَتَقَا ثُمَّ أَتَى اللَّهَ لَحَقَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَحْرَحًا، لَا يُؤَيِّسُكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوجِسُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ. فَمَوْقِفَتِ دُنْيَاهُمْ لِأَحْسَوْكَ، وَلَوْ قَرَضَتْ مِنْهَا لِأَيُّمُوكَ .

اقول: الرinde: موضع قريب من المدينة والمخرج لأبي ذر هو عثمان. قيل: لأنه كان يعلط له في القول، وينكر عليه ما كان يره منكراً من فعله وينفر عنه، و أراد: ما خافوك عليه، واستغنى بالكناية عنه. و «ما» في قوله: ما منعتهم: مصدرية، ويحتمل أن يريد: ما منعتهم بخروجك عنهم من دينك، وانكارك للمكسر، وما منعه عنه: هو دينهم. والرتق: ضد الملق، وهو كناية: عن شدة الضيق. واقرض: كناية عن الإحذمهم وقول عطاياهم.

١٣٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا اسْمُوسُ الْمُحْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبَدُ نُهُمْ، وَلَمَّا يُتُّ عَنْهُمْ عُيُونُهُمْ ! أَطَارَكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ تَتَبَرَّحُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْبَغْرِ مِنْ وَغْرِ عِوِ الْأَسَدِ ! هَتَّاهُ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَّزَ الْعَدْلِ، أَوْ أَوْقَيْتُمْ أَغْوِجَاجَ الْحَقِّ. إِنَّهُمْ بِكَ تَعْتَمِدُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الْبَدَى كَمَا مِثْلُهُ قَسَّ فِي سُلْطَانٍ، وَلَا لِيَمَاسَ شَيْءٌ مِنْ فُصُولِ الْخُطَامِ، وَلَكِنْ لِيَنْزِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَتُطَهِّرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْتِيَ الْمُطْلُومُونَ مِنْ عِيَادِكَ، وَتَمَامُ الْمُعْظَمَةِ مِنْ حُدُودِكَ .

اسْتَهْمَ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ آتَى وَسَمِعَ وَأَجَابَ: ثُمَّ تَسْبِقُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ، وَلِلدَّعَاءِ، وَالْمَعْنَمِ، وَلَا أَخْكَامٍ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَحِيلُ؛ فَتَكُونُ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا لِبَاهِلٍ فَبُضْلُهُمْ يَحْفَلُهُ، وَلَا لِبَاهِلٍ فَيَقْطَعُهُمْ يَحْفَايَهُ، وَلَا الْخَائِفُ يَدُولُ، فَيَسْتَحِدُّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا لِمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ، وَيَقِفُ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعْطَلُ يَسْتَيْقِظُ فَيُهْذِلُ الْأُمَّةَ.

أقول: المحتملة: مختلفة الآراء. وأطأركم: أعطىكم. وعوغة الاسد: صوته. وسرار العدل: ما خفى منه. وحمله: الليلة واليلتان تكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر، و اراد: أنه بعد ان اظهر بكم العدل لتخاذلكم وتفرق اهوائكم، والذي كان منه عليه السلام هو الحرب والمقاومة في امر الخلافة. والمعالم: جمع معلم وهو: المنار ينصب في الطريق للهداية، واستعاره لقوانين الدين واوراره. وأتاب: رجع الى الله، وسمع الله وحاب داعيه، لأنه عليه السلام أول الناس دخولاً في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله. و قوله: وقد علمتم، الى آخره: اشارة الى تمسز الإمام بفصائل يحب ان تكون فيه، و الى ردائل تنا في الامامة، وبرذيلة الجهل وخوف الدول وتعطيل السنة خرج معاوية عن الصلاحية لها. و مالبخل: خرج الزبير. ونهمته: حرصه على الدنيا. وبالجماء: خرج طلحة، والله اعلم.

١٣١ - وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَأَبْتَلَى، الْبَاطِلُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاصِرُ لِكُلِّ مَرِيرَةٍ، الْقَائِلُ بِمَا تُكِي الصُّدُورُ، وَمَا تُحَوِّ لِمُيُوتُ، وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا نَبِيُّهُ وَبَعِيَّتُهُ، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السُّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ الْإِنْسَانُ.

أقول: أبسى وابتلى: احتبر، وبسى الامر: خبر باطسه. وخنة الأعين: نظرها

الحرام. و كسى بموافقة سر لشهادة: لأعلانها عن خلاصها.

ومنها:

فَبِأَنَّهُ وَاللَّهِ السَّجْدَ لَا سَبْعَ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ،
وَأَعْتَلَّ حَدِيدِيهِ، فَلَا يَعْرِفُكَ سِوَاكَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَذَبَ قَتَلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ
الْمَالُ، وَحَبِيزَ الْإِفْلَاقَ، وَأَمِنَ الْغَوَاقِبَ؛ طَوَّلَ أَمْسَ، وَاسْتَعَاذَ أَجَلَ، كَيْفَ تَرَكَ يَدَ الْمَوْتِ
فَرَّعَجَهُ عَنْ وَطْنِهِ، وَأَحَدَهُ مِنْ مَأْمِيهِ وَمَحْمُولًا عَلَى أَعْوَدٍ لَمُنَانِيٍّ يَتَقَاظَى بِهِ الرَّحَلُ الرَّحَلُ
حَمَلًا عَلَى الْمَسَاكِبِ، وَأَمْسَاكَ بِالْأَدْمِيلِ، أَفَ رَأَيْتُمْ الْيَدَيْنِ يُؤْمَلُونَ نَعِيدَ، وَتَبْتَوُ مَشِيدَةَ،
وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا، كَيْفَ أَصْحَحْتُ بُيُوتَهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا نُورًا، وَصَارَتْ أُمُورُهُمْ لِبُورَاتٍ،
وَأَرَوَّاحُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِى حَسَبِهِ يَرِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَبَبِهِ يَسْتَعِينُونَ؟! قَمَنَ أَشْعَرُ اتَّقَوِ
قَلْبَهُ بَرَّرَ مَهْلَهُ، وَقَارَ عَمَلَهُ، فَاهْتَلَوْا هَبْنَاهَا، وَاعْمَلُوا بِلُجَّةِ عَمَلِهِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ
ذَارَ مُقَدِّمٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَحَارًا لِتَرْوُدُوا مِنْهَا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى
أَوْفَى، وَفَرُّوا الظُّهُورَ لِلرَّيَالِ.

أقول: الصمير فى نه للنساء، ويحتمل أن يعود الى المعنى بالنحدير مه ولا نذاره،
وهو: الموت، ولذلك فسره به، فقل: وما هو إلا الموت. واسمع واعص: فى محص
الصبب على الحل من معنى الإشارة، وقوله. فلا يعرّفك سواد الناس من نفسك، أى:
ولا يعرّفك رؤيتك لكثرة الدس والوسوسة من نفسك بذلك عن ملاحظة الموت وبروله، اد
كثير ما يرى الانسان الميت محمولا فيدركه رقة وروعة ثم يعودده الوسواس الحساس و
يأمره باعتار كثرة المشغول له من الباس فيأس اليهم ويسكن الى الدنيا بعداده فيهم. و
من جمع: بدل ممن كان، وطول أمل: تصب على المفعول له. والور: الهلاك. ولا من
سيئة يستعصون، أى: لا يصب منهم العتبى وهى: الرجوع عن السيئة لعدم امكان ذلك
منهم، واستعار بصف لاشعار لا تحاذ التقوى كالشعار فى ملازمتها لقلب. والشعار: ما
يلى الحسد من الشيا. واهتباها هبها: أى اهتموا لها اهتمامها الذى ينبغى. ولضمير:
للقوى. والاوقز: جمع وفر بالسحريك ولسكون، وهو: العجلة. وقوله: وقرسو، الى

آخره: كناية عن الاستعداد للرحيل لى الآخرة بما ينبغي من اروادها وتذكير بالموت.

١٣٢ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَمَّا ذَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْجَبِهَا، وَقَفَعَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهُمَا، وَصَجَّدَتْ لَهُ بِالْعَدْوِ وَالْإِصَالِ الْأَشْجَارُ الذُّخِيرَةَ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُصِيبَةَ، وَتَتُّ أْكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَابِغَةَ.

اقول: انقياد الدين والآخرة بازمنتها كناية: عن دخولها في ذلك الحاجة والامكان تحت نصريف قدرته. ولفظ الأزيمة مستعار للامكان المحوحر لها الى الصانع. قال ابن عباس: مقاليد السماوات والارض: مقاتيحها بالرحمة والرفق، وقيل: خرائثها. والمقليد: جمع مقلاد، وهى: الحرائث. وسجود الاشجار دخولها في الحاجة اليه والحصوع له، وكلماته: امر قدرته وحكمها بخروج الثمار ومانعة: المدركة.

منها:

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَنْغَى لِسَانُهُ، وَبَيِّنٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَغَزْرٌ لَا تُهْرَمُ أَعْوَانُهُ.

اقول: استعار لكتاب: لفظ الناطق، لما فيه من البيان. ولفظ البيت له: لحفظه من حطئه، وعمل به، وبأركانه قوائمه الكلية. واعوانه: العامون به وناصروهم.

مها:

أَرْسَلَهُ عَنَى جَيْنٍ فَشْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَارَعِ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَفَقَى بِهِ الرُّسُلَ وَحَسَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ هِىَ اللَّهُ لِمُذِيرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

اقول: قفى: اتبع. والعاذل به: الجاعل له عذلا ومثلا.

منها:

وَأَنَّا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا، وَلْيُبْصِرْ يُفِيدُهَا بَصَرُهُ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْيُبْصِرُ مِنْهَا شَاحِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاحِصٌ، وَالْيُبْصِرُ مِنْهَا
مُتَرَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَرَوِّدٌ.

اقول: استعار لفظ الأعشى: للجاهل، لعدم ادراكه لحقائق الأمور كالأعمى، وكونه
لا يبصر من وراء الدنيا شيئا: اشارة الى جهله بأحوال المعاد. ولفظ البصير: للعالم. وبنفوذ
بصره: كناية عن ادراكه لما بعد الموت من احوال الآخرة. وقوله: البصير منها شاحص،
اى العالم منها راحل به قد جعلها طريق سفره الى الله. ولا عصى اى: الجاهل اليها
شاحص اى: متطلع اليها بعين بصره وهمه محبتها. وقوله: والبصير منها متروود اى: زاد
التقوى والعمل الصالح. والأعمى له متروود اى: جاعل همه آياها فهمى: زاده الذى عليه
يعتمد.

مها:

وَأَعْمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكُذُّ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ وَيَمْلَأَهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ
لَا يَحْدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَأَمَّا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَّةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ،
وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعُمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ، وَرَى لِلضَّمَانِ، وَفِيهَا الْخَيْرُ كُلُّهُ وَأَسْلَامُهُ:
كِتَابُ اللَّهِ يُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْظِفُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَتَنْطَلِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى
بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يَحَافِثُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

قَدْ أَصْطَفَيْنَا عَلَى الْعَالَمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَرْغَى عَلَى دِمْيَكُمْ، وَتَصَافَيْنَا عَلَى حُثِّ
الْأَمْوَالِ، وَتَعَادَيْنَا فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ وَتَاءَ بِكُمْ الْعُرُورُ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

أقول: قال بعض الشارحين: فقدان الراحة في الموت مخصوص بأهل الشقاوة، وأما أولياء الله فلهم الراحة الكبرى كما قال صلى الله عليه وآله: (ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله). وقال بعضهم: بل هو عام لأن بالموت ينقطع متجر الآخرة والازدياد من الكمالات الباقية، وذلك لا ينافي الخبر لأن بزيادة الكمال في الحياة يحصل راحة اعظم مما قبله، ولأن المعارف لما لم تكن ضرورية، لم تتمكن النفوس البشرية مادامت في عالم الغربة من الاطلاع على ما بعد الموت من الأحوال الآخروية، فبالحرى ان يخاف العاقل الموت ويكره سرعته. وإن لم تكن له راحة دونه كما نقل عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه حين الاحتضار بكى فقال له الحسين عليه السلام: مالي اراك تكاد تجزع مع يقينك بأنك تقدم حيث تقدم على جذك وأبيك؟ فقال: نعم يا اخي لاشك في ذلك، إلا أنني سالك مسلكا لم أسلكه من قبل.

أقول: لا منافاة بين القولين، لأنه لا راحة في نفس الموت لأحد لكونه مجرد آلام ومخاوف، لكنه مستعقب لراحة أولياء الله ببلغانه فكانت فيه راحتهم، وكلامه عليه السلام أشبه بالعموم لأن الولي وغيره لا يجد في الموت راحة حين نزوله. وقوله: أما ذلك أي: الأمر الذي هو الحق بأن لا يمل ولا يسمع كما هو أي: بمنزلة الحكمة وأراد: الحكمة نفسها ولا يقتضي الكلام أن شيئاً في منزلتها غيرها. واستعار لها لفظ الحياة باعتبار أنها تعيى القلب الميت بداء الجهل، ولفظ البصر والسمع: لعين الجاهل وأذنه اللتين يستفيد بهما عبرة، ولفظ الظمان: للجاهل المتعطش الى العلم، ولفظ الرى: لأنها كالماء في استغناء النفس بها. وكتاب الله: خبر مبتدأ وإنا: خبر ثان لذلك. بمنزلة الحكمة: خبر أول، والمبتدأ: محذوف تقديره: وهو أي: الذي بمنزلة الحكمة كتاب الله، ولا ينافي ذلك ايضاً ان يكون نفسه حكمة وتفسيراً لها.

وقوله: تبصرون به، أي: تهتدون لمقاصدكم الدنيوية والآخروية، وتنطقون به، أي: في الفتوى والاستدلال والقصص ونحوه. وتسمعون به أي: ما يفتحكم من الموعظة الحسنة والعبر النافعة. وينطق بعضهم ببعض أي: يفسر بعضاً كاليمين للجمل، والمقيد: للمطلق، والخاص: للعام. ويشهد بعضه على بعض أي: يستشهد ببعضه على أن المراد ببعض آخر كذا، وهو كالأدى قبله. وقوله: ولا يختلف في الله، أي: لا يختلف في الدلالة

على المقصد الموصلة الى الله، بل كتبها متطرفة على ذلك و ن تعددت. ولا يخالف
بصاحبه عن الله اى: لا يعدل بمن يهتدى به من سبيل الله عن الوصول اليه. واستعار
وصف الاصطلاح: لما هم عليه من العن، وهو العش والحقد لا يثق ذلك فى جميعهم و
اشتراكهم فيه.

وقوله: وثبت المرعى على دمنكم: مشى يضرب لامتصالحس فى الله مع غل
القلوب، ووجهه: ان ذلك سريع الرول لا اصل له كتابات فى لدمن، وهى ما تبد من
آثار القوم ومرايط اسعاهم. و لآمان: ما يؤقل كل من صاحبه من نفع عاجس، وهو:
الحامع بينهم، وسبب صفائهم فى الظاهر. واستهام بكلم الخيىث اى: اشتد عشق
الشیطان لكم، وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته، وهو: الغرور ايضا.

١٣٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شاوره عمر بن الخطاب

فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِأَعْرَازِ الْحَوَرَةِ، وَسَرِّ لَعَوَةِ، وَلَيْدِي نَصْرِهِمْ وَهُمْ قَبِيلٌ
لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِعُونَ؛ حَتَّى لَا يَمُوتَ إِنْكَ مَتَى تَسِرْ لِي هَذَا الْقَدْوُ
بِقِسْكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُكَبِّ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كِبَايَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، لَيْسَ بِعَدِّكَ مَرْجِعُ
يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مَخْرَبًا، وَخَيْرَ مَعَهُ أَهْلُ الْبَلَاءِ وَلْتَصْبِحْ، فَإِنْ أَطَهَرَ اللَّهُ
فَدَلَّكَ مَا تُجِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِذَاءَ الْبَنَاسِ، وَمَنْبَأُ يَلْمُسِيْمِينَ.

أقول: توكل الله لأهل دينه: وعده ايتهم بالنصر والأعزاز. والحورة: الناحية، وكتى
بعورتهم: عن حريمهم وحماهم. وكنفه: حفظه وآوه. ولبحرب: بكسر الميم، وفتح
الراء، الرجل صاحب حروب، واحفز معه اى: يدفع. واهل البلاء: هم الذين اختبروا و
جربوا. واطهر الله: نصر. ولرده: العون. والمثابة: المرحم.

١٣٤ - وَمِنْ حُظَيْتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قد وقعت مشاحرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة ابن الأحس لعثمان: أنا أكفيكم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

يَا بَنِي اللَّيْلِينِ الْأَبْشِ وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا، وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي! وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ إِلَهَ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ؛ أَخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهِ تَوَاكُ، ثُمَّ أَبْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَتَيْتَ.

أقول: الأبتى: كل امرء انقطع من الخير أثره. والنوى: القصد الذي ينويه المسافر. وروى: نؤك، والنوى: لغة في النأى وهو: البعد. واستعار لفظ الشجرة: لبيته، وكنى عن سقوط أصله: بنفى أصلها وفرعها. ولا أبقي الله عليه أى: لا راعاه ولا رحمه.

١٣٥ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لَمْ تَكُنْ يَتَمَنَّكُمْ إِنِّي فَلْتَةٌ وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا؛ إِنِّي أُرِيدُكُمْ إِلَهُ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَعْيُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَتَصِفَنَّ الْمَطْلُومَ مِنْ ظَالِمِيهِ، وَلَا قُودَنَّ الظَّالِمَ بِخَيْرَاتِيهِ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنَهْلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهَا.

أقول: الفتنة: وقوع الأمر من غير تدبر ولا روية. وفيه إيحاء إلى بيعة أبي بكر حيث قال عمر: (كنت بيعة أبي بكر فتنة وقي الله شرها) وقوله: وليس امرى وامركم واحدا، أى: وليس مقصدى ومقصدكم واحدا، وبين ذلك الفرق بقوله: أنى أريدكم، إلى قوله: لأنفسكم، أى: لحطوط أنفسكم من العطاء، وسائر منافع الدنيا. وقوله: أعينونى على أنفسكم، أى: على قهر أنفسكم الأمارة، وذلك بموافقتي على لعمل بطاعة الله، والخزامة: حلقة من شعر يجمع فى وتره أنف العير يشد فيها زمامه، وهو كناية: عن قوده لظالم ذليلا طائعا، والمنهل: المورد.

١ - الصواعق المحرقة / ٣٦، مغدير / ٣٧٠/٥ وج ٧٩/٧.

١٣٦- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى معنى طلحة والربير

وَاللّٰهُ مَا أَكْثَرُوا عَلَى مُنْكَرٍ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَضْمًا، وَأَسْأَلُهُمْ لِيُظْلَمُونَ حَقَّهُمْ
تَرْكُوهُ، وَذَمُّهُمْ سَفْكَوهُ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ قَبْلَ لَهْمٍ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ؛ وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي
فَمَا الظُّلْمَةُ إِلَّا قِتْلُهُمْ، وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ مَعِيَ لِبَصِيرَتِي: مَا لَبَسْتُ
وَلَا لَبَسَ عَلَى، وَأَنْتَ يَا نَبِيَّ الْبَاغِيَّةِ فِيهَا الْحَمَا وَالْحَمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُعْدَّةُ، وَإِنْ الْأَمْرُ
لَوَاصِحٌ وَقَدْ زَاغَ الذُّبُلُ عَنْ بَصَائِهِ، وَأَنْفَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِهِ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا أَقْرَطَنَّ لَهُمْ حَوْصًا
أَنَا مَا يَحُجُّهُ: لَا يُضَيِّرُونَ عَنْهُ بَرِّي، وَلَا يَمُوتُونَ بَعْدَهُ فِي حَسْبِي.

أقول: النصف: المصفة، والحق. والدم: دم عثمان. والطلبة: المطلوب. وقوله: وإن
أول عدلهم اى: ان كان لهم عدل وطلب حق، وبصيرته، عقله وعلمه، والبصيرة ايضا:
البرهان، وفى تعريفه للفتة تنبيه عسى أنه كان حالها معلوما من رسول الله صلى الله عليه
وآله، فلما طهرت اشارة اليها بما عهده بها. واستعار لفظ الحمأ وهو الطين المتخثر: لعدل
والحسد فى صدور القوم له، ووجه المشابهة استلزام ذلك لتكدير صفاء المسلمين
كالحمأ. ولفظ الحمة: بضم الحاء والتخفيف وهو: سم العقرب، لذلك باعتبار ما يلزمه
من الأذى. وروى: الحمة مشددا وهو السواد، واران به: طلحة جهلهم وشهتهم ولذلك
وصفها بالمعدية وهى: الظلمة، لأنها لا يهتدى فيها لىحق. وقوله: وإن الأمر واضح، اى:
امر تلك الشبهة. والنصاب: الأجل واران: ان باطلهم لا اصل له، وقوله: فيه مقطع عنه.
ولأقراطى اى: لأملأن. واستعار لفظ الحوص: لاستعداده فى حربهم. وابعث: شرب
الماء من غير مص. والحسى: موضع يحفر ليجتمع فيه الماء.

منه :

وَقَبِلْتُمْ إِلَى إِبْنِ الْعُزْدِ الْمُطَاقِيلِ عَلَى أَوْلَادِهِ، يَقُولُونَ: النَّبِئَةُ النَّبِئَةُ!! قَبِضْتُ يَدِي
قَبَسْتُ مَوْهَا، وَتَارَعْتُكُمْ يَدِي فَجَدَّ بَسْمُوهَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطْعَانِي وَطَلْمَانِي، وَكَمَا يَتَعَنِي،

وَأَلَبَّ النَّاسَ غَلِيًّا، فَاخْلُنْ مَا عَقْدًا، وَلَا تُحْكِمِ لَهْمَا مَا أُبْرَمًا، وَأَرِهْمَا الْمَسَاعِدَ فِيمَا أُمْلَأَ
وَعَمِلَا، وَلَقَدْ اسْتَنْبَهُمَا قَتْلُ الْفِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِدْعِ، فَعَمَّطَا لِلْعَمَّةِ، وَرَدَا الْعَافِيَةَ.

أقول: العوذ: جمع عائد بالذال المعجمة، وهي: كل انثى قريبة العهد بالولادة
وهي: لسبعة أيام الى عشرة أيام، وخمسة عشر يوما، ثم هي: مطفل اي ذئ، طفل، و
الجمع مطفيل، والضمير في أتھما لطلحة، والزبير. والتأليب: التحريض. وما عقدها و
ما أبرماه اي: من الآراء، والعزوم في حربه. واستنبتھما اي: طلبت انابتھما الى الحق،
وروي بالتاء من التوبة اي: من ذنبھما في نكث بيعته. واستأنيت: توقفت. وغمطا
العممة: احتقراها وبطراھا. وردا العافية اي: من البلاء بالحرب.

١٣٧ - وَمِنْ حُظَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي فِكْرِ الْمَلَا حِم

يُعْطِثُ الْهُدَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَظَّمُوا الْهُدَى عَلَى الْهُدَى، وَيَعْصِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ
إِذَا عَظَّمُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

أقول: الإشارة هنا، الى الامام المنتظر الموعود به، في الخبر والأثر. فعطفه الهوى
على الهدى: عرضه لميول النفس الامارة على قوانين الحق وردھا اليھا، وكذلك
عطف الرأى على القرآن رده اليه.

منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا تَوَاجِدُهَا، مَذْلُوعَةً أَحْلَافُهَا، حُلُولًا رَضَا عَنْهَا،
عُلُقَمًا غَضِبَتْهَا. أَلَا وَفِي غَيْبٍ وَسَيَّائِي عَدُوٍّ لَا تَعْرِفُونَ. يَا أَحُدَ الْوَلِيِّ مِنْ غَيْرِهَا عُمَلَاهَا عَلَى
مَسَاوِي أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضَ مِنْ أَفْأَلِهَا كَبِدْهَا، وَتَلْقَى إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا،
فَيَرِيكُمْ كَيْفَ عَدُلُ السَّيْرِ، وَيُخْبِي مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.

أقول: قيامها على ساق، كساية عن عاية شدتها، وكذلك بذون واحدتها: ملاحظة لشبهها بالتسُّع عند غضبه. وممثلة أحلافها: كساية عن تمام استعداها برجالها وآلاتها كاستكمال الضرع البس، وأخلاف الباقة: حُلِمَت ضرعها. واستعار لفظ الحل: للدخول فيها، باعتبار اقبال أهل النجدة عليها. ولفظ العلقم: لما قبضتها، لما يحده الناس بعدها من الهلاك والضعف. وقوله: إلا وفي غد: أحبار بما سيكون من أمر الامام المنتظر، وهو المراد بالوالي. وقوله: من غيرها: يشبه أن يكون قد سبقه ذكر طائفة من البس أو البلاد ذات ملك وامرة، فأخبر عليه السلام: أنَّ الوالي من غير تلك الطائفة، وهو الامام عليه السلام يأخذ عماله بذنوبهم. الأفلح: جمع للفلذة، وهي: القطعة من الكبد. واستعار لفظ الكبد: لما في الأرض من الكسوز باعتبار خفائها وعزتها كالأكبد في الأجساد. والمقاليد: الخزائن. وميت الكتاب والسنة: مستعار لما ترك مهمل. فإن قلت قوله: ويريكم يدل على أنَّ المحاطين يدركوه مع أنكم رعتهم أنه يكون في آخر الزمان فكيف ذلك؟ قلت: خطاب الحصريين عام أوفى حكم العام، كسائر خطابات القرآن الكريم مع الصحابة، المتناول لمن وحده أي يوم القيامة ثم يخرج المحاطون بدليل العقل.

منه:

كَأَنِّي بِهِ قَدْ تَعَقَّ بِالشَّامِ وَقَحَصَ بِرَأْيَانِي فِي ضَوَائِي كُوفَانٍ، فَعَطَفَتْ إِلَيْهَا عَظَمَتِ
اِبْرَؤُسَ وَفَرَسَتْ أَلْأَرْضَ بِالرَّؤُوسِ، قَدْ قَعَرَتْ فَأَغْرَبَتْ وَتَعَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ، بَعِيدَ
الْحَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَأَنَّهُ لَيَسْرِدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ،
كَالْكُخْلِ فِي الْعُثَى؛ فَلَا تَرَالُونَ كَذِبَتْ حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَارِبُ أَخْلَامِهَا، فَالَرُّوْا
السَّنَّ الْقَدِيمَةَ، وَالْأَثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ بَأَقْيَ اسْتَوْءٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ
إِنَّمَا يُنْشِئُ لَكُمْ طَرَفَةً لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

أقول: قيل: الإشارة إلى عهد لملك بن مروان، لأنه طهر بالشام حين جمعه أبوه
الخدمة من بعده، وسار إلى الكوفة لصال مصعب بن الزبير فقتله ودخل الكوفة، وبعث

الحجاج الى ابن الزبير فقتله، وهدم الكعبة^١، وقتل خلقا كثيرا من العرب فى وقت
عبدالرحمان بن لأشعث ورمى الناس بالحجاج.

ونعق: صاح، وهو كناية عن دعوته. وفحص الطير الشراب: قلبه. وضواحي
كوفن: بواحي الكوفة البارزة. وفحصه برأياته: كناية عن تقلبه لأمر الكوفة وأهلها
بسطوته وبأسه. والضروس: الساقة مئة الحلق تعضّ حاليها. ووجه شبه عطفه على الكوفة
بمطف الضروس: شدة الحق والغضب. وغرث فاغرته: انفتح فوه، هو كناية: عن أقباله
بالأذى كالسمع الصائد، وأكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه. وكنتى بثقل وطأته: عن شدة
بأسه، وبعد جولته: عن اتساع تصرفه وتمكنه وجولته فى البلاد البعيدة. وبعيد وعظيم:
حالان. وروى: رفعهما خبرى مبتدأ وعواذب احلام العرب: ما كن ذهب من عقولها
العملية فى نظام احوالهم فى الاجتماع، والعرب قيل: هم بنو العباس، ومن نصرهم إيام
ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائى، ونسب زريق وغيرهم. ويسئى: يسهل.

١٣٨ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي وَقْتِ الشُّورَى

لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى ذَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةٍ رَجِيمٍ، وَعَدِيدَةٍ كَسَرَمٍ، فَاسْتَمِعُوا قَوْلِي، وَغُوا
مَنْطِطِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ تَعْدِ هَذَا النُّومِ تُشْتَضِي بِهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ
الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الصِّلَاةِ، وَشَيْعَةً لِأَهْلِ الْجَهْلَةِ.

اقول: اشار الى بعض فصائله لعاية سماع قوله: ولذى يأمرهم سماعه: هو التنبيه
على عاقبة أمر الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم.

١- من هنا الى آخر سطر لم يكن في نسخة ش.

١٣٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى الهى عن عبة الناس

وَأَمَّا يَسْتَعِى لِأَهْلِ الْعَصْمَةِ، وَلَمَصُوعِ إِيَّاهُمْ فِى السَّلَامَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونُوا شُكْرًا هُوَ الْعَالِيَةُ عَلَيْهِمْ، وَلِحَاجَتِهِمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى
غَابَ أَحَاهُ، وَغَيْرُهُ بِبَيِّنَةٍ؟ أَمَّا ذَكَرُ مَوْضِعٍ مِثْلَ أَنَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ السَّبِّ
الَّذِى بَعْدَهُ بِهِ!! وَكَفَتْ بِذُنُوبِهِ قَدْ رَكِبَتْ مِثْلَهُ! قَبْلَ أَنْ يَكُنْ رَكِبَتْ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِغَيْرِهِ فَقَدْ
غَضَى اللَّهُ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَغْصَمُ مِنْهُ. وَبِمَنْ اللَّهُ لَيْسَ لَمْ يَكُنْ غَضَاهُ فِى الْكَبِيرِ وَغَضَاهُ
فِى الصَّغِيرِ لِحَرَاءَتِهِ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَعْبُدُ اللَّهَ، لَا تَعْلُفُ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَمَّا مَعْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمُرُ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ
مَعْصِيَةٍ فَلَمَّا مَعْدَتٌ غَيْرُهُ، فَتُكْفَرُ مِنْ عَيْبِ مِثْلِكَ غَيْرُهُ لِمَا يَغْنَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ؛
وَلِكُلِّ الشُّكْرِ شَاعِلًا لَهُ عَلَى مُدْفَعِيهِ مِمَّا أَتَى بِهِ غَيْرُهُ.

أقول: أهل العصمة: هم الذين أعانهم الله على قهر نفوسهم الامارة فمذكورها.
والمصروع اليهم اى: من اصطنع الله عنده نعمة السلامة من الذنوب، ورحمتهم لأهل
الذنوب: تظهر فى كفهم عن عيبهم، وامنهم على الخروج منها لصالح القول. وقوله:
فكيف بالعائب اى: اذا كان اهل السلامة فينبغى لهم ان يرحموا اهل الذنوب ويستعملوا
بشكر الله عن عيبهم، فكيف يلبق العيب من غيرهم من الناس، وازاد بما هو اعظم عيبه
لأحبه لان العيبة من الكبر، وجعلها اكبر مبالغة او بالنسبة الى بعض الكبائر.

١٤٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا السَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَحِبِّهِ وَبَيْتِهِ دِينَ، وَسَدَّ ذَرْبَهُ فَلَا يَسْتَمِرُّ فِيهِ أَقَابِلُ
الرَّجَالِ، أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرَى الرَّامِي وَتُحْطَى السَّهَامُ، وَيَجِلُّ الْكَلَامُ، وَيَبْطِئُ ذَلِكَ يَوْمٌ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ.

قال الشريف: فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت.

اقول: حاصل الفصل: انتهى عن التسرع الى سماع العيبة. وقوله: اما أنه، اى قوله: يور: تنبيه على قوة اذى الكلام وأنه اشد من الرمي بالسهم، اذ السهم قد تخطئ ولا تؤثر، والكلام لا يبدل ان يؤثر. وحالك واحالك اى: أثر، ويروى يحيل باللام اى: يبطل. وقوله: ذلك يبور اى: العرض منه يهلك من ما اوجاه ونحوه. وقيل: الباطل من ذلك القول يهلك ولا ينتفع به ويبقى شهادة لله وجزؤه عليه. وقوله: الباطل ان يقول سمعت: ليس بكلى بل كلام خطاى مهمل بصدق يجزى.

١٤١- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَيْسَ لِوَأَصِيعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِيهِ، مِنَ الْحَطِّ إِلَّا مُخَمَّدَةٌ لِلَّامِ، وَتَسَاءُ لَا شَرَّاءَ وَمَقَالَةُ الْحَقَّالِ مَا دَامَ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ. «مَا أَجُودَ يَدُهُ» وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ!! فَكَيْفَ آدُهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَ تَصِلَ بِهِ لَفَرَاتِهِ، وَلَيْسَ خَيْرٌ مِنْهُ الصَّبَاقَةُ، وَلَيْتُكَ بِهِ الْإِيَّيرِ وَالْعَانِي وَلَيْتُكَ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْعَارِمَ، وَلَيْتُكَ نَفْسَهُ عَلَى الْحَقُّوقِ وَأَسْوَأُ مِنْهُ أَتِيْعَاءِ أَثْوَابٍ قَدْ قُوًّا يَهْدِيهِ الْخِصَالِي شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَذَرُّكَ فَصَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ.

أقول: غرض الفصل: التنبيه على مواضع المعروف التى ينسفى صرف المعروف فيها. وغير حقه اى: غير وجهه الذى ينسفى صرفه فيه، وفيما اتى، اى: فيما فعل من المعروف وارشده من مواضعه الى خمسة. والعانى هو: الأسير. والعارم من عبية الدين. والوائب: ما ينوب الانسان مما يوجب غرمة كالمصادرات ونحوها. و اراد بالحصال: مواقع المعروف المذكورة فانها فضائل داحلة تحت فضيلة الكرم والمواظبة عليها تصيرها مكايث واخلاقا محمودة. ونكر الفوز: لتفيد شياعا دون تقييده باللام لا بهامه الخصوص والجزئية واحتماله لهما.

١٤٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي الاسْتِسْقَاءِ

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَأَسْمَاءَ الَّتِي تَطْلُكُمُ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمُ، وَمَا أَصْبَحَتْ تَجُودَانِ لَكُمْ بِبِرْكَتِهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ، وَلَا رُلْفَةً إِلَيْكُمُ، وَلَا لِحَبِيرٍ تَرْجُوَاهُ مِنْكُمُ، وَلَكِنْ أَمْرًا يَمْدُفِعُكُمْ فَأَطَاعَتْ، وَأَقِيمَتَا عَلَى خُذُودٍ مَصَابِيحِكُمُ فَأَقَامَتَا.

إِنَّ اللَّهَ يَتَنَلَّى عِبَادَهُ - عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ - بِنَفْسِ الثَّمَرَاتِ، وَحَسْبُ الْبِرِّكَاتِ وَأَغْلَافِ خَرَائِبِ الْحَبَرَاتِ، لِيَسْتَوِيَ تَائِبٌ، وَيَقْتَعَ مُفْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرٌ، وَيَرْجُو مُرْجُوٌّ! وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْتِسْقَاءَ سَبِيلًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ، فَقَالَ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ) فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ ثَوْبَتَهُ، وَاسْتَقْبَلَ خَطِيبَتَهُ، وَبَادَرَتْنِي.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَعَبٍ لَأَسْتَارٍ، وَلَا كَذِبٍ، وَنَعْدَ عَجِيجِ الْتِهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ بَعْمَتِكَ. وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَبَقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا نَحْمِلْنَا مِنْ قَطَاطِنٍ، وَلَا تُهْنِكُنَا بِالسَّيْنِ، وَلَا تَوَلِّجْنَا بِنَا فَعَلِ السَّقْمَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا حَرَحْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَحْتَفِي عَلَيْكَ، حِينَ الْجَائِنَا الْمَصَابِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَخَاعَنَا الْمَقَاطِطُ الْمُخْدِبَةُ، وَأَغْيَبَتْنَا الْمُقْدَلِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاَحَمَتْ غَيْبَتُنَا الْفِتْنُ الْمُتَضَعِّبَةُ.

اللَّهُمَّ إِنْ سَأَلْتُكَ أَتَى لَأَتَرُكُنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْبَلْنَا وَاحِسِينَ، وَلَا تُخْطِبْنَا بِسُوءِ بِنَا، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَعْمَانَا.

اللَّهُمَّ أَشْرَعْ غَيْبَتَنَا غَيْبَتَكَ وَتَرَكْنَا، وَرَقْنَا وَرَحْمَتَكَ، وَأَسْقِنَا سَقِيَاءَ فِعْءٍ مَرْبُوبَةٍ مُعْشِيَةً: تُثَبِّتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخَيِّبُ بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُخْتَلَى، تُرَوِّى بِهَا الْفَيْعَانَ، وَتُسَلِّ الْبُطْلَانَا، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ وَتَرْجِصُ الْأَشْعَارَ: إِنَّكَ عَلَى مَا نَسْأَلُ قَدِيرٌ.

أقول: نَبّه بقوله: **الَا وَانَّ الْأَرْضَ**، الى قوله: **فَقَدَمْتَا**؛ على **أَمَهُمَا** ليستأ مبدئين أوليين للرزق، بل هما مطيعتان لله في اخراجهما الرزق للحيوان، وهو أدى جعل السماء كالأب بارسلها مدار، وجعل الارض كالأم في قبولها للماء و استعدادها به للسات، واخرج منها رزق العباد كما قال تعالى: **(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)** الى قوله: **(مَتَعَا لَكُمْ وَلَئِنْ أَمَأَكُمْ)**^١ و طاعتهما: دخولهما تحت تصرف قدرته، وامرهما بمنافعهم، و قامتهما على حدود مصالحهم حكم العسية الألهية عبيهما باخراج هذه المنافع، وجعها وفق مصالح الحيوان وقيامهما و طاعتهما وجود ذلك مسهما حسب مقتضى القدرة الألهية. والرفعة: المسئلة. وقوله: **إِنَّ اللَّهَ**، لى قوله: **مَزْدَجَر**: تنبيه على سبب حس المطر ووجه الحكمة الألهية فى ابتلاء لخلق بما ذكر، وهو كقوله تعالى: **(وَلِنَبْلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ لَخَوْفٍ)**^٢ الآية. والاقلاع عن السيئة: الرجوع عنها. وقوله: **وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ**، الى قوله: **مَدَارًا**: تنبيه على وجه الخلاص من الابتلاء المذكور، وذلك هو الاستعداد بالاستغفار والمبادرة: المسابقة بالعمل الصالح. والعجيج: رفع الصوت بالحنين والبكاء. والقنوط: اليأس. وتلاحمت: اتصلت. والواجم: ندى شند حزنه، ومقايستهم بأعمالهم: جزأهم بما يشبهها ويقايسها من السيئة. والدعة: سمروية. والقباع: جمع قباع وقوع وهو: المستوى من لارض، والبطنان: جمع بطن، وهو: لمحفض من الارص. وباقى الفصل طاهر.

١٤٣ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَخَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِيَسْأَلَ تَحَبُّ الْحُجَّةِ لَهُمْ بِتَرْكِهِ الْإِعْذَارَ إِلَيْهِمْ، فَذَعَاَهُمْ لِيَسْأَلَ الصَّدَقَ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كُفْمَهُ، لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَحْمَقَةٌ مِنْ مَضُونِ أَشْرَارِهِمْ وَمَكْثُونِ صَائِرِيهِمْ؛ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَتِيَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَيَكُونُ الشُّوبُ جَرَاءً، وَلِيَقَابَ بَوَاءً، أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ذُونًا؟ كَذِبًا وَنَعْبًا عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَمِدَ اللَّهَ وَوَصَّعَهُمْ، وَأَعْظَمَ وَحَرَقَهُمْ،

١ - سورة عيس / ٢٤ الى ٣٢

٢ - سورة البقرة / ١٥٥.

وَذَحَبْنَا وَأَخْرَجْنَاهُمْ، بِنَا يُسْتَعْلَى الْهَذَى، وَيُسْتَحْلَى الْغَمَى، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ عُرِسُوا فِي هَذَا النَّظَرِ مِنْ هَاشِمٍ: لَا تَصْلُحُ عَلَى مِوَاهِمٍ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أقول: اضمير في قوله: لهم واليه: للخلق وهو إشارة الى قوله تعالى: (رسلاً مبشرين ومنذرين)^١ الآية. ولسان الصدق: دعونه صلى الله عليه وآله المؤيدة بالمعجرات الباهرة. وسبيل الحق: شريعته القائمة الى الله. والبواء: الحزاء. واما الذين زعموا انهم الراسخون في العلم: هاء جمعاً من الصحابة كان كل منهم يدعي الأفضلية في فن من العلم، فمنهم من كان يدعي انه أفاض، ومنهم من كان يدعي انه أقرأ، ومنهم من كان يدعي انه أعلم بالحلال والحرام، ورووا: افرضكم زيد بن ثابت، واقرأكم ابي، ورووا: مع ذلك: افضاكم علي^٢.

ولما كان انقضاء مستحجماً لأنواع العلوم لزمه انه افضل، لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل، فعلم صدقه في تكذيبهم. وان: في محل الصب بالمفعول به، وهو إشارة الى العلة الحاملة لهم على تكذيب هذه الدعوى. واعطانا: الملك والسبوة وادخلنا: في عايته الخاصة بنا. واستعار لفظ لعمى: للجهل. وقوله: ان الأئمة من قريش: نص متفق عليه من النبي صلى الله عليه وآله، وتخصيص ذلك بهذا البطن من هاشم نص مما يجب اتباعه لعصمته، ولقول الرسول صلى الله عليه وآله في حقه (انه لمع الحق وان لحق معه يدور حيث دار)^٣ و الإشارة بهذا البطن الى ولده الأحد عشر نص كل منهم عن من بعده.

مها:

اتَرَوْا عَاجِلًا، وَأَخْرَجُوا آجِلًا؛ وَتَرَكُوا صَافِيًا، وَشَرَبُوا آجِبًا كَذَّبَى أَنْظَرُ إِلَى قَاسِنِهِمْ وَقَدْ ضَجِبَ الْمُتَكَبِّرَ قَالِقَهُ وَتَسَى بِهِ وَوَقَعَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَمَارِقُهُ، وَصَبِعَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدٌ أَكَاثِيَارَ لَيْتَالِي مَاعَرَقٍ، أَوْ كَوَقَعَ لِتَارِيْفِي الْهَيْئِيسِ لَا يَخْفِلُ مَاعَرَقٌ!! أَيْنَ الْعُمُوكُ

١ - سورة النساء / ١٦٥.

٢ - العدير ٣ / ٩٦ مطالب السؤل ٢٣ الاسيعاب ٣ / ٣٨ هامش الاصابة. الريس النشرة / ١٩٨ تاريخ الحفباء / ١١٥

٣ - العدير ٣ / ١٧٦ ١٧٠ وقد اخرج الحديث جمع من الحفاظ والاعلام.

الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ وَلَا يُبْصَرُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟ أَيْسَرُ انْقُصُوتِ الْتَبَى
وَهَيْتَ اللَّهُ وَتَوَقَّدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟ أَرْدَحَمُوا عَلَى الْخَطَامِ، وَتَشَحَّوْا عَلَى الْحَرَامِ، وَوُفِّعَ لَهُمْ
عَنَمُ لَحْنِهِ وَالنَّارُ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَوُحِّهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَدَعَا لَهُمْ رَبُّهُمْ
فَقَمَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَبَجَاثُوا وَأَقْبَلُوا.

اقول: الإشارة: الى بنى امية ومن تبعهم ممن خف دينه. والعاجل: متاع الدنيا.
واستعار لفظ الآحن: باعتبار ما يخالطه من كدر الأعراض والامراض المستعصية. والآجل:
هو نواب الآخرة. واستعار لفظ الصافي: باعتبار خلوصه عن الأكدار المذكورة. وفاسقهم:
يشبه ان يريد به: معينا قيل: هو عبد الملك بن مروان. وبسئ به: ألفه وانس اليه. وكسى
بعائته فى ذلك، عن صيرورته ملكة، وخلفاً له، وشبه اقباله فى حركاته الخارجة عن
الدين: بالبحر الظمى، واستعار له: لفظ المزيده، وكذلك شبه فعله: بوقع النار فى
الهشيم وهو ما تكسر من نبت الارض بعد يسه، باعتبار سرعة افساده، وعشه فى البلاد
من غير مبالاة بالدين كما قال: (لا يبالى ما حرق). واستعار لفظ مصابيح الهدى ومنار
التقوى اى: اعلاقيها لأئمة الدين اوقوائته. ووصف هبة القلوب ومعادتها: لقصرها على
طاعة الله. والصمير فى قوله: ازدحموا: عائد الى من سبق وهو الى آخره ذم لهم، وإنما
قال: واقبلوا بأعمالهم، ولم يقل: بوجوههم، كما قال: فصرفوا وحوههم، لأن اقبالهم
بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا يستلزم صرفها عن الأعمال الموصلة الى الحسة وذلك
يستلزم اعراضها عن الجنة.

ثم لما كانت غاية الانسان من الدنيا هو الحصول على لذتها، وكانت النار لازمة
للأعمال الموصلة الى تلك لعاية لزوماً عرضياً لم تكن البارغية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم
وقصورهم اليها، بل كان اقبالهم عليها بأعمالهم المستنزفة لها. وبقي الفصل واضح.

١٤٤. وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَتَمُّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرْصٌ نَتَقَبَّلُ فِيهِ الْمَنَائِمَ، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَفٍ؛

وَفِي كُلِّ أَكْلٍ عَصَصٌ لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِإِذْنِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مَعْمَرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِهَيْبَةٍ آخَرٍ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُهُ رِيْدَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِتَعَدٍّ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحِبُّ لَهُ أَنْزَلٌ لَا مَاتَ لَهُ أَنْزَلٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بِتَعَدُّدِ بَحْلُقٍ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابَتُهُ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَخْضُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ قُرُونُهَا، فَمَا بَقِيَ فَرَعٌ يَتَعَدَّدُ ذَهَابِ أَصْنِئَةٍ!!

أقول: استعار لهم لفظ الغرض: لرميهم بسهم المنايا، والانتصال: لرمي: وكفى بالجرعة والاكلة: عن لذات الدنيا، وبالشرق والعصص: عما يزمها من الأكدار. وقوله: لا يزالون، الى قوله: محصورة: فرق لطيف بين لذات الدنيا والآخرة، هو: ان لذات الدنيا لا يمكن ان يحتشم للانسان نوعان منها معاً، لكونها حاصلة من طرق الحواس المختلفة، فعند ما يتوَحَّه النفس الى تحصيل نوع منها ويستغل به، يفارق غيره، ولأن ملذتها زمانية فهي في معرض الروال، فلا يكاد يحتشم منها نوعان يستلذ بهما في حال واحد، بخلاف المذات الإخروية. واكمه: بأساءه وصمَّ اهمزة: ما كوله. والاثرة: كالولد، والنابتة والمحصورة: حقيقتان في النبات، وكسى بهما عما يتعَدَّد للانسان من خير و عَمَّ بعدم له. والأصول الماصية: الآباء.

مها:

وَمَا أُخْدِثَتْ دِدْعَةٌ إِلَّا لُرُكَّتْ بِهَا سُنَّةٌ؛ فَأَتَقُوا الدِّعْغَ، وَلَرَمُوا الْمُنْهَسَجَ، إِنَّ عَوَزِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُخْدَتَانَهَا شَرُّهُمَا.

أقول: الددعة: كل ما احدث في الدين من غير حجة شرعية، ووجه استلزامها لترك النسبة ان تركها من النسبة: فارتكبها يستلزم ترك النسبة. والمهيج: الطريق الواسع وهي: الشريعة. والعوزم: جمع عوزم واراد بها: قوائم السنن التي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وآله. ومحدثاتها: هي البدع وكونها شرارا لمخالفتها الدين.

١٤٥ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لعمري الحطاب، وقد استناره في غرو المرس بمصه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بَكْثَرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَطْهَرُهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِينَ أَعَدُّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَصَلَغَ حَيْثُ ظَلَعَ، وَتَحَنَّنَ عَلَى مُؤْغُوذٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِرُ وَعْدُهُ، وَسَاحِرُ جُنْدِهِ. وَتَكُنَّ الْقِيَمُ بِالْأَمْرِ مَكْنُ النَّطَامِ مِنَ الْحَرَنِ يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ، فَإِذَا انْقَطَعَ لِنُطْمٍ تَفَرَّقَ الْحَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَدِّ فِيهِ أُنْدًا. وَلَعَرَبُ الْيَوْمِ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيرُونَ بِالْإِخْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْبًا، وَأَسْبِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِيهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَحَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْقَصَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعُزَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعْجَمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قُضِيَ شَوْهُ أَمْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعُهُمْ بِكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُشِيمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ شَحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَعْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ عَدِيهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نَقَاتِلُ بِمَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ؛ وَإِنَّمَا كُنَّا نَقَاتِلُ بِالْقَصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

أقول: حتى بلغ ما بلغ أي: من الكثرة والعمرة. وطلع حيث طلع: من أدد البلاد، وموعود الله: في قوله: (وعدا الله الذين آمنوا) إلى قوله: (من بعد خوفهم أمناً) والقيم بالامر: الامام. وحذافير الشيء: اطرافه جمع حذافير. وقوله: بحذافيره أي: بأسره. واستعار له لفظ القطب ولفظ الرحى: لأمور الاسلام او للحرب. والعورات: موضع المحالفة على الاسلام وأهله. والكلب: الشر. وقد كان ذكر له مسير القوم، وهم: الفرس، في وقعة العادسية الى قتل المسلمين وذكر كثرة عددهم، فأجابه عن هذين الوجهين بصميرين: صفري الاولى، قوله: فد الله سبحانه، الى قوله: يكره. وتقدير كبراه: وكل

ما كان اكره له واقدّر على تغييره منك فيجب ان يفوّض امره اليه. وصغرى الثانى، قوله: فانا لم نكن، الى آخره، وتقدير كبراه: وكلّ ما كان كذلك فلا ينبغي ان يظنر الى كثرة العدد ويحفل به.

١٤٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَبَعْتُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعِيهِ، بِرَأْيِ قَدِيرَتِهِ وَأَحْكَمِهِ، لِيَعْلَمَ أَعِبَادُ رَبِّهِمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلَيَقْرُوا بِهِ إِذْ جَهِدُوهُ، وَلَيُبَيِّنُوهُ نَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ شَبَاحُهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَلَائِكَةِ، وَأَخْتَصَدَ مَنِ اخْتَصَدَ بِالْبَقِيَّاتِ.

وَأَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ نَسِيَ فِيهِ شَيْءٌ أَحَقَّ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَطَهَرَ مِنَ الزُّجْلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الرُّمَانِ سِلْعَةٌ أَنْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقًّا وَلَا وَكَيْهَ وَلَا لَهْمَ مِنْهُ إِذَا خُرِفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَكْثَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَغْرَفُ مِنَ الْمُكْرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَقِصَتُهُ، فَالْكِتَابُ يُؤْتِيهِ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مُتَضَيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُضْضَجَّانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْبَهُمَا مُوَبِّانِ! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الرُّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَوَافِقُ الْهَلْدَى، وَنَافِئًا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَسَى الْفُرْقَةُ وَأَفْتَرَقُوا عَنِ الْحَمَاعَةِ، كَانَتْهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا أَسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّةَ وَرَثَتِهِ!! وَمِنْ قَبْلِ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُنْتَهَى، وَسَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ.

وَرَبَّنَا هَلَّاكَ مَنْ كَذَبَ قَبْلَكُمْ بِطُوبَى آمَالِهِمْ، وَتَعَبِ آبَائِهِمْ، حَتَّى تَرَكَ يَهُمُ الْمَوْعُودُ، الْبَرَى رُؤْدُ عَنْهُ الْمَغْفِرَةُ، وَتَرْفَعُ عَنْهُ النَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَلَقَمَتُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَصْحَحَ اللَّهَ وَفَقَّ، وَمَنْ أَحَدَ قَوْلَهُ ذَلِيلًا هَدَى لِلنَّاسِ هِيَ أَلْفُومُ؛ فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِينَ، وَعَدْوُهُ خَائِفٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَصَّمَ؛ قَبْرُ رِفْعَةٍ

الَّذِينَ يَعْمَدُونَ مَا عَظَّمْنَاهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةً الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُضِيَتْهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِقَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَخْرَبِ، وَالْبَرَىءِ مِنْ ذِي السَّعَمِ، وَعَلَّمُوا أَنْكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكْتُمْ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِبَيِّنَاتِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضْتُمْ، وَلَنْ تَعْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَّيْتُمْ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ: هُمْ الَّذِينَ يُخَيِّرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ حِلْيَتِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنَاطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِيهِمْ: لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ يَتَّبِعُهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَائِتٌ نَاطِقٌ.

اقول: ذكر اغراض البعثة في معرض مدح الرسول صلى الله عليه وآله، وتجليه سبحانه في كتابه: هو ظهور وجوده لقلوب عباده بالتنبيهات التي اشتمل عليها، كالتنبيه على أنواع المقدورات واصنافها على كمال قدرته بانواع المبدعات المحكمة على كمال علمه وحكمته، وبالتخويف بالمثلثة: وهي العقوبات النازلة بالقرون الماضية، وافنائهم على ان مثل ذلك واقع بهم فتعسوا له بعد الموت. وأبوراي: اكسد. فاما الكذب على الله وعلى رسوله: **قُرِئَ عَنْ شُعْبَةَ**، وكان امام المحدثين، انه قال: تسعة اعشار الحديث كذب. وعن الدارقطني: ما الحديث الصحيح الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. و تلى حق تلاوته اي: وضع موضعه، وفتر كما هو المراد، وتحريفه عن موضعه: حمله على غير محامله. ونبد حملته له: اعراضهم عن تدبر ما فيه والعمل به، واهله: هم الواعون له العاملون بما فيه. والطريق المصطحبان فيه: طريق الله، واصطحابهما: ملازمة العمل به واثاقهما على الدلالة في طريق الله، وهم في الناس ومعهم بأبدانهم، والكتاب معهم بألفاظه وكتبته، وليسوا في الناس ولا معهم بقلوبهم، والكتاب بمقاصده وثمرته، و اشار الى وجه المباينة بينهما وبين الناس: بكونهما عنى هدى، والناس على ضلالة. والصدان لا يجتمعان في محل واحد هو القلب وان اجتمعا الاجتماع المذكور والقوم: اهل زمانه كالخوارج وغيرهم، ومن بعده كاهل الآراء والمذاهب المختلفة. وزبره: كتبته، وشبههم بأئمة الكتاب: في جعله تبعا لأرائهم. وقوله: ومن قبل ما مثلا بالصالحين، الى قوله: عقوبة السيئة: اشارة الى ما فعل امراء بني امية، ولاتهم

كعبيد الله من ريادة، ولججاج، ومثل: دلتخفيف وتشديد كج، ولاسم؛ لسمه، يضم الميم وسكون الشاء. و«ما» مصدرية محلها: ارفع بالابتداء وخبرها: من قبل، وأراد: الذين فعلوا ذلك من قبل، وبالنسبة إلى من بعدهم من الداحلين في وصفه. وبسارعة: الشديدة. واستصباح الله تعالى: قول قوله، واتخاذ دليلا في طريقه التي هي اقوم الطرق. وحار الله: من لزم بابه بالطاعة، وبس معرفة الله وعظمته والتعظيم معدة لأستلزم معرفة العارف به استصغار نفسه في جنب عظمته، وذلك مناف لتكبره، وذلك تواضع لعارف لعظمته، واستيلاء قدرته واستسلامه له مستزمان برفعته وسلامته في الدارين، ومعرفة تارك الرشد وناقص الكتب وناوده، شرط في المعرفة التامة للرشد، وللتمسك التام بالكتاب ولزوم ميثقه المأخوذ عني العباد في العمل به، لأن المعرفة التامة لشيء، تستدعي معرفة ما عليه من الشكوك والشبهات التي هي سبب نقصان معرفته، والشك فيه، ولما كان الرشد هو الحق الذي هو عنه وتابعوه، وتارك لذلك هم مخالفوه من أئمة لصلال، لا جرم كان من تمام الرشد أن يدعى إليه، ويتمسك به من الكتاب: معرفة خصوصه الذين تركوا الرشد ونقضوا بكتب، ومعرفة شهيم الباطلة، لتحصل المعرفة عني بصيرة.

ولما نبه على تلك المعرفة امر بالتماسها من عند أهلبها، وأراد: نفسه وأهل بيته عليهم السلام، واستعبر لهم: وصفى عيش لعدم أي: حياته، وموت الجهل، باعتبار أنهم وجود العلم والاستماع به، وعدم الجهل والتضرر به، وحكمتهم: منطقتهم بالحكمة. ولما كان صمت الحكميم في موضعه كان من جملة حكيمته، وظاهرهم هيئة الخاشعين لمعاندن، وهودان عني أنصاف نفوسهم بكمال قوت العلم واستعمل. واستعار لفظ الصامت والاطم: لذنب باعتبار اهددة الاحكام الشرعية منه عند الرجوع إليه وعدمها.

١٤٧- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو لِأَمْرِهِ، وَيَقْصُهُ عَنْهُ دُونَ صَدِيقِهِ: لَا يَمُتُّ إِلَى اللَّهِ بِحَلٍّ،

وَلَا يَمْدُأِبَ إِلَيْهِ سَبَبٌ! كُنْ وَاجِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبَّ لِصَاحِبِهِ، وَغَمًا قَبِيلٌ يُكْنَفُ قِدْعُهُ بِهِ. وَتِلْكَ لَتَيْنِ أَصَابُوا أَلْدَى يُرِيدُونَ لَيْسَ رَقْرَقًا هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَّا تَيْنِ هَذَا عَلَى هَذَا؛ قَدْ قَمَتِ أَلَمَةُ التَّاعَةِ وَتَيْنِ الْمُحْتَسِبُونَ، فَقَدْ مَنَّتْ لَهُمُ السُّنُ، وَقُبَّتْ لَهُمُ الْخَيْرُ، وَلَكُلَّ ضَلَوَ عَنَّهُ، وَلَكِنْ نَاكِثٍ شَنَّهُ، وَتِلْكَ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدِّمِّ، يَسْتَمِعُ أَسَاعِي وَيَحْضُرُ أَلْ كَي.

أقول: يشير إلى: طلحة والربيع والأمر: أمر الأمانة، ويعطفه: يحذبه إليه، وأراد: أنهما مختلفان في نفس الأمر وإن اتفقا على خلافه، وليس غرضهما ما زعماه من انكار المنكر. ومث بكذا: توسل به. والصب: الحقد والعل. واستعار لفظ القناع: لظاهرة الساتر لباطنه. وقد نقل أنهما اختلفا قبل الحرب في الاخلاق بالتقديم في الصلاة حتى اقامت عائشة محمد بن طلحة، وعد الله بن الزبير، يصلي بالناس هذا يوما، وهذا يوما، وادعى كل واحد منهما كونه احق بشبهة ذكرها، وامرت الناس ان يسلموا عليهما جميعا بالأمرة وهم الفئة الباغية هاهنا. والمحسوب: طالو الأجر والثواب من الله. والخبر الذي قدم لهم: ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: يا علي أنك ستقاتل الباكيين ونقاسطين والمارقين^١. والمراد: من سمع هذا الخبر من طلي ثواب الله، وحب عليه قتال هؤلاء لنكتهم.

وقوله: ولكل ضمة عنة، الى قوله: شبهة: كالجواب لمن عساه يقول: أنهم يحتجون بكذا. والدم: الضرب على الصدر و لوجه ونحوه، وأراد: أنه بعد عدمه بقصد هؤلاء لقتله بامارات ظاهرة لا ينام عنهم حتى توفوه فيكون في العرور كمستمع الدم، والبكاء الذي هو مظنة الحطرت ثم لا يصدق حتى يحضر الباكي ليشاهد الحال، فيسلم نفسه للعدو وقد كان لاولي ان يكتمى بذلك السماع ويستعد للعدو ولهرب منه.

١ - من اعدته ٤ ٣٣. ندرج بعدد ١٣، ١٨٦. كثير العمال ٨٨/٦ كناية عنالكب ١٦٧/١، المنبر ١٩٢/٣ وح

٣٠٨/٩. فضائل الخمسة ٣٥٨/٢، مستدرک صحیحین ١٣٩/٣.

١٤٨ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ أَمْرٍ لَا يَلْقَى مَا يَقْرِيهِ فِي فِرَارِهِ، وَلَا يَحِلُّ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِثْلَ مُوَافَاتِهِ. كُنْ أَطْرَدْتَ الْأَيَّامَ أَبْحَثْهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا. لَا تُفَارِقْ بِي إِلَّا إِيحَاءَهُ. هَتَّاهُ! عِلِّمْ مَحْرُورٌ، أَمَّا وَصِيَّتِي فَإِنَّهُ لَا تُسْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَحَلَاكُمْ دَمٌ مَا لَمْ تَسْرُدُوا. حَمَلْ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَحْهُودَةً، وَحَقِّقْ عَنِ الْهَيْلَةِ رَبِّ رَجَسٍ، وَدِينُ قَوْمٍ، وَلِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ حِزْرُكُمْ، وَعَدَا مَفَارِقُكُمْ، عَقْرَانِي لِي وَلَكُمْ.

إِنْ تَبَيَّنَتِ الْوُطْءَةُ فِي هَذِهِ الْمَرْكَةِ فَدَدْ، وَنْ تَدْخُلْ الْقَدَمُ، قَبْلًا كُنَّا فِي أَقْيَاءِ أَغْصَانٍ وَمَنْهَبِ رِيَّاحٍ وَتَحْتِ ظِلِّ غَمَامٍ أَصْحَلَّ فِي الْجَوِّ مُسْتَقْفَهَا وَغَمًا فِي الْأَرْضِ مَحْطَهَا، وَأَمَّا كُنْتُ جَارًا جَاوَرُكُمْ بَدَيْ أَيْدِيًا وَسَعْفَقُونَ مَتَى حُجَّةٌ خَلَاءَ، مَسَاكِينُ بَعْدَ حَرَكٍ، وَصَابِيَةٌ بَعْدَ نَظُوقٍ. لِيَعْطُكُمْ هَذُوِي وَخُصُوبُ ظُرَافِي، وَشُكُونُ أَظْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعُظُ بِالْمُعْتَبِرِينَ مِنَ السَّيْطَانِ الْبَيْسِ وَالْقَوْلِ الْبَشْمُوعِ. وَذَعَاكُمْ وَذَعَاكُمْ أَمْرِي مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِ، عَدَا تَزُونَ أَيَّامِي، وَيُكْشِفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونِي نَعْدَ خُلُوقِكُنِي وَفِيَّامِ غَيْرِي مَعَامِي.

أقول: أمّا قال: في فراره: ليكون الإنسان أبدًا فدا من الموت، وإذا كان لابد من لقائه وقتما فلفقه في فراره. والأجر: قد يراد به: مدة الحياة وهو: مساق النفس إلى غايتها. وفي قوله: والهرب منه موافاته: لطف به لأن الفرار منه مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها، يستلزم فناء الأوقات، وفي فنائها موافاته، فكان الهرب منه موافاة له. واطردت الأيام: جعلتها طريفة لما اتبعها بالبحث عن مكنون هذا الأمر وهو قتله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره به إجمالا حيث قال له: (أندري من أشتى الأولين، قال: نعم عاقر الناقة، فقال: أوتعلم من أشتى الآخرين فقال: لا، فقال: من يخصب هذه)^١ وأشار إلى كهيته من هذا وأشار إلى رأسه. والمكنون: وقته وكهيته

١ - مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٠٩. الرياض النضرة ٢/٢٢٢. مجمع الزوائد ٩/١٣٦. حقائق الحديث

بالتفصيل. وهيهات أي: بعد ذلك العلم. وحزنه لقوله تعالى: (وعنده علم الساعة)^١ الآية، وروى: اسم الله، ومحمد منصوبين أي: اعبدوا الله واتبعوا محمداً. واستعار لفظ العمودين: للتوحيد والسنة، وباعتبار قيام الدين بهما. ولفظ المصاحفين: باعتبار هداية الحق بهما. وإيقادهما: إحياءهما ولزومهما. وتلاكم ذم: مثل يصرب لمن يبرأ من العيب. وأول من قاله: قصير مولى جديمه. وقوله: ما لم تشرّدوا: استثناء من نفى لحوق الذم. وقوله: وحمل كل امرئ، إلى قوله: الجهلة: إشارة إلى تفاوت التكليف بذلك إن الله قد حمل كل امرئ مجهوده، وما استعد لقبوله. وأراد بالإمام العليم: الرسول صلى الله عليه وآله، ونفسه عليه السلام لعلمهما بوضع الدين وتفاوت قسمته بحسب الأذهان. وكنى بثبات الوظيفة: عن البقاء في حالته تلك، وبدحض القدم: وهولقة عن الموت. واستعار لفظ أفياء الأغصان: لما يشبه الظلّ من الحياة الدنيا ومتاعها للاستراحة إليه كالظل.

وكذلك لفظ الأعصان: للأبدان، وكذلك لفظ مهابت الرياح: لأنهما قوايل للنفحات الألهية. ولفظ ظل الغمام: لما يعمل من البقاء. ومتاع الدنيا، ولفظ الغمام: لأسباب البقاء المجتمعة. ووصف الضمحلل لما تلتق: من الغمام، واجتمع لزوال تلك الأسباب وتفرقها. والضمير في محظنها يعود إلى الرياح، ولفظ المخبط مستعار: للأبدان أيضاً، كالمهابت وعفاؤها. وقوله: جاوركم بدني: فيه تنبيه على أن الإنسان أمر وراء هذا البدن، وإن نفسه القدسية كانت متصلة بالمأ الأسمى. وستعقبون: أي توجدون في العاقبة منى جنة خالية من الروح.

وقوله: وداعيكُم أي: وداعي لكم مرصد للتلاقي، أي: معد للقائهم يوم القيامة. وقوله: غداً، أي: بعد موته إلى آخره أراد: أنهم لم يكونوا عارفين بحقه في أمر الدين ومقاصده في حروبه، وإنما يعرفون ذلك وينكشف لهم بعد خلوه مكانه وقيام غيره فيه مقامه.

السائي/١٢٩، كبرالعمال ٣٩٩/٦. مستدرك لصحيحين ١١٣/٣. استدالفة ٣٣/٤. نورالابصار/٩٧ فضائل الحجة ٦٤/٣.

١- سورة الزحرف / ٨٥.

وَأَحْدُوا يَمِينًا وَشِمَالًا: ظَعْنًا فِى مَسَالِكِ الْعَمَى، وَتَرْكُ لِمَذْهَبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِنُوا مَا يَحِىءُ بِعِ الْغَدِ فَكَمْ مِنْ مُسْتَفْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ لَيْتُمْ مِنْ تَبَشِيرِ عِدِّ يَأْقُومُ، هَذَا بِأَنَّ وَرُودَ كُلِّ مُؤَمِّدٍ، وَدُسُورِ مَنْ ظَلَمَ مَالًا تَعْرِفُونَ، أَلَا وَدَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِمَّا يَتَسَرَّى فِيهَا بِسِرَاحٍ مُبِيرٍ، وَتَعْدُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّبَاحِينَ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا رِقْمًا، وَيُعْتَقَ رِقْمًا، وَتَضَعُ شَعْنًا، وَتُسَعَتِ صَدْعًا، فِى شَرِّهِ عَنِ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَاتَعَ نَظَرُهُ، ثُمَّ لَيْسَعَتَ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ الْفَصْلَ، تُحَلِّى بِاسْتِزِيلِ أَنْصَارِهِمْ، وَيُرْمَى بِاسْتَفْسِيرِ مَسَامِعِهِمْ، وَيُسْقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

اقبوا، الضمير فى قوله: واحذوا لمن ضل من المسلمين عن طريق الهدى. واليمين والشمال: طرفا التصريف والاقترط من المصائل التى ذكرناها قبل، وثبت الأطراف هى: الرذائل، وهى: مسالك العمى، ومذاهب الرشد: وهى لفصائل السفاسية. والكنائن المرصدة: هو ما كانوا يتوقعونه من الفتن الموعود بها و كانوا كثيرا ما يسألونه عن وقتها فهاهم عن استعجال مالاية من وقوعه واستبطائه. وأبى الشئ: وقته. ومن أدركها، أى: تلك الفتن مت، أى: من اهل البيت الاثمة الاطهار. واستعار لفظ السراح: لكمالات النفس التى استضاءت بها فى طريق الله، واستعار لفظ الريق، وهو: الحيل فيه عدة عرى يشد بها السهم: لما انعقد فى السموس من العقائد الباطلة والشبه، والامام يحلها ويعتق الرقب من رقب آتاهما، ويصدع ما انشعب والتأم من الباطل، ويشعب ما انصدع من الحق وهو مغمو فى لبس. والفائف: قصاص الأثر و اراد: أنه لا يعرفه من يتعرفه، وما زال اثمة اهل البيت عديهم السلام معمورين فى الناس، لا يعرفهم لآ من عرفوه انفسهم. وقوله: ثم ليشحذت الى قوله: الفصل، فاستعار وصف الشحذ، وهو: التحذير: لأعداد اذهان قوم فيها لقبول العلوم والحكمة، كما يعد الحداد الفصل لقطع بالشحد.

وقوله: تجلّى بالتريل، الى آخره: بيان لكيفية ذلك شحذ والاعداد، واسابه وهى: تدبر القرآن، وجلاء ابصار بصائرهما بأوار علومه وحكمته، وقدف تفسيره فى مسمعهم، كما ينبغى من امام الوقت. ولفظ الصوح والغبوق: مستعاران.

منه:

وَظَلَّ لَأَمَدَ بِهِمْ، لِيَسْتَكْمِلُوا الْجُرَى، وَيَسْتَوْجِبُوا النِّعَمَ، حَتَّى إِذَا اخْتَلَقَ الْأَحْسَنُ: وَاسْتَرَحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتْنِ، وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِأَعْيُزٍّ، وَلَمْ يَسْتَغْظِمُوا بِذَلِكَ نَفْسَهُمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَقَّ وَارِدُ الْقَضَاءِ يَقْطَعُ مَدَّةَ التَّلَاءِ حَمَلُوا بِصَايِرِهِمْ عَلَى أَسْبَاقِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَعَظِيمِهِ.

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَخَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَغْمَابِ، وَغَالَتْهُمْ السُّلُ، وَانْكَسَلُوا عَلَى الْوَلَايَحِ، وَوَضَلُّوا غَيْرَ اسْرَجِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِى أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَتَقَلُّوا الْبِئْسَاءَ عَنْ رَضَى أَسَامِيهِ، قَبْتَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ: مَعَادِينُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارَوْا فِي الْحَنَرَةِ، وَذَهَلُوا فِي اسْكُرَةٍ عَلَى سُبُوٍّ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبِينَ، أَوْ مُفَارِقِينَ لِلْمَنِّ مُتَابِرِينَ.

اقول: اشار بمن صال الأمد بهم: الى من كان من اهل لجاهلية. وقوله: ليستكسبوا، الى قوله: العبر، كقوله تعالى: (ولا تحسبنّ الذين كفروا ايمانهم الى الله الى قوله ليزدادوا اثما) ١. حتى اذا اخلوق الأجس واستراح قوم منهم الى الفتن والوقائع. واشلوا عن لقاح حربهم اى: اعتدوا أنفسهم لها كما تعد الدقة نفسها بشول ذنبها ورفع لبقاحها، و تسمى شائلا. والضمير فى قوله: لم تمتوا: يرجع الى ذكر سبق للصحابه فى هذه الخطبة، حين قام رسول الله صلى الله عليه و كه فيهم وبهم للحرب فم يمتوا على الله بصيرهم معه، ولم يستعظموا بذل أنفسهم فى نصرة الحق، حتى اذا وفق واد القضاء انقطع مدة البلاء بدولة الجاهلية، حمل هؤلاء الذين لم يمتوا على الله بتصرهم له بصايرهم اى: برؤوسهم على سيوفهم فى نصرة الدين، ودانوا لربهم بأمر عظيم، وهو لرسول الله صلى الله عليه وآله

حتى اذا قضى الله رسوله رحع قوم عن الاسلام، على عقابهم، و اراد: من ارند بعد لرسول صلى الله عليه وآله من العرب. وغبة السبل لهم: استرق طرق لاطل المشبهة عليهم لهم، و انكاهم على الولاخ: اعتماد كل مهم فى بصرة رأيه الفاسد على شهنه التى بح فيها، او على خاصته و بطانته وهى: الوليحه. والسب الذى امروا بمودته: هم اهل البيت، واستعار لهم لفظ السب: باعتبار ايصالهم لتمسك بولائهم الى الله و الأمر بمودتهم فى قوسه تعالى: (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى) ^١ و قوله: نقبوا، الى قوله: غير موضعه: اشارة الى عدو من عدل بأمر الخلافة عنه الى غير بيئته. واستعار لهم لفظ الابواب: باعتبار أنهم مبدى السبه والآراء الفاسدة التى تدخل الناس فى الجهل مها. والضارب فى عمرة: الداخل فى عمرة جهل. وماروا: ترددوا. ولفظ لسكرة: مستعار لعمدة الجهل.

١٥٠- وَمِنْ حُطَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَسْمِيَّتُهُ عَلَى مَذَاجِ السُّطُوبِ وَمَرْحَرِهِ، وَالْأَغْصَمُ مِنْ حَتَائِيهِ وَمَحَانِيهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَحْبُهُ وَضَعْفُونُهُ، لَا يُورَى فَصْلُهُ، وَلَا يُخَرَّفُ قَدْرُهُ، أَصْدَتْ بِهِ لِبِلَادُنَا لَصْلَالَةً لِمُطْمَنَةٍ، وَالْخَهَالَةُ الْعَلِيَّةُ، وَلِحَقْوَةٍ لِحَفِيَّةٍ، وَاسْمٌ يُسْتَحْلَوْنَ الْحَرْبَ، وَيُسْتَدْلَوْنَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فُتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كُفْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَضُ بِلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَعُوا مَسْكَرَاتِ السَّعْمَةِ، وَأَحْدَرُوا تَوَلَّى الثَّنَةِ، وَتَبَيَّنُوا فِي قَتَامِ لُغُوبَةٍ، وَأَغْرَضَ الْيَمَّةَ، عِندَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَتَبْضَابِ قُطْبِهَا، وَمَذَارِ رَحَاهَا: تَذُو فِي مَذَارِجِ حَيِّتٍ، وَيَبُولُ بِسَى قَطْعَةِ خَلِيَّةٍ، شَبَانُهَا كَشْيَابُ الْعَلَامِ، وَأَثَرُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ. تَقَوَّرَتْهَا اِطْلَمَةُ بِالْعَهْدِ، أَوَّلُهُمْ قَيْدٌ لِأَخِيرِهِمْ، وَأَخِيرُهُمْ مُنْتَبِ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَاقَسُونَ فِي دُنْيَايَةٍ، وَيَتَنَكَّاسُونَ عَلَى حَيِّتٍ مُرِيحَةٍ، وَغَنٍ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّائِعُ مِنَ الْمَشْشُوعِ، وَأَنْفَالُهُ مِنَ الْمُسَوَّدِ، فَيَتَزَلُّونَ بِالْبَهْصَاءِ، وَيَتَلَاغُونَ عِندَ النَّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْعِثَّةِ الرَّجُوفِ، الْقَبَاصِمَةِ الرَّجُوفِ، فَتُزْبِعُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَصِلُ رِحَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتُخْبِثُ

الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْسُسُ لَأَرْأَ عِنْدَ نُجُومِهَا مَنَ أُشْرِفَ لَهَا فَصَمَّتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَظْمَتُهُ، يَتَكَدَّمُونَ فِيهَا نَكَدَمَ الْحُمْرِ فِي الْعَايَةِ، قَدْ أَصْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَغَمِبَى وَجْهَهُ الْأَمْرِ، تَنْبِضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطَلِقُ فِيهَا الظُّلْمَةُ، وَتَذُقُ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمِشْحَبِهَا، وَتَرْصُهُمْ بِكَلْكَلِهَا، يَبْضَعُ فِي عَارِبِهِ الْوُحْدَنُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَنُ، تَرْدُ بَمُرِّ الْقَصَاءِ، وَتَخْلُبُ غَبِطُ الدَّمَاءِ، وَتَنْسِيمُ مَنَازِلِ الدِّينِ، وَتَنْقُصُ عَمَدَ الْبَقِيَّةِ، تَهْرُبُ بَيْنَهَا الْأَكْيَاسُ، وَتَذَبُرُهَا الْأُتْرَاجُاسُ، مِرْعَدُ مِثْرَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ، تُنْقَطُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُقَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ، تَرِيهَا سَقِيمٌ وَطَائِعَتُهَا مُقِيمٌ.

أقول: الدحور: الطرد، ومداحر الشيطان: مضاف دحوره، من العبادات والطاعات، واستعار لفظ الحائل: لشهوات التي هي شباك الشيطان، ومخائله: مخادعه. ولا يوزن أي: لا يقابل بمثله إذ ليس لفضله مثل. وأصابت البلاد: بسبب ما جاء به من نور الإسلام. ولصلالة: الكفر. والجموة: كانت العرب عليه من العلطة، ووصفها بما اشتق منها مبالغته. والناس: أهل الخاضعة. وسلايا: الفتن الموعود بها. واستعار لفظ السكرات: للعملة في نعمة الله عز ذكره فإنها بعد لتعبرها، ونزول بوائق القمة: وهي: الدواهي. واستعار لفظ العشوة: للفتنة. ولفظ لفتام: لما يعرض من الشبهة بسببها، وأراد فتنة بني أمية. ولفظ جنبيها: لصغير ما يبدوا منها، وكمينها: مستورها. ولفظ القطب: لصاحب الفتنة الداعي فيها. وكسى بانتصابه: عن قيامه فيها، وبمدار رحاها: عن اجتماع الحلق عليه. واسداح الخفية: صدور من ينوي القيم فيها. والمطاعة: تجاوز الأمر الشديد المقدار. والسلام: الحجارة: والضممة: امرأ بني أمية. والضمير في يتوارثها للفتنة وهي: امرأة لظالمين، ساعيتار ابتلاء الخلق بها. والكالب: التشاور. والمريجة: ذات الريح. والفتنة الأخرى يشبه أن تكون فتنة التتر. وقيل: فتنة تأتي في آحر الرمان كفتنة الدجل. والرحوف: كثيرة الأرجف واضطراب لخلق فيها. والزحوف: كثرة الزحف. ونحوها: ظهورها. والمشراف لها: المتطلع إلى دفعها ومقاومتها. والسعى فيها أي: في قيامها، والمراد: أن قائمها ومقاومها يهكأن فيها. واستعار وصف التكدم: للتعاليب. والعانة: القطيع من حمر الوحش. ومعقود الحبل: ما انتظم من أمر الدين. و

وجه لأمر: وجه المصلحة، واستعار وصف العيص: لعدم الحكمة. ووصاف الفرس للفنة كالمسجل وهي: حنفة تكون في طرف شكية للجمام. ولعبط الحالص من الدم الطري. ومزالقضاء: أصعبه كلقتل ونحوه. ومنازلدين: مستعار لإثنيته. وعقد القين: ما انمقد في العسر من الأمور المتبعة ونقصه: ترك العمل على وفقه. والأكس: أهل العقوب والآراء الصحيحة، وكشفها عن ساق، كناية: عن اقبالها مرة كاشتمرفي مهمة. وقوله: برتها الى آخره أي: من تبرأ منها وهرب عنها، لم يح منها.

منها:

بَيْنَ قَتِيلٍ مَظْلُومٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يُخْشَوُ بِغَيْرِ الْإِيمَانِ، وَيَعْرِوُ الْإِيمَانِ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْمَيْتِ، وَأَعْلَامَ الْبَدْعِ، وَلَتَرْمُوا مَا عَقِدَ عَنَبُ حَبْلِ الْخَمَاعَةِ، وَبَيَّتَ عَنَبُ أَرْكَانِ الطَّاعَةِ، وَقَدَّمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ طَائِفِينَ، وَأَتَقُوا مَدَارِخَ الشَّطِّابِ، وَمَهَابِظَ الْعُدُوبِ، وَلَا تَدْجُلُوا بَطُونَكُمْ نَعَى الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ تَعْبُرُونَ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَنْعِيَّةُ، وَسَهْلٌ لَكُمْ سُبُلُ الطَّاعَةِ.

أقرب: قوله: بين قتيل، الى قوله: مستجير، يشبه ان يكون تفصيلا لحال المؤمنين في الفتنة. ودم مظلوم: ادا هدر فلم يطلب به. وقوله: يختلون بعدد الايمان: صفة استجلاب هؤلاء المفتولين، وخذيعتهم عن انفسهم. وانصاب ايمان واعلامهم: رؤساء المعتدى بهم فيها. وحبل الجماعة: نظام المسلمين بالدين وما عقدت عليه الألفة والتوازر وعلى ذلك سبي الاسلام، واركاب طاعة الله. وقوله: واقدما على الله مظلومين: ليس فيه امر بالانظام لكونه رذيلة بل ادا تمارص الطائفة والمظلومية، فالمظلومية اولى، مع عدم النفس بالعجز عن المقاومة او الاعم بما تشتمل عليه المقدمة من فساد زائد على اغدر الفاتت بالانضام، وانما يكون الانظام رذيلة اذا كان مع مهابة لا تسبغ النفس معها الى دفع الظلم والمقاومة. ومدارح الشيطان: مذاهبه وطرقه. ومهابظ العدون: المظالم. وكنتى بلعق الحرام: عما يؤكل منه، واسعقة: ما تناوله المنعقة. ولعمد العين مجاز في العلم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا وَجُودَهُ بِحَقِّهِ، وَيُمَحِّدُ خَلْقَهُ عَلَى أَرْكَائِهِ، وَبِأَشْيَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَيْءَ لَهُ، لَا تَسْتَبِيهُ لِمَشَاعِرٍ، وَلَا تَحْتَبِيهِ السَّوَابِغُ لِإِفْتِرَاقِ الصَّنَائِعِ وَالْمُصْنُوعِ، وَلِحَاذِ الْمَخْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْوَاحِدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ، وَلِحَالِقِ لَا يَمْتَنِي حَرَكَةً وَتَصَبُّ، وَاسْمِجِ لَا يَبَادَّةٍ، وَالصَّيْرِ بِلَا تَقْرِيقٍ كَلَّةٍ، وَالشَّهِيدِ لَا مُمَدَّسَةٍ، وَلِبَائِي لَا يَتَرَاخَى مَسَافَةٍ، وَالطَّاهِرِ لَا يَرُوتِيَّةٍ، وَالسَّاطِنِ لَا يَنْطَاقَةِ، بَانَ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا لَقَهَرَتْهَا، وَالْقُدْرَةِ عَنِّيهَا، وَنَائِبِ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ بِالْحُصُوعِ لَهُ وَالرَّخُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْكَهُ، وَمَنْ قَاتَ «كَيْفَ؟» فَقَدْ اسْتَوْصَمَهُ، وَمَنْ قَاتَ «أَيْنَ؟» فَقَدْ حَيَّرَهُ، غَالِمٍ إِذَا لَا مَعْنُومَ، وَرَبِّ إِذَا لَا مَرْبُوبَ، وَقَادِرٍ إِذَا لَا مَعْدُورَ.

أول: حمد الله تعالى باعتبارات من أوصاه، فالأول: الإشارة إلى وجوده الواجب، وللناس في إثباته طريقتان: أحدهما: اثبت وجوده باعتبار الوجود نفسه، وقسمته إلى واجب، وممكن، وبيان أنه لا بد من وجود الواجب في الجملة، وهو طريق العليين. والثانية: الاستدلال بالطرفي المحسوقات وطبائعها، وتعبيراتها على مبدأ لها وهي طريق الطيعيين، والممكنون فرعو هذه الطرق إلى طرق أربع، وذلك أنهم استدلوا بإمكان لأشياء ثم محدوثها على الصانع، وعلى التقديرين في ذواتها وفي صفاتها. وقد اشرنا إلى تفصيلها في الأصل، والكلام عليها مستوفى في الكلام. وإشارته عليه السلام بقوله: الدال على وجوده بخفه: إلى الاستدلال بحدوث العالم على وجود صانعه، وهي الطريقة المشهورة للمتكلمين.

الثاني: في إركيته وإشارته إليه بقوله: وبمحدث خلقه على إركيته.

الثالث: لا شبيه له، وإشارته إليه بقوله: وبأشباههم على أنه لا شبيه له.

الرابع: تنزيهه عن الحسية ولواحقها، وإشارته إليه بقوله: لا تستلمه المشاعروهي: الحواس.

الخامس: أن السماوات لا تحجبه، ونبيه على دليل الاعتبارات الخمسة بقوله:

لأفترق الصانع، الى قوله: والمربوب. وبيانه ان لكل من الصانع والمصنوع، صفات تخصه بها تفارق الآخر، وتقرير الحجة: ان المخلوقة والحدوث والاشتباه، والملموسية بالمشاعر والحب بالسواثر من الصفات المختصة بالمصنوع واليحدود والمربوب، وكل ما كان كذلك فيجب أن ينزه الصانع الحادث الكل عنه، وبيانه بالتفصيل، قد نتها عليه في الأصل.

السادس: في وحدانيته وقد سبق بيانها في الخطبة الأولى. وقوله: ليس بمعنى العدد أى: كونه واحدا ليس كونه مبدأ لكثرة بعدها.
السابع: كونه تعالى في خالقته منزها عن الحركات والمتاعب.
الثامن: كونه سميما لا بأداة.

التاسع: كونه بصيرا لا بتفريق الآلة، و اراد بتفريق الآلة: اما توزيع آلة الأبصار، وهو الشعاع على المبصرات او الآلة المفردة، وهما القوتان في العينين، او الأرواح الحاملة لهما.

العاشر: كونه شاهداً أى حاضراً مع الأشياء لا بمماسمة معها.
الحادى عشر: تنزيهه عن العساية بمعنى الافتراق في المسافة.
الثانى عشر: كونه ظاهراً منزهاً عن طهرته عن رؤية الابصار، وباطناً منزهاً في ذلك عن لطافة المقدار.
الثالث عشر: في تفسير مباينته للأشياء، ومباينتها له بالوحه اللائق بكماله ونقصانها.

الرابع عشر: تنزيهه عن الصفات الرائدة بالقياس الذى ذكره، والمراد بوصفه هنا: اشارة الوهم اليه، ولما كان عده، اما جعله مبدأ كثرة معدودة، او ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق المحدثات غير المستحقة الأزلية بالذات كان عده بأحد الاعتبارين مبطلاً ازله الذاتى.

الخمس عشر: تنزيهه عن أسؤل عنه بكيف واين، لأمتناع المسؤول عنه بهما عليه. وقد مرت الإشارة الى هذه الصفات وما بعدها، والى براهنها في الخطبة الاولى. وبالله التوفيق.

منها :

قَدْ ظَلَعَ ظَالِمٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ، وَأَعْتَدَكَ مَائِلٌ، وَأَسْتَبَدَكَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَيَوْمٍ يَوْمًا، وَأَنْتَظَرْنَا الْيَمِينَ أَنْتَظَارَ الْمُجِيبِ الْمَطَرِ، وَإِنَّمَا الْأَيُّمَةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَرَفُوهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أُنْكِرَهُمْ وَأُنْكِرُوهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَسْتَحْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمَنُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعٍ كَرَامَةٍ، أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنَهِجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَّتَهُ، مِنْ ظَاهِرٍ عِلْمٍ، وَبَاطِنٍ حِكْمٍ، لَا تَقْصَى غَرَائِيَهُ، وَلَا تَقْصِي عَجَائِيَهُ، فِيهِ مَرَايِجُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الطِّمِّ، لَا تَفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى جِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَافِي.

أقول: اشار بطولوع الطالع: الى ظهور امر الخلافة، وانتقالها اليه. وبلموع اللامع: الى ظهور نور العدل بانتقالها الى مقرها **سوح اللامع**: الى ما يلوح من امارات الفتنة. والتمائل: كونها في غيره قبله. واعتداله: انتقالها اليه. والقوم المستبدل بهم: من سبقه به وزمانهم بزمانه. وانتظاره للغير: **موقعه لغيره** الامور اليهم والعرفاء: النقباء. ولما ثبت في الأصول ان معرفتهم اى: معرفة حقبة امانتهم، ومعرفتهم لأوليائهم بالولاية لهم شرطين متساويين للايمان، والايمان واستحقاق الجنة متلازمان، ثبت ان معرفتهم والمعرفة بهم ملازمة لدخول الجنة، وحينئذ يكون انكارهم ودخول النار متلازمين، والا لصدق احدهما على بعض نقيض الآخر. واما ان يصدق انكارهم على بعض من لا يدخل النار فبعض من يدخل الجنة منكر لهم، او يصدق دخول النار على بعض من لا ينكرهم فبعض من يعرفهم يدخل النار، وكلاهما باطلان لما يتنافى الملازمة من دخول الجنة ومعرفتهم، فظهر بذلك وجه الحصر في القضيتين، وفضيلة الاسلام من جهة اسمه كونه عبارة عن الدخول في الطاعة التي هي: سلامة الدارين، ومن جهة معناه كونه جماع كرامة لان مداره على تعميم الفضائل، والطهارة عن الرذائل، ومنهجه طريقه، وحججه ادلته واماراته واستعمار لفظ المرایع وهي: الامطار الربيعية للعلوم والحكمة باعتبار احيائها القلوب. و لفظ المصابيح لها: لهداية بها من ظلمة الجهل. و لفظ المفاتيح: للتوصل به الى

الخبرات الحقيقة الناقية. ولفظ الحمى: للمحرّمات التي معها نواهيها. ولفظ المرعى: للمباحات التي أباحها وحلّها برشاده.

١٥٢- ومن حُظّنت له عليه السلام

وهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنْ لَهِ يَهْوِي مَعَ الْعَافِلِينَ، وَيَعْلُو مَعَ الْمُنْذِرِينَ، بِأَسْبِيلِ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ:

أقول: يصف ضالّا. والمهبة: مدة العمر، وهواه مع العافلين: سحره في سلوكهم إلى مهاوى الهلاك.

مها:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَرَاءِ مَغْصَبَتِهِمْ، وَاسْتَحْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ عَقَلَتِهِمْ، اسْتَفْتَلُوا مُذِيرًا، وَاسْتَدْرَبُوا مُعْبِلًا، فَهَ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَذَرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ، وَلَا يَبِ قَصُورًا مِنْ وَطَرِهِمْ! وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ أَمْرًا، فَاسْتَمِعْ أَمْرًا وَيُغْنِيكَ؛ فَإِنَّمَا السَّيْرُ مِنْ سَبْعٍ فَتَعَكَّرَ، وَنَظَرًا أَبْصَرَ وَتَنَفَعَ بِالْعَيْرِ، ثُمَّ مَلَكَ جَنْدًا وَأَضْحَا يَتَخَبَّطُ فِيهِ الصَّرَعَةُ فِي السَّهَاوَى، وَالضَّلَالَةِ فِي السَّعَاوَى، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَوَاةَ تَعَسَّفُ فِي حَقٍّ، أَوْ تَخْرِيبٍ فِي بَطْلٍ، أَوْ تَحَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ. هَ أَفِيئُ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَقِظْ مِنْ غَفَبِكَ! وَاحْتَصِرْ مِنْ غَحَبِكَ، وَأَعِمْ الْفِكْرَ وَمَا خَاكَ عَلَى إِسَابِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا لَا يُدْمِيهِ، وَلَا مَجْبِصُ غُدِّهِ، وَحَالِفُ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى عَثَرِهِ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَصَنَعَ فَخْرَكَ، وَخَطَطَ كَيْدَكَ، وَأَذْكُرُ قُدْرَكَ؛ فَإِنِ عَلَيْهِ مَمَرُكَ؛ وَكَمَا تَدِينُ شِدَائًا، وَكَمَا تَرْتَجُّ تَحْصُدًا، وَكَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ نَقْدًا عَدَا، فَتَهْدُ يَدَيْكَ، وَقَدَّمَ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْحَذَرُ الْجَدُّ أَيُّهَا الْعَافِلُ (وَلَا يَسْتَهْجِكْ مِنْ حَبِيبٍ) إِنَّ مِنْ عَرَائِمِ اللَّهِ فِي لَذْكَرِ الْحَكِيمِ لَنَيْ غَنَّتْهُ يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى.

أقول: قوله: حتى، إلى قوله: وطهرهم، وصف حال العصاة العافلين بعد الموت.

واستعار لفظ الجلاسيب: للأبدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار حجبها لامور الآخرة عنهم، والمدير الذي استقبلوه: امر الآخرة والمقبل الذي استندبروه: امر الدنيا. والوطن: الحاحة. والمزلة: حال لعافلين المذكورين فيها منزلة أقدام العقول. وقوله: فإساءا الى قوه: صدق، شرح لكيفية استماع الانسان بنفسه كما أمر به. والجند: الطريق الواضح وهي: سبيل الله المستلزمة للسلامة من صرعة المهوى وهي: المعاصي. وتتعسف في الحق: تكلف ثبوت الأمر بالشبهة الضعيفة والاحتمال البعيد، ولطرق غير الواضحة في الدين. وتحريف لقول: تغييره بزيادة أو نقصان. وظاهر أن من عرف بذلك أو بالتخوف من الصدق في بعض ما يتوهم فيه مفسدة، هان على الجهال والعواة، ودعاهم ذلك منه الى الطمع في افعاله عن باطلهم، فكان معيأ لهم على نفسه، والاحتجاج عليه بمش فعه، بل الواجب لزوم الطريق الواضح في كل مشتبه والكف عما سواها، و اراد بعجلته: سرعته في طلب الدنيا، وما لا بد منه: لموت وما بعده، والمحيص: المعدل.

وقوله: و كما تدن تدان، الى قوله: حصد: مثلاً يضربان لمن يفعل فعلاً ولا بد من جزائه به والتمهد: التوطئة. وقوله: ان من عرئتم الله، الى قوله: مها، اي: من جملة نصوص الله التي هي في محكم كتابه التي ناعتقادها والعمل على وفقها، يثبت ويرصى، و بتركها يسخط ويعاقب، أنه لا يفع عبداً خروجه من الدنيا لاقباريته بحدى الخصال المذكورة غير تأتب مها، وان اجهد نفسه في العمل، واحص فيه:

الشرك في العبادة المفترضة: الرياء، ويحتمل ان يريد الشرك المعهود.

وشب غبطه بهلاك نفسه: ان يشفيه بمحرم يستعقب الهلاك في الدارين او في الآخرة. وروى: بهلاك نفس. والأقرار بفعل الغير: السيمة، والسعاية. والبدعة: المتوصل بها الى الحاحة، كشهادة الزور وكإرضاء المولك بفعل بعض المحرمات.

ولقاء الناس بوجهين اول لسانين: كناية: عن العاق. وهذه لرذائل بس الراد ليوم المعاد.

وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَتَّقُ عَيْدًا - وَنَ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَحْلَصَ فَعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِحُضْرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحُضُورِ لَمْ يَنْبَ مِثْلُهَا: أَنَّ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ،

أَوْ تَشْمِي عَصَاهُ يَهْلِكُ نَفْسٌ، أَوْ يَمُوتَ بِأَمْرِ فَعْلَةٍ عَثِرَةٍ، أَوْ يَسْتَشْجِحُ حَاجَةً إِلَى آبٍ بِأَصْهَرِ
بَذْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوُجْهِهِ، أَوْ يَمُوتَ فِيهِمْ بِلِسَانِهِ؛ أَغْفِلْ ذَلِكَ قَبْلَ لَيْسَ
ذَلِكَ عَنِ شَيْءٍ.

إِنَّ لَهَا نِيَمَ هَمِّهَا نَوْبَهَا، وَإِنَّ السَّبَّاحَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ نِسَاءَ هَمِّهِ
رِيْزَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْقَسْدُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكْبِرُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكْبِرُونَ، إِنَّ
الْمُؤْمِنِينَ حَافِظُونَ.

وقوله: اعقل، الى آخره أى: اعقل ما اصر به لك من المثل، واحمل عليه ما
يشبهه، فإن المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله: إِنَّ السَّهَامَ، الى قوله: والفساد
فيها. فقوله إِنَّ السَّهَامَ هَمُّهُ بَطُونُهُ: اشارة الى أَنَّ الْإِنْسَانَ اِمْتَعَ لَشَهْوَتِهِ بِمَنْزِلَةِ السَّهَامِ ذِ
هَمِّهَا مَا تَشْتَهِيهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ. وقوله: وَإِنَّ السَّبَّاحَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ، اشارة الى مَتَعَ
الْقُوَّةَ لِعَصْبِيَّةٍ بِمَنْزِلَةِ السَّعْيِ فِي اتِّبَاعِهَا وَمَحَاةِ لَاتِقَامٍ. وقوله: إِنَّ النِّسَاءَ، الى قوله: فيها،
اشارة الى أَنَّ لِنِسَاءٍ مَتَبَعَاتٍ لِنَفْسٍ لِسَهْوَةٍ وَيَمَا كَانَ هَمُّهُنَّ بِرِيْزَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
وَالْعَصْبِيَّةِ وَكَأَنَّ هَمَّهُنَّ الْفَسَادُ فِي الدِّينِ، فَالَّتَابِعَ لَشَهْوَتِهِ بِهَيْمَةٍ، وَبَعْضُهُ سَمِعَ، وَلَهُمَا
امْرَأَةٌ.

ولما حصر صنائع الشرف في قوتَي الشهوة والغضب، حقق للمؤمن صفات تستمر كسر
تلك القوتين ليبرهما متدثر المثل، وبالله التوفيق.

١٥٣ - وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَبَطَرُ قَلْبٍ الْمَسْبُوبِ بِهِ يُنْصَرُ أَقْدَمُهُ، وَيَعْرِفُ عَوْرَةَ وَخَلَدَهُ، دَعِ دَعَا وَرَاعِ رَغْيَ،
فَاسْتَجِبُوا لِلَّهِ عِزِّي، وَأَنْصَبُوا الرَّاغِبِي
قَدْ حَصَوُ بِحَدَرِ الْهَيْبِ، وَأَحْدَثُوا بِالْبَدْعِ دُوبَ الشَّيْ، وَأَزَّرَ الْمُؤْمِنُونَ وَطَقَ الصَّالُونَ
الْمُكَدُّونَ. نَحَرَ السَّعَاةَ وَالْأَصْحَابَ، وَالْحَرَّةَ وَالْأَنْوَاثَ وَلَا تُؤْنِي الْيَبُوتَ إِلَّا مِنْ نَوْجِهَا،
فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَتَوِيهَا سَمِيَّ سَارِهَا.

اقول: ناطر قلب السبيب: فكره، وبه يصبر غيته: وهي الموت وما بعده. وعوره، ونجده، كسايتان: عن طريق الخبر واشر. واشار بالماعى: الى الرسول صلى الله عليه وآله، ولقرآن الكريم، وبالرعي: الى نفسه. واضمير فى خاصوا: لمحاربيه. ورز مفتح الرء: تقصوا وانصموا. واستعار لفظ الشعار: لنفسه وأهل بيته، باعتبار قربهم من الرسول صلى الله عليه وآله كالثوب الذى يلى الجسد دون باقى الثياب. والحزنة والأبواب أى: خربة علم الرسول وابوابه كما قد صلى الله عليه وآله: (انا مدينة لعلم وعلى بيته)¹. وقوله: لا توتى: ارشاد للناس الى نفسه وأهل بيته بضمير صغراه قوله: فمن أتاها الى آخره. وتقدير كراهه، ومن مسمى سارقا لحقه الاثم. والعار، والعقاب.

مها:

فِيهِمْ كَرَامُ الْفُرَاتِ، وَهُمْ كُوزُ الرُّحَابِ، إِنْ نَصَوْ صَدَقُوا وَإِنْ صَنَوْا لَمْ يُسَبِّحُوا، فَلْيَصْطَقْ زَائِدُ أَهْلِهِ، وَلْيُخْصِرْ غَفْلَةُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَتَاءِ الْآجِرَةِ فَإِنَّ مِنْهَا قَدِيمٌ، وَالنَّهْيُ يَتَقَلَّبُ، فَلَنْ يَطْرُقَ بِالْقَبْلِ الْعَامِلُ بِالْبَصْرِ يَكُونُ مُسْتَدَ غَمَلُهُ أَنْ يَغْتَم: أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَصَى بِهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ غَنَهُ: فَإِنَّ الْعَامِلَ بَعَثَ عَلَيْهِ كَسَائِرَ فِى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَرِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْأَعْمِ كَسَائِرَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَنَتَنَظَّرُ نَاصِرَ أَسَائِرِهِ أَمْ رَاحِعٌ.

وَعَلَّمَ أَنْ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثْلِهِ، فَمَا ظَلَمَ ظَاهِرُهُ ظَلَمَ بَاطِنُهُ، وَمَا حَبَسَ ظَاهِرُهُ خَبَسَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَتَدَ وَيُبْغِضُ غَمَلَهُ، وَيُحِبُّ لَعْمَنَ وَيُسَمِّصُ نَدَنَهُ». وَعَلَّمَ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَتَائِجًا، وَكُلُّ نَتَائِجٍ لَا يَنْتَ بِهَ عَنِ الْمَاءِ، وَلِمَيَاةٍ مُحْتَلَمَةٍ: فَمَا ظَلَمَ سَقِيَهُ ظَلَمَ غَرْمُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا حَبَسَ سَقِيَهُ حَبَسَ غَرْمُهُ وَأَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ.

اقول: لاشارة الى فصائل أهل ليست عليهم السلام. وكرثم الايمان: نفائسه كالاعتقادات الحققة، والاحلاق الماضية. وكوز الرحمان: استعارة باعتبار كونهم حزان

١- راجع كتاب (فتح المملك لمي بصحة حديث باب مدينة العلم علي).

علم الله . وخصص وصف الرحمن لأنه مبدأ بعثة الأنبياء والأولياء، اذ جعلهم الله بمرحمته هداة خلقه . وقوله: سم يستقوى: عند صمتهم لا يستبقوا الى فضيلة نطق، ذكّن صمتهم فى موضع الصمت حكمة . وقوله: فليصدق رائد الله: كالمثل وقد سبق مثله، وفائدته التبيه على فضله، والأمر يصدق الخبر عنه لمن يعيهم أمره وأن عنده من مراعى النفوس وماء حياتها ما ينبغي . ويحضر عقله أى: ليفهم ما يقوله: واستعار لفظ الإبهام للآخرة، ووجه الشبه قوله: فإنه الى قوله يقلب، وذلك أنّ الانسان مبدأ الحضرة الإلهية فعنها يقلب و اليها يعود، كالمقلب عن الأمّ الراجع اليها .

وقوله: واعلم، الى قوله: طاعه، اشارة: الى ما اقتضته الحكمة الإلهية من جعل العالم الجسمانى مثالا لعالم الروحانى، وطريقا للنفوس البشرية الى مثلها من المعقولات، وأنه لولا ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الإلهية، ومن ذلك ما اشار اليه عليه السلام: من اشخاص الناس اواقعا لهم الطهرة، فاتها دلة على ما يناسبها فى بواطنهم من الأخلاق واعمال لقلوب دلالة كثرية، قرب حسن الصورة قبيح الباطن، ورب خبيث اظاهر حسن الباطن، وسدث استشهد بالخبر النبوى (فإنّ الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة) لكونها مقتضى الحكمة الإلهية، وانسب الى الوجود من القبيحة التى هى انسب الى العدم آنذى هو الشر المحض، ويبعض عمله من جهة ما هو شر مكروء بالذات ويحب ويبغض بالعكس من كان على العكس، ومن البصر الحكيم على دلالة الطاهر على الباطن قوله تعالى: (وَاللَّهُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مَكْرَهاً) ١ واستعار لفظ النبات: لزيادة الأعمال ونموه . ولفظ الماء للمادية القلبية من الارادات والنبات المخاضة، وطاهر أنّ طبيب الأعمد بطبيعتها، وخشيتها بغيبتها كالماء وما يستقى به .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَسَّرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَزِدَعَتِ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَحُدَّ مَسَاعِلًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكَوَتِهِ، هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُسَبِّحُ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا قَرَأَهُ الْعِبَادُ، لَمْ تَبْلُغْ الْعُقُولُ بِتَحْيِيدِهِ فَيَكُونُ مُشْتَهَاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرِهِ فَيَكُونُ مُمْتَلَأً، خَقَّ الْحَلْقُ عَلَى غَيْرِ تَعْيِيلٍ، وَلَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةَ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَدَعَتْ لِيُطَاعِيهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ وَهَدَّ وَلَمْ يَتَرَعْ.

وَمِنْ لَقَائِفِ صَسْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ الَّتِي يَتَقَبَّضُهَا الصَّيَّاءُ النَّاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَتَيْسُطُّهَا الظُّلُمُ الْقَابِصُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَاشَتْ أَغْيَبُهَا، عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَدَّ هَيْبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلَائِقِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَرَدَّعَهَا تَلَاوُضِيَانِهَا عَنِ الْمُصِئِ فِي سُحَابِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكْتَنَهَا فِي مَكِّ مِيقَةٍ عَنِ بَدْهَابِ بَلَجِ إِيْلَاقِهَا، فَيَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَشْدَاقِهَا، وَجَاعِلُهُ اللَّيْلَ سِرْحَانًا تَسْتَلُّ بِهِ فِي لَيْمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافَ طُلْمَعِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُصِئِ فِيهِ لِعَسَى دُخَانِهِ، فَإِذَا أَلْقَى الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْصَاحُ نَهَارِهَا، وَدَحَلَتْ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الصُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتْ الْأَخْفَدَ عَلَى مَا قِيَهَا، وَتَبَسَّعَتْ بِمَا أَكْتَثَسَتْ مِنْ قِيٍّ طَلَمَ لَيْلَاقِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا بَهْرًا وَمَعَاشًا، وَالنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا أَجِيحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَمْرُخُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّبْرَانِ، كَمَا أَنَّهَا شَطَايَا الْأَذْنِ غَيْرُ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ، لِأَنَّكَ نَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِدُ فَيَسْتَقِفُّ، وَلَمْ يَلْغُظْ فَيَمْتَلَأْ، تَطِيرُ وَلَدَهَا لَا صِقُّ بِهَا، لَا حِيءُ إِلَيْهَا: يَتَقَعُّ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا رَفَعَتْ، لَا يَفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَدَتُهُ، وَيَخِيمُهُ لِلْمُفْهُوسِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفُ مَدَّ هَيْبِ عَيْنَيْهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

اقول: انحسار الأوصاف؛ كلالها عن كشف حقيقته لبراءتها عن التركيب.

وردعت: كفت. والمساغ: المسلك، و اشار الى هويته المطلقة بقوله: ولما لم تكن الهوية مركبة لم يمكن ان يدل عليها الا باعتبارات من المسبوب، والاضافات اللازمة والعارضة، واللوازم الإضافية اشدها تعريفا والأكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعى الاضافة، والسبب، وذلك كون تلك الهوية إلها، وأن الإله هو الذى ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره، فانتساب غيره اليه اضافى، وعدم انتسابه الى غيره سلبى، فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لأكملته في التعريف، ثم لما شرح اسم الهوية اشار الى كونها: حقاً اى: موجوداً ثباتاً وجوده عند العقل احق وأبين مما ترى العيون اذ هو فطرى. ومن الاعتبارات السلبية كون العقول لم تبلغه بتحديد لما ينزم من التشبيه، لأنك علمت أن العقل يستثبت المعقول بصورة تحاكيه المخيلة بها من المحسوسات فيكون مشبهاً بها. ثم نبه على غامض حكمة الله في خلق الخفاش ومخالفته لسائر الحيوان في قبض الضياء لأبصارها مع كونه مادة لسائر ابصار الحيوانات، وبسط الظلام لها مع قبضه لسائر الأبصار و اشار الى ما يصلح علّة لذلك وهو عشاء ابصارها وضعفها من الاستمداد بنور الشمس قيل: فى سبب ضعفه انه تحلل الروح الباصير منه اذا لقي حر النهار فمستكمل بالبدل يقرش الليل لمكان برده، فتعود مبصراً. والعلاية: الظهور، و«ردعها» عطف على «ارانا». وسبحات اشراقها: بهاؤه وصفائه. والبسج: جمع بلجة وهى اَوّل ضوء الصبح. واتلاقها: لمعانها. والاسداف: مصدر اسدف الليل: اظلم. وغسق الدجنة: ظلام الليل. واستعار لفظ القناع: لما يستر الشمس قبل طلوعها. ووضح النهار: ضوءه. وجار النصب: بيته. وشطايا الاذان: رؤوسها البارزة. ثم نبه على عظمتة تعالى، باعتباره خلقه لها مخالفة لسائر الحيوان فى خلقه الجناح، وفى حالها مع ولدها وشرح ذلك بافصح عبارة تكشف عن الغرض.

١٥٥ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ أَسْتَظَاعَ عَيْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَغَيَّلَ نَفْسُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقْتُلْ! فَإِنْ أَطْمَأْسُونِي فَإِنِّي

حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيْرَةٍ.
وَأَمَّا فُلَانَةٌ فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضَغْنُ غِلَا فِي صَدْرِهَا كَمِزْجِ الْقَيْنِ، وَلَوْ ذُعِيَتْ
لِتَنَالِ مِنْ غَيْرِي مَا أَنْتَ إِلَيَّ لَمْ تَقْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ

أقول: مفهوم الفصل أنه سبق قبله ذكر فنن وحروب بعده بين المسلمين، يجب على
من أدركها ان يعتقل نفسه على الله اى: يحبسها عن الدخول فيها على طاعة. وسبيل الجنة
هو: الدين القيم، ولزوم المشقة فيه ظاهر كالجهد. وفلانة: عائشة، ورأي النساء رأيها
فى حربها بالبصرة، ورأيهن الضعف^١. وأما الطعن الذى كان لها وهو الحق فقد نبهنا
عليه فى الأصل فلا نطول بذكره. وحرماتها الأولى: حرماتها برسول الله صلى الله عليه وآله.
وفى قوله: والحساب على الله: وعيد لها ببقائه.

منها:

سَبِيلُ أُنْخَلِجَ الْمُتَحَارِجِ، أَمْرًا وَسَرَّاحًا، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ
يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْتَمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْشَمُ
الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُخْرَزُ الْآخِرَةُ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُزْقَلِينَ فِي مَضْمَارِهَا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى.

أقول: السبيل الإلحاح هو: الدين. والأبليج: الواضح. والإيمان: هو التصديق القسبى
بالله وبرسوله وما جاءوا به من الاعمال الصالحات ثمراته، ومعلومات يستدل بوجودها
من العبد على وجود الإيمان فى قلبه على لزوم الصالحات استدلالا بالعلّة على المعلول.
ولما كانت ثمرات وكمالات له فبالحرى أن يكون بها عمارة العالم، اى: الإيمان
بالمعنى المذكور اذا عضدها البرهان، وهو قليل الفائدة كالخراب اذا لم يعضد بالعمل.
ولما كان من الإيمان العلم بأحوال المعاد استلزم ذلك العلم دوام ملاحظة الموت
المستلزم لرهبته. ولما كانت الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد، كان بها

١ - فى نسخة ش: لصيف.

أحرز الآخرة. ولا رقاب: صرب من السر سرب، وهو مستعار لسيرهم المتوهم في مدة
 أعمارهم إلى الآخرة. والدية القصوى هي السعادة، والنقوة الآخروية، مه؛
 قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُشْتَقَّ الْأَخْذَاتِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْعَايَاتِ، لَكُلِّ دَارِ أَهْمُهَا:
 لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَا يُسْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِحُلُمَايَا مِنْ
 خَلَقَ اللَّهُ مُبَحَّاتَهُ، وَتُهُمَا لَا يُعْتَرِيَانِ مِنْ أَجْلِ وَلَا يُنْقَضَانِ مِنْ رِزْقِي، وَعَيْنُكُمْ يَكْتُبُ اللَّهُ فِيهِ
 الْحَبْلَ الْمُتَيْنِ، وَلِثَوْرِ الْمُسْرِ، وَلِسَفَاءِ النَّافِعِ، وَأَرَى النَّافِعِ، وَأَبْغَضُهُ لِمُسْتَسْتِ، وَالنَّجَاءَ
 لِلْمُتَعَنِّي لَا يَفْرُحُ بِفَقَامٍ، وَلَا يَرْسُحُ قِيَسَتَتْ، وَلَا تُحْلَفُ كَثْرَةُ أَرْدِّ وَوُلُوحُ لَسْمَج. مَنْ قَانَ بِهِ
 صَدَقَ، وَمَنْ عَمِيَ بِهِ سَقَ،

وقام إليه رجل وقاب: أخبرنا عن امته، وهن سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و
 آله وسلم؟ فقال عليه السلام: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ سُحْحَةَ قَوْلِهِ: (أَلَمْ أَحْيَيْ لَنَاسٍ أَنْ يُثْرَكُوا أَنْ
 يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَيَسَتْ أَنْ أَلْعَنَهُ لَا تُرَكُّ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، تَبَيَّنَ
 أَطْهَرُنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ لِمَنْتُهُ أَيْ أَحْرَكَ اللَّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «بِنَا عَلِيٌّ، بِنَا
 أَهْلِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ أَسْأَلُكَ
 مَنْ أَسْأَلُكَ مِنَ الْمُسِيْبِينَ وَجِزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَسَقَ ذَلِكَ عَنِّي فَقُلْتُ لِي: «أَبَشِّرْ، فَإِنَّ
 الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِي؟» فَقَالَ لِي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذِبُكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
 اللَّهِ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ النُّشْرَى وَالسُّكْرِ، وَقَالَ: «بِنَا عَمِي، إِنَّ
 الْقِسْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُفْتَنُونَ بِبَنِيهِمْ عَنِّي رَتْنَهُمْ وَيُفْتَنُونَ بِرَحْمَتِهِ، وَيَأْمَنُونَ
 سَطْوَتَهُ، وَيُسْتَحْلُونَ حَرَامَهُ بِأَسْهَاتِ لِكَاذِبَةٍ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيُسْتَحْلُونَ الْحَمْرَ بِأَسِيدِ،
 وَلَسُخْتُ بِالْهَيْبَةِ، وَالرَّيْمَا بَالْتَع» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بَأَيِّ الْمَسَازِلِ أُرِثُكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟
 أَبَشِّرْكَ بِدَهْ أَمْ بِمُتْرَلَةٍ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمُتْرَلَةٍ فِتْنَةٍ»؛

أقول: صدر الفصل تماما لصفة سبقت لحاج أهل القصور. ومصائر العايات: الحجة
 والندر، ولكل دار مهما أهل. ونه على وحبوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
 ضميرين صغرى الأول مسهما قوله: أنهما خلقان من خلق الله، وتقدير كبره: وكل ما

كأن كذلك وجب التحقق به وصغرى الثانى قوله: لا يقربان، الى قوله: من ررق - وتقدير كبيره: وكل ما كان كذلك فلا يسبقى ان يحذو فعله، والواقع: المروى. ويستعجب: يطلب منه العتق، وهى اسرجوع عن الأساءة. والرد: التردد فى الألسنة. وحيزت أى: قبضت ومنعت. والسحت: الحرام. وباقي الفصل ظاهر.

١٥٦ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِيَذْكُرِهِ، وَسَبَّحَ لِمَنْزِلِهِ مِنْ قُضِيَّهِ، وَذِيلاً عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْكَهْرَبَعْرَى بِالْبَاقِيْنَ كَحَرْبِهِ بِالْمَضِيِّ، لَا يَبْعُدُ مَا قَدَوَلَى مِنْهُ، وَلَا يَنْقُى سَمَرَمَدًا مَدْفِيهِ. آخِرُ عِيَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُسَابِقَةُ أُمُورِهِ، مُتَطَهِّرَةٌ غَلَامُهُ، فَكَانَكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوثَكُمْ حَدُّوَ انْزَاجِ شَوْئِهِ، فَمَنْ شَعَلَ نَفْسَهُ بِعَبْرِ نَفْسِهِ نَحْبَرُ فِى لُطْلُمَاتٍ، وَزَنْبَكٍ فِى الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيْطَانِيَّتُهُ فِى طُعْيَانِيهِ، وَزَنْبَتْ لَهُ سَنَى أَعْمَانِيهِ، فَالْحَنَةُ عَايَةُ السَّابِقِينَ، وَنَارُ غَابَةِ الْمُفْرَطِينَ.

أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ النَّفَى ذُرْ حُضِي عَزِيزٍ، وَالْمُحُورُ ذُرْ حُضِي ذَلِيلٍ: لَا يَنْتَعِ أَهْنُهُ، وَلَا يَخْرِجُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَبِاتَّقَى نَفْعَ حُمَةِ الْحَطَايَا وَالْبَاقِينَ تُذَرِّكُ الْعَايَةُ الْقُضَى. عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُ فِي أَعْرَ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْتَهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طَرَفَهُ. فَيَقْوَةُ لَارِيَتِهِ، أَوْسَعَادَةُ دَائِمَتِهِ، فَتَرَوُذُوا فِى أَيَّامِ الْفَسَاءِ لِأَيَّامِ الْفَسَاءِ، قَدْ دَلَيْتُمْ عَلَى الرَّدِّ، وَأَمُرْتُمْ بِالْإِطْعَانِ، وَحُيِّئْتُمْ عَلَى الْمَيْسِرِ، فَبَسْمَا أَنْتُمْ كَرَكِبَ وَفُوقَ، لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالْمَيْسِرِ.

أَلَا قَسَمًا يَضَعُ بِالنَّبَا مِنْ حَقِيقٍ بِلَا خَيْرَةٍ؟ وَمَا يَضَعُ بِالنَّبَا مِنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ، وَ تَبْقَى عَلَيْهِ نَعْنُهُ وَجِسَتُهُ؟!

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْحَبْرِ مَثَرُكَ، وَلَا فِسْمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْعَبٌ! عِبَادَ اللَّهِ، أَخَذُوا يَوْمَ تَفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الرُّكُوكُ، وَتَنْسِبُ فِيهِ الْأَطْلُكُ. أَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوسًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحَصْطًا

صِدْقِي يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَزَدَ أَنْفُسَكُمْ، لَا تَسْتَرْكُمُ مِنْهُمْ ظَنُّهُ لَيْلٍ نَاحٍ، وَلَا يُكْكُمُ مِنْهُمْ بَابٌ دُورِنَاحٍ، وَإِنْ عَدَا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَتَجَى الْعَدْلُ جَقًّا بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرِي مِنْكُمْ قَدْ تَلَعَ مِنَ الْأَرْضِ مَثْرَنَ وَخَذَنِي، وَمَحَطَّ حُفْرَتِي، فَيَأْتِي مِنْ بَيْتِ وَخْذَةٍ، وَمَثْرَلٍ وَخْشَةٍ، وَمَقَرَدٍ غُرْتَةٍ! وَكَذَلِكَ الصَّيْحَةُ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةُ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَتَرَرْتُمْ لِفَضْلِ الْفَصَاءِ، قَدْ زَاخَتْ عَشَكُمْ الْأَبَاطِيلُ، وَأَصْمَحَلَتْ عَشَكُمْ الْعَيْلُ وَأَسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرُهَا، فَتَعَطُّوا بِالْعَيْرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْعَيْرِ، وَانْتَهَمُوا بِالنَّبْرِ.

اقول: كون الحمد دليلا على الآية: لأختصاص الشكر بمولى العم، وعلى عظمتها: لأختصاصه باستحقاق ذلك لذاته، اذ هو مبدأ كل نعمة. ولنظاها: الترادف والتعاون. وكشول: البوق التي حق لبها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نواحها سبعة أشهر. لواحدة شائلة على غير قياس. و إنما خص الشوب حفتها، وكون سوقها امسع. وشغل المرء بنفسه: تطهرها وتزكيتها بالمعلم والكمالات، وشعبه بغيرها يستلزم إهمالها وتجويرها في ظلمات الجهل والهوى والإرئس ك: لاحتلاط، وشياطينه: قواه الخارجة عن أوامر عقله وهي: نفسه الأمارة. والمفراطون: المقصرون في تحصيل الكمالات الفسائية، والتقوى: فصية تحت العفة، وانفجور: ذيلة الافراط من العفة، وحمة لعقرب: إيرتها. ولفظها مستعار: للخطايا باعتبار ما فيها من الأذى. وروى حمتها بالتشديد وهي: شدتها. ونبه بقوله: وبالتقوى، الى قوله: المصوى: على كمال قوتى النفس العلمية والعممية، فالتقوى: كمال العملية، وليقين: كمال العلمية، وبهما تنال لعبة التصوى من المطالب الحقيقية. وأعر الأنفس هي: النفس المطمئنة، ولها الثواب وعليها العقاب. ووجه تمثيلهم بالركب ظاهر، فلانسان: هو النفس، والمطايا هي: الأبدان والقوى الفسائية. والطريق هي: العالم الحسي ولعقلي. والسير لدى ذكره قبل الموت هو: تصرف النفس في العالمين، لتحصيل الكمالات المسعدة وهي: اراد لغاية السعادة البقية. والسير الثاني الذى يستظرونه هو: الرجوع الى الآخرة، وطرح البدن وقطع عقبات الموت. وقوله: آه لبس، الى قوله: مترك اى: ليس بعده أمر يرغب فيه، لفساسته وشرقه. وليرغب: محل

الرغبة. ولمحصر: البحث. ونقاش الحساب: الاستقصاء فيه. واستعار لفظ الرصد للنفوس التي تظهر فيها يوم القيامة صور السيئات. ولفظ العيون: للجوارح الشاهدة يومئذ. وحفظ الصدق: الكرام الكاتبون. والرناع: العلق، والأمور التي صدرت بهم مصادرها هي: أعمالهم واحوالهم التي كنوا عليها في الدنيا، وكل ما ينه على احوال الآخرة عبرة. والغبر: جمع غيرة فعلة من التغير، واعتبارها طريق الاتعاط. والنذر: جمع نذير وهو: كل ما افد تحويفا.

١٥٧. وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى جَبِينِ فَشْرَةٍ مِنَ الرُّؤْسِ، وَطَوَّلَ فَجْجَةً مِنَ الْأُثْمِ، وَابْتِغَاضَ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَضْيِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمُورِ الْمُغْنَدِي بِهِ: ذَلِكَ الْفَرْقُ فَاسْتَنْطَقُوهُ وَلَنْ يَسْطِيقَ، وَلَكِنْ أَجْبَرَكُمْ عَنْهُ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عَيْنٌ مَا يَأْتِي، وَلَقَدْ نَسِيتُ عَنِ الْمَاصِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا يَبْتَغِيكُمْ.

اقول: استعار لفظ الهجعة: لعملة الشاملة يومئذ للباس عن احوال الآخرة. ولفظ المبرم: وهو الحب لما كُن الحق عيه من نظام الحال بالشرائع السابقة. ولفظ الانتفاض: لفساد ذلك بتغير الشرائع، ولذى صدقه بين يديه هو: التوراة والانجيل، وكل امرتقدم امراً منتظراً قريباً منه يقال انه جاء بين يديه. ولفظ البور: القرآن. واستطقه: استماع فوائده منه عليه السلام، اذ هو لسان اكناس، ودل عليه بقوله: ولن يطق، الى قوله: عه. وعلم ما يأتي اي: من الفتن وأحوال القيامة، والحديث عن الماصي من علم الأولين و قصصهم. ودائرهم هو: الجهن و رذئل الاخلاق. ودوائهم من ذلك: تركية نفوسهم بما فيه من الحث على مكارم الاخلاق، والتحلى بالكملات النفسانية. ونظم ما بينهم: بما اشتمل عيه من القوانين المصلحية، والحكمة السياسية، والمدنية، التي فيها نظام العالم، واستقامة اموره.

مها:

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَتْرٌ إِلَّا وَأَذْحَنَةُ اِطْلَمَتْ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوافِيهِ يَشْمُهُ،
فَيَوْمئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَذْبٌ وَلَا هِيَ الْأَرْضُ نَاصِرٌ، أَصْفَتْكُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَ
أَوْرَثَتْكُمْ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَسْتَعِمْ اللَّهُ يَمَنْ طَلَمَ: مَا كَلَّا بِمَا كَرِي، وَمَشَرْنَا بِمَشَرٍ: مِنْ
مَقَاعِمِ النُّشْمِ، وَمَشَارِبِ لَصِيرٍ وَالْمَقَرِّ، وَلِيَّاسِ شِعَارِ الْحَوْفِ، وَدَنَارِ السَّيْفِ، وَإِنَّمَا هُمْ
مَقَالِيَا الْحَبْلَاتِ، وَرَوَائِلُ الْإِنَامِ، فَاقْسِمُ ثُمَّ قُسِمَ لَتَخْمَتِهَا أَمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تَلْفُطُ
الْحَمَّةُ، ثُمَّ لَا تَذَوْقُهَا وَلَا تَنْظَعُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

اقول: سياق الكلام الإخبار عن حال بنى أمية في دولتهم من الظلم واستحقاقهم
عد ذلك التغيير، وكى عنه: بعدم العاذر في السماء، و لناصر في الأرض. ولأمرام
الحلاقة، والتوبيخ والوعيد بانه لهم، ولمن عدل بها عنه، وماكلا ومشربا نصيب بعمل
مضمراي: يبدلهم الله ماكلا بماكر. و ستعار لفظ العلقم والصبرو المقروء هو المرلما
يتجرعونه من شدائد القتل وزوال الدولة.

و، فاد بعض الشارحين انه إنما حصص الحوف بالشعار، لأنه باطل في القلوب،
والسيف بالدثار، لأنه ظاهر كما ان الشعر ما كان يبي الحديد، والدثار ما كان فوقه،
واستعار لهم لفظ السطاي. والزوامل: جمع زاملة لتحمل يستظهره الانسان في سفره
باعتبار حملهم لخطايا. و وصف التخم لروال الخلافة عنهم، فكأنهم قدفوها من أفواههم
كالنخامة. وأنا هنا بمعنى: المدة. والجديدان: الليل، والنهار.

١٥٨. وَمِنْ حُظَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ، وَأَحْطْتُ بِخُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ: وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِقِّ الدُّلِّ، وَ
حَتَّى لَصْنِي، شُكْرًا مِثْلَ يَلْبِزِ الْقَيْلِ! وَظَرَفًا عَمَّا أَدْرَكُهُ النَّصْرُ. وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُسْكِرِ
الْكَثِيرِ.

استعار لفظ الربق، والحلق: لما يحاف عليهم من دوة غيره من الأردال. والبر القبل اى: منهم وهو: طاعتهم القليلة له. والمسكر الكثير: مسكرهم، ويحمل اطرافه عنه عسى عدم تمكنه من ازلته لاستنزاه ذلك مصدا اكثر منه، والنحاوز عن بعض الأساءات المنكرة من الرعية، كالتصوري في تدبير الدولة.

١٥٩ - وَمِنْ حُظَيْهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَفْضِي بِعِلْمِهِ، وَيَنْفَعُ بِحِلْمِهِ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَ أَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَنْفَعُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُحْجِبُ عَنْكَ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقُطِعُ عِنْدَهُ، وَلَا يَقْبِي مَذْذُهُ، فَلَمَّا نَعْتَمُ كُنْهُ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَن نَعْلَمَ أَنَّكَ حَيٌّ قَوْمٌ لَا تُحْدِثُ مِثْلَهُ وَلَا نُؤْمِ، لَمْ يَنْتِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَذْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَخْصَصْتَ الْأَعْيَانَ، وَأَحْدَثَ بِالسَّوْصَى وَالْأَفْذَامَ، وَمَا الْبَيِّ نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعَجْتَ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصَفَهُ مِنْ عَظِيمِ مُلْكِيَّتِكَ، وَمَا تَعَبَّ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَأَنْتَ غَفُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُورُ أَعْيُوبٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ أَغْطَمَ فَمَنْ مَرَّعَ قَسْدَهُ، وَأَعْمَنَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَفَفْتَ فِي السَّمَوَاتِ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوَاقِدِ أَرْضِكَ؛ رَجَعَ طَرَفُهُ حَيْسَرًا، وَغَفَلَهُ مَنُورًا، وَسَمِعَهُ وَالَهَا وَفَكَرَهُ حَايِرًا.

أقول: أمره: حكم قدرته الالهية، وكونه قضاء اى: حكمًا لازما لا يرد. وكونه حكمة: كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الأكمل، ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له، وعفوه يعود الى عدم عقابه للمذنبين. وإنما يتحقق العفو مع القدرة على العقاب فذلك قال: يعفوبه حلم. وقوله: فسنا الى آخره: اعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظيمته، و اشار الى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق، وهي اما بالصدت الحقيقية، لكونه حيًا او بالاعتبارات السلبية لكونه لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا ينتهى اليه نظر عقلي او بصري،

اولا صافية لكونه مدركا للأبصار محصيا للأعمال آخذا بالوإصص والاقدام. و«ما» في قوله: وما ألقى: استمهامة على سبيل الاستحغار لما استفهم عنه مما عده من المدركات بالنسبة الى ما لم يدرك من عظيم ملكوته. و«ما» الثانية في قوله: وما يغيب: بمعنى الذى محله الرفع بالابتداء وخبره اعظم. واولو فيها للحال. ومهورا: مغنوبا. وباقي الفصل ظاهر.

مها:

يَدْعَى بِرَغْبِهِ أَنَّهُ يُرْجُو اللَّهَ! كَذَّبَتْ وَلِعَظِيمٍ! مَا نَالَهُ لَا تَنْبِيئُ رَحْمَةً فِي عَمَلِهِ؛ فَكُنْ مِنْ رَحِمِ غُرْفِ رَحْمَتِهِ فِي عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَرِيَّةً مَذْحُوكًا، وَكُلُّ حَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَرِيَّةً مَغْلُوكًا: يُرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيُرْجُو الْعِيَادَةَ فِي الصَّغِيرِ، فَتُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّتَّ، فَمَا بَأْسَ اللَّهِ، بَلَّ تَنَاوُهُ، يُقْصَرُّ بِهِ عَمَّا يُضْغَعُ لِعِبَادِهِ؟ أَنْحَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مُوَصِّعًا، وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَفَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَغْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطَى رَتًّا، فَجَعَلَ حَوْفَهُ مِنَ الْعَبْدِ نَعْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكُسِرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَنِ اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا.

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَفٌّ لَكَ فِي الْأَسْوَءِ وَذَيْلٌ لَكَ عَلَى دَمِ الدُّنْيَا وَعَيْنِهَا، وَكَثْرَةُ مَخَارِبِهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَظْفَرُهَا، وَوُطِّلَتْ لَيْسَرُهَا أَكْثَفُهَا، وَقُطِمَ عَنْ رِضَائِهَا، وَرُويَ عَنْ رَحَارِهَا، وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ إِلَى مِنْ حَرِّ نَقِيرٍ) وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ، لَا خُبْرًا يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ نَقْمَةً لِأَمْرِئٍ. وَلَقَدْ كَانَتْ حُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَعْفِ صَدَقِ بَطْنِهِ لَهْرَالَهُ وَتَشْدُبُ لَحْمِهِ، وَإِنْ شِئْتَ تَلَّثْتُ بِدَوْدَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَاحِبِ الزَّمَانِ وَقَارِي أَهْلِ النَّحْتِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَمَائِفَ الْخُوصِ بَيْنَهُ، وَيَقُولُ لِحَسَانِهِ: أَيُّكُمْ يَكْمِينِي بَيْتَهُ؟ وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ تَمِينِهَا، وَإِنْ شِئْتَ فَتُبْ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَقْوَسُ الْحَجَرِ وَيَلْسُ الْخَشِنَ، وَيَأْكُلُ الْحَشَبَ وَكَانَ إِذَا مُمُ الْجُوعَ وَسَرَّاجُهُ بِالنَّارِ

الْقَمَرِ، وَصَلَّاهُ فِي السَّائِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا، وَقَا كَهْمُهُ وَرِيحَانُهُ مَثَبْتُ الْأَرْضِ
لِنَهَائِهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَقِيَّهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْرُمُهُ، وَلَا مَوْلَى يَلِيَّهُ، وَلَا ظَمْعٌ يَدُلُّهُ، ذَاتُهُ
رِخْلَةٌ، وَحَادِيَهُ يَذَاهُ.

فَأَسَّ بِسَيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَدَ لَيْلٍ تَأْسَى، وَعَرَاءَ
لَيْلٍ تَمَرَى، وَأَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسَى بِسَيِّئِهِ، وَالْمُقْتَصِلُ لِأَنْفَرِهِ: فَصَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا،
وَلَمْ يُعْرِضْهَا ظَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَحْمَضُهُمْ مِنْ أَدْنِيَا نَظَرٍ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا
فَأَتَى أَنْ يَقْتُلَهَا، وَعَبِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْعَصَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَرَسَ شَيْئًا فَاحْقَرَهُ، وَصَمَرَ شَيْئًا
فَقَضَعَهُ، وَأَوَّلَمَ يَكُنْ فَيَتَا إِلَّا حُبًّا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعَصُّمًا مَا صَغَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛
لَكَفَى بِهِ شِقْقًا لِلَّهِ، وَمَعَادَةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كَانَ، حَتَّى لَّهُ عَلَيْهِ وَكَلَهُ وَسَمَّ، بِأَكُلٍ
عَلَى الْأَرْضِ، وَيَخْلُسُ حُلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَحْصِفُ يَدَيْهِ نَعْمَةً، وَيَرْقِعُ يَدَيْهِ ثَوْبَةً، وَيَرْكَبُ الْجِنَارَ
الْعَارِي، وَيَزِيدُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السُّرَّ عَلَى تَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ النَّصَاوِيرُ يَقُولُ: يَا فُلَانَةَ.
لَا أَخَذِي أَرْوَاجِي. غَيْبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَرَحَائِقَهَا، فَأَعْرَضَ
عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحْتَأَى أَنْ تَعْبِتَ زِينَتَهَا عَنْ غَيْبِهِ؛ لِكَيْلَا يَنْجِدَ
مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَتَغَيَّرَ قَرَارًا، وَلَا يَرْخُوفَهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْحَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عَنْهُ.
وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَا يَذُكُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا
وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ دَخَعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِيهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ رَحَائِقُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِيهِ. فَلْيَنْظُرْ نَظِيرَ بَعْظِيهِ
أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ وَأَتَى بِإِلَافِكِ الْغَيْبِ،
وَمَا قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ
النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأْسَى مُتَأْسَى بِبَيْتِهِ، وَأَقْنَصَ أَثَرَهُ، وَلَوَّحَ مَوْلَعَهُ، وَلَا فَلَ يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
جَعَلَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَمًا لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ؛
خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَبِصًا، وَوَرَى الْآجِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَقْصُغْ حَجَرًا عَنْ حَبْرٍ حَتَّى مَضَى
لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَعْوَى رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِثْلَهُ اللَّهُ عِندَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَدْ بَدَا
نَظَرُ عَقِيْبِهِ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَفَعَتْ مِيزَانَهُ هُنَا حَتَّى سَنَحْيِيَّتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا
تَبْدِيهَا عَلَيْكَ؟ فَقُلْتُ: أَغْرَبَ عَنِّي «مَعِينُ الصَّبَاحِ يَحْمِلُ الْقَوْمَ السُّرَى».

أقول: مساق الكلام ذم من يرحو لله بلا عمل فهو كالمتمتع لرجاء، وتنسبه لرحاء ليس^١ بحالض بتكذيبه، والإشارة إلى تقصيره في العمل وتوبيخه عليه. والمدخول: عبر الخالص. وقوله: ما ناله، إلى قوله: عمله، قياس من الشك الثاني، بين فيه، أن المقصّر غير راح، ورحاء التام، وتخصيصه: أن هذا المدعى لا يتيسر رجاءه في عمله، وكن من رجائين رجاءه في عمله، فيستحق: أن هذا المدعى للرجاء غير راح، وتقدير الاستثناء مع المستثنى منه، وكن رحاء لراح تعريف في عمله خلوص رجائه الآ رجاء الراحي لله فنه غير حالض. وروى: فكل رحاء الآ رجاء لله فأه مدخول. واستقدير: وكن رجاء محقق، وخاص ليطلق الكليتين على مساق واحد. والصمان: ملا يرحى من الوعد. وقبص اطراف الدنيا عنه كناية: عن مسعه مهمما. والأكناف: الجوانب. و زوى: غيب، واستعار لفظ الأدام: لسحوع. ولفظ السراح: للقمر، واللال لمشارك الارض ومعاربها. وحص التأتمى بمحمد صلى الله عليه وآله، كونه مستحما لجمع هدى من سبق فالمقتدى به مفتد جميعهم. ولقصم: الأكل بأدنى القم. والهضم الخميص: لقبة الأمكل، والكشح: لحاصرة. والمحاذاة: المعادة. وحدة لعبد: كما في التشهد. والرياش: الزينة. والاحلاق الكريمة التي عتدها فيه صلى الله عليه وآله هي: الامور المقتدى به فيها. والرلة: القرية واسم نزلة. وقوله: فتأسى: خبر في معنى الأمر بالتأسي. والنبد: لالقاء. واعرب: تباعد. وقوله: فعند الصباح، إلى قوله: لسرى، مثل: يضرب لمحتمل المشقة ليصل إلى الراحة. واصله: أن القوم يسبرون ليلاً فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل إذا اصبحوا، ومضائقه اصباح لا اتصال النفس العاقبة بالملأ الأعلى، و اشراق نور حق عليها عند مفارقة ضمة المدن، ولهيات انبوية بالرياضة الكامة إلى عسدها يحمد عوقب يصبر على مكاره الدنيا، ومعااة شدائدها مطابقة ظهره حسنة الموقع.

١- في ش: غير حالض.

٢- مجمع الامثل ٣/٢، المستقصى في امثال العرب ١٨٦/٢

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُصْبَى، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَلِكِتَابِ الْهَادِي: أُسْرُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَسَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا مُعْدِلَةٌ، وَفَارُهَا مُتَهَذَّلَةٌ مُوَلَّدُهُ بِمَنْكَةٍ، وَهَجَرَتُهُ بِطَبِيبَةٍ، عَلَانِيًا ذِكْرُهُ، وَأَمْتُهُ بِهَا صَوْنُهُ. أَرْسَلَهُ بِمُحَجَّوٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِيفَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَ الْمَذْحُومَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمُفْصُولَةَ، فَحَرَّمَ يَنْبَغُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ، وَتُسْفِصُ غُرُوبُهُ، وَتَغْطُمُ كُنُوتُهُ، وَيَكُنَّ مَذْبَحُهُ إِلَى الْكُفْرِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّنَ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّنَ الْإِدْبَةُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَشِيدُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا السُّجَّةُ عَدَدٌ، وَالْمَنْجَةُ نَدَاءٌ، رَهَبٌ قَدْ بَلَغَ، وَرَغَبٌ قَاسَمٌ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَتَقَطَّاعَهَا وَرَوَّالَهَا وَتَبَقُّلَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُغْنِيكُمْ فِيهَا لِقَدْ مَا يَصْحَبُكُمْ مِثْلَهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، وَأَتَعَدُّهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَخُذُوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ عُيُوبَهُمْ وَأَشْعَلُوا لَنَا أَيْقُنُكُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصْرِفِ حَالِهَا، فَخُذُوا وَحَا حَذَرَ السَّفِيكِ النَّاصِحِ، وَالْمُحَدِّ الْكَدِجِ، وَغَشُّوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَرَأَيْتُمْ أَوْصَالَهُمْ، وَرَأَيْتُمْ أَصْصَانَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ، وَذَهَبَ شَرُّهُمْ وَبِعَرَّتْهُمْ، وَأَنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَبَعِيسُهُمْ، قَبِلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَذَّهَا، وَبِصُخْبَةِ الْأَرْوَاحِ مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتِمَّخَرُونَ، وَلَا يَتِمَّاسَلُونَ، وَلَا يَتَمَّارُونَ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ. فَخُذُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَنَاعِ لِيَسْهُوتِهِ، اسَاطِيرِ بَقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَضِيحٌ، وَالْعَمَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدُّ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

اقول: استعار لفظ النور لهدى النور. والبرهان الجلي: المعجزات، والمسيح الهادي: شريعته الواضحة وامرته: اهله، واستعار لفظ الشجرة: لقريش، و لفظ الأغصان: لأشخاص بيته صلى الله عليه وآله، واعتدال هذه الأغصان: تقاربهم في الفضل، و لفظ الثمار: لفضائلهم العلمية والعملية. و لفظ التهذل: لظهورها و كثرتها، و سهولة الانتفاع بها. و طيبة: اسم للمدينة. وامتداد صوته كدية: عن اشعار دعوته. و تلافى دعوته: تدركها للاحق، و انقادهم اياهم من الهلكة. و الشرائع المجهولة: طرق

دينه، والمدخولة: التي فيها. دخل بالتحريك اى: عيب، وعروته: استعارة في متمسكه من عصم النحاة. والوبيل: المهلك. والضمير في رقب و رعب لله. والاعراض عن الدنيا هو: الرهد الحقيقي. و غص غصومها: كمها. والكدح: لمحذ في السعى والعمل، والغالب لنفسه ي: الأثرة بالسوء. الباطر يعين عقله مقاح شهوته. والأمر لوضح: سبيل الخبر واشتر. والعلم القائم: كتاب الله ودينه. ولمصل واضح.

١٦١ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال:

يَا حَا بَنِي أَسَدٍ؛ إِنَّكَ لَمَبْقُ لَوْضِينَ، تُزِيلُ فِي عَيْرٍ مَدْدًا وَلَكَّ بَعْدَ دِقَامَةٍ يَصْهَرُ وَخَى الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتُكَ وَاعْتَمَمْتُ: أَمْ لَاسْتَشْدَدْتُ عَيْنِي بِهَذَا الْمَقَامِ - وَنَحْنُ الْأَشْتَوُونَ نَسَبًا، وَالْأَشْدُونَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَوْظُ - فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ، وَسَحَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمَ اللَّهُ وَالْمَعُودَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَدَعَى عَنْكَ نَهْيًا صَبِيحَ فِي حَجَرَانِيَّةٍ وَهَذُمُ الْحُظْبَ فِي أَبِي أَبِي سُفْيَانَ فَقَدْ أَصْحَكَنِي الذُّهْرُ بَعْدَ إِنْكَارِهِ، وَلَا تَعْرَوْا اللَّهَ فَيَأْلَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيَكْثُرُ الْأَوْدَ، حَاوِلُ الْقَوْمِ إِظْلَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مَضْبَاجِهِ، وَسَدِّ قَوَارِيرِ مِنْ يَتَوَعَّوْ. وَجَدُّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْمًا وَبِيئًا، فَإِنْ تَرْتَبِعْ عَنْهُمْ مَحْنُ الْبُلَاوِ أَخِيْلَهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكْبُرِ الْآخَرَى (فَلَا تَذْهَبْ تَقْسُكَ عَنْهُمْ حَسْرَاتٍ؛ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

أقول: الوضين: الحزام. والمثل يقال: لمن لا يثبت في قوله: والسدد: الصواب. والذمامة بالكسر: الحرمة. وأما كون الأسدى صهرا فلان زيب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أممية وأما سيموية بنت عبدالمطلب، فهي بنت عمه رسول الله. قالوا: والمصاهرة المشار إليها هذه. وقيل: بل كان على عليه السلام متزوجا

في بنى اسد. والسوط: لتعلق. والآثرة: الاستبداد بالشئ، يقال: لما يستبد به، والمراد: الخلافة. وابيبت لأمرئ القيس، وأصده انه تنقل في احياء العرب بعد قتل أبيه، فنزل على رجل من حديبه طي يقال له طريف فأحسن جواره فمدحه وإقام معه. ثم إنه خاف ان لا يسمع فتحول عنه، ونزل على خالد بن سدوس بن اسمع النهدي، فأعارت بوجديله عليه وهو في جوار خالد، فذهوا بيله فيما أتاه الخبر ذكر ذلك لخالد، فقال له: اعطني رواحلك ألحق عليها، فارة عنيك ابك فعل، فركب خالد في اثر القوم حتى ادركهم، فقال: يا بنى جديله اغرتم على ابل حارى؟ قالوا: ما هو لك بحاره قان: على والله، وهذه رواحله. فرحموا اليه، فأرلوه عهن وذهبوا بهن وبلائل، فكان امرؤ القيس القصيدة التي أولها البيت:

فدع عنك بها صبيح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل
واسهب: المتهوب. وحجراته: حوانيه. وحديث الثاني: مبتدا، والاول: خبره، وب: للتكير، وهي التي اذا دخلت عسى سم زده ايها ماء، كقوله: لأمر ما جدد قصير انه؟ وازاد: أتى لا ادري كيف هو دلث انه قبل: ان خالدا هو الذى ذهب بالرواحل فكان عنده شك في امرها. فأما عطافه لما هو فيه فهو الاثمة السابقين وان كما واقد استبدوا بهذا الأمر فحديثهم مفهوم: اذ لهم اشبهه بالقدمة في الاسلام، والهجرة، وقرب اسنزة من الرسول فدع ذكرهم وذكر نههم لهذا امقام فيما سبق، ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطيب معاوية، والخطيب الحادث. ولا غرو اى: لا عجب. والأود: الاعوجاج. والقوم: قريش. واستعار لفظ المصباح: لنفسه لان انوار دين الله تقتبس منه. و لفظ الينوع اذ هو منبع ما يفوز من العلوم التى هي ماء الحياة الأبدية. و لفظ الشرب الوبي: لما حصل في صنورهم من الاحن بسبب هذا الأمر حتى لزم عنه اقتل، والقتال الى يوم القيامة. و وصف الجندح بالجيم بعده الحاء وهو: الحبط للكدر الواقع بيهم و احتلاط الامر بسبب ذلك. ومحن البلوى: المحن ممّا ابتلاهم الله به من الحلاف. و محص الشئ: حاصه.

الْمُحَمَّدُ خَالِقُ الْعَالَمِ، وَسَاطِعُ الْمَهَادِ، وَمُسِيلُ الْوَهَادِ، وَمُنْصِبُ النَّجَادِ لَيْسَ لِأُولَئِكَ اثْنَاءٌ، وَلَا لِأُولَئِكَ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَلَذَلِكَ بِلَا أَعْلَى حَرَتْ لَهُ الْحَتَاءُ، وَوَحْدَهُ الشَّعْدَةُ، حَدُّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ تَهَا إِبَانَةُ لَهُ مِنْ شَبْهَتِهَا، لَا تَقْدَرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْمَحْدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِلِحَوَارِجِ وَالْأَدْوَابِ لَا يَقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَا يُضَرَّبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، «طَاهِرٌ لَا يَنْقُذُ» «مِمَّا»، وَالنَّاصِرُ لَا يَقَالُ «فِيمَا»، لَا شَحَّ فَيَنْقَضِي، وَلَا مَحْضُوبٌ فَيُخَوِّى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتَّضَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، لَا يَحْفَى عَلَيْهِ مِنْ عَدُوِّهِ شُحُوصٌ لَخُطْبَةٍ، وَلَا كُرُورٌ لَفْطَةٍ، وَلَا أَرْدَافٌ رَبَوَةٍ، وَلَا انْبِطَاطٌ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ ذَاخٍ، وَلَا عَسَقٌ سَاحٍ، يَنْصَبُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُسِيرُ وَتَفْضُهُ السُّنْسُ ذَاتُ الْوَرَى فِي الْأَقْوَالِ وَلِكُرُورٍ وَتَقْلِبُ الْأُرْمَةِ وَدُخُورٍ مِنْ قَبْلِ لَيْسَ مُقْبِلٍ، وَادْبَارُ نَهَارٍ مُذِيرٍ، قِيلَ كُلُّ غَايَةٍ وَمَقْدَةٍ، وَكُلُّ إِخْصَاءٍ وَعِدَةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَتَحَلَّهُ، الْمُحَمَّدُونَ مِنْ صِهَبِ الْأَقْتَانِ وَنَهَائِيَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأْتِلُ الْمَسَاكِينُ، وَتَمُكِّنُ الْأَمَّاكِينُ: فَالْحَدُّ لَخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَلَيْ غَيْرُهُ مَشْنُوبٌ، لَمْ يَحْلُلِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولِ أَرْبَابِهِ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَبَدِيَّةٍ: نَلَّ خَسَوْ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَخَسَّ صُورَتَهُ، لَيْسَ لَيْسَ مِنْهُ انْتِزَاعٌ، وَلَا لَهُ بَطْغٌ شَيْءٌ انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِيْنَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِيْنَ وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ لَعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ السُّفْلَى.

أقول: ساطع المهاد: جاعل الأرض مهاداً للحيوان. واسود: جمع وهذه وهي: المظلم من الأرض. والحداد جمع نحد وهو: لمرتفع منها. وأشار بعدم انتهاء أوليته: إلى قدمه لدائه وبعدم انقضاء رايته: إلى سلب العاية عن وجوده. وحدته للأشياء: حمدتها ذات حدود، ونهايات من اجراء، وشكال، واقطار تستهى بها. ولما ظهر من خلقه تعالى للموجودات أنه مبين لها بذاته اشبهت ارادته لأيجادها قصد إبانته منها، فاستعار لفظها لتميزه بذاته عنها. ولما كانت الأوهام لا تدركه لا جرم لم يمكن تقديرها بآه بما من شأنها الإدراك به مما عُدَّ، ولما تنزه عن الزمان والمكان لم تصدق عليه الأنطاط الممولة بحسبها. وشحوص المحطة مذالبصر. وزدلاف الربوة: تقدمها أى: الربوة

المتقدمة. والضمير في «عليه» للعسق. وفي تعقبه للممر. وقوله: من اقبل ليس: متعقبتقليب. والبدئة: المبتدأة، و اشار بتشابه علمه في الماضين والياقين، وبما في السماوت والأرضين: الى ازلتيه وعدم تحدده بغيره.

مها:

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَلِمَنْشَأُ الْمَرْعَى فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلَ مَقْسُومٍ، تَمْوِيهِ بَظَنِّ أُمِّكَ حِينًا؛ لَا تُجِيرُ دُعَاءَ، وَلَا تَسْمَعُ يَدَاءَ، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَفْرَكٍ إِلَى ذَرْعٍ تَشْهَدُهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَتَابِعِهَا، فَتَنْ هَذَاكَ لِأَجْزَارِ الْيَدَاءِ مِنْ قُدِّي أُمِّكَ؟ وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ ظَلَبِكَ وَأَزَادَكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنْ مَنْ يَفْعَزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَغْتَرُ؛ وَمِنْ تَدْوِيهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

أقول: الخطاب للإنسان. والسوئ: مستوى الحلقة. والمرعى: المعنى بأمره. ونبه بكونه مخلوق سوتا مرعيا في اطوار. خفته ومفلات حالاته الى غايته على وجود صانع حكيم لطيف حبير، وهذا القدر من المعرفة هو ضروري للعقل، وان احتاج الى تسية ما وما وراء ذلك فامر لا تطلع العقول البشرية منه الا على اعتبارات، ومقاييسات له الى ضلله كما سبق بيانه. ونبه على بعد ادراكه بقوله: هيهات، الى قوله: والادوات اي: من يعجز عن صفات نفسه في حل بحقيقته، والاطلاع على منافع جزئيات اعضائه مع كونها اقرب الاشياء اليه، فهو عن وصف خالقه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز، ومن ادراكه بالمقاييس، والتشبيه بحدود المحبوبات و صفاتها ابعد.

١٦٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما يقوم على عثمان، وسألوه محاطته عنهم واستنابته لهم، فدخل عليه فقال:-

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ اسْتَسْمَرُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَغْرَفُ شَيْئًا نَحْنُهُ، وَلَا أَذْكَاءَ غَسَى أَسْرًا لَا تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعَمُ، مَا سَقَنَّاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُحْصِرَكَ عَنْهُ، وَلَا حَلُوبًا يَشِيءُ فَنُشْبِعَكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحَّحْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا صَحَّحْتَ، وَمَا أَنْزَلَ أَبِي فَحَدَّثَهُ وَلَا أَنْزَلَ الْحَقَّ أُولَى يَعْمَلِ الْحَقَّ مِثْقًا، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَمِعَ، وَشَيْخَتَهُ رَجَمَ مِنْهُمَا، وَقَدْ يَلُكُ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَسْأَلَا، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَرِيكَ، وَاللَّهُ، مَا تُصَرِّمُنْ عَمِّي، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ خَهْلٍ، وَبِذَلِكَ الطَّرِيقِ لَوَاصِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمُ أَنَّ قُضِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هَدَى وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بَدْعَهُ مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَّةَ لَسِتَّةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ لِبَدْعٍ لَصِدْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ خَيْرٌ صَلَّ وَصَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَا حُودَّةً، وَأَخْبَا بَدْعَهُ مَثْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُوشِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِمَامٍ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَادِلٌ، يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَذَرُ فِيهَا كَمَا تَذَرُ الرَّحَى: ثُمَّ يَرْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا»، وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُفْتُونَةِ؛ فَإِنَّهُ كَذَنُ يُقَالُ: يُفْتَنُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْضَحُ عَلَيْهِ الْقَتْلُ وَالْفِتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ أُمُورُهَا غَيْبَةً، وَبُئْسَ الْفِتْنُ فِيهَا، فَلَا يُصْبِرُونَ الْحَقَّ مِنْ لُتَاظٍ؛ يَمْوَحُونَ فِيهَا مَوْحًا، وَيَمْزُحُونَ فِيهَا مَزْجًا، فَلَا تَكُونُ يَمْزُوَانِ سَقِيمَةً، يُتَوَقَّعُ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ خِلَالِ السَّيِّئِ، وَتَقْصَى الْأَعْمُرُ!!

فقال له عثمان رضي الله عنه: كم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مطالبهم، فقال عليه السلام:

مَا كَذَبَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَخْلَ فِيهِ، وَمَاعَاتِ فَتَجْلُهُ وَصُوكَ أَمْرُكَ إِلَيْهِ.

اقول: استسمرؤى: بعثوني رسولاً، والوشيجة: عروق الشجرة. واستعار المصداق:

لسته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإما كونه أقرب من الشحجين، فكونه من ولد
عدمتاف دوتهما. والصرق الرخصة طرق الدين. وإعلامه أدلته والتمته. وليسقة تشديد
الباء: ما يسوقه العدو في البفرة من لدواب. وقد كان مروان من أقوى الاساس الباعة
على قلة، بتصرفه إليه على، حسب آرائه وعكس لاراء التي كان يشار عليه بها.

١٦٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها عجيب حلقة الطاوس

أَبْتَدَعَهُمْ حَقًّا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِينٍ وَدَى حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوْهِدِ
النِّيَابَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعِيهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا أَنْعَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُتَعَرِّفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ،
وَعَقَّتْ فِي أَشْغَانَا دَلَالَتَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَفَدَّرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ، الَّتِي أَمْسَكَهَا
أَحَادِيدُ الْأَرْضِ، وَحُرُوفُ فَخَاجِهَا وَرَبَبِي غَلَامِيهَا، مِنْ ذَاتِ أُجْحَةِ مُحْتَمَةٍ، وَهَنَاتِ
مُتَبَيِّنَةٍ، مُصَرِّقَةٍ فِي زِمَامِ السُّخِيرِ، وَمُرْفُوقَةٍ بِأَخِيحَتِهَا فِي مَحَارِقِ الْحَوْلِ الْمُنْفِجِ وَالْقَضَاءِ
الْمُسْفِرِ، كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَنَابِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكِبَهَا فِي حِقَاقِ مَعَايِلِ
مُخْتَلِحَةٍ، وَمَتَعَ بِعَفْصِهَا بَعْدَانَةَ حَقِيهِ أَنْ يَسْمُو فِي السَّمَاءِ حُفُوفًا، وَحَقَلَهُ بِدِفْ ذَيْفًا، وَسَقَمَهَا
عَلَى أَحْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ، بَلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صُنْعِيهِ، فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي قَلْبِ لَوْنٍ
لَا يَشَوُّهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَنِيعٌ فَدَ طَوَّقَ بِجِلَافٍ مَا صُغِيَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْتَمَحَهَا حَقًّا طَاوُوسٌ لَيْدِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَتَصَدَّقَ لَوْنُهُ فِي أَحْسَنِ
تَنْصِيدٍ، بِجَسَاحٍ أَشْرَحَ قَصْدُهُ، وَدَسَّ أَطَالَ مَسْحَتُهُ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأَلْمَنِ نَشْرَهُ مِنْ طِيهِ،
وَسَمَا بِهِ مُعْجَلًا عَلَى رَأْسِهِ، كَنَتْهُ قَلْعٌ دَارِي غَسَجَتُهُ ثَوْبَتُهُ يَتَحَنَّنُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ،
يُعْصِي كَمَا قَضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيُزِيلُ بِمِلَافَتِهِ أَرْقَاقَ الْحَوْلِ الْمُعْظِمَةِ فِي الصَّرَابِ! أَجِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ
عَنَى مُعَايِنَتِهِ، لَا كَمَنْ يُجِبُّ عَنَى ضَعِيفِ إِشَادِهِ؛ وَلَوْ كَانَ كَرَّعَهُمْ مَنْ يَرْعُمُ أَنَّهُ يُلْفِجُ بِدَمْعِهِ
تَمَحُّجَهَا مَتَابَعُهُ، فَتَنَفَّ فِي ضَمَقَتِي جُفُوبِهِ، وَبِأَنَاءِ تَضَعُمِ ذَلِكَ لَمْ يَبْضُ لَاحِظٌ لَفَجِّ فَعْلٍ
يَوْنِي الدَّمْعِ أَمْتَشِصٍ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْنَتٍ مِنْ مَضَاعِمَةِ الْعَرَابِ تَحُلُّ قَصْبَهُ مَتَارِي مِنْ

١ - في نسخة ش هكذا، حسب آرائه التي كان يشار عليه بها.

فَصَوًّا، وَمَا أَتَتْ عَيْنُهُ مِنْ عَجَبِ ذَاتِيهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْبَقْيَانِ وَهَذَا الرَّبِّحُ؛ فَإِنْ شَهِدَتْ
بِمَا أَتَتْ الْأَرْضُ قُدَّتْ: جَنَى جَسَى مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَيْحٍ: وَإِنْ صَاهَيْتُهُ بِالْمَلَابِسِ، فَهُوَ
كَمَوْسَى الْخُلَلِ، أَوْ مُوَبِقِ غَضَبِ السَّيْرِ؛ وَإِنْ شَاكَتُهُ بِالْحَيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَلَانِ قَدْ
نُظِّفَتْ بِسُجُنٍ لَمُكْثَلٍ، يَنْشَى مَشَى الْمَرْحِ الْمُحْدَلِ، وَتَصْفُحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحُهُ فَيَقْفُهُ
ضَاحِكٌ يَحْمَالُ سِرْبَالِيهِ، وَأَصَابِعُ وَشَاحِيهِ.

فَإِذَا رَمَى يَبْصُرُهُ إِلَى قَوَائِمِهِ رَقًا مُعْوَلًا يَصُوتُ يَكْذِبُ عَنْ أَشْيَعَاتِيهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ
تَوْحِيدِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمُوشٌ كَقَوَائِمِ الذَّنْبِ الْجَلَابِيَّةِ، وَقَدْ نَحَمَتْ مِنْ طَلْبُوبِ سَاقِيهِ صَبِيئَةٍ
خَصِيَّةٍ، وَلَهُ فِي مَوْصِعِ الْغُرْفِ قُرْعَةُ خَضْرَاءَ، مُوَسَّدَةٌ، وَمَخْرُجٌ عَلَيْهِ كَالْإِنْرِيْقِ؛ وَمَعْرِفَتُهُ إِلَى
حَبِثٍ بَطْلُهُ كَصِنْعِ الْوَسْمَةِ الْبَحْمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةِ بَرَاءَةِ ذَاتِ صِقَالٍ، وَكَأَنَّ مَتْلَعَهُ
بِمَعْجَرِ أَسْحَمٍ إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَلُّ لِكثَرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ تَرِيْقِهِ أَنَّ الْخَصْرَةَ الذَّخِيرَةَ مُتَرَجِّعَةً بِهِ، وَمَعَ
قَتْقِ سَمْعِهِ حَظٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَفْحَوَانِ، أَيْبُصُ يَقْبُ، فَهُوَ سَيَّاسِيهِ فِي سَوَادِ مَا
هُنَالِكَ يَأْتِلِقُ وَقَلَّ صِنْعُهُ، لَا وَقَدْ أَحَدَ بَنُو بَقْنُطٍ، وَغَلَاةٌ يَكْثُرُ صِفَالِيهِ وَتَرِيْقِيهِ وَتَصْبِصِ
دِيَّاسِيهِ وَرَوْقِيهِ، فَهُوَ كَالْأَزْهَرِ لِمُسُونَةِ نَمِ تَرْبُهَا أَفْطَارُ رَيْحٍ، وَلَا شُمُوسُ قَطِ، وَقَدْ يَتَحِيرُ
مِنْ رَيْشِهِ، وَيَعْرِى مِنْ لِيَّاسِيهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَتَشْتُ تِنَاعًا، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصْبِيهِ أَنْجَتَاتُ أَوْاقِ
الْأَعْصَابِ ثُمَّ يَتَلَا حَقٌّ نَامِيٍّ حَتَّى يَغُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوبِهِ: لَا يَحْتَلِفُ سَالِقُ الْوَلَانِ، وَلَا
يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِيهِ أَرْتَكُ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً
خَضْرَاءَ زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَخْيَاسًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِمَمِهِ هَذَا عَمَبِيقُ الْفِطْرِ، أَوْ
تَتَلَعُّ قَرَانِجُ الْمُفُولِ، أَوْ تَسْتَلِطُّ وَصَمَةُ أَفْوَالِ الْوَصِيفِ وَأَسْ أَجْرَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامُ أَنَّ
تُدْرِكُهُ وَ لَا لَيْسَتْ أَلْ نَصِيغَةُ؟ فَسُبْحَانَ لَيْدِي بَهَرِ الْعُقُولِ، عَنْ وَصْفِ خُلُقِي بَخْلَاهُ لِلْعُيُونِ
فَأَذَرَكْتُهُ مَحْدُودًا مُكُونًا وَمَوْلَمًا مُلَوَّنًا؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنُ عَنْ تَلْجِيصِ صِفَتِهِ وَقَعْدَ بِهَا عَنْ
تَأْيِيدِي نَعْيِهِ، وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَخَ قَوَائِمِ الدَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَفَاقِهِمَا مِنْ حَلْقِي الْجِيَتَانِ وَالْيَيْبَةِ؛
وَوَلَّى عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَيْءٌ مِمَّا أَوْلَعَ فِيهِ الرُّوحُ إِلَّا وَخَلَّ الْجِمَامُ مَوْعِدُهُ وَلَقَاءَ غَايَتِهِ.

أقول: غرض الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله، لعاية الالتفات إليه، وشواهد
البيئات ما طهر لمعقول من لطائف لمخوقات، فاستدلت بها على حكمته وقدرته. و

«ما» الأول: مصعوب لاقام. وضمير في له: يرجع الى ما و في نه. وله الثانية: يرجع الى الله، وفي دلالة يحتمل العود الى كل منهما. وما الثانية: محنها لجر عطفاً على الضمير في دلالة، واستعار وصف العميق: لظهور تلك الدلائل في العقل كالأصوات الظاهرة عند السمع. والاختايد: شقوق الأرض وشعابها. واضح: الطريق بين الجبلين. و روسى أعلامها: ثوابت جبالها. وعبل الجثة: كلعام. وخص الطووس بشرح الوصف لكونه أدنى على كمال القدرة لإشتماله على جميع الأنوان. وقصبه قصب ريشه. أشرح قصبه: ضبط أصولها بالأعصاب والعظام، وشرح بعضها ببعض. والقلع: الشارع. والداری: نسبة الى دارين مدينة قديمة مساحل القطيف من لبحرين^١ يقال: انّ الطلپ كان يحلب اليها. وشبه ذبه: بالملح الذي عند اودته للمساد، باعتبار انه يرفعه وينشره فيصير كالشرع. وعنجه: عطفه، واداره. النوتى: الريان للسقية: ويختال: يتداحبه الخيلاء. والافضاء: السكاح. وأثر لفحل بالراء المهملة نكح. والملاقحة: المماكة. وروى: بملاقحه بالهاء أى: محال لقاحه

وقوله: ولو كان كزعم، الى قوة: مسحس، اى: لو كان حاله فى السكاح كزعم من يزعم انّ الذكر يلقح بدعة تنسجها مدامه، اى: تنص بها فيقف الدمع فى ضفتى اجفانه، اى: جانبها فطمعها الأثى فصيح من تنك ادمعة لما كان ذلك بأعجب مما يقال فى مطاعمة الغراب. فانّ العرب تزعم انّ لعراب لا يسفد، ومن أمثالهم: اخفى من صفاد الغراب، ويرعمون انّ اللقاح من مطاعمة الذكر والأثى، وايصال جزء من الماء الذى فى فايضته اليها بأى يضع كن مهمامنقاره فى مستار الآخر ويتزقا، وروى «عوض تنسجها»: تسفحها. والمنبحس: المتفجر. وهو عليه السلام لم يتعرض لسفى ذلك ولا اثباته.

وبفل الشيخ فى الشفاء: انّ القبحه تحيلها ربح تهب من ناحية الجبل ومن سماع صوته. قل: والوع المسمى «ملاقى» يتلاصق بأفوها ثم يتشاك فذلك سفادها. وشبه قصب ذبه: بالمدارى من القصة جمع مدرى بالذل المهمة وهو: كالميل يتخذ من قرن او فضة تخلل به المرأة شعرها. وداراته وشموسه: ما على ريشه من الدوائر الملونة

المنقشة. ولعصيان: لذهب. وغلذ: الفطع. وامصاهاة: المشاهدة. والموشى: المقوش: وعصب اليمس: برود تعمل بها. ونقلب بالجبس: شدت بالقبضة. والحمش: الدقاق. وللخلاصة: هى المتولدة من الدجاج الهندى والعارسى. وصنوب: حرف الساق. ولصيصة: السنوكة السنية فى مؤخر ساق الديك. والقزعة: شعرات تحتلح فى موضع من الرأس. ولوسمة: شجر يحصب به. والتلفع: لتأحف. والأسحم: الاسود. ومستدق القدم بفتح الد: رأسه وبكسرهما أيضا. وليقق: خالص البياض. وأدمجه: احكمه. والدّر صغار النمل. والهمجة: دابة صغيرة كالبعوضة.

ووصمه عليه. لسلام لحدث صنع الله فى خلق هذا الطائر لا مزيد على بلاعته.

مها فى صفة الحجة :

قُلُوبُهُمْ يَبْصُرُ قَلْبُكَ بِخَوِّ مَا يُوَصِّفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفَتْ نَفْسُكَ مِنْ تَذَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى
 الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا وَرَحَائِبِ مَآطِرِهَا، وَلَذَهَبَتْ بِهَا كُرْهُى أَضْطِيفُوا أَشْعَرُ عَيْتِ
 غُرُوفِهَا فِي كُتُبَانِ الْمِثْلِ عَلَى تَوَاجِرِ أَتَهَارُهَا؛ وَفِي تَغْلِيْقِ كُنَائِسِ اللُّوْلُؤِ الرَّطْبِ فِي
 عَسَلِيحِهَا وَأَقْنَانِهَا، وَظُلُوعِ يَمِّكَ سَمَارِ مُخْتَبِئَةٍ فِي غُلْبِ أَكْثَامِهَا، تُخْشَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ،
 فَتَأْتِي عَنْ مِثْنٍ مُجْتَنِسِهَا، وَيُظَلِّفُ عَنِ نَرِّهَا فِي أَقْيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَغْصَانِ الْمُصَفَّغَةِ،
 وَالْحُصُورِ الْمُرَوِّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَرَلِ الْكَرَامَةَ تَتِمَّادَى بِهِمْ حَتَّى حَلَّوْا ذَرْأَ الْقَرَارِ وَأَبْسُوا مُنَّةَ
 الْأَسْقَارِ قَلَوْ شَعَلَتْ قَتَبُكُ أَهْيَا لَمُسْتَمِعٍ بِالْوُضُوءِ إِلَى مَا يَهْجُمُ غَلْبَتِكَ مِنْ تَنَكُّ الْمَنَظَرِ
 الْمُؤَيِّقَةِ لَزَهْقَتِ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَلَتْ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُخَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُصُورِ
 أَشْبَعُجَ لَا يَهَاءُ جَعَلَ اللَّهُ وَرَيْكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَذَارِبِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

أقول: أكثر الألفاظ المستعملة هنا استعارات، ادبيست شجار الحجة وأنهاها و
 كتيان مسكها و كبائس ثوبها: كما هو المحسوس عندنا، بل أعلى من ذلك وأشرف، و
 هذه أمثلة لها تفعل لما يسهما من المناسبة، وانت بعد معرفتك بقواعد التأويل، وقوفك
 على ما دلل اسرهن عليه من العلوم الالهية ربما امكنت ان تعرف طرف صالحا من مناسبة
 هذه الأمثلة. والكبائس: جمع كباسة وهى: العمق. ولعصالح: العصب واحدها

عُلُوح. والافان: جمع من وهى: الغصون. والأكام: جمع كمامة بكسر الكاف، وهى: غلاف الطمع. والمصطفى: المصطفى.

١٦٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لِيَأْسَ صَعِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلَسَرَأُ كَبِيرُكُمْ بِصَعِيرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَجَفْدَةِ لَحْدِ هَيْبَةٍ:
لَا هِيَ الدِّينِي يَتَمَقَّهُونَ، وَلَا عِزَّ اللَّهِ يَغْنُلُونَ؛ كَقَبْضِ يَبْضٍ فِي أَدَاخٍ: يَكُونُ كَسْرُهَا وَرَرًا؛
وَيُخْرِجُ حَصْنَهَا شَرًّا!!

أقرب: قبض البيضة: قشرها الأعلى. والاداخ جمع دحى: افعول من الدحو، وهو: الموضع الذى تفرخ به النعمة وشبههم على تقدير كونهم كحماة الجاهلية، بقشر البيضة من الأفعى وبعده، ووجه شبه أنها اب كرهه كسرا ثم لتأذى الحيوان به. وقيل: لأنه يقطن بضر القطا فيأثم كاسره، وإن لم يكسر يحرخ حصنها افعى قاتلا وهوش، وكذلك هؤلاء لا تحل لأحد اداهم لحرمة طهر الاسلام عسهم، وإن هم تركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الأدب خرجوا شياطين.

ومنه:

أَفَرَقُوا بَعْدَ الْفِتْنَةِ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ: فَمِنْهُمْ أَحَدٌ يُعْضِى أَيْفَ مَا نَدَى مَعَهُ عَلَى
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَبَحَمَهُمْ لِيَسْرِىَ سَيِّ أُمِّيَّةً كَمَا تَحْتَبِعُ قَرْعُ الْخَرْيَفِ، يُؤَيِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَجْعَلُهُمْ رُكْماً مَأْكُورَ كَامٍ لِسَحَابٍ، ثُمَّ يَمْشِخُ اللَّهُ لَهُمْ أَبَوَاءً يَسْبِلُونَ مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَلِ
الْجَنَّتِيِّ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ، وَلَمْ يَزِدْ نَسَبُهُ رُصْ طَوْدٍ،
وَلَا جَذَابُ أَرْضٍ، يُدْغِيهِمُ اللَّهُ فِي بَطُونٍ أَوْدِيَّتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَتَبَعُ فِي الْأَرْضِ بِأَحَدٍ يَهُمُّ
مِنْ قَوْمٍ حُفُوفٍ قَوْمٍ، وَيَمْسِكُ يَقَوْمٍ هِيَ ذِيَارِ قَوْمٍ؛ وَأَيْمُ اللَّهِ لَيُذَوِّرَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ تَعْدَ لَعْلَوْ
وَسَمَكِينَ، كَمَا دُوبُ الْأَلْيَةِ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَحَادَثُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهَيِّأُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعِ

فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ، وَتَمَّ نَفْوَ مَنْ قَوَىٰ عَلَيْكُمْ، لَكُنْكُمْ تَهُمٌ مَّتَاهُ تَبَىٰ إِسْرَائِيلَ!! وَلَقَمَرِي
 لِكَصْفَرٍ لَكُمْ النَّيَّةُ مِنْ بَعْدِي أَصْعَاقاً مِمَّا خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ طُهْرِكُمْ، وَقَطَعْتُمْ الْأَذَى،
 وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ!! وَغَبُّوا أَنْكُمْ إِنْ أَنْتُمْ الدَّاعِي لَكُمْ مَسَّكُمْ مِنْهَا الرُّسُولُ،
 وَكَيْسُكُمْ مَوْؤَةَ الْإِعْتِسَافِ وَتَبَذْتُمْ أَثْمَلَ الْفَدِاحِ عَنِ الْإِعْتَابِ.

أقول: الإشارة إلى أصحابه، وأصلهم: هو عليه السلام إذ افرقوا عنه لى خوارج
 وغيرهم. واستعار لفظ اعص: لمن يحلفه من ولده: «الأئمة عليه السلام» والاحذ به:
 لزوم هديه، الآخذون به هم: الشيعة، وإن افرقوا ورقا. ولفزع: قطع اسحاب المستفرقة،
 وأراد أن الله سيجمعهم بعد تفرقهم لشريوم لبنى امية لازالة مبكهم وقسهم. وإنما خص
 الخريف، لسرعة تألف سحابه ومطره. والركام: المتراكم، ولأتواب الذى يفتحها لهم:
 كوجوه الآراء التى يحتمعون بها، وسائر اسباب اعلية. وشه خروجهم من مستشارهم و
 مكامهم: بسيل حتى مأرب وهو سبى عزم المشار اليه فى القرآن اكريم! ووجه
 لسه: شدة خروجهم، وسرعة امسأد ما يأتون عليه، حتى لا يسلم منهم أحد، كما لم يسلم
 على ذلك السيل قارة اى: اكمة، سننه: قصده. وحدا الأرض جمع حد وهو:
 المرتفع منها. والذعذعة بالذال لمعجمة: التفريق.

وقد كان من أمر الشيعة ابها شمية، واحشماها على ملك نبي امية، من كان منهم
 على ولاء علي وأهل بيته، ومن حاد منهم على ذلك فى اواخر أيام مروان الحمار عند
 ظهور دعوة الها شمية ما هو معلوم مشهوراً فى التورج. ونهوا: نضعفوا. وتوهين الباطل:
 اضعافه. والداعى: هو عليه السلام. وكيسم مؤوة الاعتساف: فى طرق اضلال.
 والفادح: المثقل، وهو ثقل الأورار على اعناق نفوسهم.

١- سورة سبأ / ١٦.

٢- فى نسخة ش. ما هو مشهور معلوم.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَّ فِيهِ الْحَبِيرَ وَالشَّرَّ، فَحُدُّوا نَهَجَ الْحَبِيرِ تَهْدُوا، وَأَصْدِقُوا عَنْ مَمْنَنِ اسْتَرْ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَائِضَ الْقَرَائِبَ! أَدْوِهْ إِلَى اللَّهِ تَوَدُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَقَصَّ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُنْهًا، وَشَدَّ بِالإِخْلَاصِ وَالْتَوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَلَمُسْلِمٌ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدَيْهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَجِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ، لَا يَمُتُ يَحِبُّ، تَادِرُوا أَمْرَ الْقِمَّةِ وَحَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَفَوِّ التَّوْتُ، قَبْلَ النَّاسِ أَمَامَكُمْ، وَرَنَ السَّاعَةِ تَخْذُوكُمْ مِنْ خَلْعِكُمْ. تَحَفُّوا تَلَحُّوا!! فِيمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْبِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَرِيكُمْ مُسْئِلُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ لَحِيرَ قَحْدُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ اسْتَرْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

اقول: أصدقوا: أعرضوا. والمدخول: المعبود. وقوله: وفصل، الى قوله: معقدها، أى: اوجب على الموحدين المحافظة على حقوق المسمين، ومراعاة مواضعها وربط توحيدهم بذلك، حتى صار فضله كفصل التوحيد، فمن قتل مسلماً بغير حق فكأنما سلب توحيد الله. ومعاقدها: موضع عقد وجوبها، ومناقشة الحساب عن البقاع كما روى أنه يقال: لم استوطنت هذا المكان وزهدتم في ذلك؟ وعن البهائم: ليم صرستم هذه وقتلتهم هذه؟ ولتم او جعتموها؟ وهو داخل في قوله تعالى: (ولتسألن عما كنتم تسمون)^١.

١٦٧ - وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد ما نوب بالحلافه، وقد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما من أحلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَانِي؛ إِنِّي لَسْتُ أَحْفَرُ مَا تَعْلَمُونَ، وَبَكِنَ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَلِقُوَّةٍ لِمُحْسِنٍ عَلَى حَدِّ شَوْكِهِمْ يَمِيكُونَنَا وَلَا تَمِيلُكُمْ؟ وَهَلْ هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ نَزَّتْ مَعَهُمْ عُنْدَكُمْ، وَنُفِثَ إِلَيْهِمْ أَغْرَانُكُمْ، وَهُمْ جِلَاكُكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا، وَهُمْ تَرَوْنَ مُؤَيَّدَةً بِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ حَاضِيٌّ، وَإِنَّ يَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةٌ، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرَّتْ - عَلَى أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ - فَاصْبِرُوا حَتَّى تَهْدَى النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤَخَّذَ السُّخُوفُ مُسْبَحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَتَطْرُقُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْعِفُ قُوَّةً وَتُسَيِّطُ مَنَةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَدَلَّةً، وَسَأَمِيلُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْتَدْتُ، وَدَلَّ لَمْ أَحْدٌ نَدَا فَحَرِّ الدَّوَاءِ الْكَبِيِّ.

أقول: الألف في «يا إخوانه» هي: المقتلة عن ياء الميم. وأحلب عليه جمع. و شوكتهم قوتهم. والعبدان بتشديد الدال وتحفيفها وكسر العين وضمتها: جمع عبد. والنثفت: انضمت ويسومونكم: يكتفونكم. ومسحة: مسهلة. والفصل يدل على أنه عليه السلام كان مترصداً للفرصة، والتمسك من القصاص على وجه الشرع فلم يمهل. وروى: أنه عبه لسلام جمع الناس وعطهم، ثم قال: لقم قبة عثمان، فقاموا بأسرهم إلا العليل، وكذ ذلك استشهدا منه على صدق قوله، والدس على حد شوكهم، وعلى أنه لا فخر له على المصاحح حينئذ. وقوله: فاد لم أحد يذأ إلى قوله: الكي، أي: إذا سم يكن يذأ من القتال قاتلت، وكتى عنه: بالكي.

١٦٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسير أصحاب الحمل إلى البصرة

إِنَّ اللَّهَ نَعَتْ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ؛ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَابِتٌ، وَإِنَّ الْمُسْتَهْطَاتِ الْمُسْتَهْطَاتِ هُنَّ الْمُهْلَكَاتُ، إِلَّا مَا حِطَّ اللَّهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَغْطَوْهُ طَاعَتُكُمْ غَيْرَ مُؤَيَّةٍ وَلَا مُسْكِرَةٍ بِهَا وَاللَّهُ تَعْمَلُ أَوْ تَسْتَسْرِ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانًا لِلْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُضُهُ بِكُمْ أَنْذًا حَتَّى يَأْزِلَ الْأَمْرُ بِلَى غَيْرِكُمْ.

بُذْ هَوْلًا قَدْ تَمَّ لَاؤُا عَلَى سَحَابَةِ إِقَارَتِي، وَمَأْخُذٍ مَالِمٍ أَخَفَّ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَشَمُّوا عَلَى قَبْلِهِ هَذَا لِرَأْيٍ، تَنْفَعُ بَطْنُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا ظَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَقَامَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرْزُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَنِّي أُنْذَارًا، وَلَكُمْ عَنَّا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْإِيمَانُ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشُ بِسُيُّوهِ.

أَقْبَرُ: قَوْلُهُ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَابِتٌ: لَا يَهْلِكُ عَنْ مَحْصَنِهِ إِلَّا اعْطَمَ هَابِتٌ، كَمَا تَقُولُ: لَا يَعْلَمُ هَذَا الْفَنَ إِلَّا عَالِمٌ أَيْ: مَا فِي أَعْلَمَ، وَالْمُسْتَهْطَاتُ: الْمُسْتَهْطَاتُ مَا اسْتَدْعَى فِي الدِّينِ مَشْتَهَا بِالسَّنَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا. وَرَوَى: مَشْتَهَاتُ أَيْ: لِسَةِ. وَرَوَى: الْمُسْتَهْطَاتُ وَهِيَ: مَا أُنْشِئَ عَلَى النَّاسِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ وَهِيَ: الْمُهْلَكَاتُ أَيْ: فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مَا عَصَمَ اللَّهُ أَيْ: حَفِظَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا. وَسُلْطَانُ اللَّهِ: الْقَائِمُ بِدِينِهِ وَأَمْرِهِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى نَفْسِهِ. وَغَيْرُهُ مَلُومَةٌ: أَيْ غَيْرُ مَلُومٍ صَاحِبُهَا بِالْعَشِّ فِيهَا. وَرَوَى: غَيْرُ مُؤَيَّةٍ أَيْ: مُعَوَّجَةٍ، وَأَرْزُوا الْأَمْرَ يَأْزِلُ: انْجَزَ وَانْقَبَضَ. وَهَوْلًا: إِشَارَةٌ إِلَى طَلْعَةِ، وَالرَّهْبِ، وَعَاشَةِ، وَاتَّاعَهُمْ. وَتَمَازُوا: اجْتَمَعُوا. وَقَبْلَةُ الرَّأْيِ: ضَعْفُهُ. وَلَعَشَ: الرُّفْعُ. وَنَاقِي الْفَصْلِ طَهْرُ.

١٦٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا قَالَ لِكُلَيْبِ الْحَرَمِيِّ قَبْلَ وَقْعَةِ الْحَمَلِ: يَا بَعْ. فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُخْذُ خَذَنًا دُونَهُمْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ: عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الْإِلَهَ وَرَأَى بِعَمَلِكَ زَائِدًا تَتَّبِعِي لَهُمْ مَنَاقِظَ الْعَنَتِ فَرَحَعْتَ إِلَيْهِ

وَأَحْزَنَهُمْ عَنْ الْكَلَاءِ وَالْعَدَاءِ فَخَرُّوا إِلَى الْمَعْدِلِشِ وَلَمَّحَادِبٍ، مَا كُنْتُ صَانِعًا؟ قَالَ:
 كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَمَحَافِظُهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَلِمَاءٍ فَقَدْ عَنِهِ السَّلَامُ:
 فَأَمَدُّ إِذْ يَذْكُرُ! هَقَارُ الرَّجُلِ: فَوَيْلُهُ مَا سَتَصْعَتُ أَنْ أَمْتِنَعَ عِدْقَامَ الْحِجَّةِ عَلَى،
 قِيَامَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أقول: «لجرمي» منسوب لى بنى جرم قبيصة، وكن قوم من أهل البصرة بعثوه اليه
 عليه السلام ليستعلم حاله، أهو على حجة، ام هو على شبهة؟ فما رآه وسمع لقطه لم
 يتحالحه شك فى صدقه، فبايعه و كان بينهما الكلام المنقول. ولا الطف من التمثيل
 الذى جذبه به عليه السلام، ولذلك اقسام انه لم يتمكن من محالته.

١٧٠- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزم على لقاء القوم بصعين

الْبَهْمَ زَيْتَ الشَّعْبِ الْمَرْفُوعِ، وَالْحَوْ لَمَكُوفِ، الَّذِي جَعَلْتُهُ مَعْبُوسًا سَلِيلَ وَالْثَّهَارِ،
 وَمَخْرَجِي لِسْمِيسٍ وَالْقَمَرِ، وَمُحَلِّفًا سُبُحُوهُ لِسَانِي، وَخَعَلْتُ سَكَاةً سَيْطَانًا مِنْ مَلَأَتُكَ،
 لَا يَسْأَلُونَ مِنْ عِنَادِيكَ؛ وَزَيْتَ هَذِهِ الْأَرْضِ أَنْتَبَى جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجًا لِسَهْوَةِ
 وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُخْصَى بِمَا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى؛ وَزَيْتَ الْحَالِ الرَّوَاسِي الَّذِي حَصَّنَهَا لِلْأَرْضِ
 أَوْنَادٌ وَلِحُلُقِ اعْتِمَادٍ. إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى غَدُونَا فَحَسْبُنَا النُّعَى، وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَنَا
 غَنِيَّتَ فَرَرْنَا أَسْهَادَةً وَغَصَصْنَا مِنَ الْبُشَى.

أَيُّ الْمَايَعِ لِسْمِيسٍ، وَلَعَلَّيْزُ عَيْدُ تَرْوِيلِ، الْحَضَرِي مِنْ أَهْلِ الْجَمَاطِ؟! الْعَارُ وَرَاءَ كُمْ،
 وَالْحَقُّ أَمَامَكُمْ.

أقول: كون امك معضا ليل و لهدر باعتبار حركته المستلزمة بحركة الشمس عن
 وجه الارض، و الى وجهها فالاعتبار الاول يكون: كالمعوض للنهار، و ما لاعتبار الثاني
 يكون: كالمعوض لليل. و استعده له لبيت لاعتبارين بقط: المغرض. و لسط: الغيلة.
 و كون الحباب اعتمادا للحق: لما فيها من المرفق لهم. و قوله: فحسبنا النعى، و سددا

للحق: طلب للموقوف على حد العصية في الجهاد، من طرفي الإفراط والتفريط، والعصية من العتية وهي: لا ابتلاء بالعصية في طرفي العلب والاسعلاّب. والذمار: ما لزمك حمطه. والحقائق: ما يقع من عطفكم الأمور. وقوله: البار إلى قوله: أماكم أي: في رجوعكم عن الحرب دخول النار. وفي أقدامكم عليها دخول الجنة.

١٧١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَوَارَى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا

منها :

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: بِكَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ ابْنُ أَبِي ظَالِبٍ لَحْرِيسُ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَخْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ! وَتَمَّا ظَلَمْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَصْرِفُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحَقِّ فِي الْمَلَأِ الْخَصِيرِ هَبَّ كَأَنَّهُ [نُبْهَتْ] لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

سَمِعْتُ إِبْنِي أَسْتَجِيبُكَ عَلَى فُرْجِيسٍ وَمَنْ أَعَدَّ لَهُمْ، فَبِهِمْ قَطَعُوا رَجْمِي، وَصَعَرُوا عَظِيمَ مَقَرَّتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُدْرَعَتِي أَمْرًا لَهْلَوِي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي لِحَقٍّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُتْرَكَ.

أقول: روى ابن القائل له كان سعد بن أبي وقاص، في أيام الشورى، بعد مقتل عمر، وقوله: هب، أي: استبظ من غصته، وروى بهت. وقوله: وقالوا إلى آخره، أي: أنهم لم يفتصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كفه حقا لهم، بل خدوه مع دعواهم أنه حق لهم يجب على ترك المنازعة فيه، وهو أصعب. وروى: «بأخذه، ونتركه» بالنون في الموضعين، أي: يتصرف فيه بالأحد والترك، وكيف شئت، وهذه شكاية طاهرة.

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَعَزَّوْا بِخُرُوبِ حُرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا تُحَرُّ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا؛

مُؤَخَّحِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَسِبَ بِنَاءَ هَمٍّ فِي مَوْتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَيْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُمَا وَلَيْعَبْرِهِمَا، فِي حَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمِعَ لِي بِالنَّبَغَةِ، ظَنِينًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَيَّ عَمَلِي بِهَا وَحُرِبَ نَيْتِ مَايِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا: فَغَتَّلُوا ظَانِفَةً صَرًّا، وَظَانِفَةً عَذْرًا! فَوَلَّوْهُ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُغْتَمِبِينَ لَيْثَلِيهِ، بِلَا جُرْمَ حَرَّةٍ؛ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ لِحَيْشِ كُلِّهِ: إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُذَكِّرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بَيْسَانٍ وَلَا يَدٍ. دَعَا مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمِثْلِ الْعِدَّةِ لَتَنِي دَحَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

اقول: غرض الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل، وذكر لهم ثلاث كسائر تستلزم اباحة قتالهم، وقتلهم وهي: خروجهم بحرمه رسول الله صلى الله عليه وآله (و حيسه مع حبسهما لنسائهما و دت انتهاك لحرمه رسول الله صلى الله عليه وآله) و ضمير التنبيه: لطلحة، والزبير. الثالثة، ثكنتهما البيعة.

الثالثة: اقدامهم على عامه بالضرورة وتعذسهم له، وقسمهم للمجماعة المسلمة منهم صبرا، أي: بعد الاسر، وبعض غدرا، أي: بعد الأمان. و كان عامله يومئذ عليها، عثمان ابن حنيف الانصارى، وقصتهم في ذلك مشهورة، وقد نيتها عليها في الأصل^١ فاما حواز قتالهم فمقوله تعالى: (و ان طائفتان) الآية^٢ و اما تعلله بجواز قتل الحيش بما ذكر: فعموم قوله تعالى: (أما جراء ادين يحاربون الله ورسوله) الآية^٣ و «ما» بعد دع زائدة، وانصل ويصح.

١ - الجملة بين القوسين غير موجودة في نسخة ش.

٢ - الشرح الكبير ٣/٣٣٧.

٣ - سورة النحرات / ٩.

٤ - سورة لمانده / ٣٣.

أَمِيرُ وَخِيهِ، وَخَاتَمُ رُسَيْدِهِ، وَنَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَتَنْبِيهُ نِقْمَتِهِ
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ قَوْمُهُ عَلَيْهِ؛ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ؛ فَإِنْ شَعَبَتْ
شَاغِبٌ اسْتَعْتَبْتَ، فَإِنْ أَبَى قُوَيْنَ. وَلَتَعْمُرِي لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْفَعُكَ حَتَّى تُخْصَرَهَا عَادَةُ
النَّاسِ قَمًا إِلَى ذَلِكَ مَسِيلٍ؛ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَخْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ
أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْعَائِبِ أَنْ يَحْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُسَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ وَحَرَمَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.
أَوْصِيكُمْ بِعَدَدِ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِمَّا تَوَاضَى إِلَيْهِ بِه، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ
عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْفِتْنَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ
وَالصَّبْرِ، وَلَيُعَمَّ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، قَامُصُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَفُتُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَفْعَلُوا
فِي أَمْرٍ حَتَّى تَنْتَبِهُوا؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تَكْبِيرُوهُ غَيْرًا.

أَلَا وَنَ هَذِهِ الدُّنْيَا، الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَسْمَوْتَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحْتَ تُغْضِبُكُمْ
وَتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِذَرِكُمْ وَلَا مَسْرِكُمْ الَّتِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، أَلَا وَإِنَّهَا
لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَرَنُ غَرَضِكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرْتُكُمْ شَرَّهَا. فَذَعُوا
عُرُوزَهَا لِتُخْذِرَ بِهَا، وَظَمَّهَا لِتُخْوِفَ بِهَا، وَسَامُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَصْرَفُوا
بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِينُ أَحَدُكُمْ حَتَّى الْأَمَّةِ عَلَى مَا رَوَى عَنْهُ مِنْهَا، وَأَسْتَمُوا بِعَمَّةِ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَلِمَحَافَظَةِ عَلَى مَا أَسْتَحْفَظُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ
لَا يَبْصُرُكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَعْدُ جَفْطَكُمْ قَائِمَةً بَيْنَكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَتَمَعُّكُمْ تَعْدُ
تَضْيِيعُ دِينَكُمْ شَيْءٌ حَافَظَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَحَدَ اللَّهِ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ
وَالْهَمَّتَا وَإِنَّا كُفُّ الصَّبْرَ.

اقول: هذا اشارة الى صفات الامام الحق، وهو كونه اقواهم على امر الخلافة، أى:
اقدروهم على تدبيرها عن عدم واعملهم واعلمهم بأوامر الله فيها، وذلك يستلزم علمه
بأصول الدين وفروعه ليضع الأعمال مواضعها، وقد استلزم الوصف الاول: فضيلة

لشجاعة، ولثاني: فضيلتي العلم والعفة، وتبرم انصاف الثلاث فصحة العدل.

و روى بعد قوله: واقواهم عليه، واعينهم به، واعينهم بأمرائه فيه، وهذه الفصل الأربع هي جماع مكارم الاخلاق وأصولها. وقوله: ون شغب شاعب، اي: خرج مع عبي الإمام. والشغب: الشر. والامتنعاب: طلب العسبي وهي: الرجوع الى الحق. وقوله: ولعمرى، الى قوله: ان يفتان: جواب لما انكره معاوية واهل اشام، من الاجماع على بيعته وأنه يحتاج في انفة دها الى حضور جميع الناس. وأشار الى ان الاجماع على هذا الوجه غير ممكن، وان ممكن ففي غية العسر بل المعتز منه اتفاق اهل الحل ولعقد من امة محمد صلى الله عليه وآله، على مرمس الأمور وهم اهل الإمامة الذين يحكمون على من غاب عنها. ثم ليس لمن حضور رضى كطبعة والزبير، ان يرجع ولا للنائب كمعاوية، ان يختار، وهذا هو رسم لاجماع الذي اتفقت كدمة محققى الأصوليين عليه. وإنما احتج بالاجماع حيث لم يسلم له النص على امامته، والمدعى ما ليس له بحق: كمعاوية للإمامة، والماح ندى عيه: كطبعة والزبير في معهما، ما له عليهما من الطاعة.

وقوله: وقد فتع، الى قوله: غيرا: اعلام لأصحابه يحكم، البعاعة من أهل القبلة اجمالاً، واحال بالتفصيل على أوامره حال لحرب، وقد كذ الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القسمة، ولا كيفية لسنّة فيهم، لى ان علموا ذلك منه عليه السلام. ونقل عن الشافعى^١ أنه قال: سولا على ما عرفت شيئاً من أحكام أهل البغي.

وقوله: ولا يحتمل، الى قوله: الحق، اي: العلم بحروب حرب هؤلاء وقتالهم وقتهم. وأهل النصر: اهل العقوب الراجحة، والصبر على «مكاره» وعن التسرع الى الوسواس بالنسبة والعلم بموضع الحق، وذلك ان المسلمين عظم عليهم حرب أهل القبنة واكبروه، والمقدمون على ذلك أقدموا على خوف وحذر، فقال عليه السلام: ان هذا العلم لا يدركه كن أحد. وروى «العلم» بالفتح اي: علم الحرب وذلك ان صاحب الراية عليه

١- هي ش يريد به. رحمه الله.

مدار الحرب، وقوب العسكر موطاة به فوجب ان يكون بالشرائط المذكورة. وقوله: ولا تعصوا، الى قوله: غيراً: اى لا تتسرعوا الى انكار امر ترويه مكراً حتى تثبتوا متاً ما فعله فيه، فاننا نغير كل امر ينكر العرف والشرع. وحصر حسين الامة: لأن العادة ان تضرب وتؤذى فيكثر خنيها، اولاً العالب عيها العربية فيحن الى اصلها. واستحفظهم لكتاب الله: امرهم بالمحافظة على قوانينه والعمل به.

١٧٣ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْغَبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنْ عَلَيَّ مَقَدٌ وَعَقْدِي رَيْيَ مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَعَجَنْ مُتَجَرِّدًا لِيُطْلَبَ بِدَمِ عُنْتَنَ، إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِي لِأَنَّهُ مَطْلُئُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِظَ بِمَا أُجْلِبُ فِيهِ يُلْسِنُ الْأَمْرَ، وَيَقَعُ الشُّكُّ! وَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُنْتَنَ وَجَدَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: لَيْسَ كَانَ ابْنُ عَدْنٍ طَالِمًا، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُؤَارَرَ فَنَالِيهِ، أَوْ أَنْ يُنَادَى نَاصِرِيهِ، وَلَكِنْ كَانَ مَطْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسَيِّئِينَ عُنْتَهُ، وَالْمُسَيِّئِينَ فِيهِ، وَلَيْسَ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخُصْمَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَقْتَرَلَ وَيَرْكُدَ جَانِبًا، وَيَدْعُ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يَعْرِفْ بَابَهُ، وَلَمْ تَسْمَعْ مَعْدِرَةً.

اقول: هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة، والزبير، الى البصرة وتهديدهما له بالحرب و كان: تامة. والواو في قوله: وما: للحال: اى: قد وجدت الى هذه الغاية، وما هددت بالحرب، واجلب: جمع، ونهيه عنه: كقت، والمعذرين بالتحفيف، المعذرين عنه، وبالتشديد: المطهرين للعدم مع أنه لا عذر وركد: سكن.

١٧٤ - وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا الْعَافِلُونَ غَيْرُ الْمُتَعَفِّلِينَ عَنْهُمْ، وَتَسَارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ، قَدِ ابْتَلَى أَرْكَامَكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِنِّي غَيْرُهُ رَاعِيَيْنِ؟ كَأَلَيْسَ لَكُمْ نَعَمَ أَرْحَاحٌ يَهْدِي سَبِيلَكُمْ إِلَى مَرْغَى وَبَنِي، وَمَشْرَبٌ دَيُّونٍ!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمَذَى، لَا تَعْرِفُ مَا ذُوُّهَا يُرَادُّ بِهَا: إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَها ذَهْرُها، وَشَبَّعَها أَمْرُها؛ وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُحْسِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوَاجِعِهِ وَخَوَاصِّ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِنِّي مُفَصِّصُهُ إِلَى الْحَاصَةِ مِمَّنْ يُؤْمَرُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي تَعْتَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا، وَقَدْ عَهَدْتُ إِلَيْ بِذِيكَ كُنُوزِهِ، وَسَهْدِي مَنْ يَهْدِي، وَمَنْ تَحْتَى مَنْ يَسْجُو وَمَنْ لِي هَذَا الْأَمْرُ؛ وَمَا أَتَى شَيْئًا يَنْتَرَعُ عَلَيَّ رَأْيِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أَدْنَى وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْكُمُكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْمِعُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

أقول: مأخوذ منهم أي: من أشخاصهم بالموت، ومن أحوالهم بالعدم. والسائم: الراعي. والمذى: جمع مذبة وهي: السكين. ووجه شبههم بالنعم: عملتهم عما ينبغي لهم. ونفس الأمانة كالسائم. وقوله: إنما، إلى قوله: أمرها: شبه لها بالنعم. المعلوفة: باعتبار غففتها عن غيتها وما يراد بها. ووجه الشبه هو قوله: لا تعرف إلى آخره. ومقصده: موصله. وكفرهم به برسول الله: بتفصيلهم آياه عيه. والحاصّة: أهل العلم والنبات من أصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه.

١٧٥ - وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اُنْتَفِعُوا بِبَيِّنِ اللَّهِ، وَاتَّبِعُوا بِسَمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ. فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَشَدَرَ إِلَيْكُمْ بِالْخَبِيرَةِ، وَأَحَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَدَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هُدًى وَتَحْتَسِبُوا هُدًى؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «حُصَّتِ الْحُجَّةُ بِالْمَكَارِيهِ

وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». وَاعْتَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ؛ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ لِلَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَجَمَ اللَّهُ رَجُلًا لَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسُ أَنْفَعُ شَيْءٍ مَرْتَعًا، وَبِهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى.

وَأَعْلَمُوا عِنْدَ اللَّهِ أَنَّ السُّؤُسَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ طُثُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ رَارِيَا عَلَيْهَا، وَمُسْتَعْرِدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمُتَأَمِّينَ أَمَامَكُمْ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا مَقْبُوضَ الرَّاجِي، وَطَوِّقُوا طَلْقَ الْمَسَارِلِ، وَاعْتَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ الْوَيْحُ الَّذِي لَا يُعْشَى، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُبْضَلُ، وَلَمْ تَكُنْطُ الْبِدَى لَا يَكُونُ دُ، وَمَا جَلَسَ هَذَا الْقُرْآنُ أَحَدًا إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِرِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٌ فِي هُدًى، وَنُقْصَانٌ مِنْ غَمٍّ. وَاعْتَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ تَعَدُّ الْقُرْآنِ مِنْ ذَنْبَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلُ الْقُرْآنِ مِنْ غَمٍّ، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَذْوَابِكُمْ، وَاسْتَعِيُوا بِهِ عَلَى أَنْوَاعِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْثَرِ الْأَذْيَاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّدْقُ وَالْعَمَى وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحَيٍّ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْفَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ مَشِيٍّ، وَاعْتَمُوا أَنَّهُ شَفِيعٌ وَمُسْتَمْعٌ، وَقَائِلٌ وَمُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُمِعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُدْخِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُتَتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرِثَتِهِ وَأَتَابِعِهِ، وَاسْتَعْدُّوهُ عَلَى رَنْكِكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَنْهُ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَعِيُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ الْتِهَانَةُ السَّهْوَةِ، وَالْإِسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ ثُمَّ الصَّبْرُ، الصَّبْرُ، وَلَوْزَعُ الْوَزَعِ، إِنَّكُمْ نِهَائِيَّةٌ فَانْتَهُوا إِلَى نِهَائِيَّتِكُمْ، وَإِنَّكُمْ عَلَمًا فَهْتَدُوا تَعْيِمَكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَخَرِّجُوا إِلَى اللَّهِ مَا فَتَرَسَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَمَوٍ، وَبَيَّنْ لَكُمْ مِنْ وَطَائِفِهِ. أَمَا شَهِيدٌ لَكُمْ وَحَاجِبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

الْأَوَّلُ لِمَقْدَرِ السَّابِقِ قَدْ وَقَعَ، وَلِنُقْصَاءِ الْمَاضِي قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُسْتَكْمِلٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَحَجَّتِي؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ لِّلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَسْرِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَعْلَفُوا وَلَا تَخْرُجُوا وَأَنْشُرُوا بِالْحَقِّ الْيَسْبِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُنْتُمْ رَبَّنَا اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كَيْدِهِ وَعَلَى مِثَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمُرُّوا بِهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهَا، وَلَا تَحْلِفُوا عَنْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ السُّرُوقِ مُنْقَضٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِنَّاكُمْ وَنَهْرِيخُ الْأَحْلَاقِ وَنَضْرِيْفَهَا، وَاجْعَلُوا النَّسَانَ وَاجِدًا، وَلِيَعْرِبَنَّ الرَّجُلُ لِنَسَانِهِ، فَإِنَّ هَذَا النَّسَانَ جَمُوحٌ

بصاحبه، والله ما أرى عبداً ينفى تقوى تشفعه حتى يَخْتَرِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُتَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَذَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ؛ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُتَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ؛ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ؛ وَمَا ذَا عَلَيْهِ!!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُلْفَى اللَّهُ وَهُوَ يَقِي أَرَاخَةَ مِنْ دِمَائِهِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَيِّئُ النَّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

وَأَعْنُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَدَاؤُهُ، وَيَحْرُمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامَاؤُهُ، وَإِنَّ مَا أَحَدَثَ النَّاسُ لَا يُجِزُّ لَكُمْ شَيْئاً وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَّمَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، قَدْ جَرَّثُكُمْ الْأُمُورَ وَصَرَّسْتُمُوهَا، وَوَعِظْتُكُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَصَرَّيْتُ لَكُمْ الْأَمْنَانَ، وَذَعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَضِيعِ، فَلَا يَصُمْ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَغْنَمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى!! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعِ اللَّهُ بِالْهَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْفَعِ شَيْئاً مِنَ الْعِظَةِ، وَأَنَاءُ التَّقْصِيرِ مِنَ أَقْبَابِهِ حَتَّى تَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُسْكِرَ مَا عَرَفَ؛ وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ، وَمُتَّبِعُ بِدْعَةٍ، نَسِ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ تَرْهُدُنْ سُنَّةً، وَلَا صِيَاءَ حَقِيقَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْطِ أَحَدًا يَمِيزُ هَذَا الْفَرْنَ، فَإِنَّهُ حُبُّ اللَّهِ الْقَبِيضِ، وَسَبُّهُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ رَيْبُ الْقَلْبِ، وَتَبَاطُحُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَدَكُّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَسَاوُونَ، فَإِنَّا رَأَيْنَا خَيْرًا فَأَعْيَنُوا غَيْبَهُ، وَذَا رَأَيْنَا شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «يَا بَنِي آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنتَ حَوْدٌ قَاصِدٌ».

أَلَا وَإِنَّ الظُّلُمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُعْمَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مُعْمُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُعْمَرُ فَالشَّرُّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: (وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْيُرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُعْمَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، الْقِصَصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرَحًا بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَضَرُّ ذَلِكَ مَعَهُ. فَإِنَّا كُنَّا وَالتَّلَوُّ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً يَمَانُ تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تَجُحُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْطِ أَحَدًا يَفْرِقُهُ خَيْرًا: مِنْ مَضَى وَلَا يَمِينٌ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَعَنَ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَتْ قُوَّتَهُ، وَاشْتَمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ تَقِيهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

اقول: قوله بالحياة اى: بالاعذار الجلية، اوز: بان أوضح لكم جلية الأمور ونبه بالخبر على ان مكاره الله وان كانت لذينة، فان السار محفوفة بها، فمن لابسها وانهمك فيها وصل الى اسار وان محبة من الاعمال وان كانت مثقة فان العنة محفوفة بها، فلاتنال سدون الوصول اليها، ونزع: قمع. وقمع: ردع ولسفس اى: الامارة بالسوء أبعد شئ مرغ، اى: رجوعا عن المعصية، اذهى مجبولة على محبة الباطل. وطون: متهمة بالخيانة، والتقصير فى طاعة الله. وتقويض: سبأ: نفضه. ومجالسة القرآن: مجالسة أهله، والاستماع اليهم، والتفهم عنهم. واراد دافاة: الحاجة الى ما ينبغي من الهدية، ولكمال السفسانى. وبالغنى: حصولهم. وادوهم: الجهل والذائل. والألواء: الشقة، واستعار لفظ الشافع المشفع: للقرآن، باعتبار كونه: وسيلة لمن تقرب به الى الله، موصلة له الى مطالبه. ومحل به الى السلطان: معنى به، ووجه ذلك هى القرآن اعتبار كون العامل به معروفا عند الله بذلك، فأشبهه اقرآن الساهد عيه بذلك. وحرثة القرآن: مستثروا دفينه وكونز عيه. واستصحوه على أنفسكم، اى: اتخذوه انصح مه، فانه اولى بالنصيحة. و قوله: واتهموا عيه آراءكم اى: الآراء: والأهواء: المخالفة له. والهيبة التى لحقن المطلوبة منهم: اخلاصهم لله، والتحلّى برينته، وهى غاية الاسلام أيضا. ولعلم: مستعار له عليه السلام وللقرآن. وقوله: من حقه: امتنع بقوله: اخرجوا والحروح اليه: بأحلاص العمل له. والماضى: النافذ الذى لا يرد. وتورد اى: دخل فى لوجود شئ بعد شئ، يقال: توردت لخيل البلد: اذا دخلته قطعة قطعة وأشار بالقدر: الى واقع حاص وهو حالته وما يصحبها من الفس والوقئع. وعده الله الشئ يتكلم بها هى: ما وعد به عباده الذين اعترفوا بربوبيته، واستقاموا على مسلكه من ترك الملائكة عنهم بذهب الحوف والحزن والبشارة بالحسنة. واقا حجبته التى تكلم بها فقوله: «وقد قسم: ربنا الله، اى: اعترفتم بالربوبية. فأستقيموا على كتابه، وسمّاح امره الى قوله عنها». ونهزيع الاحلاق:

تقريبها وتكثيرها، و هو نهى عن العقد، وذو اللسانين، ووجهين، هو المفاق. واستعد
لفظ الورا للسان المؤمن: باعتبار أن قوله مؤخر عن فكره، ولقلب لمناق: باعتبار أن
فكره مؤخر عن كلامه، واستقامة انقلب في الخبر بلا اعتقاد المصالح لاستقامة الايمان و
صحته، واستقامة اللسان اى: على الأقوال الصالحة علامة لاستقامة الايمان لا سبب،
لكن لما كانت العلامة متقدمة على ذى العلامة فى العلم، اثار الى: توقف استقامة
القلب على استقامة اللسان بحثى ايضا.

ونقاء الراحة: كناية عن الخلاص من حقوق المسلمين، دماءهم وأحوالهم. وقوله:
إن المؤمن، الى قوله: أحل الله اى: أن المؤمن يستحل ويحرم فى المستقبل ما كان حلالا
او حراما فى الماضي، وهو: ما أحله الله ورسوله او حرمه وثبت بالكتاب والسنة احذه او
تركه دون ما احدث من البدع. وضرست، لأمر اى: احكمته خبرا. وقوله: ولا يصم عن
ذلك الا اصم اى: بعد بيان الأمر وابطاحه بما ذكر لا يصم عنه الا اصم اى: شديد
القسم والا اعمى اى: شديد عمى الجهل وهو عمى البصيرة. والأمر: هو طريق الدين.
وقوله: من امامه: لأن الكمال الذى يتوخه اليه بوجه عقده يفوته لنقصان غريزته، وقوف
عقده عنها. وقوله: حتى تعرف، الى قوله: عرف، اشارة الى: غاية جهله، وهو: ان يتخيل
تارة فيما هو مكرو ومجهول له أنه عالم به وفيما هو معروف عده، وصحيح أنه لا يعرفه
لشبهة تعثره. والأمين: المأمون اى: من تمسك به لم يخه. والهبة: كناية عن الصغيرة
من الرلات والعفوها فى آيات الوعد. والتلون فى الدين: المفاق فيه، وافتراق القلوب
عنه. وباقى المصل ظاهر.

١٧٦- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى الحكمين

فَأَخْتَمَ رَأَى مَنِيكُمْ عَلَى أَنْ أَحَدُكُمْ رَجُلَيْنِ، فَأَحَدُهُمَا غَيْبُهُمَا أَنْ يُحْبِصَهُ عِنْدَ الْفَرَأِي،
وَلَا يُخَاوِرَاهُ، وَتَكُونُ أَلْسِنُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُصْبِرَانِيهِ،
وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِغْوِيحَاخَ رَأْيُهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ آسَيْنَاؤُنَا غَيْبُهُمَا فِى الْحُكْمِ بِالْعَدِي

وَالْعَمَلُ بِالْحَقِّ شَوْءٌ رَاحِيَةٌ، وَخَوَرٌ حُكْمِيَّتُهُمَا! وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِإِتِّمَاعِ، حِينَ خَلَقْنَا مَسَلَّ
الْحَقِّ، وَأَتَيْنَا بِمَا لَا يُعْرِفُ مِنْ مَعَكُوسِ الْخُكْمِ.

أقول: الاجتماع، تصميم العزم. ويجمعهما: يحبسنا نفسهما على القرآن. والخطاب
لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به. والرجلان الحكمان: ابوموسى
الاشعري، وعمر بن العاص. والثقة فى ايدينا اى: ثباتنا فى الحق فى عدم الرضا، اذ
كان رضانا بحسب الشرط الذى خالفه. وقد سبق ذكر الحكمين وطرف من حالهما.

١٧٧ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا يَسْمَعُهُ شَأْنٌ، وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ وَلَا يُعْرِبُهُ عَنْهُ عَدُوٌّ
قَطْرُ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومُ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَى الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا ذَيْبُ الثَّمَلِ عَلَى الصَّمَاءِ،
وَلَا مَقِيلُ الدَّرَفِ لِلْبَلَّةِ الطُّلْمَاءِ. يَغْلُمُ مَسَاقِطُ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَ ظَرْفُ الْأَخْدَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرُ مُعَدُولٍ بِهِ وَلَا مُشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مُكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مُجْهُودٍ تَكْوِينُهُ شَهْدَةً مِنْ
صَدَقَتْ يَتْنُهُ، وَصَفَتْ دِحْنَتُهُ، وَحَلَصَ بَقِيَّتُهُ، وَتَقَشَّتْ قَوَارِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمُخْتَصَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُضْطَلَّى
لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمَوْصَحَّةُ بِهِ أَسْرَاطُ الْهُدَى، وَلَمَخْنُوبُهُ غَرِيبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْئَ تَعَرُّ لِمَوْثَلِ لَهَا، وَلَمُحِيدِ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ تَقَسَّ فِيهَا،
وَتَغِيبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا، وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا كَانَ فَعُودُ قَطُّ فِي حَضْرٍ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ قَرَالَ عَنْهُمْ إِلَّا
مَذُوبٌ اخْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِعَدَمٍ لِنَعِيدٍ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ جِئِن تَشْرِكُ بِهِمْ اسْتَقَمَ وَتَرَوُكُ
عَنْهُمْ السَّعَمُ. فَرِغُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ يَدَانِهِمْ وَلَوْ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَرِّهِ،
وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ قَاسِدٍ. وَإِنِّي لَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي قَفَرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ
مِلَّتُمْ فِيهَا مِثْلَهُ كُنْتُمْ فِيهَا عِلْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَكِنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدٌ وَمَا
عَلَى إِلَّا الْمُحْدُ! وَلَوْ أَسَاءَ أَنْ أَقُولَ لَمَلْتُ، عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

أقول: الدحلة: بكسر الدال وضمها باطن الشيء. والمعتمد: المخار. وحفائه: ما حقّ وثبت من ديه. وعفائل كراماته: نفائس ما اكرم به عباده من قوانين الدين. واشراط الهدى: علاماته. وغريب العمى: ما يعقل من ظلمة الجهل وسواه. احلد الى كذ: سكن اليه. وتنفس: تبجل. وغض النعمة: طريها. وتجوز بلفظ الفترة في امر الجاهلية: اطلاقاً لأسم الطرف على المطروف. ويحتمل ان يريد الفترة: من عذاب ينتظر بسبب مخالفتهم لأرائه. قالت الامامية: والأمر التي مالوا فيها: تقديمهم عليه من سبق من الأئمة. وقال غيرهم: ميلهم عليه في تقديم عثمان وقت الشورى. و امرهم الى اصلاح أحولهم التي كانوا عنها في زمن الرسول عليه السلام. وما على الآ الجهد، اى: فى عود مثل ذلك الأمر عليهم. وقوله: ولوراء الى آخره، يفهم منه: أنه لو قال: مقتضى قوله: نسبتهم الى طمعه وتحطّتهم فى التقديم عليه وذكر وحوه تأخيرهم له. والله اعلم.

١٧٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفا عبد مالا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:

لَا تُرَكُّهُ الْعُيُُونُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْعُيُُونُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مَلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِثْلَهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرُؤْيٍ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَقَائِقِ، كَسِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، نَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَدَمَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّفَةِ. تَعْمَلُ لُحُوهَ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْعُيُُونُ مِنْ مَحَافِيهِ.

أقول: حقائق الإيمان: أركانه، وهى: التصديق بوجوده تعالى، و وحدانيته، واعتبارات اسمائه الحسنى مما علّده. واحترز بقوله: غير ملامس وغير مباين: عن القرب والبعد المعهود للأحسام اذ معنى قربته تعالى: ايصال علمه وقدرته بكل شئ، ومعنى بعده: مباينته بذاته الكامنة عن مشاهة شئ. واحترز بسلب الرؤية فى الكلام: عن كلام المخلوقين. وبسلب الهمة عن مثله: ارادته لا رادتنا فى سبق العزم لها، وبسلب الجارحة:

عن مثبته صنعة كصنعتنا. وبسلب الوصف بالخفاء: عن اللطف بمعنى رقة القوام، بل معنى لطفه تعالى تصرفه في الذوات والصفات تصرفاً خفياً بفعل الأسباب المعدة لها لافضة كمالاتها. وبسلب وصفه بالزفة: عن رحمتنا. وباقي الفصل ظاهر.

١٧٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^١

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِيهِ، وَجَلَّابٍ كَثْرَتِيهِ؛ مَا حَيَّرَ مُمَلَّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَّ عَظْرَاتِ هَمَاهِمِ الْمُؤْمِسِ عَنْ عِرْقَانِهِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِيْمَانٍ وَأَيْقَانٍ، وَإِحْلَاصٍ وَإِدْعَابٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسُهُ، وَمَتَاهِجُ الدِّينِ ظَامِسُهُ، فَصَدَّعَ دِلْحَقَّ، وَصَحَّ يَلْحَقُ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَأَعْمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَتَا، وَلَمْ يُزِيلْكُمْ هَمَلًا. عَلِمَ مَبْلَعُ نِعَمِهِ عَيْنُكُمْ، وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَعِينُوهُ، وَاسْتَحْضُوهُ، وَظَلُّوا إِلَيْهِ وَاسْتَشِيرُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أَغْلَقَ عَنْكُمْ ذُوْنَهُ بَابٌ، وَإِنَّ لِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ جَيْبٍ وَأَوْبٍ، وَمَعَ كُلِّ، إِنْسٍ وَحَافٍ، لَا يَنْبِئُهُ الْعِظَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْجَبَاءُ، وَلَا يَسْتَعِيلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَفْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِبِي صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْبُجُّهُ هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَسْمَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُولِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِئُهُ الْبُظُوفُ عَنْ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنْ الْبُظُوفِ. قُرْبَ فَنَائِي، وَعَلَا قَدَدٍ، وَظَهَرَ قِطْرٌ، وَنَقَصَ قَعْلٌ، وَذَانِ وَلَمْ يَدْنِ، لَمْ يَذْرَأِ الْحَقُّ بِأَحْيِيَالٍ، وَلَا سَتَعَانَ بِهِمْ لِكِلَالٍ.

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمِنْهَا الرِّمَامُ وَالْقِسَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَتِّ نَفْهَا، وَغَتَّصُوا بِحَقِّ نَفْهَا؛ تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْبَادِ الدَّعَاةِ، وَأَوْطَدِ السَّعَةِ، وَمَغَاقِلِ الْجَزْرِ، وَمَتَارِيزِ الْبَرِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْقَارُ، وَتُطَيِّمُ الْأَقْفَارُ، وَتُعْظَلُ فِيهِ صُرُوفُ لُبَّاشَارٍ، وَيُنْتَفَعُ فِي الصُّورِ فَتَرْهَقُ كُلُّ مَهْجَةٍ، وَتَسْكُمُ كُلُّ لَهْفَةٍ، وَتَبْدُ السُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَصَمُّ الرُّوَايِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا زَفَرًا، وَمَعْقَلُهَا قَعًا سَمَلًا، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا حَاسِمَ يَدْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةَ تَنْفَعُ.

١ - هذه الخطبة جاءت في الشرح الكبير تحت رقم ١٨٦. اسجد الثالث ص ٤٣١.

أقول: استعار لفظ المفلة وهي: شحمة العين لقوة العقل، باعتبار إدراكها. وخطرات
همهم النفوس: ما يحظر لها فتهمهم به، والهمهمة: صوت حفي، وردعه لها: استلزام
كمال المطلق عن ادراك حقيقته، والإيمان: التصديق القبي بالله وما جاءت به رسله، و
ما يطبقه باللسان. واليقان: اعتقاد أنّ ذلك التصديق لا يكون لا كذلك. ولا خلاص:
ان يحذف في توحيدته تعالى كل امر سواء عن درجة الاعتبار، والاذعان: ثمرة ذلك
الاحلاص وهي: كمال العبادات التابعة له، واعلام الهدى: ائمة الدين. والمناهج:
قوانين الشريعة ودروسها، وطبوسها: اضمحلالها قبل النبوة. وكونه تعالى بكل مكان:
بعلمه. وفي كل زمان: مساواة وجوده لوجود الرمان، اذ هو تعالى عن احاطة بهما. ومع
كل انس وجان: بعينه. والحياء: النوال، وشر باجتماع الاضداد تحت حكم قدرته:
الى كمالها، وتنزيهها عن قدرة البشر، وكذلك اجتماع الاحوال المتضادة له كالرحمة،
والعقاب، ولطون والظهور وغيرها إنما هي باعتبارات مختلفة تعتبرها الاذهان لمعقوليته
تعالى كمامر. والتولية: شغل القلب وتحرره. ودان: قهر. وذرا: خلق. واستعار لفظ
الرمام لتقوى الله: لقودها العبد الى الحق، وكونها قواما اى: للعبد على سبيل. ووثائقها:
ما يتمسك به منها وهو الامور يلزمه من العبادات والطاعات. وحقائقها: الخالص
مها لثابت في الدين، والحزم. تؤل: في جواب الامر بالتمسك. وكان الدعة: مواطن
الراحة من العذاب وهي: غرفات الحنة ومنازلها وهي: اوطان السعة. والممقل:
المحارزو هي: منازل العرفى جوارله. والصروم: جمع صرمة وهي: القطعة من الابل
سحواللاثين. والعشار: النوق أتى عليها بعد طروق المحل عشرة اشهر. والشّم الشوامخ:
الجمال العالية. ومعهدها: ما كن مسكونا. والقاع: الخالي. والسلق: الصنف
المستوى.

منها:

بِقَسَّةٍ جَيِّدٍ لَا عَلَمَ قَانِمٌ، وَلَا مَنَارَ سَاطِعٍ، وَلَا مَنَهَجَ وَاضِحٍ: أَوْصِيَكُمْ عِندَ اللَّهِ، بِتَقْوَى
اللَّهِ، وَأَحْدَرْكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُحُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْعِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاغِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَاطِنٌ،

١- هي لشرح الكبير ج ٣ ص ١٣٧ وردت بقية المحطبة مستقلة وبرقم ١٨٧.

تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيْدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا النُّوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ فَمِنْهُمْ الْفَرَقُ الْقَوِيُّ، وَمِنْهُمْ
الْتَّاجِي عَنِ بَطْنِ الْأَمْوَاجِ، تَخْفِرُهُ الرِّيحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!!

عِبَادَ اللَّهِ: آلآنَ فَاعْمَلُوا، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْذَانُ صَاحِبَةٌ، وَالْأَغْصَاءُ كَدَنَةٌ،
وَالْمُتَقَلِّبُ فَيْسَجٌ، وَالْمَجَاهِلُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِزْهَاقِ الْقَوْتِ، وَخُلُوفِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ
نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

اقول: استعار لفظ العلم، والمنار: لنهدة الى الله. والساطع: المرتفع. ولفظ المنهج:
للشريعة. والقاطن: المقيم وشبهها بأهلها: كالسفينة براكبها، ووجه التمثيل قوله:
تقصفها الى آخره. واشتمل هذا التمثيل على تشبهات، فالدنيا: كالسفينة في الريح
العاصف، وتغيراتها كحركات السفينة. وربما بحوادثها: كالأحوال التي تلحق اهل
السفينة حينئذ. وقسمتهم الى غريق ونجى: هالك بحوادثها، والى ناج: الى حين
مقاساة متاعها ولا بد من هلاكه. والدين: الناعم، والأرهاب: اللعوب، وتحقيق نزوله:
بذكره وخطاره بالبال، وتقدير كونه واقعا بهم. ونهى عن انتظار قدومه: لاستلزام ذلك
توهم بعده، والتكاسل بسبب ذلك عن العمل.

١٨٠ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُشْتَخَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي لَمْ أَرُدْ
عَنِ اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ مَسَاعَةً قَطْرًا، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِسَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَكْخُصُ فِيهَا
الْإِبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

وَلَقَدْ فُيِّضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ رَأْسُهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ
سَأَلْتُ نَفْسِي فِي كَفِّي، فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِ، وَلَقَدْ وُلِّيتُ عُسْلَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَالْمَلَائِكَةُ أَغْوَانِي، فَصَبَحَتِ الدَّارُ وَالْأَقْبِيَّةُ، مَلَأَ يَهْطُ وَمَلَأَ يَفْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً
مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارْتَنَاهُ فِي ضَرْبِيهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مَنَى حَبًّا وَمَيْتَةً؟! فَانْقُدُوا

عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلَتَضِلُّ بِسَائِكُمْ فِي جَهَنَّمَ دَعْدُو كُمْ. قَوْلَانِ لَا لَهُ لَا هُوَ لِي لَعَنَى خَادُو
الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ لَعَنَى مَرَلَةُ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَكُمْ.

أقول: المستحفظون من الصحابة: العلماء الذين استحفصوا كتاب الله ودينه فهم
حفظه. ومواساته عليه السلام: تقدمه دونه إلى الموت في مواطن القتال، كيوم حنين،
واحد، وهدن والنجدة: قضية تحت الشجاعة، ونصبها على المفعول له. ونفسه: دمه
يقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ قَدِ هَوَّتْ مَوْتُهُ دَمًا يَسِيرًا، وَإِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَحَ
بِذَلِكَ وَجْهَهُ. وَلَا يَدْفِي ذَلِكَ نَجَاسَةَ الدَّمِ لِحَوَازِئِهِ يَحْصُصُ دَمَ الرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا
رَوَى: إِنَّ بَاطِلِيَّةَ أَحْجَامٍ شَرِبَ دَمَهُ حِينَ حَجَّمَهُ. فَقَالَ لَهُ: أَذِنَ لَا يَتَجَمَّعُ بَطْنُكَ، وَهُوَ الَّذِي
غَسَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ يَصِيبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ، وَرَوَى أَنَّهُ عَصَبَ عَيْنِي
الْفَضْلَ حِينَئِذٍ، وَكَانَ يَقُولُ: مَا قَلَبْتُ مِنْهُ عَضْوًا لَا وَانْقَلَبَ لَا أَجِدُ لَهُ ثَقَلًا كُنْتُ مَعِيَ مِنْ
يَسَاعِدَتِي عَلَيْهِ وَمَا ذَاكَ لَا الْمَلَائِكَةُ؟

واهينمة: صوت خفي، وذكر هذه العصائل لنفسه في قوة: صغرى، تقدير كبراه:
وكل من كان بهذا القرب هو الفصلة فلا أحق منه بأمره وخلافته، وامصواي: على جهد
عدوكم. وبصائرهم: عقائدهم أو عقولهم لسيمة.

١٨١- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي دَمِ أَصْحَابِهِ^٢

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا فَضَى مِنْ أَمْرِ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى تَبَيُّنِ بَيْكُمُ ابْنِهَا الْبَرَقَةُ الَّتِي
إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تَطِيعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُحِثْ، إِنْ أَتَيْتُمْ حُصْنَكُمْ، وَنَ حُورِيَّتُمْ خَرْتُمْ! وَإِنْ
أَجْتَمَعَ آسَاسٌ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَأَنْ أَجِئْتُمْ إِلَى مُتَّقَةٍ تَكْفُضُكُمْ. لَا أَبَا يُغَيِّرُكُمْ مَا تَنْظُرُونَ

١ - الأصابع ٤ ١١٤

٢ - التمدبم ونسأحبر الجاحص في الخطب هو من من المؤلف مع عدم وجود أي حذف و بعض وتحريف

في الخطب.

يَضْرِبُكُمْ رِزْقُكُمْ، وَالْجِهَادُ عَنَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتُ أَوِ الدَّلُّ لَكُمْ! فَوَإِنَّ لَيْسَ جَاءَ يَتَمَى - وَلَيْسَ يَتَمَى - يُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَدِيرٌ، وَبَيْنَكُمْ عَمِيرٌ كَثِيرٌ. يُوْا أَنْتُمْ!! أَمَا دِينٌ يَحْمِلُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةٌ تَسْحَدُكُمْ؟ أَوَلَيْسَ عَجَبٌ أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُوَ الْمُعَاوَةَ الْقَلْعَامَ، فَيَسْمُوهُ عَلَى غَيْرِ مُعَاوَةَ وَلَا عِظَاءَ، وَأَنَا أَدْعُوَكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعِظَاءِ فَتَقْرَأُونَ عَنَى، وَتَحْتَفِضُونَ عَلَى؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْصُونَهُ، وَلَا تُحِطُّ فَتَجْتَسِمِعُونَ غَيْرَهُ، وَرَأَى أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِ إِلَى الْمَوْتُ. قَدْ رَسَلْتُكُمْ الْكِتَابَ، وَتَحْتَكُمُ الْجَحَاحَ، وَغَرَقْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّعْتُكُمْ مَا مَجَّحْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ الْبَائِمُ يَسْتَقِظُ!! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِلُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ السَّائِبَةِ.

أقول: أَمَا قُلْ عَلَى: مَا قَصَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فَعَلٍ: لِأَنَّ الْقَضَاءَ هُوَ احِدَةٌ عِلْمُهُ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَعَلًا، وَلَمَّا كَانَ الْقَدَرُ هُوَ تَفْصِيلُ الْقَضَاءِ وَاجْتِدَادُ الْأَشْيَاءِ عَلَى وَفْقِهِ خَصَّ الْقَدَرَ بِالْفِعْلِ. وَخَصَّنِي: مَسْتَعَارٌ لِلْمَسْعَى فِي غَيْرِ طَاعَةٍ. وَخَرْتُمْ: ضَعَفْتُمْ أَوْ صَحَحْتُمْ مِنَ الْخَوَارِ. وَقَوْلُهُ: الْمَوْتُ أَوْ دَلُّ لَكُمْ: فِي قُوَّةٍ مُنْفَصِلَةٍ مَا نَعَى الْحُلُوقِ وَالشَّحْدُ: التَّحْدِيدُ. وَالطَّفَامُ: أَوْ عَادَ لَدَسَ وَأَمَا قُلْ: عَنَى غَيْرِ مُعَاوَةَ وَلَا عِظَاءَ أَيْ: الْعِظَاءَ، وَلِلْمُعَاوَةِ الْمُتَعَارِفِينَ بَيْنَ لُجْدٍ، لِأَنَّ بَذَلَ مُعَاوِيَةَ كَانَ جِزَاءً لِرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، وَقِسْمَةً عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَادَتْ عَلَى وَحْدِهِ الرِّزْقِ وَالْعِظَاءِ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ لِشَرِيفِ عَنَى مِنْ دُونِهِ. وَتَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ: مَا نَقَى مِنْهُ. وَالتَّرِيكَةُ: بِبِصَةِ النِّعَامِ، وَكُلُّ بَيْضَةٍ بِالْعَرَاءِ تَرِيكَةٌ، وَمَجَّةُ: أَلْقَاهُ مِنْ فِيهِ. وَاسْتَعَارَ لَفْظَ التَّسْوِيعِ: لِأَعْطَانَهُمْ مَا كَانُوا يَحْرَمُونَهُ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ، أَوْ أَعْطَانَهُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَمْ تَقْبِهَا أَذْهَانُهُمْ، قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا اسْتَعَارَ لَهُ وَصَفَ الْمَجِّ. وَقَوْلُهُ: لَوْ كَانَ، إِلَى قَوْلِهِ: يَسْتَقِظُ: إِشَارَةٌ إِلَى غَفْلَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ. وَابْنُ السَّائِبَةِ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ وَالْجَهَّالِ فَكَيْفَ يَتَلَامِيذُهُ.

١٨٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَفَدَّ أَرْسَلَ رَحَلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمُ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ حِجْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْحَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّحْلُ قَالَ لَهُ: أَلَمْ تَأْمُرُوا بِمَقْطُلِهِمْ أَمْ

جبروا فطعموا؟؟ فقال الرجل: بل طعموا بأمر المؤسس. فقال:

بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعْدَتْ نُمُودُ، أَمَا لَوْ أَسْرَعْتَ أَيْسَهُ إِلَيْهِمْ، وَصَصَّ الشُّوفُ عَنِّي
هَآءَ يَهُمْ! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَتْ مِنْهُمْ، إِنْ أَشْبَقَتْ لِيَوْمَ قَدْ أَسْتَلَمَهُمْ، وَهُوَ غَدٌ مُتَرَى
مِنْهُمْ، وَتُتَحَلَّى عَنْهُمْ، فَحَسَنَتْهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهَيْدَى، وَأَرْتَكِبُهُمْ فِي لَصَالٍ وَلَقَمَى،
وَصَدَّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَّاحِهِمْ فِي النَّيِّ.

أقول: قطوا: اقاموا. واعدت: بالكسر هلكت. و اشرعت الريح نحوه: سددته.
واستعلمهم: طلب تفريقهم وهزيمتهم. ولا ارتكاس: الرجوع في الشيء مقلوبًا. واستعار
لمظ الجماح: لخروجهم عن فصيلة العدل، الى طرف الافراط على جهل بمطلوبهم وهو
معنى التيه.

١٨٣ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى عن يوف البكالى قال: خصنا هذه الحطية بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم
على حجارة نصها له جمعة بن هبيرة المسخرومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه
ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جنبه ثقبه بغير. فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَهِي مَصِيرُ الْحَقِّ وَغَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَبِئْرِ
رُزْهَانِهِ، وَتَوَامِي فَضْلِهِ وَفَتَيَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَصَاءً، وَلَشُكْرِهِ أَذً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا،
وَلِحُشِّ مَرِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْبَغَانَةَ رَاحِ لِفْضْلِهِ، مُؤَقِّلٍ لِنِقْمِهِ، وَآبِقٍ يَدْفَعُهُ، مُعْرِفٍ
لَهُ بِظُلُومٍ، مُدْعِيْنٍ لَهُ بِالْعَمَسِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤَيِّرُ بِهِ إِيْمَانٍ مِّنْ رَّجَاءِ مُوَفِّ، وَأَنَابٍ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا،
وَنَحْنُ لَهُ مُدْعِيَانِ، وَأَحْلَصُ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظْمُهُ مُمَجِّدًا، وَلَا ذَبُّهُ رَاعِيًا مُنْتَهَدًا: لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ
فَيَكُونَا فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَبْدُ قَبْلُكَ مَوْجِدًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ
يَتَقَاوَرْ زِيَادُهُ وَلَا نُقْصَانٌ، نَحْنُ ضَهْرٌ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَآمَاتِ اسْتَدْبِيرِ الْمُتَّقِي، وَالْقَضَاءِ
الْمُسْتَرِيمِ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ حَلْفِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مُوَلَّدَاتٍ بِأَعْمَدٍ، وَتِمَاتٍ بِأَسْتَدٍ. دَعَاهُنَّ فَاجَبْنَ
ظُهُورَاتٍ مُدْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَنَكِّبَاتٍ وَلَا مُبْطِلَاتٍ، وَتَوَلَّأْنَ إِفْرَارَهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَدَعْنَهُنَّ لَهُ
بِالْقَوَاعِيَّةِ لَمَّا جَعَلَهُنَّ مَوْصِفًا لِعَرْشِهِ وَلَا مُسَكَّنًا لِمَلَايِكَّتِهِ، وَلَا مُضَعَّدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ مِنْ حَلْفِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فَجَاحِ الْأَقْطَارِ، لَمْ
يَمْنَعْ ضَوْءُ نُورِهَا إِذَا لَهْتَامُ سَحَابِ اللَّيْلِ الْمُطْطِمِ، وَلَا اسْتِنْقَاعُتُ جَلَابِيبِ سُورَةِ الْحَنَادِيسِ
أَنْ تَرُدَّ مَشَاعُ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَاكُلِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سِرٌّ دَاجٍ،
وَلَا لَيْلٍ سَاحٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ، وَلَا فِي بَقَاعِ الشَّجَعِ الْمُتَجَاوِزَاتِ، وَمَا
يَتَجَلَّجَلُّ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْقَمَامِ، وَمَا تَشَقَّقُ مِنْ وَرَقِهِ
تُرْبِلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا غَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهَاطُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطَرَةِ وَمَقَرَّهَا،
وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَخْرَجَهَا، وَمَا يَكْمِي الْبُحُورَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تُحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِرِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشُ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ حَادٍ أَوْ إِبْسٍ
لَا يُدْرِكُ بِهِمْ، وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْفَعُهُ نَائِلٌ، وَلَا يُنْظَرُ سَعَتَيْنِ، وَلَا يُحَدُّ
بِأَيْنِ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَرْوَاحِ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاحٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.
الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَآرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحٍ وَلَا أَدْوَاتٍ، وَلَا سَطْحٍ
وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُشْكِكُفُ يُوصِفُ رَبَّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ
وَجُودَةَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ الْقُدْسِ مُرَجَّحِينَ، مُتَوَلِّهِةً عُقُولَهُمْ أَنْ يَخْلُتُوا أَحْسَنَ
الْحَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ دَوُّ وَلَهْنَاتِ وَالْأَدْوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَلِّهِ
بِالْقَسَاءِ إِلَّا إِلَهُ إِلَّا هُوَ أَصَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَطْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أَوْصِيَكُمْ عِيَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَلَيْسَ كُفُّهَا رِيشًا، وَأَسْنَعُ عَلَيْكُمْ الْمَعَادَ وَلَوْ أَنَّ
أَحَدًا يَحْدُ إِلَى الْبَقَاءِ سَلَامًا أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سِبَالًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانًا بَنَ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي سَحَّرَ لَهُ مِنْهُ الْحَيُّ وَالْإِنْسُ مَعَ السُّبُورَةِ وَعَظِيمِ الرُّفْعَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى
ظَعْمَتَهُ، وَأَشْكَلَ مَدَنَهُ، رَمَتْهُ قَيْسُ الْقَسَاءِ بِنَيَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتْ النِّبَارُ مِثْلَ خَالِيَةٍ،
وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَتُهُ، وَوَرَكُهَا قَوْمٌ تَحْرُورٌ، وَإِنْ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِمَةِ لَعْنَةٌ إِنَّ الْعَمَالِقَةَ
وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْقَرَاعَةُ وَأَبْنَاءُ الْقَرَاعَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرُّسِّ الَّذِينَ قَسَلُوا
النَّيْسِينَ. وَأَطْلَعُوا سُنَّ الْمُرْسِلِينَ، وَأَخْبَتُوا سُنَّ الْخَبَارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ،

وَهَزَمُوا بِالْأُتُوفِ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟!

قول: نقل الجوهرى: أنّ نواف الكلى، بفتح الباء وتحفيف الكاف كان صاحب عتيّ عليه السلام، ونقل عن ثعلب أنّه منسوب لى بكالة قبيلة، وقال القصب الراوى^١ رحمه الله: هو منسوب الى بكال، حتّى من همدان، ويقال: بكيل وهو أكثر، وقال عبد الحميد بن أبى الحديد^٢: أنّما هو بكال بكسر الباء من حمير، فسمهم هذا لشخص وهو نواف بن فضالة صاحب عليّ عليه السلام، وجعد بن هيرة ابن اخت امر المؤمنين، أم هانئ. وثقة البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه. ونير برهانه: ما أظهره لنا من إبرهان الواضح على وجوده وكماله. ونخع: خضع. واذعن: انقاد. ويتعاوره: يستخف عليه. وعلامات التدبير: الأحكام والاتقان فى مصنوعاته الموحودة على وفق القضاء المبرم: أى المحكم. ودعا هن: حكم القدرة الألهة عليهنّ بالدخول فى الوجود. واجابهنّ: دخولهنّ فيه. وغير متلكئات: أى متوقّفت. والطواعية: الطاعة وأوصاف الدعاء والاقرار والاحسان، ولطاعة: مستعارة لشهادة حار الممكن بذلك. ولأدلهام: شدة الظلمة. والحدس بكسر الحاء: الليل شديد الظلمة. والسفاعة: المرتفع من الأرض. والسفح: الجبال. والسفحة: سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال غالباً. وحلجلة الرعد: صوته. وما تلاشت عنه: بروق الغمام أى: يكشف للأبصار بسبب أضائتها فكانها أضمحلت عنه ولم تكشفه لأنّ العلم به اشرف لتعلقه بما لا تدركه انصار المخلوقين دون ما يضيئه لأدراك الكلّ له. والأنواء: جمع نوء وهو: سقوط نجم من منازل القمر الشمائية والعشرين فى المغرب مع المجر، وطوبى رقيبته من المشرق يقاسه من ساعته، فى كل ليلة الى ثلاثة عشر يوماً، (وهكذا كلّ نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً)^٣.

وأنّما أضاف المواصف الى الأنواء: لأنّ العرب تضيف الآثار العلوية من الرياح

١- مهاج البرع ٢/ ١٨١.

٢- شرح ابن أبى الحديد. ٧٦/١٠، لسان العرب ٦٣/١١.

٣- العبارة بين المؤمنين غير موحودة فى نسخة ش

والأمطار والحرّ والبرد إليها. وسبب تحديده بالآين: سلب الكمية المتصلة عنه. وبالأزواج، سلب لنكم المفصل عنه أي: ليس فيه اثنية وتعدد. والمعالجة: الفعل بآلة ولعظيم من آبنه، كما روى أنّه كان يسمع الصوت من كل الجهات ليس على حدّ سماع البشر، وقد ذكرنا كيفية سماع الأنبياء للوحي في الأصل، وقيل: أراد الآيات التسع كأشواق البحر، وقلب العصا ثعبنا، وغيرهما. وحجرات القدس: مقارّ الطهارة عن كدورات الشهوة والغضب. والمرجع: المائل إلى جهة تحت، وهو مستعار لخصوعهم تحت سلطان عظمتهم. ولظلام: أما محسوس فأضاء نور الكواكب، أو معقول وهو: ظلام العدم وانجهم فأضاء نور الوجود والعلم والشرائع. وكذلك النور: أما محسوس فأظلمه معاقبة الظلام له، وأما معقول كأوار الوجود والموس البشرية فأبها أنوار الهية تعشاه ظلمة العدم والجهل. والريش: الناس. والعماليق: أولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، وكان من اليمن والحجاز، وما تاخم ذلك من الأقاليم. وأما المراجعة: فهم ملوك مصر. وأما اصحاب ميدان الرسّ قيل: أنهم اصحب شعب التبي عليه السلام. ورسّ: بشر عظمة جدا انخسفت بهم وكانوا حولها. وقيل: الرسّ قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود، والله اعلم.

منها:

قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتُهَا، وَأَخَذَ بِتَحْمِيْعِ أَدْعَا: مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَتُهَا، وَلَمْ تُعْرِفْ بِهَا، وَتَفَرَّعَ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ، أَلْبَى يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ لَيْسَ يَشْكُ عَنْهَا، فَهُوَ مُتَعَرِّبٌ إِذَا اغْتَرَّتِ الْإِسْلَامَ، وَصَرَّتْ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَّ الْأَرْضَ بِحَرَرِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيقَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَشَّرْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ وَعَطَّ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ؛ وَأَدْبَتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَأَذَنْتُكُمْ بِسُوطِي قَسَمَ تَسْتَقِيمُوا؛ وَحَذَرْتُكُمْ بِالرُّوَاحِرِ قَسَمَ تَسْوِيقُوا!! إِلَهَ أَنْتُمْ، أَنْتَوَقَعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَقْبِضُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ!؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ النَّبِيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهُ مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَرْمَعَ التَّرَحُّالَ

عَبَادُ اللَّهِ لِأَخْيَارٍ وَنَاسُوا قَبْلاً مِنَ الدُّنْيَا لَيَنْتَقِي بِكَثِيرٍ مِنَ لَاحِقَةِ ذَنْبِي، مَا صَرَ إِخْوَانِي
 الَّذِينَ سُبُكَّتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بَصِيصٌ أَلَّا لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءُ يُسَبِّحُونَ الْعَصَصَ، وَيُسَرِّتُونَ
 الرِّثْقَ؟ قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ قَوْقَاهُمْ أَخْوَرَهُمْ، وَأَحْبَهُمْ ذَرَا أُمِّ سَعْدٍ حَوْفَهُمْ، أَيْنَ إِخْوَانِي
 الَّذِينَ رَكِبُوا سَطْرَيْنِ وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَارٌ؟ وَأَيْنَ أَسُّ النَّيْهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو النَّسْهِ دَسِ؟
 وَأَيْنَ يُنْظَرُ وَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَدَفَّقُوا عَلَى الْمَتْنِ، وَأَثَرُهُ بَرُّهُمْ إِلَيَّ الْفَجْرَةِ؟^١

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأصاب البكاء، ثم قال عليه السلام:
 أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَخْجَمُوهُ، وَتَذَرُّوا تَقَرُّصَ وَقَفُوهُ، أَخْيَا السُّتَةَ،
 وَأَمَتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلتَّجَاهِدِ فَأَخَانُوا، وَوَفَّوْا بِالْمَنَافَةِ فَاسْتَعَوْهُ. ثم نادى بأعلى صوته: لِحَدِّ
 الْحِمَاةِ عِبَادَ اللَّهِ!! أَلَا وَإِنِّي مُعْتَكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ لِرَوَّاحٍ إِلَى آخِرِ فَلْيَحْرُخْ.

قال نوف: وعقد لعجسبن - عليه السلام - في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد - رحمه
 الله - في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولعبرهم على أعداد أخرى،
 وهو يريد الرحمة إلى صفين، فما دارب - سمعته حتى ضربه المعبود ابن محم - لعنه الله،
 فتراجعت عساكر فكند كأغنام فقدت راعيها تختلطها انثاب من كل مكان.

اقول: الصمير في لبس: للعارف مطلقاً، وقيل: هو الامام المنتظر. واستدل لفظ
 الجنة: للاستعداد بالرهد والعبادة الوقيين له كوقاء الجنة. والمعرفة بها: أي بقدرها ولفظ
 الضالة لها: باعتبار طلبه إياها، كما قال صلى الله عليه وآله: (الحكمة ضالة المؤمن)
 وقوله: فهو، إلى قوله: الاسلام، إشارة إلى حماته بين الناس وقته وجود مثله، وعرة
 الاسلام: قبة لرومه، والعمل به كما قال صلى الله عليه وآله: (بدأ الاسلام عريئاً وسبعود
 كما بدأ) واستعار لفظ عسيب الذئب وهو: طرفه، وسقط الجراح وهو: مقدم عنق البعير،
 للاسلام ملاحظة - يشبهه آياه في سقوطه عند ضعفه. واستوسق الأمر: اجتمع وانظم. و
 ازمع: صمم عزمه. وقوله: ما صر، إلى قوله: الرنق: تنبيه على عدم ضرر الموت لأخوانه
 المذكورين من الصحابة الذين قتلوا بصفين. والرنق: باسكون: الكدر. وعمار: هو عمار
 ابن ياسر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: عمار جندة ما بين عيني، تقتله العنة

١ - مجمع البحرين ٤٦/٦ - التمشي وسحابة ٢٥.

٢ - صحيح مسلم ١٣٠/١ - لتهيه في غريب الحديث ٣٤٨/٣

الباغية لانا لها . الله شفاعتى . وابن التيهان : هو ابو لهيثم مالك بن مالك ، وقبى : مالك
ابن عمرو بن الحرث التيهان . ذولكنا دتين : هو ابو عمارة خزيمه بن ثابت الانصارى
الأوسى ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهده رجلين لقصة مشهورة . وبرد :
أرسل . وانفجرة : امراء اشام . ولقائده : يعنى نفسه . وقبى : هو ابن سعد بن عبادة
الانصارى . و ابو ايوب : هو خالد بن سعد بن كعب بن بنى النجار ، وعليه نزل رسول الله
صلى الله عليه وآله حين هاجر لى المدينة حتى بنى مسجده ومسكنه .

١٨٤ - وَمِنْ حُظَيْهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنَصَّةٍ ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ
الْأَرْثَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَنَادَى الْعُظَمَاءَ بِخُودِهِ . وَهُوَ الَّذِى أَسْكَنَ الذُّبَّ حَلْفَهُ ، وَتَعَتَّ إِلَى الْجِبْرِ
وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِظَّتِهِ ، وَلِيَسْحَرُوا لَهُمْ مِنْ صَرَائِهَا ، وَلِيَتَصَرَّوْا لَهُمْ أَمْنًا لَهَا ،
وَلِيَتَهَكَّمُوا عَنْهُمْ بِمَقْتَرٍ مِنْ تَصَرُّفٍ مَضَحَّهَا وَأَسْفَهَهَا ، وَلِيَتَصَرَّوْا لَهُمْ غُيُوتَهَا وَحَلَالَهَا
وَحَرَائِمَهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهَا وَالْعَصَاةِ مِنْ خَبَرٍ وَرَوْحَةٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَاٍ .

أَحْمَدُهُ إِلَى تَقْيِيهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى حَلْفِهِ ، وَخَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ،
وَلِكُلِّ أَجَلٍ كَيْدًا .

أقول : نرّه فى معرفته عن الرؤية ، وفى خالقيته عن التعب ، لاستلزامهما الجسميّة .
وقوله : ليكشفوا لهم اى : اعطية الهئات البدنيّة ، و اغشية الجهل وكشفها بالتذكير ،
والموعظة عن اعين بصائرهم ، ليروا ما تعطى من احوال الآخرة التى خفيوا لها . و صرائها :
ما يلزم العلة فيها من الصرر الاخرى . وبالله التوفيق .
مها :

فى ذكر القرن : فالقرآن أمير راجر ، وضربت دطب ، حُجَّهَ اللَّهُ عَنى حَقِيَقِهِ : أَحَدَهُ عَنْهُمْ
مِيَدَقَهُ ، وَأَرْثَتَهُ عَنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ ، أَمَّ نُوْرَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِيْنَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهٗ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَقَدَّرَ قَرَعَ إِلَى الْحَيِّ مِنْ أَحْكَامِ الْهَدَى بِهِ ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ تَقْيِيهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ

يُحْفَ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرَكْ شَيْئًا رِصَّةً أَوْ كَرِهَةً، إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا، وَتَةً مُعْكَمَةً تَرْجُرُ عَنْهُ وَتُدْعُو لَيْدَ، مَرْصَادًا يَمَّا بَقِيَ وَاحِدًا.

وَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بَشَى وَ سَجْطُهُ عَنَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ وَلَنْ يَسْحَطَ عَنْكُمْ بَشَى وَ رِصَّةً يَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَمَّا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَشَى، وَتَسْكُمُونَ بِرِجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّحَلُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْبَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَنَكُمْ عَلَى اسْكُرٍ، وَفَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ الدَّكْرَ وَأَوْصَاكُمْ بِاشْفَوَى وَجَعَلَهَا مُسْتَهَى رِصَادَ وَحَاحَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَيْدَى أُنْسَكُمْ بَعْنِيهِ وَتَوَاصِيَكُمْ بَدِيهِ، وَتَعَلُّكُمْ فِي قَضِيَّتِهِ: إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَيْبَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كُنْهَهُ، قَدْ وَكَّرَ بِكُمْ حِفْطَهُ كَرَمًا، لَا يَسْقُطُونَ حَقًّا، وَلَا يُنْتَبُونَ بَطْلًا، وَتَعْمَرُوا أَنْ مَنْ بَشَى اللَّهُ يَجْعَلَ لَهُ مَحْرَجًا مِنَ الْهَيْسِ، وَبُورًا مِنَ لَطَمِ، وَيُخَيِّدُهُ فِيمَا أَمْسَتْهُ نَفْسُهُ، وَيَبْرُلُهُ مَبْرَلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارِ أَصْطَلَمَتِهَا لِيَتَفَسَّيَ: ظِلُّهَا غَرْزُهُ، وَشُورُهَا يَهْجَتُهُ، وَرُؤُوسُهَا مَلَايِكَتُهُ، وَرَفَعُهَا رُسُلُهُ. فَادْرُوا أَلْمَعَادَ، وَسَارِقُوا الْأَجَانَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطَعَ بِهِمْ الْأُمُرُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ لِسُونَةِ، فَقَدْ اضْطَحَّتْ فِي مِثْلِ مَسْأَلٍ إِلَيْهِ الرِّخْعَةُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَبْشُرُونَ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارِ لَسْتٍ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أَوْدَنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ، وَأَمَرْتُمْ فِيهَا بِالرَّادِ، وَتَعْمَرُوا أَنَّهُ لَنْسَ لِهَذَا الْحَبْدِ الرِّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى لِسَارٍ، فَارْحَمُوا نَفْسَكُمْ قَبْلَكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَضَائِبِ الدُّنْيَا. أَمْرَانِمْ جَزَعٌ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكََةِ نُصْبِيَّةٍ وَالْعَبْرَةِ نُدُوسِيَّةٍ، وَلَرَفَضَاءِ تَحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ تَلَابُقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَحِيجَ حَجَرٍ، وَقَرِينِ شَيْطَانٍ؟ أَعْلَيْتُمْ أَنْ مَايَكَا إِذَا غَضِبَتْ عَلَى النَّارِ حَطَمَ تَعْصُهَا تَعْصًا لِعَصْبِيهِ، وَذَا زَحَرَهَا تَوَبَّسَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَحَرَتِهِ؟؟!!

أَيُّهَا الْيَقْلُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَرَهُ الْقَتِيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الشَّحْمَتُ أَطَوَّقَ النَّارَ بِعَصَامِ الْأَعْنَاقِ، وَتَبَسَّتِ الْحَوَامِغُ، حَتَّى أَكْنَتَ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَالَهِ اللَّهُ، مَعَشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَايَمُونَ فِي الصَّحَةِ قَتْلَ الشَّقَمِ!! وَفِي الْمُسْحَةِ قَبْلَ الصَّبْقِ، فَسَعُوا فِي مَكَائِكِ رِذَالِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْلُقَ رَهَائِنُهَا: أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَصْمِرُوا بَطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَتَمَّقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُدُّوا مِنْ أَحْسَادِكُمْ قَبْجَلِدُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْجَلُوا بِهَا هَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (بَنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ١ وَقَدْ نَدَى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُمْرِضُ اللَّهَ

قَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُ أُخْرُ كَرِيمٌ؟^١، فَلَمْ يَسْتَفْهِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَمْ يَسْتَفْزِضْكُمْ مِنْ قُبْرِ، اسْتَضْرَجَكُمْ وَتَبَّ جُثُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَفْزِضْكُمْ وَلَهُ خَرَائِشُ لِسَمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَبِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَتَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ حَبِيبِ اللَّهِ فِي ذَرِيَّةٍ رَافِقٍ بِهِمْ رُشْلُهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَبِيبٌ نَارِ أُنْدَا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَقَى لُغُوبًا وَتَضَيَّا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^٢، أَقُولُ مَتَسَمَّعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنُ عَلَى تَقْصِي وَالْفَيْكُم. وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أقول: استعار للقرآن الأوصاف المتضادة باعتبارات مختلفة. وأخذ عليه اى: على العمل بما فيه، وما: مصدرية اى: فعظموه تعظيمًا يناسب تعظيمه لنفسه. وقوله: فرضاه، اى قوله: واحد، اى: ان الرضى له من الاحكام والمسخوط فيما مضى هو المرضي، والمسخوط فيما بقى و ستقبل من الزمان، وحكمه فى كونه مرضيا او مسخوطا واحد فى جميع الاوقات، وفيه ايماء لى ان رفع شئ من الاحكام بالرأى والقياس المتعارف لايجوز. وكذلك قوله: واعلموا، الى قوله: قبلكم: تأكيد له. وقوله: وانما تسبرون، الى قوله: قبلكم اى: ان الادلة لكم واضحة قد تداولها الاولون قبلكم وانتم تتكلمون بما ترددها فى الألسنة السابقة. ورجع القول: المردد منه، وكونهم بعينه اى: بحيث يصبرهم ويعلم ما يفعلون. ولفظ العين: مجاز فى العلم وخص النواصي بالأخذ: لانها أشرف والقدرة على الاشرف أتم واقوى، ولأنه تعالى فى اعتبار الاوهام فى جهة فوق فاحذره أولا يكون بالنواصي. والدار التى اصطنعها لنفسه: الجنة. وكون ظلها عرشه: يقتضى انها فى السماوات. وبهجته: يعود الى بهائه وجماله المعقول المشرق على نفوس أهل الجنة. ورفقاؤها: الرفقاء فيها: وحسن اولئك رفيقا. وبوشك: يقرب. ويرهقهم: يدركهم. وقوله: فقد اصبحتم. الى قوله: قبلكم، اى: فى حال الحياة من الصحة، والتمسكن من العمل، و هو ما يتمتع به من مصى قبلكم، لقولهم: «يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كنّا نعمل»^٣. وكونهم بمنى سبيل: باعتبار انهم فى هذه الدار غرباء

٣ - سورة طاهر / ٣٧.

٢ - سورة الحديد/ ٢١.

١ - سورة البقرة/ ٢٤٥.

تسوقهم العناية الإلهية الى غاية اخرى. و صبح حجر: كقوله: (وقودها الناس والحجارة)^١. و قرين شيطان: كقوله تعالى: (فكسبوا فيهاهم والعاون وجنود ابليس اجمعون)^٢. واليخ: الشيخ الكبير. ولهزه: خالطه. والفتير: الشيب. والجمعة: العلق لجمعها الأيدي الى الاعناق. واسعوب: التعب. ولفصل واضح وبالله التوفيق.

١٨٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للبرج من مسهر الطائي، وقد قال له بحث يسمعه:
«لاحكم إلا الله»، وكان من الخواص

أُسْكُتْ! فَحَدَّثَ اللَّهُ يَا أَتْرُمُ، قَوْلَانَهُ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَعِيفًا شَخُصًا، حَقِيقًا صَوْنُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاصِرُ نَحَمْتُ نُحُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

أقول: البرج، يالباء المصمومة واحسم وفتح الله: نجاه عن الحير. والأثرم: ساقط النتية. والصئيل: الصغير، الحصر: الحيف. و ضؤولة شخصه عند ظهور الحق: كناية عن حقارته في رمن العذل وقوة الاسلام، وخمول ذكره في الصحابة. و حفاء صوته: كناية عن قلة الإلتفات اليه. و نعر: صاح، و نعر الباطل: كناية عن قوته وكثرته، و وجه التشبيه بنحوم قرن الماعز سرعة ظهوره.

١٨٦ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام - يقال له: همام - كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المنافق حتى كأسى أنظر إليهم! فتناقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال:

يَا هَمَامُ، تَقَى اللَّهَ وَأَخْبَسَ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْكَافِرِ أَتَقَوْنَ وَلَئِنْ هُمْ مُخْسِنُونَ) فَلَمْ يَقْعِ هَمَامُ

١ - سورة البقرة، ٢٤ و سورة التحريم / ٦ ٢ - سورة الشعراء / ٩٤-٩٥

٣ - سورة المجل / ١٢٨.

بهذا القول حتى عزم عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أَمَّا نَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ لِحْقٍ - جَبَرْتُمْ خَلْقَهُمْ - غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَصْرُهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْقُضُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَتَسْمُوتُ مَعِيَّتُهُمْ، وَوَضَعُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوْضِعَهُمْ، قَالِمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْمَصَائِلِ: مِنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمْ لِإِقْتِصَادٍ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَضُّعُ، غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، تَرَكْتُ أَلْسِنَهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبِلَاءِ كَأَنِّي تَرَكْتُ فِي الرِّجَاءِ، وَلَوْلَا الْإِخْلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَبْرَأُوا وَاحْتَمَلْتُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ظَرْفَةً عَنِ شَوْقًا إِلَى أَثَوَابٍ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَلْقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَعُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَاكَ، فَهُمْ فِيهَا مُتَعَمِّدُونَ، وَهُمْ وَالْأَرْضُ كَمَنْ قَدَرَهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعْتَمِدُونَ: قُلُوبُهُمْ مَخْرُوءَةٌ، وَسُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَحْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاحَتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ غَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَغْفَتُهُمْ رَحْمَةُ طَوْلَةٍ. يَحَارَةُ مُرِيحَةٍ يَسْرَهَا لَهُمْ رَهْمٌ، أَرَدْتُهُمُ الدُّنْيَا فَهُمْ يُرِيدُونَهَا، وَأَسَرَّتُهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّبْلُ فَصَبَقُوا أَفْقَادَهُمْ تَالِيَيْنَ لِأَخْرَاءِ الْقُرْبَى: يُرْتَلُونَهُ تَرْبِيًّا، يُخْرَبُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَنْشُرُونَ ذَوَاءَ ذَاهِبِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِأَيِّ فِيهَا تَنْبِيْهِ رَكَّبُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَطَطَعَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَطَلُّوا أَنَّهَا نَضْبٌ أَغْنِيَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِأَيِّ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَوْا إِلَيْهَا مَسَامَحَةً فَلَوْبِهِمْ، وَطَلُّوا أَنَّ زَيْبَ جَهَنَّمَ وَشَهَقَهَا فِي أَصُولِ آدَمِهِمْ، فَهُمْ خَائُونَ عَلَى أَوْسَاجِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَابِهِمْ وَأَكْمَهُمْ وَرَكْمَهُمْ وَأَطْرَابِ أَفْقَادِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِهِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا الثَّهَارُ فَخَلَّتْهُ عُلَمَاءُ، أَبْزَارُ أَنْبِيَاءٍ، قَدْ بَرَّاهُمْ الْحَوْثُ بَرَى الْفِدَاجَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ سَائِلٌ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْفَرَسِ مِنْ عَرَضٍ، وَيَقُولُ قَدْ حُولُطُوا: وَتَقْدُ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: لَا يَرْصُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لَا تُسَبِّحُهُمْ مَنَاسِكُ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشَقُّونَ، إِذَا رَكِبُوا أَحَدَهُمْ، حَافٍ مِمَّا يَمَّا لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي. اللَّهُمَّ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَقُولُونَ، وَغَيْرِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي دِينٍ، وَحَرَمًا فِي لَيْسَ، وَإِيمَانًا فِي يَتِيمٍ، وَجِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَحُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَقْرٍ،

وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلًّا فِي حَلَالٍ، وَشَاطَا فِي هَذَقٍ، وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ، يَمْلِكُ الْأَعْمَالُ
 الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُنْسَى وَهْمُهُ اسْكُرٌ، وَيُفْصَحُ وَهْمُهُ ادْكُرٌ، يَبِيتُ حَذِرًا، وَيُفْصَحُ
 فَرَحًا، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ لَفْلَقَةٍ، وَفَرَحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ لَفْلَقٍ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ أَمْتَصَعَتْ عَلَيْهِ
 نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سَوْفَهَا وَمَا تُحِبُّ، فَرَّغَ عَيْنَيْهِ فِيمَا لَا يَبْرُكُ، وَرَهْدَهُ فِيمَا لَا يَتَقَى،
 يَمْرُزُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ، قَبِيلًا زَلَلَهُ، خَاشِعًا قَلْبَهُ، قَاضِيَةً نَفْسَهُ،
 مَتْرُورًا أَكَلَهُ، سَهْلًا أَمَرَهُ، حَرِيرًا دِيدَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْطُومًا عَيْطُهُ، الْحَيْرِيَّةُ مَأْمُولٌ. وَأَسْرُ
 مَيْتَهُ مَأْمُولٌ، إِنْ كَانَ فِي الْعَافِيَيْنِ كُنَيْتٌ فِي الدَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الدَّاكِرِينَ لَمْ يُكُنْثَ
 مِنَ الْعَافِيَيْنِ، يَفْقُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَعِضُّ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فُحْشُهُ، لَبِثًا قَوْلُهُ،
 غَافِيًا مُسْكِرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُذِيرًا شَرُّهُ، فِي الرِّلَالِ وَفُورٍ، وَفِي الْمَسَاكِينِ
 صَوْبٌ، وَفِي الرِّجَاءِ شَكْوٌ، لَا يَجِيفُ عَلَى مَنْ يُبْعِضُ، وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ بِعَتْرُفٍ بِالْحَقِّ
 قُلٌّ أَنْ يُشْهَدَ غَيْبُهُ، لَا يُصِغُ مَا تَسْتَحْفِظُ، وَلَا يَنْسَى مَا دُكِّرَ، وَلَا يَنْبِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يَضَارُّ
 بِالْجَدْرِ، وَلَا يَشْفَتُ بِالْمُضَايِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ
 يَعْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَجَّتْ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ نُسِيَ عَلَيْهِ صَرَخَتْ يَكُونُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ
 لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي غَنَاءٍ، وَلِنَاسٍ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتَعْتَ نَفْسَهُ لِأَخِيَرَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.
 بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَتَرَهُّةٌ، وَدُؤُوهُ مِمَّنْ ذَابَتْهُ لَيْسَ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاغُدُهُ بِكَبِيرٍ
 وَعَظَمَتِهِ، وَلَا دُؤُوهُ بِمَكْرٍ وَحَدَعَةٍ.

قال: فصنع همام صفة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أَنَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحَافَهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟ فَقَالَ
 لَهُ قَائِلٌ: مَا بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: وَيَحْتُ! إِنْ لِكُلِّ أَخْلٍ وَقْتًا لَا يَقْدُوهُ، وَسَبَبًا
 لَا يَتَحَوَّرُهُ، فَهَلَّا لَا تَعُدُّ لَيْثِيهَا؛ فَإِنَّمَا نَعَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لَيْسِيكَ!!

أقول: هو همام بن شريح كان من شعبة علي عليه السلام. والمتفون: هم الذين
 استجمعوا المضائل العسائية المتعلقة بصلاح قوتى العلم، والعمل، وقد أشار عليه السلام
 فيها إلى سيف وسبعين، فصيلة عدتهاها في الأصل^١. والصواب في القول: هو فضيلة

اللسان، وهو: قول ما ينبغي دون ما لا ينبغي. واستعار لفظ الملبس: للاقتصاد في الأمور باعتبار ملازمتهم له. وقوله: نزلت، الى قوله: الرخاء: كما لا يبطر برخاء يصيبها كذلك لا يقنط من بلاء ينزل بها، والتقدير كالنزول الذي نزلته في الرخاء، ويحتمل ان يريد بالذي الذين. وتشبيهم بمن قدرأى الجنة أى: في قوة يقينهم بما وعدا الممتنون. وبمن قدرأى النار: في قوة يقينهم بوعيد أهلها، وذلك عن مشاهدتهم بأعين أبصارهم حقائق الوعد والوعيد، وبحسب ذلك يكون غلبة الخوف والرجاء عليهم، وتنعيمهم باللذة وعذابهم بألم ما يتصورونه ويخافه أجسادهم: لهجرهم الترف والملاذ التزيوية، ونصيبهم في العبادة. وتجارة: مصدر. وداثمهم: هو الجهل. ودواثمهم: ما اشتمل عليه القرآن من الأسرار والفضائل. وحتوهم على اوساطهم: كيفية ركوعهم. والقنح: السهم لاريش له، ووجه الشبه به شدة النحافة وقد يعرض لبعض العارفين اختلاط في القول، عند اتصال نفسه بالملا الأعلى، واشتغال سره بالأنوار الالهية فرمما يكلم بما يخرج عن المتعارف. والحزم في اللين: ان يكون لينه حزما وفي موضعه لاعتق مهانة وذلة. والقصد في الغنى: فضيلة العدل فيه دون الاسراف والبهل، ودون تجاوز الحد في طلب الدنيا والوقوف في حد الحاجة، والمسئلة والوجل في العمل الصالح من انه يكون على غير الوجه المرضي لله، كما روى عن زين العابدين عليه السلام، انه كان في التلبية وهو على راحته اذ حَرَّ مغشياً عليه فلما أفق قيل: له في ذلك، فقال: خشيت ان تقول: لا تبيك ولا سعدك.

وسهولة امره: في كونه لا يتكلف ولا يكلف، وحرز دينه: حفظه من التساهل فيه. وقوله: ان كان من العافلين: أى في نظر الناس كتب في الذاكرين عبدالله لاشتغال سره به. والفحش: قول ما لا ينبغي. والزلازل: الفتن الكبار والأمور العظام. وعدم اثمه فيمن يحب: ان لا يتبع الهوى في رضاه. والمنابزة: المراماة بالألقاب التي ينادى بها. ولا يغمته صمته: لكونه حكمة. ولا يوضحه حكمة: لعبة ذكر الموت عليه. ونفسه منه في عناء أى: الأثارة لمقاومته آياها وكسره لها. وباقي الفصل واضح.

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنْ إِطَاعَةٍ، وَدَدَ غَنَةً مِنَ الْمُعَصِيَةِ، وَتَشَاءُ لِيُسَبِّتَهُ نَمَانًا،
وَيَحْبِلَهُ أَغْيَضًا، وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ خَاصَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ،
وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلِّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَوَنَّى لَهُ الْأَذْنُونُ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَفْصُونُ، وَخَالَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ
أَعْيُنَهَا وَضَرَبَتْ بِمُحَارِبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَتَرَكْتُ بِسَاحَتِي عُذْوَانَهَا؛ مِنْ أُنْعَادِ إِذَا
وَأَشْحَقِ الْمَرَارِ.

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْدَرْكُمْ أَهْلَ التَّفَاقُ؛ فِيهِمْ الصَّالُونَ الْمُقْبِلُونَ؛
وَالرَّالُونَ الْمُرِلُونَ؛ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا، وَيَقْسُونَ قِيَامًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ
بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاهُمْ نَقِيَّةٌ، وَيَمْشُونَ الْحَفَاءَ، وَيَدِيرُونَ الْقَضَاءَ. وَصِفَتُهُمْ
دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِمَاءٌ، وَفِعْلُهُمْ الدُّعَاءُ، حَسَنَةُ الرَّحَاءِ، وَمَوْكِدُو الْبِلَاءِ؛ وَمُطِطُوا
الرَّحَاءِ، لَهُمْ سَكُنٌ طَرِيقِ صَرِيحٍ، وَرَى كُرَى قَلْبٍ شَفِيعٍ؛ وَلِكُلِّ سَعْوٍ دُمُوعٌ، يَتَمَرَّصُونَ
إِسْتِثَاءً، وَيَتَرَقِّصُونَ الْخِرَاءَ؛ إِنَّ سَالُوا الْحَفَا، وَإِنْ غَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا، فَذُ
أَعْدُوا لِكُلِّ حَيٍّ بِأَجْلَاءٍ، وَكُلِّ قَائِمٍ مَدْبَأً، وَكُلِّ حَيٍّ فَيْلًا، وَلِكُلِّ تَابٍ مِنْدَحًا، وَكُلِّ لَيْلٍ
مِصْبَاحًا؛ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى اعْطَمَ بِإِيَّاسٍ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَغْلَاقَهُمْ؛ يَقُولُونَ
فَيْسَبِّهُونِ، وَيَصِفُونَ فُسُوقَهُمْ، قَدْ هَوَّنُوا الظَّرِيقَ، وَأَصْلَعُوا لَمْضِيْقَ؛ فَهَمْ لُئِمَةُ السَّبْطَانِ،
وَحُمَةُ النَّيْرَانِ (أُولَئِكَ جَرَبُ السَّبْطَانِ، أَلَا إِنَّ جَرَبَ السَّبْطَانِ هُمُ الْحَمِيرُونَ)!

أقول: ذاد: طرد. وذوده تعالى عن المعصية: بالواهي. واستعار لفظ حبله لئينه
العاصم: لمن تمسك به. وغمرة الشيء: معظمه، وأراد كل عظيم من الشدائد. وتلون
الاذنين: تغير قلوبهم ونفاقهم. ولتألب: التجمع. وخلع العرب اعنتها اليه: كناية عن
تجردهم مسرعين الى حربه. وكذلك: ضربها الى محاربتيه بطون رواحيلها. والسحيق:
البعيد. ويعمدونكم: يقصدونكم بالأمور العارضة. ودوية: ذات داء كالغل والحسد

و جعدة وبحوها. وذلك مع نقاء صماحهم اى: وحوهم، و سلامتها من شرّ ظهر: كناية عن النفاق. و وصفهم دواء اى: يقولون اقول الراهدين فى وصف سبيل الله و يفعلون افعال المسافعين الماسقين. و يقططوا الرجاء اى: من رجا أمراً قسطوه منه. والطريق: كناية عن الحيلة او المقصد، اى: كيف توخّوها حصل منهم ادى. و الى كل قلب شمع اى: من الأقوال والافعال المشبهة بحق. و دموعهم لكن شحوا: كناية عن توجّعهم لكلّ ذى شجوا وان كان عدواً نفق. و تقارضهم للثناء؛ ثناء كلّ منهم على صاحبه مع توقّعه أن يشى عليه بمثله. و لالعاف: اللعاف فى السؤال. و ان عدواً كشفوا عيوب من يعذّبونه وهم فى زيّ الناصحين. و استعار لفظ المفتاح: لحيلة و فط اللل: لما اظلم من الأمور، و لفظ المصباح: للرأى الذى يندخس به فى كل مشكل. و توصلهم الى الفصح بالياس اى: عما فى أيدي الناس بإظهار الزهد فيه. و العلق: انفيس من كلّ شىء، و هو مستعار لما يلتصق به على الناس من أمورهم. و التموية: النشيه. و هوّوا الطريق اى: مسك مقاصدهم من الآراء و الحيل. و اصلحوا المضيق اى: اعوجّوا مضائق طرقهم، و مضايقتها: دقائق المداخل فى الأمور. و راد تنويعها: أنهم اذا ارادوا مثلاً، مرّوا بغيره بعتمته على اغير خلافه، ولما ألسطان جماعته، و حمة لئران: مستعار لعظيم شؤرههم.

١٨٨ - وَ مِنْ حُظَيْتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يَعْلَمُ غَيْبُ الْوُحُوشِ فِي الْمَلَوَاتِ، وَ نَقَاصِ الْعِبَادِ فِي الْحَلَوَاتِ، وَ خِلَافَ النَّبَاتِ فِي الْبَحَارِ الْقَمِيَرَاتِ، وَ تَلَاطَمَ الْمَاءِ مَالِ الرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ، وَ سَيفُ وَحْيِهِ، وَ رَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَبْدَأَ خَلْقَكُمْ، وَالَّتِي يَكُونُ مَقَادُكُمْ، وَبِهِ نَحَاحُ طَلَبَتِكُمْ، وَالَّتِي مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَالَّتِي مَرَامِي مَقَرِّكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَنَصْرُ عَمَلِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ قَسَدِ ضُلُوبِكُمْ، وَظَهْرُ ذَنْسِ نَفْسِكُمْ، وَجِلَاءُ عِشَاءِ أَنْفِكُمْ، وَأَمْرُ قَرَبِ خَاسِكُمْ، وَصِيَاءُ سَوَادِ ضُلَمَتِكُمْ، وَجَعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِفَاءً لِدَوْنِ دَوْنِكُمْ، وَذَحِيلًا لِدَوْنِ شِعْرِكُمْ، وَطَبِيعًا بَيْنَ

أَصْلَابَكُمْ، وَأَمِيرًا قَوِيًّا أُمُورَكُمْ، وَمِنْهَا لِحْزٍ وَرُودَكُمْ، وَمِنْهَا لَذِكٌ طَلَبَتَكُمْ، وَحَنَّةٌ لِيَوْمٍ
 قَرَعَكُمْ، وَمَصَابِيحُ لِنُصُورٍ قُبُورَكُمْ، وَسَكَنًا لِنُصُولٍ وَحَسَنَتَكُمْ، وَتَقَسًا لِيَكْرَبٍ مَوَاطِنَكُمْ، قَرَأَ
 طَاعَةَ اللَّهِ حَرُورًا مِنْ مَتَالِفٍ مُكْنَمَةٍ، وَمَحَافٍ مُتَوَقِّعَةٍ، وَأَوَارِيزٍ مِنْ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَحَدٌ دَلَّتْ قُوَى
 عَزَبَتْ عَنْهُ لَسَدٌ نَدَّ نَدُّهَا، وَاحْتَوَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَاتِبِهَا، وَتَفَرَّحَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاحُ بَعْدَ
 تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَضَمَتْ عَنْهُ لِكْرَامَةَ بَعْدَ فُحُوصِهَا، وَتَحَدَّثَتْ
 عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ مُبَوِّهَا، وَتَفَرَّحَتْ عَلَيْهِ اسْمُهُ بَعْدَ نُصُوبِهَا، وَوَسَّلَتْ عَنْهُ لِمَرْكَةٍ تَعْدِلُ إِذَا دَقَّتْ.
 فَاتَّقُوا اللَّهَ لِيَرَى تَعَمُّكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعظُكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَمُثْنٌ عَنْكُمْ بِبِعْمَتِهِ، فَتَعْدُوا
 أَنْفُسَكُمْ لِيَعْدِيهِ، وَأَحْرُحُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَأَصْطَفَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْدَهُ خَيْرَةَ
 خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَّ بِرَفْعِهِ، وَأَهْدَى أَعْدَاءَهُ
 بِكَرَمَتِهِ، وَحَدَلَ مُحَدِّثِيهِ بِتَضَرُّعِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الصَّلَاةِ بِرُكْبِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حَيَاتِهِ،
 وَأَنَابَ الْخَبِيثَ صِلَافًا لِيَمَانِيَّتِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا تَقْصِمُ لِمُرُورِهِ، وَلَا فَتًى لِحُلُقَتِهِ، وَلَا تَهْتِمُ لِأَسَاسِهِ،
 وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا تَبْلَاغَ لِسُخْرَتِهِ، وَلَا تَقْطَاعَ لِمُدَّتِّهِ، وَلَا عَفَاءَ لِبَشْرَتِهِ، وَلَا حَذَّ
 لِمُرُورِهِ، وَلَا ضَلَكَ لِمُطَرِّقِهِ، وَلَا وَغْوَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوْدَ لِبُوضُوحِهِ، وَلَا يَوْخَ لَانْتِصَابِهِ،
 وَلَا غَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَغْتَ لِفَجْجِهِ، وَلَا تَطْفَلَ لِيَمْتِنَانِيَّتِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحِلَاقِهِ، فَهُوَ دَعَائِمٌ
 أَسَاسٌ فِي الْحَيِّ أَشَدَّ حَقًّا، وَتَشْتَلُّهَا أَسْمُهُ، وَيَسَاسِعُ عَرَّتُ غَيُوثِهَا، وَمَصَابِيحُ شَتَّى
 يَبْرَأُهَا، وَمَتَارٌ أَقْسَدَى بِهَا سَفَارَتُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَتْ بِهَا فِجَاحُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوَى بِهَا وَرَادُهَا:
 جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِقُ الْأَرْكَانِ،
 رَفِيعُ الْبُيُوتَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُصَيِّدُ الْبَرَّانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُغِيرُ الْمَنَارِ
 فَسَرُّوهُ، وَتَبِعُوهُ، وَأَدُّوْا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَصُغُّوهُ مَوْصِيْعَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْأَحَقِّ حَقِيرًا دَنًا مِنَ الدُّنْيَا
 الْأَقِطْعُ، وَتَقَلَّ مِنْ لَاحِظَةِ الْإِطْلَاقِ: وَطَنَتْ تَهْتِجُهَا بَعْدَ إِشْرَافِ، وَقَمَّتْ بِأَهْلِهَا عَلَى
 سَدَقٍ، وَخَسَّنَتْ بِهَا مَهَادًا، وَأَرَفَتْ مِنْهَا قِدْرًا، فِي نَبْطِ مَدِينَتِهَا، وَأَقْبَرَابِ مِنْ أَشْرَافِهَا،
 وَتَضَرُّعٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَتَقْصِمُ مِنَ حَلْفَتِهَا، وَأَنْتِ شَارِ مِنْ سَنَنِهَا، وَعَدَاءٍ مِنْ غِلَاقِهَا، وَكَسْبٍ
 مِنْ عَوَارِثِهَا، وَتَضَرُّعٍ مِنْ طَوْلِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِمُتَبِعِيهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ رِقَابِهِ،

لنجهل، ولفظ لتعار: وهو ما يلي الحسد من النيات: لتتقوى وهو مرلزومها، ومباشرة القلوب بها، اذ الشعار ادخل من الدثار. ثم اكّد امرهم بلزومها باتخاذها دخلاً تحت الشعور وهو: الأمر بالاخلاص فيها، وجعلها ملكة، وفسّر ذلك بقوله: ولطيفاً بين اضلاعكم، وكى بلفظها: عن تصورها واعتقادها. وبكونها بين اضلاعهم: عن ايدها القلوب. واستعار لفظ الأمر: لها باعتبار وجوب التزامها والانتظام لها. ولفظ المنهل وهو: المورد باعتبار ثباتها: مظنة التروى من شراب الأبرار. ولفظ المصباح: لأضاءتها القلوب. والمتالف المكتنفة: وهي الرذائل، تكتنف انفس فتوقها. والمخاوف المتوقعة: أهوال الآخرة. ووار السيران: حرّها. وعزّت: غابت، ومرارة الأذى، اللازم عنها كما يلزم عن الفقر ونحوه. ولما كان ذلك شعار المستقين، كان أحلى في نفوسهم من كلّ شعار، وان كان مرّ في اذواقهم في أول الامر. واستعار لفظ الأمواج: لأهوال الدنيا وغمومها.

ولما كانت التقوى تستلزم سهولة تلك الشدائد كان ذلك تزيّجاً لها، ويحمل ان يريد بالأمواج: الهيئات لبديّة الرديّة، اذ بالتقوى تروى وتنفرج. وسهولة صعاب امور الدنيا على المتقين اشرف ما هم بصلابه من لمطالبة لحيّة. ونصايها: اتبعها، والكرامات: تعود الى الافاضات العالية الهاطلة على نفوسهم، ويحتمل ان يريد: العيث عند بقعط، فان نفوس المتقين تستنزل بهدوئها. والتحدّب: التعقّب. وعبدوا: ذكروا. واصطبعه على عينه أى: على عدم منه وعدية به. واصفاه خيرة خلقه: اخلصه به. ودعائم الدين: قواعده الثابتة في قلوب المؤمنين. واقامتها على محبته: هي قوله تعالى: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^١ فكان اتباعه عليه السلام واقامته لتلك الدعائم به ميسراً على محبة الله. ويحتمل عود ضمير الى اسى صلى الله عليه وآله اذ لولا محبته، ولزوم اتّباعه لم يقيم الدين. ومحاذوه: معاذوه، واستعار لفظ اركان لصلالة: لأهلها. ووصف سقى: لاهضة عيون الدين، ولفظ الحياض: لعلماء الاسلام الذين هم اوعية العلوم والحكمة: ولفظ المواتح: وهم المستقون لائمة الدين ايضا من لصحابة. ولفظ الحياض: للمستفيدين. وناق: املاً. ولفظ العروة: لما يتمسك به الانسان منه كاعتقاده الحقّة ومكرّم الاحلاق. ولفظ الحلقة: لجماعته وأهله. ولفظ الأساس: لكتابات والسنة. و

لفظ الدعائم: لاهله ولقوانينه. ولفظ الشجرة: لأصله. ووصف الجذ لا تقطاع المسائل والابحاث المتفرعة عليه وتاهيها. والصنث: الضيق. ولوعونة: الصعوبة. ولفظ الوضع: وهو أضوء لأنواره القائدة الى الله. ولفظ السواد: لما يكدرها من الشبه. ولفظ المصاييح: لعلماؤه. ولفظ الدعائم: لقواعده وهي: العبادات لقوله صلى الله عليه وآله: (بنى الاسلام على خمس). والاستاخ: الاصول. واساخها: اثبتها وادخلها في الحق، وهو اشارة الى كون العبادات مبنية على اسرار من لحق عميقة. ولفظ البنايع: لأصوله وهي الكتاب والسنة، باعتبار تفخر العلوم عنهما؛ ولفظ العيون: لمبادئ تلك النابع حيث صدرت. وشبت النار: الهت. ولفظ المنار ولأعلام: لأمارات احكام الله وادلته. ولفظ المسافرين: لسالكى سبيل الله. والضمير في دعائمه: لله. ودعائمه: دعائم دينه وقواعده التي جعلها عمدة لحلقه في صلاح أحوالهم. ولفظ النيرة: للاسلام باعتبار شرفه عسى سائر الاديان فهو كاشرة لها. ولفظ البنيان: لما ارتقى اليه اهله من الشرف والفضيلة. ولفظ البرهان: لتقرآن. ولفظ التيران: لعمومه. وشراف مناره: علوقد رائثته.

ومعوز المناراي: يعجز الحلق عن اثرة دعائمه. وروى المنال والمثال. وازف: دنا. وانقياد: حبل يقاد به الدابة اي: دنا منها قادها للرحيل. واستعار لفظ السبب وهو الحبل: لما احكم من امورها. والضمير في جعله: للنبي عليه السلام، ونورا والمنصوبات بعده: احوال^١ للكتاب. وبحبوخته: وسطه. ولفظان: الامكة المظمنة من الأرض جمع غائط. واستعار لفظ المنزل: لمقاصد الكتاب باعتبار وقوف الأذهان عندها بعد قصدها. ولفظ الاعلام: لادلته. والمعقل: الحل يعتصم به. وعذرا لمن انتحله اي: لمن نسب نفسه الى حمله وأنه من أهله معتذرا من تكليف شاق. والفلج: الفوز ولطف. وحملة لمن حمله: قيامه بصلاح حله في الدارين. واستعار له لفظ المطية: لادائه بصاحبه في سبيل الله الى الجنة. والمتوسم: المتدبر لآياته وعبره كموه تعالى: (ان في ذلك آيات لمبتوسمين)^٢ والمتسلم: الذي يتحده لامة. والآلة: الدرع. وحديثا لمن روى: باعتبار ما فيه من قصص الاولين او قولا وكلاما لمن نقله كما قال الله تعالى: (الله الذي نزل

١- في ش: بعده كتاب.

٢- سورة الحجر / ٧٥.

احسن الحديث^١. وفائدة وصفه بذلك ان فيه غصة لمن ارد ان يتحدث بحديث غيره مما لا يهيد فائدته. وحكما اى: فيه الحكم لمن قضى، وروى: حكما اى حاكما.

١٨٩- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يوصى به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُورًا، لَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟) قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ. (وَأَنَّهَا لَنُحِثُّ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقُ، وَتُظْفِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبِيِّ، وَشَبَّهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحِمَةِ تَكُونُ عَلَى تَابِ الرِّيحِ فَهَوِيَّتْ مِنْهَا هِيَ السَّوْمُ وَالْيَتَمُّ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَنْقَى عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْعَلُهُمْ عَنْهَا رِيحٌ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبحَانَهُ: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا تَنْعَ غُرٌّ ذِكْرَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا بِالصَّلَاةِ تَغْدِي الشَّيْبَةَ لَهُ بِالْحَقِّ؛ يَقُولُ اللَّهُ سُبحَانَهُ: (وَأَمُرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَلِرُ عَلَيْهَا) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَيُضَيِّرُ عَنْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الرُّكَّةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبًا لِلْأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَغْطَاهَا، طَلَبَ النَّفْسَ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ جَحْرًا وَوَقْدَةً. فَلَا يُسَعِّتُهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرُ عَنْهَا لَهُمَةً؛ فَإِنَّ مَنْ أَغْطَاهَا عَسَرَ طَلِبَ النَّفْسِ بِهَا يَرْخُوبُهَا، مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالنِّسَةِ، مَعْبُودٌ الْأَجْرَ، ضَالُّ الْعَمَلِ، ظُلُمِلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ إِذَا أَدَاءَ الْأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِصَتُ عَنِ السَّمَوَاتِ لِمَنِيَّةٍ، وَلَا تَرْضَى الْمَذْخُوءَ، وَالْحَبَابَ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوتَةِ فَلَا أَطُولَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَمْ أَمْتَنَّعْ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرِضَ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَا مَمْتَنَعٍ، وَلَكِنْ أَسْفَعُ مِنَ الْعُقُوتِ، وَغَمٌّ مَا تَجِبُ مَنْ هُوَ أَصْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِسْنُ (إِنَّهُ كَانَ ضَلُومًا خَهُولًا)

إِنَّ اللَّهَ - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَحْفَى عَلَيْهِ مَالُ الْعِبَادِ مُفْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وَنَهَارِهِمْ، لَنْفَتِ

بِهِ حُبْرًا، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَغْضَبُكُمْ شُهُودُهُ، وَخَوَّارُكُمْ خُودُهُ، وَصَمَائِرُكُمْ عُودُهُ، وَحَلَوَاتُكُمْ عَيْتُهُ.

أقول: حاصل الفصل الوصية بالمحافظة على أمور ثلاثة: وهي: لصلاة والركعة والامانة، والتنبيه على فضائلها، ووجوب ادائها. وموقوتا: مفروضا وقيل: منحما في كل وقت وهي: الصلوات الخمس. وقوله: الا تسمعون، الى قوله: نفسه: دلالت وجوبها وهي ضمائر ذكره صغرياتنا. والريق: جمع ربة وهي: الحققة في الحبل. والجمة: مجمع الماء وذلك التشبيه في قوله صلى الله عليه وآله لأصحابه (أيسر أحدكم أن يكون على يده جمة يغتسل بها كل يوم وليلة خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء. فقالوا: نعم، قل: فإنها الصلوات الخمس)؛ ونصبًا: أي تعب، وأما كان مُعطى الركاة غير طيب النفس بها ضالَّ العمل اذ لم يقصد بها وجهها. ولا اهتدى الى غاية وضعها في السنة. والاقتراف: الاكتساب. وقد انتهنا على سرار لعبادات فيما سبق. وباقي الفصل ظاهر.

١٩٠. وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهِ مَا مُدَاوِيَةٌ بِأَذْهَى مَنِيٍّ، وَلَكِنَّهُ يَغْيِرُ وَيَفْخَرُ، وَلَوْلَا كَرِهَتُهُ الْعَدْرُ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ عَذْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَلِكُلِّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَكُلُّ عَادِرٍ لَوَاءٌ يُغْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ مَا اسْتَعْفَلَ بِالْمَكِيَّةِ، وَلَا اسْتَعْمَرُ بِالشَّيْبَةِ.

أقول: الدهاء: استعمال العقل فيما لا يسعى شرعًا مع طهار رادة ما ينبغي، وصاحبه داه وحيث ومكار وحبول. وهو: رذيلة تحت الجبرنة. ولما كن الوفاء فضيلة تحت العفة، كن لعدر رذيلة تحت الفحور الذي هو رذيلة العفة ومستلزمها له، فكل فحور فحور، وأما ان يكون كل فحور كفر، ويحتمل ان يريد كفرًا لعملة الله، ويحتمل ان يريد: ان الفحور عسى وجه استحلاله كفر كما فهم من فحور عمرو بن العاص. وقوله: ولكن

عذر، الى قوله: القيامة: لفظ الحبر لسوء. ولا مستعز، بالراء المعجمة اى: لا يطلب غمزي، اى اضعافى وتحيزى. وروى: بالراء اى: لا استجهل شدائد المكائد.

١٩١ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَا تَسْتَوْجِشُوا بِي طَرِيقَ الْهُدَى لِقَلَّةِ لَهْلِهِ، قَرَّبَ النَّاسَ قَدِيرًا أَجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ، شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَخَوَّعَهَا طَوِيلٌ!!
أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ ارْتِصًا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقْرَتَانِ شُمُودَ رَجُلٍ وَاجِدًا فَعَمَّتَهُمُ اللَّهُ بِالْقَذَابِ لَمَّا عَمَوْهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوها فَأَضْحَوْا نَدِيمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْحَسَفَةِ، خَوَّازِ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّازَةِ أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاصِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ حَالَفَ وَقَعَ فِي الشَّيْءِ.

اقول: حاصل الفصل ترغيب اصحابه في السقاء على سبيل طريق الهدى، وعدم التوخش فيه لقلة سالكيه، اذ من العادة ان يستوحش الوحيد في الطريق، لعدم الأيسر او لقلته. واستعار لفظ المائدة: للدنيا وكنى عن قصر مدتها؛ بقصر شعبه، وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة: بطول جوعها، ولفظ الجوع: مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعيم الحقيقية من الكمالات النفسية، ويحتمل ان يريد بالجوع: فقد الممذات البدنية بالموت. وقوله: ايها الناس، الى قوله: السخط، اى: أما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات، ومعاصي الله وسخطهم للمحاث من الاعمال، وان لم يباشر اكثرهم ذلك، او ان سخطهم للمسكرات يكون حامعا لهم في رحمة الله. ومصدق العذاب للرضا بالمنكر قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فان العقوبة عمتهم لعموم الرضا لهم بفعله. والضمير في عموه: يعود الى الرجل او الى العقر الذي دل عليه قوله: عقر. وقوله: فما كان، الى آخره: تفسير للعذاب النازل. وخارت: صوت. والسكة: حديدة الفذل. والخوارة: الضعيفة. واستعار لفظ الماء: للعلم

والهدى الحاصل لسالكى سبيل الله الواضحة. والته: تبه الجهن وعمى البصيرة. وقصة
خسهم مشهورة نعتها عليها فى الاصل. وبالله التوفيق.

١٩٢- وَمِنْ كَلَامِ نُهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناحى به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عند قبره.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنْ أَجَنَّتِكَ الذَّلِيلَةِ فِي خَوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ
بِكَ ، قُلْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنِّي مَجْلَدِي ، إِلَّا أَنْ لِي فِي الثَّانِي
يَعْطِمُ فَرْقَتِكَ ، وَفَادِجَ مُصِيتِكَ ؛ مَوْضِعَ تَعَزٍّ فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبِيرِكَ ، وَفَاصَتْ
بَيْنَ تَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا إِلَيْهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَقَدْ أَسْرَجَعْتَ الْوَدِيعَةَ ، وَأَحْدَثْتَ
الرَّهِيئَةَ ، أَمَا خُرْنِي فَتَسْرَمَدُ ، وَأَمَا لِيْلِي فَمُسَهَّدُ ، إِلَيَّ أَنْ يَحْتَارَ اللَّهُ لِي ذَاكَ الْيَتِي أَنْتَ بِهَا
مُؤَيَّمٌ ، وَسُتُوكَ أَتَيْتُكَ بِتَصَافُرِ أُمِّيكَ عَلَى هَضْمِهَا ، فَأَحْبَبَهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَحْبَبْتُهَا الْحُلَّ ،
هَذَا وَلَمْ يَظَلْ لِعَهْدُ ، وَلَمْ يَحُلْ مِنْكَ ذِكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مُوَدَّعٌ لَا قَدْلَ وَلَا تَسِيمَ ،
فَإِنْ أَنْصَرِفْتَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُيْمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

اقول المروى: أنها بقبت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و عبيها، اربعة اشهر
وذلك معنى سرعة لحاقها به. وصفيته: باعتبار أنه كان يكثر اكرامها. والقادح: التقيل. و
نفسه التي فاصت: دم قعدة صلى الله عليه عبيه- حين وفاته. واستعار لفظ لوديعة والرهيئة: لها
باعتبار ان النساء ودائع الكرام، ونفسها الشريفة باعتبار ان النفوس فى هذه الأبدان كالودائع
فى استرجعها، وكالمرهونة على الوفاء بعهد الله وميثاقه. والمسهد: المؤرق. والاحفاء: الاستقصاء
فى السؤال وهو: كالمشتكى ممن يعتقد أنه ظلمها. والذكر: ذكر الرسول صلى الله عليه وآله.

١ ذكر العلامة المحاسنى في كتابه (بحار الانوار) ٢١٣/٤٣ روايت محتلفه في مدة مكوثها سلام الله عليها
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمثل احتشفت الروايات في وقت وفاتها حتى روايت أنها بقيت بعد
رسول الله (ص) شهرين. وفي روايه ثلاثة اشهر. وفي روايه مائة يوم. وفي روايه ثمانية اشهر.

١٩٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا سُنَّا دَرْمَحَازَ، وَلَا جَزَةَ دَارُ قَرَارٍ، فَحَدُّوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَمَرِّكُمْ، وَلَا نَهَيْكُمْ، أَسَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنْ أَدْنَا قُلُوبِكُمْ مِنْ قَتْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أُنْدُسُكُمْ، فِيهَا تُخْبِرْتُمْ، وَلَعَنَ رَبُّهَا خُبَيْتُمْ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَمَّ قَتَلَ نَاسًا: مَا تَرَكَ؟ وَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ يَدُهُ أَوْ كُفُّهُ! فَاقْدُمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ، وَلَا تُحَقِّقُوا، كَلَّا فَيَكُونُ عَلَيْكُمْ.

أقول: هتكت أسرارهم عند الله: بمعصيتهم المعصية. وإخراجهم قلوبهم من الدنيا: اعراضهم بقلوبهم عنه، والرهق الحقيقي فيها. وفي قوله: ما ترك و ما قدم: لطف تنبيه على أن متاع الدنيا مفارق متروك ليقبل الرعة فيه، وأن الأعمال الصالحة مفداه للمرء في قدومه على الله، بأقية نافعة له في معده. فليس: إنما امر بتقديم البعض دون الكل لأن حرمان الورثة لا يحوز، وإنما بهى عن تركه، لكن، لأن إهمال الركة والصدقة لا يجوز. وروى: يكن لكم قرضاء، و يكون عليكم كلا، أى: لا منفعة فيه مع وجود مصرتة. وبالله التوفيق.

١٩٤ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان كثيرا ما ينادى به اصحابه

تَحَرُّوا، رَجِمَكُمُ اللَّهُ، فَهَذَا يُودَى فِيكُمْ بِالرَّجِيلِ، وَأَوَّلُوا الْعُرْخَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلَبُوا بِصَاحِبٍ مَا يَحْضُرُكُمْ مِنَ الرَّادِ: فَرَأَى أَنَّكُمْ عَفَسَةٌ كَرُودًا، وَمَتَازِلَ مَحْزُوفَةٍ مَهُولَةٍ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَشْتَهَا، وَالْوُفُوفِ عَشْتَهَا. وَأَعْتَمُوا أَنْ مَلَاحِظَ النَّبِيِّ نَحْوَكُمْ دَائِيَّةً، وَكَانَكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ سَبَّحْتُمْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَسْتُمْ فِيهَا مُفْطَلَاتُ الْأُمُورِ، وَمُفْصَلَاتُ الْمَشْهُورِ، فَحَقَّقُوا غَلَاظِقَ الدُّنْيَا، وَأَسْتَظْهِرُوا بِرَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية.

يقول: ارد بالنحهر: الاستعداد للأخرة بالأعمال الصالحة. ولما دى: لسان حال
الانسان. والعرجة والتعرج: الاقامة بالمكان. وصالح: اُرد: التقوى. واستعار لفظ
العقبة: للموت. وانكؤود: شاقة لمصعد. والمنازل المخوفة: منازل البرزخ وقيامة.
والملاحظ: مصدر او محل اللحط، وهو: النظر بمؤخر العين، واستعار لفظه: لكونها لهم
بالرصد، فكأنها دائمة النظر اليهم. ودائبة: محدة. ودهمه كذا: وقع عليه بعمته.
ومعطات الأمور: شدائدُها: ومعضلات المحذور: ما ثقل منه فأمل.

١٩٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به طلحه والريسر بعد بيعته بالخلافة وقد عسا [عليه] من ترك مشورتهم، والاستعانة
في الأمور بهما

لَقَدْ تَقَمُّنَا بِسِيرٍ، وَأَرْحَانَمَا كَسَرٌ، أَلَا نُحَرِّى أَى شَيْءٍ لَكُمْ بِهِ حَقٌّ دَفَعْتُمْ
عَنْهُ؟ وَأَى قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَنْكُمْ بِهِ؟ أَمْ لَى حَقٌّ رَفَعَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَعُفْتُ عَنْهُ
أَمْ حَبَيْتُهُ أَمْ أَهْطَأْتُ تَانَهُ؟

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لى فِى الْجَلَاةِ رَفْعُهُ، وَلَا فِى الْوَلَاةِ إِزْبَتُهُ، وَلَكِنْ كُنْتُ دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْإِنْفَاءِ
وَحَمَلْتُكُمْ عَلَىهَا، فَمَا أَفْضَلُ إِلَى نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِأَحْكَمِ
بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَسْرَسَ النَّبِىُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَدْبَيْتُهُ. فَمَا أَحْنَجُ فِى ذَلِكَ إِلَى
رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأَى غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ بَعْثُهُ، فَاسْتَشِيرَ كُنَا وَإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ
كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبُ عَنْكُمَا، وَلَا عَنِ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ
أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمُ أَنَا بِهِ بِرَأْيِى، وَلَا وَلِيَّتُهُ هُوَ مَعِى، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا حَاجَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَذَفَعْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَحْنَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَعَ اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ وَ
أَمَصَى بِهِ حُكْمُهُ، فَتَبَسَّ لَكُمْ، وَاللَّهِ عَنِّى وَلَا يَغْبِرْ كُنَا فِى هَذَا عُنَى. أَحَدُ اللَّهِ بِغُلُوبِنَا
وَقُتُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الْبَصَرَ.

ثم قال عليه السلام: رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى خِفًا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى حَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ
غَوْرًا بِالْحَقِّ عَنِ صَاحِبِهِ.

اقول: اليسير الذي بقماه: هو ترك استشارتهما في الأمور وتسويتهم بغيرهما في العطاء، ودث وإن كان صعبا عندهما فهو عنده يسير سهل لكونه حقا، والكثير الذي ارجأه أي: أخره هو: ما يعود الى مصالح الدين. ويحتمل أن يريد: أن الذي ابدياه وبقماه يسير من كثير مما في نفسيهما عليه أخراه. والأربة ولارب: الحاجة. وافصت: وصلت. والاموه: لتسوية في العطاء. وقوله: ولا وليته هوى مى، أي: ولا جعلت الحب كم فيه هوى: وروى: وليته بالتخفيف والكسر عى أن يكون هوى مفعولا له. والغنى: الاسم من العتاب.

١٩٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سمع قوما من أصحابه يستون أهل الشام أيام حربهم بصفين

بِئْسَ أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَائِسَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَّرْتُمْ خَلْفَهُمْ، كَمَا أَصَوْتُ فِي الْقَوْلِ، وَأَلْبَغَ فِي الْقُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ يَا لَهُمْ: النَّهْمُ أَخْيَرُ دِمَاءَ مَا وَدَّمَاهُمْ، وَأَصْلَحَ ذَاتَ بَشِيئَةٍ وَتَسِيهِمْ، وَأَهْدَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَيَرْغُبَ عَنِ لَعْنِي وَلَعْنَوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ.

اقول: وصف أعمالهم تكبيرهم بكونهم صائين وظالمين على وجه الصبيحة، و الارشاد الى الذين. ويرغى: يرجع. ولهج بكدا: اولع به وحرص عليه.

١٩٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْعَلَامَ لَا يَهْدِي، فَإِنِّي أَنَفْسُ بَهْدَيْنِ (يعنى الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْقَوْتِ؛ لِيَلَّا يَتَقَطَّعَ بَيْنَهُمَا تَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. قال الرضى أبو الحسن: قوله عليه السلام «املكوا عني هذا العلام» من أعلى الكلام وأوضحه.

أقول: «ملكو: اضطروا. وبهتني: يكسرنى. وانفس: انفس بافتح.

١٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومة

يُنْهَا لَسُّ؛ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِ مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى يَهْكَشَكُمْ الْحَرْبُ، وَقَدْ
وَأَلَّهِ، أَحَدْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنَّهُكَ .
لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ أَمْسِ نَهْيًا فَاصْبَحْتُ الْيَوْمَ
مَنْهِيًا، وَقَدْ أُحِبَّبْتُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أُخَيِّنَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

أقول: نهكتكم احلقتكم، وهو مستعار فى اضعافهم، واخذت وتركك كناية عن
تصرفها بهم بالاختيار.

١٩٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن ريار الحرثى - وهو من أصحابه - بعوده، فلما رأى معه
داره قال:

مَا كُنْتُ نَضَعُ سَعَةَ هَذِهِ الدَّارِ فِى الدُّنْيَا؟ أَمَا أَنْتَ إِنِّيهَا فِى الْآخِرَةِ كُنْتَ أَخْوَجَ؟
وَنَلَى إِنَّ شَيْئًا بَنَيْتَ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرَى فِيهَا الصَّبِيَّةَ، وَتَعْمَلُ فِيهَا الرِّجَمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا
الْحُقُوقَ مَطْلِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخى عاصم بن زياد. قال: وما له؟
قال: لیس العباءة وتحلى عى الدنيا. قال: عى به، فلما جاء قال:

يَا عَدُوَّ نَفْسِي لَقَدْ اسْتَهْتَمَ بِكَ الْحَبِيبُ، أَمَا رَجِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ
لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت فى خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك! قال:

وَيُحَدِّثُ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَيْمَةِ الْغَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ
بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ قَعْرُهُ.

أول: استمهامة للعلاء في معرض التوبيخ لما أن ذلك ينفي زهد في الدنيا. و
قوله: ويلى، الى آخره هداية له الى وجوب استعمالها في مرضاة الله بعد التفريط في
بنائها. ومطلع الحقوق مصارفها الشرعية. وقوله: على به بنوب مناب فعل لأمرى:
انتوى به. وعدى تصغير عدو وبهيه له عما فعل لأنه لم يكن على وجهه، بل فهم منه أنه
عن جهل وهوى، واستلزام ترك حقوق تلممه شرعا لأهله ولده. والهيام: انذهاب في الله.
واستهام بك الخبيث أى: طيب منك الشيطان الهام وزيه لك. وقوله: فكيف بك
ي: فكيف بك هذه الحال، و لت القدوة: جواهر عنه السلام بالفرق بينهما.

٢٠٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث الدُّع، وعما في أبدي الناس من اختلاف الحبر فقال
عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذْبًا، وَنَاسِحًا وَمُنْسُوحًا، وَغَامًّا وَنَحَاسًا،
وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَهَمًّا. وَلَقَدْ كَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
سَلَّمَ، عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وَأَمَّا أَنَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْتَعُهُ رِجَالٌ لَيْسَ لَهُمْ خَافِئٌ:

رَجُلٌ مُتَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَتِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَسْتَأْمُرُ وَلَا يَتَحَرَّجُ بِكَذِبٍ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُتَعَمِّدٌ؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُدْرِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا
مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَأَاهُ، وَ
سَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِيفَ عَنْهُ فَيَا حُدُونُ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَحْرَكَ اللَّهُ غِيَّ الْمُتَافِقِينَ بِمَا أَحْبَبَكَ،
وَوَضَعَهُمْ بِمَا وَضَعَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا تَعْدُهُ -عَنْهُ وَآلِهِ السَّلَامُ- فَتَقَرُّوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ،

وَالدَّعَاؤَ إِلَى النَّارِ بِالرُّورِ وَلِتَهْنِائِهِ، قَوْلَهُمْ الْأَعْمَالُ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ،
وَأَكْبُوا بِهِمْ لُدُنْيَا، وَبَنَّا لَدُنْ مَعَ الْمُلُوكِ وَأَدْنِيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.
وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، قَوْمَهُ فِيهِ وَلَمْ يَتَّعِذْ كَذِبًا،
فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيُزَوِّيه وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمٌ فِيهِ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذِبٌ لَرَفَضَهُ!
وَرَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ
لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ، وَلَمْ
يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَهِدَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِثْلَهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ
لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرَجَ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُنْهَضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؛ وَ
تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهْمُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاءَ بِهِ
عَلَى مَا سَمِعَهُ: لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَتَعْمَلُ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَبَّ
عَنْهُ، وَعَرَفَ الْحَاصِ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَنَاءَ وَمُحْكَمَهُ.
وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْكَلَامُ لَهُ وَخَهَانٌ: فَكَلامٌ
حَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ مُنْهَضًا بِهِ، وَلَا مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيُحْمِلُهُ لِسَامِعٍ، وَيُؤَخِّهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِعُقْبَانِهِ، وَمَا نُقِصَ بِهِ، وَ
مَا خَرَجَ مِنْ أَخْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ
يَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالْقَدْرِيُّ فَيَسْأَلُهُ عَنْهُ السَّلَامَ
حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، لَا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهَذِهِ وَحُورُهُ مَا عَلَيْهِ
النَّسْ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

اقول: احاديث السبع: الأحاديث المسرعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله،
والمكذوبة عليه، والذي ترتكب منها البدع وهي: محدثات الأمور في الدين بما لا حجة
شرعية فيه. والحفظ: ما حفظ عنه عليه السلام. والوهم: ما غلط فيه فوهم مثلاً أنه عدم
والمراد به الخصوص: أو أنه ثابت وهو منسوخ، ووجه لخصر في قسمة رجال الحديث،

أنا الناقل له المستسبب إلى الاسلام، أنا منافق، أولا؟ والثاني: أنا ان يكون قدوهم فيه
 أولا؟ والثالث: أنا ان يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية اولا يكون. وذلك
 على الحصر بقوله: ليس لهم حامس وشار إلى الاول بقوله: رجل منافق، إلى قوله: فهذا
 احد الاربعة. ويتصنع بالاسلام يتزين به ويتحلى به في عبث أهله. ولا يتأثم: لا يعترف
 بالاثم ولا يحجم عنه. ووجه التشبه في قبول قوله: طهر الاسلام وصحبه، لرسول
 عليه السلام. وخسر الله تعالى عن المصافقين كقوله: (أنا المصدقين في الدرك الأسفل
 من النار) الآية^١ وسجوها. ووصفهم بالكذب في قوله تعالى: (والله يشهد ان المصافقين
 لكاذبون)^٢ وثمة الصلال: بنوامية. وأشار إلى اسأى بقوله: ورجل سمع مسي، إلى قوله:
 رفضه وإلى الثالث بقوله: ورجل ثالث، إلى قوله: لرفضه. وإلى الرابع بقوله: وآخر رابع
 إلى قوله: ومحكمه وهو ظاهر.

٢٠١- وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَكَانَ مِنْ أَقْبَرِ خَيْرُوكِهِ، وَتَبِعَ لَطَائِفَ صُنْعِيهِ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ السَّحْرِ الرَّاجِرِ
 الْمُتَرَكِمِ الْمُتَعَايِفِ نَبْشًا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَقَهَا سَعَّ سَمَوَاتٍ بَعْدَ أَيْتَانِهَا،
 فَاسْتَمَشَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَحْضَرُ الْمُتَعَجِّرُ، وَلَقَمَهُمُ
 الْمُسْحَرُ قَدْرَ لِقْمِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْخَارِي مِنْهُ بِحَشِيَّتِهِ، وَحَلَّ بِلَايِدِهَا، وَ
 نُشِزَ مُتَوْبِهَا وَأَطْوَادُهَا، فَأَرْسَاهُ فِي مَرَايِبِهَا، وَالزَّنْهَ قَرَارَتِهَا، فَمَصَّتْ رُؤُسَهَا فِي الْهَوَايِ،
 وَرَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنَهَتْ جَبَانَهَا عَنْ شُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَفْطَارِهَا وَ
 مَوَاصِيحِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قَلَابَتَهَا، وَأَطْلَلَ أَنْسَارَهَا، وَجَعَلَهَا لِأَرْضٍ عِمَادًا، وَأَزْرَقَهَا فِيهَا
 أَوْبَادًا، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَسْبَدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيحَ بِحَمِلِهَا، أَوْ تُرَوَّلَ عَنْ مَوَاصِيحِهَا.
 فَسُحَّانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَحَايِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا يَحْمِيهِ
 مِقْدَادًا، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرْسًا! فَوْقَ نَحْرِ لَجَجِي رَاكِدٍ لَا يَخْشَى، وَقَابِمْ لَا يَسْرِى، تُكَرِّرُهُ الرِّيحُ

١ - سورة الباء / ١٤٥

٢ - سورة المائدة / ١

الْعَوِصِفُ. وَتَمْحُصُهُ الْعَمَامُ الدَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَحْتَسِبُ).

اقول: «شارههـب الى ان اصل الاجرم السماوية والأرضية هو الماء. ووصف كيفية تكونها عنه، وقد مر ذلك في الحطبة الأولى. وتعاصفه تراء أمواجه. والس الجامد الأرض وحده هو ما مضى به لها من الهابية. والضمير في يحملها لليس. والمنعرج: السبال كثير الماء. والمقدم: البحر. وحبل: حلق. وجلاميدها: صحورها. وانهد: رفع. واساح: ادخل. وانصابها: جمع نصب و هو لما انتصب منها. والانشز: جمع نشز وهو العوالى مها. وارزها: غررها. وروى محمداى: اثتها. واكافها: اقطارها. وتكركره: تردده وتصرفه. والفصل واضح، وبالله التوفيق.

٢٠٢ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْمُهِّمُ اَيُّمَ عَشِيرٍ عِيْدِكَ سَمِعَ مَفَانِنَا نَعْدِلَهُ خَيْرَ الْخَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الَّذِينَ وَلَدُنِيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهَا إِلَّا اسْكُوصَ عَنْ نَصْرَتِكَ، وَالْإِنْقَاءَ عَنْ إِغْرَازِ دِيْدِكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهْدَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ أَنتَ تَعْدُ لِمَنْ عَنِ نَصْرِهِ، وَلَا أَحَدٌ لَهُ بِدُنْيِهِ.

اقول: الفصل استعمار لأصحابه الى الجهاد بدعاء الله، واستشهاده على المتقاعدين عن صوته تخويفا وجندا بذلك الى مصره الدين. والكوص: الرجوع.

٢٠٣ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ لِمُخْلُوفِينَ، أَعْلَابٍ لِمَقَالٍ الْوَاصِفِينَ، الطَّاهِرِينَ بِعَثَابِ تَدْبِيرِهِ لِبَسِّ طَيْرَتَيْ، التَّاطِينَ مَحَلَّالٍ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُشَوَّهِمِينَ، الْعَالِمِينَ بِبَلَا أَكْتِسَابِ، وَلَا أَرْزَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُعْذِرِينَ لِمَجْمَعِ الْأُمُورِ بِأَرْوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَعْشُهُ أَعْظَمُ،

وَلَا يَسْتَقْبِلُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَخْرِي عَلَيْهِ نَهْجٌ، لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ، وَلَا يَعْلَمُهُ بِالْأَخْبَارِ.

اقول: غلبه لمقال الواضعين: امتناعه بكمالاته وصفاته عن احاطة و فهم به. و بطونه: خفاؤه عن تعلّق لمكر به لجلالته ونورهته عن مباسية من شأنه كذلك، والمقدر: الموحد، ولزوية: المكر، والضمير: ما اضم من عزم و ارادة و جوها، و يرهقه: يدركه. و ظهر تقديس علم الله تعالى و تنزه ذاته عن الأسباب والواحق المذكورة. و أما لم يكن علمنا له بالاحارالات الاخبار انما يصدق اد اسدت الى محسوس، تعالى الله عن ذلك.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
أَرْسَلَهُ بِأَصْنَاءٍ، وَقَتَّمَهُ فِي الْإِضْطِقَاءِ، فَرَقَّنَ بِهِ الْمَعَاتِقَ، وَسَاوَرِيهِ الْمُعَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْخُرُوبَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الصَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

اقول: اراد بالمفاتيح: امور العالم المستعرقه، ورتفها بطاها به. والمساورة: المعادلة. والصعوبة: صعوبة المشركين. والحزونة حزونة طريق الله. و سرح الصلال عن يمين و شمال: طرح رذيلتي الافراط والتفريط عن قوى نفس العاقبة كالفء جنبتي الحمل عن ظهر الدابة. وهو من لطيف الاستعارة.

٢٠٤ - وَمِنْ حُطْمَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ، وَحَكْمٌ فَضْلٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عِيَادِهِ كُلَّمَا نَسَحَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ، جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسَيِّمِ بِهِ عَاجِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَقَّقَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَايِمَ، وَلِلطَّغَوَةِ عِصْمًا، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْرًا مِنَ اللَّهِ: يَقُولُ عَلَى الْأَلَيْسَةِ، وَيُنَبِّتُ الْأَفْيِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَشْفٍ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَخَفِّينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصِلُونَ
بِالْوَلَايَةِ، وَيَتَنَاقِضُونَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ، وَيَصُدُّونَ بِرِيَّةٍ، لَا تَسُوبُهُمُ الرِّبَاةُ،
وَلَا تُشْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبِيَّةُ، عَلَى ذَلِكَ غَمَدَ خَلْقُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ، فَعَلَيْكَ يَسْحَاوُونَ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ،
فَكَانُوا كَتَفَاصِلِ الْبُذْرِ يُنْتَقَى، فَيُوحَّدُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّرَ التَّحْلِيلُ، وَهَذَبَ التَّمْجِيسُ،
فَلْيَنْقَلِ أَمْرُ كَرَامَةِ بَقِيَّتِهَا، وَلْيَعْدَرْ قَارِعَةٌ قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ أَمْرُ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ
مُقَامِهِ، فِي مَثَرٍ حَتَّى تَسْتَبِيدَ بِهِ مَثَرٌ لَا، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُتَقَبِّهِ، فَطَوْنِي لِيَذِي
قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطْعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَبَّتْ مَنْ يُرِيدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِصِرِّ مَنْ بَصُرَهُ،
وَطَاعَةِ هَدَى أَمْرَهُ، وَبَادَرَ الْهَدَى قَبْلَ أَنْ تُعْلَقَ أَرْبَابُهُ، وَتُقَطَّعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَ
أَمَطَ الْحَوْبَةَ. فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهَدَى نَهْجَ السَّبِيلِ.

اقول: سح الخلق: نفهم عن أصولهم بالتناسل، واراد كلما اوجد فرقتين من الخلق
عن اصولهما جمعه في خيرهما كما قال صلى الله عليه وآله: (انا محمد بن عبد الله بن
عبدالمطلب ان الله خلق الخلق فجعنى في حَرِّهم، ثم جمعهم فرقتين، فجعلنى فى
خيرهم، ثم جعلهم قبائل، فجعنى فى حَرِّهم، ثم جعلهم ديونا، فجعلنى فى خيرهم، فأنا
خيركم بينا وخيركم نفسا). ولم يسهم فيه عاخر: اى: لم يكن لزلنا فيه شرك كما قال
صلى الله عليه وآله: لم يزل ينقلنى الله تعالى من اصلا ب لطاهرين الى ارحام الطاهرات.
وقوله: عصماء، اى: قوموا دلة يعتصم بها ويلجأ اليها فى المعونة على الطاعة. وقوله: يقول
الى قوله الافئدة: تفصيل لوجوه المعونة، والصمير فى يقول: الله، او دعون مجازا. وقوله:
على الألسنة: كما فى القرآن الكريم. وتشبته للأفسدة، اى: على محبته وطاعته،
ته كبره تعالى. ولطائف موعظته ووعده وعيده فى كتابه العزيز كما قال: (الا بذكر الله
تطمئن القلوب) وما فيه الكمية هو ذلك المون. والولاية بالكسر: الاسم من الولي وصله
اقرب، وبالفتح: مصدر و اراد أنهم يتوصنون فى قريتهم من الله وتجمعهم محبته. و
استعار لفظ الكأس الزوية، والزية الفضة من الزى و اراد أنهم لا يعترفون الا عن فائدة. و
قوله: على ذلك اى على ما عُد من مكارم الاخلاق فى صفات عباد الله، ولا تشوبهم

الريّة، أي: لا يتذاحمهم شئ في الدّين سداً أو في صحتهم. وقوله: فكبوا كفضائل
 البدن، أي: كانوا في الأساس كسدر السّند، ويعيداتهم أفضل من غيرهم مع نقائصهم.
 وبنه على وجه شبه بقوله: بتقى، أي: قوه: انتمحص وهو الاحتار، والكرامة: مصحته
 في طاعة ربه. أي: الحسّ لثام، والفارعة: الشّدة من شدائد الدهر، ومعارف استغاله:
 الموضع التي يعلم سقاء البها، وسيم: لم يتبس بالعقائد ساطعة ومن يهديه: أئمة
 الذين ومن يردية: أئمة اتصال في مهوى الهلاك، وبحوة: الأثم، وبالله التوفيق.

٢٠٥ - وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِيْكَ أَلْبَنَى لَمْ يُضِغْ بِيْ مَيًّا وَلَا سَقِيْمًا، وَلَا مَضْرُوبًا غَنَى غُرُوقِيْ بِسُوءٍ وَلَا
 مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِيْ، وَلَا مَقْطُوعًا ذَا بَرِيْ، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِيْنِيْ، وَلَا مُنْكَبَرًا لِرَبِّيْ، وَلَا
 مُسْتَوْحَشًا مِنْ إِيْمَانِيْ، وَلَا مُتَبَسِّئًا عَفْصِيْ، وَلَا مُعَذِّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَتْلِيْ. أَصْبَحْتُ عَذًّا
 مَمْلُوكًا لِمَا لَيْفَئِيْ، لَكَ الْحُجَّةُ عَنِّيْ وَالْحُجَّةُ لِيْ. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ حُدَّ إِلَّا مَا أُعْطِيتُ، وَلَا
 أَنْقِي إِلَّا مَا وَقَّيْتُ.

اَللّهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَفْتَبِرَ فِيْ عَيْدِكَ، أَوْ أَضِلَّ فِيْ هَذَاكَ، أَوْ أَضَامَ فِيْ سُلْطَنِكَ،
 أَوْ أَصْطَلَهْتَ وَأَلْمَزْتَكِ.

اَللّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِيْ أَوَّلَ كَرِيْمَةٍ تَسْرِعُهَا مِنْ كَرَامَتِيْ، وَ أَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ
 يَغْمِكَ عِبْدِيْ.

اَللّهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفَتِّشَ عَنْ دِيْنِكَ، أَوْ نَتَّاعِقَ بِمَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ
 اِهْدَى الْاِلٰهِي حَاءَ مِنْ عَيْدِكَ .

اقول. الذّابر: يظهر. والده بر: بقية الرجل من ولده وسله. والإتياس. الإحلاط. و
 كرائمه: قواه واعصاؤه التي تكرم عهده، وراد متعني بجميع قواي وحوارجي سسمة أي
 آخر عمري، لأنّ شرّاع بعض قبل جمع كرائم يسبزم معاودة سليمة من الآفات أي
 حين الممات، وبحوة فوب الرسول صلى الله عليه وآله (اللهم متّعني بسمعي وبصري و

٢٠٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بصمن

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاضُّعِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاضُّعِ، لَا يَخْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا خَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَتَوَكَّلْ لِحَدِّ أَنْ يَخْرِي لَهُ وَلَا يَخْرِي عَلَيْهِ لَكِنْ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ يُقَدِّرِيهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا حَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ حَقٌّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَحَقٌّ جَرَاءُهُمْ عَلَيْهِ مُصَاعَفَةُ التَّوْبِ تَمْضًا مِنْهُ وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُفُوفِهِ حُفُوفًا فَمَرَّضَهَا لِيَتَمَسَّ النَّاسُ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَنَكُّافًا فِي وُجُوهِهَا، وَبُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجِبُ تَعْصُهَا إِلَّا بِتَعْصِيٍّ. وَأَعْظَمُ مَا اقْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ بَلَاغِ الْحُفُوفِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةُ فَرَضِهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِيَكُنَّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِطَامًا لَا لِعَيْنِهِمْ، وَعِزًّا لِيَدِيهِمْ فَلَمَّسَتْ تَضَلُّعُ الرَّعِيَّةِ، لَا يَصْلَاحُ الْوَلَاةُ، وَلَا يَضْلُجُ الْوَلَاةُ، لَا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَذَتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَذَى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ غَرَّ الْحَقُّ تَبَتُّهُمَ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَغَنَّدَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَنَى أَذْلَافِهَا الشُّسُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطَمِعَ فِي بَقَايِ الدُّوَلَةِ، وَبَيَّسَتْ مَظَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتْ الرَّعِيَّةُ وَلَيْهَا، أَوْ أَسْخَفَتْ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ احْتَلَمَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْخَوْبِ، وَكَثُرَ الْإِدْعَالُ فِي الدِّينِ، وَتَرَكَّتْ مَحَاحِ اسْتِنِ، فَمِغْلَ بِالْهَوَى، وَغَطَلَتْ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظَمِ حَقِّ عَظَمٍ، وَلَا يَعْظُمُ بِأَبْلٍ قُبُلٍ!! فَهَسَايَكَ تَذِلُّ الْأَبْزَارُ وَتُعِزُّ الْأَشْرَارَ وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّسَاضِجِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ أَشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ جِرْصُهُ، وَظَلَّ فِي الْعَمَلِ أَجْتِهَادُهُ - بِتَالِجِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ [لَهُ] وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُفُوفِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةِ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ،

وَلَيْسَ أَمْرُوهُ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مِثْرَتُهُ، وَعَدِمَتْ فِي اللَّيْلِ فَصِيلَتُهُ. يَقُولُ أَنْ يُعَدَّ عَلَى مَا حَمَنَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا أَمْرُوهُ. وَإِنْ صَعُرَتْهُ النُّفُوسُ، وَافْتَحَمَتْهُ الْعُقُودُ بِدُونِ أَنْ يُعَيَّنَ عَنَى ذَنْتَ، أَوْ يُدَبَّ عَيْنِي.

فأجابه عنه اسلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه النشاء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِثْرُهُ. لِعَظَمِ ذَلِكَ. كُلُّ مَا يَسْأَلُهُ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ رِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَرَادَ أَنْ يَحَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عِظْمًا، وَرَأَى مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ ضَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي طَنُكُمُ أَمِّي أَحِبُّ الْإِطْرَاءِ، وَأَسْتَمَاعِ الشَّيْءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ. كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْ يَحْطَطَّ اللَّهُ مُسَبِّحَهُ عَنْ تَنَاقُي مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَرَبَّمَا اسْتَخْلَى النَّاسُ النَّشَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تَنْشَأُوا عَلَى مَحْبَبِلِ اللَّهِ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَلِنَفْسِي مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَانِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِنْصَافِهَا، فَلَا تَكْثُرُوا بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَحْطَطُّوا مَعِيَ بِمَا يُتَحَمَّطُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَايَرَةِ، وَلَا تُحَاطِلُونِي بِالْمَصَافَةِ، وَلَا تَطْلُؤُوا بِي أَسْتَيْدَلًا فِي حَقِّ قِيَمِي، وَلَا الْيَتَاسَرَ بِعُظَامِ نَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْتَيْدَلِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلُ أَنْ يُغَرَضَ عَلَيْهِ كَدَنُ الْعَقْلِ بِهَيْسَا عَلَيْهِ أَثَمٌ، فَلَا تَكْفُرُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَسُورَةٍ يَعْدِلُ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي يَقُولُ أَنَّ أُحْطَى بِهِ، وَلَا أَمْرُ ذَلِكَ مِنْ يَعْلَى إِلَّا أَنْ يَكْفِي اللَّهَ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَدْرَأْتُمْ عَلَيْهِ مَسْلُوكُونَ لِرَبِّ لَارِبَ غَيْرُهُ؛ يَمْلِكُ مِنِّي مَا لَا تَمْلِكُ مِنْ أَمْسِيَاءِ، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَنْتَ بَعْدَ الصَّلَاةِ بِالْهُدَى، وَأَعْظَمْنَا النُّصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

اقول: إنما كاد الحق في التواصف أوسع منه في التناصف، لأن القول أسهل وأيسر كفة من العمل. ومعالم العدل: مضافه. وإدلالها: وجوها وطرقها. واحصف به: ذهب بأصله. وإلادغال: الإفساد. والمحتاج: الطرق الواضحة. وعدل النفوس: شهاتها في

مخالفة الحق. وقوله: فعليكم بالنصح في ذلك أي: في حفظ حق لوالى عى رعيته و
 حقهم عليه. وقوله: وليس امرؤ الى قوله من حقه، أي: أنه و ن بلغ المرء اعظم درجات
 طاعة الله، فهو محتاج ان يعان عليها وليست درجته تلك بأرفع من ان يعان على ما حملة
 الله تعالى مسها، وذلك ان تكليف الله تعالى بطعته بحسب وسع المكلف والوسع
 في الطاعة: قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغنى احد عنه. وقوله: ولا مرؤ الى
 قوله: او يعان عليه، أي: أنه لا ينبغي ان يحترق احد عن الاستعانة به في طاعة الله وان
 اقتحمته النفوس أي: استصغرت، فإنه ليس بدون ان يعين على طاعة الله ولو قبول الصدقة
 مثلا وغرضه من ذلك اتقاء الكفة والاتحاد في الدين، واسحق: اضعف. وصالح
 الناس: اكثرهم. وقوله: وربما، الى قوله البلاء: أي: ربما استحل من ابني بلاء حسنا
 ان يمدح واحب أن يشى عليه بعد بلائه. واللام في قوله: لأخراحي متعلق بقوله: كرهت
 واراد ان غرضي من طاعتي اخراحي نفسي من قبة حقوق الله الواجبة علي له ولكم
 بأمره، فكأنه قال: واذا كانت طاعتي اداء ما يحب علي فكيف استحق به ثناء.
 والبذرة: سرعة الغضب وما يتحفظ به عند هل البذرة كترك المسارة مثلا في محالس
 المدوك، اجلالا لهم وخوفا منهم. وما كـ فيه هو: ضلال الحاهلية. وما صدحتا عليه
 أي: الاسلام والهدى.

٢٠٧. وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَنِّي قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجِيئِي وَأَكْمَأُوا إِنَائِي، وَأَخْمَعُوا
 عَنِّي مُتَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوَّلِي بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ
 أَنْ تُنْقِضَهُ، فَضِيرٌ مَعْمُومًا، أَوْ مُتٌ مُتَأَسِّفًا، فَتَطَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَفْدٌ، وَلَا ذَنْبٌ،
 وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَصَنَعْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَيْيَةِ فَأَغَضَيْتُ عَنِّي الْقَدَى، وَجَرَعْتُ رِيئِي
 عَنِّي الشَّحَى، وَصَحَرْتُ مِنْ كَطْمِ الْعَيْطِ عَنِّي أَمْرٌ مِنَ الْعَلَقَمِ، وَالْمُ لِيُغْلِبَ مِنْ حَزَنِ الشَّامِ.
 قال الرضى: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أنى كررته ههنا
 لاختلاف الروايتين.

أقول: استعديك: اصطب عدوك أي: معونتك. وكمأت الاماء: كبيتته وجهه، وهو كدية عن قلسهم لأمره وتعبيرهم لمخالفة عهده وهو الحق أنى كان أولى به. وسرافد: لمعيت. وصنت: سحنت. ولشحي: ما يعرض في الحق من عظم وغيره، وهو كدية عن العلم ولأنهم الحاصل له. والعلف: شحرم. وقدمت تفسير مثله.

منها في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام:
 قَدَّمُوا عَلَى عُمَيِّ وَحَرَّانَ تَبَّتْ قَالِي الْمُسَيِّمِينَ لَيْدِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مَضَرٍ كُلُّهُمْ
 فِي طَاعَتِي وَعَلَى شَيْعَتِي، فَسَتُّوا كَيْلَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَنِّي جَمَاعَتَهُمْ، وَوَتُّوا عَلَى
 شَيْعَتِي، فَفَلُّوا طَرِيقَهُ مِنْهُمْ عَدْرًا، وَطَرِيقَهُ مِنْهُمْ عَصَا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَصَارُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا
 اللَّهَ صَادِقِينَ.

أقول: عصوا على أسيفهم أي رموها، وقد اشربا إلى طرف من حال السائرين إلى
 لبصرة لحربه في الأصل وسقيا به هذا العصف مشروحا.

٢٠٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطبحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قبيلان يوم الحمل

لَقَدْ أَضْحَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَهْدًا لَمَكَانَ غَرِيبًا! مَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ
 قَتْلِي تَحْتَ ظُلُونِ الْكُؤَاكِبِ، أَذْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ نَبِيٍّ عِنْدَ مَنَاقِبٍ وَأَفْتَنِي أَغْيَانُ بَنِي خُثَمٍ،
 لَقَدْ أَتْنَعُوا أَغْنَاؤَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ، فَوَقُّصُوا دُونَهُ.

أقول: كان طبحة وابير من بني عبد مناف من قبل الام. وجمع قبيلة وكان في
 زمنه عليه السلام منهم: عبيد الله بن صفوان بن أمية بن خنفة، وعبدالرحمان بن صفوان. و
 قيل: كان مروان بن الحكم، منهم اخذ اسيرا يوم الحمل، واستشع بالحسن الى أبيه

عسهما السلام. وروى غيرنا العيس المعجمة اى: جهلائهم، وبالمهملة: جمع غيره وغير القوم سيدهم. واتبعوا اصاقهم: رفعوها وندوها كالمتضعين، وهو كدية عن تضاولهم الى امر الخلافة. وقصوا: كسرت عناقهم. وبالله التوفيق.

٢٠٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قَدْ أَخْبَا عَقْبَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ حَيْلُهُ، وَلَقُفَتْ غَلِيظُهُ، وَتَرَقَّى لَهُ لَامَعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَنَانَ لَهُ الطَّرِيقُ. وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَفَّعَتْهُ الْأَبْوَاتُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَتَبَيَّنَتْ رِجْلَاهُ بِظَمَائِيَّةٍ بَدَتْ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَبْلَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

اقول: يشير الى وصف العارف فأحبي عقله بالرياضة التامة، وتحصيل الكمالات العلمية والعلمية وتكميل قوته بهما، وأدته به اى: الامارة بالسوء بتسوييعها لعقله و كسرها بالمعبدة والزهد الحقيقي. واسعار وصف الامانة لقطعها عما يخصها من المشتبهات التى هى مائة حياتها من حيث هى نفس اقدرة. وكسى حبليله عن بدنه ودقته لانتقاطع مادة توسعه فى المشتبهات. وغليظه: امه بدنه او طباعه وقواه فأنها يلطف بالرياضة بعد غلظها وقساوتها. وأشار بالآم الى ما يعرض للمساكن عند بلوغ الارادة والرياضة حدًا ما من الحساسات الى الجانب الأعلى، من ظهور أنسوار الهمة لعدة شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه واختصائه، وتمك النومع مسماة فى عرف المحردين بالآوقات. وهذه اللوامع فى مبدأ الامر تعرض قليلا هذا المعنى فى الارتباض كثرت، فأشار باللامع الى نفس ذلك النور، وبكثرة بروقه الى كثرة عروضه له بعد الامعان فى الرياضة. وقوله: فأنان له الطريق اى: أظهر له ذلك اللمعن طريق الحق الى الله تعالى، وكان سببا لسلوكه فى سبيله اليه، وتداخعت الابواب اى: ابواب الرياضة من الرهد والعبدة وغيرهما. ووجه الدافع هاهنا انتقاله من باب الى باب منها، ومن عبادة الى اخرى. فكأنها تدافعه. وباب السلامة هو الباب الذى يبقى فيه السلامة من الإنحراف عن اصراط المستقيم، بمعرفة تلك هى الطريق ويشبه ان يكون هو لوقت. وقوله: وثبتت رجلاه، الى قوله: والراحة فى قرار

الامر: اشارة الى درجة اعلى، ويسمى طمانينة، وذلك ان السالك مادام في مرتبة بوقت فانه يعرض له عند لمعد تدب البروق في سره اضطراب وانزعاج يحس به حليسه لان النفس اذا فاحتها امر عظيم انزعجت به، فاذا كثرت تدب البعوض الفتها فصارت بحيث لا تنزعج عنها بل تسكن اليها وتطمئن عندها، لثبوت قدم عقبتها في درجة اعلى من درجات الجنة التي هي قرار الأمن ولراحة من عذاب الله. وقوله: بما استعصم: متعلق بثبتت اي: بسبب هذا. وبالله التوفيق.

٢١٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله بعد تلاوته: (اَللّٰهُمَّ التَّكَاثُرُ حَتّٰى رَزُمَ الْمُفْقِرُ)

يَا لَهَ مَرَامًا مَا أَبْعَدُهُ، وَرُؤًى مَا أَغْفَلُهُ، وَحَظًّا مَا أَفْطَعُهُ، لَقَدْ سَتَحَلُّوْا مِنْهُمْ أَيْ مُدَكِّرِ، وَتَوَسَّوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ نَعِيْبٍ!! أَيْ مَصْرِعَ يَتَبَخَّرُونَ أَمْ بِعَيْدِ الْهَلَكِي يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ، وَحَرَكَ بِ سَكَنَتْ، وَلَئِنْ يَكُونُوا عِزًّا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُضْجَرًّا، وَلَئِنْ يَهْطِلُوا بِهِمْ خَنَابٌ دَلَّةٌ أَحَقَّى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِيْرَةٍ!! لَمَدَ نَصْرُو، إِلَيْهِمْ بِأَنْصَارِ الْعِشْقَةِ، وَصَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمَرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوْ اسْتَنْظَفُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ نَيْتِ الدِّيَارِ الْحَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا، وَدَفَنْتُمْ فِي أَغْفَابِهِمْ خُفَالًا، تَصَاوَوْا فِي هَدْمِهِمْ، وَتَسْتَشْتُونَ فِي أَحْسَادِهِمْ وَتَرْعُونَ فِيْمَا لَقَطُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيْمَا خَرَبُوا، وَإِنَّمَا لِأَيَّامٍ يَتَسَكَّمُ وَيَتَنَّهُمْ بَوَالِكُ وَيَوَائِحُ عَمِيَكُمْ.

أُولِيكُمْ سَلَفٌ عَائِيَكُمْ، وَقُرَاطٌ مَتَّهِيكُمْ، الْيَدِي كَذَتْ لَهُمْ مَقَامِ الْيَعْرِ، وَحَلَبَاتُ الْقَحْرِ، مُلُوكًا وَسُوقًا، سَلَكُوا فِي بَطْوِي آيَزَجِ سَبِيلًا، سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَكَلَّتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَخَايِ قُبُورِهِمْ جَسَادًا لَا يَتَمَوَّنُ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ، لَا يُفْرِغُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْرِئُهُمْ تَكَرُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَخْفِلُونَ بِالرَّوَاخِفِ، وَلَا يَأْدُنُونَ بِلِقَاوِصِيفِ، غَمًّا لَا يَنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كُنُوا جَمِيعًا قَسْتَوًا، وَأَلَا فَاغْفِرُوا، وَمَا عَنْ طَوِيلِ عَهْدِهِمْ وَلَا بَعْدَ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَحْيَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ،

وَلِكَيْتَهُمْ سُمُوا كَأَسَا بَدَنَتْهُمْ بِالطَّقِ حَرَمًا وَبِالسَّيْنِ صَمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوتًا فَكَأَنَّهُمْ فِي
أَرْتَجَلِ الصَّفَةِ صُرْعَى سُبَاتٍ، حَيْرَانٌ لَا يَتَأَسُّونَ، وَأَجْسَاءٌ لَا يَتَرَاوَرُونَ، يَلِيتُ بَيْتَهُمْ عُرَى
التَّعَارُفِ، وَاتَّقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْأَخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَجِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَايِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ
أَجْلَاءٌ، لَا يَتَعَارَفُونَ لَيْلًا صَبَاحًا، وَلَا يَنْتَهَارُ مَنَاءً، أَيْ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَأَن غَلَبَهُمْ
سَرْمَدًا، شَاهَدُوا مِنْ أَحْطَارِ دَارِهِمْ أَطْعَمَ مِمَّا نَحَدُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَغْطَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكُنَّا
الْغَدِيرَيْنِ مَدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَايِدِهَا، فَانْتَبَهَ مِنَ الْخَوْفِ وَلَرَجَاءِ، فَلَوْ كُنَا يَطْطُقُونَ بِهَا نَحْنُ
بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَحْبَابُهُمْ، لَقَدَّرَجَعَتْ فِيهِمْ
أَبْصَارُ الْبُحْرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ عَرِجَتِ السُّنَنِ، فَقَالُوا: كَتَبَتْ
الْوَحْشَةُ الْوَأَصِرَ، وَخَوَّبَتْ الْأَجْسَدَ الْتَوَاعِمَ، وَلَبَسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى، وَنَكَأَ دَنَا ضِيقُ الْمَضْجِعِ،
وَنَوَارَتْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّوْعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَابِرُ أَجْسَادِنَا، وَتَكَثَّرَتْ
مَعَارِفُ صُورِنَا، وَطَلَّتْ فِي مَسَاكِينِ الْوَحْشَةِ إِقْدَمَتُنَا، وَلَمْ نَحْذَ مِنْ كَرْبٍ قَرَحًا، وَلَا مِنْ ضِيقٍ
مُسْتَعْمًا فَلَوْ تَلَقَّاهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُنَيْتَ عَنْهُمْ مَخْخُوبُ الْبَطْنِ لَكَ، وَقَدْ أَرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ
بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ، وَاسْتَحَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ بِالشَّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتْ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ
بَعْدَ دَلَا قِيَاهَا، وَهَمَدَتْ الْعُقُولُ فِي صُدُورِهِمْ نَعْدَ تَقَطُّعِهَا، وَغَاتَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ
جَدِيدٌ بَلَى سَمَجَّهَا، وَسَهَّلَ طَرُقَ الْأَقْفِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبَ تَجْرَعُ؛
لَرَأَيْتُ أَشْجَبَ قُلُوبٍ، وَأَقْدَأَ عُيُونٍ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فَطَاعَةِ صِفَةٍ حَالٌ لَا تَنْتَقِيلُ، وَعَمَرَةٌ
لَا تَنْجَلِي، وَكَمْ أَكَلَتْ الْأَرْضُ مِنْ غَزِيرِ جَسَدٍ، وَأَبْقَى لَوْ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيٌّ تَرْفِ،
وَرَبِيبٌ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُرْبِهِ، وَيَفْرُغُ إِلَى السَّلَوةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَا
بِعَضَارَةِ غَيْبِهِ، وَشَحَاحَةِ بَلْهَوٍ وَلَعِبِهِ؟! فَيُنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَقُولٍ، إِذْ وَجَلَّى الدَّهْرُ بِوَحْسِكِهِ وَتَقَصَّصَتِ الْأَيَّامُ قُوَّةَ وَطَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ
مِنْ كَتَبٍ فَخَالَطَهُ بَشٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَجَبَى هَمٌّ مَ كَانَ يَحْدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عِلَالِي آتَسَ مَا
كَانَ بِصَحْبِهِ، فَفَرَّغَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَةُ الْأَجْيَاءِ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْمَاءِ وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ
بِالْحَارِّ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِبَارِدٍ إِلَّا نَوَّارَ حَرَارَةٍ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَبَّجَ بَرُودَةٍ، وَلَا اغْتَدَلَ بِمَنَازِحِ
لَيْلِكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَائٍ، حَتَّى قَدَّرَ مُعَلَّلُهُ، وَذَهَلَ مُمْرَضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِمَةِ
دَائِهِ، وَتَحَرَّصُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا ذُوْنَهُ مُجِبِي خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَمَا لَيْلٌ هُوَ

لِيَمَاقِبِهِ، وَمَمَّنْ لَهُمْ إِيَّاتِ غَايَتِهِ، وَمَقَصَّتْ لَهُمْ عَلَى قَعْدِهِ، بُذِّكْرُهُمْ أَسَى الْمَاصِرِ مِنْ قَعْدِهِ.
 قَسِيَّتَمَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ اسْدُنِيَا، وَتَرَكُوهُ لِأَحْيَةٍ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ
 عُضْصِهِ فَتَحَرَّثَ نَوَاقِدُ فِطْيَتِهِ، وَبَسَّتْ رُطُوبَتُهُ لِسَانَهُ فَكَمَ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ حَوَالِهِ عَرَفَهُ قَعِي عَنْ
 رَدِّهِ، وَدَعَا مُوَلِّجٌ لِقَبْضِهِ سَبْعَةَ قَصَصٍ عَنْهُ: مِنْ كَسِرِ كَرَنٍ يُعْطِلُهُ، أَوْ صَجِرِ كَرَنٍ يَرْحُمُهُ، وَرَأَى
 يَلْمُوتُ لَمَمَرَّتِ هِيَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَقْتَدِلَ عَنْ قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

أقول: الكلام في قوله ياله: لام الحرف في المستعاط له، والمنادى محذوف، والمرام
 المتعجب من بعده هو التكاثر دلايته هي والنزور: المتعجب من عمله هم زائرو المقابر،
 والخطر: المتعجب من فطاعته أي: شدته، هو حصر تلك العدة في الآخرة. ولما ذكر محض
 التذكير من الأموات والاعتبار بهم من آثارهم وحالهم الحاضرة. واستحبوا مهم أي:
 تحذوا الأحياء من الأموات تحية ذكر أحوالهم دأبهم. وإي مذكر: استفهام على سبيل
 التعجب من ذلك المذكر في قوة أفدته سعرة. وتناولوهم أي: تناولوهم من جهة بعيدة،
 وهي افتحار كثر أبيه، وقيلته، ومكرته بالمدح من قومه الذين هم بعد الموت أبعد
 الناس عنه في أنفسهم وكمالاتهم. وأحصى: أولى بالحق وهو العقل. ومقدم الدلة
 مقام الاعتبار بهم، ومقدم العرة مقام الافتخار بهم. وإبصار العشة الإبصار العاشية، والعشة
 ركوب الأمر على جهل، وصافة الإبصار اليها اصافة الموصوف إلى الصفة. ويرتعون فيما
 لفظوا، أي يتمتعون فيما تركوه وراء ظهورهم من متاع الدنيا. والإيام النواكي عبيهم أيام
 الحياة. وسلف غايتكم وفراط مناهنكم أي: الذين سبغوكم اليه. والمنهل: الموارد. و
 مقاوم: جمع مقام لأن أكله مقلبة عن واو. وحليات لفحرة: جماعته. وملوكا: حال.
 والسرزخ: الحائل بين الشيئين وهو ما بين الدنيا والآخرة. ولفحوة: المتسع
 من الأرض. والصمار: العائط الذي لا يرجى إيبه. ويأدون: يسمعون. والآفا: جمع
 السيف. وعميت أخبارهم: انقطع أثرها. وصممت ديارهم: لم يسمع بها صوت، وهما
 مجازان في الاسناد. والساب: النوم. وقوله: فكنتا العيتين أي: غاية المؤمنين والكافرين
 وهما السعادة والشقاوة. مدت أي: صرب لها أجل ينتهون فيه إلى مباءة: وهي المرجع،
 أما البجة وما السارفات ذلك المرجع مالمع الخوف والرحء عظمة. والكليج: تكسر في

عوس. والاهدم: جمع هدم وهو شوب سالى. وتكدنا: شق عيننا. وهكمب: تهذمت. والاشجان الاحزان. وغصارة لعمش: صيبه. ووطىء الدهريه حسكه كالمثل يضرب لمن يقع فى الشدائد. والبث: الهم، وآنس: حال وما: بمعنى المدة. وبصحته: متعلق بآنس اى: انس اوقاته بصحته. والفار: الرد. والأسى: جمع اسوة وهى لاقتداء. وتعدل على عقول اهل لسيا اى: يستقيم تصورها لهم. وبكى الفصل واضح، وبالله التوفيق.

٢١١ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته: (يَحَالُ لَا تَلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا تَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

إِنَّ اللَّهَ سُحَّانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ حِلَاءً لِمُؤَلَّبٍ، تَسْمَعُ بِهِ نَعْدَ الْوَفَرَةِ، وَتُبَيِّرُ بِهِ نَعْدَ الْعِشْوَةِ، وَتَنفُذُ بِهِ نَعْدَ الْمُعَانِدَةِ، وَمَا بَرَّحَ لِلَّهِ عَرَّتْ لَأَوْدُهُ. هِيَ الْبُرْهَةُ نَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَرْمَانِ الْفَتَرَتِ عِبَادَ نَاحِلُهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَتُهُمْ فِي ذَاتِ عُيُوبِهِمْ، فَاُمْتَقَسُوا بِنُورِ يَقْطَعُ فِي الْأَشْمَاعِ وَالْأَنْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يَذْكُرُونَ بِأَيِّمِ اللَّهِ، وَلِحُفُوفِ مَقَامِهِ، بِمَثَرَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْمَلَوَاتِ، مَنْ أَحَذَ الْقَصْدَ حَبِلُوا إِلَى طَرِيقِهِ، وَبَشَّرُوهُ بِالْخَيْرِ، وَمَنْ أَحَذَ تَيْسًا وَيَسًا لَا دُمُومًا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَدَرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ ثَلَاثِ الظُّلُمَاتِ، وَأَدْلَةُ ثَلَاثِ السُّهَابِ، وَإِنْ لِيَذْكُرَ لِأَهْلًا أَحَدُهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْعَبْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا تَبِيعُ عَنْهُ: يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَنْتَهِمُونَ بِالرَّوَاغِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَشْمَاعِ الْعَافِيَيْنِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتُمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا أَطْلَعُوا عُيُوبَ أَهْلِ لُبِّ رِزْخٍ فِي ظُلُومِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِذَابَهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى الدُّسُّ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَبِمِثْلَتِهِمْ لِعَقْلِكَ فِي عَقَائِمِهِمُ الْمُخْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ تَشَرُّوْا دَوَابِيرَ أَعْمَالِهِمْ، وَقَرَعُوا لِحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمْرًا بِهَا فَفَضَرُوا عَنْهَا، أَوْ هُوَ عَنْهَا فَصَرَطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثَقْلَ أَوْزَارِهِمْ طُهْرَهُمْ، فَضَعُّوا عَنْ الْإِسْتِفْلَالِ بِهَا،

فَشَحُّوا شَيْبًا، وَجَاوُوا سَجًا، يَعْبُونَ إِلَى رُتَبِهِمْ مِنْ مَعَارِمِ نَدَمٍ وَأَعْيَارٍ؛ تَرَأَيْتَ أَغْلَامَ هَذِي، وَمَصَابِيحَ دُجَى قَدْ حَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَرَلَّتْ عَيْنُهُمُ السَّكِينَةُ، وَفَتَحَتْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَعَدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ طَلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ قَرَضَى سَعَتُهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَسَمَّوْنَ بِدُعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَرَقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطَوَّلَ الْبُكَاءُ عُيُونَهُمْ، لَكِنْ بَابُ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُ قَارِعَةٍ، يُسْأَلُونَ مَنْ لَا تَصِيقُ لَدَيْهِ الْمَتَادِخُ، وَلَا تَجِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَابِثُ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

اقول: الذكر: هو القرآن الكريم، وقيل: هو ذكر الله مطلقاً. والمتفع به ما كان قلبيا مع دوامه فإنه بذلك يستنزِم محنة المذكور، ولا عراض عَم سواه. واستعار لفظ الحلاء: لارالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر ونسمع به وتصراى: ما تدرك، مما ينبغي ان يسمع من الموعظ ويصبر من العبر بعد وقرة بالجهل وعشوته. والوقرة: الصمم. والعشوة: ظلمة العين. والرهة: المدة الصويبة. ودلت عقولهم انفسهم الباطنة وتكليمهم: بالافاضة والالهام ونور القصة في الاسماع اضلة عقولهم: بالفوائد المسموعة وفي الأبصار اضاءتها من قبل العبر المبصرة. وفي الافئدة: ادراكها للمعقولات وتكتمها بها وانقصد لزوم الفصيلة في القوى العقبية والفساسية، واليمين والشمال: الانحراف عنها الى حائتي الافراط والتعريط منها. وقوله: وحقق الفامة عليهم عدائتها اى: بطول ذكرهم للأخرة ينزل الموعود عندهم من امور اقيامة منلة الوقع المحقق، و مقاوم: جمع مقام وهو مقامهم بين يدي رتبه في خبوتهم به. والنشيج: العصص باليكه دون التحبيب. والمخ: رفع لصوت. ولسكية: مرتبة لسانكبين سبق ذكرها. والتشم انتصار السيم. ولمقة: العفروكى بالايدي القارعة عن الدعواب في طلب ما يرغب الى الله فيه من افاضته العالنية. والمبدح: جمع مبدح وهو لمتمتع. والفصل من افصح العبارات. واغررها مقاصدها.

أَذْخَلَ مَسْئُولٍ حُجَّتَهُ، وَأَطْعَمَ مُعْتَرِ مَغْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جِهَاهُ بِمَقْبِهِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا عَزَلَكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آتَاكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟
أَمَّا مِنْ ذَانِكَ بُلُوكَ، أَمْ لَيْسَ مِنْ تَوَنُّكَ بِقَصَّةٍ؟ أَمَّا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟
فَرَمَتْ تَرَى لُصَاحِي مِنْ لَحْرِ الشَّمْسِ قُطْلُهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالنِّمِضِ حَسَدُهُ، فَتَبْكِي
رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبْرَكَ عَلَى ذَانِكَ، وَحَذْلَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَغَرَبَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ
أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لَا يُوقِضُ خَوْفُ بَيِّتٍ بِقَمَرٍ، وَقَدْ تَوَرَّضَتْ بِمَعَاصِيهِ مَذَارِحُ
سَطَوَانِهِ، قَدْ دَاوَمَ ذَاهِ الْقِشْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِغَرْبَتِهِ، وَمِنْ كَرَى الْقَمَةِ فِي لُطْرِكَ بِتَقْصِهِ، وَكُنْ
لَبِّهِ مُطْلَعًا، وَبِدَكْرِهِ آتِسًا، وَتَمَشُّ فِي حَالٍ تَوَلَّيْتَ عَنْهُ إِفْسَالَهُ عَيْنُكَ: يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ،
وَيَسْتَعْمَلُكَ بِعَفْصِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَكِّلٌ عَلَى غَيْرِهِ، مَعَالَى مِنْ قُوَى مَا أَكْرَمَهُ، وَتَوَاصَعْتَ مِنْ
ضَعِيفٍ مَا أَخْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنْفِ بَيْتِهِ مُقْبِسٌ، وَفِي سَعَةِ قُصْبِهِ مُتَقَسِّبٌ، قَسَمَ
بِمَنْعِكَ قَصْلَهُ، وَلَمْ يَهَيْكُ عَنْكَ بَيْتَهُ، نَبْلٌ لَمْ تَحُلْ مِنْ لُطْفِهِ عَظْرَتِ غَيْرٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا
لَكَ، أَوْ سَيِّئُهُ يَسْتَرْهَا عَلَيْكَ، أَوْ يَلْقَى بِضَرْفِهَا عَنْكَ!! فَطَلَّكَ بِهَلْوَاطَتِهِ، وَأَنْتَ لَوْ أَنَّ هَبِهِ
الصَّعَّةَ كَدَتْ فِي مُتَعَفِّقٍ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَارِبِينَ فِي الْقُدْرَةِ: لَكُنْتَ أَوْجَحَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ
بِدَمِيمِ الْأَحْلَاقِ، وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا ائْتَرَّتْكَ، وَلَقَدْ
كَرَّمَتْكَ الْعِطَاطُ، وَأَدَّشَتْكَ عَلَى مَسَاوِي، وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ تَرْوِيلِ الْبَلَاءِ بِحَسْمِكَ،
وَأَسْفَافِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْقَى مِنْ أَنْ تُكْذِبَكَ، أَوْ تُعَزِّلَكَ، وَلَكِنْ فَاصْصِحْ لَهَا عَنْدَكَ
مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٌ مِنْ خَسِرَتِهَا مُكْذَّبٌ، وَلَنْ تَعْرِفَ نَفْسُهَا فِي الدِّيَارِ الْحَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْحَالِيَةِ؛
لَنْجِدَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ، وَنَلَاغِ مَوْعِظِكَ، يَنْجِلُّهُ السُّبْقُ عَلَيْكَ، وَالشَّجِيحُ بِكَ، وَلَكِنْ
دَرُوسٌ لَمْ يَرْضَ بِهَا ذَرَاءٌ، وَمَسْحُورٌ مَنْ لَمْ يُوْظَفْهَا مَحَلًّا؛ وَنَ السُّعْدَاءُ بِلَدُنِّيَا عَدَا
هُمْ لَهَارُونَ مِنْهَا لَيَوْمٍ.

إِذَا رَحِمْتَ لِرَاحَةِ، وَحَفَّتْ بِخِلَافِهَا الصِّيَامَةُ، وَلَيَحِقَّ مَكْرٌ مَشْكُوكٌ فَهُوَ وَكُلُّ مَعْنُودٍ

عَبْدُهُ، وَيَكُلُّ مَطَاعُ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَمَنْ يُعْرِضْ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ حَرْقُ نَصْرِ فِي الْهَوَاءِ،
وَلَا هَمُّسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ ذَا حِصَّةٍ، وَغَلَائِقُ عُذْرٍ مُتَصِفَةٍ،
فَنَحْرَمُ مِنْ أَمْرِكَ مَا تَعْلُومُ بِهِ عُذْرَكَ، وَتَنْتَبِهُ مِنْ حُجَّتِكَ، وَحُذِّ مَا يَنْتَقِي لَكَ بِمَا لَا تَنْتَقِي لَهُ،
وَيَنْتَبِهُ لِسَعِيرِكَ، وَبَشْمُ تَرْقُ الثَّجَاعِ، وَأَرْحَمُ فُضَانَا لِلشَّمْسِ.

اقول: دحض الحجة: بطلانها. وأشرح جهالة نفسه: بالغ في تحصيل جهالتها و
اعلمه ذلك. ولما كانت الهمة في الآخرة معجزة اللدنيا وباطنها، وكان الإنسان شديد
الانسان به صدق تعنته من أسسه بهذكة نفسه، واللبس: الصحة. واصاحي: البارز. و
قوله: فرمما. الى قوله: رحمة له في قوة ضمير احتج به على وجوب رحمته لنفسه، وتقدير
كراهه وكل من يرحم غيره فدولى لا يرحم نفسه من بلا يقع فيه. ولحد: لقوة.
والمدح: الطرف. والتمش: التصور. وتعمده قصدته. وقوله: واسم الله الى قوله الاعمال
الى لو كان هذا الوصف المذكور من اسم الله عليك، وادبارك عنه، وصف مثلين
من اناس في القوة والقدرة واستمرله واسم المسمى منهما لكان فيما ينمى لك من الحياء
والله ان تكون ول حاكم على نفسك تنعصرها وقبح اعمالها، واما تعره لادبها اذا
لم يخلق في العاية لا الهة كذلك وغرويه بهذبة ان المصود منها هي لداتها، لخاصرة،
ومكاشفاتها ساعطات ظهور ما ينمى الانعاط به من العير والتصاريف اللامعة لها،
وآذنتك على سواء اى: اعلمتك على عس منها تصاريها اذ كان ذلك مفتضى حقيقها
بعدل من الله وحكمة، وتعرفها عتبر تصاريها. ومحة اشفق: ميزته وقد احاف اسم
نعم. وبش هيا الى ما تيسر فيه الالف واللام كموله فعنه: صاحب قوم لاسلاح بهم. و
جمع بين سم الجنس والسكر لثني تبتل منه وقد جاء مثله: فجمع الراد زاد ابيك زادا.
ولراجعة قبل: هي السعة الاولى في الصور. وجلالها: احوالها العظيمة جمع حليمة.
والمسك: محل العبادة، وهو اشارة الى حقوق كل نفس يوم القيمة بمعودها ومقصدها
هي الدنيا وما احبته فيها، كما قال صلى الله عليه وآله: (لو حث احدكم حثراً لحبس
معه). وحرق النصارى في الهواء: سبحه. وتيسر سفيره: استماده بالرياسة للسفير الى
الآخرة، وان يشم برق المجاة اى: يوحه بصر عنه الى استلامه انوار الهداية المسجية.

وَاللَّهُ لَأَنْ أَيْبَتْ عَلَى حَسَنِكَ السُّعْدِ نِ مُسَهَّدًا، وَأَخْرَفِي الْأَغْلَالِي مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبُتْغُضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْعُظَمَى،
وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا يَتَقَسَّيْتُ إِلَى الْبَلَى قَوْلَهَا، وَيَطُوكُ فِي الثَّرَى خُلُوقَهَا؟
وَلِلَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمْتَا حَتَّى مِنْ بَرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صِيْثَةً
شُعْتِ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فُقْرِهِمْ، كَانَمَا سُودَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعُظْمَى؛ وَعَا وَدَنَى مُوَكَّدًا،
وَكَرَّرَ عَلَى الْقَوْلِ مُرَدَّدًا؛ فَأَضَعِبْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَطَلَّ أُنَى أَيْبُهُ دِينِي، وَأَتْبَعُ قِيَادَهُ، مُقَارِقًا
طَرِيقِي؛ فَأَخْبِتُ لَهُ حَبِيدَةً، ثُمَّ أَذِنْتُهَا مِنْ جَسَدِهِ لِيَعْتَرِبَهَا، فَصَحَّ صَحِيحٌ ذِي ذَنْبٍ مِنْ
أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ: لَيْكِنَّكَ التَّوَاكِينُ يَأْغِيقِلُ، أَتَيْتُ مِنْ حَبِيدَةٍ
أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا يَلْعَبُ، وَتَجَرَّئِي إِلَى نَارٍ سَحَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَصَبِي؟ أَتَيْتُ مِنَ الْأَدَى وَلَا أَيْنُ
مِنْ لَطَى؟ ١١٩ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقًا ظَرَفًا بَمُفَوِّقَةٍ فِي وَعَايَتِهِ، وَمَعْجُونَةٍ شَيْئَتُهَا، كَانَمَا
عُجِبْتُ بِرَيْقِ حَيَّةٍ أَوْقِنْتُهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ، أَمْ رَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَيْنًا أَهْلُ
الْيَتِي، فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَيْئَةٌ، فَقُلْتُ: هَلَيْكَ الْهَيْبُولُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي
لِتَحْدِ عَيْنِي؟ أَمْ مُحْتَبِظٌ، أَمْ دُوجِيَّةٌ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللَّهُ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ يَمَانًا تَحْتَ
أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَغْصَى اللَّهَ فِي تَمَلَّةٍ أَسْلُبَهَا جَلْبَ شَعِيرَةٍ مَا قَعَلْتُ، وَأَنْ دُنْيَا كُمْ عِنْدِي
لَأَهْوُوُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي قَمِّ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا، مَا لِعَلِّي وَلِتَعْبِي نَفْسِي، وَلَدَّةٌ لَا تَبْقَى نَعُودُ بِاللهِ مِنْ
سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَفُتْحِ الزَّلِيلِ، وَبِوَسْتَعِيرِ.

اقول: السعدان: نيت. والمُصَفَّد: الموثوق عِلًا. والمغفول: الرجوع من السفر.
والاستماعة: طلب المنح وهو العشاء. والمعطلم: شجر يصنع به قبيل هو الكيل. وميسمها:
أثرها، وإنسانها أي الذي أحماها والاصافة تكفي فيها بأدنى سبب. وأعجب من ذلك
أي: من عقيل. وطارق: الآتي ليلاً. ولمفوفة: هبة أتى بها قبل: كنت شيئاً من حلول
العسل. وشئته: أبعثتها، وسبها في بعض لها بما عجز بالسم، وذلك لما تصوّر من
إرادة مهادها بها من لصيل معه هي امرؤ ديوبي يستلزم الطلم. وهبلته لهبول: ثكلته

الثوكل. والحباط: داء كالحنوط وليس به. والمحبط: الذي يطلب معروف من غير سابق معرفة له معث. والحة: لحون. والهجر: الهذين. وجلب لشعيرة: قشره. و غرض الفصل التبري من لظنهم، وذلك يشبه ان يكون لما فهم من صاحب الهدية ان يلتبس به امرا يستلزم ظنهم احد فائسسه بهذا القول من ذلك، والله اعلم.

٢١٤ - وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالنِّسَانِ وَلَا تَبْدُلْ حَاجِي بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقٍ، وَأَسْتَنْصِفَ شِرَارَ خَلْعِكَ، وَأَبْتَلِيَ بِحَمْدِكَ مِنْ أَغْضَانِي، وَأَفْتَنَ بِذَمِّكَ مَنْ مَتَعْنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْظَامِ وَالْمَنْعِ (بِكَ عَنِّي كُلُّ شَيْءٍ وَ قَدِيرٌ).

اقول: العني لمصوب لمتنه عليه سلام هو: ما دفع الحاجة حسب الاقتصاد، والقناعة، والجهه المصوب هو: عد على طاعة الله ورفع عن رذيلة المهانة لا ما اريد به الفخر من المباهاة الديوية. وأفضلهم

٢١٥ - وَمِنْ حُطْبَتِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

دَارَ الْبَلَاءِ مَخْشُوفَةٌ، وَبِالْعَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَذُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلُمُ نُرَالُهَا، أَحْوَالُ مُحْتَفِفَةٍ، وَنَارَاتُ مُتَصَرِّفَةٍ، الْغَيْسُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ، وَأَمَّا أَهْلُهَا فَبَيْنَ أَغْرَاسٍ مُسْتَهْذَفَةٍ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُصَيِّهِمْ بِحِمَامِهَا. وَاعْلَمُوا، عِيَادَ اللَّهِ؛ أَنْكُمْ وَتَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ، مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، أَصْبَحَتْ أَضْوَانُهُمْ هَامِذَةً، وَرَبَابُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بِأَلْيَةِ، وَدِيَارُهُمْ حَدِيثَةٍ، وَأَنَارُهُمْ غَافِيَةً، فَاسْتَبَدُّوا بِالْفُصُورِ الْمُسْتَهْذَفَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُهْذَفَةِ، الصُّحُورِ وَالْأَخْبَارِ الْمُسْتَهْذَفَةِ، وَالْفُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ، الَّتِي قَدَّبْنِي بِالْخَرَابِ فَنَارُهَا، وَشَيْدَ بِالشَّرَابِ بِنَارُهَا، فَمَحَلُّهَا مُفْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ، بَيْنَ

أَهْلٍ مَحَلَّةٍ مُوجِّهِينَ، وَأَهْلٍ قَرَعَ مُتَشَاغِبِينَ، لَا يَشْتَأِبُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ
الْجَبَرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَذُنُوبِ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَوُّرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ
بِكُنْكَالِهِ لِبَلَى، وَأَكْنَثَهُمُ الْخَنَادِلُ وَالْفَرَى؟ وَكَأَن قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَأَرْهَقَكُمْ
ذَلِكَ الْمُتَضَعُّ، وَصَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاقَشْتُمْ بِكُمْ الْأُمُورُ، وَتُعْزِزْتُمْ
الْقُبُورُ؟ (هَذَا لَكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَشْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مُؤَلِّمَهُمُ الْحَقَّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ).

اقول: حصل اعصاف الفير عن الدنيا بذكر معانيها. والحدب بذلك الى استعمالها
على الوجه المطلوب لله من وجودها. ولفظ العبد مستعار لزيبتها الظاهرة المستعقبة
ليهلاك في الآخرة. والشار: المرة. والمستهدفة اى: حمت هدفا وهو الغرض. واعد
آثارا، اى: اعد ان يسأل ويصدر على مثلها لعظمتها. وركود رياحهم: كايه عن سكون
احوالهم وخمول ذكركهم. ولشمارق: جمع نمرق، ونمرقة، وهى وسادة صغيرة. والواو:
فى وساكنها يشه ان يكون للحارب والكلكن: الصدر وهو مستعر والبعثرة: النثر
والفريق. وتبلو: تختبر.

٢١٦ - وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْآيِسِينَ لِأَوْلِيَانِكَ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُسْتَوَكِّينَ عَلَيْكَ،
تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَقْلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَنَلَعُ تَضَائِرِهِمْ، فَاسْرُرُهُمْ لَكَ
مَكْشُوفَةً، وَقَلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةً، إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ، وَإِنْ صُنَّتْ عَلَيْهِمْ
الْمَصَائِبُ تَجَاوَزُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْقَمَ الْأُمُورِ بَيْدَكَ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ.
اللَّهُمَّ إِنْ قَهَرْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ غَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي، فَذَلِّلْنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَحُدِّ
بِقَلْبِي إِلَى مَرَاتِيدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِشُكْرٍ مِنْ هَذَا بَيْتِكَ، وَلَا يَدْعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ.
اللَّهُمَّ اخْلُصْنِي عَلَى عَقْلِكَ، وَلَا تُخِمِّلْنِي عَلَى عَمَلِكَ.

اقول: إنما كتب تعالى آتس الآتس لأولسائه لاقطعهم الله عمن سوء. ولهم الموب^١ تحسرها على الوصول إليه. والعربة الموحنة لهم: غربتهم في الدنيا ادا كان مقصدهم الأصلى هو حصرة القدس. والفهاة عى. والعمة: التحبر.

٢١٧- ومن كلام له عليه السلام

لله بلاء فلان، فقد قوّم الأود، وذوى العمد، أقام السنة، وحلّف الهيئة، ذهت نفى الشوب، قيل الغيب، أصاب خيرها، ومبق شرها، أدى إلى الله طاعته، وأثقه بحقه، رحل وتركهم فى طرق متشعبة: لا يهتدى فيها الضل، ولا يستيقن المهتدى.

أقول: يقا لله بلاء فلان، كما يقى لله ذره، والله أبوه، وهى كلمة مدح، قيل: راد به عمراً وقيل: بعض الصحة ممر حاهد فى دين لله. والأود: الإغواح. والعمد: مرض يأخذ الال فى اسمنتها، وهو مسعار لأمرأص القلوب ومداوانها والزواجر القولية والصعلة. وبقاء ثوبه: كبايه عن طهارته من المطعن، والضمير فى خيرها وشرها: للحلافة ون لم يحذر ذكرها لكونها معهودة او لتقدم ذكره. واطرق المتشعبة: طرق الفتنة.

٢١٨- ومن كلام له عليه السلام

فى وصف بيعته بالحلافة، وقد تقدم مثله بالعاط محتلة

وَبَسَطْتُمْ يَدَى كَفَفْتُمْهَا، وَمَتَدَّشُمُوهَا فَبَصَّطْتُمْهَا، ثُمَّ تَذَاكَكُمْ عَلَى تَذَاكَ الْإِيلِ الْهِيمِ عَلَى حَيَاتِهَا، يَوْمَ وَرُودِهَا، حَتَّى تَنْفَطَحَ السُّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِيَ الصَّعِيفُ، وَتَلَعَ

١ فى ش: فلوهم

٢ - عراب لحظية والفظ لكلام تدل بصرحة ان المقصود لم يكن عمر... وكدها الحظية الشمعية التي

محامل الامام عليه سلام فيها على عمر...

مِنْ سُرُورِ النَّاسِ يَتَّبِعُهُمْ إِيَّائِي أَنْ يَسْتَحْجِبَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَذَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلْ نَحْوَهَا الْغَبِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ!

اقول: التذلل: الازدحام. والهيم: العطاش. والهدج: مشية الشيخ وهو مشى في ارتعاش، والتحامل: تكلف المشى مع مشقته وحسرت: كشفت وجهها. والكعاب: بالفتح التي تهد تدبها. والفصل احتجاج على من حالقه من البغاة وهو فى قوة صغرى ضمير، تقدير كبراه و كل ما فعلتم به ذلك فليس لكم ان تختلفوا عليه من بعد وتكثروا بعبته.

٢١٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِشْقُ مِنْ كُلِّ مَنَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجِعُ الظَّالِمُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتَذِلُّ الرِّعَايُبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِيَةٌ، وَالْأَفْلاَمُ جَارِيَةٌ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاقِصًا، أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَائِكُمْ، وَمَكْدَرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُسَاعِدٌ طِبَائِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْذُوبٍ، وَفَزٌّ غَيْرُ مَقْلُوبٍ، وَوَائِزٌ غَيْرُ مَقْلُوبٍ، قَدْ أَغْلَقْتُكُمْ حَبَائِلَهُ، وَنَكَلْتُكُمْ غَوَائِلَهُ، وَأَفْصَدْتُكُمْ مَتَابِلَهُ، وَعَظَّمْتُ فِيكُمْ سَطَوَتَهُ، وَتَسَابَعْتُ عَلَيْكُمْ عَدَوَتَهُ، وَقُلْتُ عَنْكُمْ نَوْتَهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَعْسَاكُمْ دَوَاجِي طُلَيْهِ، وَاحْتِدَامُ عَلَيْهِ، وَخَنَادِسُ عَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ، وَدُجُوْاطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ، فَكَأَنَّ قَدْ أَنَاكُمْ بِنَفْسِهِ، فَأَمْسَكَتْ نَجِيَّتَكُمْ، وَفَرَّقْتُ تَلِيَّتَكُمْ، وَعَمَى آثَارَكُمْ، وَعَقَلُ دِيَارَكُمْ، وَبَسَتْ وُرَائِكُمْ بَقَائِكُمْ، تَرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعُ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَنْفَعُ، وَأَخْرَ شَامِتٍ لَمْ يَنْجُرْ، فَعَمَلِكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِحْتِدَادِ، وَالتَّائِبِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي مَثَرِ الزَّادِ، وَلَا تَعْرِثُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا عَرِثَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْفُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْتَنُوا عِدَّتَهَا، وَأَحْقَقُوا جِدَّتَهَا، أَضْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَانًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاتًا، لَا يَتَعَرَّفُونَ مَنْ أَنَاهُمْ، وَلَا يَتَعَفَّلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا

الدُّنْيَا؛ فَدَنَّا غَدَارَةً غَرَارَةً خَلُوعًا، مُعْطِيَةً مُشَوَّعًا، مُلْبَسَةً تَرُوعًا، لَا يَذُومُ رَحَاؤَهَا، وَلَا يَنْقِصِي عَنَّاؤُهَا، وَلَا يَزْكُ بِلَاؤُهَا.

أقول: السداد: استقامة العبد على طريق الله إلى جنته، والتقوى مفتاح ذلك، وفي لزومها عتق للعبد من ملكات لسوء وهلكات الآخرة والمطالب في الدنيا والآخرة. واهارب أي: من عذاب الله. والاقلام: اقلام الكرام الكاتبين، وعمرا ناكسا، أي: إذا ان طال بصاحبه إلى الصعف والعجز عن العمل كقوله تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي لَحْنٍ) وقوله: (وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْجُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمْرِ) الآية. والخالس: المحتطف. واطبات: جمع طية بالكسر، وهي منزل السفر، والوتر: الحقد والعصب. وانكشف: الاحاطة. والعوائل: المصائب. والمعدل: جمع معبلة بكسر الميم، وهي فصل طويل عريض. وعدوته: ظلمه. وتبا السيف إذا لم يؤثر في نصربة. ودواحي صده: مظلمات صحابه. والاحتدام: شدة الحدة. وارهقه: عحاله. والنجشوبة: بالجهيم غلظ الطعام. والحى: القوم يتساحون. والدى: انقوم يحتمعون في النادى وهو مجتمعهم. ومنزل ازاد الدنيا اذهى منزل زاد الآخرة. وعرثها: مستعار لأيام السلامة فيها. ويحملون: يبالون. وركد: مكن.

منها في صفة الزهاد.

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيَسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا: عَمِلُوا فِيهَا بِنَا يُنْصِرُونَ، وَنَادَرُوا فِيهَا مَا يَخْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَيْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْطَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْطَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَخْيَانِهِمْ.

أقول: الإشارة إلى بعض اصحابه الذين درخوا قببه وكونهم من الدنيا بأيدانهم و مشاركتهم الضرورية لأهلها، وليسوا من أهلها بقلوبهم، لاستغراقها في محبة الله ومطالعة

١ - سورة يس / ٦٨

٢ - سورة النحل / ٧٠ - سورة الحج / ٥.

انوار كبريائه، و عمدتهم بما يبصرون اى: من انوار العلم الفائدة لهم فى سبيل الله، و مبادرتهم فى الدنيا لما يحذرون سارعتم الى الأعمال الصالحة دفعا لما يحذرون من عذاب الآخرة. وقوله: ثقلب، الى قوله: الآخرة اى: ثقلب. والمراد انّ دأبهم معاشره اهل الآخرة العاملين لها دون غيرهم. ويحتمل ان يريد انهم مع سائر الناس سائداً بهم كما سبق، والناس اهل الآخرة باعتبار مصيرهم اليها. وبين ظهرانهم: بفتح الهمزة اى بينهم. وقوله: يرون، الى آخرة: فرق بينهم، وبين اهل الدنيا اذ كانوا لا يرون وراء كمال احسادهم كمالاً. فهم يُعظمون موتها، واما الزهاد فيها فهم اشدّ اعظاماً لموت قلوب احيائهم اذ لا يرون كمالاً فوق كمال القلوب.

٢٢٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بذي قار، وهو متوجه الى البصرة، ذكرها الواقدي فى كتاب الجمل

قَصَدَ بِمَا أَمَر بِهِ، وَتَلَعَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَتَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بَيْنَ ذَوَى الْأَرْحَامِ، تَعَدَّ الْعَدَاوَةَ الْوَغِيرَةَ فِي الصُّدُوبِ وَالصَّغَائِرِ الْقَدِیْحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

أقول: الفصل من مباحث الرسول صلى الله عليه وآله. وصدع: اى شقّ بأمر الله عصا الكفر. ولم الله به ما انصدع به من عصا المسلمين، ورتق به: ما كان ممثقاً من امورهم. والوغرة: ذات الوغرة وهى شدة حرارة الصدور واصعابها.

٢٢١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به عبد الله بن زعنة، وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا، فقل عليه السلام:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَأَنْتَ مَا هُوَ قَبْلِي يَنْمُسِلِمِينَ، وَجَلْبُ أَشْيَائِهِمْ، فَإِنَّ

شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَطِّهِمْ، وَلَا فَجَنَاءُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِعَبِيرِ أَقْوَاهِهِمْ.
أقول: زعمة بفتح الميم، والجلب: المحبوب وروى بالحاء. وجنأ النمر: ما يجنى منه.

٢٢٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَا أَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنْتَبِثُ عُرُوءُهُ، وَعَالِيَتَا تَهْدَلَتِ عُصُونُهُ.
وَأَعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَلِلَّسَانِ عَنِ الصِّدْقِ كَبِيرٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، مُضْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ غَارِمٌ، وَمَسَائِلُهُمْ آتِمٌ، وَعَالِيَتُهُمْ مُتَّفِقٌ، وَقَارِيَتُهُمْ مُعَادِقٌ، لَا يَعْطُمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَبُولُ غَنِيَتُهُمْ فَقِيرَتُهُمْ.

أقول: روى في سبب هذا الكلام، أنه عليه السلام امرأان اخته جعدة بن هبيرة المخرومي يوماً أن يخطب، فصعد المسرفحصره فقدم - عليه السلام - فصعد المنرفحطب خطبة طوية منها هذا الفصل. والبضعة: القطعة. واضمير في يسعده ويمهله: لسان. وفي امتنع واتسع: للانسان، والمعنى: أن اللسان لما كان آلة للانسان فإذا امتنع الانسان من القول النفاثي، امتنع اللسان عن السطق، وإذا اتسع ذهبه بالمعاني، واستحصرها امكنه القول اللساني ولم يمهله السطق من الحركة به. وتهذلت: تزلت. والاذهان: المصانعة. والعارم: الشرس سيء الخلق. والمعادق: الذي يمزج الود ولا يخلصه، وهو نوع من النفاق.

٢٢٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى يومحمد اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية
قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طَبِيعِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِئَةً مِنْ سَخِّ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَرْنِ
تُرْبَتِهَا وَسَهْدِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَرَّبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَعَاوَنُونَ، فَتَدُمُ
الرُّوَاءُ، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ، فَصِيرُ الْهَيْمَةِ، وَزَاكِي الْعَمَسِ، قَبِيحُ الْمُنْظَرِ، وَقَرِيبُ
الْقَمَرِ، بَعِيدُ الشَّمْسِ، وَمَعْرُوفُ الصَّرِيَّةِ، مُنْكَرُ الْجَلِيَّةِ، وَذِيهِ الْقَسْبِ، مُتَصَرِّقُ اللَّبِّ، وَظَلِيقُ
اللسانِ، حَبِيدُ لِحْيَانِ.

أقول: الفصل إشارة الى السبب المادى لاختلاف الساس فى الصور والاحلاق.
والطين: إشارة الى ما ذكره من التربة الممتزجة من السبخ، والعذب، والحزن، والسهن: و
هى الجزء الارضى فى الأبدن البشرية، وإنما خصصه بالذكر دون سائر العناصر، لأنه
الجزء الأرضى فيها كما علمت فى الخطبة الاولى، وظاهر نّ لتلك التربة بحسب ما
يغلب عليها من الكيفيات المذكورة أثرا عظيما فى اختلاف الصور والاحلاق، ففى
الأغلب فبمن يتولد فى البلاد السبخة ان يكون مراحه حاراً يابساً. وبحسب ذلك تكون
نحافة بدنه و سرعة نرجه وما يتبع ذلك من دميم الاحلاق او حميدها، وكذلك من عذبت
تربته كان الأغلب عليه لطف آصورة و حسن الأحلاق. والمعلقة: القطعة. وقوله: فتدُم
الرواء الى آخره: كالتفصيل لهم فى نفوتهم، وذكر اقسامها خمسة. والرواء: المسطر
الحسن. والسبر: اختبار الباطن. وقريب: المعر: كناية عن القصر. وقيل: لبعض الحكماء
حين سئل ما بال القصير من الناس ادهى واحذق؟ قال: لقرب قلبه من دماغه. وكأنه
اراد ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزى، وكانت الاعراض النفسانية من القطعة
ولذلكاء والفهم ولاقدام والوقحة وحسن الظن ووحدة الرحاء واسشاط ورجولية الاحلاق
وقته الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدل على الحرارة، وتوفرها و اضداد ذلك
يدل على البرودة لاجرم كان قرب القلب من الدماغ فى القصر، لكونه سببا لتوفر الحرارة
فى الدماغ، ووحدة استعداد القوى النفسانية فيه سببا لتلك الاعراض المذكورة، وكان بعده
منه فى الطويل سبب نفة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الأعراض.
والضريبة الخفق. والجلية ما يجله الانسان ويتكفّه. وبالله التوفيق.

٢٢٤ - وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ونجهيره

يَا بِي أَنْتَ وَمَنْ لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبِيِّ وَالْأَنْبِيَاءِ،
وَأَحْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُنْبِيًّا عَنْ سِوَاكَ، وَغَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.
وَلَوْلَا أَنْتَ أَمَرْتُ بِالضَّبْرِ، وَتَهَيَّئْتُ مِنَ الْجَبْرِ؛ لَأَنفَدْنَا مَاءَ الشُّبُورِ، وَلَكَانَ
الَّذِي مُطَابِلًا، وَلَكَمُذُ مُحَالِفًا، وَقَلَّ لَكَ، وَلَكِنَّهُ قَلَّا يُمْلِكُ رَدُّهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ، يَا بِي
أَنْتَ وَمَنْ، أَدَّكُرْنَا عِنْدَ رَتِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

أقول: يَا بِي أَنْتَ وَمَنْ: متعلق بمحذوف تقديره افديك. ومن السؤة ولانساء: بيان
الغير. وروى عوض الانساء الأنبياء اي: العبر. ومن على هذا بيان: لما انقطع. و
حصصت اي: هي مصيبك من حيث نها عطيمة لا يصاب الناس بمثلها، وذلك كان
مسبية لهم عن غيرها. وماء الشؤن: السموم. والشؤن متصل قصع الزس مع المشعوب
بعضها مع بعض، والعرب تزعم ان السموم تنزل منها. وقيل: الشؤان عرقان يحدران
من الرأس الى الحاجسين ثم الى العينين. ومما طلة الداء: ملازمة الحزن كأنه لملازمته
مع من شأه المفارقة مما طل فيها، والمحلف: الملازم. وضمير التثنية في قللا لانفاذ ماء
الشؤن ولسماء طلة الحرب وفي ولكنه لمونه، والبال: القلب اي: اجعلنا ممن تباليه و
تعتنى به.

٢٢٥ - وَمَنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ النَّفَاءِ، وَأَصْحَفُ مَشُورَةٍ، وَلَتَوْبَةُ مَبْسُوطَةٍ، وَالْمَذْبُورُ يُدْعَى،
وَالْمُسَيءُ يُرْعَى قَبْلَ أَنْ يَخْضَعَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَحْلُ، وَيَسْدُ نَاثُ
التَّوْبَةِ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَحَذَ أَمْرُؤُ مِنْ نَفْسِهِ يَنْفِيهِ، وَأَحَذَ مِنْ حَيِّ لَمِيَّتٍ، وَمِنْ قَانٍ لِيَاقُ، وَمِنْ ذَاهِبٍ

لَدَيْهِمْ، أَمَرُوا خَافَ اللَّهَ، وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَتَمُتُّورٌ إِلَى عَمَلِهِ، أَمَرُوا الْحَمَّ نَفْسَهُ يَلْبَسُهَا، وَرَمَافَا بِزَمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا، يَلْبَسُهَا عَنْ قَعَايِ اللَّهِ، وَقَادَهَا بِرَمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

اقول: في نفس البقاء اى: في سعة منه. والصحف صحف لأعمال. والمدير اى: عن طاعة الله. واستعار لفظ الحمود: لوقوف العمل كالماء يجمد بعد جريانه. وقوله: فأخذ امرؤ في صورة الخير اى: فليأخذ امرؤ من نفسه الامارة بكسرها، ومعها عن مشتبهاتها، و ميولها الطبيعية لنفسه العاقلة. ويحتمل أن يريد بالفسس الاولى: البدن والأخذ منه بالعبادة، كالصلاة، واصيام وذلك كمال لنفسه العاقلة، وذحلها في الآخرة. قوله: وأخذ من حى لميت اى: فكذلك فليأخذ المدير من نفسه باعتبار ما هو حى في الدنيا لنفسه باعتبار ما هو ميت لايمسكه ذلك، وكذلك فليأخذ الحى من فان وهو دنياه لاق و دائم وهو آخره. وقوله: امرؤ الى آخره: كالجواب لسئل سأل عن ذلك المرء، الأخذ من نفسه لنفسه فكأنه قال: هو امرؤ خاف الله و مرؤ كذا، ومظور الى عمله اى: ملتفت اليه من الله كقوله تعالى: (فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) واستعار لفظ اللجام والذمام: للتقوى.

٢٢٦ - وَمِنْ حُظَيْةَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تُخَوِّيه الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ، وَلَا تَحْبُبُهُ السَّوَابِرُ، الَّذِي عَلَى قَدَمِهِ يَخْدُو ثَوْبُ خَلْقِهِ، وَيَخْدُو ثَوْبُ حَلْقِهِ عَنِّي وَجُودِهِ، وَبِأَشْيَابِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَيْءَ لَهُ؛ الَّذِي صَدَّقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِخُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْلَيْتِهِ، وَمِمَّا وَصَفَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَمِمَّا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْقَتَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَا يَمْتَدُّ، دَائِمٌ لَا يَمْتَدُّ، وَقَدِيمٌ لَا يَمْتَدُّ. تَنَلَّفَأُ الْأَذْهَانُ لَا يَمُشَاغِرُهُ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَايُ لَا يَمُحَاصِرُهُ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا اِمْتَنَعَ مِنْهَا، وَلَيْتَهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِذِي كَيْفٍ اِمْتَنَعَتْ بِهِنَّ لِهَيْبَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا، وَلَا يَذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَمَتْهُ تَحْسِيدًا، نَلْ كَبَّرَ شَأْمًا، وَعَظَمَ سُلْطَانًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَصْنَى وَأَمِينُهُ لِرَضَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
أَرْسَنَهُ يَوْجُوبَ الْحُجُبِ، وَظَهَرَ انْفِلَاجُ، وَاصْبَاحَ الْمَشْهَرِ، قَلَعَ الرِّمَّةَ صَدِغًا بِهَا، وَحَسَلَ
عَلَى الْمَحْجَّةِ ذَلًّا عَلَنَهَا، وَأَقَامَ أَغْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَسَارَاضِيَاءَ، وَحَقَّنَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ
مَتِينَةً، وَغَرَى الْإِيمَانَ وَثِيقَةً.

اقول : اراد بالشواهد: الخوص لكونها تشهد ما تدركه وتحضر عنده. وللمشهد:
المحاضر والمخاس. وقوله: الدال على قدمه الى قوله: لاشبه له: قد سبقت الاشارة الى
الاعتبارات المدكورة في قوله (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه) وكذلك باقى
الاعتبارات كلاسندلال معجز الحلق على قدرته، وفتائهم على دوامه وكونه قدما
لاعمد اى ثابت الوجود، من غير سبب يستند اليه، وتبقى الاذهان له لا مشاعرة،
اى ليس له من طريق الحواس اذ ليس بمحسوس بل بالعقول الصرفة وشهادة
المرائى له لا بمحاصرة شهادة النواظر بوجوده في آثار قدرته من غير حضور معه. ويحتمل
ان يريد بالمرائى: نفس الآثار اى ترى فيها وثبنا شاهدة بوجود شهادة المعلول بوجود
علته، وتحليه للاوهام بها ظهوره لها فى صورة وجوده، ووجود مدركتها من جهة ما هو
صانعها وموجدتها، اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال نفسها معترفة بحاجتها الى
موجد ومقيم، ومساعدة للعقول فى حكمها بذات، وان كن ادراكها على وجه جزئى
فكانت مشادة له بحسب ما طعت عليه وقدر امكانها، وهو محل لها كذلك. ولما
فى بها: بلتسبية اذ وجودها هو لسبب المادى فى تحليها. ويحتمل ان يكون بمعنى فى
اى: فى وجودها ومعنى بل هاهنا بعد سلب الاحاطة به، لاوهام لم تكن ادراكها له
على وجه الاحاطة به، بل على الوجه المذكور والممكن من تحليه لها. وقوله: وبها امتنع
مها، اى بحلقها قاصرة عن ادراك المعانى الكنية المجردة كانت مبدأ لا متناعة من
ادراكها له، ومحاكمته لها ليها جمعها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توتجها فى
طيه منجدة خيف العقول، حسيرة معترفة بانها لا يمكن ادراكه، وقيل: اراد بالاهوام:
العقول. وقوله: بها امتنع، اى: بالعقول ونظرها علم انها لا تدركه، والها حاكمها، اى:
جعل العقول المدعية انها تحيط به وتدركه كالمحسوس ثم حاكمها لى العقول السليمة

فحكمت له العقول السديمة على المدعية لما ليست أهلاً له. وإنه جعل تلك المدعية هي الحاكمة على نفسها بعد احتجها بها في طلبه، واعترافها بالعجز عن إدراكه، وجوب الجمع، أي: الجمع الوحيدة على الخلق. والفتح: الفوز. والاراء: الاعلام. والأمراس جمع مرس بفتح الراء وهي الحيل. وبالله التوفيق.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ كَفَرُوا فِي عَظِيمِ الْمُنْتَرَةِ، وَخَيْسِمِ السُّمَّةِ؛ لَرَجَعُوا إِلَى أَطْرَيْتِي، وَحَقُّوا غَذَاتِ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ غَيَلَتْ، وَلَافْتَارَ مَذْخُوعَةً! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَعِيرٍ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَخْكَمَ حَلَقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَقَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعِصْمَ وَالْبِشْرَ؟
أَنْظُرُوا إِلَى السُّمَّةِ فِي صَعِيرٍ جُنَيْتِهَا، وَلَقَطَفَةٍ هَيْبَتِهَا، لَا تَكْدُ ثَنَالٌ يُلْخِطُ ثَنَصِرَ، وَلَا يُمَسِّنْ دُرُكُ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَنَتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا! تَنْقُلُ الْحَصَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتَمُدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا، مَكُونَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِرِفْقِهَا؛ لَا يَغْفِلُهَا الشَّائِئُ، وَلَا تَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي لَصَافَا الْيَاسِ، وَالْحَجَرِ الْحَامِسِ، وَلَوْ كَفَرْتُ فِي مَخَارِ أَكْبَها، فِي غَوَاهَا وَسُلْبِهَا، وَمَا فِي الْخُوفِ مِنْ شَرَّاسِيْعٍ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرُّأْسِ مِنْ غِيْبِهَا وَأَذْيِهَا؛ لَقَصَبْتُ مِنْ خَفِيقِهَا عَجَبًا، وَلَقَيْتُ مِنْ وَضْعِهَا نَعَبًا، فَتَدَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا؛ وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرُكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعَيِّدْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَرْتُ فِي مَذْهَبِ فِكْرِكَ لَتَبَنُّعَ غَايَاتِهِ مَا ذَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ! لَا عَنَى أَنْ فَاطِرَ السُّمَّةِ هُوَ فَاطِرُ السُّحْلَةِ، لِذَوِي قِيَمَتِهِ كُنْ شَيْءٌ، وَعَامِيضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ! وَمَا الْخَيْسِرُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْحَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ؛ فِي خَلْقِهِ إِلَّا مَسَوَاءً! وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ، وَالنَّارِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجَّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ وَكَثْرَتِ هَذِهِ الْحَيَاتِ، وَظُلُومِ هَذِهِ الْغَيَالِ، وَتَعَرُّقِ هَذِهِ الْمَلَابِ، وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَفِيَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُنْتَرَةَ وَجَعَلَ الْمُدَبَّرَ. رَغَبُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ؛ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا؛ وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَدُوا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَنٍ أَوْ جَنَّةٌ مِنْ غَيْرِ جَدٍ؟

وَأَنْ شِئْتُ قُلْتُ فِي الْحَرَادَةِ حَقَّ لَهَا عِشْتَيْنِ خُمْرَاوَيْنِ، وَأَمْرَحَ لَهَا حَدَفَيْنِ قَصْرَ
 أَوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْحَقِيَّ، وَفَضَّحَ لَهَا لَمَمَ لَسَوِيَّ، وَحَمَلَ لَهَا الْحِجْسَ الْقَوِيَّ، وَبَابَيْنِ
 بَيْهَمًا تَقْرُضُ وَمُجَلِّينِ بَيْهَمًا تَقْضُ، يَرْفَعُهَا زُرَّاعٌ فِي رَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهَا، وَلَوْ أَجْلَوْا
 يَجْمَعُهُمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَوَاتِيهَا، وَتَقْبِضَ مِنْهُ شَهَوَاتُهَا، وَحَفَهَا كُنْهٌ لَا يَكُونُ إِصْبَةً مُشْدِقَةً.
 فَسَيَّارَكَ اللَّهُ الْبَدَى بِسُجْدَلِهِ (أَمِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وَيُعْزِلُهُ حَدًّا
 وَوَحْشًا، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَصَغْفًا، وَيُعْطِي لَهُ لِقِيسَادَ رَهْبَةٍ وَحَوْقًا، وَالظُّرُوسَ مُسْحَرَةً
 لِأَمْرِهِ، أَخَصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَلَسَمَّ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى اللَّدَى وَالْيَبَسِ، وَقَدَّرَ
 أَقْوَانَهَا، وَأَخَصَّى أَجْسَادَهَا؛ فَهَذَا غَرَابٌ، وَهَذَا عَقَابٌ، وَهَذَا حَذْمٌ، وَهَذَا نَعْمٌ، دَنَا كُنْ
 طَائِرُ بِاسْمِهِ، وَكَمَلَ لَهُ بَرِّقُهُ، وَأَنشَأَ السَّحَابَ لِحَقَالِ فَاهُظَلَّ دَيْمُهَا، وَعَدَدَ قَسَمَهَا قَبْلَ
 الْأَرْضِ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَحْرَحَ نَشْتَهَا نَعْدَ جُدُوبِهَا.

اقول: علة الصلابة مرض الجهل. ومحدوة: معبوة. وعيها كونها لا يدرك العبر
 ولا ينفع بها. والشر: الجسد. وفيه لحاظ من عذاب السمعة أنها: يذخر في الصيف
 لشتاء فيقدم في حال المهلة ولا تصنع وقاب الفرصة، ويسغ من صحة تميزها واسطرها
 عاقبة، امرها أن تحاف على الحبوب التي اذحرتها لشتاء ان تعفن وتُسوس في بطن
 الارض فتخرجها الى ظهرها لتشرها، وتعيد اليها جفافها ويضرها لتسليم فتنفى عنها
 العفن والفساد، وربما تحترق في الاكثر ان يكون ذلك العمل لئلا ليكون اخفى و
 في اقمرا لا تنها فيه أبصر، وان كان مكانها نديًا وحافت ان تسبت الحبة بقرت موضع
 القطمير وسطها لعلها أنها من ذلك الموضع تنبت وربما فطقت الحبة نصصين.

فأما ان كان الحب من الكبرية فأنها تنفلقه رباعا لان انصاف حب الكبرية ينبت
 من بين جمع الحب. قل: ونقل التي من اثنى ده أنه احتريبت النمل، فوجد حبوب
 التي جمعتها كل نوع وحده. قل: ووجدنا في بعضها ان بعض الحبوب فوق بعض وبينها
 فواصل حائلة من النمل وسحوه. والحامس: الجامد، واسراسيف: طراف الاضلاع
 المحتوية على البطنة ودعائها ما يقوم في بدنها مقام العظم والاعصاب وسحوها. وقوله:

لدقيق تفصيل كل شئ الى قوله حتى: اشارة الى اوسط الحجة على ما ادعاه من اشرك
 الملة على صغرها، والنحة في طولها وعصمها في الاستناد الى صانع واحد حكيم، و
 تقرير الحجة ان في الملة والنحة تفصيلا لطيفا دقيقا، واختلاف شكل وهيئة و مقدار
 وجود من الحكمة وكن ما اشتمل على ذلك فيه صانع مدبر حكيم حصصه بهادون غيره،
 فينتج انهما يشتركان في الحاجة الى صانع مدبر حكيم خص كلاً منهما بما يشتمل عليه،
 وهذه الحجة هي المستدّة في عرف المتكتمين بالاستدلال بإمكان الصفات، وقوله: و
 ما الحليل الى قوله سواء: اشارة الى ان كل المخلوقات وان اختلفت صفاتها ومقاديرها
 لا تفوت فيها بالظر الى قدرته، وكمالها بين ان يفيض عنها صورة الحقير منها كنملة،
 او العظيم منها كالمخلّة بل التفوت من جنب لقبل.

وقوله: وكذلك السماء الى آخره اي: ان الجمع متشابه في الحاجة الى الصانع
 الحكم، وهو المخصص لكل كماله اللائق به اذ ليس ذلك للحسمية ولا للوارثية
 لتشابهها في الجمع، ولا لعرضها لان الكلام في الاختصاص بذلك العارض كالكلام
 في الاختصاص بالصفة ويلزم التسلسل، فيبقى ان يكون لامر خارج عنها وهو المدبر
 الحكيم. و اشار باجاحدين: الذين زعموا الزعم المذكور الى جماعة من العرب انكروا
 الحائق والبعث، وقالوا: بالدهر: المفنئ كما حكى الله تعالى عنهم: (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
 الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَمَا يُهْمُّكُمُ إِلَّا الدُّهُنُ) وقياس انفسهم على النبات من باب التمثيل
 والاصل فيه النبات. والفرع انفسهم، والحكم هو ما توقعوه من كونهم بلا صانع، والجامع
 هو ما يشتركون فيه مع النبات من الموت والحياة او نحوه وجوابهم مع الحكم المذكور
 والتنبية على ما هو معلوم بالضرورة من ان كل صنعة فلها صانع، وكل جناية فلها حان.
 قوله: وان شئت قمت في الجراءة، الى قوله: مستدقة: تنبيه آخر على وجود الصانع الحكيم
 في وجود الجراءة، وحده قراء اي: مضبوطة. والسوى: المعتدل. و ارد بحسبها قوتها
 الوهمية، واجلبوا: اجمعوا. والنزوات: الوثبات. وتعفير لخذ: تمريعه في العفر و
 هو لثريب. و ارسي قوتها: اثبتها وراساها في الئدى كطير الماء. و راد باحسن: الغوى
 وهو يصدق على النوع والصفة في المصطلح السعوى. واستعار وصف الدعاء ها: لحكم

القدرة الالهية على كل ما يحول في لوجود، وهو كقوله تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَيَا رَبِّهِ
أَنْبِيَا ظَنُّوْنَا أَوْ كُفِّرْهَا قَالَا أَنْبِيَا طَيِّعِي)؛ والفصل من افصح العبارات.

٢٢٧- وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في التوحيد، ونحجم هذه الحطبة من أصول العلم مالا نجمه خطبة

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفَةٍ؛ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ؛ وَلَا إِنَاءَهُ غَنَى مِنْ شَبْهِهِ؛ وَلَا صَمَدُهُ
مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُنْ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَضْنُوعٍ؛ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُوكٍ؛ قَائِمٌ
لَا يَصْطَرِيبُ إِلَهٍ، مُقَالٌ لَا يَحُولِي فِكْرَةٍ؛ عَسَى لَا يَأْسِفُكَادَةُ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرُفِدُهُ
الْأَدْوَاتُ، مَسَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ، وَلَقَدْ مَوْجُودُهُ، وَالْإِبْدَاءُ أَرْكُهُ.

يَتَشَبَّهِهِ الْمَشَاعِيرُ عُرْفُ أَنْ لَا تَمَشَعْلَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ نَبِيْنُ الْأُمُورِ عُرْفُ أَنْ لَا صِدْقُهُ؛ وَ
بِمَعَارِنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرْفُ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ، صَادَّةٌ أَسْوَرٌ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُصُوحُ بِالْبَهْمَةِ، وَلَحْمُودٌ
بِالْبَلَى، وَالْحَرُورُ بِالصَّرْدِ. مَوْلُفٌ نَسْرٌ مُنْعِدَاتِهَا، مُقَارِبٌ بَيْنَ مُتَسَابِطَاتِهَا، مُقَرَّبٌ نَبِيْنُ
مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَقَدِّمَاتِهَا. لَا يُشْمَلُ بَحْدٍ وَلَا يُحْسَبُ بِنَدٍ؛ وَأَنْتَا تَحْدُ الْأَدْوَاتُ
أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا.

مَتَعْنَهَا مُنْذُ الْبَدِيعَةِ؛ وَحَمَتَهَا قَدِ الْأَزَلِيَّةِ؛ وَجَبَّتْهَا لَوْلَا التَّكْوِيلَةُ، بِهَا تَحَلَّى صَانِعُهَا
إِلْعَاقُهَا، وَبِهَا أَمْتَعَتْ عَنْ نَظَرِ الْعِيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَخْرَى عَلَيْهِ مَا
هُوَ أَجْرَاءُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاءُ، وَيُخْبِتُ فِيهِ مَا هُوَ أَخْدَانُهُ؟ إِذَا لَتَعَاوَنَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَرَأَ
كُنْهُهُ، وَلَا مَتَعَتْ مِنَ الْأَرْكَ مَتَعُهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذْ وَحْدَهُ أَقَامًا وَلَا تَنَسَّسَ لَتَمَّ إِذْ لَرَمَهُ
اسْتَفْصَا! وَإِذَا لَتَامَتْ آيَةُ الْمَضْنُوعِ فِيهِ، وَتَحَوَّلَ ذَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُدْلُولًا عَلَيْهِ، وَحَرَّخَ
بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مَنْ أَنْ يُؤْتَرَفِيهِ مَا يُؤْتَرَفِي غَيْرِهِ.

الَّذِي لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَحُولُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ؛ وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونِ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ
فَيَصِيرَ مَخْلُودًا. جُنَّ عَنِ اتِّعَادِ الْأَنْسَاءِ، وَظَهَرَ عَنْ مُلَا مَسَةِ لِنِسَاءِ؛ لَا تَكَلُّهُ الْأَوْهَامُ
فَتَقْدَرُهُ؛ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ ائِضْ قُصُورُهُ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحْسُهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ.

لَا تَبْعِرُ سَحَابًا، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ، وَلَا يُبْلَى لِلْبَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَا يُعْبَرُ انْصَاءً وَالصَّلَامُ،
وَلَا يُوصَفُ شَيْءٌ مِنَ الْأَجْرَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَلَا بِالْأَغْصَاءِ، وَلَا يَنْعَرَضُ مِنَ الْأَغْرَاصِ، وَلَا
سَالِغِيَّةً وَلَا لَبْعَاضٍ، وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نَهْيَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَيْدٌ. وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ
تَحْوِيهِ، فَتَحِيَّةٌ أَوْ تَهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يَتَعَدَّلُهُ. لَيْسَ هِيَ الْأَشْيَاءُ بِوَالِحٍ، وَلَا
عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِبَيِّنَاتٍ وَلَهَوَاتٍ، وَتَسْمَعُ لَا بِحُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَ
يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَقَّقُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُشِيرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِيقَةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَقْصُ مِنْ
غَيْرِ مَسْقَةٍ. يَقُولُ لَيْسَ أَرَادَ كَوْنَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ! لَا يَصُوتُ بِقَوْلٍ، وَلَا يَنْبَأُ بِسَمْعٍ، وَإِنَّمَا
كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ. يَمُوتُ مِنْهُ أُنْسَاءُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ
إِلَهاً ثَانِيًا.

لَا يُقَالُ كَانَ تَعَدُّ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَحْوِي عَنْهُ الصِّفَاتُ الْمُتَعَدِّثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَنْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّاعُ وَالْمَضْجُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُسْتَدِيعُ وَالْمُبْدِيعُ. حَقَّقَ
الْحَلَّاقُ عَلَى غَيْرِ مَنَابٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَنَمَّ يَسْتَعِينُ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ حَنِينِهِ، وَأَنْشَأَ
الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ أَشْيَاعٍ، وَأَرْتَاهُ عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَقَهَا بِغَيْرِ
ذَعَائِمٍ، وَخَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَغْوَحِ، وَمَتَّعَهَا مِنَ السَّهَابِ وَالْأَنْفَارِ، أَرَسَى أَوْتَادَهَا،
وَصَرَّبَ أَمْدَازَهَا، وَاسْتَمَصَّ عُيُونَهَا، وَحَدَّ أَوْدِيَّتَهَا، فَتَمَّ يَهْدُ مَا يَهْدُهُ، وَلَا صَعَفَ مَا قَوَّاهُ.
هُوَ أَظَاهِرُ عَنْهَا سُلْطَانُهُ وَعَظَمَتُهُ، وَهُوَ لَبَّاطِلُهَا بَعْلِيَّةٌ وَمَعْرِفَتُهُ، وَلَعَالِي عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِخَلْقِهِ وَغَيْرِهِ، لَا يُعْجِرُهُ شَيْءٌ مِنْهَا صَلَاحٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَنْهُ فَيْعِيَّةٌ، وَلَا يَقُولُهُ
السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ، وَلَا يَخْتَنَحُ إِلَى دِي مَلٍ فَيَبْزُقُهُ. خَصَصَتِ الْأَشْيَاءَ لَهُ، وَذَلَّتْ
مُسْتَكْبِيَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ لِهَرَبٍ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَغُرَرِهِ، وَلَا
كُفُولُهُ فَيُكَافِئُهُ، وَلَا يَطِيرُ لَهُ فَيَسَاوِيهِ هُوَ الْمُعْنَى لَهَا تَعَدُّ وَجُودَهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا
كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ مَنَاءُ الدُّنْيَا تَعَدُّ أَثْنَيْدَعَهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاحْتِرَاقِهَا! وَكَيْفَ وَلَوْ
اِحْتَمَعَ خَمِيعُ خَبَوِيَّهَا مِنْ ظَلِيمِهَا وَنَهَائِيَّهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحَاتٍ وَسَائِيَّهَا، وَأَصْنَافِ
أَمْنَانِهَا وَأَخْصَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَاتِ أَمْسِهَا وَأَكْيَامِهَا، عَلَى إِحْدَثِ بَعْضِ مَا قَدَّرْتَ عَلَى
إِحْدَاقِهَا، وَلَا عَرَفْتَ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِحْدَاقِهَا، وَلَتَحْجِرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ،

وَعَزَزَتْ قُوَاهَا وَتَدَهَّتْ، وَرَخَعَتْ حَاسِبَةً حَسِيرَةً عَاقِرَةً بِأَنَّهُا مَشْهُورَةٌ، مُفِرَّةٌ بِالْعُخْرِ عَنْ
إِنْشَائِهَا، مُدْعِيَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ فَعْلِهَا.

وَبِإِنَّ اللَّهَ - مُنْحَاكَةً - يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَخُلْدِ لَأَشْيَاءٍ مَعَهُ؛ كَمَا كَانَ قَبْلَ آيَاتِهَا،
كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ، عُيِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآحَالِ
وَالْأَوْقَاتِ، وَزَلَّتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ، فَلَأَشْيَاءٍ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّازُ الَّذِي إِلَيْهِ مُصِيرُ جَمِيعِ
الْأُمُورِ، بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ بَدْءُ خَلْقِهَا، وَبَعِيرُ تَحْتِاجِهَا كَانَ قَدْ وَهَّاءَ، وَلَوْ قُدِّرَتْ عَلَى
الْإِفْتِتَاحِ دَمَ بَقَاؤِهَا. لَمْ يَتَكَادَ صُحُّ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوَدِّدْ مِنْهَا حَتَّى مَا حَقَّقَهُ وَ
بَرَّاهُ، وَلَمْ يَكُنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَلٍ وَنُقْصَابٍ، وَلَا لِإِسْتِغْنَاءٍ بِهَا عَلَى
نَيْدٍ مُكْثَرٍ، وَلَا لِإِخْتِزَارِهَا مِنْ ضَمٍّ مُتَاوِرٍ، وَلَا لِإِلَارِيَابِهَا فِي مُلْكِيَةٍ، وَلَا لِمُكَائِرَةٍ
وَشَرِيكِ فِي شُرَكَاةٍ؛ وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ قَرَارًا أَنْ يَسْتَنْسِلَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُثْبِتُهَا بَعْدَ
تَكْوِينِهَا، لَا لِإِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِإِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِتَقْلِيلِ
شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَمْ يَمْنَعْهُ صُوبُ بَقَائِهَا فَتَدَعَوْهُ إِلَى سُرْعَةِ فَنَائِهَا؛ لَكِنَّهُ - مُنْحَاكَةً - دَسَّرَهَا
بِلُطْفِهِ، وَتَمَسَّكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتَمَّتْهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ تَعَمَّدَهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا
أَسْتِغْنَاءٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ، وَلَا لِإِصْرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشَةِ إِلَى حَالٍ أَسْتِغْنَاءٍ، وَلَا مِنْ
حَالٍ جَهْلٍ وَغَمٍّ إِلَى عِلْمٍ وَائْتِمَاسٍ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ. وَلَا مِنْ ذَلِكَ
وَضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

اقول الكيفية في الصفة: والحال التي عليها الشئ، وفي الاصطلاح لعلمي: هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجوده فيه نسبة الى امر خارجه عنه. ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه، وبرهان مباداة الكيفية لتوحيد ما مر في الحظية الاولى في قوله: (فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثلثه) وظاهر ان من ثلثه لم يوجد. قوله: ولا حقيقته اصاب من مثله، اي: اثبت مثلا وبرهانه ان المثل لشئ هو المشارك له اما في ذاته او في بعض اجزائه، او في صفة خارجه عنها، وهو تعالى لا شريك له في ذاته والا لا احتاج الى مميز من خارج لا يكون مقتضى ذاته، والا لكان مشتركا غير مميز له بل مقتضى عدة اخرى فيكون واجب الوجود محتاجا فمما يميزه عن غيره الى غيره، هذا

حلف ولا شريك له في بعض الاحراء والآ لكان مركبًا فكان ممكنًا هذا حلف، ولا في
 صفة خارجة عن ذاته اذا ثبت أنه لا صفة له وراء ذاته، وكذلك قوله: ولا آية عنى من
 شبهه. وصمدى قصده وقد سبق في الخطة الاولى: امتناع الاشارة العقلية والوهمة
 اليه، فمن اشار اليه، فقد اشار الى غيره فلم يتحقق قصده آية ومدار هذه الاشارات على
 أنه تعالى غير معلوم الذات بالكس، وقوله: كل معروف بنفسه مصنوع: شروع في البرهان
 على ذلك، وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما هو مصنوع فهو ليس باله العالم ينتج
 كل معروف بنفسه فهو ليس باله العالم، وينعكس بعكس النقيض الى كل ما هو اله
 العالم فهو غير معروف بنفسه فتجعله كبرى، ويضم اله صغرى صادقة هي قولنا أنه تعالى
 إله العالم فينتج أنه تعالى غير معروف بنفسه. واما بيان صغرى الضمير فهو أن الحقيقة
 إنما نعلمها بأجزائها، وكلّ ذى جزء فهو مركّب فله مركب فهو مصنوع. وقوله: وكل قائم
 فى سواء معلول: تنزيه له عن حاجته الى المحل، وهو صغرى ضمير كائى قله، وأن
 شئت فهذه الجملة فى قوة شرطية متصلة هي صغرى ضمير ايضا تقديرها لو كان قائمًا فى
 سواء لكان معلولًا، ويستثنى نقيض لازمها ليشترح أنه ليس بقائم فى سواء، وبيان
 الملازمة: أن القائم بغيره محتج الى غير فكن معلولًا، ولما يقىمه فيه كما عدم فى
 مظانته، وكونه مقدرا كونه معطيا لكل مستحق مقدار ما يستحقه ويقبله من كمال الوجود،
 ولواحقه من أجل ورزق ونحوهما. وغناه تعالى عدم حاجته الى غيره ولا باستفادة تنزيه
 له عن غنى غيره ولا تصحبه الاوقات اى: ليس هو بذى وقت يقارنه ويحلّ فيه، وترفعه:
 تعينه. ولما كان كل مسبوق بالعدم ممكنًا كن ما ليس بممكن غير مسبوق بالعدم،
 فكان تعالى سابق الوجود على كلّ عدم لغيره والابتداء اذله اى: سبقته ازيلته ابتداء
 العلم. وقوله: بتشعيره الى قوله له: لأن المشاعر ان كانت له من غيره كان محتاجا الى
 غيره هذا حلف، وان كنت من ذاته، فان كانت من كمال أهيته كان موجدا لها من
 حيث هو فقد كمالا، فكان ناقصا بذاته هذا حلف، وان لم يكن كذلك كان اثباتها له
 نقصا لأن الزيادة على اكمال نقصان. وكذلك قوله: بمضادته الى قوله له: اذ لو كان
 له ضد لكان حالقا لضده ولعسه وهو محال، وكذلك تنزيهه عن مقارنة لغيره بمفارنته
 بين الأشياء، وكذا مضادته بين لاشياء خلقة لها على طبائعها المتضادة، والوضح

والسود: البياض: والسهم: السواد. والحور: الحرارة. والضر: البرد. وتفرقه بين
متدانياتها، بأعضاء كما جمع بين متعدياتها بالتركيب والمزج. ولا يشمنه حد أي:
لا يحيط به نهاية، ولا يدخل في حساب المعدودات وقد سبق بيانه. والآلات: آلات
كالحواس ونحوها. وقوله: منعته، أي قوله: التكملة: يعود الصمير إلى الآلات، ومحل
مذ، وقد: ولولا: الرفع بالفعلية، والمراد أن إطلاق لفظ مذ على الآلات كم يقل
هذه الآلة وجدت منذ كذا، يمع كونها قديمة إذ كان وضعها لا ابتداء الزمان، ولذلك قد
يفيد تقريب اماضى من الحال، كقولك: قدوحدث هذه الآلة وقت كذا. ولا شيء
من الازلي بقريب من الحال، وكذلك إطلاق لفظ لولا عندالطر إلى الآلات المستحسنة،
كما يقال: ما احسن هذا لولا كذا، فيدل بها على امتناع كماله لوحد نقصان فيه: وأما
اشار إلى نقصانها وحدوثها، ليعلم أنها في أحد بعيد على تقديره وتحديد.

وقوله: بها، إلى قوله: القول، أي: بوجودها المحكم المثبت على ن لها صانعاً
حكيماً. وقوله: بها إلى قوله: لعون أي: بإيجادها، وخلفها بحيث تدرك بحس البصر،
علم أنه تعالى ليس مشبهها، وهو كقولك: نسعره إلى قوله: لا مشعر له. وقيل: أراد أن
وجودها لما كان سبباً لكمال عموه، وكمال عقولاً سبباً لعلمنا بأنه لا يرى بحس البصر
كانت هي اسباباً في العلم بأنه لا يرى. وقوله: اذن لتفاوتت ذاته، إلى قوله: في غيره:
بيان لعدم حريان الحركة والسكون عليه من سبعة اوجه في قياسات استثنائية اتحد مقدم
المتصلات فيها، وتعددت تواليها، وتقديره في الاول لو حرت الحركة والسكون عليه
لتفاوتت ذاته، ومعنى النعوت: التغير والتقصان بتعاقب الحركة والسكون عليه، والملازمة
هنا ظاهرة وفي الثاني أن كل متحرك جسم وكل جسم فيه جزء. وفي الثالث أن كل
متحرك جسم وكل جسم فليس له من ذاته استحقاق الوجود فصلا عن استحقاق لارلية
التي معها عدم اولية الوجود، فلو كان تعالى متحركاً او ساكناً لم يكن لمعناه وحقيقته
ارلية بل ان كانت له فمن غيره. وفي الرابع أنه لو كان متحركاً لكان له أمام يتحرك اليه
وكل ماله أمام فله وراء. وفي الخامس، أنه لو كان متحركاً لالتبس التمام بحركته إذ
الحركة لا بد ان تكون بحو غاية مطلوبة للمتحرك هي كمال له فيكون نقصا مداته. وفي
السادس أنه لو كان كذلك لكان جسماً وفيه آثار الصنع وآياته. وفي السابع أنه لو كان

يتحول دليلا لكون جسمه مصوعا يستدل به على صناعته وبطلان اللوازم في هذه الأقيسة السبعة ظاهري، والملزوم وهو كون ما يجري عليه الحركة والسكون باطلا. وقوله: وخرج بسلطان الامتناع، الى قوله: غيره: عطف على قوله امتنع وقيل: عني قوله تجلّى اى: بها تحلى للعقول وخرج بسلطان امتناع كونه مثلاً لها، اى: بكونه واجب الوجود، عن ان يكون ممكنا فيقبل اثر غيره، ولا يحول، اى: لا يتغير من حال الى حال. والافول: الغيبة بعد الظهور، ولوجاز عليه، لما كان محجوباً لابراهيم عليه السلام حيث قال: (لَا أُحِبُّ الْآفِيئِينَ)^١ وقوله: فيكون محدودا، اى: بالحلّ الخارج عنه، وكونه تعالى لا يوصف بعرض اذلا صفة له تزيد على ذاته وقد مرّ بيانه. ولأن محل الاعراض الجواهر وهو تعالى ليس بجوهر، فلا يوصف بالأعراض. وقوله: فيقله، ويميله منصوبان باضماران، وعليه نسخة الرضى عليه الرحمة بخطه.

وروى مرفوعين على العطف واخساره تعالى يعود الى خلقه الكلام فى لسان النبي صلى الله عليه وآله على وفق ما تصوّره من المعنى كما فسّره عليه السلام به وسماعه يعود الى علمه بالمسموعات، وحفظه يعود الى علمه بما فى الفعل من الحكمة، والمصلحة، وهو المعروف بالداعي. ومحسته ارادته مبدأ فعل عاين يقرع منه الرضا وهو منه تعالى علمه بطاعة القديّة، وبغضه: يعود الى كراهته وهى عنه بعدم استحقاق العبد الثواب. والغضب: يعود الى علمه بعصيانه، وهو منزّه عن المتعارف من ثوران النفس عن تصوّر المؤذى المستلزم للمشقة: وقوله: لا بصوت يقرع اى: ليس بذى حاسة سمع يقرعها الصوت وكذلك لا صوت له يسمع، ومن تفسيره عليه السلام لكلام الله استدلّت المعتزلة على كونه محدثا ومثله، اى: صوره فى ذهن النّبى، ولسانه عليه السلام. وقيل: مثله لجبريل عليه السلام فى اللوح المحفوظ. ووجه الملازمة لقوله: ولو كان قديما لكان ألهاً ثانياً: أنّه لو كان قديماً لكان واجب الوجود بذاته لأنّه لو كان ممكناً، لكان صفة له تعالى قائمة بذاته لا متشاع قيام صفة الشئ بغيره فهى ان كانت معتبرة فى كمال ألّهية، كان ناقصا بذاته هذا خيف، وان لم يكن كانت زائدة على كماله اللائق به والزيادة سفلى

١ - سورة الاععام / ٧٦.

٢ - هي نسخة ش. فى قوله.

الكمال نقصان، فثبت أنه لو كن كلامه قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الله ثانيا و قد ثبت أنه واحد، وخلافاً سبق.

وارساها: اثنها، ولأود: الأعوجاج. والتهافت: السقوط. والاسداد: جمع سد وهو كل ما حجز بين الشيئين. والكفو: المثل. وقوله: وليس فناء دنيا، الى قوله: واختراعها: تنبيهه على فساد قول من زعم أن العالم لا يفتنى. ومفهومه أن لا شيء أعجب واصعب، وجه التنبيه قوله: وكيف ولو اجتمع الى قوله افدها، وكيف يكون لا فناء اعجب من الانشاء والحال ما ذكرنا. ومراحها: ما يراح من مربطها. وسائمه: ما ارس منها للرعى. واسناخها: اصولها.

من قنت: كيف تقر العقول بالضعف عن افساء البعوضة من امكان ذلك وسهولته؟ قلت: ان العد، ذا نظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع جلّت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء، ألا بدئي منه ومعونة، وأنه ليس له إلا الاعداد لحدوث ما ينسب اليه من الآثار فأما نفس وجود الأثر فمن وح لكر، وايضا فإنه تعالى كما خلق للعبد قدرة على النفع والضّر، كذلك خلق للبعوضة قدرة على الامتناع والهرب من ضوره بالطيران بل على ان تؤذيه فلا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستهل العاقل افناؤها من غير معونة من صانعها. وخاتمة دليلة. وتكاد: الأمرش على. وآداء: أنقله. والمثاورة: الموثب. وباقي الاعتسارات له تعالى ظاهرة، وقد مر في اثناء الكلام بيانها، وما يشبه عليها، وبالله التوفيق.

٢٢٨- وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحتص بذكر الملاحم

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَزُكِّيْتُ إِلَيَّ الرُّسُلَ وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يَقُولُ مَا يَكُونُ مِنْ إِذْ بَارِ أُمُورِكُمْ، وَتَقِظَاضِ صَلَاتِكُمْ، وَأَسْتَعْمَالِ صِعَارِكُمْ.

ذَلِكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنُ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ جِلْدِهِ، ذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْثَرُ مِنْ الْمُعْطَى، ذَلِكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ التَّعَمُّةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْبَعُونَ مِنْ غَيْرِ أَصْطِرَاطٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ، وَذَلِكَ إِذَا عَصَيْتُمْ الْبَلَاءَ

كَمَا يَتَعَصَّرُ الْقَتْبُ عَارِبَ النِّعْرِ، مَا أَطَوَّكَ هَذَا الْعَتَاءُ، وَأَتَعَدَّ هَذَا لَرَجَاءِ.
 أَتَيْهَا النَّاسُ، أَلْفُوا هَذِهِ الْأَرْمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهُمَا، لَا تُقَالُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا
 عَلَى مُسَدِّكُمْ فَتَلْذُّوْا غَيْثَ عَمَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ قَوْرِ نَارِ الْهَيْئَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ
 سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ فِي لَهْيِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ
 الْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا تَتَلَى يَسْكُتُكُمْ مِثْلُ السَّرَاحِ فِي الظُّلْمَةِ لِيَسْتَضِيَءَ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا، فَاسْتَمُوا أَتَيْهَا
 النَّاسُ وَغَوَا، وَأَخْضَرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

أقول: هم مبتدأ، حبره مقدم، وهو: إشارة الى بعض اولياء الله فيما يستقبل من زمانه
 عليه السلام، ومعرفة اسمائهم في السماء كنداء عن عدو درجاتهم عند الله، وفي المبدأ
 الأعلى وحملهم في الارض: كناية عن خمول ذكرهم بين أهلها كما هو شأن أكثر
 الاولياء. وقوله: لا فتوقعوا: انذار بما يكون بعده من العتس بدولة بنى امية وغيرها
 المستنزمة لادبار امورهم الصالحة والانتطاع وصلتهم، وهي الانتظامات الحاصلة بسبب
 اتفاق كمتهم في وجوده عليه السلام، واستعماره ارادهم في تدبير امورهم. وقوله: ذلك
 الى قوله: البعير: إشارة الى اربع علامات لوقوع ما نذره:

احداها: تعذر اندرهم الحلال على المؤمن وقتله الى الغاية المذكورة.

الثانية ان يكون المعطى اعظم اجرا من المعطى، إنا لأن أكثر اموال المعطين حينئذ
 مشوبة بالحرام، او تقصد فيها الرياء فيقل اجره ويكون المعطى فقيرا ذا عيال، فإذا أحد
 لشد خلته كان اعظم اجرا ممن يعطيه.

الثالثة استتار وصف السكر: لعفته في نعمة لدنيا عما ينبغي، ويدرم ذلك اليمين
 الباطلة من غير ضرورة بل غفلة عن عطمة الله، والكذب من غير إحراج، اي بمن غير
 ضرورة تضييق الاعذار بل تصير مذكرة وخلقا.

الرابعة عتس بلاء الفتن لهم. وقوله: ما اصول، الى قوله: الرجاء: كلام منقطع عما
 قبله فكأنه قال ذلك، اذا عتسكم البلاء حتى تقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه، وما
 ابعد الرجاء لخلاص منه، هو بقاء المنتظر من الائمة عليهم السلام. ويحتمل ان يكون

متصلا و يكون كلاما له مستافا في معنى اتوبيخ على الحرص في الدنيا اي: ما اطول هذا العناء للاحق لكم في صيدها وما ابعد هذا الرخاء لدى ترحونه بها! ويحتمل ان يريد بالعناء الصويع: عاءه في حذبهم الى الله وبالرخاء: رجاء لصلاحهم. و سعار عطف الأرملة: للآراء الفاسدة المستعة وبالأهواء الفائدة اي: حماهم. و سعط الظهور: لأنفسهم. و لمط الأثقال: لمآثم المثقلة للنفوس العاقلة عن اليهود الى حصائر القدس. والتصدع التفرق. و غت كل شئ عاقبته، واقتحامهم: لما يستقبل من نار لفتنة تصدعهم عنه د افتراق الآراء سبب لظهور العدو عليهم، وقيام لفتنة به والاماطة والميط: التحي وتك الاماطة بالعدو عن الآراء الفاسدة ولتفرق عنها.

وقوله: لعمري، الى قوله: المسلم: من كراماته عليه السلام، فان الدائرة في فتنة سى امية عليهم اللعة كانت على من لزم دبه واشتغل بمعادة ربه وخاصة من اهل البيت وذرية الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت العلية للمساكين ومن تقرب الى قلوبهم بالكذب على الله وعلى رسوله. وولجه: دخبها، وبالله التوفيق.

٢٢٩ - وَمِنْ حُظَيْةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أوصيكم - ايها الناس - بتقوى الله، وكثرة حمده على آلائه إيتكم، وتعماد غيتكم، وتلايه لذيتكم. فكم حصكم بغمه، وتذاركم برحمته! أغورتم له فستركم، وتعرضتم لأخديه فأنهتكم، وأوصيكم بذكر الموت وقلاي الفقه عنه، وكيف غفنتكم عما ليس بفعلكم، وضمتكم بمن ليس بتمهلكم؟ فكفى واعظا بموتى غايتموهم، حيلوا الى قلوبهم غير راكبين، وأنزلوا فيها غير نالين! فكأنهم لم يكونوا ليدنيا غمارا، وكان الآخرة لم ترل لهم ذرا، أو حشوا ما كانوا يوطئون، وأوطئوا ما كانوا يوحشون، وشعلوا بما فارقوا وأضاعوا ما آتاهم، لأن قبيح يستطيعون أتقلا، ولاني حسنة يستطيعون أزدادا! أينوا للرب فقرتهم ووقروا بها فصرعهم. فسابقوا رجمكم الله - الى متازلكم التي أيرتم أن تغمروها، والتي رعتكم فيها، وذعستكم إيتها؛ واستمتموا بعم الله عليكم بالصبر على طاعته، وأمعجانية لمعصيته؛ فابا غذا من اليوم قريب، ما أسرع اساعات في اليوم، وأسرع

الْإِيمَانُ فِي الشُّهُوبِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَمْرَعَ السَّنِينَ فِي الْعُمْرِ!

أقول: مستعار وصف الاعوار وهو: ابداء العورة لآظهارهم معاصي الله، ومكارهه التي ينبغي الاستحياء منها. وما فارقوا من حوال الدنيا وما اليه انتقموا من الآخرة، والمنازل التي امروا بعملها منازل الأبرار التي عمارتها بطعة الله والفصل واضح وبالله التوفيق.

٢٣٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْإِيمَانَ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِيمًا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَغْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَخْضُرَ الْمَوْتُ، فَمِنْ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ التَّرَاءَةِ. وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرٍّ الْأُمَّةِ وَمُعَلِّهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِي الْأَرْضِ؛ فَسَنُ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِغَاثَةِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أَدْنَاهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنْ أَمَرْنَا صَغْبَ مُسْتَضْعَبٍ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ائْتَمَرَ اللَّهَ قَلْبُهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبْغِي حَاجَتَنَا إِلَّا صُدُورَ أَمِينَةٍ، وَأَخْلَامَ رَزِينَةٍ. أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَعْقِدُونِي! فَلَنَا بِطَرِيقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مَنِّي بِطَرِيقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فَتَسْأَلَنِي خِيَامِهَا، وَتَذْهَبَ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا.

قول: قسم عليه السلام الإيمان الى قسمين، ووجه الحصر فيهما انّ الإيمان كما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع وصفاته، وصدق رسوله فيما جاء به، فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكات في النفوس فهي الإيمان الثابت المستقر في القلب، وان لم تبلغ ذلك بل كانت حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري. واستعار لمعناها باعتبار كونها في معرض الزوال كالعارية التي هي في معرض الاسترجاع، وكونها بين القلوب والصُدُور: كناية عن عدم استقرارها في جواهر النفوس. وقيل: اراد بالمستقر:

الايمان باخلاصٍ و تعبّر ما كان على وجه الماسق، اذ كان ذلك لعرض ثم يزور فاذا كانت لكم الى قوله براعة معناه: اذا اردتم التبري من احد من اهل الكتاب فقصوه الى حال الموت ولا تبادروا الى البراعة معه، فان اعظم الكبائر الكفر وحائز من الكافر ن يسلم، فاذا بلغ منتهى الحياة ولم يمنع حاز حيث شد البراءة منه. وقيل: وهذه البراءة هي المطلقة اذ يجوز لنا ان نبرء من الناس في حياته براءة مشروطة بالإصرار عليها.

وقوله: والهجرة قائمة على هذا الاول، اي: لما كانت حقيقة الهجرة لعم ترك منزل الى آخر لم يكن تخصيصها بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة من تبعه محرّماً لها عن اخذها النعوى، واذا كان كذلك كان مراده من بقائها على حذّه الاول، صدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في طيب دين الله لصدقها على من هاجر الى الرسول عليه السلام وفي معاها ترك الباطل الى الحق كقوله تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله) الآية. وقوله صلى الله عليه وآله: المهاجر من هاجر ما حرّم الله عليه. ولان المقصود من الهجرة ليس الا قتاس لدين، وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل من يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله، بحيث لا فرق بين النسوة والامامة، ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصص مسمى لهجرة بمن قصد الرسول، دون من قصد الائمة عليهم السلام، فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عنه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يشتتبه فاستشاه.

قلت: يحمل ذلك على أنه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيق بين الدليلين، و سبب الحاص لا يستلزم سلب العام. ومقصوده عليه السلام من هذه الكلمة، الدعوة الى الدين واقتناسه منه، ومن اهل بيته عليهم السلام.

وقوله: ما كان لله، الى قوة: ومعانيها، فما: بمعنى ائمة اي: و لهجرة قائمة على حذّها الاول مهما كان لله هي اهل الأرض ممن أسرّديه او أظهره حجة. واسما لفظ الحاجة: لطبه تعالى العبادة بالأوامر والنواهي. ويحتمل ان يكون ما: دفية والكلمة وما قبلها وما بعدها، وهو قوله: ولا يقع اسم الهجرة، الى قوله: قلله كلمات منقطعة متقطعة. والحجة في الأرض هو امام الوقت، ومقتضى الكلام ان اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين مشروطة

بمعرفة عين الامام وقصده. ويحتمل. ان يكون الشرط معرفته بالاخبار دون المشاهدة، ويكون اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين كأطلاقه على من ترك الحرام في قوله عليه السلام: (المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه). وقوله: ولا يصدق الى قوله: قلبه بالحجة: قول الامام وله مفهومان. احدهما ان من بيعته الأحكام من الامام قواعدا، وفهمها، وامكنه العمل بها لم يصدق عليه اسم المستضعف كما صدق على من ذكر الله تعالى بقوله: (الآ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الآية^١. حتى يكون معذورا في ترك التفهم الاخبار والعمل بها، بل يؤخذ على ترك العمل ويعاقب وان لم يكلف النهوض والمهاجرة اليه في طلب الدين كما قال تعالى: (ان الذين توفيتهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كستم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم نكسر أرض الله واسمعة) الآية^٢. وقوله: ان امرنا صعب مستصعب: فأمرهم شأنهم ومالهم من الكمال الخارج عن كمال غيرهم كالقدرة على ما يخرج عن وسع غيرهم، والحديث من الأمور العبيية كالوقائع المستقبلية لزماته التي وقعت وفق اخباره فأن هذا الشأن صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء، و اوصياء الانبياء، ومستصعب الفهم على الخلق معجور عن حمل ما يلقي منه من الاشارات، ولا يحتمله الا نفس عبد امتحن الله قلبه للايمان فعرف كمالهم، وكفية صدور هذه الفرائب عنهم ولم يستكر ذلك ويتعجب منه ويتلقاه بالتكذيب، كما فعل ذلك جماعة من جهال اصحابه بل يتلقى ما يصدر عنهم بالإيمان به، واولئك هم اصحاب الصدور الأميتة، والاحلام، لآزينة. واجمع الناس على أنه لم يقل احد من الصحابة: سؤني غير على عليه السلام^٣. واراد بطرق السماء: وجوه الهداية الى معرفة منازل سكاك السموات من السلا الأعلى، ومراتبهم من حضرة الربوبية وعلمه بما هالك اتم من علمه بطرق الأرض بمقدار اتصاله بالملا الأعلى، وانقطاعه عن الدنيا، وهذا اعم من قول من قال اراد أنه اعلم بالدين وقوانينه منه بالدنيا وأحوالها. والفتنة: فتنة بنى امية. وكنى بشفر رجبا: عن خلوتك الفتنة من مدبريديرها، ويحفظ نظام الدين يومئذ. واستعار وصف الناقة المرسل خطامها فهي: تخبط فيه، وكنى به عن وقوع تدك الفتنة على غير نظام بل يقتل

٢ - سورة النساء / ٩٧

١ - سورة النساء / ٩٨

٣ - اندير ٤٤/٢ وج ١٩٦٤/١٩٣٤١٤٨/٦ وج ١٠٧/٧ وج ٣٥١/١٠

فيها المؤمن البريء، ويتمتع فيها المصافق النقي. ويذهب بأحلام قومها أي: يستحق ذوى العقول مهوضون فيها، ويسرعون إليها لنعمتهم فيها عن وجه الحق. وبالله التوفيق.

٢٣١ - وَمِنْ حُطَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَخَذَهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينَهُ عَلَى وَطَائِفِ حُقُوقِهِ. عَزِيزُ الْجُنْدِ، عَظِيمُ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرُ أَغْدَاةَ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ. لَا يُشْبِهُ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى نَكْذِبِهِ، وَتِلْمَاشٌ لِإِطْعَاءِ نُورِهِ. فَانْصَبُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَبَيْتًا عَزُوتَهُ، وَمَغْفِلًا مَبِيعًا ذُرُوتَهُ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَعَمْرَانِهِ. وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَتْلَ نُرُوزِهِ: فَإِنَّ الْعَبَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِدِلْكٍ وَأَعْطَا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبِرًا لِمَنْ جَهَلَ. وَقَتْلَ بُلُوغِ الْعَايَةِ مَا نَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْوَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِنْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمَطْلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَرَعِ، وَاحْتِلَافِ الْأَصْلَاحِ، وَاشْتِكَالِ الْأَسْمَاعِ، وَطَلْمَةِ السَّخْدِ، وَخَيْفَةِ الْوَعْدِ، وَعَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَذَمِ الصَّفِيحِ. قَالَ اللَّهُ عِبَادَتِي، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَدْرَسَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَانَتْهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَرْقَتْ بِأَفْرَاسِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى حِرَاطِهَا. وَكَانَتْهَا قَدْ أَسْرَقَتْ بِرَآدِلِهَا، وَأَدْخَلَتْ بِكَلَامِهَا، وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَحْرَجَتْهُمْ مِنْ حِصْنِهَا، فَكَانَتْ كَنُومٍ مَقْصِيٍّ، أَوْ شَهْرِ أَنْقَضِيٍّ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَغَاءً، وَسَمِيئُهَا غُثَاءً، فِي مَوْقِفِ ضَنْدٍ الْمَقَمِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عَظَمِ، وَبَارَشِيدٍ كَلْبَتِهَا، عَالٍ لَجَبَتِهَا، سَاطِعٍ لَهْبَتِهَا، مُتَعَرِّطٍ زَفِيرَتِهَا، مُتَأَجِّجٍ سَمِيرَتِهَا، بَعِيدٍ خُمُودَتِهَا، دَاكٍ وَقُودَتِهَا، مُخْفِيٍّ وَعِيدَتِهَا، عَمِ قَرَارَتِهَا، مُطَيِّمَةٍ أَقْضَارَتِهَا، حَامِيَةٍ قُدُورَتِهَا، قَطِيعَةِ أُمُورِهَا (وَيَسِيقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) قَدْ أَمِنَ الْغَدَاةَ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُخِرُوا عَنِ النَّارِ، وَأَظْمَأَتِ بِهِمُ الدَّارُ وَرَضُوا الْمَتَى وَالْقَرَانَ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيتَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَحَسُّنًا وَاشْتِغَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشًا وَأَنْفِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْحَسَنَةَ مَابَا، وَالْجَرَءَ قُوبَا، وَكَتَبُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْنَأَ فِي مُلْكٍ ذَائِعٍ، وَتَعَسَّ قَائِمٍ. فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَانِيهِ تَعَوُّزًا لِنَزْكَكُمْ، وَبِإِصْرَتِهِ يَحْسُرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آخَالَكُمْ

بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِهَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَلَعْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ التَّخَوُّفُ فَلَا رَحْمَةَ تَسْأَلُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ. اسْتَغْنَيْنَا اللَّهُ وَإِنَّكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَشْرُكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، الرَّمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى السِّنِّينِ، وَلَا تَسْتَعِجِلُوا بِمَا لَمْ يُعْجَلْهُ اللَّهُ بِكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَغْرَقَةٍ حَقَّ رَبِّهِ وَحَقَّ رَسُولُهُ وَأُخْبِرَ بِتَيْبِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَنَائِي مِنْ ضَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّبِيُّ مَقَامَ إِضْلَالِهِ لِيُسَبِّحَهُ، وَإِنْ لَيْكُنْ شَيْءٌ مِنْ مُدَّةٍ وَأَخْلَا.

اقول: استعار لفظ الحبل والعروة: لما يمسك به من التقوى، ويختصم به من البار والمعقل: الملجأ كالحبل. وامهدوا له: اجعلوا له مهادًا من التقوى. والارماس: القبور والإبلاس: الانكسار والحزن. والمطبع: موضع الاطلاع وهو منازل الآخرة. ومحفل اقيامة واختلاف الاضلاع: كناية عن صعطة قبر المستلزمة لذلك. والصفيح: حجارة يردم بها القبر ويسده. والسنن: القصد، واراد على سنن واحد وهو طريق الآخرة. وفي قرن أى: مقترنين. ولقرن: الحبل بقرن به العبران. واشراط الساعة: علاماتها. وازفت: دنت. افرطها: مقدماتها. واستعار لفظ الكلاكل وهى: الصدور لا تقالها، ولفظ الحصن: لحصونهم فيها، واشتملها على منافعهم فهي: كالاتم الحاضنة لهم. والرث: الحق. والعث: الهزيل. ولضنك: الصيق. والكلب: الشر. والمجب: الصوت. ولساطع: المرتفع. وذلك: مشتعل، والزمرة: الجماعة. ومبادرة لأجال بالأعمال: مسابقتها بها، استعدادا لتسهيل الموت. ومدِينُونَ: مجزؤون.

وقوله: الزموا الأرض الى آخره قيل: هو خطاب خاص لمن يكون بعده من اصحابه، ولزوم الأرض: كناية عن اصبر على المكاره، والثبات فى زمن المتنّة، وعدم الهوى والجهد ما لم يقم لهم قائم بحق. والباء فى بأيديكم: على المكاره. وهوى السننكم: اردد بهم السب والنسب. ولا تحركوا ايديكم وسيوفكم ولستكم بهوها ولا تمحوا بما لم يعنه الله لكم من الجهاد قبل ظهور امام عادل. وقوله: فانه من مات الى قوله بيسعه: بياناً لحكمهم فى زمن عدم قيام الامام العادل بعده لطلب الأمر. وتببه على ثمره الصبر. وهن:

أن من مات منهم على فراشه مع معرفته بحق الله، وحق رسوله، واهل بيته، والاعتراف
بكونهم ائمة الحق، والافتداء بهم، لحق بدرجة الشهداء، وقع اجره على الله بذلك، و
قام صبره على المكاره ونبتة أنه من انصار الحق واهله مقدم جهاده سيفه في استحقاق
الأجر. وقوله: فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَدَّةً وَأَجَلًا: تنبيه على أن لجهادهم وقتا يجب فيه، ولعدوهم
مدة ودولة لا يحورهم القيام فيها مع غير امام حق. هذا هو المتبادر الى الفهم من الكلام والله علم.

٢٣٢ - وَمِنْ حُطَّتِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَاشِي حَمْدُهُ، وَالْعَالِيِبِ جُودُهُ، وَلَمُتَدَلِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى يَغِيهِ التَّوَم،
وَلَا يَهِ الْبَطَام، الَّذِي عَظُمَ جِلْمُهُ قَعَقًا، وَعَدَلَتْ فِي كُلِّ مَقْصَى، وَعَلِمَ مَا يَمْنَى وَمَا مَضَى،
مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْيِيمٍ، وَلَا اخْتِذَاءٍ لِيَذِلَّ صَنِيعِ
حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةٍ حَظٍّ، وَلَا حَضَرَةٍ مَلَأَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَقَى وَنَاسُ
يَصْرِئُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَبْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْثُهُ الْحَيْنِ، وَاسْتَعَقَّتْ عَلَى أَفِيدَتِهِمْ
أَفْقَالُ الرِّينِ.

أَوْصِيَكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِشَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ، وَأَنَّ
تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّقْوَى فِي التَّوَمِ لِحَزْرُ وَلَحْنُهُ، وَفِي
عَبْدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ: مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَاضِعٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَاطِطٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً
نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْأَمَاصِينَ وَالْقَدِيرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا عَدَا إِذَا أَعَدَّ اللَّهُ مَا أَبَدَى. وَأَحَدَ مَا
أَغْطَى. وَسَاءَ عَمَّا أَشَدَّى. فَمَا أَقَلُّ مَنْ قَبْلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمِيلِهَا: أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا.
وَلَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ - سُبحَانَهُ - إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)؛ فَاهْطُطُوا بِأَسْمَاعِكُمْ
إِلَيْهَا، وَكُفُّوا بِجَدِّكُمْ عَنْيَهَا، وَاعْتَاضُوا بِهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ نَحَسًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ
مُؤَافِقًا، أَيْقُظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَنَظُّظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا بِهَا
دُؤُوبَكُمْ. وَذُؤُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحَمَامَ، وَغَشِّرُوا بِمَنْ أَصَاعَهَا، وَلَا تَغْتَرَبَنَّ بِكُمْ
مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا وَصُونُهَا وَنَصُونُهَا بِهَا. وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزْهًا، وَالْأَخِيرَةِ وَلَا هَا،

وَلَا تَضَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ الدُّنْيَا، وَلَا تَتَّبِعُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تَقْتَنُوا بِأَغْلَاقِهَا؛ قَبْلَ بَرَقِهَا خَالِبٌ، وَنُظْمَتِهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ، وَأَغْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ، أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعَتُونُ، وَالْبَاجِمَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونُ وَالْجَحْرُودُ الْكُشُودُ، وَالْعَتُودُ الصَّلُودُ، وَالْحَبُودُ السُّيُودُ؛ حَالُهَا أُنَيْتَانُ، وَوُطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَغِزْأُهَا هَزَلٌ، وَغَلُوبُهَا سُفْلٌ، ذَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهَبٍ وَغَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَبَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْتَبَرَتْ مَهَارِبُهَا. وَخَابَتْ مَقَالِلُهَا، فَاسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ، وَلَقَطَتْهُمْ الْمَتَارِكُ، وَأَغْبَشَتْهُمْ الْمَحَاوِكُ، فَمِنْ نَاحِ مَعْتُونٍ وَلَحْمٍ مَجْزُوبٍ وَيَلْبُؤُ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَغَاضٍ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِي بِكَيْفِيهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدْيِيهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ غَرْمِهِ، وَقَدْ أَذْبَرَتْ الْجَيْلَةُ، وَأَنْبَلَتْ الْيَسِيلَةُ، وَلَاتٌ جَيْنٌ مَنَاصِرٌ، وَهَيْهَاتَ، ثُمَّ هَيْهَاتَ ۱۱ قَدْ قَاتَ مَا قَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِهَا بِأَلِهَا (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كُنُوا مُنْظَرِينَ).

أقول: الفاشي: المنتشر. والحيولة: الخمرة: غيبة الجهل. والحين بالفتح: الهلاك. والرین: غطاء الجهل وَعَلَيْكَ الذُّنُوبُ الْمَغْطِيَةُ لأعين البصائر. واستعمار لفظ الاقفال: للجهل والذنوب. وتستعينوا بها على الله أي: على نيل ثوابه، ودفع عقابه، وكونها في اليوم حرزا وجنة أي: في الحياة الدنيا لقوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) الآية ٢ وغداى: يوم القيامة. ومستودعها: بالفتح من أودعها، وقبلها، وحافظ أي: لها و لنفسه من التورط في الآثام وعذاب الله وعرضها لنفسها: كونها للأخذ والافتناء. واسدى: ارسل معروفه. واطعوا بأسماعكم: اسرعوا بها. واكفلوا أي: داوموا وواظبوا عليها، وروى باللام أي: الرموا. واشعروها قلوبكم أي: اجعلوها شعارا لازما لها. وارحضوا أي: اغسلوا. والوله: التحير من شدة الوجد. وشيم البرق: انتظار ان يمطر سحابه والطمع في ذلك. واستعمار لفظ البارق: لما يلوح من اطماعها، وكسى بناطقها: عن مادحها. وما كشف ريسها من قول اوفعل اوزينة اومتاع. وبسماحه: عن الاصفاء اليه والميل نحوه. وناعقها: الداعى اليها. واستعمار لفظ الاشراق: لآراء الهداية الى وجوه

تحصيلها، و وصف الاستضاءة لا تباع تلك الآراء. ويحتمل ان يريد بإشراقها: زينتها التي تبهج بها، والاستضاءة بذلك: ابتهاج به. واعلاقتها: ما يعد فيها نفيسا. والخب: الذي لا مطر معه.

وقوله: فَنَ بَرَقَها، الى قوله: مسلوبة: فى قوة صغرى ضمير، يقره عليها تعليلا لتلك المناهى، وتقدير كبراه: وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان يلتفت اليه. والمحروب: المأخوذ بأجمعه. والمتصدية: المستعرضة. والعنود: الذابة المتقدمة فى السير. والعنود: كثيرة العنن وهو الاعتراض. قال بعض الشارحين: استعار لها وصف المرأة الفاحرة اشى من شأنها التعرض للرجال لتخدعهم عن انفسهم. ويحتمل ان يكون استعار لوصف الذابة يمشى عرض الطريق، والدبا باعتبار كثرة تعثراتها وتعثباتها، وجريها على غير قانون يحفظ فيه. واستعار لفظ الجموح والحزون: لها، باعتبار عدم انقيادها وعدم القدرة على تصريفها عند الحاجة اليها. والمائة: الخانة الكاذبة. والكود: الكفور للنعمة. والعمود: المائلة عن القصد، وكذلك لحيدود: كثيرة الحديد وهو الميل. والميود: المتمايلة. والحرب يفتح الحاء: مثل الماء. واسلب: ما يسلب الانسان من ثوب وغيره. وعلى ساق: كناية عن عدم استقرارهم فيها. وقيل: الساق: الشدة. والسياق: نزاع الروح، والسياق: مصدر ساقه سياقا، وهو ايضا: كناية عن الأمر الشديد. وللحاق اى: بالمتضمن. وفراق اى: لها. وتخير مذهبها: عدم الاهتداء الى طرق خيرها، ودفع شرها. واسد الحيرة الى المذاهب مجازاً اى: تخير أهلها فى مذهبها. وكذلك اعززت مهارها اى: اعززت من طسها فى مهاربها. والمحاول: جمع محالة وهى الحيلة. وقوله فمن ناح الى قوله عن عزمه: تقسيم لاهبها باعتبار ما يرميهم به من مصائبها. والشو: العصورى اللحم بعد الذبح، وشلاء الانسان: اعصاه المتفرقة فى البلى. والغيلة: للاخذ على غرة. والعصّ على اليدين: كناية عن الدم فى الآخرة. والمرتق بخنبتة: جعل مرفقيه تحت خديه ندماً. وزاد على رأيه اى: فى تفريطه، وراجع عن عزمه فى ذلك، والمندص: مصدر قولك ناص بوصا اى: فروزاغ. ولات: حرف سلب، شبه ليس، واصمرفيها اسم الفاعل ولا يستعمل الا مع حين وقد تحذف حين. والبال: القنب. والضمير فى مضت: للدنيا. وبالله التوفيق.

٢٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تسمى القاصعة

وهي تَنْفَضُّ ذِمَّ إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم - عليه السلام - وأنه أول من أظهر العصية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته ومن الناس من يُسمي هذه الخطبة «القاصعة»

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْبَرَّ وَالْكَبِيرَاءَ، وَأَخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ ذُوْنَ خَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُمَا جَمْعًا وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَصْطَفَاهُمَا لِبِلَالِهِ، وَحَقَّقَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَارَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ؛ لِيَبَيِّنَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُشْكِكِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمُخْجَوَاتِ الْعُيُوبِ. (أَنْتِي خَالِقُ نَسْرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَتَخَذَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِسَ) اغْتَرَضَهُ الْحِمِيَّةُ فَاقْتَعَرَ عَلَى آدَمَ بِحِلْمِهِ؛ وَتَغَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَقَعَدُوا اللَّهَ إِنْ أَمَّا الْمُتَقَصِّصِينَ، وَسَلَفَ الْمُشْكِكِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَنَارَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ؛ وَادَّرَعَ لِيَأْسَ التَّعَرُّنِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدْلِيلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغُرَ اللَّهُ بِكِبَرِهِ؟ وَوَضَعَهُ اللَّهُ بِقَرُوعِهِ؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَحْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاءَهُ، وَيَتَهَرُّ الْعُقُولُ رُؤُودَهُ، وَيُطِيبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعْلٌ، وَلَوْ قَعَلَ لَطَلَّتْ لَهُ الْأَغْثَاقُ خَاضِعَةً، وَلَحَقَّتْ الْهَلَوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَبْتَلَى خَلْقَهُ بِتَعْصِفٍ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَعْيِيرًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِنْعَادًا لِلْخِيَلَةِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِسَ؛ إِذْ أَخْبِطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَتَهَدَّاهُ الْجَهِيَّةَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافٍ سَنَةً لَا يُدْرِي أَمِنْ سِنَى الدُّنْيَا أَمْ سِنَى الْآخِرَةِ - عَنْ كِبَرِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا! مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ

الْحَيَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أُخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَكًّا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا
يَسِّرُ اللَّهُ وَيَبَيِّنُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةً فِي إِيَّاحِهِ حَتَّى حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاخْذَرُوا عَذَابَ اللَّهِ، أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِدِينِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِرِّكُمْ بِدِينِهِ، وَأَنْ يُخَيِّتَ عَنْكُمْ بِحَيْلِهِ
وَرَجُلَهُ، فَلَقَمَرِي لَقَدْ قَوَّى لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَعْرَقَ لَكُمْ بِالنَّارِ الشَّيْءَ، وَمَا لَكُمْ مِنْ مَكَبٍ
قَرِيبٍ، وَقَالَ: (رَبِّ بِمَا أَعُوذُنِي لَا تُرْسِتْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ)، فَمَا
يَعْنِي بَعِيدٌ، وَرَجُلًا بِطَرَفٍ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَتْبَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَأَحْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ
وَالْعَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَايِمَةُ مِنْكُمْ، وَشَخَّصَتْ الطَّيْفَ عَنْهُ مِنْكُمْ، فَنَحَمَتِ الْحَالِ مِنَ السَّرِّ الْحَقِيَّ إِلَى الْأَمْرِ الْخَلِيِّ، اسْتَفْجَلَتْ سُلْطَنَهُ عَنْكُمْ، وَذَلَّتْ بِحُودِهِ
نَحْوَكُمْ، فَاقْتَحَمُواكُمْ وَلَجَابِ الدَّلَّ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَابَ لَقْلٍ، وَأَوْطَأَكُمْ إِلْحَمَانَ الْجِرَاحَةِ:
ظُلْمًا فِي عُيُونِكُمْ وَحَرًّا فِي حُلُوفِكُمْ، وَذَفَا لِمَنَاجِرِكُمْ، وَقَصَّدَا لِمَقَائِلِكُمْ، وَسَوَّقَا بِحَرَائِمِ
النَّهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَذِّةِ لَكُمْ، فَصَبَحَ أَعْظَمَ فِي دِيْبِكُمْ جَرَحًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ عَدَا،
مِنْ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُتَاصِفِينَ، وَعَيْنِهِمْ مُنَاقِصِينَ، فَاجْعَلُوا عَنْدَكُمْ وَكَيْدَكُمْ! فَتَعْمُرُ
اللَّهُ لَقَدْ فَخَرْنَا عَلَى أَصْلَابِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَنِكُمْ، وَذَقَّ فِي نَسَبِكُمْ، وَجَلَّتْ بِحَيْلِهِ عَنْكُمْ،
وَقَصَّدَ بِرَبِّهِ سَبِيلَكُمْ: يَفْتَضِلُكُمْ بِكُلِّ مَكَّنٍ، وَيَضْرِبُكُمْ بِكُلِّ نَفَاسٍ، لَا تَنْسَوْنَ
بِجَلِّهِ، وَلَا تَذْفَعُونَ بِقَرَبِهِ فِي حَوَافِ دِيْبٍ، وَحَلَفَ ضَيْقٍ، وَغَرَضَ مَوْتٍ، وَحَوْلَ بِلَاقٍ، فَاطْفَعُوا
مَا كَمَسَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَأَخْفَادِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّمَا يَلِكُ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي
الْمُشِيمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَخَوَائِبِهِ، وَتَرْغَائِهِ وَنَقَدَاتِهِ، وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ الدَّلَّ عَلَى
رُءُوسِكُمْ، وَلِقَاءَ التَّعَرُّذِ تَحْتَ أَفْئَامِكُمْ، وَحَنَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْمَةِ وَكُمُ، وَاتَّخَذُوا التَّوَاضُّعَ
مُسْتَحَقًّا، تَبَيَّنَتْ مِنْ عَذَابِكُمْ: إِبْلِيسَ وَحُودَهُ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَحَلًا
وَفُرْسَانًا. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُكْبَرِ عَلَى أَثَرِ أُمَّةٍ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ خَعَمَهُ اللَّهُ بِهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتْ
الْعُقُوبَةُ بِفَسَادِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتْ لَحْمِيَّةً فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْعَصَبِ، وَمَعَ الشَّطْرُ
فِي أُنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّتِي أَغْفَتَهُ اللَّهُ بِهِ اللَّذَمَةَ، وَالزَّمَةَ أَدَمَ الْقَاتِلِينَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَفْعَنْتُمْ فِي الْبُغْيِ، وَفَسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ، مُضَارِعَةً إِلَيْهِ بِالْمُنَاصَةِ، وَمَنَازَرَةً
لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَازَرَةِ! فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَهُوَ مَلَقِجُ الشَّيْءِ، وَمَتَفِجُ

الشيطان، التي خدع بها الأئمة الماضية، والقرؤون الخالية، حتى أغشوا في حناديس جهنم! ونهاوى ضلالتهم، ذللاً على سياقه سلساً في قيادته، أمراً تشابهت القلوب فيه، وتباينت القرون عليه، وكثيراً تصايقت الصدور به ألا قال الحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسيهم، وترفعوا فوق نسيهم، وألقوا الهجينة على رثهم، وجاحدوا الله على ماصنع بهم، مكابرة لفضائهم، ومغالبة لآيائه! فإنهم قواعد أساس العصية، ودعائم الزمان البتة، وسيوف اغتراء الجاهلية، فاتقوا الله ولا تكونوا ليعنهم عليكم أصداء، ولا ليفضلهم عندكم حساد! ولا تطيعوا الأذعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحيتهم مريضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم؛ ولهم أساس السوء، وأحلاس العقوق؛ اتخذهم إلههم مطايا ضلال، وخلدوا بهم بصو على الناس، وترأجمه ينطق على السنيهم استيرافاً لعقولكم، ودخولاً في غيونكم، ونفثاً في أسماعكم؛ فبعلكم مرمى نبيل، وموظىء قديم، ومأخذ يده.

اقول: القمص: ابتلاع الماء والحرة. وقصعه قصاً: صغره وحقره. وقيل: في معنى تسميتها بذلك: أنه عليه السلام خطب بها أهل الكوفة على ناقه وهي تقمص بجرتها فسميت خطمة القاصعة. وقيل: بل لأن فيها قصص إبليس وتحقيره.

واعلم أن مدار هذه الخطبة على التهي عن الكبير، والفخر، وما يلزمه من التفرقة والفتنة ووصف إبليس: مستعار لوصفه تعالى بالعز والكبرياء، واختياره تعالى لهما يعود إلى استحقاقه لهما بالذات إذ الممكن لا يليق به التفرغ والتكبر من حيث هو ممكن محتاج، وخلقه من نور خلقه شفافاً أو خلقه مجرداً عن علائق المود، أي: لو أراد خلقه كذلك لكان مقدوراً له: فلم يخلق من طين ظلماني كثيف. والخيلة: الكبير، وقد اشرنا في الخطبة الأولى إلى قصة آدم وهي واضحة هنا. والاحياط: الإبطال. وجهه: اجتهاده. وقد صرح عليه السلام: أن إبليس كان من الملائكة وقد اشرنا في الخطبة الأولى إلى وجه الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى: (الآ إبليس كان من الجن) ^١ والهوادة: الصلح. وقوله فمن ذالذي يسلم على الله أي: يرجع إليه سالماً. و محل أن يعيدكم: نصب على البدل من عند الله. وخيله ورحله: كناية عن اعوانه الصالحين

المصلّين. واستعار بقط السهم: لما توعّدهم به من التّزّيب والوسوسة، ومكانه القريب: ما أشار إليه الحبر السبويّ: (إنّ الشيطان ليحرى من ابن آدم محرّى الدم)^١، وقوله صلى الله عليه وآله: (لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لطمروا لبي مكوت السماوات) والعيب: ما غاب عنه فلم يعلمه فعذّب بحكم بعيد عن علمه، وهو: الاعواء والاعرف في النزاع استيفاء مدّ السهم، وإن قست: فلم قاله غير مصيب مع أنّ ائیس صدق ظه في اغواء الناس كما قال تعالى: (وقد صدّق الى قوله المؤمنين)^٢؟ أجيب من وجهين: أحدهما أنّه ظنّ أنّ اغواهم يكون منه وكن مهم اختياراً لأنهم أحبوا العمى على الهدى، فعووا عن الطريق وكن ظه في نسبة ذلك اليه غير مصيب، وإنما صدقوه هي وقوع احواية مهم وفق ظه. الثاني: أنّ حكمه بأنّه يعوى الحقن اجمعين حكم فاسد عن ظن غير مصيب. وثالثاً: استنباطه لمختصين: فكأن تصديقاً لقوله تعالى (نّ عبادى ليس لك عليهم سلطان)^٣ لأن ظنّ منه لذلك، والحمية المذمومة والعصية في الباطل. واستعار لفظ الجماعة: للنفوس التي تقوى على بليس ثم نس به. وقوله فجئت الى قوله احوال، اى: فظهرت الحال التي كان يرومها منكم ويظهر منكم وهي احواية من القوة الى الفعل. ونظامعة: الطمع. وولف: مشى ودنا. واقحموكم: ادخلوكم. ولوحات: جمع ولجة بالفتح، موضع كالكهف ونحوه تستتر به المارة من المطر وغيره. والورطة: الارض المطمّنة لاطريق فيها. وتنصب طعنًا وما بعده على المصادر عن فعالها المقدرة. والخزائم: جمع خروامة بالكسر وهي حقة من شعريكون في انف البعير يشد بها الزمام. والمناسبة: المعادة. والتآب: الاجتماع. وحدهم بأسهم وسطوتهم. ولرفع في السب: كناية عن الوقوع فيه. وحومة الشيء: معظمه وما استدار منه على كثرة. والمسلحة: قوم ذو سلاح يحفظون الثمر. واراد بالمتكبر عني ابن امة، قاس حين قتل اخاه هابيل عن حسد وكبر.

قيل: وأنما قال ابن امة دون ابيه لأنّ الوالد الحق هو الام، وأما الأب فم يصدر منه غير النطفة التي ليست بولد بل جزءا ماديا له. وقوله: والدّمة آثارم القاتلين اشارة الى قوله تعالى: (من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل^٤) الى قوله تعالى (جميعاً) اى: يكونوا

١. الجامع الصغير ٣١١/١ صحيح مسلم ١٧١٢/٤. ٢. سورة مآء/ ٢٠.

٣. سورة الحجر/ ٤٢. سورة الاسراء/ ٦٥. ٤. سورة المائدة/ ٣٢.

اثمه وعقابه في الشدة كأنهم قاتل الناس جميعا وعقابه. وقول الرسول عليه السلام: (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة) وقابيل أول من سن القتل، فلا حرم لزمه آثام القاتنين الى يوم القيامة. والشنآن العداوة. والمصارحة المكاشفة. والملاقع: جمع ملقح بفتح الميم وهو الفحل. والشنآن: البغضاء. واعنق البعير في السير مدعقه وخطوه. والحنادس: جمع حندس بالكسر وهو الليل شديد الظلمة. والهيجنة: الفعل القبيح. والاعتزاء: الانتساب الى أب او قبيلة كقولهم بآل فلان. واستعار لفظ الاضداد لمن يكفر نعمة الله باعتبار بعدها عنه ومفارقة اياها بذلك. ولطف الحساد اذ كافر النعمة كأنه يطردها عنه بكفرانه لها حاسد. ويحتمل ان يكون بهيا عن حسد الغير. وقوله وشربتم بصفوكم كدركم اي: فترجم اكدركم فتنتمهم وذرائلهم بما صفى من دينكم، وخلص فشربتموه ووصف الشرب مستعار. وكذلك قوله: وخلطتم بصحتكم مرضهم اي: بخالص ايمانكم ودينكم ففاقهم وذرائلهم. والجلس: كساء رقيق تحت بردهته^١ واستعار لفظه لهم باعتبار ملازمهم للعقوب كملازمة المجلس لظهر البعير و نصب استراقا على المفعول له اوعلى الحصدر. وازاد ينطق على الستهم: بما يخدعكم به من جهة عقولكم، بالوهميات الكاذبة التي يشبه اليديهيات. والعاديات: التي يخدع بها العقل ومن جهة ابصاركم كالوسوسة بالمبصرات وتزيئها ومن جهة اسماعكم كترين الجواذب السمعية الى الدنيا.

الثاني، في الأمر بالاعتبار بحال الماضين: وما اصاب الامم المتكثرين، وبحال الانبياء وفضلهم في التواضع وحال اختبار الله المتواضعين من خلقه نصيبها بيتا لعبادته وذلك قوله:

فَاعْتَبِرُوا يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا الَّذِيْنَ كُنْتُمْ مِنْۢ بَآسِ اللّٰهِ وَصَوَلٰٓيْهِ، وَوَقَّيْهِ وَمَثَلٰٓيْهِ، وَاتَّقُوا يٰٓمُنَآوِيْ خُدُوْذِهِمْ، وَمَصَارِعَ جُنُوْبِهِمْ.

وَاسْتَقْبِلُوْا بِاللّٰهِ مِنْ لَّوَابِحِ الْكِبَرِ، كَمَا تَسْتَقْبِلُوْنَ مِنْ غُلُوْبِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللّٰهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيْهِ لِمَا خَصَّ أَنْبِيَآئِهِ وَمَلَائِكَتِيْهِ، وَلَكِنَّ اللّٰهَ كَرَّ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعَ، فَاصْغَوْا بِالْأَرْضِ خُدُوْذَهُمْ وَغَفَرُوا فِي الشَّرَابِ وَجُوهَهُمْ،

١- صحيح مسلم ٧٠٥/٢ وج ٢٠٥٩/٤. ٢- في نسخة ش: تحت لفتب.

وَحَفِظُوا أَجِيحَتَهُمُ لِلْمُؤْمِسِ وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعِفِينَ، وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ،
وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَافْتَحَتْهُمْ بِالسَّخَاوِ، وَمَحَصَّهُمْ بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَغْتَبِرُوا الرِّضَا
وَالسُّخْطَ بِالْعَالِ وَالْوَلَدَ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْمِثْنَةِ، وَالْإِخْتِبَارَ فِي مَوَاضِعِ الْمَيْتِ وَالْإِثْنَانِ، وَقَدْ قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُبْعِدُهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، أَمْ لَا يَشْعُرُونَ) قَوْلَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ
فِي أَغْيِيهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أُخُوهُ هَارُونُ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنَى فِرْعَوْنَ وَعَنْبِيَهَا
مَدَارِغَ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصَى فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: «أَلَا
تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوْمَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ
وَالدَّلْ، فَهَلَّا أَتَيْتُ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ؟» إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِيهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ
وَلِئْسَ بِهِ. وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَثُّ بَعَثَتِهِمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُورَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ
الْعِيقَيْنِ، وَمَقَارِسَ الْجَنَانِ، وَأَنْ يَخْشَرُ مَعَهُمْ ظِلَّ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعْلًا؛ وَلَوْ فَعَلَ
لَسَقَطَ السَّمَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَأَصْحَحَتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَحَتِ الْفَقَائِدِينَ الْخُورَ الْمُتَلَتِينَ،
وَلَا أَسْتَحَقُّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُخْلِصِينَ، وَلَا لِرَبِّهِمُ الْأَسْمَاءُ مَعَايِهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيمَا تَرَى الْأَغْيَى مِنْ حَالِهِمْ، مَعَ قَسَاوَةِ
تَمَلُّ الْفُلُوتِ وَالْعُيُونِ عَنَى، وَخَصَاصَةِ تَمَلُّ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ أَدَى.

وَلَوْ كَسَبَ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُصَامُ، وَمُلْكٍ تَمُتُّ نَحْوُهُ أَغْنَاكَ
الرَّجُلَ، وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عَقْدَ الرَّحَالِ؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَى عَلَى الْحَلْقِ فِي الْإِعْيَابِ وَأَتَقَدُّ لَهُمْ
فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا تَمُوتُوا عَنْ رَهْبَتِهِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَتِهِ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيِّاتُ مُشْتَرَكَةً،
وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْنَانُ لِرُسُلِهِ، وَالنَّصِيدُ بِكُتُبِهِ،
وَالْحُسُوعُ لِيُوجِبِهِ، وَالْإِسْتِكْنَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِيُذَعِّبَهُ؛ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا يَشُوبُهَا مِنْ
غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلَوَى وَالْإِخْتِبَارُ أَغْظَمَ، كَانَتِ الْمُثْبُوتَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ
مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَخْبَارٍ لَا تَصْرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ فَبَعَثَهَا بَيْنَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ

لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَمَ تَقَاتِي الْأَرْضِ مَدْرًا. وَأَصْبَقَ بَطْنُونَ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا؛ بَيْنَ جِبَالِ خَشِيشَةٍ، وَرِمَالِ دَمِيئَةٍ، وَغُبُورٍ وَشَيْلَةٍ، وَفَرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَتَرَكُوبُهَا حُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَلَدَهُ، أَنْ يَنْتُوا أَغْطَاقَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَنَاءُهُ لِمُتَمَتِّحِ أَسْفَارِهِمْ، وَعَايَةً يُلْتَقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ نِمَارُ الْأَفِيدَةِ مِنْ مَقَاوِزِ قَنَارٍ سَجِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِتْجَاجِ غَيْمِيَّةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْرُوا مَتَا كَيْهَهُمْ دُلًّا يَهْلِكُونَ لَبَهُ حَوْلَهُ، وَيَزْمَلُونَ عَلَى أَفْدَائِهِمْ شَعْنًا غَبْرًا لَهُ، قَدْ نَبَذُوا الشَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِغْفَاءِ الشَّعِيرِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، أَثِيلَاءَ عَظِيمًا، وَأَمِيشَانًا شَدِيدًا، وَأَخْتِيَارًا مُبِينًا، وَتَمْجِيسًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوُضْعَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ مُسْخَاعَتَهُ أَنْ يَقْصَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِيرَهُ الْبِدَلَامَ، بَيْنَ جَبَابٍ وَأَنْهَارٍ وَمَهَلٍ وَقَرَابٍ جَمِّ الْأَشْجَارِ ذَاتِي الثَّمَارِ مُلْتَفِّ الْبُشَى، مُتَّصِلِ الْقَوَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمَرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَزْيَافٍ مُخْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُصْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ غَامِرَةٍ؛ لَكَانَ قَدْ صَعَرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ صَغْفِ الْبَلَاءِ، وَ لَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمُحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَخْخَارُ السَّرْلُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرَّةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ؛ لَخَفَّتْ ذَلِكَ مَسَارِعَةُ الشُّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوْضَعُ مُجَاهَدَةِ الْإِلْسِ عَنْ الْقُلُوبِ، وَلَتَقَى مُتَعَلِّجُ الرَّئِيبِ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْشُرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَ يَتَعَدُّهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهِدِ، وَيَتَلَبَّسُهُمْ بِصُرُوبِ التَّكَارُهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا دُلًّا لِعَفْوِهِ.

فَاللهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ؛ فَلَبَّهَا مَضِيئَةُ الْإِلْسِ الْمُطْمَئِنِّ، وَمَكِيدَةُ الْكِبَرِيِّ، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تَكْبَرِي أَبَدًا، وَلَا تُنْصِي أَحَدًا؛ لَا عَالِمًا يَعْلَمُهُ، وَلَا مُهْلًا فِي طَمَرِهِ، وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالرُّكُوتِ، وَمُجَاهَدَةَ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَشْكِينًا لِأُطْرَافِهِمْ، وَتَحْشِيمًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذَلُّيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وَتَحْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْحِيلَاءِ عَنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِزِّهِمُ بِالْوُجُوهِ بِالثَّرَابِ تَوَاضَعًا، وَالتَّضَاقِ كَرَامَةً الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَضَاعُغًا، وَلِحُوقِ الْبَطُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا، مَعَ مَا فِي الرُّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. انْطَرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْحِ ظَوَالِحِ الْكِبَرِ.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَخَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّ يُشَىءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَسِيلُ تَعْوِيَةُ الْجَهْلَاءِ، أَوْ حُجَّةٌ تَلِيظُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرُكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ لَا يَعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ؛ أَمَّا إِيَّائِي فَتَعَصَّصْتُ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَظَعَنْ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ. فَقَالَ: (أَنَا بَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ) وَأَمَّا الْأَغْيَاءُ مِنْ مُثَرَّةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ؛ فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ).

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَعَايِدِ الْأَفْعَالِ، وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالشُّجْدَاءُ مِنْ يُتَوَاتَبِ الْعَرَبِ وَ بَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّعِيَّةِ، وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْمُخْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ: مِنَ الْحِفْظِ لِلْحَوَانِ وَالْوَفَاءِ بِاللِّقَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمُعَصَّبَةِ لِلْكَبَرِ، وَالْأَخِذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْطَامِ لِلْمَقْتَلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْمَلْحَقِ، وَالْكُفْمَ لِلْعَبِيطِ، وَاجْتِنَابِ الْقَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنْ لُثُلَاتٍ، بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَدُمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ؛ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَعَاوُبِ حَالِهِمْ، فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَ لِعِلَّةٍ بِهِ شَأْنُهُمْ؛ وَفَوَاحِشِ الْأَعْدَاءِ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَاقِبَةُ فِيهِ بِهِمْ، وَأَنْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مِنْهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِمْ حَبْلُهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْمَرْفُوعَةِ، وَاللِّزُومِ لِلْأَلْفَةِ وَالتَّحَاضُّ عَالِيهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمُ: مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاخُرِ الصُّدُورِ، وَتَذَاوُلِ النُّفُوسِ، وَتَحَادُلِ الْأَيْدِي، وَتَذَكَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ: كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّعْجِيبِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَمْلَ الْخَلَائِقِ أَغْيَاءً، وَاجْتَهَدُوا الْعِبَادَ بِلَاءً، وَأَصْبَحَ أَهْلُ الدُّنْيَا حَالًا؟ انْتَحَذَهُمُ الْفِرَاعِيَّةُ عَيْبَاءً، فَسَاسُوهُمْ سُوءَ الْغَدَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ فَلَمْ تَنْتَجِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْهَلَكَةِ، وَ قَهَرَ الْعَلَبَةُ: لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي انْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْإِخْتِمَالَ لِلْمَكْرُورِ مِنْ خَوْفِهِ؛ تَجَعَّلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ قَرِيبًا؛ فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيُّمَةً أَغْلَامًا، وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَتَلُجِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حِينَئِذٍ كَانَتِ الْأَمْثَلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُتَفِقَةً، وَالْقُلُوبُ

مُعْتَدِلُهُ، وَالْأَيْدَى مُتَرَادِفَةٌ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةٌ، وَالْبَصَائِرُ تَأْمِلَةٌ وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَفْئَادِ الْأَرْضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟ فَأَنْظَرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الْأَلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَمِينَةُ، وَشَقَعُوا مُحْذِلِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قِصَصُ أَحْبَابِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنَى إِسْحَاقَ وَبَنَى إِسْرَائِيلَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَمَا أَشَدَّ اعْتِبَادَ الْأَخْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِيَاءِ الْأَمْثَالِ!!!

تَأْمَلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لِكَيْلِكَ كَانَتِ الْأَكَاسِيرُ وَلِقْيَا صِرَّةِ أَرْبَابًا لَهُمْ يَخْتَارُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْأَقَافِ، وَبَحْرِ الْعُرَاقِ، وَخُصْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَتَابِ الشَّيْخِ، وَمَهَا فِي الرِّيحِ، وَتَكْدِ الْمَعَاشِ، فَتَرْكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانٌ ذَبَرُوا وَبَرَّ، أَذَلِكَ الْأُمَمُ ذَارًا، وَأَجَدَ بِهِمْ قَرَارًا، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَخْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلَمَةٍ يَتَعَمِّدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالْأَخْوَالُ مُضْطَرَّبَةٌ، وَالْأَيْدَى مُخْتَلِمَةٌ، وَلَكثَرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءٍ أَرْبَلٍ، وَأَطْبَاقُ جَهْلِ مِنْ بَنَاتِ مَوْعُودَةٍ، وَأَسْنَامُ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامُ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتُ مَشْهُودَةٍ.

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ نَعَيْتِ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَقَدْ جَلَّتْ بِمِلَّتِهِمْ طَاعَتُهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتَنُ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَذَاوِلَ نِصْبِهَا، وَالتَّصَّبَ الْجِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْخَرُوا فِي نِعْمَتِهَا عَرِيقِينَ، وَفِي خُصْرَةِ عَيْبِهَا فَكِيهِينَ؟ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَأَوْتَهُمُ الْحَاكِمُ إِلَى كَتِفِ عِزِّ حَالِيبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ قَائِمَةٍ، فَهُمْ حُكْمٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَ مُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ: يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَنْهُمْ، وَيُمَضُّونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُنْصِيهَا فِيهِمْ، لَا تَنْفَرُ لَهُمْ قَنَاءٌ، وَلَا تَفْرُغُ لَهُمْ صَفَاءٌ!!!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ؛ وَلْتَمَنَّكُمْ جِصْنُ اللَّهِ الْمَضْرُوبُ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَمَّنَّ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلَمَةِ: الَّتِي يَتَّقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا - بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً: لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ بِغَدِ الْهِجْرَةِ أَغْرَابًا، وَبِغَدِ الْمَوْلَاةِ أَغْرَابًا، مَا تَتَعَلَّمُونَ

مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رُسْمَهُ!!

تَقُولُونَ «الْمَارَّ وَلَا لَعَانَ» كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْسِبُوا الْإِسْلَامَ عَنَى وَجْهِهِ أَنْتُمْ كَمَا
لِحَرِيمِهِ، وَتَقْضَى لِيَسَّةٌ فِيهِ، الَّتِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَنَا بَيْنَ خَفِّهِ، وَإِنَّكُمْ
إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى عَيْبِهِ حَارَكْتُمْ أَهْلَ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا حَزْبَ نَزِيلٍ وَلَا مِيسَكَيْنِ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا
أَنْصَارَ يَنْصُرُوكُمْ، إِلَّا الْمُعَارَعةَ بِالسَّيفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنْ عِنْدَكُمْ الْأَثَمَاتُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَوَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَظِلُّوا وَعِيْدَهُ
تَهْلًا بِأَحْذِهِ، وَتَهْوُوا بِتَضْيِيعِهِ، وَيَأْتِ مِنْ تَأْسِهِ؛ قَوْلُ اللَّهِ سُحْنَةٌ. لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْآنُ الْمَاضِي
بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَغَفَرَ اللَّهُ السُّفْهَاءَ لِيَرْكُوبَ
الْمَعَاصِيَ، وَالْحُكَمَاءَ لِتَرْكِ نَشَاجِيهِ، أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَبْذَ الْإِسْلَامِ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ،
وَأَمَّتُمْ أَحْكَامَهُ.

أقول: المثلثات: العمومات. وثنوى: المقام. ولوقح الكبرياء ما يلحقه
من الشبهات والتخيلات الفاسدة. ومحصة: المجاعة. والمحبة: المشقة.
والتمحص: الاختبار. والاف: الممر والاساورة: جمع اسوار وهو السور. والمعقيد
حاصل الذهب. والأنبياء: اخبار السماء. والبلاء الذي كان يسقط ببلاء المتكبرين
بالمستضعفين من اولياء الله، ذلما تصعف اذن، وكذلك يسقط ببلاء الانبياء بالفقر والصبر
على اذى المتكبرين. وكذلك حزاء العادات واطاعات سقوط البلاء بها، اولآها اذن
يكون عن رهبة فيسقط جزاؤها الاحروى، وبحسب ذلك كان يسقط خبر لسماء
من الوحي لان الدنيا والآخرة ضربتان. والأنبياء عليهم السلام وان كانوا افضل الخلق الا
انهم محتاجون الى الرياضة بالنزهد والاعراض عن الدنيا في نزول الوحي عليهم، كما
هو المشهور من حالهم عليهم لسلام. والمنقول عن نبينا صلى الله عليه وآله من قطع نفسه
عن الدنيا وطبائنها مشهور متواتر. وكذلك لا يكون لقائى كلام الانبياء اجرا مبتهين بهم
فى حال ما هم بسزى الفقر والمسكنة. وكان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين الى
انفسهم بمجاهدة الشيطان عنها، لان ايمانهم يومئذ يكون عن رغبة اورهة. اوثواب
المحسنين الى الأنبياء بالابواء والنصر لهم حين البعثة. ولا لزمنا الاسماء معانها اى

لا يكون حقائق فيها مثلاً من كان يسمى مؤمناً لا يكون هذا اللفظ حقيقة فيه اذ هو حقيقة في الايمان الحاضر القسبي، وهو غير موجود الا باللسان عن رهبة و رغبة. وكذلك من سمى مسلماً او زاهدا او نبيا لا ارتفاع كل ذلك. والخاصة: الجوع. وقوله لكان ذلك اهون على الحلق في الاعتبار اى: ان الانبياء اذ كانوا بزى الملوك كان اعتبار الناس بحالهم و رجوعهم اليه اسهل، و كانوا ابعد من الاستكبار عليهم ممّا اذا كانوا بزى الفقر. والنيات مشتركة اى: خالصة لله بل لرهبة او رغبة، ولا كانت حسناتهم في انفسهم و في الانبياء خالصة بل منقسمة بحسب النيات المختلفة. والوعز: الصعب. والتناق: جمع نتيقة وهي البقاع لمرتفعة، واراد مكة. و كنى تشعبها عن شهرتها وعلوها بالنسبة الى ما استسفل عنها من البلاد. وقيام اى: مقيماً لأحوال الناس هي الآخرة. او بحال اهل مكة باجتماع الناس اليه، و لقطر: الجانب. والدمثة: اللينة. والوشلة: قليلة الماء. وثنى الاعطاف: كناية عن التوجّه والرجوع الى البيت. ولثمالة المرجع. والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الماء والكلام، و تهوى اليه ثمار الافئدة اى: تسقط ثمار كل شيء كما قال: يحيى اليه ثمرات كل شيء، و هو اضافها الى الافئدة باعتبار انها مجلوبة اليها. والمفاوز: العلوات ~~والسحيقة~~ ~~المعيدة~~ ~~والفجاج~~: الطرق الواسعة. ووصف تلك الطرق بالمعق باعتبار بعدها عن سائر البلاد العالية منحدرة. وهزمناء كبهيم: حركاتهم في السعي والطواف ونحوهما. والاهلال رفع الصوت بالنبية. والرمل: الهرولة. والشعث: تفرق الحال. والسرايل: القمصان. والمشاعر: مواضع المناسك. والارياض: جمع ريف بالكسر، وهي الارض ذات الزرع والخصب. والمعدقة: المحيطة. والمعدقة: كثيرة الماء والخصب. ومصارعة الشك في الصدور: هو التشكك في انّ التكليف بقصد هذه الأحجار حق او باطل. والمعتج: اسم الفاعل او المفعول على الروايتين من الاعتلاج وهو مغالبة الشكّ لليقين، والاعتلاج: المصارعة و لعبة. وفتحاً: مفتوحة موسّعة، وذللاً: سهلة. ووخامة الظلم: سوء عاقبته. والمساورة: الموائمة. والصمير في قوله فانها: يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر. وقيل: الى الكرفقظ. وانما أنّه باعتبار جعله آية مصيدة. و مساورة السموم القاتنة اى: للطبيعة الحيوانية. واكدى الحافز: اذا عجز ولم يؤثر في الارض. واكدت المطالب اعجزت، واشوت الصربة يشوي: اخطأت لمقتل.

مما قالها للتكثير ظاهرة. وأما الركة فلأنها شكر العمة العالة وشكر لعم ينافى التكثير عن طاعته. وقا الصيام فلما فيه مصابة الحيوة والعطش في الأيام الصائفة صاعة لله وتذللًا له وذلك ينافى التكثير عن طاعته أيضا. وعنائق الوحوش: جمع عتيقة وهي كرائمها وحسابها. وبواجم الفجر ما ظهر منه. واستموية: التيس. ويبلغ: ينتص. والمجداء: جمع ماحد. والمجداء: أهل النجدة والشجاعة. ويعاسيب القبايل: رؤسائها وامرأؤها. وقوله دلائق: متعلق متعاضلت. والرعة الشيء: يرغب فيه. وقوله فتهكروا في الحير والنشر احوالهم، فحال الخير حين كانوا في طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم. وحال الشر ما تمسوا اليه عن تلك العدل حتى حالفوا صالح الأعمال وحالفوا ذميم الأعمال. وقوله: من الاجتناب الى قوله والتوقى بها: تفصيل وتفسير للأمر الذي لزمته العزة به حالهم أي: عزب حاجهم به وزحمت عنهم عداؤهم له، ومدت اعاقية بهم. وساء في سبه: للطرفة^١. والتخاص: السحات. والفقرة الواحدة من حركات لظهر. والتشاحن: التعتدي. والتدائر: التقاطع. والتدريس اتحدتهم الفراعنة عبيدا كيوسف عليه السلام، وكموسى، وهارون، ومن آمن معهما من بني اسرائيل في مبدأ أمرهم، والذلهم العز مكان الذي هو ما امتى الله تعالى عنهم به في قوله (واذا يحييناكم من آل فرعون) الآية^٢. (واذا فرقناكم ليح) الآية^٣. وأما كوبهم مموكا وحكاما وائمة واعلاما: فان موسى وهارون عليهما السلام بعد هلاك فرعون، ورثاء واستقر لهما الملك والدين. وكطالوت، وداود، بعد محاهدتهما بحدوت كما قال تعالى: (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة^٤) الآية.

وكذلك سم يزن الملك والنوة في سيمان عليه السلام، وولده الى الأعرج منهم فانه لم يكن نبيا وقتله ابيه، وكان نخت نصر كاتبه فعضب لذلك واعتز الإبن حتى قتله وملك بعده. ونفوذ البصائر: خرقها حجب الشبهات عن الحق وأصله اليه وغصارة العمة:

١ - في نسخة ش بريادة: وبلاصصحاب.

٢ - سورة البقرة / ٤٦.

٣ - سورة البقرة / ٥٠.

٤ - سورة البقرة / ٢٥١.

ولطمرو: الثوب الحلق. وقوله: لاعلمنا الى قوله صخرة اى. ان رذيلة الكسريوثرى نفس العلم مع عسمة والتفكير مع فقره، ون كانت حالتها ينأى ذلك. اما العلم فمعصية رذيلة يسبى ان يتحجب، واما الفقير فطاهر.

وقوله: وغير ذلك الى قوله تذليلا: تنبيه على الأمور التي حرس الله بها أصلها من عباده عن هذه الرذيلة وهى الصلوات، ولزكوات، ومجاهدة الصيام المفروض. ١. الصلاة طيبها. وولد اسماعيل: هم العرب من آل قحطان وآل معد، ومن بنى اسحاق اولاد روم بن عبص بن اسحاق. ويواسرائيل اولاد يعقوب بن اسحاق. واستيلاء الاكاسرة والقياصرة على العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله طاهر. واما حال نبي اسحاق واسرائيل فتحوما جرى لا اولاد روم بن عيص من اختلاف السطورية، واليعقوبية والملكية، حتى كان ذلك سبب لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم فى الروم وعلى بنى اسرائيل فى اشام، وازعاج بخت نصر، لهم عن بيت المقدس فى المرة الثالثة كما اشار اليه تعالى بقوله: (فاذا جاء وعد آخرة يسنؤا وحوهم) الآية. وقد كان عزاهم حين اسعدوا المرة الاولى، كما حكى عنهم تعالى بقوله: (لَتَفْسِدُنَّ فى الارض مرتين) فما تابوا ردة عنهم ثم احدثوا الثانية، فعن الله الهم ارمي فقام فيهم يوحى الله، ففربوه وقيده و سجنوه فمضت الله لذلك وسط عليهم بخت نصر ثانيا، فقتل منهم و صلب و احرق و سبازارهم و نسلهم، ولذين قروا منهم ارتدوا الى حدود المدينة، كيهود خير و نبي قريظة والضير و نبي قيقاع. وقوله: مما اشدّ اعتدال الأحوال اى: تساوى احوالكم بأحوالهم فى لزوم الخير لهم والالفة والاجتماع. ولروم الشر يمتزج الكلمة. ومها فى اريج مواضعها اى: حركها اى هى الرارى والقدر. والتكد. شدة لعيش وقلته. و الدلة: جمع عائل وهوالفقير والعيلة: المقر. واستعار لطم الحشاح للدعوة الحاملة لهم. والازل: الشدة. والمؤودة: البنت وقد كانت العرب تقتل البنات حين يولدن لهم واليه الاشارة بقوله تعالى: (واذ المؤودة سُيِّئَتْ بائى ذنب قتلت) ٣. وشن العارة فرقتها. ولرسول المبعوث اليهم محمد صلى الله عليه وآله. وقوله: والتقت لى قوله: تركتها اى و اشتملت عليهم فى بركتها.

٣ - سورة النكوير / ٩.

٢ - سورة الاسراء / ٤.

١ - سورة الاسراء / ٧.

والفكاهة: طيب النفس و السرور. وترفعت: تمكنت. والسلطان القاهر: سلطان
الاسلام. وكفى بعدم عجز قناتهم عن قوتهم، وعدم انقهارهم سلمير، وكذلك بعدم قمع
صفاتهم ونقض الأيدي من حبل الصاعة: كناية عن تركها. وحسن الله: الاسلام.
ووبّحهم بصورتهم اعراباً بعد الهجرة لسقسان الاعرابي عن رتبة الصحبة فصلا عن
المهاجرين. والاحزاب الفرق تنقسم لمحاربة الانبياء و اوصيائهم. ولما انقسم هؤلاء
الى مارقين، وناكثين، وقسطين، وحاربوه كانوا اخوانا. وقولهم: الدرولا العار: كناية
تقرّلها اهل الكفر و لانة من احتمال الادى والضيم لأنفسهم، او لقولهم فى الاستنهاص
للفنسة. والبار والعار: منصوبان شاعلين مضميرين. وكفأت الأاء كنيته لوجهه. وقوله
فانكم الى قوله: بيبكم تحذير من الاعتماد على عز الاسلام من حمية وشجاعة او كثرة
قبيلة مع الخروج عن سلطان ندين، والتفرّره لاستلزام ذلك خذلان الملائكة لهم،
والخروج عن الهجرة والنصرة. ونصب حرنيل ومسكائين، على أنّهما اسمان ملاحظ
فيهما التكبير والاستثناء منقطع. ولأشدّ لنى عدهم: هو ما ضربه الله لهم من الامثال
بالقرون الماضية عدد غروحهم عن طاعة اسائهم. ولتفرّق فى ديبهم والله التوفيق.
ثالث فى اقتصاصه عنه اسلام بحاله فى تكليفه، وشرح حاله مع رسول الله
صلى الله عليه وآله من قول عمره والتسبيح على موضعه منه، وذلك قوله:

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَشَكَّيْتُ، وَلَقَسَادٍ فِي الْأَرْضِ: فَمَا النَّاسُ كُنُوا
فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ خَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّحْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهِ
فَقَدْ كُفَيْتُ بِصَعْقَةٍ سُمِعْتُ لَهَا وَجِبَهُ قَبِيهِ وَرَحَهُ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَكِنَّ
أَيُّنَ اللَّهِ فِي الْكُرْبَةِ غَيْبُهُمْ لِأَيُّلٍ مِنْهُمْ، إِلَّا مَا يَتَسَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا.

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بَيْتًا كَيْلَ الْقَرَبِ، وَكَثُرَتْ تَوَاجِعُ قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمَصَرًا وَقَدْ
غَيْبْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بِالْقَرَانَةِ الْقَرِيبَةِ وَلَمْ تَزَلْ
الْحَصِيصَةُ، وَصَنَيْتَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَيْدٌ يَضُضُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْفُفُنِي فِي فَرْشِهِ،
وَيُمِشِي بِجَسَدِهِ، وَيُبَشِّئُنِي عَرَفَهُ، وَكَأَنِّي تَمَضُّعُ الشَّيْءِ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي
قَوْلٍ، وَلَا حَظَنَةً فِي عَمَلٍ، وَقَدْ قَرَأَ اللَّهُ بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كُنْتُ فَطِيمًا

أَعْصَمَ مِنْكَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَامِلِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لِنُفْعِهِ وَتَهَارِهِ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ تَتَبَعَ الْفَصِيلُ انْتِزَامَهُ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُحَاوِرُنِي كُلَّ سَنَةٍ بِحِجَرَاهُ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يُجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يُؤْمِنُنِي فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَحَدِيثِهِ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ لَوْحِي وَالرَّسَالَةَ، وَأَشْمُ رِيحَ السُّوءِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِثَةَ الشَّيْطَانِ جِبْرِيلَ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرِّثَةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّهُ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى خَيْرًا». وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا أَتَاهُ السَّلَامُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظَمًا لَمْ تَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ، وَتَخْشَى نَسْلَكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ، وَارْتَبْتَهُ عَلَيْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلَيْنَا أَنَّكَ سَاجِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى نَتَفِيعَ بِعُرْوَتِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَنْتُمْ تَوَدُّونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا نَنْظُرُونَ، وَبَنِي لَا نَعْمَ لَكُمْ لَا تَقِيسُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنْ يَسْأَلُكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْغَلِيْبِ، وَمَنْ يُحَرَّبُ الْإِخْرَاقَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا ابْنَتُهَا الشَّجَرَةُ إِنَّ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَلِوَيْهِمْ لِأَخِيرٍ وَتَعْبِئِينَ أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَبِي بِعُرْوَتِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِرَدِّينَ اللَّهُ. وَالْأَيْدِي نَعْمَ بِالْحَقِّ لَا تَفْلَعْتَ بِعُرْوَتِهَا وَحَافَتِ وَلَهَا دَوْرِي شَدِيدٌ، وَقُصِفُ كَقُصِفِ أَجْبَحَةَ الظِّمْرِ، حَتَّى وَفَّقْتَ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَرْفُوقَةً، وَأَلَمْتَ بِعُضْوَيْهِ الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِعُضْوَيْهِ الْأَسْفَلِ عَلَى مَنْكَبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَمَتَّى نَظَرْتُ الْقَوْمَ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا غُلُّوا وَاسْتِكْبَارًا: فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِ يَضْفُفُهَا وَيَتَمَتَّى بِضَفْفِهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَفَعَلَ ابْنَتُهَا يَضْفُفُهَا كَأَنَّهُ جِبْ أَهْبَالَ وَأَشَدُّ دَوْبًا، فَكَادَتْ تَلْتَفِتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفُّوا وَغَتُّوا: فَصَرَّ هَذَا التَّصَفُّفَ فَلْيَرْجِعْ لِي بِضَفْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَزَحَعَ قُلْتُ أَمَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنِينَ بِتِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَصْدِيقًا بِسُوءِكَ وَأَجْلَالًا لِكَيْمِيَّتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ

كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ! عَجِبْتُ اسَّخَرُ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟ (يَقُولُونِي) وَأَنَا لَيْمَن قَوْمٌ لَا نَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا نِيمَ: سَيَمَّاهُمْ سَيَمَّا الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ عَمَّا الثَّلَثِ وَتَرَاثَرُ النَّهْرِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْفَرْقِ، يُخَيِّبُونَ سُنَّ اللَّهِ وَمُسْنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلِبُونَ وَلَا يَغْلُوبُونَ، وَلَا يُفْسِدُونَ: فُلُوهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَذَابِ.

اقول: اهل البعي: اهل الشام. واهل النكت: أصحاب الجمل، واهل الفساد. والمارقة: الخوارج وتسمية الاولين بعاة بقوله تعالى: (فابغيت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي) ^١ وَسَمَّيَ السَّاكِنُونَ بِذَلِكَ: لِسَكْنِهِمْ بَيْعَتَهُ. واما المارقون: فبقوله صلى الله عليه وآله: لَذِي التَّدْبِيَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ، يَخْرُجُ مِنْ ضِيضِي هَذَا، اَي: مِنْ أَصْهِ قَوْمٍ يَمْرِقُونَ مِنَ الْبَدَنِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ. واما امرأته تعالى آتَاهُ بِقَتْلِ هَذِهِ الْمَرْقِ، فَلَمَّا ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: أَنْكَ سَتَقَاتِلُ بَعْدِي السَّاكِنِينَ وَالْمَارِقِينَ، وَهُوَ اخْسَارُ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَأَمْرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مَرَرَةٍ وَحَتَّمَلْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْأَمْرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَنَعَى) وَقَوْلِهِ: (أَمَّا جِرَاءُ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) ^٢ الْآيَةِ. وَدَوَّحَتْ: قَهَرَتْ وَذَلَّتْ. الرَّدْهَةُ: الْمَقْرَةُ تَكُونُ فِي الْجَلِّ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ. واما شيطان الرَّدْهَةِ فَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ دَا الشَّدِيَّةَ، وَكَوْنَهُ شَيْطَانًا بِاعْتِبَارِ اغْوَاةِ الْأَصْحَابِ. وَأَصَافَتُهُ إِلَى الرَّدْهَةِ لِأَنَّهُ وَجَدَ قَتْلًا فِي نَقْرَةٍ فِيهَا مَاءٌ، بَعْدَ قَتْلِ الْخَوَارِجِ، وَآمَّا الصَّعْقَةُ، فَقِيلَ: أَنَّ ذَا الشَّدِيَّةَ أَصَابَهُ مِنْ خَوْفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَشَشٌ، وَقِيلَ: يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ الشَّيْطَانُ الْمَعْهُودَ وَهُوَ إِنْ كَانَ لَا يَرَى حَسْرَةَ الْبَصَرِ إِلَّا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدِ اشْهَدُوا الْأُمُورَ الْمَحْزَنَةَ وَالْمَعَانِيَ الْمَعْفُولَةَ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَالشَّيْطَانِ، فِي صُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ بِاسْتِعَانَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ الْمُتَحَيَّلَةِ وَالرُّهْمِيَّةِ كَمَا قَرَّرَ فِي مِظَانِهِ. فَيَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأَى الشَّيْطَانَ بِصُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ، وَلَمَّا كَانَ فِي مَقَامِ الْعَصْمَةِ وَمَلَكَ الْعَصْرِ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَقَهَرَهُ وَاعَادَهُ سَمْعَ مَنْ جَلِيَابِ الْعَرَّةِ صِيحَةَ الْعَذَابِ أَرْسَلَتْ عَلَى الشَّيْطَانِ، فَسَمِعَ لَهَا وَحْيًا مِنْ رَجَّةِ صَدْرِهِ، كَمَا سَمِعَ رَجَّتَهُ

فيما يحكيه في آخر الكلام.

وقيل: اراد به شيطاناً من شياطين الجن الذين قتلهم في البشر. و اراد بالردة: البشر المعهودة والقيّة من اهل العى، كعدوية، ومن بقى من اصحابه بعد وقّع صقبن. و قوله: لأدبّلّ منهم اى: لأعبتهم. والادلة: العلبة. وهذا الحكم منه عيه السلام ثقة بقوله: (ولينصر الله من ينصره) واذن لله اشارة: الى توفيقه لأسباب العود اليهم. والتشذّر: التفرق. واستعار لفظ الكلاكل وهى: الصدور لا كابر العرب: ورؤساء لقب لل الذين قتلهم فى صدر الاسلام. ووضعت بهم اى: اوقعت بهم القتل والاذلال. وقيل: الباء زائدة. ولفظ القرون لأكابر ربيعة ومصر، ونواجهما: من ظهر منهم واشهر. وقوله: وقد علمتم الى آخره: ذكر لفضيلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله لعاية طاعته. وكفه يكفه اى: ضمه واحاطه. واخلطه: السينة من قول وفعل وأشار بأعظم ملك الى جبرئيل عليه السلام. وحرّاء بالكسر والمدح حل بمكة يذكرو يؤث. واستعار لفظ النور لما يشهده بعين بصيرته، من امرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقّق التأويل. واشرافها على نفسه القدسيّة. ولفظ الريح لما دركه من ذلك. واما سماعه لرّة الشيطان فهو انّ نفسه القدسيّة احدث معنى الشيطان مقرونا بمعنى اليأس من اتباع الناس لأمره والحزن على ذلك. وكسته المتحيّلة صورة حزين صارخ وحطه الى لوح الحبال، فصار مسموع الرّة كما رآه النبى عليه السلام. والقصف: صوت جناح الطائر. وفى قوله: ولقد كنت معه الى قوله يعنونى: نقل لاربع معجزات للنبى صلى الله عليه وآله، وهو اخباره: انّ السائلين لا يفيثون الى خيراى: لا يرجعون. وانّ منهم من يطرح فى القلب، وهو قلب يدس فمسهم عتبه وشبهة، ابناربعة، وامية بن عبد شمس، وابو جهل، والوليد بن المغيرة، طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب. ومن يحزب الاحزاب كأبى سفيان، وعمرون بن عبد ود، وصفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل.

الثانية اجابة الشجرة لدعائه وهو مشهور فى كتب المحذّثين، ونفذه المتكلمون فى معجزاته صلى الله عليه وآله.

الثالثة اجابة نصفها لدعائه مع نقاء نصفها.

الرابعة عود ذلك النصف الى موضعه وسره، ما علمت انّ نفوس الانبياء

عليهم السلام لها التصرف في هولي عام اكون والفساد، بفعل ما بخرح عن وسع مثلهم. وخطابه للنبات خطاب من يعقل: محاز باعتبار اجابته لدعوته، كالعقل وهذا الخطاب على رأى الاشعرى جائز ان يكون حقيقة اذ لا يجعلون البيئنة شرطاً في الحياة ومايتعلق بها من السمع والمهم. واقا على رأى معتزلة فقيل: انحط الله فكأنه قال: (اللهم ان كنت صادقاً في رسالتك فاحصل ما سألت من هذه الشجرة مصدقاً الى) وعدم لومة اللائم في الله: كناية عن لزوم طاعته، و لصديقون هم ملازموا الصدق في لأقوال والأفعال طاعة لله. وسببهم: علامتهم وكلام الأبرر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. والذكر الدائم معبودهم، وعمارته الليل قيامهم فيه بالعبادة، و كونهم صار بالهاراي: اعلاما باعتبار هدايتهم لخلق الى طريق الحق. والغلول: الحيانة. وقلوبهم في الحناي اي: يشاهدون بأسرارهم وبقوسهم القدسية ما اعد فيها من الحيرات البقية وان كانت اندانهم في الدنيا مشغولة بعبادة ربهم والعمل له والله التوفيق.

٢٣٤ - وَمَنْ حُفَّتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ الْحَكَمِ، وَدَمَ أَهْلُ الشَّامِ

جُفَّةٌ طَعَمٌ، عَيْبٌ أَقْرَامٌ، جُمُعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتَلَفُّظُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَتَّبِعِي أَنْ
يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلِّمَ وَيُدْرَبَ، وَيُوَلِّى عَيْنَهُ، وَيُؤَخِّذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ
الْأَوَّلَى وَالْقَوْمَ آخِرًا وَلَا لِنَفْسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُجِشُونَ، وَأَنْتُمْ أَحْتَرِثُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَأَنَا عَنْهُدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ «إِنَّهَا هِشَّةٌ
فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشَيِّمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَقَدْ أَخْطَأَ بِمُسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ
كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَرِسَتْهُ التَّهْمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخُذُوا
مَهْلَ الْأَيَّامِ، وَخُوطُّوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ.
أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُعْرَى، وَأَلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

أقول: الحفاة. علاط الطباع، والطعام: اوغاد الناس وأردلهم. والاقرام: جمع قرم بفتح الزاء وهو الرذال الذنى من الناس. والاوب: الناحية. والشوب: الخط، ويدرب: يعود بالعادات الجمية: ويولّى عليه ويؤخذ على يديه: كناية عن سفهه ووجوب الحجر عليه. و اراد بالذار: مدينة الرسول صلى الله عليه وآله. وتبوؤها: نزولها اى: ليسوا من الانصار الذين اسلموا بالمدينة قبل الهجرة وابتنوا بها الماسد. وفي بعض النسخ والايمان، ووصفه بكونه متبواً مستعاراً تشبيهاً له بالمنزل، باعتبار أنهم ثبتوا عليه وسكنت قلوبهم اليه. و اراد بالقوم: اهل الشام، والذي اختاره لانفسهم هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه لحكومة وما يحبونه هو النصره على اهل العراق، والذي اختاره اهل العراق هو ابو موسى الاشعري، وكان اقرب القوم بما يكرهون من صرف الأمر عنهم لانحرافه عنه عليه السلام. و قوله: أنها فتنة والضمير لحرب على عليه السلام لاهل الشام، واصحاب الحمل. و شيموا سيوفكم اى اغمدوها. ومهل لاياام: فسحتها لما ينبغى أن يعمل فيها. وحياطة قواصى الاسلام حفظ اطراف بلادكم بصراف العجاز والعراق والجزيرة، ورمى صفاتهم كناية عن طمع لعنوا فيهم وايقاع اعازة ببلادهم. والله التوفيق.

٢٣٥ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُغَيِّرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِهِمْ مُنْطَلِقُهُمْ: لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَخْلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُبْجِ الْإِعْتِصَامُ، بِهِمْ عَاذَ الْحَقِّ فِي بَصَائِهِ، وَأَنْزَاحَ الْبَاطِلِ عَنْ مَقَامِهِ، وَأَنْتَظِعَ لِسَانُهُ عَنْ مَتْبَعِهِ، عَمَلُوا الَّذِينَ عَمِلُوا عِزًّا وَرِعَايَةً، لَأَعْمَلَ سَمَاعٌ وَرِوَايَةٌ، فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ.

اقول: عيش العلم: حياته، ويجوز فيهم بلفظ العيش باعتبار أنهم سببه، وكذلك لفظ موت الجهل و اخبار حلمهم عن علمهم: دلالة عليه دلالة الالتزام، لأن حلمهم في مواضعه هو يستلزم العلم بمواضعه، وكذلك دلالة صمتهم عن حكمتهم لأن السكون في

موضع حكمة، وعلم بما ينبغي من الصمت والقول. وعدم اختلافهم في الحق: كناية عن كمال علمهم به، واستعار لفظ الدعائم، ولفظ الولاة: جمع ولحة وهي الموضع يعتصم بدحوله، باعتباره قيام الاسلام بهم وان الحلق يعتصمون بالدخول في طاعتهم وهدانتهم الى الله. والنصاب: الاصل. وبالله التوفيق.

٢٣٦- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لعبد الله بن عباس - رحمهما الله - وقد جاءه رسالة من عند عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج الى ماله بينع ليكن هتف الناس باسمه للحلافه بعد ان كان سألته مثل ذلك من قبل، فقال - عليه السلام -:

يَا أَبْنَى عَبَّاس، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ بِي جَمَلًا نَاصِحًا بِالْعَرَبِ أَقْلٌ وَكُبْرٌ: بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أُخْرِجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَسْتَعِثُّ إِلَيَّ أَنْ أُخْرِجَ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آتِيًا.

اقول ينبع^١: قرية صغيرة من اعمام المدينة. ولناضح: الجمل يستبقى عليه. والغرب: السلو العظيمة. واستعار لفظ الناصح له، ووجه الاستمارة قوله: اقبل وادبر. وكان بعث اليه ان يخرج الى القوم وكذلك حتى اخرج اليهم من مطالعهم.

٢٣٧- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بحث أصحابه على الجهاد

وَاللَّهِ مُسْتَأْيِبُكُمْ شُكْرَهُ، وَمُؤَيِّنُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُنْهَلِكُكُمْ فِي مَضَامِرٍ مَخْدُودٍ، لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ. فَشُدُّوا عَقْدَ الْعَازِرِ، وَأَطْوُوا قُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَخْتَمِعُ غَزِيْرَتُهُ وَلِبْسُهُ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَرَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمَحَى الظُّلَمَ لِنَذَاكِرِ الْيَوْمِ!!

١ - معجم البلدان ٥ / ٤٤٩.

اقول: استيذاء: شكره طلب ادائه على نعمه، وأمره سلطانه في الارض الذي كان
 فيمن سلف من اهل طاعته. والمضمان الموضوع والزمان يضمرفيه الخيل للسباق، و
 استعار لفظه لمدة الحياة الدنيا باعتبار استعدادهم فيها بتقوى الله لغاية السبق اليه، وغاية
 ذلك الامهال ان يتنازعوا سبقه والسبق والسبق: ما تسبق اليه من خطر. والضمير في
 سبقه، للمضمار اذغايته ذلك، وسبقه هو الجنة واراد بالتنازع: ما يعرض للسالكين من
 حرص كن امرئ منهم على ان يكون هو الأكمل في طاعة الله الفائز بقصب السبق اليه،
 وشد عقد المآزر: كناية عن التشمير والجد في الطاعة، وطيهم لفضول الخواصر: كناية
 عن تقليل المآكل والمشارب. والاقتصار على الاقتصاد في متاع الدنيا. وقوله: لا تجتمع
 عزيمة ووليمة ما انقضت النوم لعزائم اليوم مثل، واصله، ان الانسان يعزم في النهار
 على المسير بالليل لتقريب المنزل، فاذا جاء الليل نام الى الصباح فينتقص بذلك عزمه،
 فضره مثلا لمن يعزم على تحصيل معالي الامور ثم يلزم الأناة في ذلك، واراد ان يحكم
 للذة والراحة من مشقة الجهاد: ينتقص ما تعزمون على تحصيله من السعادة في الدنيا
 والآخرة. وكذلك قوله: وامحى الظلم لستد كبر الهيم واصله ان الرجل تبعه همة في
 مطالبه على المسير بالليل، فاذا كان الظلم ادركه الكسل وغلبه حب النوم على ذكر
 مطالبه وصرفه عنها، فضره مثلا لمن يدعو الداعي الى امر ويهتّم به، ثم يعرض له ادنى
 صارف فيصرفه عنه وهو كالأذى قبله. وبالله التوفيق.

٢٣٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله، ثم لحاقه به:
 فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَطَاؤُ ذِكْرَهُ حَتَّى أَنتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ
 (في كلام طويل)

قال الشريف: قوله عليه السلام «فأطأ ذكره» من الكلام الذي رمى به إلى غايته
 الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطى خبره، صلى الله عليه وآله وسلم من بدء
 خروجي إلى أن انتهيت إلى الموضوع، فكفى عن ذلك بهذه الكناية المعجبية.

اقول : الفصل من كلام يحيى فيه حادثة في خروجه من مكة الى المدينة ، بعد
هجرة النبي صلى الله عليه وآله^١ . وكان قد خفف عنه سمكة فضاء دية ، وما امره
به ثم يحيى به فضاء سمكة راحلا (قد توثقت قدمه)^٢ وقد نزل على النبي أيوب الانصاري
بالمدينة ومأخذه اجهة النبي سكرها . وانعرج . موضع ، واستمر وصف يوطى : لوقوع قدم
دهبه على ذكره ، ولعلم بحبره صلى الله عليه وآله من اسس في تلك الطريق . وقيل : راد
مذكره مذكره ووصفه من انصريف وحالها . والله استوفى^٣ .



١ - نسخة في عليه السلام .

٢ - هذه الجملة غير موجودة في س .

٣ - في نسخة في برادة : وانصرفة .

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

إلى أعدائه وأمرائه ببلاده

وودخل في ذلك ما احتير من عهوده إلى عماله ووصاياه لاهله واصحابه

١ - مِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأهل الكوفة، عند مسره من المدينة إلى النصرة.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ بَجَهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَامِ الْعَرَبِ.
أَمَّا بَعْدُ؛ فَبَيْنِي وَأَخْبَرْتُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُمَانَ حَتَّى تَكُونُ سَمْعُهُ كَعَيْنَيْهِ؛ إِنَّ النَّاسَ ظَنُّوا
عَنْهُ عَكُوثَ رَجُلٍ مِنَ الْمُتَهَجِرِينَ الْكَثِيرِ أَمْنِيَّةً، (وَأَوَّلُ عَيْنَانِهِ) وَكَانَ صَلَاحُهُ وَالرُّبُوبُ أَهْوَى
سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَحِيفُ، وَأَرْفَقُ جِدَائِهِمَا الْغَيْثُ، وَكَانَ مِنْ غَيْشَةٍ فِيهِ قَتْنٌ غَضِبٌ، فَأُتِيَ لَهْ
قَوْمٌ فَمَتَلُوهُ، وَتَابَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبِرِينَ، كُلُّ ظَالِمٍ مُحَرَّرٍ.
وَعَلِمُوا أَنَّ قَارَ الْهَجَرَةِ قَدْ قَتَنَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَمُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشُ الْبَرْجِيِّ، وَقَامَتْ
الْمِثْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ؛ فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَادِرُوا جَهْدَ عُدُوِّكُمْ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ.

قول: الوحيف: صرب من السير فيه سرعة. والعنف: صدالرفق. وحال الرجلين
في التحريض على قتل عثمان مشهور في السير. وأما العتة من قول عيشة، فروي أنها
كانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل لله نعثلاً. وأما العصب الذي: وقع بسببه العتة من قولها
فالسبب الظاهر هو ما تقيه المسلمون عليه.

وروى، أنه صعد المنبر يوماً وغصّ المسجد بأهله، فمذت يدها من وراء السروفيها
 معللاً رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه، وقالت: هذان نعلان رسول الله (ص) بعد لم
 نبل، وقد بذلت دينه وغيّرت سته، واغظت له هي الفول، واعلط لها، وكان ذلك من
 أقوى الأسباب للاعراءه، والملة: البعثة من غير ترقؤ. واتح: قدر. ود رالهيحة: المدينة.
 وقبع المنزل بههه اذا نهباهم فلم يصلح لاستيطانهم، والمرجس: لقمدر. وحيشانها:
 غليابها، واراد اعلام لكوفة بنهوص اهل المدينة لقتال اصحاب الجمل ليهضوا معهم.

٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إليه، بعد فتح البصرة

وَحَرَّأَكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْ أَهْلِ سِتِّ نَبِيِّكُمْ، أَحْسَنَ مَا يَخْرِي لَعَامِيْنَ بِطَاعَتِهِ،
 وَالشَّاكِرِينَ لِيُعْمَتِهِ؛ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

اقول الكتاب الى اهل الكوفة، و مصل واضح.

٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كنهه لشریح بن الحارث قاصبه

روى أن شريح بن الحارث قصى أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دار
 بثمانين ديناراً فلعله ذلك، فاستدعاه وقال له: سعنى انك ابتعت داراً بثمانين ديناراً
 وكتبته كتاباً وأشهدت [فيه] شهوداً، فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال:
 فظفر إليه نظر معضّب ثم قال له:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ يَتِّبِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ
 مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَائِصًا، فَاَنْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ أَتَمَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ
 غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ تَقَدَّتْ التَّمَنُّ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَتَتْ قَدْ خَيْرَتْ دَارَ لُدُنَا وَذَرَا لَأَخْرُجُوا!

أَمَّا إِنَّكَ لَوَكُنتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكُنْتَبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ الشُّحَّةِ، فَنَمَ تَوَعَّبَ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ يَدْرِيهِمْ فَمَا فَوْقُ؛ وَالشُّحَّةُ هَذِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدُ ذَلِيلٍ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُرْعِجَ لِلرَّجُلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْعُرُورِ مِنْ جَانِبِ أَفْنَانِسَ، وَحِطَّةَ الْهَالِكِينَ، وَتَجَمُّعَ هَذِهِ الدَّارِ حُدُودَ أُرْتَعَةُ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ: يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَقَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدَى، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُعْوَى، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ! اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرِبُ لِأَقْلٍ، مِنْ هَذَا الْمُرْتَحِجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِرَاقِ الْقَاعَةِ، وَلِدُخُولِ فِي دُنْ الطَّنْبِ وَأَصْرَاعَةِ، فَمَا أَذْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِيَ فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ ذَرَكٍ قَلَى مُتَبَلِّلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَمَسَبِّ نُفُوسِ الْجَنَابَرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْقَرَاعَةِ، بِمَثَلِ كَيْسَرَى وَقَبْصَرَى وَتَبَّعَ وَجَمِيرَى وَمَنْ جَمَعَ لِمَا عَنَى لِمَالُو فَاكْتَرَى وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ وَزَحْرَفَ وَجَدَ، وَكَذَحَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِرَغْمِهِ لِلْوَلَدِ: إِشْخَاصَهُمْ حَمِيصًا إِلَى مَوْقِفِ الْقَرْصِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَصَا (وَحَسِرَ هُنَا يَكُ الْمُنْطَلُونُ) أَشْهَدَ عَنَى ذِيكَ الْقَعْلُ إِذَا حَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ غَلَاظِقِ الدُّنْيَا.

أقول: الشاحص: الداحص و اراد بمن يأنه منك الموت. وحاصل الكتاب التسفير عن الدنيا. و الركون الى فضولها وفيه نكت:

أحداها، وصف لمشتري بالعبودية والذلة كسرًا لما يعرض في نفسه، من العجب ولصخر بشراء هذه الدار، وصفة المايح بالميت، تنزيلا لما بالقوة مكان ما بالعمل مجازا للتحذير

لثانية، ان قوله من جانب افنانيس الى قوله: الهالكين، ابتداء في التعميم بالأعم و انتهاء بالأخص، كما جرت اعادة به في كتب السبع. والحظفة بالكسر: البقعة يحتفظها

الرحل ليبتى بها.

الثالثة، جعل لحد الاول دواعى الآفات، وأشار به الى ما يلزم الدار لزوما ولا من كمالاتها الضرورية كالمرأة، والخادم والذابة وما يرم ذلك ويحققهم من الأولاد والاتباع والقيادات وهى: دواعى الآفات لأن كلاً منها فى معرض الآفات.

الرابعة، جعل الحد لثمى دواعى المصيبات، وأشار بها الى الامور المذكورة باعتبار آحاد اذ كانت من حيث يلحقها الآفات تدعو صاحبها الى المصيبات بها.

الخامسة، جعل الحد الثالث ما ينتهى اليه من الهوى المردى. اذ كان اقتناء الدرو كمالاتها فى الدنيا وخوف فواتها والمصيبة بما فيها مرة بعد اخرى يوجب محبة النفس لها، والألمة اتمامها بها، وذلك هو الهوى المردى فى قرار البار المهدى فيها.

السادسة، جعل الحد الرابع ما ينتهى الى الشيطان اسمعى لأنه الحد الأبعد الذى ينهى اليه الهوى المردى، وكونه معويًا يعود الى جذبه للنفس عن سبيل الله الواضح. وكونه مشرع باب هذه الدار باعتبار كونه مبدأ باغوانه للدخول فى ادواعى الباعثة على شرائها، وقتناء ما يلزمها فلشيطان كاحد ما صدر عنه وتفتح سببه من الدخول فى امر الدار وشرائها.

السابعة، جعل الثمن هو الخروج عن عز القاعة والدخول فى ذل الطلب والصراعة. اما خروجه بها عن القاعة فلأنها كانت فصة فى حقه عن الحاجة الى الحلق. ولما كانت القاعة مستلزمة لأقلية الحاجة الى الحلق المستلزمة لعز القاعة وعناها عنهم، كان الخروج عن ذلك خروجاً الى ذل الصب الى اساس وبصراعة.

الثامنة، عنق الدرك والتبعة اللازمة فى هذا المصع بمدك الموت قطعاً لأمل لدرك، والتبعة، وتذكيراً بالموت لعاية الأمل له. وكفى عنه بسلبل اجسام اسملوك، اى قوله للولد: تنبيهها على ان المشتري اولى بذلك، والسلبلة: الاضطراب واختلاط وفساد الشيء. وكسرى: لقب مهور الفرس كاسم الحس، وكذلك قيصر: لقب ائروم. وتبع: لملوك اليمن وحمير: ابوقيسية فى اليمن وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. والتبجد: تربين الارض بالبسط ونحوه. وبطلولد: فكر فى عاقبه فجمع له.

التاسعة، جعل لشاهد بجمع ما عذده هو العقل المجرد من مشاركة الهوى والنفس

الإمارة، وهو كلام في غاية الشرف والفصاحة.

٤ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض أمراء جيشه

قَدْ عَدُّوا إِلَى ظِلِّ الظَّغَةِ فَذَلِكَ الْبَدَى نُجِبٌ، وَأَنْ تَوَاقَيْتِ الْأُمُورَ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ، فَأَنْهَدْ مَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَأَسْتَفْنِ بَيْنَ تَقَادُ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ؛ قَدْ الْمُنْكَرَةِ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقَعُودُهُ أَعْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

اقول: الفصل من كتاب له الى عثمان بن حنيف، عامه على البصرة حين قدم طلحة والزبير اليها ونكث معها جماعة من اهلها، وخرجوا عن لطاعة، واستعار لفظ الطل، لما يستمره الطاعة من الراحة عن متاع الحرب. وتوافقت بهم الامور اى: توافقت اسباب العصيان والشقاق، حتى تمت علناهما ووحا عهما. وانهد اى: انهض. وتفاعس: تأخر وقعد. والمتكارة لشيء: كوالدى يتعاصى كراهته، ومغيبه خير من محضره لانه ربما نط الناس عن الحرب واقتدوا به فى عدم المنفعة.

٥ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الأشعث بن قيس، وهو عامله على أذربيجان

وَأَنْ عَمَلْتَ لَيْسَ لَكَ بِطَعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رِعِيَةٍ، وَلَا تُحَاطِرَ إِلَّا بِوَيْفَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ غَرَوْحَلٍّ، وَأَنْتَ مِنْ حُرِّيَةٍ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا لَكَ لَكَ وَسَلَامٌ.

اقول: ليس لك ان تفتات فى رعية، اى: تستبد بحكم فيهم وتسبق اليه دون ادن ممن سترعك. والمخاطرة: الاقدام على الامور لمضام، ولاشراف فيها على الهلاك.

والوثيقة: ما يوثق به في الدين. واتي بسقط الترجي اطاعا له بعدم الايقاع به، والمواحدة له كي لا يفز الي العدو لانه كان خائفا منه.

وروى انه استفدته الى الكوفة فلما قدم فتن ثقله، فوجد فيه مائة الف درهم فأخذها فاستشع بالحسن والحسين عليهما السلام، وبعده الله بن جعفر، فاطلق له منها ثلاثين الفا، فقال: لا يكفيني، فقال: لست بزائدك درهما واحدا وما اظها تحلل لك فقال الأشعث: خذ من خدعك ما اعطاك .

٦- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

بِهِ يَا تَعْنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَأْبَعُوا أَبَ بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَى مَا يَأْبَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَمَنْ يَكُنْ لِلشَّهِيدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْعَائِيْبِ أَنْ يَزِدَّ، وَمَنْما لَشُورَى لِمُهَاجِرِينَ وَلَا نَصَابٍ فَإِنْ أَجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمُوهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لله رِصًا؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ يَطْعَنُ أَوْ يَدْعُو رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَنَّى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى. وَلَتَعْمُرِي - يَا مُعَاوِيَةُ - لَتَرِي نَظَرْتُ بِعَيْنِكَ ذُنُوبَ هَوَاكَ لَتَسْجُدَ أَهْبَرًا لِنَاسٍ مِنْ قَوْمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي غَزَاةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّبَنِي، فَتَجُزَّ مَا بَدَأَ لَكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: انما احتج عليه السلام على القوم بالإجماع لاعتقادهم انه لم يكن مصروفا عليه، فهو احتج بالنص لم يقبل منه ولم يسلم له. والتجنى دعوى الجناية ممن لم يفعلها، وبالله التوفيق.

٧- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحِبَّةٌ، تَمَقَّتْهَا بِفَضْلِكَ، وَأَمْنَبَتْهَا

يُسَوِّدُ رَأْيَكَ ! وَكِتَابُ أُخْرَى وَ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يُهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ،
وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَأَتْبَعَهُ، فَهَجَرَ لَا غِطَاءَ، وَصَلَّ حَابِطًا وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ: لَأَنهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ
لَا يُشْكِي فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُشْتَأَفُ فِيهَا الْخِيَارُ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ.

اقول: موصلة: ملتقطة من كلام الناس ملفقة لا تتناسب وصولها. ومحبرة: مزينة.
والتمسيق: التزيين بالكتابة. والبصر هنا البصيرة، ويحتمل ان يريد الحس باعتبار عدم
اهتدائه من جهته. والقائد: الهادى فى سبيل. وهجر: هذى وافحش فى منطقه. والبط:
الأصوات المختلطة، والخبط: الحركة عسى غير نظام.

اقول: هذا جواب لفصل ذكره معاوية فى كتابه وصورته: ولعمري ما حجتك على
اهل الشام كحجتك على اهل البصرة، ولا حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير،
لأنهما بايعاك ولم ابايحك، واؤل الجواب. واما ما ميزت به بين اهل الشام واهل البصرة
وبينك وبين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر في ذلك الا واحدا لأنها بيعه واحدة الى
آخره.

وفى نسخة لأنها بيعه عامرة وقوله الخارج منها الى آخره، قسمة لمن لم يدخل
فى بيعته الى قسمين: لأنه اما خارج عنها، وهو الطاعن فى صحتها، ويجب مجاهدته
لمخالفة سبيل المؤمنين، واما منزوي فى ذلك ومتوقف، وحكمه أنه يداهن وهو نوع
من النفاق، وبالله التوفيق.

٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى جرير بن عبد الله البجلي، لما أرسله إلى معاوية

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْبُخْرِيِّ؛ ثُمَّ خَبِرْهُ
بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ، أَوْ سَلَمٍ مُخْزِيَةٍ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلَامَ فَخُذْ
بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامَ.

اقول: الفصل فصل الحال معه في الحرب وغيرها، لأن معاوية كان يظنون أيام المهلة ليستعمل له فلا يحببه بجواب فاصل. ومجلبة: تجلبى عن الوطن. وسمم مخزية: فيها ذلك. وروى مخزية. بالجسم. أى: كفية. والتذ: الالتقاء وهو كناية عن اللقاء الوعيد بالحرب أو عن إيقاعها.

٩- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

فَإِذَا قَوْمُنَا قَتَلَ نَبِيَّنَا، وَاجْتَسَاخَ أَصْيَابًا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَقَعَلُوا بِنَا الْأَقَاعِيلَ، وَمَتَفَعُوا الْعُدَّتْ، وَأَخْسَنُوا الْحَوَافَ، وَأَضْطَرُّوْنَا إِلَى جَبَلٍ وَغَرٍّ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَقَرَّمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ عَنْ حَوْرَتَيْهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ: مُؤْمِنًا تَسْتَفِي بِذَلِكَ الْأَجَرِ، وَكَفَرًا يُحَامِي عَنْ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلُّوْا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ يَجْلِبُ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَحْمَرَ الْيَأْسُ، وَأَحْتَمَ النَّاسُ فَدَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ الْأَيْسَةِ وَالسُّيُوفِ، فَقُتِلَ عَصْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ خَفَقَرُ يَوْمَ مُوْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ أَسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَدُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ أَتَجَالَهُمْ عَجَلْتُ، وَمَيْسَهُ أَجَلْتُ، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَنْ لَمْ يَشَعْ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقِي، الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَذْعَى مُذْعِرًا مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ، وَلِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتُ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَبَيْنَ تَطَرُّتِي فِي هَذَا لِأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعَى دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ عَيْكَ وَيَسْقَاكَ، لَتَفَرَّقَهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكْتَفُونَكَ طَلَبُهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسْؤُوكَ وَجَدْنَهُ، وَزَوَّزَ لَا يَسْرُكَ لُقْبَانُهُ، وَأَسْلَامُ لِأَهْلِيهِ.

اقول: حاصل الفصل ذكر فضيلته عليه السلام وبلائه في الاسلام، ليشيّر قياس غيره اليه، ولذلك بنى عليه التعجب من مساواته بغيره.

وهو بنا الهموم، ارادوا بنا: الارادات. وأراد بالأفاعيل: الشرور والعذب: طيب العيش، وقيل: الماء فإن قريشا معتهم الطعام والشراب. والحلس: كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير، فاستعار وصف الاحلاس لاخافتهم. والجبل الوعر: من شعاب مكة، وقد كانت قريش حين فنا الاسلام في القنائل اجتمعت وتعاهدت على ان لايناكحوا بنى هاشم وبنى عبدالمطلب، ولا يبيعوهم فانحاز هؤلاء الى ابي طالب فدخلوا معه شعبة، وخرج من بنى هاشم ابولهب وطاهر المشركين، وقطعوا عنهم الميرة، وحصروهم في ذلك الشعب في اّون سنة سبع من النبوة بقوا كذلك ثلاث سنين لا يخرجون الا في الموسم، وعزم الله ارادته الحازمة لهم واختياره ان يذب عن حوزة ديه و حرمة دينه، وكافرهم يومئذ كحمرة والعباس و ابي طالب على قول، فتهم كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله حمية لأصلهم وبنيتهم ومن كن يومئذ قد اسم من قريش عدا دنى هاشم، وعبد لمطلب كانوا خالين من الخوف والجهاد، فمنهم من كن له عهد به وحلف مع المشركين جمع، ومنهم من كان له عشيرة يحفظه، و عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب. و بدر: اسم بشر واحد: اسم حل. ومؤته باقضم: اسم ارض بأدنى البلقاء دون دمشق.

ومن لو شئت ذكره، يعنى نفسه. و وقعة بدر واحد، ومؤته، وغيرها من وقائع الرسول صلى الله عليه وآله مع المشركين مشهورة في التواريخ، وقد نسبها على خلاصتها في الاصل^١.

ومن لم يشع بقصه: كناية عن لم يماثله في الجهاد، والسعي في اقامة الدين. ولإدلاء بالشئ: التقرب به. وقوله: ولا اظن الله يعرفه، كناية عما لا اصل له فإن ما لاوجود له لا يعلمه الله موجودا. واما عدم تسليم قتلة عثمان الى معاوية فلوجوه بها: أنه لم يكن ولي دمه. ومنها أنه لم يعين قتلته ويدعى عبيهم ويحاكمهم الى الامام الحق. ومنها أنه لما سئل عبيد السلام تسليمهم، قل: وهو على المسير ليقيم قتل عثمان

فقام اكثر من عشرة الاف من المهاجرين، والانصار وغيرهم، ومعلوم ان مثل هذا الجمع العظيم لا يتمكن عليه السلام، من اخذهم وتسليمهم الى غيره ولو امكن ذلك مع ان فيهم من شهد النبي صلى الله عليه وآله له بالحة كعمر، وربما اقتضى الاجتهاد ان لا يقتل هذا الجمع العظيم من قواعد الدين برجل واحد احدث احداثا نسموها عليه وقتلوه لأجلها. والزور الزائرون، وافرد ضميره، نظراً الى افراد اللفظ، وقيل: هو مصدر، وبالله التوفيق.

١٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

وَحَيْثُ أَنْتَ صَاحِبٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ بِلَابِي مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَحَدَقَتْ بِدَنِّيْهَا؛ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتُكَ فَطَعْتَهَا. وَبَنَى يَوْشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَوَقَفَ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَخْرُجٌ. فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَخُذْ أَهْلَهُ الْحِسَابَ، وَسَمِّرْ لِمَا قَدْ تَرَلَّ بِكَ، وَلَا تُنْكِرِ الْغُرَّةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَلَا تَقْعَنْ أَعْيُنُكَ مَا أَعْيَنَكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتَرَفٌّ قَدْ أَحَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَحَدَهُ. وَتَلَعَ وَبَكَ أَمْنَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَبَدَمَ. وَمَتَنَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَامَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَمَةِ، بِعَمْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرْفٍ بَاقٍ؛ وَسَعُودُ بَاسِهِ مِنْ لُزُومِ سَوَاقِ الشَّقَاءِ! وَاحْذَرِكْ أَنْ تَكُونَ مُتَعَادِيًا فِي غُرَّةِ الْأُمَمَةِ، مُخْتَلِفٌ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيَّةِ.

وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ قَدَحَ إِنْسَانٍ جَانِبًا وَخَرَجُ إِلَى، وَأَغْفِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْإِثْلِ لِيُعْلَمَ أَنَّنَا الْمَتَرِينَ عَلَى قَلْبِهِ، وَلَمُعْطَى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ، وَحَالِدُ وَأَخِيكَ شَدْخَا يَوْمَ بَدْرٍ وَذَلِكَ اسْتَيْفَ مَيِّى، وَبِذَلِكَ الْقَسْبِ أَلْفَى عَذْوَى! مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيْنًا، وَلَا اسْتَعْدَلْتُ نَبِيًّا؛ وَإِنِّي أَخْلَى الْمَنَاحَ الْيَدَى تَرَكْتُمُوهُ ظَالِمِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ. وَرَعَمْتُ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِعُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَيْمْتُ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ ظَالِمًا، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضُحُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضُّتْ ضَحِجَ الْحِمَالِ بِأَلْقَالٍ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِى - خَرَعًا مِنَ الصَّرْبِ الْأُمْتَنِ، وَالْقَصَاءِ الْوَقِيعِ، وَمُتَصَارِعَ بَعْدَ مُتَصَارِعٍ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ حَاجِدَةٌ، أَوْ مُبَابِعَةٌ حَائِدَةٌ.

أقرب: استعار لفظ الجلابيب، لأغطية الهيئات البدنة من محبة الدنيا وباطلها. والجلاب: السمحة. وتبهجت: تحسنت. ويوشى أى: يقرب. وما لا ينجم منه: الموت وما بعده من أهوال الآخرة التى هو غافل عنها فى الدنيا. والواقف له: الله تعالى او يعنى نفسه على سبيل التهديد له بالقض. واقعى أى: تأخر. والاهبة: الاستعداد. وما نزل به: اما الحرب او الموت وما بعده: اقامه للمتوقع مقام الواقع الدزل. والمترف: من اطعته النعمة. والباسق: العالى. وسوابق الشقاء: ما سبق منه فى القضاء الالهى، واللوح المحفوظ فى حق كل شقى ولزم وجوده. والأمنية: ما تتمناه نفسه وترجوه من الخلافة، واختلاف علايته وسريته: كناية عن نفاقه. والرین: التغطية. والمرين على قلبه: من عطلت عليه الذنوب والهيئات الدنيوية. وحده المقتول: هو حده لأمه عتبة بن ابي ربيعة ابوهذ. وخالة الوليد بن عتبة، واخوه حفظة بن ابي سفيان، وقتهم عليه السلام يوم بدر حقيقا. والثائر: الطالب بالدم. والكفرة الحاحدة من اصحاب معاوية: اشارة الى المنافقين منهم.

والمباينة الحادثة الذين بايعوه وعدلوا عنه. وخاد عن الأمر: عدل عنه، واطلاعه عليه السلام على مصارعهم ودعائهم الى كتاب الله قبل وقوع ذلك من آياته، وكرامته.

١١ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وصى بها جيشا معه الى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُوا أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ كَرَمٌ فِي قُلُوبِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سَفَاحُ الْجَبَالِ، أَوْ أَتَاءُ الْأَنْهَارِ: كَيْفَمَا يَكُونُ لَكُمْ رِذَاءٌ وَذَوْنُكُمْ مَرَدًّا، وَلْيَتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَخٍّ وَاجِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقْبَاءَ فِي صِيَابِ الْجَبَالِ، وَمَتَّكِئَ الْهَضَابِ؛ لِكَلِّ يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخْفِيٍّ أَوْ أَمْنٍ، وَعَلِّمُوا أَنَّ مَقْدَمَةَ الْقَوْمِ غِيْبُونُهُمْ، وَغِيْبُونَ الْمَقْدَمَةَ طَلَائِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَتَزَلُّوا، وَجَمِيعًا، وَإِذَا أَرْنَحْتُمْ فَارْتَجِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كَيْفَهُ، وَلَا تَذُقُوا النَّوْمَ، لَا غِرَارًا أَوْ مُضْمَضَةً.

أقول: المعسكر باصمخ: موضع المعسكر. وألاشراف: جمع شرف بالفتح، وهو لمكان أعلى. وقبها بصم القاف قدأماها. وسفح الحبل أسمه حيث يسيل الماء. وائناء الانهار: منعطفا. والردء: اعون في المقاتلة وفائدة القتال من وجه او اثنين ان القتال من جهات متفرقة يوجب لضعف وتفرق. والرقيب: الحافظ. وصباحى بحال: اطرافها العالية. والهضاب: الحال المنبسطة على الأرض. وقوسه: واعصوا، ابي قوله: طلائعهم: ارضاد الى وحوش التأهب عند رؤية المقدمة او الطيعة ود قل عددهم. وكفة بالكسراى: مستديرة. وعران: النوم، قليل، واستعار له لفظ المضمصة، وبالله التوفيق.

١٢ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لَمُعْمِلِ بْنِ قَيْسٍ الرِّبَاحِيِّ حَسْرَ أَقْدَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَدَّمَةً لَهُ اتَّقِ اللَّهَ الْبُذَى لَا بُدَّكَ مِنْ يَدَيْهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلَا تُفَاتِنَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَنَكَ، وَبِرِ الثَّرَدَيْنِ، وَعَوَزِ بَانِثَاسٍ، وَرُقَّةٍ فِي الشَّرِّ، وَلَا تُبِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكًّا، وَقَدَرَهُ مُدَّماً لَا ظُلُمًا، فَأَرِخْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذَا وَقَعْتَ حِينَ يَتَبَخَّرُ الشَّجَرُ، أَوْ حِينَ يَتَفَحَّرُ الْفَخْرُ، فَيَسْرَعُنِي تَرْكُهُ اللَّهُ، فَإِذَا لَيْسَتْ الْعُدُوُّ فَعَفَّ مِنْ أَصْحَابِكَ وَنَسَطًا، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُونِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْخُرُوفَ، وَلَا تَبْعِدْ مِنْهُمْ تَبْعُدَ مَنْ يَهْتَائِ السَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ أَمْرِي، وَلَا تَحْمِسَنَّكُمْ شَأْنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَلَا غَدَارِهِمْ.

أقول: البردين: العدة والعشى. والتعوير: القيوبة. وقوله: فإذا وقعت: اشارة الى ما حوت العادة به من وقوف صاحب الجيش وقب السحر لاستعداد اصحابه للسير. و ينطبع: ينسبط ويتسع. وفائدة وقوفه في الوسط استواءه الى الطرفين في وصول اوامره اليهما. والشتان: البعض والعدو.

١ - الميمى من رجال الكوفة واطرافها وانه رداة وقدم وكان من شعبة على عهد السلام. اعياى الشيعة ٨٨/٨٦ تمح اسماء ٢٢٩/٣، حميره نسب العرب ١٩٩/٢٢٨، انمدير ١٢١/٨ وج ٤٧/٩ و ٣٦٨، وقعة صين/ ١٣٢ و ٣٨١.

١٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ غَنَكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْرِكُمَا مَا لَكَ نَنْ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَا دِرْعًا وَمِجَنًّا؛ فَإِنَّهُ يَمُرُّ لَا يُحَافُ وَهُنُّهُ، وَلَا مَسْقُظَةٌ، وَلَا نَطْوَةٌ عَمَّا الْإِسْرَافُ إِلَيْهِ أَخْرَمُ، وَلَا إِسْرَافُهُ إِلَيَّ مَا الْكُفَّ عَنْهُ أَمْلُ.

أقول: الأميران هما: زياد بن أسضر^١ وشرح بن هاشي^٢ واستعار له لفظ الدرع والمجن باعتبار قوته وضعته لقومه في الحرب. ولوهن: الصعف. والسفظة: الرلة في الرأي ونحوه. امثل: أشبه وأولى.

١٤ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لعسكره قس لقاء العدو بصعين

لَا تَقَابِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ؛ فَإِن كُنْتُمْ بِحَسْبِ اللَّهِ، عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرَكْتُمْ رِيَهُمْ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كُنْتِ الْهَزِيمَةُ بِأَدْنَى اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدِيرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعَوِّزًا، وَلَا تُحْزِرُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهْجُوا النِّسَاءَ بِأَدَى، وَإِنْ شَتَمْتُمْ أَغْرَاصَكُمْ، وَسَبَبْتُمْ أَمْرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُمُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ وَنَهَى لِمُشْرِكَتٍ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْحَيْلَةِ بِالْمُيْهَرِ أَوِ الْيَرَاوَةِ، فَيُعَبِّرُ بِهَا وَغَقْبُهُ مِنْ نَعْدِهِ.

١ - أبوالويرة زياد بن النضر الحارثي ... ويقال إن كنيته: أبو عاتشة.

الاصابة ١/ ٥٨١ ترجمه ٣٩٩٢.

٢ - بالعدم شرح بن هاشي بن يزيد بن بهيك الحارثي نمقتول سنة ٧٨

من أصحاب علي عليه السلام وامراته هي وقعة الحصن. الاصابة ١٦٦/٢ ترجمة ٣٩٧٢.

اقول: المدر: الموصى هاربا. والمعوز: الذى امكن من نفسه. و عور القارس: ظهر فيه موضع خلل للصرب فيه. و جهاز عسى الحريح قننه. وقد فرق عليه السلام، بين هؤلاء البعاة، وبين الكفار بما ذكر من الامور الأربعة و ان اوجب قتالهم وقتلهم. و هجت الشئ و اهبطه: اثرته. و لهجر: حجر مستطيل الملس يسحق به الطيب و نحوه. و الهراوة: كالدبوس من الغشب. و لعقب: الولد من الذكر والأنثى.

١٥ - وكان يقول عليه السلام

إذا لقي العدو محاربا:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَقْصَبُ الْعُلُوبِ، وَمُدَّتِ الْأَعْتَقُ، وَشَحَصَتِ الْأَنْصَارُ، وَبَعَلَتِ الْأَقْدَامُ، وَتَصَيَّبَتِ الْأَبْدَانُ.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْتُومُ الشَّتَاءِ، وَخَشَّتْ مَرَاجِلُ الْأَضْعَابِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ غُلُوبِنَا، وَتَشَّتْ أَهْوَالِنَا (رَبِّنا افخ بِنسنا و بِنس قومنا بالحق و أنت خير الغايجين) ١.

اقول: افصت: وصلت اليك خارجة عن كل شئ. و انصيت: اهرلت فى طعتك و السفر الى جهاد عدوك. و النصو الحمل، انهكه السر و اصعبه. و صرح: ظهر. الشنك: لدوة. و استعار لفظ المراحل: للصدور و الغلوب التى هى مظلة الاضعان و لاحقاد باعتبار ثورائها.

١٦ - وكان عليه السلام يقول

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَدُّ عَلَيْكُمْ قُرَّةُ نَعْدِهَا كَرَّةً، وَلَا حَوْلُهُ بَعْدَهُ حِمْلُهُ، وَأَعْطُوا السُّوفَ حُقُوقَهَا، وَظَنُّوا لِلْخُوبِ مَصَارِعَهَا، وَادْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الظُّفَنِ الدَّغِيبِ، وَاصْرُبُوا لِمَلِّ الْخَفِيِّ.

وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَظْهَرُ لِيْلَمْسَلِ، قَوْلَايَ فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ لِنَسَمَةٍ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ
أَسْتَسْلَمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَمَّا وَجَدُوا أَغْوَا عَيْنَهُ أَظْهَرُوهُ!!

اقول: المصل من كلام له عليه السلام بصفين. وقوله: لا تشدد، الى قوله حمدة،
اي: اذا اتفق لكم ان فرتم مرة ثم عقبتموها بكرة فلا تشددن عليكم الفرة فتستحيوا منها،
فان الكرة كالمأحية لها، وفيه تنبيه على الامر بالكرة بعد الفرة. وكذلك قوله: ولا جولة:
وهي الدورة بعدها حملة. واذمروا اي: حثوا. والدعسى: ذوالاثر والمكية في العلم.
والدعس: الاثر. والظنحيي بكسر الطاء وفتح اللام الشديد. والسمة: الانسان.

١٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى معاوية، جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا ظَلَمْتُ إِلَيَّ الشَّامَ، فَنِي لَمْ أَكُنْ لَأُعْطِنِكَ لِيَوْمَ مَا مَتَعْتُكَ أُنْسِي، وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّ
الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حَشَا شَرِّ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ» أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ،
وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَنِّي الشَّكُّ
مِثِّي عَنِ الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَخْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ. وَأَمَّا
قَوْلُكَ «إِنَّا بَنُو عُبَيْدٍ مَتَافٍ» فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَزْزٌ كَعَبِيدِ
الْمُظْلَبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي ظَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالْطَّبِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا
الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ لِحَلْفٍ خَلْفًا يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارٍ
حَقَّهَمَ.

وَ فِي أَبْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ السُّبُوءِ الَّتِي أَذَلَّتْ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَمَسَّتْ بِهَا الدُّنْيَا. وَلَمَّا أَذْهَلَ
اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظُلُمًا وَكُرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ
إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حَيٍّ قَارَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ
فَلَا تَجْعَلَنَّ لِشَيْطَانٍ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا.

اقول: قد كان معاوية سأل منه عليه السلام أن يعطيه الشام على أن لا يكون له في عقه بيعة ولا صاعة. والحشاشة: بقية الروح. وقوله: فلست بأمضى، الى قوله: اليقين: يريد أن حركة معاوية في هذا الأمر على شك منه في استحقاقه وصله، وهو من ذلك على يقين والشك في أمر ليس بأمضى في طسه من الحقتين له. وباقي الفصل افتخار عليه وفيه انماء الى أنه من الطلقاء وقد مرّ به. والصريح: حالس السب. واللصق: المدعى. ولادغسال: الفساد ورذلة الاحلاق. ونعشه: رفعه. والفوج: الجماعة الكثيرة، وبالله التوفيق.

١٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن عباس، وهو عامله على البصرة

اعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْطٌ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاخْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ تَلَمَّعَ تَسْمُوكُ لَيْتَى تَمِيمٍ، وَعَلَّظْتَكَ عَنْهُمْ. وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَعْثُ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرٌ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا يَوْمَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بَنًا رَحِمًا فَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَةً، تَحْنُ مَا جُورُونَ عَلَى صِلَتِهِ، وَمَارُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهِ، فَارْتِعَ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَجِمَتْ أَلَهُ. فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَايِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ ضَالِحٍ ظَنَى بِكَ، وَلَا يَقِيلُ رَأْيِي فِيكَ، وَاسْلَامٌ.

اقول: الفصل من كلام طويل... وكونها مهبط ابليس ومغرس امتن، باعتبار أنها منشأ الفتن والآراء المختلفة والأهواء المختلفة التي منشأها ابليس، وإنما كان السبب العال في ذلك كونها طرفا بعيدا عن مقر الحنفاء وولاية الامر، فبمس لما يقع في نموس من يطمع بالفساد فيها، واثارة الفتنة بها من الوسوسة بذلك كسر قريب، فتسرع فيها الفتن وتكثر. وكان ابن عباس قد اصرت بنى تميم حين وُلِّيَ امر البصرة، من قبله عليه السلام لما عرفهم به من العدو يوم الجمل لا أنهم كانوا من شيعة طلحة والبربر، فحمل عليهم

وقصاهم وتكر لهم حتى كان يسميهم شيعة الجمل، وانصار عسكره، وهواسم الحمل، وحزب الشيطان، فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام، من بنى تميم، منهم حارثة بن قدامة فكتب بذلك الى علي عليه السلام شاكيًا من ابن عباس فكتب عليه السلام الكتاب المذكور.

والتميز: تكر الاخلاق، واستعمال لفظ النجم، لمن يظهر من اشرافهم. والوغم: الحقد. وماسة قريبة قبل ذلك، لا تصان اسلافهم في الياس بن مضر لأن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لوئ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر. و تميم بن مراد بن طابخة بن الياس بن مضر. واصل مأزورون موزورون فقلب للتجانس. و اربع اي: ارق و دة. وفيالة الرأي: ضمعه. وبالله التوفيق.

١٩- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ذَهَابَيْنِ أَهْلِي بَلَدِكَ شَكَّوْا مِنْكَ غِلَطَةً وَقَسْوَةً، وَآخِيفَارًا وَجَفَوَةً؛ وَظَنَرْتُ قَسَمَ أَرْهَمُ أَهْلًا لِأَنْ يُدْتَوُوا لِشُرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْضَوْا وَيُجَفَّوْا لِعَهْدِهِمْ، فَأَلْبَسَ لَهُمْ حُلَابًا مِنْ اللَّيْنِ تَشْوِيهِ بِظَرْفٍ مِنَ الشَّدَقِ، وَدَاوَلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّافِقِ، وَأَمْرُخَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْتَعَادِ وَالْإِقْصَاءِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١- حارثة بن قدامة السعدي التميمي... أحد حواسب علي عليه السلام وصاحب السرايا والالوية والميل يوم

صعبي- تنقيح المقال ٢٤٩/١.

و ذهب أكثر المورخين ان اسمه حارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن بن رراح بن سعد بن بحير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي... ومن المؤسف ان علي عمر الزمن ابدل- جارية - لي- حارثة واضنه تصحيحاً، وله صحة و رواية عن الرسول الاقدس (ص) وهو الذي حرق عبدالله بن الحضرمي في دار سبيل بالبصرة لان معاوية بعث اليه الحضرمي ليأخذ به البصرة فوجه علي (ع) اعين بن ضبيعة فقتل موجه حارثة بن قدامة فحاصر ابن الحضرمي ثم حرق عليه. الاصابة ٢١٨/١ ترجمه ١٠٥. الاستيعاب ٢٤٥/١. هامش الاصابة- رجال الطوسي / ٣٧.

أقول: الدهقان فارسي معرب. والفسوة: الشدة. ولحقاء: صد البر. واستعار لفظ الحلباب وهو الملحفة لما اشتمل عليه ويتلبس به من اللين والرأفة. والادالة: الإدارة. وداوود بين الفسوة والرفعة: استعمل كلاً منهما مرة. والمقول أن هؤلاء كانوا محوساً.

٢٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامه عبد الله بن عباس على البصرة، وعنده الله خليفة أمير المؤمنين على البصرة والأهواز و فارس وكرمان.
وَأَتَى أَقْبِسُ بِاللهِ قَسَمًا صَادِقًا لَيْسَ تَلْعَى أَنَّ حُنْتُ مِنْ قِيٍّ الْمُسِيْمِينَ شَيْئًا صَفِرًا أَوْ كَبِيرًا لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدْعُثُ قَلِيلَ الْوَفْرِ لَقِيلَ الطَّهْرِ صَبْلُ الْأَمْرِ وَالسَّلَامُ.

قول: زياد هذا هو: ابن سماعة بن بكر، وهو دعي أبي سفيان وأول من دعا سابين أبيه عايشة حين سُئِلَتْ لِمَنْ يُدْعَى. والشدة: لحمية. والوفر: المال. والصيل: الحقيق. وثقل الطهر: الأثام والعنة. وتدعث: أتى تركت. والمصوبت الثلاث أحوال ولا يلزم أن يكون تلك لأحوال من شدته عليه اسلام، لأن الحال لا يلزم أن يكون من فعل الماعل.

٢١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليه أيضاً

قَدَحَ الْإِمْرَافَ مُتَقَصِّدًا، وَأَذْكُرِي الْيَوْمَ عَدَا، وَأَمْسِكِ مِنَ الْمَالِ بِفَذْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمَ حَاجَتِكَ.
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَنَّكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عَيْنُهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَنْظِمُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفُ وَالْأَرْفَعَةُ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوْبَ الْمُتَقَصِّدِينَ؟ وَتَمَّا الْمَرْءُ مَجْرِي بِمَا أَسْلَفَ، وَقَدِّمِ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ.

أقول: التمرّع: التقلب. والفصل طاهر.

٢٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس رحمه الله

وكان عبد الله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كاستفادى بهذا الكلام.

أما تعدّد؛ فَإِنَّ التمرّع قد يسهل ذلك مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقْوَتِهِ؛ وَيَسْوَعُهُ قُوَّتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهِ؛ فَلْيَكُنْ سُورُوكَ يَتَا يَلْتُ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَقَاتِكَ مِنْهَا؛ وَمَا يَلْتُ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

أقول: حاصل الفصل بيان ما يتسعى ل يفرح المرء به من الكمالات الاخرية، ويحزن لموته منها، وما لا ينبغي له منها في متاع الدنيا وكمالاتها. وقوله: فإن المرء، الى قوله: ليدركه، كالمقدمة لذلك اشار به الى ان في طبيعة الانسان ان يسر بما يدركه من المطالب، ويسى بما يفوته منها وكأنه قل: واذا كان في طبيعة المرء ذلك فليكن سرورك بما تدل من الآخرة، واسفك على ما يفوتك منها دون الدنيا. وفي قوله: ما لم يكن ليقوته، وما لم يكن ليدركه: تنبيه على ان ما يفوت ويدرك واحب في القصاء الالهى قوته ودركه: وفائدة ذلك ان لا يشتد الفرح بما ينال من متاع الدنيا، ولا يشتد الأسف على ما يفوت منها لأن الفرح بما لائذ من حصوله، والأسف على ما لائذ من فواته جهل وسعة في العقول، ومانع من آخرته في الدنيا هو الكمالات النفسانية الباقية. والفصل من لطائف الكتاب.

٢٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله قبل موته على سبيل الوصية، لما ضرب به ابن ملجم لعه الله

وَيَعْبُدِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُصَيِّمُوا

سُنَّتُهُ: أَقِيمُوا هَذَيْنِ لِعُمُودَيْنِ، وَحَلَاكُمُ دَمٌ.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَلَيَوْمَ عِزَّةٍ لَكُمْ؛ وَعَمَّا مَفَارِقُكُمْ! إِنْ أَبَى قَانَا وَلِيٌّ دَمِي، وَإِنْ أَمْسَ قَالِقْنَا مِسْعَادِي؛ وَإِنْ أَغْفُ قَالْعَفُولِي قُرْبِي، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ؛ فَاعْفُوا (أَلَا تُجِبُونَ أَنْ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟) ١

وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدَ كَرِهَتِهِ؛ وَلَا طَائِعَ انْكَرَتِهِ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَفَّارِي وَرَدِّ، وَطَالِبٍ وَجَدَ (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) ٢.

قال السيد: رضى الله عنه: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أنَّ فيه هاهنا زيادةً أوجبت تكريره.

اقول: استعار لفظ العمودين: لتوحيد الله، واتباع سنة رسوله، لقيام الدين بهما، وقوله: وحلاكم دم من مصادح العرب. ونه بقوله: انا، الى قوله: مفارقتكم على وجوب العرة بحاله. وقوله: وان اعف على تقدير لبقاء، فكأنه قل: قانا ولي دمي واب قصص فذلك حقي، وان اعف فلمفولي قرينة. ولم كان عليه السلام سيّد الأولياء الذين هم أشدُّ حُبِّ الله وأشوق الى لقاءه، لم يكن وارداً الموت مكروهاً له ولا منكراً عنده بل محبوباً ومألوفاً. فجاء الأمر: أنه بعنة، وشبهه بنسبة في شدة طلبه لقاء الله يومئذ بانقارب وهو طالب الماء اذا اورده بطالب الواحد لمطلوبه.

٢٤ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِمَا يَعْمَلُ فِي أُمُورِهِ، كَتَبَهَا بَعْدَ مَضَرَفِهِ مِنْ صَفْحَةٍ

هَذَا مَا أَحْرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى بَنِي أَبِي ظَلِيلٍ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ تَبِعَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُؤَلِّجَهُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِنَهُ بِهِ الْأَمَّةَ.

مها:

وَأَنْتَ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا كُلُّ مِثْلٍ لِمَعْرُوفٍ، وَيَنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنْ

حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ، وَحَسَنٌ حَتَّى قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرُهُ.
وَأَنْ لَيْتَنِي فَاطِمَةُ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَيَّ مِثْلَ الَّذِي لَيْتَنِي عَلَيَّ؛ وَأَنْتَى إِنَّمَا جَعَلْتَ الْقِيَامَ بِذَلِكَ
إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ أَتِيغَاءَ وَحَوْلَهُ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِبُضْئِهِ.
وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ السَّانَ عَلَى أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ
أَمَرَهُ وَهَدَى لَهُ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِهِ نَخِيلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَدِيَّةً، حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.
وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي أَطَوَّفَ عَلَيْهِمْ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هَيَّ حَامِلٌ فَنَمَسَكَ عَلَى وَلَدِهَا
وَهِيَ مِنْ حَطْلِهِ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ غَنِيْمَةٌ؛ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعَيْتُّ.

قال السيد رحمه الله: قوله عليه السلام في هذه الوصية «أن لا يبيع من نخيلها
وديه»: الوديه: الفسيله، وجمعها ودي، وقوله عليه السلام «حتى تشكل أرضها غراساً» هو
من أفصح الكلام، والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على
غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

أقول: يولجه: يدخله. والأمانة: الأمن. والضمير في قوله، مصدره للأمر أي: أخرج
الحق مخرجه وأطلعه مطلقه. وقوله للحسين، أي: أصد الحسين الحق مصدر الحسن، و
كما فعل بالمعروف. والضمير في يشترط لعلِّي، ويحتمل أن يكون للحسين: وفائدة
التهى عن بيع الفسيل قبل اشكال الأرض غراساً: أنه محتاج إليه، وأن النخلة قبل أن تعلق
لم يستحكم جذعها فيصير بها قطع فسيلها. والطواف هنا: كناية عن النكاح، وكن يومئذ
ست عشرة أمة. وقوله: فتمسك إلى آخره أي: أن ثمنها محسوب من نصيب ولدها، و
تمسك عليه وقضائه عليه السلام بذلك، وصية يعتق من مات ولدها من أمائه بعد موته بناء
على مذهبه في بقاء أم الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد، ويصح بيعها وهو
مذهب الامامية، وقول قديم للشافعي، وفي الجديد أنها تنعتق موت سيدها المستولد، و
لا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور.

٢٥ - وَمِنْ وَصِيَّةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان يكتنها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرناها جملاً منها لنعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق، ويشرح أمثلة العدل: في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وحليلها.

إِضْيِيقٌ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحُذْرٍ لِأَشْرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرْوَعَنَّ مُسِيئًا، وَلَا تَحْتَرَزَنَّ عَلَيْهِ كَارِهِ؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرِ مِنْ حَقِّهِ فِي مَالِهِ؛ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَأَبْرِزْ بِمَتَابِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحَالِظَ أَيْدِيَهُمْ، ثُمَّ قُمْ بِإِيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقْرِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَسَلِّمْ عَنْهُمْ؛ وَلَا تُحْدِثْ بِالنَّجِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: عِزَّادُ اللَّهِ، أَرْنَسِي إِيْكُمْ وَلِيَّ اللَّهِ وَحَلِيفَتُهُ لِأَحْمِيَّتِكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؟ قَهْلَ اللَّهُ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقِّ قَسْوَدُوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَاتَ قَائِلٌ: لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَتُطْلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْصِفَهُ وَتُوْعِدَهُ، أَوْ تُخْصِفَهُ، أَوْ تُرَفِّقَهُ؛ فَحُدِّ مَا أَغْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِصَّةٍ؛ فَإِنْ كَرِهَ لَكَ مَا يَبِيْغُ أَوْ بَلَّ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ؛ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَنْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَظِيفٍ بِهِ، وَلَا تُفَرِّقَنَّ بَهْمَهُ وَلَا تُفَرِّقَنَّهَا، وَلَا تُسَوِّدَنَّ صَاحِبَهَا بِهِ وَأَصْذَعْ التَّمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضْ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْذَعْ أَلْفَ فِي صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضْ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلَا تَرَكَ كَذَلِكَ حَتَّى يَتَقَى مَا يَبِيْغُ وَفَاءَ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنْ اسْتَقْبَلَكَ فَاقْبِضْهُ، ثُمَّ احْطِطْهُ، ثُمَّ اصْطَعْ مِثْلَ الْبَدْيِ صَنْعَتْ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرَمًا، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ يَتَّقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُشِيمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُؤْكَلْ بِهَا إِلَّا نَاصِيكٌ شَيْعًا وَأَمِيْسًا حَفِيظًا، غَيْرَ مُعْتَبٍ وَلَا مُجْعَفٍ وَلَا مُعَيَّبٍ وَلَا مُنْعَبٍ، ثُمَّ أَخْبِرْ نِسَاءَ مَا اخْتَمَعَ بِعَدْلِكَ، نُصَيْرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ؛ فَإِذَا اخْتَارَ أَمِيْسُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحْوِلَ بَيْنَ نَافِقٍ وَبَيْنَ فَصِيْلَتِهَا، وَلَا يَحْصُرَ لَيْسَهَا قَبْضُ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا وَلَا يَحْبِطْهَا رُكُونًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَتِهَا، وَلْيُرَفِّقْ عَلَى الْإِغْيَابِ، وَلْيَسْتَأْذِنْ بِالنَّصِيبِ وَالطَّالِيعِ، وَلْيُورِثْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدَى، وَلَا يَتَعَدَّنَّ بِهَا عَنْ ثَلَاثِ الْأَرْضِ إِلَى حَوَاقِ الطَّرِيقِ، وَلْيُورِثْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمْلِكْهَا عِنْدَ لُظْفٍ وَلَا غَسَابٍ، حَتَّى تَأْتِيَنَا، بِإِذْنِ اللَّهِ، بِأَمَّا مُتَقِيَاتُ، غَيْرَ مُتَعَبَاتٍ وَلَا مُجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَشَيْءِ نَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ

أَعْظَمُ لِأَخْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قول: الروح: الفزع. ولا يختارون عليه أي: لا تطلب خبر ماله. ولا تخضع التحية
أي: لا تنقصها. وانعم قات نعم. والعسف: الأخذ بشدة. وإلراف: تكليف لعسر. و
اصدع المال اقمه. والعود: اسم من الإبل أسن من البازل. وكذلك الهرمة:
علية السن. والمكسورة: التي انكسرت إحدى قوائمها، ولمهلوسة: المسلوطة والهلاس:
السل. ولعوارس الفتح:- العيب. وقد يضم. والمححف: الذي يعنف بالمال في سوقه
ويذهب بلحمه. والملح: المتعب. وأوعز له بكدا امره به. ولمصرا: حلب كل ما
في الصرع من السن. والنقب: البعير ترق أخذه. ولعدن: جمع غدير: الماء. والساعات:
جمع ساعة مصدر قولك: ساءت الناقة إذا همدت تسوع سوعاً وساعة أي: بوحدها الراحة
في سوءها بلصبر والتأني عنها في المرعى. والطاف: المياه القليلة. وليدن: السمان.
والمقيت: التي صارت من سمها ذاب نعي. وهومح العظام وشحم العين. ومصد
الوصية ظاهرة، ود الله التوفيق.

٢٦- وَمِنْ عَهْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله، وقد بعته على الصدقة

أمره يتقوى الله في سرائر أمره وخبيات قميته، حيث لا شاهد عبّره، ولا وكيل دونه.
وأمره أن لا يعمل بشئ من طاعة الله فيما ظهر فحلف إلى غيره فيما أسر، ومن لم
يُخْلِف سِرّه وعلايته ففعله ومقالته؛ فقد أذى الأمانة، وأخص العيادة. وأمره أن
لا يتجههم، ولا يفضهم، ولا يترعب عنهم تفصلاً بالأمانة عليهم؛ فإنهم الإخوان في الدين،
ولا غرور على استبحار الحقوق.
وإن كنت في هذه الصدقة نصيباً مقروصاً، وحقاً معلوماً، وشركاً أهلاً مسكنة،

١- هي هامش ش هك: مصرت الشاة إذا حلبت جميع ما كان في صرعها.

وَصَمْعَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ؛ وَإِنَّا مُؤَفِّوَةٌ حَقَّقَ قَوْلَهُمْ خُفُوفَهُمْ أَوْ لَا نَقَعْنَ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ اسْمِاسٍ حُصُونًا
يَوْمَ الْيَمِينَةِ؛ وَتُؤَسَّا لِمَنْ خَضَعَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمُقَرَّرَاءُ، وَلَمَسَاكِينُ، وَاسْتَايِلُونَ، وَالْمَدْفُوعُونَ،
وَالْعَارِمُ، وَتَنْ السَّبِيلِ!! وَمَنْ اسْتَهَنَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْحَبْنَةِ، وَلَمْ يُرَ نَفْسَهُ وَوَيْتَهُ عَنْهُ؛
فَقَدْ أَحَلَّ نَفْسِهِ فِي أَدْبِ الدُّلِّ وَالْحَرَى، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَى وَأَحْرَى؛ وَإِنَّا أَعْطَمَ الْحَيَاةِ
حَيَاتَهُ. لَا تَمَيَّ، وَأَقْطَعِ الْعِشَّ عِشَّ الْأَيْمَةِ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: اصمير في قوله: آمره، يعود الى المعهود اليه. وقوله: وآمره، الى قوله: فيما
اسراى: لا يخالف بين طاهر عمه في طاعة الله وبين باطيه. وعَصَهُ عَصَهَا: رماه
بالهتان والكذب. ولا يرغب عنهم اى: لا ينقبض عنهم ويرتفع عنهم. وقوله: فابهم،
الى قوله: الحقوق صغرى ضمير به فيها على وجوب الانتهاء عن المنهيات المذكورة، و
تقدير كراه، و كل من كان كذلك فلا يجوز ان يفعل به ذلك. و شركاؤه: المستحقون
للصدقة. والبؤس: الشدة. ولعقر: من به نعمة من العيش لا تكفيه. والمسكين: هو الذى
لا شئ له. والمدفوعون: قيل: هم السائلون يدفعهم عند السؤال، وقل: هم لعاملون عليها
باعتبار أنهم يدفعون الى الحياة لويه معهم المسؤول، هل عليه ركة م لا عن نفسه؟ والعارم:
من لزمه لئيم في غير معصية. وابن السبل هو المسقطع به في السر بغطى من لصدقة و
ان كان عيبا في بلده. واضع العش: اشدّه. وبالله التوفيق.

٢٧ - وَمَنْ عَهْدَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الى محمد بن أبى بكر رضى الله عنه حين قلده مصر

فَحِصْ لَهُمْ جَدَّ حَتَّ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَدِيَّتَ، وَبَسِطْ لَهُمْ وَحَنَتَ، وَآسِ بَسَنَهُمْ
فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، حَتَّى لَا يَظْلَعُ الْعُظْمَاءُ فِي حَبِيَّتِ لَهُمْ، وَلَا يَتَأَسَّ اسْمَعْمَاءُ مِنْ عَذْلِكَ
عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالكَبِيرَةِ؛ وَطَاهِرَةِ
وَالْمُسْوَرَةِ: فَإِنْ يُعَدَّتْ فَانْتُمْ أَطْلَمَ؛ وَإِنْ يَنْفَقَ فَهِيَ أَكْرَمُ.

وَأَعْتَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ دَهْوًا يَغَاجِلِي لَدُنِّي وَأَجِلِي الْآخِرَةِ، فَسَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا

فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي تَجْرِتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنَتْ،
وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ، فَحَصُّوا مِنْ الدُّنْيَا بِمَا حَظُّوا بِهِ الْمُرْتَقُونَ، وَأَحَدُوا مِنْهَا مَا أَحَدَهُ
الْحَسَابَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالرَّادِ لِمَلْعَمٍ، وَالْمَشْحَرِ الرَّاحِ: أَصَابُوا لَدَهُ زُهْدٌ لِدُنْيَا
فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ عَدَا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يُنْقَضُ لَهُمْ
نَيْصٌ مِنْ لَدِهِ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَفَرَّتَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ،
وَيُخْطَبُ جَبَلِيلٌ: يَحْجِرُ لَا يَكُونُ مَعَهُ سَرٌّ أَبَدًا، أَوْ سِرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى
الْحَجَّةِ مِنْ غَائِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى السَّارِ مِنْ غَائِبِهَا؟ وَأَنْتُمْ طَرْدَاءُ الْمَوْتِ: إِنْ أَقْبَضَكُمْ لَهُ
أَحَدُكُمْ، وَإِنْ فَرَزْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكْكُمْ، وَهَوَّالَرَّمْ لَكُمْ مِنْ يَدِكُمْ! الْمَوْتُ مُعَقَّدٌ بِوَأَصِيكُمْ،
وَأَسَدِيَّا يُطَوِّى مِنْ خَلْعِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَارًا فَعَرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرَّهَا شَدِيدٌ، وَعَدَانَهَا جَدِيدٌ: ذَرُّ
لَنْسٍ فِيهَا رَحْمَةً، وَلَا تَسْمَعْ فِيهَا دَعْوَةً، وَلَا تُفْرَحْ فِيهَا مَكْرَمَةً، وَإِنْ أَسْتَظِلَّكُمْ أَنْ يَشْتَدَّ
خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَخْشَ ظَنُّكُمْ بِهِ؛ فَاجْتَمِعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَدَّةَ إِنَّمَا يَكُونُ خُسْرٌ طَلَّةَ
بِرِّهِ عَلَى قَدْرِ حَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنْ أَخَسَّ شَأْسُ صُلَا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا إِلَيْهِ

وَأَعْتَمْتُ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَجْزَأِي فِي نَفْسِي: أَهْلُ مَضَرٍ،
فَأَنْتَ مَخْشُوقٌ أَنْ تُحَالَفَ عَلَى نَيْصٍ، وَأَنْ تُنَافِعَ عَنْ دَسٍّ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ
الدَّهْرِ، وَلَا تُحِيطُ اللَّهُ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
خَفَفٌ فِي عَثَرِهِ.

صَلِّ الصَّلَاةَ لِبُوقِيَّتِهَا لِمَوْقِفِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتُهَا لِقِرَاعِ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا
لِإِسْتِعْمَالِ، وَأَعْنَمُ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَنْتَعِ لِصَلَاتِكَ.

أقول: خفف الحناح: كناية عن التواضع، وسط الوجه: كناية عن البشاشة
والطلاقة، والصمير في عيهم للضعفاء وقيل: للضعفاء. وقوله: دهواء، إلى قوله: الآخرة
أي: حصلوا على ذلك، وقوله: بأفضل ما سكب وبأفضل ما اكتسب: أي: استعمالوها
على الوجه الذي يشفي لهم، ولئى امرؤ باستعمالها عليه وذلك هو أفضل الوجوه. والزاد
الملع: وهو التقوى واستعار لها لفظ المنحصر. وعامل الحنة: العامل لها. واستعار وصف
الطبي لتقصي احوال الدنيا وإيامها التي يقطعها الناس وعذابها جديد كقوله تعالى:

(كُنَّمَا تَصَيِّغَتْ خُلُودُهُمْ تَدْلُ هُمْ جُلُودًا غَيْرَهُ) ^١ وروى وعذابها حديد، هو كقوله تعالى: (وَلَهُمْ مُعَامِجٌ مِنْ حَدِيدٍ) ^٢ ونحوه. وقوله بينهما أي: بين شدة الخوف وحسن الظن به. واعلم أنه عليه السلام لم يجعل أحدهما علّة للأخر بل أشار إلى ملازمتها لأنهما معلولتا علّة واحدة، وهي معرفة الله تعالى، وقولهما لشدة والضعف بحسب قولهما في نفس العبد ألا أنّ كلّاً منهما يستند إلى اعتبار من المعرفة خاص يكون مبدأ قريباً له، إما في حُسْنِ الظنِّ ورجاء، فإن يلحظ العبد من ربه صفات رحمته وحوده، ورافته ووعده، وإما في الخوف فإن يلحظ منه أوصاف عظمته وبأسه وسوئته، وصولته ووعيده، وبحسب اشتداد تصوّر تلك الاعتبارات يكون اشتداد الخوف ونوارمه من انقياض الجوارح عن المعصية، ونحول لا بدان وغير ذلك. وتخفف على نفسك أي: الإمارة بالسوء فهي هوها؛ والمناجحة: المضاربة والمخاصمة. والحلف: العوض، وأنّما كن كل عمل له تعاضد لصلاته لأنها عمود الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ فَمَنْ تَمَّتْ صَلَاتُهُ سَهَّلَ عَلَيْهِ غَيْرَهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَمَنْ بَقِصَتْ صَلَاتُهُ فَتَبَّ يَحَاسِبُ عَلَيْهَا وَعَلَى غَيْرِهَا» ^٣.

وَمِنْ هَذَا الْعَهْدِ ابْنُ

قَبَائِلُهُ لَأَسَافٍ: إِدْمُ الْهَدْيِ، وَأَمَامُ الرَّدَى؛ وَلَوْىَ النَّبِيِّ، وَعَذْوُ النَّبِيِّ. وَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لَا أَحَافُ عَلَى أَمْنِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْتَنُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَمْتَنُهُ اللَّهُ بِبُشْرِكِهِ، وَبِكَيْسِي أَحَافُ عَلَيْكُمْ كُلُّ مُدْبِقِ الْجَنَابِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَقُولُ مَا تُكْذِرُونَ» ^٤.

أقول: أشار بامام الهدى، وولّى النبى إلى نفسه، و بامام الردى وعدو النبى، إلى معاوية تفسيراً عنه. ويصمعه: يقهره ويدلّله. وعلم اللسان قول الحقّ لذى يعرفونه.

١ - سورة لسان / ٥٦.

٢ - سورة الحج / ٢١.

٣ - الجمع الصغير / ٤٣٦.

٤ - سفينة البحار ٦٠٦/٢ بإسناد مختلف. صحيح مسلم ٧٨/١.

أَمْ بَعْدُ، فَقَدْ أَنَانِي كِتَابُكَ نَذْرُ فِيهِ اضْطِغَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدِيهِ؛
وَتَأْيِيدَهُ إِلَهُ يَمَنُ أَيْدِيهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَمَدَّ خَبْرًا لَنَا الذَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَلِفَتْ نُخْبِرُنَا بِبَلَا
اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَكَ، وَبِعَتَمَةِ غَنِيَّتَا فِي نَبِيَّتَا، فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابًا اسْتَمَرَّ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ ذَا عِي
مُسْتَدِيرِهِ إِلَى انْقِضَائِهِ، وَرَغِمَتْ أَنْ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْأَسْلَامِ قُدْرًا وَفَلَانًا! قَدْ كَرِهْتُ أَمْرًا إِنْ
نَمَّ اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَنْتَحِفْ ثَلَمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْقَاضِلُ وَالْمَقْضُوعُ، وَالسَّائِسُ
وَالْمُسُوسُ، وَمَا يُطْطَبَقَاءُ وَأَبْنَاءُ الطُّغَمَاءِ، وَلِتَشْمِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْيِيبِ
فَرْجَتِهِمْ، وَتَغْرِيفِ طَبَقَتِهِمْ؟ هَبْنَاهُ! لَقَدْ حَرَّ قُدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَبَقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ
عَبِيَةِ الْحُكْمِ لَهَا، أَلَا تَرَبُّعُ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟ عَلَى طَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَشَاحَرُ
حَيْثُ أَحْرَكَ الْقَدْرُ! فَمَا غَبَيْكَ غَبِيَةُ الْمَعْلُوبِ وَلَا طَعَرَ الطَّافِرُ! وَنَتَّكَ لَذَّاهَبٌ فِي الثَّيِّهِ، رَوَّاعٌ
عَنِ الْقَضِيَّةِ، أَلَا تَرَى - غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ، وَكَيْفَ بَغْنِهِ تَهَ حَدَّثْتُ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلِكَيْ فَضَّرَّ! حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدَانَا قَبْلَ «سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ» وَحَصَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَعِينُ تَكْثِيرَهُ عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؟ أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا
قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكَيْ فَضَّلَّ! حَتَّى إِذَا فُجِعَ بَوَاحِدَةٍ مَا فُجِعَ بَوَاحِدِهِمْ قِيلَ:
«الْإِطَارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذَوُ الْحَسَاحِينِ» وَلَوْ لَا مَا نَهَى اللَّهُ مِنْ تَرْكِتِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ لَدَكَرْدَا كِرْ
فَصَدَّلَ جَنَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ الشَّامِئِينَ. قَدْ عَنَّاكَ مِنْ مَالَتِ بِهِ
الرَّيَّةُ، قَبْلَ صَدِيقِ رَبَّنَا، وَلِنَّاسٍ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا، لَمْ يَمْتَنِعْنَا قَدِيمَ عَرٍّ، وَلَا عَدِيَّ طَوْلَنَا عَمَى
قَوْلِكَ أَنْ حَلَطْنَاكُمْ بِنَفْسِنَا فَكُحْنَا وَنَكَحْنَا فِعْلَ الْإِكْفَاءِ، وَلَتَشُمُّ هُنَاكَ! وَأَتَى يَكُونُ
ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمِمَّا السَّيِّئِ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ؟ وَمِمَّا أَسَدُ اللَّهِ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِمَّا
سَيِّدِ أَشْبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ اللَّيْلِ وَمِمَّا حَسْرَتِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَلَةُ
الْحَطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَيْنُكُمْ فَمَا سَلَامُنَا قَدْ سَمِعَ، وَجَاهِيئُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ
يَحْتَمُّ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْنُ: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)

وَقَوْلُهُ نَعَايَ: (إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَّبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَلَدِينِ آمَنُوا، وَاللَّهُ وَبَى الْمُؤْمِنِينَ) فَتَحَرُّ مَرَّةً أَوَّلَى بِالْقِرَانَةِ، وَتَارَةً أَوَّلَى بِالطَّغْوَةِ. وَمَا أَخْبَحَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ اسْتِيفَةِ بَرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَحُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ لَفُحٍّ بِهِ فَالْحَقُّ لَدُونِكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بَعَثُهُ فَلَا تَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ! وَرَغِمَتْ أَنِّي لِكُلِّ الْحَلَفَةِ حَسَدْتُ؛ وَعَنَى كُتِبَتْ بَعِثْتُ! فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذِبًا فَلَيْسَ الْحَدِيثُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْغَدْرُ إِلَيْكَ.

* وَبِذَلِكَ شَکَاةٌ طَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا *

وَقُتِبَتْ: «إِنِّي كُنتُ أَقَادُ كَمَا يُفَادُ لِحِمْلِ الْمَحْشُوشِ حَتَّى الْبَاطِلِ، وَلَقَمَرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَلُمَّ فَمَلَحْتُ، وَأَنْ تَقْضَحَ فَأَقْضَعْتُ! وَمَا عَنَى الْمُسْلِمُ مِنْ عَصَاةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَطْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرَائًا بِتَقِيَّتِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ فَضْلُهَا، وَلِكَيْ أَظْلَمْتُ لَدُنَّ مِثْلِهَا بِقَدَرِ مَا مَنَحَ مِنْ دُكْرُهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا أَنْ تَخَاتَ عَنْ هَذِهِ لِرِجَالِكَ مِنْهُ، فَابْنَا كَانَ أَغْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ، أَمْرٌ بِذَلِكَ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَعْدَّهُ وَاسْتَكَمَّهُ؟ أَمْ سَتَنْصَرُّهُ فَتَرَائِي عِثُّهُ، وَتَمَّتِ الْمُنُونُ إِلَيْهِ، حَتَّى أَنِّي قَدَرْتُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِمُعَوِّظَيْنِ مِنْكُمْ، وَلِقَائِسٍ لِأَحْوَابِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا) ٢.

وَمَا كُنتُ لِأَعْتِدَ مِنْ أَسَى كُنتُ أَنفِمْ عَلَيْهِ أَحَدَانًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيَّ إِرْشَادِي وَهَذَا بَيْنِي لَهُ، قَرُبٌ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ.

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الطَّغَةُ الْمُتَنَصِّحُ * (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا لِإِصْلَاحٍ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ٣.

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِإِصْحَابِي [عِنْدَكَ] إِلَّا السَّيْفُ! فَقَدْ أَصْحَكْتُ بَعْدَ اسْتِغْفَارِي مَتَى أَلْقَيْتَ بَيْنِي عُنْدَ الْمُطَلِّبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِيلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُحَوِّفِينَ «لَبِثْتُ قَلِيلًا يَنْتَحِقِي

١ - سورة آل عمران / ٦٨

٢ - سورة هود / ٨٨.

٣ - سورة الاحزاب / ١٨.

أَلْهَبْهَا حَمَلًا ۖ فَسَيُظْلِمُكَ مَنْ تَظَلُّبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَعِدُّ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي خَحْلٍ
مِنْ لُتْهِ حَرِينٍ وَلَا نَصَارَ وَتَابِعِينَ لَهُمْ يَا حَسَنَ، شَدِيدِ رَحْمَتِهِمْ، سَاطِعِ قَتَامِهِمْ، مُتَسَرِّبِينَ
سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ يَقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحَّحْتُهُمْ دُرِّيَّةً بِدُرِّيَّةٍ، وَسَيُوفُ هَاشِمِيَّةٍ،
قَدْ عَرَفْتُ مَوَاقِعَ بَصَالِهَا فِي أَحْبِكَ وَنَحَالِكَ وَجَدَّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ٣.

اقول: طفق: مثل اأخذ وجعل. وقوله: كدقل التمرالى هجر، ودعى مسدده الى
المضال، مثلاً يضربان لمن يحسن اأشى الى معدنه، ليستفع به فيه، وهو اولى ان يؤخذ
عه. و اراد ان الاخبار ببلاء الله عبدا ونعمته علينا ينبغي ان يؤخذ عتاً ولا يلق ان تخبرنا
انت به. و هجر: مدينة بالبحرين. والمصال: المراماة واصله ان يدعو لائنسان استاده
فى الرمى، ومسدده فيه الى المراماة، وهو اولى بأن يدعو الى ذلك.

وقد كان معاوية فى كتبه ذكر درجت لصحة، فى فضلهم حسب ترتيبهم
فى الخلافة فتضى ذلك تفصيلهم عنه فأحبه بقوله: وذكرت الى آخره. ولتلم: انكسر
والقصان. واما كونه طلق وابن طلق: فمحمود ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين
فتح مكة قال: يا معشر قريش م نرون انى فعل بكم؟ قالوا: خيراً، اح كرم، وابن اح
كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكان فيهم معاوية، وابوسفيان. وقوله: حن قدح
ليس منها: فاصله ان احد قداح الميسر اذ كان ليس من حوهر باقى القداح، ثم اجاله
المففض خرج له صوت يحالفا اصواتها، معرف به انه ليس من حملتها، فضررت مثلاً
لمن يمدح ويفتخر بقوم وينسب فيهم مع انه ليس منهم، وليس من متقدميهم
فى الفص. وقوله: فطفق، الى قوله: لها: مثل آخر يضرب لمن يحكم فى قوم من اراد لهم
وليس للحكم بأهل. والا ترع اى: تقف وتترقق بفسك. واظلم: المرح. والذرع:
بسط اليد، واستعار لفظ الطبع لقصوره عن رتبة لسابقين كالطالع. وقصور ذرعه: كناية عن
عجزه عن تدول تسك المرتبة. والشيء: الضلال. وشهدهم عتة حمرة بن عبدالمطلب
رضى الله عنه، وخصه بسبعين تكبيرة فى أربع عشر صلاة. وألذى قطعت يداه منهم اخوة

٣- سورة هود/ ٨٣.

٢- فتح البلدان/ ٥٥، الهدية فى الحديث ١٣٦/٣.

١- معجم البلدان ٣٩٣/٥.

جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله، دلحد حين،
بذلك الاعتبار، والصبر في محبة. والدكر يعني نفسه. ولا سمحها أي: لا يبقها.

وقوله: من ماتت به أرملة: كالمثل يصرب لمن تمس به عن الحق أغرضه، المطلة.
والرملة: الصيد يرمى وأصل المثل أن لرحل يقصد قصداً فمعرض له الصدف يتبعه فيجب
به عن قصده الأصلي. والقصبة: الحسنة. وقوله: والدس بعد ضائع لنا: إذا كان كل
فعل وشرف للمعرب فهم مسدؤه. وقوله: وأنى يكون ذلك كذلك، أي: وكيف يكون
أكلنا. والمكذب: بوجهين. وأسدانه: حمرة من عدائهم. وأسد: الأحلاف: هو أسد
ابن عبد العزى، والأحلاف: هم عبد مناف ورهبة وأسد، وتم، والحرث من فهر، وسوا
الأحلاف، لتحلهم علي محاربة نبي قصي في أمر الله بهم. وصبية الأرقب: هم
صبية عقة من أبي معيط حيث قل له رسول الله صلى الله عليه وآله: لك ولهم لنا، وخير
ساء بعالمين فاطمة عليها السلام. وحمله الحطب: أم جميل ست حرب عمة معاوية،
كانت تحمل حزم الشوث فتشترها في ضرر سبي صلى الله عليه وآله وقوله: وجاهليتكم
لا تدفع شرفنا وفصصا فيها. وقوله: نجمع ما ما مدعنا أي: من هذا الأمر، وهو احتجاج
بأكتاب العزيز على أوليته من غيره، وأمر بحلله ووجه الاحتجاج بالآية الأولى، أنه من
أخص أولي الأرحام برسول الله^١ وكل من كان كذلك فهو أولى به، وبإتيام مقامه.

والثانية أنه كان أقرب الخلق إلى اتباع الرسول عليه السلام، وأول من آمن به
وصنقه: وأفضل من أحدهم بالحكمة وكل من كان كذلك فهو أولى بمقدمه ومنصه.
والفتح: المور وطرير. وحنة قريش عني الانصار قومه صلى الله عليه وآله: الأئمة من
قريش. ولفح أي: بالرسول عليه السلام، وتقدير الحجة أن عليه قريش للانصار أن
كان بالرسول عليه السلام وقربهم منه، فمن أوى بذلك لكوننا أقرب منه إليه، وإن كان
بغير ذلك فدعوى الانصار في الإمامة قائم إذ لم يكن في الخبر ما يدل على بطلانها. و
قوله: وتذك شكاة ظاهرك عارها: مثل يصرب لمن ينكر أمراً لا يبرمه إنكاره، والسين
لأبي ذؤيب^٢ وأوله: وغيرها الواشون أنني أحتها.

١ - لعنير ٢٢٠/٣ أمير المؤمنين عليه السلام. و من آمن و صلى.

٢ - أبو ذؤيب الهذلي ... شعره جعفر وحج مع عبيدة بن أبي سرح لفتح الرقة. على عهد عبد من عبد و

و ظاهر: زائس. و المخشوش: الذى جعل فى أنفه خشش وهى خشبة تدخل فى أنف البعير يقيدها بها. والمضاضة: الذلّة والمنفضة. وكون ما ذكره معاوية من ذلك فصيحة له باعتبار أنّه لم يفرّق بين ما يمدح به ويذم؛ ولأنّه على تقدير ان يكون بيعته للائمة قبله كرها، وهو افضل الناس ومن فضلائهم لا ينعقد الاحماع بدونه فتكون خلافتهم مدخولة فيكون ذلك طعناً فيهم، وهى ولاية من قبلهم وهو فضيحة. وقوله: الى غيرك قصدها اي: الى الذين ظلموا. وسنح: عرض وخطر. واعدى عليه اشد عدوانا. و مقاتنه وجوه قتله ومعائبه التى قتل بها.

وقد كن عليه السلام عرض بصرته له عليه، فقال: لا اريد نصرتك ولكن اقعد عنى لتهمة اياه بالمشاركة فى أمره، وقد كان قد استصرخ بمعاوية فما زال يعده ويتأخر عنه لى ان قتل. وقوله: قرب ملوم لاذنب له مثل، لا كتم بن صيفى^١ يضرب لمن ظهر لباس منه امرأ كزوه عليه، وهم لا يعرفون حخته و عذره فيه. وكذلك قوله: وقد يستعيد لظنة المتصّح: يضرب مثلاً لمن يُبالغ في النصيحة حتى يُتهم أنّه غاش فضربه لِنَفْسِهِ في نصيحته لعثمان وصدرا البيت:

وكم سُقْتُ فى آثاركم من نصيحة
ولظنة التهمة. وقوله: ضحكت بعد استعبار كناية عن أبلاغ العجب اذ كان الصحت بعدالكء انما يكون من عجب بالغ. وألفيت: وحدث. وللكول: التأخر جئاً. وقوله: فليث قليلاً يُلحق الهيجا حمل: مثل يضرب لنوعيد بالحرب قاله حمل بن بدر^٢ فى بعض وقائعه. والأرقال: ضرب من السير السريع. ولجحفل: لجيش العظيم. والساطع: المرتفع. والقتم: الفسار. واستعار لفظ السراييل، وهى: القمصان إما للدروع او لعدة الحرب الحاربة محرى الأكفان. وقد سبق ذكر احيه وحاله وجده، وبالله التوفيق.

توفى في مصر.

١ - اكتم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن حروة بن اسيد بن عمرو بن تميم التميمي... الحكيم المشهور عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة. وعاش ابو صيفى مائتين وسبعين سنة الاصابة

١١٠١ ترجمة ٨٥ مجمع لامثال ١/٢٩٩.

٢ - لمعارف/ ٨٣، ٦٠٧ ط ٢.

٢٩- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَسَارِ حَبْلِكُمْ وَشَفَقَكُمْ مَا لَمْ تَعْمُوا عَنْهُ، فَعَمَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ حَظَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرِيدَةُ، وَسَفَهُ الْأَرَءَاءِ الْجَائِزَةِ إِلَى مُتَابَعَتِي وَخِلَافِي، فَهَذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَدِي، وَرَخَّضْتُ رُكَابِي، وَلَيْتَنِي الْجَائِئُونَ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَا وَقَعُوا بِكُمْ وَقَعَةً لَا يَتَكُونُ يَوْمَ الْحَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَنَفَقَةٍ لَا عِيٍّ، مَعَ أَنِّي غَارِقٌ لِيَذَى انْطِلَاعَةٍ مِنْكُمْ قُصَّةً، وَلِيَذَى النَّصِيحَةِ حَقًّا، غَيْرُ مُتَجَاوِرٍ مِنْهَا إِلَى بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثٍ إِلَيَّ وَفِيَّ.

اقول: كتبت بانتشار حبلهم عن تمردهم عنه، وكنتهم لبيعته. ونفخوا عنه: لم يفظوا له، يقال: غيبت عن الشيء وغيبته ذهنته ولم يظن له. والمردية: المهكمة. والمناذبة: المخالفة. وكتبت بتقريب حده ورحيل ركابه عن استعداده للكره عنهم. وشبهه وقعة الجمل بالسببة الى اوقعه لئلا يوقعهم بها باسعة في الحفارة. وبالله التوفيق.

٣٠- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَى مُعَاوِيَةَ

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَأَرْحُحْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعَدُّ بِحَقِّهَا إِلَيْهِ، فَإِنَّ لِبَطَايَةِ أَغْلَانَا وَضِيحَةً، وَسُلَالًا مَبْرُورَةً، وَمَنْحَجَّةً نَهَجَةً، وَعَايَةً مُطْلَقَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْبَاسُ، وَيُحَافِظُهَا الْأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَدَّ عَنِ الْحَقِّ وَخَبِطَ فِي النَّيْبِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحْلَى بِهِ نِعْمَتَهُ، فَتَفَسَّدَ نَفْسُكَ، فَقَدْ بَيَّسَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَمَيْتُ شَهْتَ بَكَ أُمُورَكَ فَقَدْ أَجْرَيْتُ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّوْهُ كُفْرٍ، وَإِنْ نَفَسْتَ قَدْ أَوْلَجْتُكَ شَرًّا، وَأَفْجَعْتُكَ غِيًّا، وَأَوْرَثْتُكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْرَثْتُكَ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

اقول: ما لديه هو: أموال المسلمين وبلادهم، وما لا تعذر بجهالة هو: وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أئمة الحق من بعده، والمحبة: الطريق الواضح. ومطبة بتشديد الطاء وفتح اللام: مطبوبة جدًا، واعلام: طاعة الله والكتاب والسنة وأئمة الحق، وهى: السبل النيرة والطريق المضيئة، وغايتها المطلوبة الحصول على السعادة الباقية الأخروية. والاكياس: العقلاء، والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو: الدنى من الرجل، ونكس: عدل، والنيه: الضلال. وسبيله: سبيل الطاعة للمأمور بسوكها. و قوله: وحيث، اى قوله: ومحبة كفر فى حيث معنى الشرط وجوابه، فقدوا المراد: ائى موضع ومقام، وصلت تلك امورك واعمالك اليه فقد وصلت فيه الى غاية خسر، ومحنة كفر ائى غاية مستلزمة للخسر فى الآخرة، يقال: اجرى الى غاية كذا، اذا قصدها وسعى اليها. وأولجته نفسه شراً، اى: أدخلته نفسه الاقارة بالسوء فى شر الدنيا والآخرة، وهو محالة طاعة الله ورسوله وأمام الحق. وروى أولجثت واهجمثت: ادخلتك. والغى: الجهل، و اراد بالمهالك: الشبهات المردية، و اوعرت: صعبت ومبدأ جميع ذلك هو انفس الاقارة بالسوء، وبالله التوفيق.

٣١- وَمَنْ وَصِيَّةٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن بن على عليهما السلام، كتبها إليه بعضا من مصرفا من صفين

مِنْ الْوَالِدِ الْقَانِ، الْمُؤَيَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ، الْمُتَسَلِّمِ لِلذَّهْرِ، الدَّائِمِ لِلدُّنْيَا، السَّائِكِ مَسَاكِينَ الْعَوْنِ، وَظَّالِمِ عَشْقَا غَدَا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّائِلِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَمَّكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِيئَةِ الْأَبْيَامِ، وَرَمِيَةِ الْمَصَائِبِ، وَعَشْبِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْفُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَتَايَا، وَأَيِّيرِ الْعَوْنِ، وَخَلِيفِ الْهُمُومِ، وَفَرِينِ الْأَحْزَابِ، وَنُصْبِ الْأَقْدَبِ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ فِيمَا تَسَيَّئْتُ مِنْ إِذْهَابِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوعِ الذَّهْرِ عَنِّي، وَإِقْبَابِ الْآخِرَةِ عَنِّي، مَا يَرْعُنِي عَنْ ذِكْرٍ مِنْ سِوَايَ، وَلِإِهْتِمَامِي بِمَا وَرَأَيْتُ عَنِّي حَيْثُ تَمَرَّدَتْ بِي دُونَ

هُمُومِ النَّاسِ - هُمْ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَائِي، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَفْرِي،
فَأَقْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ لُوبٌ، وَصِدْقِي لَا يَشُوهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بِنَفْسِي، بَلْ
وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَانَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَنَّكَ أَتَانِي فَمَتَانِي
مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِيُنِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، مَكَثْتُ إِنَّكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَطَهَرٌ بِهِ إِنْ أَنَا تَقَبُّتُ لَكَ أَوْفَيْتُ.
فَنَاسَى أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيْ بُسْتِي وَلَزُومِ أَفْرِي، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ
بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْتِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَآمِنُهُ بِالزُّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرُهُ بِالْحُكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ
بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْمَتَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَتَايِغِ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الذَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ
الْأَيَّامِ وَالْأَيَّامِ، وَأَغْرِضْ عَلَيْهِ أَحْبَابَ الْمَاضِيْنَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَتْ قَلْبَكَ مِنْ
الْأَوَّلِينَ، وَبِزَفَى دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانْطَرِيقِمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيُّنْ حَلُّو وَتَزَلُّوا،
فَبِأَنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنْ الْأَحْيَةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْعُرْتَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَبِيلٍ قَدْ صِرْتَ
كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْبِغْ مَشْوَاكَ، وَلَا تَبِغْ أَجْرَكَ بِدَسِيكَ، وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْجَهْتَابَ
فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِيفَ صَلَاتُهُ؛ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ خَيْرِ الضَّلَالِ خَيْرٌ
مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأَمْرٌ بِالْمُؤَرَّوبِ كَحُرٍّ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُتَكَرَّبِينَ بِدِكَ وَبِلِسَانِكَ،
وَبَابِنِ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِذْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ، وَ
خُضْ الْعَمْرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّذْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ،
وَنِعَمَ الْحُلُقِ التَّصَبُّرُ، وَالْجَبِيءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تَلْجُهَا إِلَى كَهْفٍ
حَرِيرِيٍّ، وَمَنَاجِ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْمَغْطَاءَ وَالْجَرْمَانَ، وَ
أَكْثَرَ الْأَسْتِخَارَةِ وَتَقَهُمْ وَصَبْرِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحًا، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ
لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْتَفَعُ، وَلَا يَنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيُّ بَيْتِي؛ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِي أَرْزَدُ وَلَهَاءُ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ،
وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَجَبَّلَ بِي أَجَلِي ذُوْنُ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَأَنْ
أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا تَقْصُصُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْقِيَنِي إِلَيْكَ بَغْضَ غَلَبَاتِ الْهَوَى، أَوْ
فِتْنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونُ كَالصَّغْبِ الثُّمُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ: مَا الْفَيْ فِيهَا
مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ، فَهَذَا دُرُّكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَفْشُو قَبْلُكَ وَيَشْتَعَلَ لُبُّكَ؛ لِتَسْتَقْبَلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ

من الأمر ما قد حَمَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُنْيَتُهُ وَتَجَرِبَتُهُ، فَتَكُونُ قَدْ كُفِّيتْ مَوَازِينُ الظَّلَامِ، وَ
عُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ الشَّجَرِيَّةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَأَسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَطْلَمْتَ
عَلَيْتَا مِنْهُ.

أَيُّ بُحَى؛ إِنِّي - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرَتْ عُمَرَمَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ،
وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَبَسُرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُذْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَانِي بِمَا أَنْتَهَى
إِلَيْ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ
ضَرَرِهِ، فَاسْتَحْلَفْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَجِيئَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيئَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ،
وَرَأَيْتُ - حَثُّ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنَى الْوَالِدَ الشَّيْفَقَ، وَاجْتَمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَذْبَكَ - أَنْ
يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُبْتَلِ الْعُمَرِ، وَمُقْتَبِلُ الذَّهْرِ دُونِيَّةٍ سَيِّمَةً وَنَفْسٍ صَافِيَةً، وَأَنْ أَهْتَدِيكَ
بِتَغْلِيصِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَعَاوِزُ ذَلِكَ
بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَسِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَزَائِهِمْ
مِثْلَ الَّذِي أَلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِخْرَاجُ دِينٍ عَنِّي مَا كَرِهْتُ مِنْ تَلْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرًا لَا أَمُرُّ عَلَيْكَ بِهِ إِلَهَكُمْ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوقِّكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ
يَهْدِيَكَ لِقُضْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَيْهَاتَ

وَأَعْلَمُ، يَا بُحَى، أَنْ أَحَبُّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي، تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْبَاصُ عَلَى
مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى غَيْبِهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آدَامِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ؛
فَإِنْهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُعَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ
ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَزَمُوا وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا لَمْ يُكَلِّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ ذَوْنُ
أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَرِمُوا فَتَسْكُنْ ظَلْمَكَ ذَلِكَ بِتَقْهِمٍ وَتَعْلَمُ، لَا يَتَوَرَّطُ الشُّبُهَاتِ، وَاعْلَوْ
الْخُصُومَاتِ وَأَبْدَأْ - قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ - بِالِاسْتِغَاثَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَ
تَرْكِ كُلِّ شَائِيَةٍ أَوْ لَحْظِكَ فِي شَهْوَةٍ، أَوْ اسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ؛ فَإِذَا انْقَلَبْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ
فَحَشَعُ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا؛ فَانْظُرْ فِيمَا قَسَرْتُ لَكَ؛ وَ
إِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاحِ نَفْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَحْطِ
الْعَشَوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظُّلُمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ تَحْبِطُ أَوْ تَحْطُ! وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ
أَمَلٌ.

فَقَهَّمْ، يَا بُنَيَّ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَا لَيْتَ الْحَيَاةَ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُخَيِّمُ، وَأَنَّ الْمُفْنِنَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُتَبَلِّغَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِيَسْتَعِيرَ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِتِّلَاءِ وَالْخَرَافَةِ فِي السَّعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِنَّا لِنَعْلَمُ. فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهْلِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُيِّفْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَقْصُرُ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَصِمْ بِأَيْدِي حَقِّكَ وَرِزْقِكَ وَسَوَادِكَ، وَلِيَكُنْ لَكَ تَعَبُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شُغْفُكَ.

وَأَعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُشْبِهِ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرُّسُلُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْضَ بِهِ رَإدًا، وَإِلَى السَّجَاةِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ أَجْتَهَدْتُ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَأَعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آتَارَ مُلْكِيهِ وَسُلْطَانِيهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَانِيهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ! كَمَا وَصَفَ نَفْسُهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أُنْدَا، وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَتْلِ الْأَشْيَاءِ بِلا أُولِيَّةٍ، وَآخِرُ بَقَا الْأَشْيَاءِ بِلا نَهَايَةٍ. عَظُمَ عَنِ أَنْ تَتَّبِعَ رُؤْيُيَّيْهُ بِحَاطَةِ قَلْبٍ أَفْكَسٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَتَّبِعِي لِمُلْكِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صَغَرِ حَظَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدَرِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَيَّ رَبِّي، فِي طَلَبِ طَاعَتِي، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِي، وَالشَّقَقَةِ مِنْ مُخْطِئِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ.

أقول: أطلق لفظ الفاني عليه مجازًا إطلاقًا لاسم الغاية على ذي الغاية، واستعار له لفظ الرهينة باعتبار أن الإنسان مربوط الوجود بالأيام كالرهن لما عليه. والرمية: الغرض والهدف. ولفظ التاجر: باعتبار بذله لنفسه في تحصيل الدنيا وإضافه إلى الغرور: إضافة المسيب إلى السبب، إذ الغفلة هي مبدأ ذلك. ولفظ الغريم: باعتبار طلب الموت له كالمتقاضى. والنصب: المنسوب. واستعار لفظ الجموح لدهر: باعتبار اختلاف تصرفاته، وعدم جريانه على قانون يحفظ كالجموح من الخيل. ويزعني: يمنعني. و محص أمره: خلاصه، أي: انكشف له أنه راحل إلى الآخرة، وأنه لا بة من لزوم الأمر الذي ينبغي له. ووجدتك بعضي، أي: بمنزلة بعضي كقوله:

وَأَمَّا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ^١

وكلّي اي: قائما مقام كلّي. وعبرة عني كان هو خليفته، والقائم مقامه في علمه وفضائله، وأكد قربه منه، وتنزيله منزلة نفسه بذكر القائتين. وكذلك استعار لفظ الحل: لما يتمسك به من دين الله الموصل اليه، وقلبه الذي يحيه نفسه العاقلة. وحياتها بالعلم والحكمة، والذي يميته هي نفسه الامارة بالسوء. وامانتها: كسرهما عن ميلها المخالفة لآراء العقل بترك الدنيا والاعراض عنها، وتطويعها بذلك. ويحتمل أن يريد به النفس العاقلة ايضا، وامانتها: قطعها عن متابعة هواها وتقويته باليقين اي: من ضعف الجهل، للسهو الى افق عليّين، وتقديره بالعناء: حمله على الاقرار به وذلك بأدامة ذكره وكثرة اخطاره بالبال. واراد بالإمسك عن طريق يخاف ضلّاته التوقف عند الشبهات. والغمرات: الشدائد. والاستخارة: الطلب الى الله ان يختار له فيما يأتي. و يذره صفحا اي: معرضا. والعلم الذي لا يحق تعلمه اي: لا ينبغي، كالعلوم التي لا تُحْدَى نفعاً في الآخرة كالسحر والتكهن والحوامل والوهن: الضعف من الكبر وكان عليه السلام جاوز الستين، وخصالا: افعولا به. وبأدريتها: سابقتها وسارعتها. وأفضى: أوصل. وضعف الرأي في الكبر لضعف القوى النفسانية، والارواح الحاملة لها وعجزها عن التصرف في طلب الآراء الصالحة، وسبق غليات الهوى، لأن الصبي اذا لم يؤخذ بالآداب في حديثه ولم تُرَضَّ قواه بمطوعة عقله كان يصدد أن تميل به القوى الحيوانية الى مشتبهاته، وتنجذب في قياد هواه وتصرفه عن الوجهة الحقيقية فيكون حينئذ كالصعب النفور من البهائم في عسر تصرفه على حسب المنفعة.

وقوله: وأناك من ذلك، اي: من العلم التجريبي ما كنا نأتيه ونطلبه. وعدت اي: صرت. ونخيلة: خلاسته ومختاره. واجمعت: صممت عزمي. وقوله: ثم اشفقت، عطف على رأيت اي: كنت رأيت أن أقصر بك على ذلك، ولا اتجاوزك الى غيره من العلوم العقلية، ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه، من احوالهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم فكان أحكام ذلك اي ما اختلف الناس فيه، من المسائل العقلية الالهية التي تكثر التباس الحق فيها بالباطل، وتكتنفها الشبهات المعلقة التي هي منشأ

فساد العقائد، والهلاك بها في الآخرة، واحكم ذلك سبحانه وجه الرفض فيه. واولحتك ادخلك و اراد تحفظ العشواء فحذف المصاف. ونهيه بقوله: واعلم، الى قوله: المعد، على جملة من صفات الله تعالى وافعاله التي يتوهم تصدها، والتناهي استادها الى مبدء واحد، اما الصفات فأشار الى أنها ليست بمستصادة، وإب مدعها واحد، وقد اشرنا في المحطبة السابقة الى كيفية وصفه تعالى بالاعتبارات المتعددة.

واما الأفعال فهو الله تعالى، لما خلق الدنيا لم يكن خلفها واستقرار وجودها الأعلى ما خلقها عليه من سرهم يفتد عمه، وبثلاء، ثم لزوم الحزاء في المعد لعوس المبتلين، ولتعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في العماء، والانتلاء وكذلك خلقها لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه إلا هو، اذ ثبت في اصول الحكمة ن المقصود من العناية الألهي بالذات إنما هو الخير. وما الشرور الواقعة في الوجود مما العرض من حيث أنه لا يمكن نزع الخير وتحريده عما بعد شراً، مثلاً كون البار باراً مستفعا بها إنما يكون بكونها محرقة، وهو باعتبار احراق بيت الدسب مثلاً شر، وكون الماء مستفعا به إنما هو من حيث هو سبيل من شأنه ان يعرف وهو باعتبار اغرقه شر، ولما كان اخير اغرب في الوجود وكانت الشرور اموراً لازمة لم يحز ترك الحر الكثير لأجلها، لان تركه لوجود شر قليل يسافي الحكمة وذلك معنى قوله: والدنيا لم تكن تستقر إلا على ما جعلها الله عليه مما عده، اي لم يكن يمكن خلقها إلا على ما فيها من خير مقصود بالذات، وشر لازم له. ولزوم الحزاء على السسية، وعقاب السفوس في المعد عليها من الشرور اللازمة مما حصلت عليه من الهيئات البديية، والمسكات الردية في الدنيا، وشققتك: خوفك، و استعمار وصف الرند للنبي صلى الله عليه وآله، ملاحظته: يشتهيه في استعمال اخبار السماء بالرائد في استعماله بالكلاء والماء، ولم ألك نصيحة اي: لم أقصر في نصيحتك، ونصيحة تمييز.

وقوله: واعلم يا بني، الى قوله: عن قبح: اشارة الى المحبة على وحدانية الصانع تعالى، وعلى جملة من صفاته اما المحبة على وحدانيته فهي مقدم الشرطية فيه. قوله: لو كان لربك شريك، وتالها قوله: لأنتك رسبه الى قوله: و صفاته، وينتج بامتناء

١- في ش. لفظ الرد.

نقائص اقسام التالى نقيض المقدم، بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الصالح لشركته، انها، مستجمعة لجميع شرائط الالهية والا لم يصلح لها، لكن من لوازم الالهية امور:

احدها، الحكمة هي وجوب بعثة الرسل الى الخلق لما علمت من وجوب البعثة.

الثانية، ان تكون آثاره وسماته وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة.

الثالثة، ان تعرف افعاله وصفات ذاته، لكن هذه اللوازم باطية.

اما الاول، فلانه لم ياتنا رسول ذو معجزة يدلل على الثاني ويخبرنا عنه. واما الثاني، والثالث، فلان آثار الملك، والسلطان، ومحرد الأفعال انما يدل على فاعل حكيم قادر، اما على تعدد الفاعلين فلا، وكذلك صفات الالهية المكتسبة لنا من الأفعال، كالعلم والقدرة والارادة وغيرها، انما تدل على صانع موصوف بها، فاما التعدد فلا، فدون القول بان له شريكاً قول باطل. واما صفات فطاهرة، و اشار بقوله عظم الى قوله: او بصرة الى نزهة صفات الربوبية عن احاطة الضول والايصار بها. والشفقة: الخوف، وباقي الفصل واضح، وبالله التوفيق.

يَا بَنِيَّ، اِلَيَّ قَدْ اَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَائْتِمَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدُّ لِلْهَلْهِلِ فِيهَا، وَصَرَّيْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذَرُ عَلَيْهَا! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا بَنَاتِهِمْ مَشْرِكٌ جَدِيدٌ فَأَمَّاوُا مَثَرًا خَصِيصًا، وَجَنَابًا مَرِيضًا، فَأَخْتَمَلُوا وَعَشَاءَ الظَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُسُوفَةَ السُّفْرِ، وَجُشُوفَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةً دَارِهِمْ وَمَثَرًا فَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَقَرَّمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّهَتْ مِنْ مَثَرِيهِمْ، وَأَذَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ أَغْتَرَبَهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا يَسْتَرُونَ خَصِيصَ قَتَبٍ يَهُمُّ إِلَى مَثَرٍ جَدِيدٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْطَقَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَفَارِقَةٍ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ!

يَا بُنَيَّ، أَخْلَقْتُ نَفْسَكَ مِيزَانًا يَسْتَأْثِرُكَ وَيَبْرُكُ عَيْرُكَ، فَأَخْبِثْ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَآكُرْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَطْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُطْلَمَ، وَأَخْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ

بُخْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَفْخِجَ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَفْخِجُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا نَعْمُ ، وَإِنْ قُلْ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ لَصَوَابٍ ، وَأَمَّةُ الْأَلْبَابِ ؛ فَاسْتَعِ فِي كَدِّجِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَارِبًا لِعَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِبُغْضِكَ فَكُنْ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ لِرِئْسِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَكَ ظَرِيفًا ذَمَّافَةً بَعِيدَةً ، وَتَشْفِؤُ شَدِيدَةً . وَأَمَّا لَاغِي لَكَ فَيُؤْخِرُ عَنْ حُسْنِ الْإِتِّبَادِ ، وَقَدْ زُيِّنَ بِلَاغَتُكَ مِنَ الرَّادِّ مَعَ جَفَةِ الطَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ قَوْقَ ظَافِيَتِكَ فَيَكُونُ يُقَالُ ذَلِكَ وَمَا لَا عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْعَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَيَوْمِكَ بِوَعْدٍ حَيْثُ تَخْتِاجُ إِلَيْهِ فَاعْتِصِمْ وَحَمْلُهُ إِثْمٌ ، وَأَكْثَرُ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَقَلَّبْتَ فَلَا تَجِدُهُ ، وَاعْتِصِمْ مِنْ اسْتَفْزُخِكَ فِي حَالِهِ عِنْدَكَ لِيَجْعَلَ قَصَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا ، الْمُجُفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ وَالْبَطِيءُ عَنِهَا أَفْخَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنْ تَهَيِّظَكَ بِهِ لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةِ أَوْغَى نَارٍ ، فَارْتَدَّ بِنَفْسِكَ قَبْلَ تَرُؤُلِكَ ، وَوُطِيَ الْمَسْرِعُ قَتْلَ الْخُؤُولِ ، فَيَسَّ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْنَثٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي يَتَذَرُ خَرَائِصَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أُذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكَمَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِكَ ، وَتَسْتَزِجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُضُهُ عِنْدَكَ ، وَلَمْ يُلْحِصْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَمْنَعْكَ مِنْ أَنْسَاءِ مِنَ النَّوْءِ ، وَلَمْ يُعْبِرْكَ بِالْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوَّلَى ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَوْلِ الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يَدُقْشَكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤْسِكْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، نَلَّ جَعَلَ تَرُوءَكَ عَنِ الْمَذْئِبِ حَسَنَةً ، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ ، وَبَابَ الْأَسْتِنَابِ ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَجَعَ يَدَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ، فَأَقْصَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ ، وَأَبْشَرْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَشَكَّوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوءَكَ ، وَاسْتَفْتَيْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَرَائِصِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ ؛ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَعَاتِيحَ خَرَائِصِهَا بِمَا أُذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَيْتَهُ بِالْأَعْيَانِ أَنْوَاعِهَا وَمَعْنَاهَا ، وَاسْتَنْظَرْتَ شَأْبَابَ

رَحْمَتِهِ، فَلَا يُسْطَلِّكَ إِطْعَاءُ إِحْيَائِيهِ، فَإِنَّ الْعُطْبَةَ عَلَى قَدْرِ النَّبَةِ، وَرُبَّمَا أَحْرَثَ عَنْكَ الْإِجَابَةُ
 لِيَكُونَ ذَلِكَ أَكْثَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْرَكَ لِعَقْدِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ،
 وَأَوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ غَاحِلًا أَوْ جَبَلًا، أَوْ صَرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَدَرَبَ أَمْرٌ قَدْ صَلَبَتْهُ فِيهِ
 هَلَاكَ دِيْنِكَ تَوَاضَعْتَ. فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَلُهُ، وَيَبْقَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ
 لَا يَبْقَى لَكَ، وَلَا يَبْقَى لَهُ.

قول: تحذرو: تقتدى، وجذبه عن الدنيا الى الآخرة بتمثيلين: فلأول ذكر حال من
 خيّر الدنيا وروالها، وخيّر الآخرة وبهاؤها، ومثلهم بحال قوم سفرأى: مسافرين، فارقوا
 مسرلا جديدا الى منزل خصيب، ووجه التمثيل ان النفوس البشرية لما كانت الحكمة فى
 هبوطها الى هذا العالم، ومقارنتها لهذه الهياكل المظلمة فى دار الغربة ومحل الوحشة
 من عالمها، هو ان تحصل بواسطتها الكمالات العقلية ثم ترجع بعد الكمال طاهرة عن
 عيائها وهيئاتها الرديئة كانت كل نفس لرميت الصراط المستقيم، وحطمت العهد
 المأخوذ عليها فى المدة المضروبة لها، سطرة بعين الاعتبار ان الدنيا كالمزحل المجذب
 لحبوه عن المطاعم الحقيقية، فهو لذلك غير صالح للاستيطان، وان الآخرة كالمزحل
 المخصب: المربع للقاء دى الكلاء ولقاء من وصل اليه مستقيما على طريق الحق فاز
 بالمقاصد السنية ولذات الباقية فكانت فى الدنيا فى طريق السفر، وقطع منازل
 سبيل الله والاستعداد لموصول الى بهجة حصرته الشريفة، محتملة وعناء السفرأى:
 مشقته. وجشوبة المطعم أى: غبطة قصدا الى سعة الدار لا تجد لذلك الماء ولا احب
 اليها منه لكونه وسيلة الى مطلوبها الأعظم.

وأما التمثيل الثانى، فذكر حال اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الاقارة بالسوء
 اليها فغفلوا عما ورائها ونسوا عهد رتهم، ومثلهم بحال قوم كانوا فى منزل خصيب قنبا
 بهم الى منزل جديد، والمزحل الخصيب هنا الدنيا لانها محل سعادة اهلها ولذاتهم،
 والمزحل الحديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا لدرك السعادة فيها ووجه التمثيل
 هو فى ذلك من الشر العظيم، والحكم اللازم له هو ما ذكره من انه ليس شئ اكراه اليهم،
 الى قوله اليه: ومضادة الاعجاب للصوصاب مضادة الرذيلة لفصيلة. وكونه آفة الألباب

باعتبار أنه من الأمراض النفسية المهلكة في الآخرة كما سبق بيانه. ولكدح: الكسب ،
والسعى فيه اى: عيسا يسهى منه وهو كسب الفضائل. وخزنة لغيره: كدية عن رذيلة
البخل: واستعار لفظ الطريق: لما يستقبه الانسان من احوال الدنيا ويعبر عنها الى
الآخرة، وحوالها مسافر اى الله. وشارطولها وشدتها الى عسر ونجاة والسلامة من
خطرها، اذ كان ذلك انتم يكون يلزوم القصد فيها والنيات على صراط الله المستقيم،
فبالحرى ان يكون ذ مسافة بعيدة ومشقة شديدة، وأنه لاغناء فيه عن حس الارتياح اى
طلب ما يقوم مقام الكلا والماء من الكمالات العنسية الموصلة الى الغاية الحقيقية.
والراد: هو لتقوى. وخعة الظهر اى: من الرذائل والآثام. والووال: الهلاك. و اشار
بتجميل الفقراء الراد الى ما يحصل له من ثواب الصدقة عنهم، والموساة لهم وكذلك
ثواب القرض. واستعار لفظ العقدة الكؤود اى: شاقة المصعد للطريق الى الآخرة، باعتبار
ما فيها من الصعود والارتفاع فى درجات الكمال بافضائل، عن مهات الرذائل، ووصفها
بالمشقة باعتبار ما فيها من العسر وكثرة موانع. والمخف اى: من ثقل الآثام. ولمبطى
اى: عن اقتصاص الفضائل. وارته اى. الطلب. واذنه تعالى فى الدعاء وتكفنه بالاجابة
فى قوه تعالى: (ادعوني استجب لكم) .

والانابة: الرجوع. ونزع عن سذب: حرج منه. وافصت: وصلت. و لهت: الشر
والكشف. وذات نفسك: حاجتك. والشايب جمع شؤوب وهى: ادفعة من المطر. و
يقطط: يؤسك. والفصل من الطف التأديب ولاستدراج الى طاعة الله ومحبه وهو
واضح، وبالله التوفيق.

وَعَسَمَ أَنْتَ إِنَّمَا حُيِّمْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلْذُّنِّ، وَلِتَقْنَاءِ لَا لِتَبْعَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ
وَأَنْتَ هِىَ مِثْلُ قُنْعَةٍ، وَذَارِبُغَةٍ، وَظَرِيفٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْتَ ظَرِيفُ الْمَوْتِ الِّى لَا يَنْجُوا
مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَمُوتُونَ طَالِبُهُ، وَلَا لَدَّ أَنْهُ مُدْرِكُهُ فُكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى
حَالٍ سَبِيٍّ قَدْ كُنْتَ تَحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوَنَةِ فَبَحُولَ تَبْتَ وَيَسَّ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ
قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بَنِيَّ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرُ مَا نَهَجْتُمْ عَلَيْهِ، وَنُقِصَى تَعْدِ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ وَقَدْ أَحْدَثَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْزَكَ، وَلَا يَأْتِيَنَّكَ بَغْتَةً فَيَنْهَرَكَ ۚ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَلِّمَهُمْ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ نَبَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسُهَا؛ وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا؛ فَأَسْمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِيَاغٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ غَرِيزُهَا ذَلِيلُهَا، وَيَقْفَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، تَسْمُ مَعْقَنَةٌ، وَآخَرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُغُولُهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولُهَا، شُرُوعٌ عَدَوِيَّةٌ، بِوَادٍ وَغَثٍّ؛ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يَحْمِيهَا، وَلَا مُبِيصٌ يُبَيِّنُهَا؛ سَكَنَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَحْدَثَ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرَّقُوا فِي نَيْمَتِهَا، وَأَتَّخَذُوا رِبَا قَمِيْعَتِ بِهِمْ وَلَكِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا ۚ رُوِنْدَا يُسْفِرُ الظَّلَامَ كَانَ قَدْ وَرَدَتْ الْأَطْلَعَانُ! يُوْشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ. وَاعْلَمْ يَا نَسِيٌّ أَنَّ مِنْ كَمَانَتِ مَطِيئَتِهِ السَّبَلِ وَالنَّهَارِ قَالَهُ يُسَارِيهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُتَبِعًا وَإِدْعَا.

وَاعْلَمْ يَقِيْنًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَحْلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُسْتَنْسَبِ؛ فَدُهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ ظَالِمٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْبُولٍ بِمَخْرُومٍ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ ذِيْبَةٍ وَإِنْ سَاقَدَتْ إِلَى الرِّغَائِنِ؛ فَادَّكْ لَنْ تَعْتَاقُضَ بِمَا تَبْدُنُ مِنْ نَفْسِكَ عِيُوضًا، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا، وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يَبْنُو إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسِرُّ لَا يَبْنُو إِلَّا بِعُسْرٍ ۚ

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوَحِّفَ بِكَ مَطَايَا الظُّلْمِ، فَتُوْرِدَكَ مَتَاهِلُ الْهَلَاكَةِ، وَإِنْ اسْتَنْطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ قَافِعٌ، قَبْلَكَ مُدْرِكٌ قِسْمِكَ، وَاحِدٌ سَهْمَتِكَ! وَنُ الْيَسِيرِ مِنَ اللَّهِ- شُبْحَانَهُ- أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَبِيرِ مِنْ حَلْفِهِ وَنُ كَدُّ كُلِّ مِثْلٍ.

وَتَلَايِكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمِيْعِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِذْرَاكِكَ مَدَقَاتِ مِنْ مَطِيْعِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ. وَمَرَاةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَلِحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْعِيسَى مَعَ الْفُحُورِ، وَالْمَرْءُ أَخْفَطُ لِيَسْرِهِ. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَصْرُهُ! مَنْ أَكْثَرَ الْأَهْوَ، وَمَنْ تَعَمَّرَ أَنْصَرًا قَدَرِ أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَابُ أَهْلِ النَّسْرِ تَبْنِ عَنْهُمْ! يَسْسُ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وَطَلْمُ الصَّعِيفِ أَمَحَشُ الطُّلْمِ. إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خَرْقًا حَمَى الْخَرْقُ رِفْقًا. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالِدَاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا بَصَحَ عَيْرُ

النَّاصِحَ وَعَشَّ الْمُتَشَخُّصَ. وَإِيَّاكَ وَأَنْتَ لَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا تَصَانِعُ النَّوْكَى، وَالْعَصْفُ جَفْتُ
التَّجَرِبَ. وَخَيْرُ مَا جَرَّتْ مَا وَعَدَتْ! بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ عُصَةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ
يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُوْبُّ، وَمِنَ الْقَسَادِ إِضَاعَةُ الرَّادِّ، وَمَقْصَدُهُ الْمَعْدُ، وَلِكُلِّ أَمْرِ عَاقِبَةٌ،
سَوْفَ يَأْتِيكَ مَقْدَرُكَ، التَّاجِرُ مُحَاطِرٌ! وَرُبَّ تَيْسِيرٍ أَمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا خَيْرَ فِى مُعِينٍ
مُهِينٍ، وَلَا فِى صَدِيقٍ طَلِيبٍ، سَاهِلِ انْذَهَرَ تَادَلَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُحَاطِرْ بَشِيٍّ رَجَاءَ أَكْثَرِ
وَيْلِكَ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ مَقْبِلَةِ السَّجَاحِ! الْخِمْلُ نَفْسٌ مِنْ أَيْحِكَ - عِشْدَ صَرْمِهِ - عَلَى
الْعَصَةِ، وَعِشْدَ صُدُودِهِ عَلَى السُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِشْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبُذَى، وَعِشْدَ تَبَعْدِهِ عَلَى
الْذُنُوبِ، وَعِشْدَ شِدَّتِهِ عَلَى السَّيْرِ وَعِشْدَ خُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ حَتَّى كَانَتْ لَهُ عِشْدٌ، وَكَانَتْ ذُو نِعْمَةٍ
عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَصْعَ ذَلِكَ فِى غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِيهِ؛ لَا تَنْجِدَنَّ عَدُوَّ
صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَأَمْحَضْ أَحَاكَ النَّصِيبَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً،
وَتَحَرَّجْ الْعِظَمَ فَإِنَّ لَمْ أَرْجِعْهُ أَخْلَى مِنْهَا عَاقِبَتُهُ وَلَا أَلَدَ مَعَتُهُ، وَلَنْ لِمَنْ غَا طَلُكَ، فَإِنَّهُ
يُوشِكُ أَنْ يَلِيَنَّكَ، وَجُدْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَخْلَى الطَّمَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةً
أَحْيَتْ فَسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَيْتَةً تَرْجِعْ إِلَيْهَا إِنْ بَدَّاهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَلَمَ بِكَ خَيْرًا
فَصَدِّقْ صَدِّقَهُ، وَلَا تُصِيبْهُ خَوْفُ أَحْيَاكَ أَتَكَلَّ عَلَى مَا تَبَيَّنَتْ وَبَيَّتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَحْ مِنْ
أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَلْهَكَ أَشْمَى الْخُلَى بَيْنَكَ، وَلَا تَرْغَبْ بِمَنْ زَهَدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ
أَحْوَاكَ عَلَى مُقَاطَعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى
الْإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَعِى فِى مُضَرَّتِهِ وَيَنْفَعُكَ، وَلَيْسَ خِرَاءُ
مَنْ سَرَكَ أَنْ تَسُوَّهُ.

وَعَنَّمْ، يَا بَنِيَّ، أَنَّ الرِّقَّ رِزْقَانِ: رِزْقُ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقُ بَظْلِكَ، فَإِنْ أَتَيْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَكَ .
مَا أَفْضَحَ الشُّصُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَلَجَبَاءَ عِشْدَ الْعِيَتِ. إِنْ لَكَ مِنْ ذُنُوبِكَ مَا أَضْلَحْتَ بِهِ
مَنْوَاكَ؛ وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا تَعْلَمُ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ
عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا
بَالَغَتْ فِى إِيْلَافِهِ؛ فَهَذَا الْعَاقِلُ يَتَعَبُّ بِالْآدَابِ، وَالنَّهَائِمِ لَا تَنْبَغُ إِلَّا بِالصَّرْبِ. إِطْرَحْ عَنْكَ
وَارِدَاتِ لَهُمْ بِعِزَائِمِ الضَّرِّ وَحُسْنِ الْبَقِيَّةِ؛ مَنْ تَرَكَ الْقَضَاءَ جَارًا وَلَصَّاجِبُ مُنَاسَبٍ،

وَالصَّادِقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْغَنَاءِ، رُبُّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبُّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَالْقَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقُّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَتْقَى لَهُ. وَأَوَّلُ سَبَبِ أَخْذِكَ بِهِ سَبَبُ بَيْتِكَ وَبَيْتِ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهَوَ عَدُوُّكَ، فَذِي كَيْدٍ الْيَأْسُ إِذَا رَأَاكَ إِذَا كُنَ الظَّمْعُ هَلَاكًا. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَطْهَرُ، وَلَا كُلُّ قُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَضِيئَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخْرَجَ الشَّرُّ فَاكْتَ إِذَا شِئْتَ تَعَلَّسْتُهُ، وَقَطِيعَةُ الْبَهَائِمِ تَعْدِيكَ صَلَةَ الْعَالَمِينَ. مَنْ آمَنَ الرِّمَانُ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْطَمَتُهُ أَهَانَهُ! لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلَّ عَنْ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِذَاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنْ الْكَلَامِ مَا كَانَ مُصْحِفًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وَإِيَادَكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعِزُّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَأَكْفَفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ بِحَبَائِكِ إِثَاهُنَّ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْجَبَابِ أَبْقَى عَنْتِهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكِ مَنْ لَا يُؤْتِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ أَسْتَظَعْتَ أَنْ لَا يَتَعَرَّفَنَّ غَيْرَكَ فَاقْفَلْ، وَلَا تَسْلُكِ الْمَرْءَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ لِمَرْءَ زِلْجَانَهُ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، وَلَا تَعُدِّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تَطْمِئِنَّا فِي أَنْ تُسْمِعَ لَغْوَهَا. وَرِيكَ وَالْتِمَازُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّفْمِ، وَالزَّيْرَةَ إِلَى الرَّيْبِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ لَا يَتَوَكَّلُوا كُلُّوا فِي خَدَمَتِكَ، وَأَكْرِمَ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الْبَدَى بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الْبَدَى إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَذُكَ الَّتِي بِهَا تَصُونُ.

سَتُودِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْفَصَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَلَدُنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أقول: اأشار بالأمر التي حلق لها الى غاياته. ومنزل قلعة: لا يصلح للاستيطان، والدنيا دار بفة: باعتبار أن الواجب في استعمالها قدر ضرورة التي يتلغ بها الى الآخرة، دون الاستكثار منها اذ كانت طريقا اليها. واستعار لفظ الطريد: باعتبار طلب الموت له كالطريدة من الصيد. ولازرت القوة. وبهره: غلبه وأتعبه. والاخلاد الى الشيء: السكون اليه. والتكاليف: التواثب. والمساوي: العيوب. والصرارة: تعود الصيد والجرأة عليه. و اأشار بقوله: فربما أهلها الى قوله: صغيرها الى اهل الدنيا: باعتبار قواهم العvisية و

اتباعها. وبقوله: نعم معقبة، الى قوله: ورآها الى اهدى: باعتبار اتباعهم لقوهم الشهوة، ثم قسم هؤلاء قسمين فاستعار لفظ المعقلة: للذين تمسكوا منهم بظواهر الشريعة وتقيّدوا بها عن الاسترسال الظاهر في الشهوات المحرمة في الدين، وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم: كالنعم التي عقبتها راعيها، واستعار لفظ المَهْمَلَة: للذين استرسلوا في اتباع شهواتهم مطلقاً وخرجوا عن طاعة امامهم. وقوله: عقولها قيل: راد عقلا فاشيع النُصمة فقلبها واواً للمناسبة بين القريتين، والمجهول والمجهل: المقذرة التي لا اعلام بها. وودعث: لا يثبت به حُجْف ولا حافز لكثرة سهولته. والمسيم: الراعى. واراد بالعمى: الجهل. ورويداى: أمهل. واستعار لفظ الظلام: لحجب الاعداد وخدمات هيأتها الحاجة لأبصار البصائر عن ادراك امور الآخرة، وهو وعيد بالموت وما بعده. وكفى بالاطعان عن المسافرين الى الله، وكأن المخففة من الثقيلة وتفيد تقريب المستقبل من الامور يوشك من اسرع ان يحق: ترغيب في اسراع السير في مراتب القرية الى الله تعالى، بذكر الغاية وهى اللوح بمراتب السابقين ويحمل ان يكون من تمام الوعيد بالموت وقربه، اذ الناس في حدا لاسراع اليه على مطيبي الليل والنهار، ومن كان كذلك قربت لحوقه بمس سبقه. والوداع، ذوالدعوة ولا يبلغ أمله لان الآمال لا تزاو تتجدد. ولا تعداى: لا تتجاوز وخفص: سهل على نفسك. والاجمال في الاكتساب: ان يكون على وجه جميل، وهوالوجه الذي ينبغى. والحرب: سلب المال. ونهيه عن التعبد للغير: يستلزم النهي عن سببه وهو الظم.

وقوله: فانك، الى قوله عرضا: صغرى ضمير، بين فيه علة الامر باكرام نفسه وتقدير كبيره، وكل من كان كذلك فواجب عليه ان لا يذل نفسه في الذل ويكرمها عنها. والوجيف: ضرب من السير فيه سرعة. واستعار لفظ المطايا للاطماع وصف الوجيف لها: باعتبار هجومها بالانسان على الهلاك الاخرى. واستعار لها لفظ المناهل وهى: الشرائع وموارد الشرب. وقسمة المدرك له هو: ما قسمه الله له من رزق وغيره، فى كتابه المبين، ولوحه المحفوظ. وقوله: وتلافيك اى: تداركك الى قوله الوكاء: ارشاد الى حفظ اللسان وضبطه عما لا ينبغى من القول. وقوله: وحفظ ما فى يدك الى قوله: غيرك: ارشاد الى الاقتصاد فى المال، وترك الاسراف، لما يستلزمه من الحاجة

الى الغير. والحرفة: ضيق الرزق. واهجر قال السهجر، وهو: الفحش في المنطق. وقوله: المرء احفظ لستره: اخبار في معنى الأمر. وفي قوله احفظ: تنبيه على الفرق بين حفظ الانسان لستر نفسه وبين ايداعه العير، وكذلك من تفكر ابصر. وقوله: اذ كان الرفق الى قوله: رفقا، اى: اذا كان استعمال الرفق وهو النين في بعض المواضع، كالخرق وهو العنف في كونه مفسداً أو مفوتاً للعرض كون استعمال الخرق في ذلك الموضوع كاستعمال الرفق في استلزامه المصلحة غالباً، فكان أولى من الرفق في ذلك الموضوع ونحوه قول ابى الطيب^١:

و وضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
وهو: اخبار في معنى النهى عن وضع كل مهما في موضع الآخر، وربما يفهم منه معنى آخر، وهو: أنه اذ استعمل الرفق في موضع الخرق لزم ذلك ان يستعمل الخرق في غير موضعه وهو موضع الرفق، وذلك مما لا ينبغي. وقوله: ربما كان الى قوله دواء: تنبيه على ان فعل بعض الامور قد يعتد مصلحةً وهو مفسدة، وفعل بعض بالمعكس، ونحوه قول المتنبي:

وربما صححت الأجساد بالبركة

والسوكى: الحمقى وقوله: والعقل حفظ التجارب: رسم للعقل العمل، ببعض كمالاته وصفاته. وأما خصص العلوم التجريبية: لانها أصل عظيم فيما ينبغي ان يفعل، والعقل قد يراد به قوة النفس، وقد يراد به المصدر، وهو فعل تلك القوة وهو محتمل الارادة هاهنا، والفرصة: وقت امكان العمل للأخرة. والقصة: هو ما يلحق من ألم الندم بعد فوت الفرصة. والمهين: الضعيف. والظنين: المتهم. وقوله: ساهل الدهر، الى قوله: قعوده: كمساهلته الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه، ولفظ القعود: مستعار للوقت الذى تيسر فيه الأمور، وكذلك وصف الذلة باعتبار سهولة المطالب فيه، وخصص القعود: باعتبار أنه في مطلة النفاذ براكه، والزمان في مطلة التغير.

وقوله: احمل، الى قوله غير أهله: امره ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الاهل للصنعة، على ان يقابل رذائله المعدودة بما يضادها من الفضائل. والصرم: القطيعة.

١ - ابو طيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد المتنبي الجعدي لکندي ٣٠٣ - ٣٥٤.

والجمود: صد البذل. و امحص اى: اخضع. وحسة اوقيةحة اى: فى نظر المصوح.
والمغبة: العاقبة. والمغاطة: المحاشة. وما بينك وبينه اى: من السودة. وقوله: فانه
ليس لك الى قوله: حقه، صغرى ضمير نقر به عن اضاعة حق الأخ، اى: أنك اذا اضعت
حقه لا بهد ان يمارقك، وبنفعه على تقدير كونه مطوباً حصوله على ثواب الصائرين
فى الآخرة.

والرزق المطلوب: ما كان مهبطه الحرص فى الدنيا، والرزق الطالب للانسان
هوالمقتدر له، وفيه تنسيه على الاجمال فى طلب الرزق. والحفاوة: قسوة القلب. ومثواه:
موضع اقامته من الآخرة. وعزائم نصير: ما حزمت منه. وحسن اليقين اى: بالله تعالى، و
هو ان يعلم يقيناً ان كل صدر فى الوجود فعلى وفق الحكمة الالهية، ولازم لها، وجاز
دخل فى رذيلة الجور وهو الانحراف عن فضيلة العدل، وروى بالحاء. ولفظ المناسب:
مستعار للصاحب باعتبار مفعلة وقربه كالنسيب والصدىق اى: الحائض فى صدقه. و
شريك العمى اى: فى كونهما لا يهتدى معهما الى ما ينغى من المصلحة. وضيق
المذهب: المتعدى باعتبار ان الغالب على الحق اتباع اكثر الحق، والمتعدى عنه: مأخوذ
مالأقوال الزامة والافعال الرادعة مصبق عليه بها مذهبه، وحيث سلك من الباطل. ومن
لا يبالك اى: لا يهتم بأمرك عند حاجتك اليه، واستعار له لفظ العدو باعتبار
عدم المبالاة كالعدو. وقوله: وقد يكون، الى قوله: هلاكاً أئ: اذا كان الطمع فى امر
يؤدى الى الهلاك كان اليأس منه ادراكاً للسجاة. وقوله: ليس كل عورة، الى قوله:
رشده: تنبيه على ان من الامور الممكنة، والغرض ما يفعل الطالب الصير بالامور عن وجه
طلبه، فلا يصيبه ويهتدى له الأعمى الجاهل بما ينبغي. والعورة: كالمرة وعور: العارس
اذا بدامه موضع لضرب. وقوله: ومن اعظمه اهانة: فاعطاه من حيث انه مشتمل على
خيرات الدنيا ولذاتها بالصحة والشباب والأمن ونحو ذلك، وبذلك الاعتبار يكرم
ويستعظم، واما لزوم اهانة من يستعظمه، فلاستترام اعطيه الركون اليه، والاشتغال بما
فيه من اللذات. ثم ان الزمان بعد ذلك يكر (يدور) عليه بمقتضى طبعه فيزبل ما كان
فيه من لذة وخير، ويبدله بالمره هواناً وباللذة الما. وقوله: اذا تعير السطان اى: فى تيته
وفعله تعير الزمان، وذلك ان الزمان اما يحمد او يذم بحسب ما يقع فيه من خير وشر.

وظاهر ان تغيّر السلطان من احدهما الى الآخر يستلزم وقوع ما يغير اليه فى وقت وقوعه، وبحسب ذلك يكون تغيّر الزمان ونسبته الى الخير او الشر لواقع بعد ان لم يكن، والسابق الى الفهم من التغير هو التغير من الخير الى الشر.

والافن بالسكون: النقص والضعف، وما جاوز نفسها: هو ما عدا ما يحل لها تملكه فى عرف الشريعة، واستعار لها لفظ الريحانة: باعتبار ان الغرض بها الدعة والاستمتاع، وكرامة نفسها بما يجب من كسوة ونحوها. والصحيحة: البريئة من الفساد. وغيره الرجل عسى البريئة واشعارها بتهمتها بالفساد ربما يؤدى الى فسادها، لأنها ربما تستتبع ذلك فى اول الأمر ويعظم عليها ذكره فاذا تكررت المواجهة به هان عليها، وصار فى قوة اغرائها به. والريب: الشك. واخرى: اولى ويتواكلوا اى: تكل كل منهم الأمر الى صاحبه. و اليه تصوير اى: ترجع. واكثر المقاصد فى هذه الوصية واضحة غنية عن الشرح والاستقصاء فيها مذكور فى الاصل، وبالله التوفيق.

٣٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَأَرَدَيْتُ حَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا: خَدَعْتُهُمْ بِعَيْتِكَ، وَأَلْقَيْتُهُمْ فِي مَوْجِ نَعْرِكَ، تَعَسَّهُمْ الظُّلُمَاتُ، وَتَشَلَّطُوا بِهِمْ الشُّبُهَاتُ، فَجَازَوْا عَنْ وَجْهِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ قَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَايِرِ؛ فَأَنَّهُمْ قَارَنُوكَ بِخَدِّ مَعْرِتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَارَرَتِكَ؛ ذُحِّلَتْهُمْ عَلَى لُصُغٍ، وَعَدَلَتْ بِهِمْ عَنِ الْقُصْدِ، فَاتَّقَى اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: أردت: أهكت. والحيل: الصنف. والفى: الضلال. واستمار لفظ الموح: للشبهات التى ألقاه معاوية الى الناس كشبهة قتل عثمان وشبهة التحكيم. ولفظ الظلمات امتلك الشبهة: باعتبار عدم اهتداء الخلق فيها الى تخلص الحق. وشاروا:

عدلوا. ونكصوا: رجعوا. وعولوا: اعتمدوا أحسابهم ما يفخرون به من مال واصل. وفاء: رجع، ومعرفتك اى معرفتهم: بك. والموازرة: المعاونة. واستعار لفظ الصعب من الإبل ونحوه: لما حمىهم عليه من مخالفة الحق، والبقى على الامام العادل.

٣٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة

أما بعد؛ قد عني بالمغرب، كتبت إلى يعنى أنه وحة إلى الموسم أناس من أهل الشام، العمى القلوب، الصم الأسماع، الكم الأبصار الذين يلبسون الحق بالباطل، ويطيئون المخلوق فى معصية الخالق، ويحتليون الدنيا ذرها بالدين، ويشترون عاجلها بأجل الأثرار المتقين، ولن يقوز بالخير إلا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله، فأقيم على ما فى يديك قيام الحازم الصليب، والصبح اللبيب، التابع لسلطانك المطيع لإماميه، وإليك وما يعتدريه، ولا تكن عند الشغف بطرا ولا عند البأساء قسلا

أقول: العين: الجاسوس. و اراد بالمغرب: الشام، لأنها من الحدود المغربية. والموحة للقوم: هو معاوية. و لموسم: موسم الحج. وقوله العمى، الى قوله: الأبصار إشارة: الى شدة غفلتهم عن الله تعالى، وعن امور الآخرة. والحق: هو ما يطلبونه من دم عثمان، والباطل: وجه طلبهم له. وشبهتهم فيه. و ذرها: بدل من الدنيا. والفشل: الضعف والجن. ومقاصد الكتاب واستعاراته ظاهرة.

١ - قثم بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابو عبدالله بن عباس... له ام العسل و كان يشبه رسول الله (ص). الاصابة ٢٢٦/٣. الاستيعاب ٢٧٥/٣. هامش الاصابة - وفيه مات بسمرقند.

٣٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توحده من غرله بالأشتر من مصر ثم توفى الأشتر في توحده
إلى مصر قبل وصوله إليها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي مُوجِبَةُكَ مِنْ تَشْرِيعِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ
اِسْتِظَْاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، وَلَا ارْتِدَاءً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَكُونْتُ مِمَّا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ
لَوْلَيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوْتَهُ، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلَا يَتَمَّ إِلَّا الرُّحْلُ الَّذِي كُنْتُ وَلَيْتُهُ أَمْرٌ مِصْرَ
كَانَ رَحْلاً لَكَ نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَافِعاً فَرَجَمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ آيَاتِهِ، وَلَا فَى
حِمَامَةٍ، وَتَحْرُ عِلَّةُ رَاضُونَ، أَوْلَاةُ اللَّهِ رِضْوَانُهُ، وَضَاعَفَتِ الثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحَرُ لَعْدُوكَ،
وَأَمْسَى عَنِّي نَصِيرَتُكَ، وَسَمِعْتُ لَحْرِبَ مَنْ خَارَتَكَ، (وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) وَأَكْثَرُ الْأُسْتَعَانَةِ
بِاللَّهِ يَكْفِيكَ مَا أَهَمُّكَ، وَيُعِيْنُكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

ط
٥٥

اقول: الموحدة: ما يحده الانسار. والجهاد: الاجتهاد. وأعجب: أحب. واصحر
أى: اظهروا برز. وبصيرته: عظمه وثيقته انه على الحق و انت خصمه على الباطل. والتشهير
كناية عن الاستعداد.

٣٥ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّ مِصْرَ قَدْ انْتَبَحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي تَكَرَّرَ رَجَمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَشْهَدَ، فَعَبَّدَ اللَّهُ
نَحْبَهُ وَكَدَّ نَاصِحاً، وَعَامِلًا كَدِّحاً، وَسَيِّمًا قَاطِعاً، وَرَكْبًا ذَوِيًا؛ وَقَدْ كُنْتُ حَثَّيْتُ النَّاسَ
عَلَى إِحَابِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِمِثَالِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَنَدَاءً؛ فَمِنْهُمْ الْآتِي
كَارَهَا، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَدِّهَا، وَمِنْهُمْ الْقَدْ عُدَّ خَاوِلًا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَخْلُقَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا،
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا ظَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي اسْتِشَادَةٍ، وَتَوَصَّيْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَتَيْتَةِ لِأَخْبَيْتُ أَنْ
لَا أَلْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا.

أقول: احتسب كذا عبد الله، طيب به، الحسبة بالكسر وهي: الأجر من الرزقة به، واستشهد: كانه استحصروا إلى الله ما قتل، وكونه ولذا: باعتبارانه كان ربيبا له عليه السلام، وانه اسماء بنت عميس الحثعمية، كانت تحت جعفر بن أبي طالب رضيع فولدت له محمداً وعوبا، وعنده الله، بلحشة حين هاجرت معه إليها، وتزوجها بعد قتله أبو بكر فولدت له محمداً هذا، ثم تزوجها بعد وفاته على عليه السلام، فولدت له يحيى، والكندج: لسهي، واستعار لمحمداً لمعد أسيف وأركان باعتبار قوته كفائدتهم، وباقى الفصل واضح، وبالله التوفيق.

٣٦- ومن كتاب له عليه السلام

إلى عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش انقذه إلى بعض الأعداء
وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبي طالب- رحمه الله.

فَسَرَحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا، وَكَفَّصَ نَادِمًا، فَحَقَّقُوهُ بِنُفُوسِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ ظَلَمَتِ الشَّمْسُ لِإِلْيَاسٍ؛ فَاقْتَتَلُوا شَتَا كَلًّا وَلَا؛ فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفٍ سَاعَةٍ حَتَّى نَحَا جَرِيصًا بَعْدَ مَا جُدَّ مِنْهُ بِالْمُحَقِّقِ، وَلَمْ يَتْنِ مَعَهُ غَيْرَ الرَّمَقِ، فَلَأْيَا بِلَايٍ مَا نَحَا. فَدَعَا عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَ ضَهُمَ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشَّقَا، وَحَمَّاحَهُمْ فِي الْيَةِ؛ فَتُهِمُّ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَاخَصَهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَتَلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَارِي؛ فَقَدْ قَضَوْا رَحْمِي، وَسَلَبُوا سُلْطَانِ ابْنِ مِيٍّ. وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْيَقَاتِي، فَمِنْ رَأْيِي يُقَاتِلُ الْمُجَلِّسِينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزًّا، وَلَا تَقْرُفُهُمْ عَنِّي وَخْشَةً، وَلَا تَحْسِبُنِ أُنْسَ أَيْيَكِ- وَلَوْ أَسْتَمْتُهُ النَّاسُ- مُتَصَرِّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقِرًّا لِبُصْمٍ وَهِيًا، وَلَا سَيْسَ الرَّمَامِ بِقَائِدٍ، وَلَا وَطِيءَ الظُّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَحِبُّونِي سُلَيْمٌ:-

فَإِنْ تَسْأَلُنِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَأَنْبِي
فَإِنْ تَسْأَلُنِي: أَنْ تُسَرِّي بِي كَابَةً
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
فَبَشِمْتَ عَدِي أَوْ تَسَاءَ حَبِيبُ

قول: ظفرت أشمس بالتشديد؛ مالت للمغيب. وآبت: لعة في غابت. وكلا ولا:

لهطان قصيران عبدالسمع سريعا الانقطاع، كسى بهما عما كن سريعا من الفعل لمشاھته
في قصر الزمن لهما، ونحوه قول ابن هاني المغربي^١.

واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا
والموقف: هنا مصدر. والجريض: المغموم الذي يستع ريقه على غصة من الحزن.
والمختق بالتشديد: هو من العتق موضع الخنق بالكسر. والرمق: بقية النفس. واللاي:
الشدة وهو مصدر حذف عامله، وما: مصدرية في موضع الرفع فاعلا لفعل المصدر اي:
فلاي لأيا نجؤه اي: اشتد وعسر. وقوله بلاي تأكيد اي: لأيا متصلا بلاي. والتركاض
مبالغة في الركض، واستعاره: لجرى اذهنهم في الصلال عن سبيل الله. وكذلك
لفظ التجوال والجماح. وابن امه يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنهما ابنا فاطمة
بنت عمر بن عمران بن عائذ بن مخروم^٢، ام عبد الله، ونبى طالب. والمحلين: الذين احبوا
ذمة الله ونقضوا عهده. والوهن: الضعف.

٣٧- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

فَسَحَانَ اللَّهِ!! مَا أَشَدُّ لُرُومَكَ لِأَهْلَوَائِ الْمُتَدَعِيَةِ، وَالْخَيْرَةِ الْمُتَبَعَةِ، مَعَ تَصْيِيعِ
الْحَقَائِقِ، وَأَطْرَاجِ الْوُدُوقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طِلْعُهُ، وَعَنَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْجِحَاجَ فِي
عُثْمَانَ وَقَتْلَيْهِ فَإِنَّكَ لَمَّا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَحَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

اقول: اراد بالحقائق: ما هو حق في نفس الأمر ينبغى أتباعه من المفائذ، كاعتقاد
إمامته الحقّة وأتباعه. وقوله: حيث كان النصر لك، اي: الآن وانت مصور تتصير له.

١- ابوالقاسم / ابوالحسن محمد بن هاني الاردي الاندلسي المتوفى ٣٦٢. و جاء انه قتل على التشيع ولولائه
الخلاص. وفيات الاعيان ٤/٤٢١. معجم الادباء ١٩/٩٢.

٢- جمهرة انساب العرب ٥/١٤١ و ١٤١٧. انصهر لمحرية ٨٣. وقد جاء انكتاب بصورة مفصلة في انبار ٢/٤٣١.

٣٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
إِلَى أَهْلِ مِصْرَ لَمَّا وَلَّى عَلَيْهِمُ الْأَشْرَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنِي الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضَبُوا اللَّهَ جِئْتُ غَضَى فِي أَرْضِهِ، وَذَهَبَتْ بِحَقِّهِ، فَصَرَبَ الْحَوْزَ سَرِيقَةً عَنِّي الْبَرَّ وَالْفَاحِرَ، وَالْمُقِيمَ وَالظَّالِمَ، فَلَا مَعْرُوفَ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرُ يُتَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا نَعْدُ؛ فَقَدْ نَعَنْتُ بِكُمْ عَشْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَتَأَمَّرُ إِلَيْهِمُ الْحَوْزُ، وَلَا يَنْكُلُ عَنْ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ اسْرُوعٍ، أَشَدَّ عَلَى الْمُفْسَادِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَا لِكُ بَنِي الْحَارِثِ أَحْوَجُ مِنْجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَصْبَحُوا أَمْرَةً فِيمَا ظَلَمْتُ لِحَقِّهِ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلَ أَطْلَبُهُ، وَلَا تَأْبَى الضَّرِيَّةَ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخْخِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُعْجِزُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي. وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِيَتَبَيَّنَ لَكُمْ وَثِيقَةُ شِكْمَتِي عَنِّي عَذُوبَتُكُمْ.

أقول: السراق: البيت من القصر وهو مستعار لما امتد من جور الظالمين وعم.
والروع: المزع. ويكل بالضم: يرجع. ومدح كمسجد: أوقية من اليمن، وهو مدح بن جابر بن مالك بن ثعلان بن سبأ. وأطبة بالتحصيف: حد السيف. ونبأ السيف: عن الصربة إذا لم يقطعها، وهو كناية عن صرامته وقوة بأسه. والاحكام: التأخر. والشكيمة الحديدية المعتصرة في قم الفرس، وكى بشدة نها: عن شدة وطأته على العدو.

٣٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

وَبِكَ قَدْ جَعَلْتُ دِيْنَكَ تَعَا يَذُنُّ أَمْرِي؛ طَاهِرُ غَيْهِ، مَهْلُوكُ سِيَرِهِ، يَشِيرُ الْكَرِيمُ بِمَحْبَبَتِهِ، وَيُسْقَى الْحَيِّمُ بِحُظْيِهِ، فَتَنَعْتَ أَمْرَةً وَظَلَمْتَ قَضِيَّةَ اتِّبَاعِ الْكَلْبِ لِلصَّرْعَامِ: يَأْوُدُ إِلَى مَحَالِهِ، وَيَسْتَوِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ قَضِيٍّ قَرِينَتِهِ، فَذَهَبَتْ ذُنُوبُكَ وَأَجْرَتْ أَوْ لَوْ بِالْحَقِّ

أَخَذْتُ أَذْرَكْتَ مَا ظَلَمْتُ، فَإِنْ يُسَكِّتْكَ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي مُثَيَّانَ أَخِيرَ كِتَابِيَا قَدْ مَتُّمَا، وَنُ
تُعْجِزَانِي وَيَبْقِيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرُّ لَكُمَا؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: كون دينه تبعاً لدنيا معاوية لتبعه إياه بطعمة مصر، وما اعطاه من مال. وكون
مجلسه يسفه الحليم: لان دأبه، وبني أمية، شتم بني هاشم، والتمرض بذكر اكابر
الصحابة وذلك مما يسفه^١ الحليم عن الثبات على سماعه. والضربام: الاسد، ووجه
التشبيه ظاهر. والذي امامهما: ما يلقيه من عذاب الآخرة، وهو شر لقلوه تعالى: (ولعذاب
الآخرة اشد وابقى)^٢.

(ومن كتاب له - عليه السلام - الى بعض عماله)

أما بعد فقد بلغني عنك أنما إن كنت فَعَنْتَ فَقَدْ اسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ
وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ.
بلعني أنك جرّدت الأرض ^{بِأَحَدِكَ} مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَأَرْفَعُ
إِلَيَّ حِسَابَكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ.
اقول: أخزيت أمانتك: أهنتها. وجرّدت الأرض: قسرتها وهو كناية عن أخيه جمع
المال.

٤٠ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أما بعد، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِظَانَّتِي؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي
أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِإِسْوَاسِي وَمُؤَارَظَتِي، وَأَذَايَ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ
الزَّيْمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كُتِبَ؛ وَالْعُلُوُّ قَدْ حَرَتْ؛ وَأَمَانَةُ النَّاسِ قَدْ خَزَرَتْ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ
فَتَكَتْ وَشَعَّرَتْ؛ قَلْبْتُ لِأَنِّي عَمْتُ ظَهَرَ الْبَحْرِ، فَمَارَقْتُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتُ مَعَ الْخَاذِلِينَ،

١ - في ش. يستغفر.

٢ - سورة طه / ١٢٧.

وَحُشَّتْهُ مَعَ لِحَائِيَّ فَلَا أَبْنَ عَمَّتْ أَسْنَتْ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَذَيْتْ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ تُرِيدُ
بِحُجَاهِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ؛ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ
دُنْيَاهُمْ، وَتَتَوَى غَيْرَهُمْ عَنْ قَبْلِهِمْ، فَنَمَّا أَمَكَّنَكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ،
وَعَاجَلْتَ الْوَلِيَّةَ، وَاحْتَفَلْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَضُوءَةِ لِأَرْبَابِهِمْ وَأَتْنَابِهِمْ أَحِظْ
الذَّنْبَ الْأَرْكَ ذِمَّةَ الْمَعْرَى الْكَبِيرَةِ؛ فَحَمَلْنَاهُ إِلَى الْحِجَازِ رَجِيْبَ لَصْنِهِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُنَاقِمٍ
مِنْ أَخِيهِ كَأَنَّكَ - لَا أَبَا يَغْيِرُكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَانَتْ مِنْ أَيْدِكَ وَأَمَّا قَسِيحَانِ تَبْرَأُ أَمَا
تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ مِنْ يَدَاشِ الْحِسَابِ؟ أَيُّهَا الْمَغْدُودُ - كَدْنٌ عِثْمًا مِنْ دَوَى
الْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسَبِّحُ سَرَانًا وَظَعَامًا وَأَنْتَ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرِبُ حَرَامًا؟ وَتَبْتَاعُ
الْإِمَاءَ وَتَكْبِخُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْبِقَامَى وَلَمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَهَاءَ اللَّهُ
عَسِيهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ وَأَحْرَزِيهِمْ هَذِهِ الْبِلَادُ!! فَتَقِيَّ اللَّهَ وَارْذُ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْكَ لَا تُحْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فَيْكَ، وَلَا ضَرْبَكَ بِسَيْفِي الْيَدَى
مَا ضَرْبَتْ يَدِي أَحَدًا إِلَّا دَحَلَ الثَّارَ وَتَوَنَّى لِحَسَنٍ وَالْحُسَيْنِ فَعَلَا مِثْلَ لَيْدِي فَعَلَلْتُ مَا
كَانَتْ لَهُمَا عِيْدِي هَوَادَّةً، وَلَا ظَهْرِي مِثْلَ بَرَادَةِ، حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا، وَأَزْجَعَ الْبَطْلُ عَنْ
فُطْمَيْتِهِمَا؛ وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا يَسْرِي أَنَّ مَا أَحْدَثَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَنْزَلُهُ
مِيرَاثًا لِمَنْ يَغْدِي، فَصَحَّ رُؤْيَاكَ فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدَفَعْتَ نَحْتِ الشَّرَى، وَغَرَضْتَ
عَيْنَكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الطَّلْمُ فِيهِ بِالْحُسْرَى، وَيَتَمَتَّى الْمُنْفِيعُ لِرُخْصَةِ، وَلَا تَ
جِيْنٌ مَنَاصِرُ.

أقول: المروني أن الكتاب إلى عبد الله بن العباس كما هو في بعض النسخ، حين
كان واليًا له على البصرة، وأمانته: هي ولاية أمور المسلمين، والشعاع ما يلي الجسد
من الثياب، واستعمار له لفظه باعتبار قرابه منه، وبطائه خاصته، والموازرة: المعاونة،
وكلب الزمان: شدته، وحرب العدو: اشتد غضبه، وخزيت الامانة: هانت وذلت،
والفتك: القتل على غرة، وشغرت: تفرقت، وقوله: قلبت، إلى قوله: ظهر المحن: مثل
يضرب لمن يكون مع أخيه فيمتعيره ويقاتله، واصله أن الترس إنما يقاتل به الرجل
ويعطى ظهره في الحرب، فكأن به عن: تعبته عليه وخروجه عن امره، ولم يكن على بيته

من ربه اى: على ثقة من وعده وعبيده ويقين من ذلك . وغرتهم غفلتهم . والشدة: الحملة . ولازل خفيف الوركين ، ووجه التشبيه سرعة الاخذ ، ورحب الصدر كناية عن الفرح والسرور به ، ونقاش الحساب استقصاؤه وادخل حسابه له فى الفضلاء فى خير كان: تنبيهها على انه لم يبق عنده كذلك . وقاه: جعته فياء ، والعى: الغنيمة . والهوادة: المصالحة والمصالحة . وقوله فضح رويدا: كسمة يؤمر بها للتؤدة ، واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويثيرها مسرعا للسير ، فلا يشبعها فيقال: ضح رويدا اى: مهلا . والمدى: العاية و هى الموت وما بعده . المناص: المهرب والمخلص ، والنوص: التخصص . وشهوات ليس ، واصمروا فيها : اسم الفاعل ، وقد جاءت مرفوعة على أنها اسمها ، ولا يستعمل لات إلا مع حين ، وقيل: التاء زائدة كهى هى تمت ، وربت . ومعانى الكتاب ظاهرة ، و بالله التوفيق .

٤١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عمر بن أبى سلمة المحرومى ، وكان عامله على البحرين
فعرله ، واستعمل نعمان بن عجلان الرقى مكاه

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّى قَدْ وَلَّيْتُ نَعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الرَّقِىَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَتَزَعَّتْ يَدُكَ بِلَا
دَمٍ [لَكَ] وَلَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ، وَلَا
مَلُومٍ ، وَلَا مُتَّهِمٍ ، وَلَا مَأْتَلُومٍ . فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى طَنْمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ
مَعِى ؛ فَبِكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرْتُ بِهِ عَلَى حَقِّهِ الْعَدُوَّ ، وَإِقَامَتِهِ عُمُودَ الدِّينِ ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ .

اقول: هذا كان ربيبا لرسول الله صلى الله عليه وآله ، و امه ام سلمة ، وابوه ابوسلمة
ابن عبد لاسد من بنى مخزوم . والنعمان بن عجلان ، من سادات الانصار من بنى زريق .
والثريب: التعنيف . والظنين: المتهم .

٤٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير حرة

بَلَعَى عَنْكَ أَنْزِلَانِ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَشْحَطْتَ إِلَهَكَ، وَأَعْضَيْتَ إِيْمَانَكَ: أَنْتَ تَقْسِمُ
فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَارَتْهُ رِدْهُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأَرَبَيْتَ عَنِّيهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ أَغْتَمَكَ مِنْ
أَعْرَابِ قَوْمِكَ. هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيْسَ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَحْدَثَ بِكَ عَلَيَّ
هَوْنًا، وَلَتُخَفِّضَ عَيْنِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنَ بِمَحَنٍ رَتَكَ، وَلَا تُضْخِ ذُنُوبَكَ بِمَحَنِي دِيكَ؛
فَتَكُونُ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا.

أَلَا وَإِنَّ حَيًّا مَنْ قِيلَكَ وَقِيلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَنَى سَوَاءٌ يَرِدُونَ
عَيْنِي عَنِّي، وَيَضْرِبُونَ عَنِّي. وَالسَّلَامُ.

اقول: اعتامك: اختارك للطلب. وحقه ميزانه: صغر ميزانه عنده. وميزانا: تمييز.

٤٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد حديبته باستلحافه

وَقَدْ عَرَفْتُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْزِلُ لُبَّكَ، وَيَسْتَفْجِلُ عَمْرُوكَ؛ قَاخَذَرَهُ؛ فَإِنَّمَا
هُوَ الشَّيْطَانُ: يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ؛ لِيَفْتَحِمَ
عَقْلَهُ، وَيَسْتَلْبِغَ غِرَّتَهُ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَتْلُهُ مِنْ حَبِيبِ الْمُنْصِي، وَتَرْعُهُ
مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ: لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِزْتُ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاعِلِ
الْمُدْفَعِ، وَالنَّوْطِ الْمُدْبَبِ.

فَمَا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ

معاويه. قال السد- رحمه الله:- قوله- عليه السلام- «الواغن»: هو اندى يهجم على أشرب يشرب معهم، وليس معهم، فلا يزال مُدْفَعاً مُحَاجَرًا. و«الوسط المذبذب»: هو ما يناط يرحل الراكب من قعب أوقح أو ما أشبه ذلك، فهو أندأ يتقلقل إذا حثَّ ظهره واستعمل سيره.

اقول: رباد هذا هو دعوى ابي سفيان، وولاه على عليه السلام فارس، فصبطها وحماها فكتب اليه معاوية يخدعه باستلحاقه أحال له فعمم عليه السلام بذلك فكتب اليه الكتاب.

وغرب لسيف: حذره. والاستملال: طلب العمل،، وهو التلم وهو كناية عن كسر قوته في نصيح على عليه السلام، وأتياه من الجهات الأربع: كناية عن تمام حيلته في الخدعة. قل سفيان الثوري رحمه الله: ما من صاحب لا ويقعد الشيطان على اربعة مرصد، من بين يدي، فيقول: لا تخف (فإن الله عمرو رحيم) فاقرا واتى لعفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى^١. ومن حلمي بحقوقى الضبعة عسى مُحَلِّفِي فَأَقْرَأ: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها^٢. ومن قل يميني فيأتيني من جهة الشاء فاقرا: واباعة للمتقين^٣. ومن قبل شمالي فأتى من قبل الشهوات فاقرا: وحيل بينهم وبين ما يشتهون^٤.

واما الفلته من ابي سفيان في ادعائه اياه فهو: ما روى أنه تكلم يوما بحضرة عمر فأعجب الحاصري كلامه، فقال عمرو بن العاص: لله ابوه لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال اوسفيان: والله أنه لقرشي ولو عرفته لعرفت أنه من خير اهلك، فقال: ومن ابوه؟ فقال: انا والله وضعته في رحم امه، فقال: هلا تستلحقه؟ قال: اتخاف هذا ألغتر الجلس ان يحرق علي اهابي يعني عمر. وحديث النفس الوسوسة وكونها نزع من نزعات الشيطان: باعتبار انها على غير وجه شرعى وفيها اقرار بالزنا. وشبه المتوغل في

١- سورة طه / ٨٢.

٢- سورة هود / ٦

٣- سورة لقصص / ٨٣.

٤- سورة صبا / ٥٤.

هذا النسب اى: الداخلى فيه بامعان بالواغل، ووجه اشبه كونه لايزال مدعاه، كما يدفع الواغل عن الشراب وكذلك تشبهه بالسوط المذهب، باعتبار انه لا يستقر بسببه. والتذبذب التحرك والتردد.

٤٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى، وهو عامله على البصرة

وقد دله أنه دعي إلى ولية قوم من أهلها فمضى إليها

أَنَا بَعْدَ يَا أَمْرَ حُبَيْبٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادَّةٍ فَأَمَرْتَهُ بِإِنْفِائِهَا فَسُتَظَاهَتْ لَكَ الْأَلْوَنُ، وَتَنَقَّلُ إِلَيْكَ الْحَقَانُ! وَمَا طَنَنْتُ أَنَّكَ تُحِبُّ إِلَى طَعْمِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَحْمُومٌ، وَغَيْبُهُمْ مَدْعُومٌ؛ فَاظْطَرُّ إِلَى مَا تَقْصِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْصَمِ، فَمَا شَتَّ غَلِيكَ عَلَيْهِمْ فَالْبِطْطَةُ؛ وَمَا أَيْتَنَتْ بِطَبِّ وَخَوِيهِ قَتَرٌ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَنْتَبِى بِهِ وَيَسْتَقْصِي بِشُورِ عَلَيْهِ، أَلَا وَإِنْ إِنْفَانَكُمُ قَدْ اكْتَمَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ مَقْرَضُهُ، أَلَا وَإِنْ لِكُلِّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُوسِي بِوَرَعٍ وَأَجْتَنِدِ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللَّهِ مَا كَثُرَتْ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبَرًا وَلَا أَكْثَرَتْ مِنْ غَدَائِبِهَا وَفَرًا، وَلَا أَغْدَدْتُ لِنَايِلِي تَوْبِي بِطَمَرًا. بَلَى؟ كَذَبْتُ فِي أَيْدِيَاكَ فَذَكَ مِنْ كُلِّ مَا أَطْلَقْتُهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَحَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ. وَنِعَمَ الْحَكَمُ لِلَّهِ! وَمَا أَضْعَفَ بِكَ وَغَيْرَ فَذَكَ وَالنَّفْسُ مَطْنُهَا فِي عِدِّ حَدَثٍ؟ تَنْقَطِعُ فِي قُلُوبِهِ آثَارُهَا وَتَتَبِعُ أَحْبَارُهَا، وَحُمْرَةُ لَوْزِيَةٍ فِي قُسْحِيَّتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَ حَفْرِهَا لِأَضْعَافِهَا لِحَبْرُهَا وَالْمَدَنُ وَسَدُّ قُرْبَجِهَا التَّرَاثُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْبِى أَرْوُضُهَا بِالتَّمْوِي لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَشْتِ عَلَى جَوَائِبِ الْمَزَلَّتِي، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ بِطَرِيقٍ إِلَى مُصْغَى هَذَا الْعَسَى وَلِكُنَّابِ هَذَا الْقَمِيجِ، وَتَسْبِجِ هَذَا الْقَرَى، وَلَكِنْ هُنَّهَاتُ أَنَّ بَعْلِي بَنَى هَوَايَ، وَيَقُودُنِي جَسَمِي إِلَى تَخَرُّ الْأَطْيَمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْجَحَاذِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا ظَمْعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالسَّحْبِ!! أَوْ أَبَيْتَ مِنْظَاكَ وَحَوْلِي بِظُلُومٍ غَرَّتِي، وَأَكْمِيَاذَ حَرَّتِي!! أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبْتَ بِيَقْلَتِهِ

أَفْعُ مِنْ نَفْسِي مَا يَدُلُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارَكَهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي حُسُوتِهِ الْعُشِيِّ، فَمَا خُلِيتُ لِيَسْعَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْهَيْمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا غَلْفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُعْلُهَا تَقْمَحُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَغْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يَرُدُّ بِهَا، أَوْ أَتَرَكَ سُدَى وَالْهَمْلَ غَابِثًا، أَوْ أَجَرْتُ حَتْلَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَغْتَشَيْتُ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ، وَكَأَنِّي بِفَنَائِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُبُورُ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الْعَصْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُسَارَاةِ السُّجْعَانِ»؟ أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الثَّرِيَّةَ أَضْلَبَ عُودًا، وَالرَّوْبُعَ الْحَصِيرَةَ أَرَقَّ جُلُودًا، وَالنَّبَاتَاتِ النَّدْوِيَّةَ أَقْوَى وَفُودًا وَأَبْطَأَ حُمُودًا وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّوْمِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصِيدِ. وَاللَّهِ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّسَتِ الْمَرْصُ مِنْ رِقَبِهَا لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا. وَمَسَاجِدُهُ فِي أَنْ أَظْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْعَصِيدِ.

إِلَيْكَ عَنِّي يَادُنْيَا فَحَبْلِكَ عَلَى عَارِيكَ، قَدِ اسْتَلْتُ مِنْ مَخَالِيكَ، وَأَقَلْتُ مِنْ حَبَائِكَ، وَاجْتَنَبْتُ الدَّهَابَ فِي مَدَاجِصِكَ. أَبْسِ الْقَوْمَ الَّذِينَ عَزَّيْتَهُمْ بِمَدَائِكَ؟ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَحْتَهُمْ بِزَخَائِفِكَ؟ هَلَهُمْ زَهَائِلُ الْقُبُورِ وَمَضَامِيرُ اللُّحُودِ؟ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا، وَقَالِيَا جِسِّيًّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ عَزَّيْتَهُمْ بِالْأَمَانِي، وَأَتَمُّ الْفَيْسِهِمْ فِي الْمَهَادِي، وَمَثْلُوكِ اسْتَمْتِهِمْ إِلَى اسْتَبْ وَأُورْدَتِهِمْ مُوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ هَيْهَاتَ مَنْ وَطَىءَ دَخْصِكَ رَلَقٌ، وَمَنْ رَكِبَ لُجْبَكَ غَرِقَ، وَمَنْ أَرُورَ عَنْ جَانِبِكَ وَفَقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يَبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَتَاخُهُ، وَإِنْدُنَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ أَنْيَلَاخُهُ.

أَعِزُّ بِي عَنِّي؟ فَوَاللَّهِ لَا أَدِلُّ لَكَ فَتَسْتَدْلِي، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقْعُدِي؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ يَجِيئًا رَوْهَ اسْتَشْيِي فِيهَا بِمَيْسِيَةِ اللَّهِ. لَأَرْوِضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَّرْتُ عَلَيْهِ مَقْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْجِ مَا دُومًا؛ وَلَا دَعْنُ مُقْلَتِي كَمَيْسٍ مَاءٍ نَصَبَ مَيْسُهَا مُسْتَعْرِغَةً دُمُوعَهَا. أُنْمِئِلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَغْبِهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتُسْعُ الرِّبْضَةَ مِنْ غُشْيِهَا فَتَرِبْضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلَى مَنْ زَادَهُ فَيَهْتَجُ؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْتُهُ إِذَا قُدِّى بَعْدَ السَّيْرِ الْمُتَطَاوِلِ بِالنَّهْيَةِ الْهَامِيَةِ، وَالسَّابِغَةِ الْمَرْغِيَةِ!

طَوَّبَى لِنَفْسٍ أَذَتْ إِلَى رَبِّهِ فَرَضَهَا؛ وَغَرَّتْ بِحَسْبِهَا بُونَهَا؛ وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ

عُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَّتِ الْكَرَى عَلَيْهَا أَفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا؛ فِي مَعَشَرِ أَشْهَرِ عِبُونِهِمْ خَوْفٌ مَعْدِيهِمْ، وَتَجَدَّتْ عَنْ مَصَاحِبِهِمْ جُبُونُهُمْ وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِمَاهُهُمْ، وَتَمَشَّتْ بِطَوِيلِ أَسْعَافِهِمْ دُونُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ١. فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْمِكَ أَقْرَابُكَ؛ يَتَكُونُ مِنَ النَّارِ حَلَاصُكَ.

اقول: المأذبة بالصم: الصعام يدعى اليه، والعاش: الفقير، والغصم: الأكل، وعمه اى: علم حله وحرامه. والطمر: التوب الحلق وطمره: كانا عمامة ومدرعة قد استحب من راقعها. وقرصاه: كانا من شعر عسر متحول. وارد دالوع هسا: الكف عن المحارم. والوفر: المال الكثير. وفدك: قرية كانت لرسول الله عليه وآله خاصة صالح اهلها على النصف بعد فتح حبر، واجماع الشيعة على انه اعطاها وطمة عليها السلام فى حياته^٢ فما ولى ابوبكر الخلافة، عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطلب ميراثها من رسول صلى الله عليه وآله، ويقول: انه اعطى فى كافى حياته، واستشهدت على ذلك عينا وام ايمن، فشهدا لها بها، فأجابها عن اسرر بحر رواه وهو (نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة) وعن دعوى فدك^٣ لم تكن للنبي صلى الله عليه وآله، وانما كانت مالا للمسلمين فى يده يحسن به الرجال وينعمه فى سبيل الله وانا اليه، كما كان يلبه فما بلغها ذلك لا ثت واقلت فى لمة من حفتها، ونساء قومها تطأ فى ذلولها حتى دخلت عليه ومعه، جل المهاجرين والانصار، فضربت بينها وبينهم قطعة، ثم اتت انه احش لها لقوم باليكاء، ثم امهت طويلا حتى مكبوا من فورهم ثم خطبت خطبة طويلة^٤ ذكرنا مختصرا منها فى الأصل، تشتمل على توبيخ الجماعة وتقصيرهم فى حقها، ثم رجعت الى بيتها، واقسمت ان لا تكلم ابابكر، ولتدعون الله عليه^٥، ولم نزل كذلك حتى حصرتها الوفاة، ووصت ان لا يصلى عليها، فصلى بها العباس ودفنت ليلا^٦ و اشار

١- سورة المجادلة / ٢٢. ٢- الخبر ١٩٤/٧.

٣- اسقية وذلك / ٩٨. شرح ابن ابي الحديد ١٦/ ٢١١. كشف الغمة ١/ ٤٨١

٤- الامامة والنبيسة ١٤/ ١. اعلام النساء ٣/ ١٢١٥.

٥- الخبر ٧/ ١٩١.

بالنفوس التي سخت عنها الى بنى هاشم. وقوله: وأما هي، اي: وانما همتي و حاجتي نفسي، ورياضتها ورياضة النفس مأخوذة من رياضة البهيمة، وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها.

فالقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافعال، اذا لم تكن مطيعة للقوة العاقلة كانت بمنزلة بهيمة لم تروض فهي تتبع الشهوة تارة، والعصب اخرى. وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي اقامة، والعاقلة مؤتمرة. اما اذا راضتها القوة العاقلة حتى صارت مؤتمرة لها متمررة على ما يقتضيه العقل العمسى، تأتمر بأمره وتنتهي عن بهيمة كانت العاقلة مطمئنة لا تفعل افعالا مختلفة المبادئ، وكانت باقى القوى مسالمة لها، اذا عرفت ذلك فنقول: لما كان الغرض الاقصى من رياضة الانسان نفسه انما هو نيل الكمال الحقيقي، ولا بد له من استعداد، وكان ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية، كانت للرياضة اغراض ثلاثة:

احدها، حذف كل محبوب ومزعج عداً بحق سبحانه عن القصد، وهو حذف الموانع الخارجية.

والثاني، تطويع النفس للايقار للسكن المطمين فيجذب التخيل، والتوهم عن الجانب السفلى الى العلوى ويتبعهما سائر القوى فتزول الدواعي الحيوانية، وهو حذف الموانع الداخلية.

والثالث، توجيه السر الى الجنة العالية لتلقى السوانح الالهية واقتناصها. ويعين على الاول الزهد الحقيقي، وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب. وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر فى ملكوت السماوات والارض، وعظمة الله سبحانه والأعمال الصالحة المنوية لوجهه حالصاً، وعبر عن هذه الأمور المعينة بالقوى التي يروض نفسه بها. ونبه على بعض لوازم الغاية، بقوله: لتأتى، الى قوله المزلق: وهو الصراط المستقيم. والقمح: الحنطة والجشع: اشد الحرص على الطعام. ولمبطان عظيم البطن من كثرة الأكل. وغرثى: جائعة، وكبد حركى: عطشى. وجشوبة العيش: غلظه. التتقمم: تتبع القمامة وهي الكناسة. والاكراش: ملأ الكرش. وسدى اي: مهملاً. والمتاهة: موضع التيه والحيرة. والروائع: الاشجار التي تروع بنضارتها. والغنية التي لا يسقيها الا المطر.

وشبه نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالصنم من الصنم، وهما: التخلستان
يجمعهما اصل واحد، وهو وجه الشبه، وكذلك تشبيهه منه بالذراع من العصب ووجه الشبه
كونه ذراعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في المعاونة والمعاوضة كالذراع. وتظهرت:
تعاونت. وقوله: سارعت إليها أي: حين القتال لكرهم وعداوتهم للحق، وقبح العفو
عنهم حينئذ. وأشار بالشخص المعكوس والجسم المنكوس: إلى معاوية، وجعله مجرد
جسم كأنه خال عن النفس الإنسانية، لا تباعه الكمالات الجسمانية دون لعقلية، وكونه
منكوساً ومعكوساً: باعتبار التفاته عن الأمور العالية وانتكاسه عن تلقى الكمالات
الروحانية، ونعكاس وجه عقله عن القبلة الحقيقية إلى تحصيل الدنيا والعناية بها. واستعار
لفظ المدرة: له وحب الصيد للمؤمنين، ووجه المشابهة: أنه يخلص المؤمنين من وجوده
بينهم، لئلا يفسد عقائدهم ويستفويهم كما يفعله أهل البيادر من تصفية غلاتهم من المدر
وغيره. واستعار لفظ المدحض وهي المزالق لطرق تحصيلها التي هي مطنة الزلق،
والوقوع في الرذائل المهيكة. ولفظ المضامين للموتى: ملاحظة لشبههم في اللحد بالأجنة
في بطون أمهاتهم. وارورأ أخذ حنظل. وأعزى: أبعدى. وهش إلى كذا: انطلق وجهه
بشراً به. والهشاشة: طلاقة الوجه. **وَسَكَّنَ بِالْفَتْحِ يَسْكُنُ** بالكسر، سهل قياده. والمعين:
الماء الجاري. والريضة: الجماعة الرابضة من الغنم. وقوله: **وَعَرَّكَتْ** بجنيهاً يؤشها: كناية
عن الصبر على الشدائد، يقال: عرك فلان بجنيبه الأذى: إذا اغضى عمن يؤذيه وصبر
عليه. واستعار وصف التفشع: لروال الذنوب عن لوح النفس ملاحظة لشبهه بالسحاب
المنجاب عن وجه السماء. وبالله التوفيق.

٤٥ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا تَعَدُّ فَإِنَّكَ مَعْنُ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَاقْتَمَعُ بِهِ نَحْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسْدُ بِهِ
لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمُخَوِّفِ. فَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاحْلُطِ الشَّلَاةَ بِضَمِّهِ مِنَ اللَّيْنِ، وَارْتُقِنْ

١ - في ش: مرعاً.

مَا كَذَبَ الرَّقُوقُ أَرْقَوْا، وَاعْتَرِمَ بِالسَّيِّئَةِ جَسَدٌ لَا يُعْبَى عَنْكَ إِلَّا السَّيِّئَةُ، وَأَخْفِضْ لِرَعِيَّةٍ
جَنَاحَكَ، وَبَسْطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَيْنَ لَهُمْ جَانِبُكَ، وَأَسَى بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ،
وَالْإِشَارَةِ وَلِتَجِبَةَ، حَتَّى لَا تَظْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَقِّكَ، وَلَا يَتَأَسَّفَ الصُّعْمَاءُ مِنْ عَذَابِكَ.

اقبوا: النحوة: الكسر، والأثيم: الآثم. ولعلط اللهاته: مستعار لشعر لاحتاجته الى من
يسلته ويمنع كالحيوان المفترس وهو تجريد للاستعارة، ولصفت: النصيب من شيء. واعتزم
الرجل الطريق مضى فيه لا مشى، و اراد ان كل امر لا يعيبك فيه الا السئاة فامض فيه
بالسئاة، وآس: اى سق.

٤٦ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن والحسين عنهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعه الله

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ لَا تَتَّبِعُوا شَيْئًا وَإِنْ بَعَثَكُمْ، وَلَا تَأْسَفُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا
رُؤِيَ عَنْكُمْ، وَقُولُوا بِالْحَقِّ، وَأَعْمَلُوا لِلْآخِرَةِ، وَكُونُوا بِطَائِلِهِمْ خَصْمًا وَلِلْمَطْلُومِ عَوْنًا.
أَوْصِيَكُمْ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَعَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ،
وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْتِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ حَدَّثَكُمْ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «صَلَاحُ
ذَاتِ النَّسَبِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ» اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ: فَلَا تُغَيِّبُوا أَقْوَاهُمْ،
وَلَا تَغِيْبُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِيزَائِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ بَيْتِكُمْ، مَا زِلَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى
ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْبِ: لَا تَسِيْفُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرَكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ؛
فَبِهَا عُمُودُ دِينِكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَبْتِ رَتْكُمْ: لَا تَحْلُوهُ مَدَّ تَقْتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تَتَّاطَرُوا،
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالْيَتَامَى فِي سَبِي اللَّهِ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاضِعِ
وَتَبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَاللَّذَنُ وَلِتَقَاطِعِهِ، لَا تَشْرِكُوا، لَا تُزَيِّرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى
عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُوهُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَال:

يَا نَبِيَّ عَبْدَ الْمُطْلَبِ لَا تُفَيْتِكُمْ بِحُوضِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَوْصًا تَقُولُونَ: قُبِلَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْسِرْ بِي إِلَّا قَتِيلِي.

انظروا إذًا: أَنَا مِتُّ مِنْ صَرْبِيهِ هَبْهِ قَاصِرُوهُ صَرْبُهُ يَصْرَبُهُ، وَلَا يَمْتَلُ بِارْتَجِلٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّا كُنْمُ وَالْمُثَنَّةُ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»^١.

اقول: بغيت كذا: اردته. وزوى: غيب. وذات البين: كناية عن الحالة الموجبة للافتراق. وغباب افوهمهم: ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما. والمناطرة: المراقبة. ي: لم تُراقبوا من الله ومن الخلق لإهما لكم أمر دينكم، وبيت ربكم: اذ فى المحافظة عليه عز بالله، واعتصام به، يوجب مراعاة الخلق. والتدابير: التقاطع والتعاوى. والميته: وجدته. وخوض الدماء: كناية عن كثرة القتل.

٤٧- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

وَإِنَّ النُّبَى وَالزُّوْرِيَّوْتَعَالِيَّ كَمَرَّ فِي دِيْبِهِ وَدِيْبَانِ حَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ قَوَاتُهُ، وَقَدْ رَأَى أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ؛ فَأَحْذَرِيَوْمَا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَتَذَمُّ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ قَلَمٌ يُجَادِيهِ.

وَقَدْ دَعَوْنَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَلَسْنَا إِلَيْكَ أَجْبَتْنَا، وَلَكِنَّا أَجْبَتْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الوغ: بالتحريك الهلاك. ويوتعانه: يهلكانه. وما قضى قواته: هونصره عثمان التي كانت تنبى فى حياته ولا يمكن دركها بعد قواتها المقضى. ويحتمل ان يريد الآمال النخوية التي لا تدرك. والذين راموا غير الحق: اصحاب الجمل. وتأولهم على الله: اظهارهم للتمسك فى حربهم بما دل عليه القرآن الكريم، من الامر بالمعروف

واللهي عن السكر في الطلب بدم عثمان. و كذاب الله لهم: بدم الذين يقصون عهداه من بعد ميثاقه، و وعيدهم اذ بقصوا بيعته عليه السلام. و قيل: بنصره عليهم. و قيل: تأولهم عسى الله تمسكهم بقوله: (اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولي الامر منكم) ^١ و تسميتهم لمن نصوه من قبهم امير اولي الامر فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة. و يعسط: يسر. و روى تعبط اي: يتمنى الناس مثل حاله. و قد مضى ذكر التحكيم.

٤٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى غيره

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْعَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ وَلَمْ يُصْطَ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ جِزْئاً عَلَيْهَا، وَلَهْجَايَهَا، وَلَنْ يَسْتَفِي صَاحِبُهَا نَالَ فِيهَا عَفٌّ لَمْ يَلْغُهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ، وَنَقْضٌ مَا أَبْرَمَ! وَلَوْ أَسْتَرْزَبْتُ بِهَا مَصَى حَفِظْتُ مَا بَقِيَ وَالسَّلَامُ.

اقول: السهج بالفتح: الحرص الشديد. و حاصل الكتاب: التفرغ عن الدنيا بذكر معايبها. و ما أبرم اي: احكم من امورها. و حفظت ما بقي اي: من لعمرى كى لا يضع فى الساطل.

٤٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أمرائه على الحبوش

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسْجِدِ:
أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَعَلَّ نَأْلَهُ، وَلَا ظُلْمٌ لِحُصْنٍ بِهِ، وَأَنْ يَرِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَوْمِهِ دُونَاً مِنْ عَادِهِ، وَغَطْلًا عَلَى خَوَائِهِ.
إِلَّا وَبَنَ كَلَّمَ عُنْدِي أَنْ لَا أَخْتَجِرَ دُونَكُمْ سِراً إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمراً

إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُوحَرِّكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أُبَيِّ بِهْ دُونَ مَقْطَعِهِ. وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِذَا قَعُتُ ذَلِكَ وَحَبِثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النِّقْمَةَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ؛ وَأَنْ لَا تَشْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تَقْرَظُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْقَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقْبِلُوا [إِلَى] عَسَى ذَلِكَ لَمْ نَكُنْ أَحَدًا أَهْوَى عَنِّي مِمَّنْ أَعْوَجَ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمَ لَهُ الْعُقُوبَةُ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُحْمَةً، فَحَدُّوا هَذَا مِنْ أَمْرَيْنِكُمْ، وَأَعْظُمُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُضِجُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ^١.

اقول: احذر: امع واحفظ. واستشى الحرب، لأن الاعلام بها مظنة المفسده من بعضهم، اما بكرهاتهم لها اولحوف انتشار الحال الى العدو فتكون سبب حذره وتنهيه، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله د. اراد حرب قوم ورى بالسفر الى جهة اخرى. وكذلك استشى الحكم لأن احكام الله لا مشورة في امضائها وتركها، والذي لا يقف به دون مقطعه كلاحكام المتعلقة بالمختصمين، فانه لم يكن يقف فيها دون فصلها مراقبة لأحد منهما، والغمرات: الشدائد.

٥٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَى عَمَالِهِ عَلَى الْخِرَاجِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخِرَاجِ:
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَخْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يَقْدَمْ لِنَفْسِهِ مَا يُخْرِزُهَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كَلَّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَانَهُ كَثِيرٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْعَدُونَ عِقَابٌ يُخَافُ لَكُنْ فِي تَوْبِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ لِي تَرْكُ ظَلَمِهِ. فَاصْبِرُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خَزَائِنُ الرِّعْيَةِ، وَكَلَاءُ الْأُمَمِ، وَسُقْرَاءُ الْأَيْمَنِ. وَلَا تَحْسِبُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْسِبُوا عَنْ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَسْبِعُوا لِلنَّاسِ فِي الْخِرَاجِ كَيْثُورَةً شَتَاءً وَلَا صَيْفًا وَلَا ذَاتَهُ يَغْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَنَاءً، وَلَا تَصْرِفُوا أَحَدًا سَوْطًا لِمَكِيبِ دِرْهَمٍ، وَ

١ - لمعيار والموازية / ١٠٣.

لَا تَنْسُوا مَاكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مُضَلٍّ وَلَا مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا قَرْنًا أَوْ سِلَاحًا يُعْذِي بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعَ ذَلِكَ فِيهِ أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ شَوْكَةً عَلَيْهِ، وَلَا تَذَكِيرُ وَالْأَنْفُسُ كُنَّ تَصِيحَةً، وَلَا أَلْجُنْدُ حُسْنُ سِيرَةٍ وَلَا الرِّجَالُ مَعُونَةٌ، وَلَا دِينَ اللَّهُ قُوَّةٌ، وَأَنْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْحَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، قَدْ اضْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِمُجْهِدِنَا، وَأَنْ نَعْصِرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

أقول: السفراء: الرسل، وتحشمو أي: تفضضوها وتخرجوها. ولمصلي: المسمم. والمعاهد: الأعداء. والشوكة: القوة. واصصبر في عليهم: لأهل الإسلام. وأهلوا أي: أعطوا، يقال: أهلته معروفًا أي: أعطيته. وقوله: اضطلع، أي: قوله: إن نشكركم أي: جعل شكرنا له صنعة عندنا، وفقت لذلك. وقيل: أراد لأن نشكركم.

٥٩- وَبَيْنَ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى أَمْرٍ بِاللَّاحِ فِي مَعْنَى الصَّلَاةِ

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حِينَ تَقِيءُ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْتَضٍ الْقَتْرِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي غُضُوفِ النَّهَارِ حِينَ يُسَارِفُ فِيهَا قَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجَّ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا قَتَانِينَ.

أقول: في الشمس: رجوعها عن القيام وزوالها. وبيضاء: لم تصفر للمغيب. والعضو هاهنا: القطعة. والضمير في قوله فيها: أما للشمس أو للعضو باعتبار كونه قطعة. ويدفع الحاج أي: يضيض من عرفات، ولشهرة هاتين العلامتين عرف الوقت بهما. و يتوارى اشفق أي: من المغرب. وصلاة اضعفهم: كناية عن الصلاة الضعيفة التي يقدر على القيام بها الشيخ الكهمل والضعيف. وفتابن أي: بإطالة الصلاة وإقراءة فانها تشبه الإبتلاء بالأمر الشاق المعجز للضعفاء عن صلاة الجماعة ولزومها.

٥٢ - وَ مِنْ عَهْدِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كنه للأشتر النخعي رحمه الله، لما ولاه على مصر وأعمالها

حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد

كنه وأجمعه للمحاسن^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَمَرِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَيْبِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِّ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ،
جِبْنَ وَلَاهُ مِصْرَ: جِسَايَةَ خَرَايجِهَا، وَجِهْدَ غَدَوَاتِهَا، وَاشْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمْدَةَ بِلَادِهَا.
أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّسَاعِ مَا أَمَرِي بِهِ فِي كِتَابِيهِ: مِنْ قَرَابَتِهِ، وَشَتِيهِ،
الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا تُشْفَى إِلَّا مَعَ حُجُودِهَا وَإِصَابَتِهَا، وَأَنْ يَمُضِرَ اللَّهُ
شِحَانَهُ بِقَبْلِهِ وَيَدِيهِ وَلِسَانِهِ؛ فِرْقَةً، حَتَّى أَسْمُهُ، فَدَنْكَصَلْ يَمُضِرُ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْرَازُ مَنْ أَعْرَاهُ.
وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْثُرَ نَفْسُهُ مِنَ الشُّهُوبِ وَيَرْعَاهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ؛ فَإِنَّ اسْتَفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ،
إِلَّا مَا رَجِمَ اللَّهُ.

ثُمَّ أَغْنَمَ، يَا مَالِكُ أَنْتَى قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا ذُؤْلُكَ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ
وَحُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أَمْرِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ،
وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَنِّي الصَّابِغِينَ بِمَا يُخْرِى اللَّهُ لَهُمْ
عَلَى النَّاسِ عِمَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ انْدَحَايِرِ إِلَيْكَ دَجِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاثْمَلِكْ هَوْلَكَ وَشُحَّ
بَقِيَّتِكَ عَمَّا لَا يَجِزُ لَكَ قَابُ الشُّحِّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافِ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعُرْ
قَلْبَكَ الرِّحْمَةَ لِزَعِيَّتِي، وَلَمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللَّفْظَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِبًا تَغْتَنِمُ
أَكْلَهُمْ فَرِسَهُمْ صَنْدَبٍ: إِنَّمَا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ تَطِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ،
وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْبَعْسُ، وَيُؤْتَى عَنِّي أَيْبِيَهُمْ فِي الْعَمْدِ وَالْحَطَأِ. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَمَلِكَ وَصَفْحِكَ
مِثْلَ الْيَدَى تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَنَّكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ قَوِّمَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ قَوِّمَتْ،

١ - نصدي إلى شرحه وبنده لي سائر العتت معر من اعلام العلم والادب. الدررمة ١١٨/٤ وح ١٣/٣٧٣.

وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ ! وَقَدِ اشْتَكَمَكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ، وَلَا تُخَيِّسَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ.
فَإِنَّهُ لَا يَبْدَى لَكَ بِعِظَتِهِ، وَلَا عَيَّى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَلْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْخَحَنَّ
بِعُفْوَتِهِ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَسْذُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرًا وَطُرْعُ فَإِنَّ
ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي الْعَلَبِ، وَمِنْهُكَ لِبُذَيْنِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْبَعْرِ. وَإِذَا أَحَدْتُ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ
سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مِجَنَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقَدَّرِيهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ
نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُظَاهِرُ إِيَّاكَ مِنْ جَمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرِبِكَ، وَيَبْقَى إِيَّاكَ بِمَا
عَزَّتْ عَنْكَ مِنْ عَقِيدَتِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عِظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَنُودِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ
كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفَ اللَّهُ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ
رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَطْيِئُ ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ
خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ خُبْرَتَهُ وَكَانَ اللَّهُ حَزْناً حَتَّى يَتَرَعَّ وَيَتَوَبَّ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَذْعَى إِلَى
تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نَفْسِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى طُلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُظْطَهِّدِينَ وَهُوَ
الْقَادِرُ عَلَى الْإِعْصَادِ .

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِيَّاكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا إِرْضَا
الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُحْظَ لِعَامَّةٍ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ وَإِنْ سُحْظَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ .
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَلِيِّ مُؤَوَّنَةً فِي الرِّخَاءِ وَأَقْلَرُ مُؤَوَّنَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْثَرُ
لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَنُ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقْلَرُ سُكْرًا عِنْدَ لِإِعْطَاءٍ، وَأَبْطَأُ عُذْرًا عِنْدَ الْمُسْجَعِ،
وَأَصْقَتْ حُسْرَ عِنْدَ مُيَسَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَخِمَاجُ الْمُسْلِمِينَ .
وَالْعُدَّةُ لِلْإِعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَعُولُكَ لَهُمْ، وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَسْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعْرُوبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ
غُيُوبًا وَالْوَالِي أَحَقُّ مِنْ سَتَرِهِ، فَلَا تُكْشِفَنَّ عَمَّا عَاتَ عَنْكَ مِنْهَا قَرِيبًا عَلَيْكَ تَطْيِيرُ مَا ظَهَرَ
لَكَ، وَاللَّهُ يُخَكِّمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرْ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَظَلَّتْ يَسْتُرُّهُ مِنْكَ مَا تُجِبُّ سِتْرَهُ
مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلِقْ عَنِ الدِّسِّ عُقْدَةَ كُلِّ حِفْظٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثَرٍ، وَتَعَابَ عَنْ كُلِّ
مَا لَا يَصِحُّ لَكَ، وَلَا تَعْبَجَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِأَسَاصِ حَقٍّ .

وَلَا تُدْجِلْ فِي مَسْئَرَتِكَ بِخِيَلٍ يَغِيْلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعْدِلُ لِقَمَرٍ، وَلَا جَبَانًا
يُضَعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يَرِيَنَّ لَكَ الشَّرَّ بِالْخَوْرِ قَبْلَ الْحُلِّ وَالْجَسِّ وَلِجَرَصٍ غَرَائِرُ
شَتَّى يَحْمِلُهَا سُوءُ الصَّبِّ بِالله!

إِنَّ شَرَّ رَزَائِكَ مَنْ كُنَ لَا شَرَّارَ قَبْلَكَ وَزَيْرًا، وَمَنْ شَرِيكَهُمْ فِي الْإِتِّامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ
بِطَانَةً؛ قَرِيبُهُمْ أَغْوَانٌ لَا نَجْمَةَ، وَإِخْوَانُ الْقَسَمَةِ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْحَلِيفِ مِنْهُ لَهْ مِنْهُ
أَرَائِهِمْ وَنَفَذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْرَارِهِمْ مِنْهُمْ لَمْ يُدَوِّ ظِلْمًا عَلَى طَبِئِهِ وَلَا
أَيْمًا عَلَى إِيْمِهِ: أُولَئِكَ أَحَفُّ عَلَيْكَ مَوَدَّةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَشَدُّ غَبْنًا عَظْفًا، وَأَقْلُّ
لِعَيْبِكَ إِلْفًا، فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِحُلُولِكَ وَحَفَلَا يَكُ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَرْهُمُ عِنْدَكَ أَهْوَلُهُمْ
بِمُرْلَحْنٍ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُتَعَدَّةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَافَقَ ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ
حَيْثُ وَقَعَ. وَلِصِقْ بِأَهْلِ الرِّوَجِ وَالصَّدَقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُظْرُوكَ وَلَا يَنْحُوكَ
بِطَائِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُخَيِّبُ لِرْهُوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِرْقَةِ.

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُخْخِيسُ وَالْمُغْسِيءُ عِنْدَكَ بِمِثْلَةِ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ
الْإِخْتَانِ فِي الْإِحْسَابِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْأَسَاءَةِ عَلَى الْأَسَاءَةِ! وَالرِّمُّ كُلُّهُ مِنْهُمْ مَا أَرَمَ
نَفْسُهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَذَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّي رَاجِعَ بَرِعِيَّةٍ مِنْ إِخْتِنَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَحْصِيهِ
الْمُؤَوَّنَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكُ اسْتِكْرَاهِهِ إِيْدَهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِيَتُهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ
يَعْتَمِدُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ غَثَّ نَصَا طَوِيلًا وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ
حَسَنَ ظَنِّكَ بِهِ لَمْ يَنْحَسِرْ سَلَاوُكُ عِنْدَهُ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمْ يَسَاءَ سَلَاوُكُ عِنْدَهُ.
وَلَا تَنْقُصْ سُئَهُ صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هِدْيَةِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَ
صَلَحَتْ عَلَيْهَا الرُّعِيَّةُ؛ وَلَا تُخَيِّرْ سُئَهُ تَصَرُّبِيٍّ مِنْ مَاصِي يَدِكَ السُّنَنِ فَتَكُونَ الْأَخْرُ
لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوَرُورُ عِنْدَكَ بِمَا تَقْصُصُ مِنْهَا.

وَأَكْثَرُ مَذْرَعَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَقَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَنْسِيْبِ مَا صَحَّ عَنْهُ أَمْرٌ بِلَايِكَ، وَ
إِقَامَةُ مَا اسْتَقْدَمَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

أقول: الجمع: قبيلة من مدحج. وجوة: بدل من مصر. ويرعها: يكفها أي: يروص
نفسه الامارة بطويعها للعقل. واستعد لها: وصف الجماع: باعتبار حروحها عن طاعة

العقل، فلا يملكها كلعوس الجموح. ورسم الشح بالفس: دته الانصاف منها، وهو تعريف له ببعض سوزمه اذ كان الانصاف منها ملازماً للفضة به عن عذاب الله. ويمرط: يسق. و اراد بلعل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة لهم عما ينبغي من احراء اوامر الوالى عى وجوها. وقوله: ويؤتى على أيديهم: كناية عن كونهم غير معصومين بل هم متن يحطى، ويؤتى الناس أو انفسهم على أيديهم فى خطائهم وعمدهم، فيدخل عليهم لزلّات. واستكفك امرهم: طلب منك كفاية امورهم والقيام بها. و ابتلاك: اختسرك بهم. واستعار لفظ الحرب لمقابلة الله بالمعصية. ولا يدى لك أي: لا قوة لك. والتبحح: اظهار السرور والضح بسكون الجيم، اسرور والمرح. والبدة: حدة الغضب. والمندوحة: السعة. والادغال: الاقصاد، وكى به عن رذيلة الكبر ولعجب ونحوهما. والسك: وهو الضعف. والغير جمع عبرة وهى: الاسم من التغير والاشارة الى قوله: تعالى: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يعيروا ما بانفسهم^١) والأيهة: العظم. والخيلاء: الكبر. والطماح: العلو، واصله ارتفع الضر. وعربه: جدته. وعزب غب. والمساماة: مفاعلة من السمو. والحروت: استد كبر. والمحتل: دوالخيلاء. و حجة داحصة: باطنة. ويحصف درصا العامة اى: يذهب بأصله. ولاحدف: شدة الميل لسؤال. وابطأعذرا اى: اعذارا ومسامحة. وجماع المسلمين: جماعتهم. والصعو: الميل. و شأنهم: انفسهم. والعورة: القبيحة تبدو من الرحل. والوتر: الحقد. والتغايى: التحايل. ويزين لك الشره بلحوراذ الحريص فى تحصيل المال وجمعه انما يشير بما يلائم حقه فيحرج بالمشار عليه لى رذيلة الشره والجور والبء: للاستصحاب. ولمريرة الحلق ولطبيعة، و بان كون الثلاثة عن مبدأ هو: سوء الظن بالله، ان سوء الظن ينشأ عن عدم معرفته تعالى بما هو اهل له. فالحايل به لا يعرفه من جهة ما هو حواد قياس بالحيرت لمن استعمل لذلك، فيسوء ظنه به ولا يتق به، بأنه محبوق عليه عوض ما يبذله قيمته ذلك مع ملاحظة انقتر عن البذل ويقوى نفسه الامارة فى الحرص.

واما الحبان: فيجهله من جهة لطفه بعباده وعمايته بهم، ولا يعلم سر القدر فى الاحال فيسوء ظنه بماه لا يحفظ من التلف، ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام

في الحرب ويلزمه ردية الحبس. والبطانة: حاضنة لرحل. والآصار: انقال الآثام جمع اصر وهو الثقل. و عطا مصدر أحنى، أى: معى قوله: واحسى عصفاً أى: واحنى حواءً فاحس عطفاً: بدس حنوا مصدر من غير اللفظ. وحفلاً تك جمع حفلة بالكسر وهى: الجماعة اوهى حفلة وهى: الحموة، والظهور فى الجماعات. وقوله: واقفاً الى قوله: حيث وقع أى: واقعاً ذلك ابقول معه، والصبيحة وقتة المساعدة حيث وقع من هودك سواء كان موافقاً له او مخالفاً. والاطراء: المدح الكثير. ولزهو: الكبر. واستدريس: التثويد. وقوله: والزم كلاماً: الزم نفسه أى: من مقابلة الاحسان او الامانة بمثلها. والنصب: التعبد. والمناقشة: المحادثة، وبالله التوفيق.

الفصل الثانى: فى التنبيه على طبقت الناس ووضع كل فى موضعه اللائق به فى الحكمة المدنية، ولاشارة الى كل طلبة بالآخرى والى من يستصح من كل صف، و يكون أهلاً لتلك المربة وذلك قوله:

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّعْيَةَ ظَنَنْتُ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا لِأَسْعَفِ، وَلَا غَيْثُ يَتَغَضُّهَا عَنْ بَعْضِ؛
فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتُبُ الْعَامَّةِ وَلِحَصَّةٍ، وَمِنْهَا فُصَاةُ الْعَذْبِ وَمِنْهَا عُمَاكُ الْإِنْصَافِ
وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَرِيَّةِ وَالْخَرَجِ مِنْ أَهْلِ بَدْمَةٍ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التَّجْدُرُ وَأَهْلُ
الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ دَوَى الْحَاجَةِ وَلَمْسَكِيَّةٍ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى لَهُ اللَّهُ
سَهْمَهُ. وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ مَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَهْدًا
مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوطًا.

فَالْحُودُ، بِأَذْيَالِ اللَّهِ، حُصُونُ الرِّعْيَةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَغِرَاذِينِ، وَسَبِيلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ
تَقُومُ الرِّعْيَةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لَا يَوَامُ لِلْحُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّتِي يَقْوُونَ بِهِ عِي
جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُضَيِّحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لَا يَوَامُ لِهَدْيِ
الصَّنَائِعِ إِلَّا بِالصَّنَافِ لِثَلَاثٍ مِنَ الْفُصَاةِ وَالْعُمَاكِ وَالْكِتَابِ، لِيَسَا يُحْكِمُونَ مِنَ التَّمَاقِيدِ
وَيَنْجَمُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ حَوَاصِلِ الْأُمُورِ وَعَوَائِهَا وَلَا يَوَامُ لَهُمْ خِمِيمًا إِلَّا
بِالتَّخَارُ وَدَوَى لَصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَحْتَمِلُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاقِبِهِمْ وَنَيْسُورَتِهِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ،
وَيَكُونُ لَهُمْ مِنْ شَرَفِي رَيْبِهِمْ نَهْ لَا يَتَعَمَّقُ بِقُوَّةِ عَرْشِهِ، ثُمَّ لَقَطْعُهُ سُمِّيَ مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ

وَالْمُسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِقْدُهُمْ وَمُعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُنْ سَعَةٌ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَلِيِّ حَقٌّ يَمْدُرُ مَا يُصْلِحُهُ. قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا تَأْمَاكَ، وَأَنْصَاهُمْ حَبِيبًا، وَأَفْصَلَهُمْ حِلْمًا: مِمَّنْ يُنْطَى عَنِ الْعَصَبِ، وَيَسْتَرْيَحُ إِلَى الْعُدَى وَبِرَأْفٍ بِاصْغَفَاءَ، وَيَتَوَغَلَّى الْأَقْوِيَاءَ وَمِمَّنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقَعْدُ بِهِ الصَّغْفُ.

ثُمَّ الْفَضْلُ بِذَوِي الْأَخْسَابِ وَأَهْلِ السُّيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَأَسْوَاقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلُ الْجَدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ تَقَعْدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَقَعْدُهُ لَوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَقَعْدَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ وَلَا تَحِيرَنَّ لَطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قُلْ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَقَعْدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَنْكَالًا عَلَى جَسِيحِيهَا؛ فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنْ لَطِيفِ مَوْضِعَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْحَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْمُونَ عَنْهُ.

وَلَيْكُنْ تَرَرٌ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَأَسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ؛ وَأَفْصَلْ عَلَيْهِمْ مِنْ جَدَّتِهِ، بِمَا يَسْتَعْمُونَ وَيَسْعُ مِنْ رِزْقِهِمْ مِنْ خُلُوبِ أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُمُومُهُمْ هَمًّا وَجَدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنْ غَطَمَكَ عَلَيْهِمْ يَغْطِفُ قُلُوبُهُمْ عَلَيْكَ؛ وَإِنْ أَفْصَلَ قُرَّةَ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِغَامَةً الْعَذْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَبُنَى لَا تَطْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُلُوبِهِمْ، وَلَا تَصِيحُ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَبِطَتِهِمْ عَلَى وَلَاةِ أُمُورِهِمْ وَقِلَّةِ اسْتِغْفَالِ دُولِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِغْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ؛ فَاقْشَعْ فِي أَمَالِهِمْ وَأَصِلْ فِي حُسْنِ الشُّأْنِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى دُورَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ لَذِكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّخَاعَ، وَتُحَرِّضُ السَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ عَرِّفْ لِكُنْ أَمْرِي مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا يُصِيبَنَّ بَلَاءَ أَمْرِي إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَاءِهِ، وَلَا يَدْعُوكَ شَرَفُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تُعْطِمَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ ضَعِيفًا، وَلَا ضَعْفُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَاءِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

وَأَرْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّكَ مِنَ الْمُحْطُوبِ وَيَشْتَبِي عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِنْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ: الْأَحَدُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَحَدُ بِسُنَنِهِ الْخَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ.

ثُمَّ احْتَرِ لِحُكْمِ بَيْنِ النَّاسِ أَقْصَنَ رَيْبَيْتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَصِيقُ بِهِ الْأُمُورُ
وَلَا تُنَجِّحُهُ الْحُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الرِّقَّةِ، وَلَا يَخْضَرُ مِنَ الْقَمَى إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ،
وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى ظَمْعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى قَهْمٍ ذُوْنَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ،
وَأَحَذَهُمْ بِالْحَجْحَحِ، وَأَقْلَبَهُمْ تَرَمُّزًا بِمُرَاجَعَةِ الْحَضَمِ، وَأَضْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ،
وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ؛ مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهُ إِظْرَاهُ، وَلَا يَسْتَنْبِيْلُهُ إِعْرَاهُ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ
أَكْثَرُ نَعْدَهُ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحُ لَهُ فِي الْبُذْلِ مَا يُزِيلُ عِشَّهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ،
وَأَعْطِيَهُ مِنْ لَمْتَرَةٍ لَدَيْكَ مَا لَا يَظْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصِيَّتِكَ لِيَسَامَنَّ بِذَلِكَ أَعْيُنَالِ الرِّجَالِ لَهُ
عِنْدَكَ، فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا تَلِيْعًا؛ فَإِنَّ هَذَا الَّذِينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَابِ يُعْمَلُ
فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَلِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اسْتِيفَارًا، وَلَا تُؤْلِهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛ فَرَبُّهُمْ جَمَاعٌ مِنْ
شُعَبِ الْجَبَرِ وَخِجَانَةٍ، وَتَوَحَّ مِنْهُمْ أَهْلُ الشَّخِيَّةِ وَلُجْبَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْيُبُونَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ
فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ أَغْرَاصًا، وَأَقْرَبُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا،
وَأَتْلَعُ فِي عَرَفِ الْأُمُورِ نَظْرًا، ثُمَّ اسْبِغْ عَنْهُمْ الْأُرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى مُتَبَدِّلِ
أَنْفُسِهِمْ، وَعَسَى لَهُمْ عَنِ تَنَاقُوبِ مَا نَحَثَ أَيْدِيَهُمْ، وَحُجَّةٍ عَنْهُمْ إِنْ حَاقُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّحُوا
أَمَانَتَكَ. ثُمَّ تَقَدَّرْ أَغْمَلَهُمْ وَتَمَحَّصِ الْعُيُونِ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ
فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ عُدُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِغْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرُّفُقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَغْوَانِ فَإِنَّ
أَحَدَهُمْ يَسْطِرُّ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ أَخْتَمَعَتْ بِهَا غَيْبُهُ، عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُوكَ أَكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ
مَا هَذَا قَبَسْتَ عَنْ غَيْبِهِ الْعُدُوَّةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَحَدُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِسَمَامِ
الْمَسْئَلَةِ، وَوَسَّيْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَدَّرْتَهُ غَارَ التُّهْمَةِ.

وَبَقَدْ أَمَرَ الْحَرَاحَ بِمَا يُضْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ يَسُوَاهُمْ؛
وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ يَسُوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَرَاحِ وَأَهْلِيهِ. وَلَكِنْ
نَظَرْتُ فِي عَيْتَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي سَيِّجِلَابِ لِحَرَاحٍ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُذَرُّ إِلَّا
بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ ظَلَّتِ الْحَرَاحُ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَحْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْشَكَ الْبِنَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا
قَلِيلًا؛ فَإِنَّ شَكْوَى بَقْلًا أَوْ عِثَّةً أَوْ تَقْطَعُ شَرْبٍ أَوْ نَالَهُ أَوْ إِحَاةً أَرْضَ اعْتَمَرَهَا عَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَتْ
بِهَا عَظْسٌ خَفَعَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَوْا أَنْ يُضْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلَا يَنْفَلِسُ عَنْكَ شَيْءٌ خَفَعَتْ بِهِ

الْمَوَدَّةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ دُحْرٌ يَعُودُونَ بِهِ غَلَّتْ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزْيِيهِ وَلَا يَنْتَكِ ، مَعَ اسْتِجْلَالِكَ حُسْنِ تَسْلِيهِمْ ، وَتَبَجُّحِ اسْتِغَاثَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا قَصْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا دَحْرَتْ عَنْهُمْ مِنْ إِخْلَامِكَ لَهُمْ وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ اخْتِمَالِهِ طِبَّةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتِي خِرَابَ الْأَرْضِ مِنْ إِبْغَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَشَوْءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقَوْلِهِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْبَعْرِ .

ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ ؛ قَوْلَ عَنَى أُمُورِكَ خَيْرُهُمْ ؛ وَالْخُصْمُ رَسَائِلِكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِاجْتِمَاعِهِمْ لِيُؤْخِذَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ بِمَنْ لَا يُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَخْتَرِيءَ بِهَا عَيْنَكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأَ ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْعَمَلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتٍ عُمَايِكَ عَلَيْكَ وَاضِدَ رَحَوَاتِيهَا عَلَى الصُّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْتِيكَ لَكَ وَيُعْطَى مِنْكَ ، وَلَا يَضْعِيفُ عَقْلًا اعْتَمَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَحْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَخْهَلُ مَتَلَعٌ قَدَرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ يَقْدِرُ نَفْسَهُ يَكُونُ بِفَضْرِ غُيْبِهِ أَخْهَلُ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ احْتِبَازَكَ إِتَابَهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَأَمْنِيَّتَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛ فَإِنَّ أَرْجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنِيعِهِمْ وَحُسْنِ جِدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ لُصْبَحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ احْتِسَرُهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ؛ فَاغْيِثْ لِأَحْسَنِهِمْ كَدَنَ فِي الْقَامَةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِضْهُم بِالْأَمَانَةِ وَخَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصَبِيَّتِكَ لَهُ وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ ، وَاجْعَلْ لِأَرْبَابِ كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كَسْرُهُ ، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ غَيْبٍ فَتَعَايَيْتَ عَنْهُ أَلْمِئْتُهُ . ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَدَوَى الصَّدَاعِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا : الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِّبِ سَمَلِهِ ، وَلِلمُتَرَفِّقِ بَيْتِيهِ ؛ فَإِنَّهُمْ قَوَادِمُ لِمَنَافِعِ ، وَأَسْنَابُ السَّرَافِقِ وَجَلَدُهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَنَظَارِ فِي بَرِّكَ وَتَحْرِيكَ وَسَهْلِكَ وَجَبِيلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاصِيحِهِ وَلَا يَحْثَرُونَ غَيْبَهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سَلِيمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى عَائِلَتُهُ ، وَتَقَعْدُ أُمُورُهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَأَعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاجِشًا ، وَشُعَا قَيْحًا وَآخِثَكِرًا لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِئَاعَاتِ ، وَذَلِكَ تَأْتِ مَضَرَّةً لِلْعَامَّةِ وَغَيْبٌ عَنَى الْوَلَاةِ ؛ فَاغْنِ مِنَ الْإِخْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَعَ مِنْهُ ، وَلَيْكُنْ الْبَيْعُ بِنَمَا سَمَحًا ؛ بِمَوَازِينِ عَدَبٍ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْقَرِيبِينَ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ؛

فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً تَعَدُّ نَهْيَكَ إِيَّاهُ فَتَكُنْ بِهِ؛ وَغَايَتُهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الظَّنِّ السُّقْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ التَّسْكِينِ وَلَمْخَاجِينَ وَ
أَهْلِي الْبُوسَى وَالرَّمْسَى فَإِنَّ فِي هَبِهِ الطَّبَقَةَ قَائِنًا وَمُعْرَأًا وَأَخْفَطَ إِلَيْهِ مَا اسْتَحْطَطَكَ مِنْ حَقِّهِ
فِيهِمْ، وَخَمَلَ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ تَيْبِ مَا لَكَ، وَقِسْمًا مِنْ عِلَالَتِ صَوَاهِي الْإِسْلَامِ فِي كُرِّ تَلَوِّ
قَائِنٍ لِلْأَقْصَى؛ مِنْهُمْ مِثْلُ لَيْدِي لِلْأَذَى، وَكُلُّ قَدِ اسْتَرْعِيَتْ حَقَّهُ؛ فَلَا تَشْمُكَ عَنْهُمْ بَطَرُ
قَبْلِكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِكَ النَّافَةِ لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ
وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لَهُمْ، وَتَقَعْدُ أُمُورَ مَنْ لَا يَصْنُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُبُودُ وَتَحْقِرُهُ
الرِّجَالُ، فَفَرَّقْ لَاؤَلَبِكَ يَمْنَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَسَنَةِ وَالْوَأْصِعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اذْهَبْ
فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْفُهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَخَوَحَ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ
غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ مَا غَيْرَ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْيِيدِهِ حَقُّهُ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدَ أَهْلُ الْإِيْمِمْ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِ
مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَتَّصِفُ بِالنَّمَالَةِ نَفْسُهُ، وَذَلِكَ عَلَى لَوْلَا تَقِيْلٍ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيْلٍ، وَقَدْ
يُحَقِّقُهُ اللَّهُ عَلَى قَوَامِ ظَنِّهِمَا الْغَايَةَ قَصَرُوا نَفْسَهُمْ، وَتَقَوُّ بِصِدْقِهِ مَوْعُودُ اللَّهِ لَهُمْ.

اقول: قسم الناس الى صنفين، لا يصلح بعضها الا بالبعض كما بيته. واهل
الذمة: تفسير لاهل الجزية والحراج معاً، لان لامام ان يقل رض الخراج من سائر
المسلمين واهل الذمة. و اراد بالسهم الذي سماه الله لكل مهم: استحقاقه في كتبه
إجمالاً من الصدقات: كل فقراء والمساكين وعقال الخراج. والصدقة وحده: الذي
وضع الله عليه عهداً منه هو مرتبته ومنزلته من الناس، مثل الحندين له مرتبة ومقام
من العمل محدود، أخذ عليه عهد من الله في الصيحة والقيام بطاعة الله فيه وفريضة لزومه
للعمل بذلك، وكذلك سائر لطقات. والمعقد جمع معقد: مصدر كعقود البياعات
والانكحة ونحوها، وأحكامها تعود الى القصاة. وجمع المافع تعود الى العتال.
والضمير في يؤمنون: يعود الى المصفين. والمرافق: المنافع، والرفق: المصلحة. والرفد:
المعونة ويحق يجب. ونقد الحيب: كناية عن الامنة. ويستريح الى العذراي: بقوله.
وسو على الأقوياء اي: يعلو عليهم، ولا يعبس عليهم عني من دونهم. لا يثيره العف اي:
لا يكون له عف فيثيرة، وقيل: لا يثيره عفت الغير. ولا ينزعج منه ولا يقعد به الصعف

اي: لا يكون ضعيفاً يُقعد ضعفه عما ينبغي. والحسب: ما يعد من المآثر والمكرم.
والحسب الكفاية. والسعدة: فضيلة تحت الشجاعة. والعرف: المعروف. وتفرق
الأمر: اشتد وصعب. ولطيف أمورهم: صغبرها. وجسيمها: عظيمها أي: لا تدع تفقد
حاجاتهم الجبرية اعتماداً على قصتك لحاجتهم الكلية في العطاء العام ونحوه، و
معونته: رزقه. وحدته: عاه. والحلوف: المتحلفون عنهم. وحيطتهم: شفتهم. والماكل
الراجع: الفار. وبصلعك: يُتَّقَنُك. وضاق الأمر: اذا لم يقدر عليه. وتمحكه الخصوم:
تعلمه على الحق بالمحك، وهو: اللجاج وازداد. والحصر الوقوف من العمى. والتبرم
التضجر. ويكشف الأمور: ايضاحها. ويزدهي الاطراء فيه: كثرة المدح. الزهو: الكبر.
يزيح حيثه: يزيل عذره وما يكون علة في عزه عن القيام بالقضاء. والاغتيال: الأخذ
عنى غرة، ويدخل فيه الغية ونحوه. والاشران الولاية قبله، وقيل: محمد بن ابي بكر.
ولا تولهم محابة أي: معاطاة. واثرة أي: استبداداً كمن تأخذ من شخص شيئاً و
تولية امرأ، ويستبد بذلك دون مشاورة فيه. وجماع من شعب الجور والخيانة أي: جماعة
منها، اما انهما من شعب الحور: فلدخروج بهما عن فضيلة العدل العامور به شرعاً
وهو التحري في طلب الوالى الأصح سعاد والبلاد والأثوم بظاعة الله فيهما. واما انهما
من شعب الخيانة: فلأن من الدين التحري في طلب الوالى الأصح، وهواماة فعدم
التحري في ذلك خروج عنها الى رذيلة الخيانة. والتوحي: طلب القصص. والنلم: الكسرو
كسب به عن الحياة. وحدوه لهم أي: حته. والضمير في قوله صلاحهم: يعود الى اهل
الخراح. والشرب: الصيب من الماء. والبالاة اليسير من الماء تَبَلُّ به الأرض. واحالة
الأرض: تعيرها عما كانت عليه من الاستواء فلم ينتجب زرعها ولم يثمر نحلها. واحجف
بها: ذهب. تجحك أي: اطهار سرورك وفخرك. ومعتمد أي: قاصداً. ولاجمام:
الراحة. والرفق: ضمة العف. والاعواز: الفقر. وسوء ظنتهم بالقاء أي: بقاء العمل في
أيديهم. وقوله: ولا يضعف الى قوله الامور أي: يكون ممن اذا عقد لك عقدة امر أحكامها
وإذا عقد عليك غيرك امرأ قام بحله. ولا يدخل في امر الأبعد معرفته به. واستنام الى
الأمر: سكن اليه، واعتمد عليه. وقوله: ليس وراء ذلك أي: تصمتهم لفراصة الولاية.
واعمد أي: اقصد. وتقابيت: تعاضت. والرمته أي: عسده وفي الآخرة. ولما أوصى

بالتحار ودوى الصاعات، بته عبي ذلك بضميرين صغرى لاول قوله: فإنهم مواد المنافع الى قوله: يجترثون عليها، وذلك: اشارة الى وجود المنفعة منهم. وصغرى اثنانى قوله: فانهم سَلَّمُ الى غائلته. و اشار بذئ: الى عدم لمضرة منهم. والمترقى بسدته: طلب المنفعة بصنعته، و المطارح جمع مطرح وهى: الارض لسعدة. ولا يلتئم لباس لمواضعها وذلك: كالحبال وبحار. والضمير فى مواضعها: للمرافق. والبائقة: الدهية. والغدلة: الشئ. وصيق: البخل. والاحتكار: حبس المافع عن الناس عند الحاجة اليها، وورد السهى الشرعى عن ذلك فى الاحناس لئى يعم نفعها ويكثر الحاجة ليها، و هى الحطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح، والتحكم فى الباعات: ان يبيع على حكمه بمجرد اهوى من غير رجوع الى شريعة أو عرف. وقارف كذا أى: اكتسبه. وفعله. والحكْمَ بالضم: الاسم. ابؤس: اشدة. والقانع: السائى يقتنع بما يعطى. والمعتز: انذى يتعرض للطاء من غير سؤال. والصوفى: جمع صوفية وهى أرض العيمة. والأقصى والادنى اى: الأبعد عك ولأدنى منك. والطنز: تجاوز الحد فى التفرح والنشاط. و اراد لا يكن لك نظريما انت فيه من الأثرة فشتغل عنهم. والتافه: الشئ القليل. وبشخص همك تروعه. وتصعر الخد: أمانته^١ وتفتحمة العيون: تزديده. واعدد الرجل: اذا عذر. وذوى الرقة فى السن: المجرزون الذين رقت حالهم عن تحصيل المعاش. ولا ينصب للمسألة نفسه اى: حياء وتعفف.

الفصل الثالث

هى اوامرو نهى مصلحية وآداب خلقية وسياسية، بعضها خاصة بنفسه واحوال عبادته وبخاصته وعمله الى غير ذلك، وهو قوله:

وَاجْتَنِبْ لِدَوَى الْخَاجَاتِ مِثْلَكَ قِسْمًا تَفَرَّجُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصُكَ، وَتَجْبِسُ لَهُمْ تَجْلِيًا عَامًا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِّلَّهِ الَّذِى خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جَنْدَكَ وَأَعْوَالَكَ مِنْ أَخْرَاسِكَ وَشُرَاطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرُ مُسْتَعْتَبٍ، فَبَاسَى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ بى غَيْرِ مَوْضِعٍ: (لَنْ تَقْدَسَ أُمَّةٌ لَا يُوحَدُ لِلصَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوَى غَيْرِ مُسْتَعْتَبٍ)^٢ ثُمَّ

١- فى نسخة ش: امانته كبراً. ٢- النهاية فى الحديث ١/١٩٠.

اِخْتِمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعَمَى، وَنَحَّ عَنْكَ الضُّيقَ وَالْأَنْفَ يُسْطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ اِكْتِنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَيْئًا، وَأَمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَابٍ
ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ هُمَا لِكَ بِمَا يَغْنَى عَنْهُ كُتَابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاسَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ ضُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْنُ يَكُلُّ يَوْمَ عَمَلُهُ؛ فَإِنَّ يَكُلُّ يَوْمَ مَا فِيهِ، وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ يَلِكِ التَّوَاقِيَةِ، وَأَجْرَكَ يَلِكِ الْأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّيَّةُ.
وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخَيِّصُ بِهِ اللَّهُ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللَّهُ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَقْتُ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرُ مُتَلَوِّمٍ وَلَا مُتَقَوِّصٍ بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تُكُونَنَّ مُتَقَرِّبًا وَلَا مُتَصَبِّحًا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيْسَ وَجَّهَنِي إِلَى السِّمَنِ كَيْفَ أَصْلَى بِهِمْ؟ فَقَالَ «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَصْحَابِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^١.

وَأَمَّا بَدَنُكَ، فَلَا تَطْلُوقَنَّ اخْتِجَابَكَ لِمَنْ رَعَيْتَكَ؛ فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوَلَدِ عَنِ الرَّعِيَةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضُّيقِ، وَقِيلَ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ وَالْإِحْتِجَابُ بِهِمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اخْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضَعُ عَنْدهُمْ الْكَبِيرَ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرَ، وَيَقْصُرُ الْحَسَنُ وَيَخْصُرُ الْقَبِيحُ، وَيَسَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ؛ وَأَنْتَا الْوَالِي بِشَرٍّ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعَرِّفُ بِهَا ضُرُوبُ الصَّدْقِ مِنَ الْكُذْبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَمْرٌو سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبُذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيهِمْ اخْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ؟ أَوْ يَفْعَلُ كَرِيمٌ تُسَدِّدُهُ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنَاجِ فَمَا أَسْرَعَ كَيْفَ النَّاسِ عَنْ مَسَائِلِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاسَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوَاقِفَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مُظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِظَانَةٍ فِيهِمْ أَمْنِيَّتَانِ وَتَضَاوُكٌ، وَقِيلَ إِنْصَافٌ فِي مُعَامَلَةٍ فَأَحْسِنِ مَادَّةَ أَوْلِيَاكَ بِقَطْعِ أَشْبَابِ يَلِكِ الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَاشِيَتِكَ قِطْعَةً وَلَا تَبْظُمَنَّ مِنْكَ فِي أَكْثِفَادِ عُمَدَةٍ تُصَرِّبَنَّ بِلَيْلِهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرِّبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ يَحْمِلُونَ مَوَاقِفَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مِنْهَا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَغَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالزَّيْمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَدِيرًا مُخْتَصِبًا، وَاقِفًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مَعْبَةَ ذَلِكَ مَخْمُودَةٌ. وَإِنْ ظَلَمْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَاصْجِرْ لَهُمْ بِعُدْرِكَ، وَاعْذِلْ عَنْكَ طُوبَهُمْ بِاصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَاعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلَاحًا ذَعَاكَ إِلَيْهِ عُدُوكَ وَنَهَى فِيهِ رِضَى؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَا لِحُجُودِكَ وَرَاحَةٍ مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْتُ لِيَلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عُدُوكَ بِمَدِّ صَلَاحِهِ؛ فَإِنَّ الْعُدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَمَعَّلَ؛ فَحَذِرْ بِالْحَرَمِ، وَأَتَمَّهُمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عُدُوكَ عَهْدًا أَوْ أَلَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً؛ فَحُظِّ عَهْدَكَ بِالْوَقَاءِ، وَأَرَعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُذُوءًا مِمَّا أَغْطَيْتَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا النَّاسُ أَشَدَّ عَلَيْهِ أَجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتَبِثِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَقَاءِ بِالْمُعْهَدِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعَذَرِ؛ فَلَا تَقْدِرْ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيَسُ بِعَهْدِكَ وَلَا تَحْلِلْ عُدُوكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ حَقَّ لِلَّهِ عَهْدُهُ وَذِمَّتُهُ أَمَّا أَقْصَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيمًا يُسْكُونُ إِلَيْهِ مَعْبَعَةً، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جَوَارِهِ؛ فَلَا إِعْذَالَ وَلَا مُدَّةَ أَلَسَةٍ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدْ عَهْدًا تُجَوُّرُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلَا تَعُولَنَّ عَلَى لَعْنِ قَوْلٍ بِمَدِّ التَّأَكُّيدِ وَالتَّوَقُّعِ، وَلَا بَدْعُوكَ ضَيْقُ أَمْرِ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِصَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَقَصَلْ عَاقِبَتَهُ خَيْرٌ مِنْ عَذْرِ تَخَافُ تَيْبَتَهُ، وَأَنْ تُجَبِّطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ، فَلَا تَسْتَقِيلَ فِيهَا ذُنُوبَكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالذَّمَّاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ جِلَّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَذْنَى لِيَقْتَمَةِ، وَلَا أَغْظَمَ لِيَقْبَعِ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَأَنْقِطَاجِ مَدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الذَّمَّاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الذَّمَّاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَا تُقَوِّرَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دِمِّ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَيِّعُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَهْلِكُهُ، وَلَا عُدْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِشْرَى فِي قَتْلِ الْقَمِيدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ الْإِدْنِ، وَإِنْ أَتَيْتَ بِخَطَاءٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ مَعْشُورَةً؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ مِمَّا فَوْقَهَا مَقْتَلُهُ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تَوَدَّى إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَأَيَّادَ وَلَا عِجَابَ بِنَفْسِكَ، وَأَشْمَهُ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَرِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَتَحَقَّ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِهِ الْمُحْسِنِينَ.

وَأَيَّادَ وَلَمْ يَسْرَ عَنِّي رَغْبَتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزْيِيدِ فِي مَا كَانَ مِنْ فَعِيَّتِ أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ فَتُشْبِعَ مَوْعُودَكَ بِحُلُوفِكَ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يُطِلُّ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِثَوْرِ الْحَقِّ، وَلِخُفِّ يُوجِبُ الْعَمَلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: (كَبُرَ مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)!. وَإِنَّكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ النَّقْطَ فِيهَا عِنْدَ إِشْكَابِهَا، أَوِ اللَّحَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ، أَوْ لَوْهَرَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحْتَ. فَصَمَّ كُلُّ أَمْرٍ مَوْصِعُهُ، وَأَوْقَعَ كُلُّ عَمَلٍ مَوْقِعُهُ.

وَإِنَّكَ وَالْإِسْتِثَارَةَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَأُ، وَالتَّعَابِي عَمَّا نَعْنِي بِهِ مِمَّا قَدْ وَصَحَ الْبُغْيُونُ؛ فَإِنَّهُ مَا حُودٌ مِثْلَ لِيُغَيِّرَكَ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَشْكَشِفُ عَنْكَ أُعْطِيَهُ الْأُمُورُ وَيُسْتَصَفَّ مِنْكَ لِلْمُظْلَمِ؛ إِمْلِكُ حَيَّةً أُنْفِكَ، وَسُورَةً حَذِّكَ، وَسُورَةً يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ؛ وَأَخْشِرْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْهَادِرَةِ، وَتَاجِيرِ السُّطُوفِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمُتِكَ الْإِحْتِيَانُ وَلَنْ تُخْخِمَكَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ لِهَمُّومِكَ بِذِكْرِ الْمَعْدِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاحِبُ عَيْنَكَ أَنْ تَنْدَكُرَ مَا مَضَى لَمْ تَقْدَمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سَيِّئَةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ فَرِيصَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَتَفْتَسِدَ بِمَا شَهِدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي أَتْبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَاسْتَوْفْتُ بِهِ مِنْ الْعُجَّةِ لِنَفْسِي عَيْنُكَ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرَعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوقِفَنِي وَإِنَّكَ لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ مِنَ الْأَقَامَةِ عَلَى الْغُدْرِ أَنْوَاصِجَ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ النَّشَاءِ فِي الْبِنَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعَةِ، وَتَضَعِيفِ الْكِرَامَةِ، وَأَنْ يُخَيِّمَ لِي وَلَتَ بِالْمَعْدَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

السَّرَطُ: العلامة، وَاسْمُ الشَّرْطَةِ بِذَلِكَ، لِأَعْلَامِهِمْ أَنْفُسُهُمْ بِعَلَامَةٍ يَعْرِفُونَ بِهَا. وَالتَّنْذِيرُ: التَّنْظِيرُ. وَالخُرْقُ الْعَفْ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ: ضِدُّ الرِّفْقِ. وَالضَّبِيقُ: سَوْدُ الْخَلْقِ. وَكَأَنَافَ رَحْمَتِهِ: حَوَانِهَا وَأُمُورٌ مَبْتَدَأَ قَدَمَ حَرِهِ أَيْ ثَمَّ هَاكَ أُمُورٌ وَكَسَى بِحَرْجٍ صَدُورٌ

اعوانه: عن عجزهم عن اصدار ما يرد عنهم. وأجزل: عظم. والحزل: لعظم. وقوله وإن كانت كتبها الله إلى قوله والرعية: إشارة إلى حسن التدبير في الولاية عن الامام الحق بعباده. ومقرأى: يطوّن الصلاة. والضمير في مهمم: للولاية. وقوله فيصفره إلى فوه: القبيح: إشارة إلى المعاسد الباردة من الاحتجاب. والضمير في عدهم: للرعية. و صفر الأمر الكبير: كان يطمئ القوي فيصغر الناس حرمة، وكبر الضعيف كان يقع من بعض الضعفاء صغيرة فيعظمها الناس، وكذلك فتح لحسن، وحسن التبحر، والسمات: العلامات. وتلك الأحوال، إشارة إلى الاستينار والتطول وقلة الانصاف^١. والحسم: القطع واسباب تلك الأحوال هو: كما أشار إليه وبهذه عنه من اقطاع الفطائع لحاشيته و خاصيته وهي قربانيته. واعتقاد: العقد، وكفى بها عما يُفتنى من الضياع. واسمعة: الضيعة، والمكان كثير اشجر والنخل. واعتقد الضيعة: اقتناها. ومن لزمه أى: الحق. و محتسباً أى: مقرباً به إلى الله تعالى. وقوله: واقعا ذلك، أى: الرام الحق، وحيث وقع أى: من شغل ارضي مهمم، وعاقبته: هو ثواب الآخرة واذكر الجميل^٢.

ومعقة ذلك: عاقبته المذكورة. وأصحر: طهر. والدعة: الراحة. ولما استوبو، أى: لما وجدوه من الويال في عاقبة أعبده وهو وحفها وسوءها. وحاس بالعهد: نقضه. والختل: الخداع، ونية على أن الخداع بالمعاهدة والهدر بها جرأة على الله يستنزم الشقاوة. بقوله: فإنه إلى قوله: شقى، وفيه: تنبيه على ضمير تقدير صفراء فذلك بذلك مجتر على الله و تقدير كبراه، وكل مجتر على الله تلزمه الشقاوة الأخروية. و فصا: وسعة وبسطة. و يستفيضون: يندفعون إلى جورهم وزومهم. والادعاء: الفساد. والمعدالة: معايلة من التدليس. والعلن: الاحداث المفسدة للعهود ونحوها. ولحن القول: كالتورية، و التعرص فيه. كما ادعاء طلحة في بيعته لعلي عليه السلام. ولا يستقل ويتلفى إلا الحير، و زوى يستقبل بالياء أى: لا يكون لك من تلك الشيعة أقلية في الدنيا والآخرة. وأخرى: أولى. والقود: قتل العاتل بالمقتول. وأمرط: سبق. والوكرة: مثل انضربة بجمع اليد على الذقن. ولا يطمحن أى: لا ترتفع. والفرصة: امكان الشئ من نفسه. وتزيد: إظهار

١- هي ش: الانصاف.

٢- من كلمة فوه، إلى آخر السطر غير موجود في نسخة ش.

الزيادة مع عدمها في معرض الافتخار، ونفر عن المن، والتزبد، والخلف: بضماثر ثلاثة وتقدير كبرياتها، وكل ما كان كذلك فلا يجوز فعله، ونبه على صغرى الثالث، وهي قوله: الخلف، الى قوله: الناس، ضمير صفراء قوله: فان الله سبحانه. الى قوله تفعلون. و قولهم مالا يفعلون هو الخلف، وتقدير كبراه وكل ما وعد الله المقت على فعله، اوجب فعله المقت عنده وعند الناس. والمجلة في الامور قبل اوانها. واللجاجة في طلبها اذا تنكرت اى: لم يعرف وجه تحصيلها. وتمسرت: هو طرف الافراط في طلبها، والتساقط فيها والقعود عنها عند امكانها، والوهن عنها عند وضوحها. وضع كل امر موضعه. واسوة اى: سوءا. التغافل: التغافل. ويعنى به اى: ما ينبنى العناية به من رد المظالم الواقعة منك او بسببك. و اشار باغطية الامور الى غطاء البدن، وهيئة الحاجة لحقائق الأمور ان يدركها بعين بصيرته. وحماية الانف: العصب والأنف. وسورة حدته: غضبه وبأسه. وغرب اللسان: حدته. والبادرة: سرعة السطوة والعقوبة. والعلة: التعلل بما يشبه الغدر.

واعلم ان مقاصد هذا العهد واضحة بسطة ولا مزيد على ما اودعه عليه السلام من الحكمة الخلقية والمدنية والسياسية، **وكمالات القوة العملية التي ورثها الأنبياء والمرسولون أوصيائهم، والحكماء السابقون من بعدهم، وكفى بذلك شرفا وفضلا وبالله التوفيق.**

٥٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كُنْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدْ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أَتَابِعْهُمْ حَتَّى يَتَّبِعُونِي، وَأَنْكُمَا مِنْ أَرَادَنِي وَبَاتِعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَاتِعْنِي لِسُلْطَانِ غَائِبٍ، وَلَا لِمَرْضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَاتِعْتُمَايَ طَائِعَتَيْنِ فَارْجِعَا وَتَوَبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَاتِعْتُمَايَ كَارِهَتَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَى كُنْهِي السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُتَهَاجِرِينَ بِالنِّمَةِ وَالْكِشَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ [مِنْ] قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَيْنِكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِفْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَسَيِّ وَبَيِّتُكُمَا مَن تَحْلَفُ عَنِّي وَعَنْكُمَا مَن أَهْلُ
الْمَدِينَةِ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أَمْرٍ بِبَقْدَرٍ مَا أَحْتَمِلُ. فَأَرْجِعَا أَيُّهَا السَّيِّدَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ لَنَا
أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارَ مِنْ قَتْلِ أَنْ يَخْتَمَعَ لِعَارُ وَشَارٍ.

اقول: حزاعة: قبيلة من الازد. والاسكفي: مسوب الى اسكف^١ رستاق كبير كان
بين النهروان والبصرة. وكتاب العقومات: الذي صَنَعَهُ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ فِي مَنْقَبِ
امير المؤمنين عليه السلام^٢. وقوله: ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أَمْرٍ أَيْ: مِنَ اللَّائِنَةِ وَالْعَارِ بِقَدَرِ مَا أَحْتَمِلُ
مِنَ الْإِثْمِ وَالْعَذْرِ. وَالْعَرَبُ تُعَبِّرُ بِالْعَدْرِ وَبِقُصْرِ الْعَهْدِ كَثِيرًا. وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

٥٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُحْنَةٌ خَفِيَّةٌ دُنِيََا بِنَا تَعْدُو، وَبَتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا حُفَاةً، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرًا، وَإِنَّمَا وَصِفْنَا فِيهَا لِنُتَلَى بِهَا، وَقَدْ
ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَيَّ تَطَلُّبَ الدُّنْيَا بِدَوْبِ
الْفُرْتَا، فَطَلَسْتَنِي بِمَا لَمْ تَحْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَصْتَهُ أَنْتَ وَالْهَلُ اسْمًا بِي، وَأَنْتَ
غَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَدِيدُكُمْ، فَتَقَرَّبَ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، وَنَازَعَ الشَّيْطَانُ قِيَادَكَ،
وَضَرَفَ إِلَيَّ الْآجِرَةَ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَآخَذَرَأْتُ يُصِيبُكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ
قَارِعَةٍ تَمْسُ الْأَصْلَ، وَتَقَطُّعُ الدَّامِرَ؛ فَبَانِي أُولَى لَكَ بِاللَّهِ أَيْةٌ عَزِيزَةٌ جَرَّةٌ لَسْتُ جَمَعْتَنِي
وَأَذَلِكَ جَوَامِعَ الْأَقْدَارِ لَا أَزِلُ بِسَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)^٣.

اقول: ارد بالسعي فيها: السعي المذموم في طلبها لنفسها، وقد سبق معنى ابتلاء

١ - معجم البلدان ١ / ١٨١.

٢ - فهرست ابن السكيت / ٢١٣.

٣ - سورة الاعراف / ٨٧.

لعاده. ووجه كونه عليه السلام، حجة على معاوية: دعائه ياه الى طاعة الله، وذلك حجة الله عليه ان يقول يوم القيامة انى كنت من العافلين. ووجه كون معاوية حجة عليه: عصيانه لله ومحاربتة اياه، حتى لو قصر فى مقاومته كان ملوماً، فكان معاوية حجة الله على تقصيره فى طاعته: وعدوت: يحتمل ان يكون من العدو فهو الجرى، او من العدوان، و تأويل القرآن كقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الفصص فى انقتلى) ١ وتأويله لذلك: بإدخال نفسه فيه و طلب الفصص لعثمان، واتما دخل بالتأويل: لان الخطاب خاص ممن قتل، وقتل منه، ومعاوية بمنزلة من ذلك، اذا لم يكن ولّى دمه فأول الآية بالعموم: ليدخل فيها. وما لم تجز يدى، اى: من القتل والمشاركة فيه. وعصيته: عفته. والتليب: التحريض. والفارعة: الذاهية. والداير المتأخر: من النسل. والالية: اليمين. و بساحة الدار: ساحتها. وفى وعيده بعدم انصكاكه عه الى الغاية المذكورة سلاغ فى التخويف والانذار.

٥٥- وَمِنْ وَصِيَّةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَصَّى بِهَا شَرِيحُ بْنُ هَانِي^٢، لَمَّا حَفَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ إِلَى الشَّامِ

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَحَفَّ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْعَرُورَ وَلَا تَأْمَنْتَهَا عَلَى خَالٍ، وَغَنَمَ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَرْزُقْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَحَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا زَادِعًا، وَلِتَرْوَنَكَ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ وَأَقِمَّا قَائِمًا.

اقول: لا تأمنها على حال اى: تركن اليها اليقة، لانها غرور ونمسه التى أمر بكفها: الامارة بالسوء. والسزوة: الوثبة. والحفيطة: العصب. والرادع: الذى يرد الشئ أقبح الرد. والوقم: الفهر والاذلال. وكذلك التقمع.

١- سورة البقرة / ١٧٨.

٢- شريح بن هاني بن يزيد الحارثي الهمداني هتلى في سجنستان سنة ٧٧٨هـ.

٥٦ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي سَرَحْتُ مِنْ حَيِّ هَذَا، إِثْمًا ظَالِمًا، وَإِثْمًا مَظْلُومًا، وَإِثْمًا تَائِبًا وَمِثْمًا مُتَعَبًا عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا، لَمَّا نَعَرَ إِلَيَّ؛ فَإِنْ كُنْتُ مُخْسِبًا أَعَانِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيبًا اسْتَعْتَبَنِي.

أقول: الحَيِّ: القليلة، وقوله: إِثْمًا ظَالِمًا، الى قوله عليه: من باب تجاهل العارف، او لأن أهل الكوفة لم يكن بعد طهرت لهم القضية ليعرفوا الظالم من المظلوم ومن بلغه: مفعول اول لا ذكر آخر لظومه. ولما مشددة: بمعنى الآ، ومخففة هي «ما» رائدة دخل عليها لام التاكيد، اي: لينصرف الى. والله التوفيق.

٥٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كتبه إلى أهل الأمصار، بَقِصُ فِدَا حَرَى بِيهِ وَبَيْنَ أَهْلِ صَفِين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّفَنُّيسُ وَتَقْوَمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَأَطْعَمُوا أَنْ رَبَّنَا وَاحِدًا، وَنَبِيَّنَا وَاحِدًا، وَدَعَوْتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةً، وَلَا نَسْتَرْيِدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّينَ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَرْيِدُونَا: الْأَمْرُ وَاحِدٌ لَا مَا أَحْتَلِنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ تَرَاءُ قُلْنَا: تَدَلُّوا نُدَاوِمًا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِطَعْدِ السَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعُدَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمَعَ قُتُوبُ عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاصِعَهُ، فَقَالُوا: سَنُذَاوِيهِ بِالْمَكْرَةِ! فَأَتَوْا حَتَّى جَحَحَ الْحَرُثُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ لِيرَأُهَا وَحِيسَتْ. فَمَّا صَرَّسْتَنَا وَإِنَّا هُمْ، وَوَضَعْتَ مُحَالِيَهَا بَيْنَ وَجْهِهِمْ، أَحَاسُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْإِذَى دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَا هُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَحْنَاهُمْ إِلَى مَا ظَلَمُوا، حَتَّى أَشْبَاهَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ لِمُعَذِرَةٍ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَنْبٍ مِنْهُمْ فَهُوَ لَبِى أَسْفَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَحَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّائِيسُ الْبَدِى رَنَ اللَّهُ عَلَى قَبِيهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ.

اقول: يروى بده امرئ اى: مبتدئه. والثائرة: العداوة. وقوله: فملنا، الى قوله مواضعه: كناية عن دعائه لهم الى حق الدعاء بترك الحرب. وقوله: فقالوا الى قوله المكبرة: كناية عن إبانهم ومخالفهم له. وجنحت: مالت. وركدت: ثبتت. وحملت: اشتدت. وروى بالشين المعجمة اى: النهت غضباً. واحبهم الى ما دعاهم اليه طلبهم للصلح، وحقن الدماء: صبيحة لينة الهرير كما سبق، واجابته لهم فى رضاه: بالتحكيم وظهور الحق عليهم، برحوتهم الى عين ما كان يدعوههم اليه من حقن الدماء، وفى ذلك تقطاع عذرهم: فى المصالبة بدم عثمان. اذ كان سكوتهم عن دم صحابى لا حق لهم فيه، اسهل من سفك دماء سبعين انفاً من المهاجرين والانصار والتابعين بإحسان. ومن تم على ذلك اى: على الصبح والرضا به، فهو لى انقذه الله اى: احبسه من الهدى. ومن لى اى: فى انكار الصلح، وتحكيم كتب الله وتمادى فى ذلك اى: اقام عليه، وهم الخوارج، واستعار لهم لفظ الركن، وهو: المردود مقلوباً باعتبار انكاس عقولهم، فى ظلمة الجهر، واشبه اساطلة، بعد استنارتها وظهورها بنور الايمان او انتكاسهم فى العقوبة، والقتل فى الدنيا، والعدب فى الآخرة كقوله تعالى: (والله أركسهم بما كسبوا) اى ردهم الى عقوبة كفرهم.

٥٨- وَمَنْ كِتَابَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الأسود بن قطينة صاحب جند حنوان

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَايَ بِذِ احْتَنَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَتَيْنُكَ أَمْرُ الدَّسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ قَبْلَهُ لَيْسَ فِي لُحُورِ عَوَضٍ مِنَ الْعَدْلِ، وَخَبِثَ مَا تُكْرِئُ أَثْمَلَهُ، وَأَبْتَدَيْكَ نَفْسَكَ فِيمَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَجِيّاً تَوَابُهُ، وَمُسْتَحَوّاً عَقَبُهُ. وَأَعْنَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ تَقْرَعْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ قَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ لِقَائِهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُعِينَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنْ الْحَقِّ عَلَيْكَ جِعْطُ نَفْسِكَ؛ وَالْإِخْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَةِ بِحُكْمِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

أقول: ما تسكر ماله: من غيرك، ولم يفرغ أي: من العمل في طاعة الله وحفظ
نفسك أي: في الآخرة. والاحتساب على الرعية أي: بالأحد على أيديهم في الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر. وقوله: فإذ الذي إلى آخره: صغرى ضميرته به على
وجوب الاحتساب، والمعنى، الذي يصل إليك من ثواب العمل بذلك: اوصل مما يصل
إلى الرعية من عدلك، واحسانك إليهم.

٥٩- وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْعَمَالِ الَّذِينَ يَطَّاءُ الْحَيْشُ عَنْهُمْ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عِنِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْحَيْشُ مِنْ حُسَّاءٍ لِحِرَاحٍ وَعُمَدٍ لِي
الْبِلَادِ.

أَمَا يَعْلَمُ قَائِلِي قَدْ سِيرْتُ جُودًا هِيَ مَارَةٌ كُمْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَحِبُّ لِلَّهِ
عَنْهُمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّدَى، وَأَنَا أُرِيكُمْ وَإِلَى دَفْعِكُمْ مِنْ مَعْرِةِ الْحَيْشِ إِلَّا
مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَأَتَعِدُّ عَنْهُمْ مَذْهَبٌ إِلَى شَيْعِهِ فَنَكَلُو مَنْ تَسَاوَلُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ظَلَمًا عَنْ
ظُلْمِهِمْ، وَكُمُوا أَيْدِي سَهَائِكُمْ عَنْ مُصَادِقِهِمْ وَاسْتَعْرِضْ نَهْمٌ فِيمَا اسْتَشْتَبَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ
ظَهْرِ الْحَيْشِ؛ فَارْقَعُوا إِلَيَّ مَطْلَ لِمَكُمُ وَمَا عَرَاكُمْ وَمَا يَعْنِيكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا تُبْقِرُوا دَفْعَهُ
إِلَّا بِاللَّهِ وَيَسَى، فَإِنَّا أَعْبَرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ.

أقول: الشدَى: الشرا. ومعرة الحيش: مصرته. وَكَلُّوا: جَبَّوْا وَخَوَّفُوا، وما استشه
مهم هو جَوْعَةُ الْمُضْطَرِّ. وكونه بين اصهر الحيش. كناية عن كونه مرجعاً لهم. وعراكم:
غشيتكم.

٦٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى كميل بن زياد المحمى، وهو عامله على هيت، يُكرِّم عليه تركته دَفْعَ مَنْ بَخَّارِهِ مِنْ حَيْثِ
الْعَدُوِّ طَالِبًا الْعَاذَةَ

أَنَا بَعْدُ؛ فَإِنْ تَضَيَّعَ الْعَزْءُ مَاوَلَى، وَتَكَالَفَ مَا كُنَى، لَعَنَ حَضِرٌ، وَرَأَى مُتَبَرٍّ، وَإِنْ
تَغَيَّبَكَ الْعَاذَةَ عَلَى أَهْلِ فَرْقِسِيَا، وَتَغَضَّبَكَ مَسْلِحَكَ الَّتِي وَلَيْتَكَ، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا
وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأَى شَعَاعٌ؛ فَقَدْ صِرْتُ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْعَاذَةَ مِنْ أَشْدَائِكَ عَلَى
أُولَئِكَ غَيْرِ شَدِيدِ الْمَشْكِبِ وَلَا مَهْجِبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادَ ثَمَرَةٍ، وَلَا كَاسِرَ شَوْكَةٍ، وَلَا مُعْنٍ
عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلَا مُخْرِجٍ عَنْ أَمِيرِهِ وَالسَّلَامُ.

أقول: المتبر: الهالك الصاعد. والشعاع: المتفرق واستعار له لفظ الحسر باعتبار عبور
العدو إليه الى عمله. وشدة المكسب: كدبه عن القوة على الدفع. والثمرة والثعر: الفرح
من البلدان تحتاج الى السد بالرجال. وشوكة: لقوة.

٦١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أهل مِصْرَ، مَعَ مَالِكِ الْأَشْتَرِ لَمَّا وَلَاَهُ إِمَارَتَهَا

أَنَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَذِيرًا لِبَنِي آدَمَ،
وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَلَّاهُ
مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَحْظُرُ بِنَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُرْعِضُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ تَعْيِيدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا تَهْمُ مُنْخَوِّعَةٌ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ؛ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَتَيْنَاكَ لِلنَّاسِ عَلَى
فُلَانٍ بِنَايَعُوهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً النَّاسِ فَدَرَحْتُ عَنْ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى
مَخْذُومِ دِينِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَحَيْثُ إِنَّ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى
فِيهِ شَيْئًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَنِّي أَضْمَ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا يَنْتَكُمُ إِلَيَّ إِنَّمَا هِيَ مَدْعَى أَتَامَ
فَلَا يَلْ يَنْزِلُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَرَوْنَ السَّرَابَ أَوْ كَمَا يَتَمَسَّ السَّحَابُ، فَتَهَضَّتْ فِي تِلْكَ

الْأَحْدَاثِ حَتَّى رَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَظَلَمَاتُ الدِّينِ وَنَهَتْهُ

ومنه: إِيَّيَّ وَآلِهِ لَمْ يَلْقَيْهُمْ وَاحِدٌ، وَهُمْ طِلَافُ الْأَرْضِ كُنْهًا مَا نَالَتْ وَلَا اسْتَوْحَشَتْ،
وَرَأَى مِنْ صَلَاتِهِمْ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ وَلَهُنَّ أَيْدِيٌ أَمَّا عَتَبَةُ لَعَلَّى بَصِيرَةً مِنْ تَقَبُّسٍ وَتَقَبُّسٍ مِنْ
رَبِّي، وَرَأَى إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لِمُسَاقٍ، وَخَسِيسَ تَوْبِهِ لِمُسْتَبْرِرٍ رَاحٍ، وَلَكِنِّي أَمْسَى أَلَدِي أَيْ أَمْرَ
هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَهُ وَهُوَ وَفِي رُفْهٍ؛ فَيَسْجُدُوا قَدَامَ اللَّهِ دُورًا، وَعِبَادَةُ خَوَلَا، وَالصَّالِحِينَ حُرَمًا،
وَلِقَائِهِمْ جَزَاءً قَدَّ مِنْهُمْ لَدِي [قَدْ] شَرِبَ مِنْكُمْ الْحَرَمَ، وَجَبَدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَدَّ
مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَنَى الْإِسْلَامِ الرِّصَاخُ، قَبُولًا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتَ تَأْيِيدَكُمْ
وَتَأْيِيدَكُمْ، وَخَمَعَكُمْ وَخَرِصَكُمْ، وَلَرَكْتَكُمْ إِذْ بَيْتُمْ وَوَسَّيْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِيَّيَّ أَطْرَافَكُمْ فِيهِ أَنْتَقَصْتُ، وَإِلَى أَفْصَارِكُمْ قَدْ أَفْطَيْتُ، وَإِلَى مَقَامِكُمْ
تُرَوُّ، وَإِلَى مَلَايِكُمْ تُعْرَى، أَتَبَرُّوا - رَجَعْتُكُمْ اللَّهُ - إِلَى قَتَابِ غُلُوبِكُمْ وَلَا تَدْفَعُوا إِيَّيَّ الْأَرْضِ
فَتَقَرُّوا بِالْخُسْفِ، وَتَوَهَّوْا بِالذَّلِّ، وَيَكُونُ تَصْنِيفُكُمْ الْأَحْسَ، وَإِنَّ آتَا الْحَرْبِ لِأَرْقُ، وَمَنْ نَامَ
لَمْ يَتَمَّ عَنَّهُ، وَلَسْلَامٌ.

اقول: لمهيمن: الشهيد. والروع بالضم: القلب وكذلك الناس. والانصباب:
الانصباب. وقلا هو: ابوبكر. ورجعة الناس الذين رجعوا عن الدين وارتدوا في خلافه.
والمحق: الهلاك. والشم: لكسر. وتلك الأحداث وقائع العرب الذين ارتدوا وروح:
ذهب. وزهق: اصمحل. ونهته: تسع. وطلاع: الارض: ملاؤها. وآسى: أحزن. واراناد
بالسفنهاء والمحار: سوامية. والشؤل بالضم: جمع دولة بالضم والفتح. وانما
حُصِّصَ اصم بالمال، ولفتح بالحرب، هو: ان يصير المال او العلة مرة لهذا، ومرة
لذلك. والخوب: العيد. والذي شرب فيكم الحرام من نبي امية، هو: المعبرة بن شعبة في
عهد عمر حين كان واليًا من قبله على الكوفة فنه شرب الحمر، وصلى بالناس سكران و
زاد في لركعات، وقاء الحمري المحراب قشبه. واعبه وجله الحد. وكذلك عتبه بن ابي
سفيان خلده في الخمر خد من عبدالله الطائف. وارضايخ، جمع رصيخة والرضخ و
الرصيخة: العطية. والذي رُصِّح له قيل: هو ابو مفيان، وابنه مدوية، حين كانا من المؤلفة

قوبهم يستمالون الى بصرة الدين بالطاء، وقيل: هو عمرو بن العاص حين اطعم مصر
على حرب عتي عليه السلام. والتأليب: الجمع والتحرير. والتأليب: التعسف واليوم.
وبيتم: فترتم، والوني: الفتور والضعف والتساقط عن الامر. وتزوى: تقص وتجمع. و
تقروا بالخسف: ترضوا بالذنية والتمصان. تبؤوا: ترجعوا، وماء سكا: رجع به. والاراق:
كثير السهر، وهو كناية عن المنبسط في الامور المهمة بها.

٦٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أنى موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد تلعه عنه تشييطه الناس عن الحروج
إليه فيما تدبهم لحرب أصحاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَبِيصٍ
أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ تَلَعْنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَنْكَ، فَيَا قَدِيمَ رَسُولِي عَمِيكَ فَارْقِعْ ذَيْبَكَ،
وَأَشْدُدْ مِرْرَكَ، وَخَرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَأَتُدْ مِنْ مَعَكَ. فَإِنْ حَقَّقْتَ فَأَنْتَ، وَإِنْ تَقَسَّلْتَ
فَأَنْتَ؛ وَإِنَّمَا اللَّهُ تَوَكَّلْ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكْ حَتَّى يُحْلَظَ زُبُكُ بِخَايِكَ، وَدَائِبُكَ
بِخَايِيدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتُخَذَرُ مِنْ أَمْرِكَ كَمَا خَذَرَكَ مِنْ خَلِيدِكَ، وَمَا هِيَ
بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو، وَلَكِنَّهَا الدَّهْنَةُ كَثِيرِي بُرْتُكَ جَمَلُهَا، وَيَذْنُ صَعْنُهَا، وَيَسْهَلُ جَبَلُهَا.
فَاعْقِبْ عَقْدَتَكَ، وَمُتَبِّتْ أَمْرَكَ وَحُدُوصِيَّتَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ، فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا
فِي نَحْوَةٍ، فَيَا لِحَبْرِي لِكُفَيْهِ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُفَاقَ، أَيْنَ فَلَانَ؟ وَاللَّهِ بِهِ لَحَقٌّ مَعَ مُجْعَةٍ،
وَمَا يُيَالِي مَا صَنَعَ الْمُتَلَحِّذُونَ.

اقول: تطلعه عن الامر: أشعه عنه وأفعله. وبقول الذي هوله وعليه وهو: تشييطه
الناس عن الهوض الى حرب البصرة بقوله: إن ذلك فسه، وما كان يرويه عن الرسول
صلى الله عليه وآله من القعود عن الفتنة وهوله: باعتبار طاهر الدين وعيه: باعتبار أنه تفرغ
من طاعة الإمام الحق واجب الطاعة. وخروج عنها بالجهل، وذلك عائد على فاعله
بالمصرة الاخروية والدنيوية. ورفع ذنبه وشدة مسرره: كناية عن تشميره في المسارعة الى
امره. واستعار لفظ الحمر لبيته: ملاحظة لشبهه بالتمليب ونحوه. وأدب أئى: أبعت. و

قوله: و ان حقت اى: ما حس فيه من هذا الأمر و صحة وجوب المتابعة فيه فانقد في ذلك و امض فيه. و ان تفشيت اى: جهنت و ضعفت عن معرفة ذلك فابعد عنا و عنه. و قوله: حتى يخلط، الى قوله: بحاملك، كالمثليين كثر. بهما عن خلط حواله الصافية بالتكدير كعزته بذلته، و سروره بغمه، و سهولة امره بصعوبته.

و القعدة: هيئة القعود، و اما جعل الحذر من خف اصلا في التشبيه: لانه المعتاد في الحذر، و هو كاية عن غاية الخوف.

و قيل: أراد حتى تخاف من الدنيا كخوفك من الآخرة. و قوله: و ما هى بالهوين، اى: و ما القصة المعهودة بالهينة السهلة. و قوله: يركب حمها، اى: قوله جبها اى: يركب الجمل فيها و يذل الصعب الداخ فيهما. و استعار لفظ الجبل: للثابت من رجاء، الرابط: الجأش. و يسهل اى: يمين فيها و يذل، كل ذلك، كناية عن شدنها. و عقبك مصدر يقان: فلان عقل عقله اذا رجع نفسه كأنه شعر شعوره بالشئ، فنصه اى: اعقل عقبك بهذه الحال العظيمة. و قيل: هو مفعول به. و اعقله مأخوذ من لعقال اى: اضبط عقبك و احبسه على معرفة الحق لا يفرقه فيما لا ينسئ. و نصبيه من حظه اى: من طاعة الله. و قوله: بالحرى لتكفيس، اى: خالاً جبراً و لا ولى ان تكفى مؤنة هذا الامر، و انت نائم عن طاعة الله حتى لا يسأل عنك و لا تلتفت اليك. و الضمير فى آته: للامر المدعو اليه. و ألحد فى الدين: مال عن الاستقامة فيه. و بالله التوفيق.

٦٣ - وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية، حواماً

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْسُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْحَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسَ أَنْ آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنْ آمَنَّا وَفَيْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ آتُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَزَاءً. وَذَكَرْتُ أَنِّي فَتَلَسْتُ ظِلْحَةَ وَالرُّنْبِ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ وَنَزَلْتُ، الْمِضْرَيْنِ! وَذَلِكَ أَمْرٌ غَيْبٌ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا أَلْعُدُّوهُ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ رَأَيْتَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ ،
فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَزٌ فَاسْتَرْفِفْ؛ فَإِنِّي إِنْ أَرَدْتُ قَدْ لَيْكَ جَوِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ
مِنْكَ ! وَإِنْ تَرَأَيْتَ فَكَمَا قَالَ أَخُو تَيْ أُسِدْ :

مُسْتَفِيلِينَ رِيَّاحَ الصَّبِّ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ تَنْزِلُ أَغْوَارٍ وَجُلُودٍ
وَعَيْدِي السَّيْفِ الَّذِي أَغْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَحِيدٍ
وَأَنَّكَ - وَ اللَّهِ - مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفَ الْقَسْبَ ، الْمُقَرَّبُ الْعَقْلَ ؛ وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ
رَقِيتَ سُلْسِمًا أَظْلَمَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عَلَيْكَ لَأَنَّكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالِّتِكَ ، وَرَغَبْتَ غَيْرَ
سَائِتِيكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِيهِ ، فَمَا أَبْنَدَ قَوْلَكَ مِنْ فَيْدِكَ !! وَقَرِيتَ مَا
أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَدٍ وَأَحْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ اسْقَاوَةٌ وَتَمَتَّى الْبَاطِلُ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَصُرُّوا مُضَارِعَهُمْ حَيْثُ غَبِثْتَ نَمَّ يَدْفَعُوا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَنْتَعُوا حَرِيمًا يَوْجِ
سُبُوفٍ مَخْلَاطِهَا الْوَعَى ، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا .

وَقَدْ أَكْثَرْتُ فِي قِتْلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ لِيَسَا ذَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى
أَخِيكَ وَآلِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا بِذَلِكَ لَيْتِي تُرِيدُ ؛ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ الْبَيْنِ
فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

اقول : امس : كناية عن بدأ الاسلام . وفتنتم ، اى : ابتليتكم بالبغي . و متن اسلم
كرها : ابوسفيان كما نهبنا عليه فى الاصل . و ستعار لفظ الانف : لأشراف المسلمين ،
باعتبار شرفهم وتقدمهم كالانف . واشترى : الإبعاد . وَالْمُضَرَّيْنِ : البصرة والكوفة ، وقوله
ولقد انقطعت الهجرة يوم اسراخوك اشارة : اى انهم لم يكونوا من المهاجرين ، اذ كان
هو وابوه و جماعتهم ممن أُخِذَ يوم الفتح ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
فأطلقهم وسمّاهم بالظلاء ، بعد ان اسموا يومئذ كما سبق بيانه .

وقال صلى الله عليه وآله يومئذ : لاهجرة بعد الفتح ، وروى اسراخوك واخوه المأسور
هو عمرو بن ابي سفيان يوم بدر . وجه التمثيل بالبيت انه لا حظ مشابهة استقبال معوية
له باستقبالهم رباح الصيف فى شدة حرها ، وحملها للحصاة فى وحوه مستقبها ، ومشابهة
نفسه و جمعه مرياح الصيف الموصوفة باعتبار شدّة بأسهم وسطوتهم . و استعار بحسب

تلك المشابهة لفظ الرياح المذكورة وأوصافها لهم. والعاصب: اريح الشديدة ترمي بالحصباء، والأغوان: المنحفضة من الارض جمع غور والحلمود: الحجارة. واغصصت السف بفلان أى: جعلته يعص به وهو من المغلوب لأن المضروب هو الذى يعص بالشيف. وقد ذكرنا أنه عليه السلام قتل جده لأمه، وخاله، وأخاه حنطة يوم بدر. وروى اعصصته بالضاد المعجمة: استعارة. وما: بمعنى الذى. ولعط الأغلف: مستعر لعلبه باعتبار كونه معصى بالشبهات والهيئات البدنية الحاجبة له عن ادراك الحق. وفلان مقارب العقل، أى: قلبه وناقضه. وقوله: نشدت الى قوله: مائتلك مثلاً: كنى بهما عن طلبه لما ليس له بحق. وقوله: هو طلبه: لما ليس له نحلة عثمان، وفعله وحركته فى طلب الملك، وما: مصدرية محلها الرفع بالإبتداء، وقريب خبره مقدماً. قين: فمن اهل الشقوة، من جهة غمومته حمالة لحطب. ومن جهة خوولته الوليد بن عتبة. ويدخل فى ذلك: عمومة ابويه كشية عم هذيل والباطل: الذى كانوا يتمنونه كلصرة على محمّد عليه السلام، واقامة امر لشرك. وحيث عدت كبدرو حنين، وغيرها من المواطن. والوغى: الحرب. وقوله: ولم تمسه لهوى، أى: لم يلحق ضربها هون ولا سهولة. وما دخل فيه الناس: هو بيعته عليه السلام وطاعته. وأما تلك كنى تريدها: فهى خديعة بتعليقه، وبغية إغاية أن يرضى باقراره على اشام. وبالله التوفيق.

٦٤- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَيْهِ أَيْضاً

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِالنَّمَجِ النَّاصِرِ مِنْ عَيْنِ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ سَلَكَتَ مَتَارِجَ
أَسْطَرَكِ بِأَدْعَايِكَ الْإِبْطِيلَ، وَفَعَلَيْكَ غُرُورُ نَمَاسٍ وَأَلَا كَاذِبٌ، وَبَانَتْحَالُكَ مَا قَدْ عَلَا
عَدَّتْ، وَأَبْنَزَارُكَ إِنَّمَا أَتَحَرَّرَ ذُوْنُكَ، فَرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُودًا إِنَّمَا هُوَ الرَّمُّ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ
وَدَمِكَ؛ يَمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمَعْتُ، وَنَبِيٌّ بِهِ ضَرْبُكَ، فَمَاذَا تَعْدُ لِحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ لُمُوسُ، وَتَعْدُ
الْبَيَانُ إِلَّا النَّسْ؟ فَخَدِّرِ الشُّبُهَةَ وَأَشْرِمْهَا عَلَى لُبْسَتَيْهَا؛ فَإِنَّ الْبَيْتَةَ طَالَمَا أَعْدَفَتْ جَلَابِيَّتَهَا،
وَعَشِيَتْ الْأَبْصَارَ طُمَعْنَتَهَا.

وَقَدْ أَنَانِي كِتَابُكَ مِنْكَ دُونَ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السُّلَمِ؛ وَأَسَاطِيرُ لَمْ
يَحْكُمَهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْحَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَائِبِ فِي الدُّيَاسِ،
وَتَرَفَّتْ إِلَى مَرْقَبَةٍ تَبِيدَةُ لَمَرَامِ نَارِ حَيَّةِ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأُنُوقُ وَيَحَادِي بِهَا الْعِوُوقُ.
وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلَى لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا أَوْ أُجْرَى لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ غَفْدًا
أَوْ غَفْدًا!! فَيَمِزُ الْآنَ قَتْدَارَكَ نَفْسَكَ وَأَنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ قَرَّمْتَ حَتَّى يَتَهَدَّ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ
الْمُجْتَبَى عَيْنِكَ الْأُمُورُ، وَمَيِّتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ؛ وَالسَّلَامُ.

أقول: استعار لفظ الملح: الباصر، لادراك عقله سرعة، من عيان الأمور: متعلق
بتنفع. والمدارج: المسالك والمذاهب. والإقتحام: الدخول في الشيء بشدة. وانتحل
الشيء: ادعاه لنفسه. وليس له وما علا عنه: هو ما يطلبه من الملك والإمرة. والابتزاز لما
اخترن دونه، هو: استيلائه به وغصبه لمال المسلمين الذي من شأنه ان يخزن دونه، وما
هو الزم له هو طاعته عليه السلام. وما وعد سميح: من دليل ذلك، وملىء به صدره:
من العلم بوجوبه. واللبسة: اللابسون بها، ولفظه استعار لهم: باعتبار دخولهم فيها. و
اغدقت: أرسلت. والأفانين: الأجسام المختلفة ودم: لكتاب من جهة اللفظ بانه:
اقوال مختلفة ملفقة لا يتناسب. وليس لها قوة توجب صلاحا او عاطفة. ومن جهة المعنى
بانه: اباطيل غير محكمة النسج لامن جهة العلم ولا من جهة العلم، لان الكتاب، يشتمل
على خشونة وغلظة مع انه في معرض طلب الصلح. والأساطير جمع اسطوره: و
هي الاباطيل الكذب. والدهاس: المكان السهل اللين كالرمل. والديماس: المكان
شديد الظلمة، وشبهه بالخائض والخابط فيهما، باعتبار انه لا يهتدى لوجه الحق في
مسلكه وحركاته. والمرقبة: موضع عال مشرف يرتفع عليه الراصد. والانوق: الرخم.
والعروق: نجم معروف. واستعار لفظ المرقبة: لولاية المسلمين وخص الرخمة: لانها
يقصد الأماكن العالية الصعبة من رؤس الجبال فتوكر هناك. وتنهذ: تنهض. وارتجت:
اغلقت. وما هو مقبول منه اليوم: القوة والرجوع الى الطاعة. وبالله التوفيق.

١ - الرخم: طائر من فصيلة السرقات وربة الحوايج ويعتدى باللعوم. حراة الحيوان ١/ ٣٦٨.

٦٥- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبدالله بن العباس، وقد تقدم ذكره بحلاف هذه الرواية

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرُجَ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ، وَتَخْرُجُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَقْصَرُ مَا يَلْتَمِسُ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُخَانٍ بُلُوعٌ لَدُنْهُ أَوْ شِفَاءٌ غَيْبُطٍ، وَلَكِنْ إِظْفَاءٌ بِأَصْلِ أَوْ إِيحَاءٌ حَقٌّ!! وَتَكُنْ شُرُورَكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا نَعَدَ لَمُوتٍ.

أقول: بما قدمت أي: لنفسك من الأعمال الصالحة للنفعة في الآخرة. وما خلفت أي: من الدنيا. واسمه عليه أن يكون أُنْفَقَ في غير سبيل الله.

٦٦- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى قَتَمِ بْنِ الْعَاسِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ

أَمَا بَعْدُ؛ فَأَوْفِ لِمَنْسِ الْحَجِّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَأَخْبِشْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَقْبِ الْمُشْتَقَيْنِ، وَعَلِّمِ الْغَاهِلَ، وَذَكِّرِ الْعَالِمَ؛ وَلَا تَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا يَسْأَلُكَ، وَلَا حَاجَتُ إِلَّا وَجْهَكَ، وَلَا تَحْبُسْ دَا حَاجَةً عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا بِكَ دِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا لَمْ تُحْمَدُ فِيمَا بَعْدَ عَلَى قَضَائِهَا وَتَنْظُرُ إِلَى مَا تَجْتَمِعُ عِنْدَكَ مِنْ قَالِ اللَّهِ فَأَضْرِبْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ دَوَى الْبَيَاتِ وَالْمَحَاجَةِ مُصِيبًا بِهِ مَوْضِعُ الْفَقَةِ وَالْحَلَابِ، وَمَا فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْشِلْهُ إِلَيْنَا لِنَتَّصِفَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا.

وَمَنْ أَرَاهُنْ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْزَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ شُحَّانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءٌ لِمَا كَيْفَ فِيهِ وَاللَّهِ) فَأَلَدَ كَيْفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَخُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَقَفَّ اللَّهُ وَإِنَّا كُمْ لِمَحَابَةِ وَالسَّلَامِ.

أقول: أَبْنَامُ اللَّهِ: كناية عن عقوباته التي تركت سمن مصى في لأثام الخلية.

والعصرين: العداة والعينى. والسفير: الرسول. وذيدت: دومت وردت. والمفاقر: مواضع
المقر ووجوهه. و.ضاف مواضع اليه، لِيَتَعَيَّرَ الْفَطْنُ.

٦٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَا نَعْلُدُ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَبَّةِ لَيْسَ مَتْنُهَا قَانِلٌ سَمُهَا، فَأَعْرِضْ عَنَّا يُعْجِلُكَ فِيهَا
لِيَلْمَكَ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنكَ هُمُومَهَا لِمَا أَتَيْتُكَ بِهِ مِنْ فَرْقِهَا، وَكُنْ أَنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا
أَخْذَرُ مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَظْلَمَ فِيهَا إِلَى سُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَخْذُورٍ!

أقول: آنس حال، وما، مصدرية وخبر كان أخذر، أي: كن حال أنك بها اخذر
كوبك منها. وقوله: فَإِنَّ صَاحِبَهَا إِلَى آخِرِهِ: إِنَّ سَكُونَهُ صَاحِبَهَا إِلَى آخِرِهِ يَسْتَلْزِمُ
الْعَذَابَ الْمَحْذُورَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ مَرَّاتٍ.

٦٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلٍ لِقُرْآنٍ وَأَتَّقِصَحَّهُ، وَأَجَلَ حَلَاكَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ
مِنْ الْحَقِّ؛ وَأَعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا فَتَقَى مِنْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا، وَأَجْرُهَا لَا جِقْ
بِأُولَئِكَ! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَعَظِيمٌ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ، لَا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثَرُ ذِكْرٍ لِمَوْتٍ وَمَا
بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَأَخْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ
لِقَائِمَةِ الْمُشْلِمِينَ، وَخَازِنُ كُلِّ عَمَلٍ يُعْتَمَلُ بِهِ فِي السَّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَأَخْذَرُ كُلِّ
عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَكْرَهُ أَوْ أَفْتَدَرَ مِنْهُ، وَلَا تَخْفُزْ عِرْصُكَ غَرَضًا لِيَلِيَ الْقَوْلُ،
وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَدِيبٌ وَلَا تُزِدْ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا
حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا، وَأَكْظِمِ الْعَيْطَ وَحَلِّمْ عِنْدَ الْعَصَبِ، وَنَحَاوِرْ عِنْدَ لِمُعْذَرَةٍ،
وَضَعْ مَعَ الدَّوَلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْبِخْ كُلَّ يَوْمٍ أَعْمَتَهَا اللَّهُ عَيْنُكَ، وَلَا تُصَيِّرْ

نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَئِنْ عَشَيْتَ أَلُمَّا بِعَنَمِ اللَّهِ بِهِ عَلَيْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِيهِ وَمَوْلَاهُ ، فَإِنَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَبْرِ يَتَّقِيكَ دُخْرُهُ ، وَمَا تَوَخَّرَهُ يَكُنْ لِعَمَلِكَ حَشْرُهُ ، وَخَذَرُ صَحَابَةِ مَنْ يَقِيلُ زَانِيَهُ وَيُكْرَهُ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَمِرٌ بِصَاحِبِهِ ، وَاسْتَكْرَى الْأَمْعَارَ لِعِبَادَتِهِ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْمِينِ ، وَخَذَرُ مَنَازِلِ الْعَمَلَةِ وَالْخَفَاءِ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَقَصْرُ رَأْيِكَ عَلَى مَا يَتَّقِيكَ ، وَإِنَّكَ وَمَقَاعِدُ الْأَسْوَاقِ وَرَبُّهَا مُحَاصِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ ، وَكَثِيرٌ أَنْ تَنْظُرَ إِنِّي مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ ، فَبِذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُسَاقِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرِ تُعَذِّبُ بِهِ ، وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي حَيْصِ أَمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا يَسُوْهُهَا ، وَخَادِعٌ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَرَفَقٌ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ، وَحُدٌّ عَمَلُهَا وَتَسَاطُفُهَا ، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لَا تَذُّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلَّتِهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَتْرَكَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتٍ مِنْ رَبِّكَ فِي ظَلَمِ الدُّنْيَا ، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَخْبِئْ أَحَبَّ عَمَلِهِ ، وَخَذَرُ نَعَصَبٍ قَبْلَهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ .

اقول: همدان يسكون مذ ب: قبلة. وحل القرآن مستعار له يتمسك به منه ليتوصل به الى الله. وانتصحه اى: اتخذه ناصحا. وحاش: اى: زائل مفارق. والشرط الوثيق: صاعه لله وما يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة الناس كالاستشارات بالخيرات وهو كقوله: ارد للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها. واستصلاح نعمة الله واظهار اثرها بدوام شكرها والاحسان منها الى الغير، واضاعتها بقنّة ذلك والعفة عنه. والتقدمة من النفس ولاهل: استعماهم فى طاعة الله وعبادته. وصحابه: مصدر كالصحبة. وبفيل رايه: يضعف. وجماع المسمين: جامعهم. وكون الاسواق محاصر الشيطان: باعتبار كونها مطان ثوران الشهوة ورؤية موادها. وفاضلا فى سبيل الله: ذاهبا فيه. وخادع نفسك اى: احذ بها الى العباداة بالخديعة دون المقاهرة. وعفوها: ما سهل عليها ونحوه قول السبي صلى الله عليه وآله: (لَنْ هَذَا الدِّينُ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفَقٍ، وَلَا تُبَعْضْ فِيهِ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَتَبَّ، لَا أَرْضَاَ قَطْعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى)١. واستعار الآبق: للحارح

عن الطاعة في طيب الدنيا باعتبار خروجه عنها. والتوقير: الإجلال والتعظيم.

٦٩- وَمَنْ كِتَابَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة

في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعادية

أما بعد؛ فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على مايقولك من عديهم، ويذهب عنك من مذهبهم، فكفى لهم عيًّا ولك منهم شايئاً فزارهم من لهدى ولحق، وإيصاعهم إلى النعمى والحق، وتماهم أهل دنيا مقبلون عنيها، ومهبطون إليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وتسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عتدنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعثنا لهم وشحق!!

بهم - والله - لم يتعروا من جور، ولم تلحقوا بعدل، وبنا لنظمت في هذا الأمر أن يدلل الله لنا صعبه، ويُسهن لنا حزنه إن شاء الله، وسلام.

اقول: التسلل: الذهاب واحد واحداً. والإيصاع: الاسراع. وكذلك الاهطاع. والإثرة: الاستبداد بالمال ونحوه ولشحق: البعد، وأحرنه: أشده.

٧٠- وَمَنْ كِتَابَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى المنذر بن الحارود العدني، وقد خان في بعض مآولاه من أعماله

أما بعد؛ فإن صلاح أبك عني منك، وطنتك أنك تشع هدي، وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إلى عنك لا تدع إهوالك أنفاداً، ولا تبقى لأجريت عتاداً، نغمز دنياك بحراب آجرتك، وتبجل عشيرتك بقطعة دينك، ولكن كان ما بلغني عنك حملاً لجمل أهيت وشع تغلك خير منك، ومن كان يصفيك فليس بأهين أن يسد به ثغره، أو ينفذ به أمره، أو يعنى له قدره، أو يشرك في أمانته، أو يؤمن على خيانتة؛ فأقن إلى حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله.

كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (قال اسيد الرضى: والمصدر هذا هو الذى قال فيه امير المؤمنين عليه السلام- إِنَّهُ سَطَارٌ هِىَ عَصِيه، مُحْتَالٌ فِى بَرْدِيهِ، تَقُلُ فِى شِرَاكِيهِ).

اقول: رُفِىَ الِىَّ: رُفِعَ. ولعتاد: العدة و عمارة الدنيا بمخرب الآخرة: استعمالها على الوجه الذى لا ينفى ممَّا يَسْتَلْزِمُ الْعَصِيَّةَ عَنِ الْآخِرَةِ. وترك العمل لها، وإشباع: سير بين الأصعبين فى التعل العرمى. وقوله: أَوْ يُؤْتَرُ عَلَى خِيَابَةٍ: أى حال خيابه لأن كلمة على يُفيد الحال.

٧١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبدالله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَحَدٍ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَتَيْسٍ لَكَ، وَأَعْنَمُ بَأَنَّ الدُّهْرَ يَقْدِرُ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ غَيْبِكَ. وَأَنَّ الدُّمَيَّا دَرْدُوبٌ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَكَ عَلَى صَفْحِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْبٌ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

اقول: انما ذكر الضعف والقوة: لِيُعْنَمَ اسْتِنَادُ الْأَعْمَارِ وَالْأَرْزَاقِ وَغَيْرِهَا إِلَى مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ، هُوَ مُبْدَأُ أَسْبَابِهَا.

٧٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّى عَسَى التَّرَدُّدُ فِى جَوَابِكَ، وَلَا سِتْمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمْ يَوْهَرْ رَأْيِى، وَمُخْطِئٌ فِرَاسَتِى، وَإِنَّكَ إِذَا تُحَدِّثَنِى الْأُمُورَ، وَتَرَا جُعِى السُّطُورَ كَلُمُ اسْتَنْفِلِ الثَّانِيَمِ نَكْذِبُهُ أَخْلَامُهُ، وَلَمْ تُنَحِّيرِ لِقَائِي يَنْهَضُهُ مَقَامُهُ لَا يَنْدِرِ أَنَّهُ مَا يَأْتِى أُمُّ عَلَيْهِ، وَلَسْتُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَهُ لَوْلَا تَعَضُّ الْأَشْيِيقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّى قَوَارِعُ: تَقَرُّعُ الْعُظْمِ، وَتَهْلِيسُ

السَّحْمُ! وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ نَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِي
فَصِيحَتِكَ.

اقول: موهن: مُضْعَف. والسطور: الكتب، وَشَبَّهَ فِي طَلْعِهِ مِنْهُ بِمَا يَحَاوِلُهُ مِنَ الشَّامِ،
بِالْمُسْتَقْلِ فِي نَوْمِهِ. وَوَجْهَ الشَّبْهِ قَوْلُهُ: تَكْذِبُهُ احْلَامُهُ. وَارَادَ أَنَّ تَحْيَلَاتِهِ وَأَمَانِيَهُ لَوْصُولُ
الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَحْيَلَاتٌ كَادِبَةٌ. وَالْطُّورُ: نَصَبٌ بِحَذْفِ الْجَارِ. وَكَذَلِكَ شَبَّهَهُ بِالْمُتَحَيِّرِ:
الْقَائِمِ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ قَوْلُهُ: يَهْطُءُ مَقَامُهُ، أَي: يُتَعَبُّ وَيُتَقَبَّضُ، إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيْهِ. وَأَرَادَ: أَنَّهُ
مُتَحَيِّرٌ فِي طَلَبِ هَذَا الْأَمْرِ مُجِدِّدٌ فِيهِ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ لَا يَعْصِمُ عَاقِبَتَهُ بِخَيْرٍ هِيَ أَمْ شَرٌّ.
وَقَوْلُهُ: وَلَسْتُ بِهَذَا الْمُشَبَّهِ شَبِيهًا، وَلَكِنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَجَعَلَهُ هُوَ أَصْلًا فِي التَّشْبِيهِ مَالَعَةً.
وَالْقَوَارِعُ: شِدَائِدُ الْحَرْبِ وَأَهْوَالُهُ. وَتَهْلِسُ الْمَحْمُومُ: تَذْهَبُ بِأَصْلِهِ. وَكَذَلِكَ تَهْسُ. وَتُبْطُهُ:
شَعْبُهُ. وَتَأْذَنَ أَي: تَصْنَعِي بِأَذْنِكَ.

٧٣- وَمِنْ حِلْفِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُتِبَ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنِ، وَتُقِرَّ مِنْ سَطِّ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيَةُ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيَتُهَا أَنَّهُمْ عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ: يَدْعُونَ إِبْنَهُ وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُحِبُّونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمْرِيهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا
يَرْضَوْنَ بِهِ نَدْلًا، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ:
دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَا يَبْغُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَصَةِ غَايِبٍ، وَلَا لِعَصَبٍ قَاصِبٍ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ
قَوْمًا وَلَا لِمَسَّةِ قَوْمٍ قَوْمًا! عَلَى ذَلِكَ شَهِدَهُمْ وَعَايَنَهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَسَفِيهِهِمْ، وَعَ لِمُهُمْ،
وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ آبَائِهِمْ كَانَ مَسْئُولًا، وَكَتَبَ: عَلَى مَنْ
أَرَى طَالِبًا.

اقول: حاضرها: بدل من أهلي. وقوله: ولا لاستذلال، إلى قوله: قوم، أي: لا
ينقصون العهد لمعوبة قوم استدلهم قوم، أو أرادهم قوم. وروى لمسة: من غير مضاف
بالياء، وهو ظاهر.

٧٤- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي أَوَّلِ مَا بُوْعَ لَهُ

ذِكْرُهُ الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْحَمَلِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :-

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عِدِمْتُ إِغْذَارِي فِيكُمْ وَغَرَضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كُنَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ. وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَذْبَرُ مَا أَذْبَرُ، وَأَقْبَلُ مَا أَقْبَلُ، فَتَابِعْ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلْ إِلَيَّ هِيَ وَقَدْ مِنْ أَصْحَابِكَ.

أقول: اعذاره: اظهار عذره الى الله في نصيحة عثمان، واعراضه عنهم، بعد الأس من قبول نصيحته، وعجزه عن نصرته. وما لا بد منه هو قننه الذي وجب في علم الله وقوعه. وطول الحديث في أمره. ومن أدبر: شارة الى اهل الجمل، ويحتمل ان يريد الانشاء اي: دخل في الإفسار من أدبر عتسي. وفي الإفسال من أقبل علي. والوقد: الواردون^١. و يحتمل ان يكون قوله فيكم، وعسكم: لمعاوية وغيره من المسلمين، واعذاره اليهم بالنصيحة واداء الامانة، واعراضه عنهم بترك معاجزة انبيى بالعقوبة. وما لا بد منه، حرب التاكثين من أصحاب الحمل. والحديث: شرح قصتهم وشئتهم طويل. وقد أدبر منهم من أدبر، وأقبل اليه من أقبل.

٧٥- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِعَدِّ اللَّهِ بْنِ الْعَاسِ، عَدَّ اسْتِخْلَافِهِ إِتَاءَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ

سَبَّحَ النَّاسَ بِرُوحِكَ وَمُعْجِزِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَلَعَصَبَ قَبْلَهُ بِطَيْرِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّاسِ، وَمَا نَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّاسِ.

١- هي نسخة ش. الورد.

أقول: سعة الناس بوجهه: كناية عن بشرو وصلاحته لهم. وبمحله: كناية عن توضعه ورأفته بهم. واصيرة الاسم من التطير وهو التشأم. وإضافة إلى الشيطان، لأنه مبدأ الغضب.

٧٦. وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعبد الله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تَخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَاقٌ ذُو وُجُوهِ تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَحْدُوا عَنْهَا مَجِيسًا.

أقول: إنما كان القرآن حمالاً للوجه، لأن أكثر الآيات غير ناصية على المطلوب، بل محتملة تمكثهم المجادلة^١. والمحير. معدل.

٧٧. وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين
ذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَارِي

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَعَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حُطَّتْهُمْ، فَمَا لَوْ مَعَ الدُّنْيَا وَتَطَلَّوْا بِالْهَوَى، وَأَنْتَى نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَثَرًا مُفْجِعًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَغْبَيْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ، فَأَنْتَى أَدَاوَى مِنْهُمْ قَرَحًا خَافُ أَنْ يَكُونَ عِلْفًا، وَلَيْسَ رَحُلٌ - فَأَعْلَمَ - أَخْرَصَ عَلَيَّ جَمَاعَةً أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١ - هي شريعة، بإحتمالها.

٢ - الصحيح: يحيى بن سعيد بن أبي الأُموي الكوفي التميمي ١٩٤. وكان حافظاً ثباتاً نبلاً وهو من التابعين وله كتاب (المغاري) والغريب أن التصحيح هذا حدث في جميع طبعات كتاب (بهج إبلاعه) وشروحه ولم تتحقق في حانه أحد تحت ترجمته هي.

تاريخ بغداد ١٣٢/١٤. تذكرة الحفاظ ٣٧٥/١. تهذيب التهذيب ٢١٣/١١. حلاصة تهذيب الكمال ٣٦٣. شذرات الذهب ٣٤٦/١. طبعات الحفاظ ١٣٦. كشف غطوف ١٧٤٧/١. ميران الاعتقاد ٣٨٠/٤.

وَكَلِمَةً وَسَلَامًا، وَالْفَتْنَا مِثْلِي أَنْتَعَى بِذَلِكَ خُسْرَانًا وَكَرَمًا لِمَا بِي. وَسَأُفِي بِالْبَدَى وَأُثْبِتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتُ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتُ غَنِيَّ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّخَرُّبَةِ وَإِنِّي لَأَعْتَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بَطِي. وَأَنْ أَقْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصَحَّ اللَّهُ: فَدَعِ مَا لَا تَعْرِفُ. فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ ظَائِرُونَ بِأَنْتَ يَا قَاوِيلِ السُّوءِ.

أقول: عن كثير من خطبهم، أي: الخط الذي ينبغي لهم من الدين ولهدى. والخطب: النصيب. ولأمر: أمر الخلافة. والمنزل: المشعب: الذي درله منه حاله التي حصل فيها مع اصحابه وصارت محلل المشعب. وكيف صار محكوما لهم في قبول الحكومة، ولرضى بالتحكيم. وقوله: اجتمع به صفة منزل. واستعار لفظ القرح: لما قسد من حاله معهم. ولفظ العلق: وهوانهم العليط لما يحاف من تفادهم أمرهم عن تلك الحار، وأيت: وعدت. وأعدت: استكف وآنف.

٧٨. وَفِي كِتَابِ لَهُ تَحْلِيهِ السَّلَام
لَمَّا اسْتَحْلَفَ، إِلَى أَمْرَاءِ الْأَحْمَادِ

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا هَكَذَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَسَّوْا النَّاسَ الْحَقَّ فَشَتَرُوهُ، وَأَحْدَثُوهُمْ بِالْبَطْلِ فَافْتَدَوْهُ.

أقول: اشتروه بمعنى باعوه أي: فباعه الناس وتعضوا به بالباطل. فافتدوه أي: جعلوه فدية ومتبوعاً. وبالله التوفيق.

باب المختار من حِكَمِ أمير المؤمنين عليه السلام
وبدحل في ذلك المختار من أحوية مسائله
والكلام القصير الحارح في سائر أعزاضه

١ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ. لَا تَطْهَرُ فَبَرَكْتَ، وَلَا ضَرَجُ فَيَحْلَبُ.

أقول: ابن اللبون: ولد الناقة إذا استكس ستين، ودحل في الثالثة. وأراد التشبه في الفتنة بابن اللبون، في عدم انتفاع الظالمين بك يوحه، كما لا نفع فيه بظهور ولا ضرع.

٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِحْدَى وَعَشْرِينَ كَلِمَةً مِنَ الْأَدَبِ وَالْحَيَّةِ عَسَى مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَهِيَ قَوْلُهُ:

أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنْ أَسْتَشْفَرَ الظَّلْمَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَنْهَا لِسَانَهُ، وَلَبَّخُلْ عَدُوٌّ، وَالْجَبْنُ مَنَقَصَةٌ، وَالْمَقْرِيُّ خَرَسُ الْعَظِيمِ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدَيْهِ، وَالْعُخْرُ أَفْءٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالرُّهْلُ ذُرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وَيَنْعَمُ الْقَرِيبُ الرِّضَا، وَالْعِلْمُ وَرَاقَةٌ كَرِيمَةٌ، وَالْآدَبُ خُلُقٌ مُجَدَّدٌ، وَلِلْمَكْرُمَةِ صَافِيَةٌ، وَصَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ جِلَّةُ السُّودَةِ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ (الْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ)، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاجِطُ عَلَيْهِ، وَبَصْدَقُهُ دَوَاءٌ مُنَحِّجٌ، وَأَعْمَالُ الْعَبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نَصَبٌ تُغْنِيهِمْ فِي آخِرِهِمْ.

١ - شرح المؤلف من ميثم بحراني .. مائة كلمة من مجموع كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، شرحا مبسطا وضع في كتاب حاشي في طهران عام ١٣٩٦ هجرى ويصع في ٢٧٢ ص كما سبق الحديث عنه في المقدمة.

أقول: استشعر الطمع أي: اتحدّه شعاراً لقلبه والشعار ما يلي لجسد من الثياب، فاستعار هذا لمكان المشابهة، وهي مستترم لهُون النفس والازراء بها عند الناس بحسب الحاجة اليهم، والمذلة لهم، وتأمير اللسان: تحكيمة في لقول من غير مراعاة النفس، ونفر عن ذلك بذكر ما يلزمه من سهولة نفسه عليه، لأنه ربما كان سبب هلاكها في ائدارين كقول الرسول صلى الله عليه وآله: (وهل يكتب لئس على ماحرهم في النار إلا حصايد ألسنتهم). وعار لبس، ونقصان الحين: باعتبار كونهم رذيلين، واستعار وصف الحرس عن الفقر: لكونه مذلة يفعل في النفس قسواً وفتوراً، وعزراً عن المقاومة بالمحبة كالخرس. وغربة العقل: باعتبار قلة الالتفات اليه. والآفة: نقصان. ولصر شجاعة: باعتبار أنه مفومة لفسف الامارة لئلا تنقاد الى قبائح اللذات وذلك مستترم لأثم الشجاعة. والرهدة: مستلزم لغنى النفس لأنه إعراص عن متاع الدنيا والحاجة اليها، والورع: لزوم الأعمال الجميلة وهو حجة سائرة من عذاب الله.

و متعار لفظ لمجدة لأدب: باعتبار دوام زينة المتلبس بها. ولطف المرأة: لقوة امكر: باعتبار انقاشها بصور الاشياء كمرأة. ولطف الصندوق: باعتبار حفظه للسّر. و رغب بذكر العقل في حفظ السّر، ولطف الحيلة لبشاشة في وجوه الناس: باعتبار استلزامها للمودة كالحبالة لصيد. ولطف القرل لأحتمال: باعتبار ستره للعيوب من صاحبه. وكذلك لطف الخفاء في الرواية الثانية. وكثرة الساخط على من رضى عن نفسه: لأنه يرفعها فوق قدرها لاعتقاده كمالها. والناس يرونه بدون ذلك فيكثر الإنكار عليه، وسخط فعله واستعار لفظ الداء للصدقة: باعتبار أنها حسنة يذهب السيئة التي هي الداء الفسنى، ولأنها تستجلب الهمم، والأدعية الصالحة لشفاء الامراض البدنية فتشفى، كما قال صلى الله عليه وآله: (داووا مرضاكم بالصدقة). وكون اعمال العباد نصب أعينهم في آجلهم: لما علمت ان النفوس تتعش بممكات الخير واشهر لكنها في أغطية من الأبدن بحجبها عن ادراك الأمور كما هي، فاذا زالت تلك الحجب بالموت ادركت ما فيها من خير وشر، وكانت نصب عينها مشاهدة لها، كم قال تعالى: (فَكُشِّمًا عَنْكَ غِطِّيَّتُكَ) ١.

٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَعْبَسُوا بِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَسَّسُ مِنْ خُرْمٍ!!

٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَخَاسِنَ غَيْرِهِ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَخَاسِنَ نَفْسِهِ.

يريد: ان اقبال الدنيا: بسبب توافق اسباب الخير فيها لقوم يعدهم للحصول على مثل كمالاتها التي حصلت لمن كان قبهم مما يعد حسناً. واذا أدبرت عنهم اعتدتهم لأصدار ذلك وسلوها ما كن منه حاصلأ لهم. واستعار وصف العارية لتلك الكمالات: باعتبار عدم دوامها.

٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مَتَّمَّ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَيَّوْا إِلَيْكُمْ.

ارادالمخالطة: بمكارم الاخلاق، ونه يستلزم ما ذكر.

٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا قَدَرْتَ غِنَى عَدُوَّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

الشكر: هو الاعتراف بالعمة: والعفو: مستلزم للاعتراف بنعمة القدرة على العدو، فامر بالعفو المستلزم للشكر. واطبق لفظه على العفو مجازاً: اطلاقاً لإسم اللازم على منزومه.

٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَأَعْجَزُهُمْ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ طَبْعَ بِهِ مِنْهُمْ.

اما الاول: فلان اكتساب الاخوان اما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة و هي امور طبيعية في اكثر الناس سهلة عندهم. واما المضيع لهم اعجز، فلانه لا يفتقر في حفظهم الى كفة التحصيل، فكان سبب حصصهم اسهل فكان مضيعهم أعجز.

٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الَّذِينَ اعْتَرَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ:

خَذَلُوا الْحَقَّ وَآمَّ يَنْصُرُوا، لَيْدِلَّ،

والمعنى واضح.

٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَضَعْتَ إِلَيْكُمْ ظَرْفُ السَّيْفِ فَلَا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

وهو: تمثيل لسهم بالسهم. واطرافها: أوتانها. وقصاها، ما يأتي بعد ذلك. واستعار

وصف التنفير لا نقصانها بترك الشكر: لأنه سبب لمزيدها، فانقطاعها بانقطاعه، وفيه تنبيه على لزوم الشكر.

١٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ضَيَّعَ الْأَقْرَبَ اتَّيَحَ لَهُ، لَا تُعَدُّ.

أي من أهله وقومه اتَّيَحَ له الأبعد، أي: قدر منفعته ومعوته لوجوب ذلك في

عناية الله تعالى.

١١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كُلُّ مُفْضٍ يُعَاتَبُ،

أي: ليس كُلُّ مُسْتَى بِمَعْصِيَةٍ يَفْعُ مَعَهُ الْعِتَابُ.

١٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَذِلُّ الْأُمُورَ لِلْمَفَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي النَّذِيرِ.

فذللتها: مطاوعتها للقدر بحسب القضاء الأكهي، وربما كان الهلاك المفضى منها

مقدراً فيما يعتقده الإنسان تدبيراً صالحاً لجهه بسر القدر.

١٣- وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «غَيَّرُوا

النَّبِيَّ، وَلَا تَشْهَرُوا بِالْيَهُودِ» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ

وَلَدَيْنُ قُلٌّ قَامَ، لَأَنَّ وَقَدْ اتَّسَعَ يُطَافُهُ، وَضَرَبَ بِحِرَابِهِ قَمَرُهُ وَمَا أُحْتَرَأَ.

١- هي رواية ابن أبي عمير (ص) قال: ن اليهود واسمارى لا يصبون من صومهم صحيح مسلم ١٦٦٣/٣ ص

أبي هريرة.

قد كان الرسول صلى الله عليه وآله ندب الى الحضاب ليرى الكفار المسلمين بعين الشبهة والقوة حيث كانوا قليلين، وكان يفرهم عن تركه بأن ذلك يشبهه باليهود، ولذلك نبه عليه السلام على المقصود في قوله: والدين قل. واستعار لفظ النطاق، وهو شقة طويلة تسجر على الارض اذ البست للاسلام باعتبار عمومته واتساعه. ولفظ الجرن: وهو صدر البعير له، باعتبار تمكّمه وثباته، وأشار بقوله: وأمرؤ وما اختار: الى الإباحة بعد الندب.

١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ جَرَى فِي عَيْنَانِ أَمَلَهُ عَثْرٌ بِأَجْبِهِ.

استعار وصف الجرى: لان اندفاع في الأمل. ووصف العشار للأجل: باعتبار المعقول من قطعه لذلك الاندفاع تنفيراً عن العفلة والجرى فيه.

١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَقْبِلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثْرَاتِهِمْ، فَمَا يَغْتَرُّ مِنْهُمْ غَاثٌ وَلَا وَدَّ اللَّهُ يَبْدِيهِ تَرْفَعُهُ.

استعار لفظ العثرات: لزلزلات الواقعة منهم، واللفظ اليد: لعاية الله تعالى وقدرته. وكنى عن تداركه لحاله وتعلق العناية به، بكون يده بيده، ترفعه وترفعه.

١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُرْنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْجِرْمَانِ، وَلَفْرَصَةُ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ فَأَنْتَهَزُوا فَرَصَ الْحَيْرِ.

فاقترانهما: عبارة عن ملازمتيهما غالباً، وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين. و انتهز الفرصة: نادروقتها، والفرصة ما أمكن من نفسه.

١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَنَأَحَقُّ فَإِنَّا أُعْطِيتُهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ ظَنَّا الشَّرَّ. قال الرضى: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه إنا إن لم نُعط حقنا كُنَّا أذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يحرق مجراهما.

١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

يريد ان من لم يكن له عمل حسن يرفعه، فتأخر سبب ذلك^١ عن معالي الرتب، لم يسرع به نسبه وشرف بيته اليها. وروى حسبه، والحسب، ما يُعدُّ من المآثر.

١٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعَطَامُ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالنَّفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.
فالمهلوف: المظلوم يستغيث. والنفيس: التفريح.

٢٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ مُشْحَاةً يُتَابِعُ عَلَيْكَ نَعْمَهُ وَ أَنْتَ تَغْصِيهِ فَأَحْذَرُهُ.
تتابع نعم الله على العبد مع معصيته له استدراج منه يوجب حذره.

٢١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي قَلْبَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ. لَأَنَّ لُجُودَ اللِّسَانِ، مظهر للوجودِ الْإِنْسَانِيِّ. والتصورات النفسانية مبادئ للامارة الطاهرة كصفرة الوَجَل، وَحُمرة الْحَجَل، فإلْمُضْمَرُ لُشَى، لا يكاد يضبطه دائماً لغفلة العقل، وقتماً، او اشتغاله بهمهم آخر عن العناية بحفظ ما اضممر فتنقلت به اللسان ويظهر ما يدك عليه في الوجه، كما يتبين من العداوة والغضب.

٢٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِمْسِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ.
اى: مادام المرض لا ينهضك فلا ينفعك عنه، لأن في التجلّد معاونه للطبيعة على دفعه، ومن الأمراض ما يتحلل بالحركات البدنية.

٢٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَفْضَلُ الرُّهْدِ إِخْفَاءُ الرُّهْدِ.
إخفاؤه: للبعد^٢ عن مخالطة الرياء المفسدة.

١- في ش هكدا: فأحر ذلك عن معالي الرتب.

٢- في ش: لبعده.

٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كُنْتَ فِي إِذْبَارِ الْمَوْتِ فِي إِبْتَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى .
أراد ما يعقل من إذبار الإنسان في قطع منازل العمر عن أوله، ومن وصوله فاته إليه بحسب توجّهه إليه.

٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَذَرُ الْحَذَرُ فَوَالله لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَانَهُ قَدْ غَمَر .
وهو ظاهر.

٢٦ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشُّوقِ وَالشَّقَقِ، وَالرَّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ: فَمَنْ أَشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَاحِينَ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَشْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ. وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبَيُّرَةِ الْفَيْضَةِ، وَتَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْمَيِّتَةِ، وَسُؤِّ الْأَوَّلِينَ: فَمَنْ تَبَيَّرَ فِي لُبِّهِ تَبَيَّثَ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّثَ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعَيْتَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعَيْتَةَ فَكَانَتْ كَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَوَّلِينَ. وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَايَةِ الْفَهْمِ، وَغَوْزِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْعِلْمِ: فَمَنْ فَهِمَ عِلْمَ غَوْزِ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْزَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلَّمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا. وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَتَائِ الْمَنَافِقِينَ: فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُلُوفَ الْمَنَافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَتَّى أَلْفَ الْمَنَافِقِينَ وَغَضِبَ اللهُ غَضِبَ اللهُ لَهُ وَارْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقال عليه السلام: الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى النُّعْمِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزُّبْغِ، وَالشَّقَاقِ: فَمَنْ تَمَسَّقَ لَمْ يَبْثُ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ زَاغُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عَيْتُهُ الْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عَيْتُهُ السَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرُ الضَّلَالَةِ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَغَرَّتْ عَلَيْهِ ظُرْفُهُ، وَأَغْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَصَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ. وَالشُّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالْإِسْتِمْلَامِ: فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَنًا لَمْ يُضَيِّعْ لَيْلَهُ، وَمَنْ هَالَكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطَبَّخَ سِتَابِكُ الشَّيَاطِينِ، وَمَنْ

أَسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهَا. (وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوفاً
الأطاله والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب).

أقول: اراد بالإيمان: الايمان الكامل، وله اصل وكمالات، اما الأصل فهو:
استكمال القوة النظرية للنفس بتصور الامور، والتصديق بالحقائق الطرية، والعمل بقدر
الطاقة البشرية، ويسمى حكمة علمية. واما الكمالات فهي: التحنى بالملكات الفاضلة و
مكارم الاخلاق، فمنها: استكمال القوة العملية للنفس بملكة العلم، بوجود الفضائل
الخلقية، و كيفية اكتسابها ووجود الرذائل النسانية و كيفية اجتنابها، وتسمى حكمة
عملية، وعبر عن هذه الحكمة والتي قبلها باليقين: لانها لا تسمى حكمة، حتى تصير
هذه الكمالات ملكة للنفس و يقيناً. ومنها العفة و عبر عنها بالصبر: لانه من لوازمها، و
منها الشجاعة و هي: ملكة الإقدام الواجب على الأمور التي تنبغى دفعها ومقاومتها، و
عبر عنها بالجهاد: لملازمتها. و منها العدل و هو: ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاثة
المذكورة ويلزمها. واستعار لهذه الأربع لمصر الدعائم: باعتبار قيام الايمان الكامل بها .
ثم تبه على ما يتشعب عن هذه الدعائم من الفضائل، ويكون كاللوع تحتها، فالشوق الى
الجنة و الاشفاق من النار و الكره في الدنيا و شرب الموت يلزمها العفة والصبر
عن المحارم، و تبصرة الفطنة واعمالها، وتأول الحكمة و هو تفسيرها، واستخراج الحقائق
ببراهينها. والإتماظ عن العبر و ملاحظة سنن الأولين حتى يصير كنههم.

شعب اليقين وفروعه، وبعضها كالفرع لبعض، والفهم العائض وغور العلم و
اقصاء، وهو العلم بالشئ بحقيقته، ونور الحكم اى: الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة، و
يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة ونورها ان يكون ملكة واضحة. و رماخة الحلم و هو:
ان يصير ملكة من شعب العدل وفروعه.

واعلم، ان فصيلتى جودة الفهم، وغور العلم، وان كانتا داخلتين تحت الحكمة، و
كذلك فصيدة الحلم، داخلة تحت ملكة الشجاعة، إلا ان العدل لما كان فضيلة موجودة
في الاصول الثلاثة، كانت في الحقيقة هي وفروعها شعباً للعدل.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن المكروهة. و شتان
الفساقين أي: بغضهم المستلزم لعداوتهم و حربهم وجهادهم في سبيل الله من

شُعْبُ الشَّجَاعَةِ الْمَعْتَبَرِ عَمَّا بِالْجِهَادِ، وَلِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ ثَمَرَةٌ، وَبَعْضُ ثَمَرَاتِهَا ثَمَرَاتُ
لِبَعْضٍ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا الْكَفْرُ، فَهُوَ أَصْلٌ، هُوَ الْجَهْلُ بِالصَّانِعِ. وَجَعَلَهُ انْكَارَ بَعْضِ رُسُلِهِ وَمَا عَلَّمَ
مَجِيسْتَهُمْ بِهِ، بِالضَّرُورَةِ أَوْ الشَّكِّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتِمَاتَاتُ هِيَ رِذَائِلُ تَفَوُّتِهِ وَتَدْعَمُهُ
فَمِنْهَا، التَّعَمُّقُ وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَالتَّعَسُّفُ فِيهِ بِالْجَهْلِ وَهُوَ رِذِيلَةُ الْجَوْرِ، وَنَقَرُ
عَنْهَا بِذِكْرِ ثَمَرَتِهَا، وَهُوَ عَدَمُ الْإِتَابَةِ إِلَى الْحَقِّ.

ثُمَّ التَّنَازُعُ، وَهُوَ رِذِيلَةُ الْإِفْرَاطِ (مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَيُسَمَّى جَرَبِزَةً)^١ وَيَعْتَمِدُ الْجَهْلُ
الْمُرَكَّبُ، وَيُلْزِمُهُ دَوَامُ الْعَمَى عَنِ الْحَقِّ.

ثُمَّ الزَّيْعُ وَهُوَ رِذِيلَةُ التَّفْرِيطِ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَيُسَمَّى غِبَاوَةً وَجَهْلًا بِسِقْطًا، وَ
لِذَلِكَ لُزِمَهُ قَبِيحُ الْحَسَنِ، وَحَسَنُ الْقَبِيحِ.

ثُمَّ الشَّقَاقُ، وَيَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ رِذِيلَةُ الْإِفْرَاطِ مِنْ فَضِيلَةِ الشَّجَاعَةِ، وَيُسَمَّى تَهَوُّزًا وَ
يُلْزِمُهَا عَسْرُ لِلْسَّالِكِ عَلَى صَاحِبِهَا وَضَيِّقٌ مَحْرَجُهُ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنْ مَبْدَأَ سَهُولَةِ الْمَسَالِكِ وَ
اتِّسَاعِ الْمَدَاحِلِ وَالْمَخَارِجِ فِي الْأُمُورِ هُوَ الْحِلْمُ عَنِ النَّاسِ، وَاحْتِمَالُ مَكْرُوهِهِمْ. وَأَعْضُلُ اشْتَدَّ.
وَأَمَّا الشُّكُّ، فَهُوَ: تَرَدُّدُ الذِّهْنِ فِي اعْتِقَادِ أَحَدِ طَرَفِي النَّقِيضِ، وَيَتَشَعَّبُ عَنْهُ
الْتِمَارِي لِأَنَّهُ مَبْدَأُ لَهُ، وَتَقَرُّعُ مَنْ اتَّخَذَهُ مَلَكَةً بِكَوْنِهِ لَا يَصْبِحُ لَيْلَهُ، وَكَتَى بِذَلِكَ عَنْ عَدَمِ
وَضُوحِ الْحَقِّ لَهُ مِنْ ظُلْمَةِ لَيْلِ الشُّكِّ وَالْجَهْلِ.

ثُمَّ الْهَوْلُ، لِأَنَّ الشُّكَّ فِي الْأُمُورِ، يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ مِنَ الْأَقْدَامِ عَلَيْهَا، وَثَمَرَتُهُ الرَّجُوعُ
عَلَى الْأَعْقَابِ.

ثُمَّ التَّرَدُّدُ فِي الرِّيبِ إِلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ بَعْضِ جَزْئِيَّاتِ الشُّكِّ إِلَى بَعْضٍ وَذَلِكَ دَأْبُ
مَنْ تَعَوَّدَ الشُّكَّ، وَحَصَارُهُ لِمَلَكَةٍ، وَنَقَرُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا يُلْزِمُ مِمَّا كَتَى عَنْهُ بِوُطْئِ سَنَابِكِ
الشَّيَاطِينِ، وَهُوَ مَلِكُ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ لِأَرْضِ قَلْبِهِ، حَتَّى يَكُونَ سُلْطَانُ الْعُقُولِ بِمَعَزَلِ
عَنِ الْحِزْمِ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ الْجَزْمُ بِهِ^٢. وَاسْتِعَارَ لَفْظَ السَّنَابِكِ جَمْعَ سَنَبَكَةٍ وَهِيَ^٣ الْإِسْتِمْلَامُ

١ - الْحَمْدَةُ بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطَةٌ فِي نَسَخَةِ ش.

٢ - فِي ش: أَوْ يَحْرَمُ ٥٠.

٣ - فِي ش: بِزِيَادَةٍ: وَهِيَ مُعَرَّبٌ وَمَعَاهُ بِالْمَحْمِيَّةِ سَنَبٌ، وَرِيدَ الْكَافُ وَالْهَاءُ فِيهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْحَاظِي أَوْ

لهلكة الدنيا والآخرة، ويلزم عن الشك في أمورها لأن الشاك فيها غير عامل بشئ منها، ولا مهتم بأسبابها، وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه، ولزوم هلاكه عن ذلك ظاهر. وبالله التوفيق.

٢٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَعِلَّ الْخَيْرَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَأَقَاعِلْ الشَّرَّ شَرٌّ مِنْهُ.
لأن كلا منهما عنة، والعنة أفصل من معلولها، وأقوى فيما هي علة فيه.

٢٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ سَمُحًا وَلَا تَكُنْ مُبَدِّرًا، وَكُنْ مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُفْتَرًّا.
فالتبذير: طرف الإفراط من فضيلة السماحة، والتقتير: طرف التفريط منها والتقدير: هو العدل والاستواء عليها.

٢٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى.
وذلك لملازمته الفناعة المستلزمة لغير النفس، وهو اشرف انواع الغنى، والمنى جمع منية: بمعنى التمنى.

٣٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.
وذلك لغلبة قواهم العنصرية على عقولهم بباعث تصور المكروه منه.

٣١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَطَاعَ الْأَمَلَ أَتَاءَ الْعَمَلِ.
وذلك لاستلزام طولة العقلة عن الآخرة والاهتمام بها.

٣٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ لَقِبَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دِهَاقِينَ الْأَنْبِيَاءِ فَتَرَحَّلُوا لَهُ وَاسْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلِقَ مَا نَعْبُدُ بِهِ أَمْرَأَتَنَا، فَقَالَ:

١- حافر الشياطين ثم الاستسلام...

وَاللَّهُ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرًاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْفُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي ذُنُوبِكُمْ، وَتَشْفُونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَحْسَرَ الْمَشْفَى وَرَأَاهَا الْعِقَابُ، وَأَرْتَبَ الدَّعَاةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ اشْتَدُوا: عَدَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالشَّقَاءُ فِي الْآخِرَةِ بِذَلِكَ: لِأَنَّهُ تَعْظِيمٌ لِعِبَادِهِ.

٣٣- وقال عليه السلام لابنه الحسن:

يَا بُنَيَّ، أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا، وَأَرْتَبْهَا، لَا تَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنْ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَاجْتَبَرُ الْفَقْرُ الْحَقُّ، وَأَوْحَشِ الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ، وَآكْرَمِ الْحَسَبِ حُسْنَ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِثَّاكَ وَمُضَادَّةُ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ قَبْضُكَ، وَإِثَّاكَ وَمُضَادَّةُ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَتَعَدَّ عَنْكَ أَوْحَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِثَّاكَ وَمُضَادَّةُ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالنَّافَةِ، وَإِثَّاكَ وَمُضَادَّةُ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْجَبَدَ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ أَشْرَفَ مِنَ الْمَالِ، وَفَصَلَ كَانَ الْغِنَى بِهِ أَفْضَلَ أَنْوَاعِ الْغِنَى، وَالْفَقْرُ مِنْهُ بِالْحَقِّ أَكْثَرَ أَنْوَاعِ الْفَقْرِ. وَأَمَّا الْعُجْبُ بِالْفَقْرِ: فَهُوَ مَا يَلْزِمُهُ مِنْ رَذِيلَةِ الْكِبَرِ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لَاسْتِحْشَاءِ الْمُحْسِنِينَ مِنَ الْخُلُقِ، لَمَّا يَرَى لِنَفْسِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ عَدِيدٍ، وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ قَرِيبًا وَلَا أَهْلًا لِلْمَصَاحِبَةِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَكُونُ نَفَرَتِهِمْ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّوَاضِعُ مُسْتَلْزِمًا لِنَفْسِهِمْ. وَالْحَسَبُ مَا يَعِدُ مِنَ الْمَآثِرِ، وَاشْرَفُهَا الْكِمَالَاتُ الْفُسَانِيَّةُ الْبَاقِيَةُ. وَقَدْ يَخْصُ حَسَنُ الْخُلُقِ فِي الْعَرَفِ بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالتَّوَاضِعِ وَالْبَشَاشَةِ. وَالتَّشَافُهُ: الشَّيْءُ الْقَلِيلُ. وَبَاقِي الْفَعْلِ ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا قَالَ: أَرْبَعًا وَارْبَعًا لِأَنَّ الْأَرْبَعَ الْأَوَّلَى، مِنْ بَابِ اكْتِسَابِ الْمَضَائِلِ الْخَفِيَّةِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ بَابِ الْمَعَامَلَةِ مَعَ الْحَلْقِ. وَقِيلَ: الْأَوَّلَى مِنْ بَابِ الْإِثْبَاتِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ بَابِ النَفْيِ.

٣٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا قُرْبَةَ بِالْوَأْفِ إِذَا أَصْرَتْ بِالْفَرَاغِ.

فَالْإِضْرَارُ بِالْفَرَائِضِ: تَخْفِيفُهَا، وَتَنْقِصُ فَضْلِهَا لِلتَّعَبِ، وَالْمَالُ مِنَ النَّافِلَةِ، وَأَرَادَ بِنَفْيِ الْقُرْبَةِ: كَمَالُهَا وَفَضِيلَتُهَا.

٣٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَخْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

واقول: انه استعار الوراء في الموضوعين، لم يعقل من تأخر لفظ العقل عن رويته، و تأخر رويته الاحمق، وفكره فما يقول عن يوادر مقالته، من غير مراعاة لعقله، والمعنى طاهر مما سبق.

قال السيد رحمه الله: «وهذا من لمعاني العجبية الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشورة سرورية ومؤامرة لصكرة، والاحمق تسبق حركات لسانه وقلبات كلامه مراعاة فكره وحافضة رأيه، فكان لسان العاقل تابع لقلبه، وكان قلب الأحمق تابع للسانه» وقد روي عنه (ع) هذا المعنى بلفظ آخر وهو قوله: «قلب لأحمق في فيه»، ولسان العاقل في قلبه، ومعاهما واحد.

٣٦- وقال لبعض أصحابه في علة اعتلها: حَقَّنَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شُكْرِكَ حَقًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَخْرَفِيهِ، وَلَكِنَّهُ يَخْطُ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتُمُّ الْأَوْزَارَ. وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصَدَقِ الثَّوْبَةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِحَبَّةٍ.

واقول: إن الأجر والثواب إنما يستحقان بالأفعال، والأحوال، لإعدادها للنفس لذلك، كما اشار إليه بقوله، وإنما اُخر الى قوله: ولا أقدم. وكنتي بالاقدم: عن القيام بالعبادة والسعي فيها، وكذلك ما يكون كالأفعال من عدمات المكات كصوم ونحوه. والمرض: ليس بفعل كالعبد ولا ما هو كالفعل. فاما حقة السيئات: فباعتبار كسره لقوتي الشهوة، والعصب اللذين هما مبدءان للذنوب، ولأن من شأنه أن يرجع الانسان فيه الى ربه بالقوة والخصوع فما كان من سيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس، فإنه يسرع زوالها منها. وما صار مكنة قريباً يزول على طول المرض، ودوام الانابة معه الى الله تعالى. ووجه تشبيهه بخت الورق: سقوطه بالكنية، وما ذكره السيد مقتضى مذهب المعتزلة.

قال السيد رحمه الله: صدق عليه السلام. إن المرض لا أجرفيه، لأنه من قبل ما يستحق فيه العوض، لأن العوض يُستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى. بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري بحرى ذلك، ولا أجر وثواب يستحقان على ما كان في

مقابلة فعل العبد، فينهما فرق قد يتنه عليه السلام - كما يقتضيه عنه الثاقب ورأيه
الصائب.

٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَابَ بْنِ
الْأَرْتِ؛ فَقَدْ أَسْلَمَ زَاعِيًا، وَهَاجَرَ ظَانِيًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، طَوَّبَ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ
لِلْجِسَابِ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ.

خَبَابُ بجاء معجمة و ناء مضمة: كان من المهاجرين، مات بعد انصرافه من صفين
بالكوفة، وهو أول من قبرة عليه السلام بها.

٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ صَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُنْعَضَنِي مَا
أُنْعَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِحِمَائِهَا عَلَى الْمُسَافِقِ عَنَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ
قُضِيَ قَانَقَصَى عَلَى إِنْسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ «يَا عَلِيُّ؛
لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُدْفِقٌ».

الخيشوم: اصل الأنف. والحمات جمع حمة، وهو مجتمع الماء من الأرض. و
استعار لمجتمع المال.

٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُغِيْبُكَ.

أى: تندم عليها وتحزن، وإنما كانت خيرًا. لأن الحزن على السيئة ماحٍ لها.
والعجب بالحسنة السيئة ببقية مع إحباطها الحسنة.

٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدَّرَ الرَّبُّ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ. وَصَدَّقَهُ عَلَى قَدْرِ شُرُوءَتِهِ،
وَسَجَّاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ آفَتِهِ، وَعَمَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

قدره: منزلته في اعتبار الناس من تعظيم أو احتقار، وهو من لوازم علو همته، وهو
ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها شرفاً وفضيلة حتى يسمو الى
ماوراءها فما هو أعظم، ويلزم ذلك نله وتعظيمه، وصغرها ان يقتصر على محقرات الأمور و

يقصر عن عليّاتها، وبحسب ذلك تكون قوّته قدره. وكذلك المروّة فضيلة تتعاطى الإنسان الأفعال الجميلة، واجتناب ما تعود عليه بالنفس وإن كان مباحاً فلذلك لزمه الصدق، وكانت قوّته وضعفه بحسب قوّتها وضعفها. ولانعة؛ حميّة الأنف وثوران العصب لما يتخلل من مكروه يعرض استنكاراً له واستنكافاً من وقوعه. وطاهر كونه مبدأً لشجاعة ولا قدم على الأمور واستمرة بفرّة طبيعيّة تكون عن تحيل مشاركة الغير في أمر محبوب له، أو معتقد لوجوب حفظه، وبحسب قوّته تلك السفرة، وتحيل مشاركة الغير في أمر يخصّه محبوب له، يكون وقوعه عن اتباع شهوته في الأمور المختصة بالغير المحبوبة لهم، وهو معنى العفة.

٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطْفِئُوا بِالْحَرَمِ؛ وَالْحَرَمُ بِإِخَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَخْصِينِ الْأَشْرَارِ.

أشار إلى أسباب الضرر القريب، والمتوسط، والبعيد. فالحزم: أن يقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو بُعد من العزوف وأقرب إلى السلامة، وهو السبب الأقرب للظفر بالمطالب، والمتوسط وهو: جالة الرأى وإعماله في تحصيل لوجه الأحزم وهو: سبب أقرب للحزم، والأبعد وهو: سرار يضبط وهو: سبب أقرب للرأى الصالح، إذ قل ما يتم رأى ويظفر بمطلوب مع ظهور إرادته، ووجه التشبيه ظاهر.

٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَأَتَيْتُمُ إِذَا شَبِعَ. أراد بالكريم: شريف لنفس عالي الهمة. وكفى بحوجه: عن شدة حاجته واستنزاف ذلك لشوارح حميته، والقضاء نفسه في علبت الأمور كالولاية على الناس وطلب مجازاتهم، والانتقام منهم فيما اسلفوا معه من قلة الالتفات إليه، والعناية بحاله. وشبع النسيم: كساية عن غده وهو مستنزف لاستمراره على مقتضى طباعه من اللؤم ومؤكّده فيه.

٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلُوبُ الرِّحَالِ وَخَشِيَّةٌ، فَمَنْ نَلَمَهَا أَقْبَتَ عَلَيْهِ. الوحشة عدم الأئس والألفة عما من شأنه أن يأس به، ويألف، وجعلها أصلاً و

٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَيْتُكَ مَسْتُورٌ مَا أَشْعَدَكَ جِدُّكَ .

الجِدُّ: حسن البخت و توافق أسباب المصالح، ومه: متر العيوب.

٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْلَى النَّاسِ بِالْفَقْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ.

أَمَّا يَصْدُقُ مع القدرة على العقوبة، فلا قدر عليها هو لأولى أن يستمى عفوًا.

٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّحَاءُ مَا كَانَ ابْنِدَاءً؛ فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَعَبَاءٌ وَتَنَمُّمٌ.

السَّحَاءُ: مَلَكَةٌ بِدَلِ الْمَالِ لِمُسْتَحَقِّهِ بِقَدَرِ مَا يَسْغَى، ابتداءً ببيعاث النفس، وحسن
المواساة لذوى الحاجة فيه، وبهذا الرسم حرج ما كان عن مسألة وتَنَمُّمٌ. والتَنَمُّمُ:
الاستكفاف مما يقع من السائل كالخافٍ ونحوه.

٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَغْنَى كَرَفْعٍ، وَلَا فَقْرٌ كَالْتَهْلِيلِ، وَلَا مِيرَاثٌ كَالْأَدَبِ، وَلَا

ظَهِيرٌ كَالْمُشَاوَرَةِ.

لفضله على المال. ولا ظهير كالمشاورة؛ لأنها انفع من القوة وكثرة العدد.

والظهير المعين.

٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: انْصَبِرْ صَبْرًا؛ صَبِرْ عَلَى مَا تَكَرَّرَ، وَصَبِرْ عَمَّا تُجِبُّ

فانصبر الاول: مقاومة النفس للمكافاة الواردة عليها، وشباتها عن الغضب و

عن الانفعال عنها وقد يستمى سعة الصدر. واحتمال المكروه، وهو داخل تحت الشجاعة.

ولصبر الثاني: مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو فضيلة تحت العفة.

٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبَيْتُ فِي الْعُرَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي لَوْطَنٍ غُرْبَةٌ.

استعار له لفظ الوطن؛ باعتبار أنه مطية رحته وسكوته اليه، فلا يرى لغربة معه كبير

أَثَرٍ. وَلَفْظُ الْغُرْبَةِ لِلْفَقْرِ فِي الْوَطَنِ: بِاعْتِسَارِ صِيقِ الْحَقَرِ بِهِ وَتَعَسُّرِ الْأُمُورِ مَعَهُ.

٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْقُصُ.

(قال السيد الرضوي: وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله.) واستعار لفظ المال الموصوف للفسادة باعتبار عدم الحاجة معها.

٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِمَالٌ مَادَّةُ اشْتِهَاتٍ.

٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ.

أي: من الأمر كمن بشرتك أي: بالحدة منه، ووجه الشبه ظاهر.

٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبَسَانُ سَعٌّ إِنْ خُلِيَ عَنْهُ عَقَرٌ.

ولفظ السبع، ووصف العقرة: مستعاران باعتبار أن أعمال البسان وعدم ضبطه عن القول بالتفكير سبب لهلاكه الأكثر، والادى الدلب.

٥٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ اللَّبْسَةِ.

واستعار لها لفظ العقرب: لاشتراكهما في الادي. وكسب بحلاوة لبسها عما فيها من اللسبة للعقرب، كاللشعة للحية.

٥٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الشَّيْخُ جَنَاحُ الظَّالِمِ.

باعتبار توصله به الى مراده.

٥٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرْتَبٍ يُسَارُّهُمْ وَهُمْ يَنَامُ.

هـ [ويوجد بعد هذا القول قول مثبت في نسخة الشيخ محمد عبده وغير مثبت في نسخة المرحوم البحراني وهو: «إِذَا حُيِّبَ بَنِيَّةٌ صَبًى بِأَحْسَنِ مَهْرٍ، وَدُ أُسْدِيَتْ بِكَ بِذِكْرِهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، وَحُصِّلَ مَعَ ذَلِكَ لِلْيَدَى.»]

وحه الشه قوله: يسار بهم: اذ الدنيا طريق لأهدبها هم فيها سائرون الى الآخرة.
وكنى بنومهم: عن غفلتهم.

٥٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَدْ الْأَجَبَةُ غُرْبَةً.
فاستعار لفظ الغربة لفقد الأجابة: لما يلزمها من الوحشة^١.

٥٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَوْتُ الْحَاجَةِ تَهَوُّنٌ مِنْ ظَلَمِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.
يعنى: الشام لما فى ذلك من فواتها غالباً وزيادة ذن العصب اليهم.

٥٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَسْتَجِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ؛ فَإِنَّ لِحَرْثَتَانِ أَقْلٌ مِنْهُ.
اي: أحقر فى الإعتبار.

٦٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعُتَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ.
لأنه فضيلة تزين بها صاحبها^٢.

٦١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُتِلْ مَا كُنْتَ.
كيف كنت عليها فيه من علمه او حصون بعصه لأنه غير مقدور لك. فمبالاة و
اهتمامك به مضرّة خالصة وسفّه.

٦٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَرَى الْخَاجِلَ إِلَّا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا.
أي: مرتكبها لأحد طرفى الإفراط والتفريط من لعدل فى الامور لجهله به.

٦٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا تَمَّ الْعَمَلُ نَقَصَ الْكَلَامُ.
وذلك: لضبط العقل آتبه ووزنه له. والموزون اقل من المكيال والحزف.

١ - هذا الشرح يكمله غير موجود فى نسخة ش.

٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الذَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَنْدَانَ، وَيُحَدِّدُ الْأَمَالَ، وَيُقَرِّرُ الْمَيَّةَ، وَيُنَادِي الْأُمِّيَّةَ: مَنْ ظَفَرِيهِ نَصَبْتُ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ.

اخلاقه للابدان: اعداده لضعفها وفنائها بتغيراته. وتحديد الامال بالغرور: بطول البقاء والصحة فيه. وتبعيده للأمنية بحسب تقريبه للميئة. ومن ظفره اى: بمواتاته وبمساعده بمايراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقى بحفظها. ومن فاته ذلك منه تعب بعدم ما يحتاج اليه فيه.

٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَتَبَدَّأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَتْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلَيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

لأن الناس للافعال: اطوع واكثر انفعالا. ومعلم نفسه ومؤدبها: احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وهو ظاهر.



٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَفْسِي وَالْمَرْءُ يَحْطِئُ إِلَيَّ أَحَبَّ إِلَيْهِ.

فاستعار للنفس لفظ الخطا: باعتبار تقريبه ينقصه من غايته وهو الأجل كالخطا المقررة الى غايته.

٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ.

وفيه التنفير عن الدنيا: بالتنبيه على ما يستعقبه من الموت.

٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ أَغْنَبَرُ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

اى: اذا التبس فى مبادئها بمعرفة وجه الدخول فيها وتعسر، قيس على ذلك آخرها واستدل على أنه كذلك فى التعسر فيجب التوقف عنها وعدم التعسف فيها.

٦٩ - ومن خبر ضرار بن صمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسالته له

عن أمير المؤمنين، وقال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرنخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ يتململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول:
 ٦٩ - يَادُّنِيَا يَادُّنِيَا، إِلَيْكَ عَشِي؛ أَيْي تَعَرَّضْتُ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّيْتُ؟ لَأَحَانَ حِينَكَ هَبَّهَاتٍ! غُرِّي غُرِّي، لَأَحَاجَةٌ لِي فِيكَ، قَدْ ظَلَمْتُكَ ثَلَاثًا لَأَرْجِعَنَّ فِيهَا! فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكَ يَبِيرٌ، وَأَمَلُكَ حَقِيرٌ أَوْ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَطَوِيلُ الطَّرِيقِ، وَبُعْدُ السَّفَرِ، وَعَظِيمُ الْمُؤِيدِ.
 السدول جمع سدل وهو: ما أسبل على الهودج. والتململ: التقلقل من الألم. والسليم: الملسوع. واليك من أسماء الأفعال أي: تنسخ. ولا حان حينك أي: لا قرب وقتك أي: وقت خد يعتك وغرورك الي. وحاطبها خطاب الزوجة المكروهة مناوياً لها وهو أغرب والذ. ويسير الخطر، قلة القدر، والفصل ظاهر.

٧٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلسَّائِلِ السَّامِي لَمَّا سَأَلَهُ: أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنْ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هَذَا مَخْتَارَةٌ:

وَيَحَكَ! لَمَّا لَمْ تَنْتِ قَضَاءً لَأَرْبَابٍ وَقَدَرًا جَانِبًا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَقِلَ الثَّوَابُ وَالْجِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، إِنَّ اللَّهَ شَبَّحَنَاهُ أَمْرَ عِبَادِهِ تَحْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَبِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصِ مَعْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعْنًا، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَيْشًا، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

أقول: روى أنه عليه السلام قال في جواب السؤال المذكور: والذي فلق الحبة وبرئ النسمة، ما وطننا موطنًا ولا هبطنا واديًا إلا بقضاء وقدر. فقال السائل: عند الله احتسب، أي: ما أرى لي من الأجر شيئًا. فقال له أيها الشيخ: لقد اعظم الله أجركم في مسيركم و انتم سائرون ومنصرفكم، ولم تكونوا في شيء من حالكم مكرهين وإيها مضطرين. فقال الشيخ: وكيف والقضاء والقدر ساقان؟ فقال: ويحك الفصل. والويح: كلمة

١ - الاستيعاب ٤٦٣/٢. حلية الأولياء ٨٤/١. الرياض النضرة ٢١٢/٢.

٢ - سورة ص/٢٧.

ترحم. والحاتم: الواجب. وقوله: ويحك الى قوله حاتماً: بيان منشأ وهمه وهو، ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر، بمعنى العلم الملزم، والايجاد الواجب على وقته، واستدل على بطلان ذلك التفسير بقوله: ولو كان، الى قوله الوعيد: وبيان الملازمة ظاهر على طريق المعتزلة وعلى غيرهم. وربما يحتاج الى ايضاح ليس هذا موضعه. وقوله: ان الله سبحانه مرشدة: الى تفسير القضاء بالامر والحكم كما قال تعالى: (وقضى ربك) الآية. ومعلوم ان امر الله ونهيه: لا ينافي اختيار العبد في فعله وتركه، فلذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكلف المقصود من الحكمة اموراً عشرة نسقها.

وقد تفسر قوم، القضاء والقدر بمعنى آحراشرنا اليه في الأصل^٢ وعلى ذلك ايضاً لا ينافي الاختيار والتكليف كما بيّنا هناك. وقوله: ولم يعص مغلوباً ولم يطمع مكرهاً أي: بل فوّض فعل العبد اليه، ولو كان العبد محبراً، كانت الطاعة كرهاً، وبعثه الرسل والكتب لعباً وعشاً والتالي بأقسامه باطل.

٧١. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِحِكْمَةِ اللَّهِ كُنْتُ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُتَّقِينَ فَتَنْعَمُ فِي صَدْرِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ فَيَسْكُنَ إِلَى مَسَاجِدِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِينَ. كَيْ يَتَجَدَّبَهَا: عن عدم ثباتها في قلب المنافق لأنه ليس مظنة لها، وسكونها الى صواحها في صدر المؤمن عن ثباتها في قلبه لأنه أهلها.

٧٢. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَدِّ لِحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ الْفِتَاقِ. فاستعار لفظ الضالة باعتبار أن من شأنه أن يضلها وينشدها كصاحب الضالة.

٧٣. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُخَيِّسُهُ.

فقيمته: محله عند الناس، والكلمة طاهرة. وغرضها الترغيب في أعلى ما يكتسب من الكمالات.

١ - سورة الاسراء / ٢٣

٢ - الشرح الكبير ٥ / ٢٧٨

٧٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ تَوْضَعْنَ بَيْنَكُمْ إِيَّاهَا آبَاطُ الْإِيْلِ لَكَانَتْ لِيذَلِكَ أَهْلًا: لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ.

كُنْتُ بِضَرْبِ آبَاطِ الْأَيْلِ: عَنِ الرَّحْلَةِ فِي طَلْعِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّاكِبَ يَضْرِبُ أَبْطَى رَاحِلَتِهِ بِرَجْلَيْهِ لِيَحْتَمِلَهَا. وَالْفَصْلُ ظَاهِرٌ. وَأَمَّا شَبْهُ فَضِيلَةِ الصَّبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، لَشَرَفِهَا وَحَاجَةِ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ الَّتِي هِيَ أَجْرُ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى اكْتِسَابِهَا، ثُمَّ عَنِ الْبَقَاءِ عَلَيْهَا عَنِ الْخُرُوجِ عَنْهَا فَاشْتَبَهَتْ الرَّأْسَ فِي عَدَمِ قِيَامِ الْبَدَنِ بِدُونِهِ.

٧٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَرْجُلُ أَوْفَرُ فِى الشَّيْءِ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ مِنْهُمَا: أَنَاذُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِى نَفْسِكَ.

٧٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا. وَلَا أَرَى ذَلِكَ: إِلَّا لِلْعَنَاءِ بِاللَّهِ بِمَقَامِ النَّوْعِ، وَحِفْظِهِ وَاقَامَتِهِ بِإِحْلَافِ مَنْ قَتَلَ مِمَّنْ بَقِيَ.

٧٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لَا أَذْرِى» أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ. التَّرِكَ الْمَذْكُورُ كُنَايَةٌ: عَنِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَاصَابَةُ الْمَقَاتِلِ كُنَايَةٌ: عَنِ الْهَلَاكِ الْحَاصِلِ بِسَبَبِ الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٧٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَأَى الشَّيْخُ أَحَبُّ إِلَى مِنْ جَلْدِ الْعَلَامِ. وَرُيِّ «مَنْ مَشَّهَدَ الْعَلَامِ»

وَجَلْدُهُ: قُوَّتُهُ. وَأَمَّا خَصَمُ الرَّأْيِ بِالشَّيْخِ وَالْحَلْدُ بِالْعَلَامِ: لِأَنَّ كِلَاهُمَا مِظَنَّةٌ لِمَا خَصَمَهُ بِهِ. وَالرَّأْيُ الصَّالِحُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْقُوَّةِ كَمَا قَالَ: الرَّأْيُ قَبْلُ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ. وَمَشْهَدُ الْعَلَامِ حَضُورُهُ.

٧٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَمِلْتُ لِمَنْ يَنْقُطُ وَمَعَهُ الْإِسْتِعْقَانُ

٨٠- وَحَكَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَافِرُ عَنْهُمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمْدَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَذُوبَكُمْ الْآخَرَ فَنَمَسَكُوا بِهِ:
أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَلَا يَسْتَعْقَانُ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ).
القنوط: اليأس. والمعنى واضح.

قال السيد الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

٨١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ:
وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعْظَمَ كَرَاهِيَةً مِنَ اللَّهِ حَافِظًا.
أي: يتقواه. لأن ما لتقوى صلاح قوتى شهوة والغضب، اللذين فسادهما بهذا الفساد
بين الناس. لأن الدنيا المطلوبة لمن أصبح أمر آخرته مسهية. وقد تكفلت العادة الألهية
باصلاحها، ولأن مصلح آخرته معامل للخلق بمكارم الاخلاق، وذلك مستلزم اصلاح دنياه
مع أهلها. ومن كان له فى نفسه واعظ أى: زاجر عن المعاصى باعث على لزوم العدل
فى النفس الامارة التى هى مبدأ الشر، فى الدارين كان عليه من الله حافظ فيهما.

٨٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَصِيَّةُ كُلُّ الْقَصِيَّةِ مَنْ لَمْ يُنْقِطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ
يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

أي: انتقام فى العمل وذلك أن لكل من النفوس الجاهلة دواء من الموعظة مخصوص
لا تشفى بغيره. فلبعضها الوعد، ولبعضها الوعيد، ولبعضها البشارة، ولبعضها النذارة.
والفقيه العالم بفرض الحكمة الألهية من انكتاب العزيز يضع كلاً موضعه.

٨٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْصِعِ الْعِلْمَ مَا وَقِفْتَ عَلَى النَّسَانِ؛ وَارْفَعْهُ مَا طَهَّرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

يريد بالعلم الأول: العلم الذي لا عمل معه، وظهره في الوصف اللساني فقط. والثاني: العلم المقرون بالعمل، وهو العلم الراسخ الذي تظهر آثاره في العبادات البدنية على جوارح العبد، ظهور العلة هي معلولها، وهو العلم المستفيع به في الآخرة.

٨٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ؛ فَاسْتَعُوا لَهَا ظَرَائِفَ الْحِكَمِ.

وظرائفها: لطائفها وغرايبها المعجبة للنفس اللدنية لها، وذلك ليكون إبداء في اكتساب الحكمة بنشاط.

٨٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ «لَهُمْ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَبَكِنْ مَنِ اسْتَعَدَّ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آثَمُوا لَكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَفْتَنُوا) وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَحْتَرِهُمُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ الشَّائِخُ لِرِزْقِهِ، وَالرَّاصِيَ بِبَيْتِهِ، وَنَ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَبَكِنْ لِيُظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهِ يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الدُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ، وَيَكْرَهُ اتِّبَالَهُ الْحَالِ. قَالَ السَّيِّدُ الرَّضَى: وَهَذَا مِنْ غَرِيبٍ مَا سَمِعَ مِنْهُ فِي التَّفْسِيرِ.

وأقول: مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ: ما يضل بها عن سبيل الله، وهي المستعار منها وهي أخص من مطلق الفتنة، كما أشار إليه عليه السلام.

٨٦- وَسُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟

فقال: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ، وَلَوْلَاكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَنْقُصَ حِمْلُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اللَّهَ، وَإِنْ أَسَاءْتَ اسْتَغْفَرْتَ

الله؛ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذِنَتْ دُنُوهُمَا فَهُوَ يَتَذَكَّرُهَا بِالنُّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى؛ وَكَفَتْ يَقْبَلُ مَا يُتَمَلَّ؟

قوله: وَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى أَي: وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَإِنْ أَتَى مَعَهَا مَالِقِيلٌ إِذَا كَانَ مُتَّقِيًّا، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعَ التَّقْوَى يَقْبَلُهُ اللَّهُ مَسْمُوعًا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ: أَنَّ الْمَذْنِبَ وَإِنْ كَانَتْ حَسَنَتُهُ بِالنُّوْبَةِ قَبِيضَةً، بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَسَنَاتِ مَنْ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ وَسَبَقَ إِلَيْهَا، لَكِنَّمَا لَيْسَتْ بِقَلْبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا لَا يَقْبَلُ مَا يَتَقَبَّلُهُ.

٨٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَوَّلَى نَاسٍ بِالْأَنْبِيَاءِ أُعْثِبُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا: (إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِسْرَائِيلَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا السَّبِيحُ وَلِذِينَ آمَنُوا) ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَى مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ: وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ! أَمَّا جَعْلُ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْأَعْمَمَ مَا حَاجَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ أَوَّلَى بِهِمْ، لِأَنَّ الْإِتِّبَاعَ مُسْتَمَرٌّ لِلْعِلْمِ بِمَا جَاءُوا بِهِ، وَالْمَرَدُّ مَالِ الْوَلِيِّ الْأَوَّلَى: بِاتِّبَاعِهِمْ، وَالْأَحْصَاءُ بِهِمْ.

٨٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي سَمْعٍ رَحَلًا مِنَ الْحُرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ فَقَالَ: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ.

الحُرُورِيَّةُ: فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ نَسَبُوا إِلَى قَرْيَةٍ بِالنُّهْرَوَانِ تُعْرَفُ بِحُرُورٍ. وَكَانَ أَوَّلُ اجْتِمَاعِهِمْ بِهَا، وَالتَّهَجُّدُ: السَّهْرُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَالتَّشَكُّعُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، شَكَّهُمْ فِي الْإِمَامِ وَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَى وَجوب طاعته، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَحْكَامِ.

٨٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اغْبِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلٌ رِغَابِيٌّ لَا عَقْلٌ رِوَايِيٌّ؛ فَإِنَّ رُؤْيَا الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرِغَابَتُهُ قَلِيلٌ. فَعَقْلُ الرِّعَايَةِ: تَدَبُّرُهُ وَتَفْهَمُ مَعْنَاهُ. وَعَقْلُ الرِّوَايَةِ: نَقْلُ الْعَلَاةِ فَقَطْ.

١ - سورة آل عمران ٦٨.

٢ - معجم البلدان ٢/٢٤٥.

٩٠ - وسمع رجلاً يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقال عليه السلام: إن قولنا (إنا لله) إقرارٌ على أنفسنا بالملك؛ وقولنا (وإنا إليه راجعون) إقرارٌ على أنفسنا بالهناك. والمعنى ظاهر.

٩١ - ومَدَحَهُ قومٌ في وجهه، فقال: اسلّموا إنك أعلم بي من نفسي، وأن أعلم بنفسي منهم؛ اللهم اجعلنا خيرًا مما نطُنُّ، وغيِّر لنا ما لا نَعْمُو.

٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَسْتَقِمْ قَضَاءُ الْخَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِإِسْتِغْفَارِهَا لِتَعْظُمَ؛ وَبِاسْتِكْنَامِهَا لِتُظْهَرَ؛ وَبِتَحْيِيلِهَا لِتَهْوَى.

أراد باستقامة قضائها كونه على قنون العدل، واستغفاره لما تقضيه منها يدل على علو الهمة والسماحة، وهو مستدرج لعظمها واشتهارها بين الناس، واستكشافها يدل على بعده عن الرياء، والسمعة، والامتصاف، ولا استكثام: يعود في الحقيقة إلى ما يقضى به الحاجة. لكن تسمية المحتاج إليه دساحاة مجاز من باب إطلاق اسم المتعلق على التعلق، فذلك عادت الضمائر إلى لفظ احوائج، وباقي الكلام ظاهر.

٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَأْنِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُعْتَرَفُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ؛ وَلَا يُظَرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاحِرُ؛ وَلَا يُصَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصَفُ: يُعْدُونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا؛ وَصِلَةَ الرَّجِيمِ مَنًّا؛ وَالْعِبَادَةَ أَسْطِطَالَةً عَلَى النَّاسِ! فَمِنْ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ لُئْسَاءٍ وَإِمَارَةُ الصَّبِيَّانِ وَتَدْبِيرُ الْخَضِيَّانِ.

الماحل: الساعى، بالتميمة إلى السلطان. والمخل الكيد، ورؤى الماحن وهو: المستهزئ اللاعب عوض العاجر. ويضعف: يُعَدُّ ضعيفًا عاجزًا. وقيل: يعد ضعيف العقل لترك الظلم كان له حقًا يحملة بالانصاف. وعدم المعلى والاستطالة بالعبادة أن يرى صاحبها له على الناس حقًا فيرفع عليهم كالممتن بها.

٩٤ - وَرَوَى عَلَيْهِ إِزَارُ خَلْقٍ مَرْقُوعٍ فَفِيلٌ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ،

وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَضِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ.

والمعنى ظاهر.

٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِدْوَانِ مَتَّعَاوِنَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ: فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاها أَبْعَصَ الْآخِرَةَ وَعَاقِبَتُهَا، وَهَمَّا بِمِثْرَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَنْ أَحَبَّ الْآخِرَةَ، كَلَّمَ قَرِيبَ مَنْ وَاحِدٍ بَعْدَ مَنْ الْآخِرِ، وَهَمَّا بَعْدَ ضَرْبٍ نِإٍ
والمعنى أيضا ظاهر.

٩٦ - وعن نوف البكالي، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد حَرَّجَ من فراشه فسطر في الجحوم فقال لي: يانوف، أراقذ أنت أم راقم؟ فقلت: بل راقم
قال: يانوف.

طوبى لبراهيلين في الدنيا الرعيس في الآخرة؛ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّحَدُوا لِأَرْضٍ بِسَاطَاءَ، وَتَرَاتِبًا فِرَاشًا؛ وَمَاءَها طَيْبًا، وَالْمَرَاتِنُ شِدْرًا، وَلِدُعَاءُ دَنَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِتْهِجِ الْمَسِيحِ.

يَانُوفُ، إِنَّ ذُو عَدِيهِ السَّلَامُ قَدِمَ فِي مِثْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا مَدَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، لِأَنَّ يَكُونُ عَشَارًا أَوْ عَرِيقًا أَوْ شَرْطِيًّا، أَوْ صَاحِبَ عَرُطَةٍ (وهي الطيب) أَوْ صَاحِبَ كَوْتَةٍ (وهي الطل). وقد قل أيضا: إن العرطة الطل والكوة الطنور.

والراقم: الباطل. والعريف: نقيب الشرطة. وعَرَفَ الراهد في الدنيا ستة أوصاف لعرض معرفتهم والافتداء بهم. واستعار لفظ أشعار لقربان: باعتبار ملازمتهم له كالشعار للحسد. ولقط الدنار للدعاء: باعتبار احتراسهم به من عذاب الله، وقرضهم للدنيا: اكلهم منها أيسرها يدفع ضرورتهم. وأما استثنى المذكورين، لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله.

٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْقَرَائِصَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ لَكُمْ

حُدُودَ، فَلَا تَعْتَدُوهُ؛ وَتَهَاكُمُ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدْعُهَا
نَيْسِيَانًا فَلَا تَنْكَلِفُوهُ.

ما سكت عنه كالعلوم التي لم يرد في الشرع التكليف بها، كالبحث عن الفضاء
والقدر ونحوه من المسائل.

٩٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِأَنْ يَصِلَاجَ دُنْيَاهُمْ، لَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.

ذلك^١ كمن يخفف عبادته ويؤخرها عن أوقاتها لاشتغاله بإصلاح صنعته أو تجارته.
ولما كان الحرص في كُلِّ امرئ دنيوى مُعَذِّباً يَطْلُبُ الزيادة فيه، والاستكثار منه، وبحسب
ذلك يكون البعد عن الآخرة، كان ذلك باباً من أبواب طلبها وإصلاحها أشد من تركها،
وأوسع فكان أصعب وأضر.

٩٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ حَقُّهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ.

أراد علماء الرواية دون الدراية، والعلماء بما لانفع فيه من العلوم في الآخرة، كعلم
السحر مثلاً لمن جهل شرائع الاسلام، فتعدى حدّاً، أوجب هلاكه في الدنيا، واستلزم
هلاكه في الآخرة مع وجود ذلك العلم معه.

١٠٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ عَلَّقَ بَيْتَايَ هَذَا الْإِنْسَانُ بِصُغَةٍ هِيَ أَغْصَبُ مَا فِيهِ
وَهُوَ الْقَلْبُ؛ وَلَهُ مَرَادٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَصْدُكَ مِنْ خِلَافِهَا: فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرِّجَاءُ أَذَلَّهُ الظَّمْعُ،
وَأِنْ هَاجَ بِهِ الظَّمْعُ أَهْلَكَهُ الْجِرْصُ، وَإِنْ مَدَكَ النَّاسُ قَتَلَهُ الْأُتْسُفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْعَصَبُ
أَشْتَدَّ بِهِ الْغَيْطُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَبَى التَّحَقُّطُ، وَإِنْ دَلَّهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ
الْأَمْرُ أَشْتَلَّتْهُ الْخَيْرَةُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّهَ الْخَرْجُ، وَإِنْ أَقَادَ مَالًا أَطْعَمَهُ الْبُعْسُ؛ وَإِنْ
عَصَبَتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبِلَاءُ، وَإِنْ حَذَّاهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَحُ كَطَشَتْهُ
الْظَنَّةُ؛ فَكُنْ تَقْصِيرَ بِهِ مُضِرٍّ، وَكُنْ إِفْرَاطَ لَهُ مُفْسِدًا.

١- كلمة ذلك غير موجودة في ش.

أقول: البساط: عِزٌّ غُلِقَ به القلب. والمواد من الحكمة هي الفضائل الحقيقية التي هي مواد كمال النفس، وضداده، والمخالفة لها هي: ما يضادها من الرذائل، وهي اطراف الافراط والتفريط منها. فلطبع: رذيلة الافراط من فضة العدل في الرجاء الذي ينبغي. ونقرعه بما يلزمه من الذلة ومن الحرص المبهك في الدارين. واليأس رذيلة التفريط منه ونقرعه بما يلزمه من شدة الأسف القاتل. واشتداد العبط: طرف لافراط من الغضب المعتدل الملازم للشجاعة، ويُسَمَّى طيشاً. وترك التحفظ رذيلة تلزم الافراط، في رضى الناس^١ بما يحصل عليه من دنياه واشتغال بالجنس، رذيلة الافراط فيه فيشتغل به الانسان عما ينبغي من الاخذ بالحزم، والعمل للامر المحوف، واستلاب العزة والعمه لعن الأمن حتى لا يفكر في مصلحته، وعاقبة أمنه رذيلة تلزم الافراط في الأمن والجزع بما يلزمه من افضيحة به رذيلة تلزم التفريط من فضيلة الصبر على المعصية، واحتمال المكاره والظنوس كثرة المال، رذيلة تلزم الافراط في كثرته. والظنون تجاوز الحد، والاشتغال بالحمسة والبلاء رذيلة التفريط: من فضيلة الصبر على الفقر ولوازمه، وقعود الضعف به لازم التفريط من العدل في الأكل. وجهد البطنة: رذيلة تلزم من افراط الشح من فضيلة القصد فيه.

١٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ اسْمُرُقَةُ الْوَسْطَى، بِهَا يَنْحَقُّ النَّاسُ، وَبِئْسَ يَرْجِعُ الْعَالِي.

السمركة: ومادة صغيرة، واستعار لفظها بصفة الوسطى له، ولأهل بيته عليهم السلام: باعتبار كونهم ائمة العدل يَسْتَبِيحُ الْحَلْقُ الهِم، في تدبير معاشهم ومعادهم. ومن حق الامام العادل ان يلحق به التالي اي: المفرط المقتصر في الدين. ويرجع اليه العالي، اي: المفرط المتجاوز في طلبه حد لعدل، كما يستند الى الوسادة المتوسطة من على جانبها. وربما كان وصف الوسطى راجعاً الى المستعار له، فلا يدخل في وجه الشبه الا مجرد كونها مستنداً إليها.

١ - في نسخة ش: الانسان.

١٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَفْقَهُمْ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا بَصَاعَ وَلَا يَصَارِعَ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمُظَامِعَ.

فالمصانعة: المصالحة بالرشوة ونحوها. والمضارعة، مقابلة من الصرع، وهو: الذلة كأنّ كلاهما يضرع للآخر. واستلزام الأمور الثلاثة ليفضح أوامر الله. وللين في إقامة أمر دينه ظاهر.

١٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَقَدْ تَوَفَّى سَهْرٌ بْنُ حُسَيْفٍ الْأَنْصَارِيَّ بِالنُّكُوفَةِ بَعْدَ مَرَجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ: لَوْ أَحْتَنَى جَبَلٌ لَتَهَاقَتْ.

قال الرضى: ومعنى ذلك أن المحنة تعلط عليه فتسرع المصائب إليه ولا ينفل ذلك إلا بالأتقاء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله: مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ نَبِيِّتٍ فَتَسْتَعِذُّ لِلْفَقْرِ حُلْمَنَا.

وتهاقت: سقط قطعة قطعة. وقد يؤوّل ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره.»

١٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَا ذَنْ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةٌ أَوْحَشُ مِنَ لُجْبٍ، وَلَا عَقْلٌ كَأَلْتَدْبِيرِ، وَلَا كَرَمٌ كَالنُّفَى، وَلَا قَرِينٌ كَحُسْنِ الْحُلَى، وَلَا مِيرَاثٌ كَالْأَذْبِ، وَلَا قَائِدٌ كَالنُّوْفَى، وَلَا نَحَارَةٌ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا رَنْجٌ كَالنَّوَابِ، وَلَا وَرَعٌ كَالنُّوْفَى عِنْدَ الشُّبُهَةِ، وَلَا زُهْدٌ كَالرُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَلَا عِلْمٌ كَالسُّكْرِ، وَلَا عِيَادَةٌ كَأَذَى الْفَرَانِصِ، وَلَا إِيْمَانٌ كَالْحَيَاءِ وَبُصْرٍ، وَلَا حَسَنَةٌ كَالنَّوَاضِعِ، وَلَا شَرَفٌ كَالْعِلْمِ، وَلَا مُصَاهَرَةٌ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

فقلوه: أعود أي: أنفع لصاحبه، و مستعار لعط المال للعقل: لأن بهما الغنى. ولعظ الوحدة للعجب لما يلزمهما من الوحشة فإن المعجب بنفسه يرى الناس دونه فيلزم ذلك عدم الأُنس بهم، وعدم التواضع لهم المستمر للوحشة كما سبق. والتدبير تصرف العقل العملي في المصالح، كما ينسقى فقد يستوى عقلا وإن كان ثمرة العقل. ولما كان التقوى مستلزمة للرهد في الدين، وبذل اشرف متاعها بسهولة وطيب نفس، فلا كرم مثله.

والتوفيق: عبارة عن توفيق اسباب الشيء وشرائطه العائدة الى حصوله. واستعار لفظ التجارة: لعمل الصالح، وهو اشرف التجارات لاستلزامه اشرف الأرباح، وهو الثواب الأخروي. والورع في العرف: الوقوف عن المناهي، ولذلك كان الوقوف عما اشتبه من الامور في حله، وحرمة، أبلغ اقسام الورع. والرهدة في الحرام: هو الرهد الواجب و كان أفضل افضلية الواجب على الدس. والتفكر علم به تحصن العلوم المكتسبة، فكان أفضل افضلية الأصل على الفروع. وكل فضيلة من اجزاء الايمان الكامل ايمان. والحياء والصبر من اشرفها. ويحتمل ان يريد لايماناً: كأيمان كُمل بالحياء والصبر، والحسب: ما يُعَدُّ من المكرم. والتواضع، من اشرفها وأعظمها استلزاماً للخيرات الكثيرة.

١٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا اسْتَوَلَى الصَّلَاحُ عَلَى الرِّمَانِ وَأَهْلِيهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَطْهَرْ مِنْهُ خَزِيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَذَا اسْتَوَلَى الْفَسَادُ عَلَى الرِّمَانِ وَأَهْلِيهِ فَأَخْسَنَ رَجُلٌ أَطَنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.
وروى عوض خزية حوة اي: اثم، وعرر: اوقع نفسه في الغرة والعفة.

١٠٦ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ نَحْدُكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ حَدٌّ عَنْ يَمْنَى يَتَّقَاهُ، وَيَسْتَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ.
سببية اللقاء للمناء. والصحة لتقريبهما اليهما، وكونهما عائبين. والمأمن: هو الدنيا. وانما يؤتى المرء يدخل عليه ما يكره منها.

١٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَابِ إِلَيْهِ، وَمَعْرُورٍ بِالشَّرِّ عَلَيْهِ؛ وَمَفْتُونٍ بِخُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ابْتُلِيَ اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ.
المستدرج: المأخوذ على غرة. والمفتون: المبتلى. والإملاء: الإمهال.

١٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلَكَ فِي رَجُلَابٍ مُجِبُّ غَالٍ، وَمُنْعَصُ قَلٍ!
قال: اُتِلُو في محبته: طرف افراط، وبعضه: طرف تمريط منها، وهما: رذيلتان

يستلزمان النفاق بل الكفر والهلاك به في الآخرة. أما المحب الغالى: فيجعله إلهاً. و
أما المبغض الغالى: فيبتكفيه له كالخوارج.

١٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ عُصَّةٌ.

فالفرصة: ما امكن من نفسه.

١١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَةِ لَيِّنٌ مَسْهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي
جَوْفِهَا: يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَيْرُ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ!

وجه التمثيل: أن لذة الدنيا وطيبها، يشبه لين السم من الحية، وما يحصل
من لذاتها من الهيئات الرديئة المتمسكة من جوهر النفس التي يحصل بها التعذيب
في الآخرة. يشبه سمها وهوى الجاهل اليها: هله الى ما فى ظاهرها من اللين واللذة: و
حذر العاقل منها، لمعرفة بها.



١١١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِمَّنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: أُمُّ بَنُو مَخْزُومٍ قَرِيْبَانَهُ قُرَيْشٌ نَجِبٌ
حَدِيثٌ رِجَالُهُمْ، وَالنُّكَاحُ فِي نِسَائِهِمْ، وَأَمَّا بَنُو عُبَيْدِ شَمْسٍ، فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا، وَأَمْتَنُهَا لِمَا
وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمَّا نَحْرٌ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِيهَا، وَأَمْسَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِفُؤُسَتَا، وَهُمُ أَكْثَرُ
وَأَمْكُرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْرٌ أَفْضَحُ وَأَصْغَحُ وَأَصْبَحُ.

بنو مخزوم: بطن من قريش. قيل: كان لمخزوم ريح كالخزامى، ولون كلونه
وهما، غالبان في ولده، ولذلك سمي هذا البطن: بريحانة قريش. وقيل: كان في
رجالهم كيس وفي نسائهم لطف وتصفع للرجال. وبعد الرأي كناية: عن جودته وقوته.
يقال: فلان بعيد الرأي اذا كان يرى المصلحة على بعد. وكونهم امتنع لِمَا وراء ظهورهم
كناية: عن الحمية. وانكر: اكثر نكراً، والتكر: المنكر. وأصبح أحسن وجوهاً أو اطلق
وجوهاً، وأشد بشاشة.

١١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَتَانُ مَا يَتَّقِ عَمَلِي: عَمَلٌ تَذْهَبُ لَدُنْهُ وَتَقَى تَبِعَهُ، وَ عَمَلٌ تَذْهَبُ مَوْتُهُ وَيَتَّقَى أَجْرَهُ.
فانعمل الأول: العمل للدنيا، والثاني، العمل للآخرة.

١١٣ - وَنَبَعَ جِمَارَةٌ فَسَمِعَ رَجُلًا يَصْحَكُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ لَمُوتٍ فِيهَا عَنَى غَيْرِنَا كُتِبَتْ، وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَنَى غَيْرِنَا وَجَبَتْ، وَكَانَ الْيَدَى تَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَبِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! سَوَّاهُمْ أَحَدَاتُهُمْ، وَنَأْكُلُ ثَرَانَهُمْ؛ كَانَ مُحَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِيتَ كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَزَمِيَتْ بِكُلِّ بَجَائِحَةٍ!! طَوَسَى لِمَنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَشِبُهُ؛ وَضَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ حَافِئَتُهُ؛ وَأَتَمَّنَ الْفَضْلَ مِنْ دَلِيهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَوَسِعَتْهُ السَّكَةُ وَلَمْ يُنْسَسْ إِلَى الدِّعْغَةِ. «قُلْ لِرَضَى: أَقُولُ: وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَنْسِبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.»

وحه التشبهات: فنة اهتمام اساس بالموت لعصمتهم وعدم اعتبارهم بمن يموت.
وتوا المكان: اخدمته. ولحاجة الهدية. وكلام وصح.

١١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ، وَغَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ.
وذلك ان غيرة لرجل: انكار لما أسخط الله. وغيره المرأة: انكار لما آحته ورضيه.

١١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تُسَيِّرَ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسِبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلَامُ هُوَ اسْتِسْلِيمٌ؛ وَالْتِسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ؛ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ؛ وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ؛ وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

هذه النسبة بالتحريف، أشبه بها بالقياس. فعرف الاسلام: بأنه التسليم لله، والدخول في طاعته وهو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه. والتسليم بأنه اليقين، وتعريف بلازم مساوي. إذ التسليم الحق: أما يكون عن تيقن بين سلم له، واستحقاقه التسليم، واليقين بأنه التصديق أي: التصديق الحازم المطابق البرهاني، فذكر حسنه وتبه بذلك على حده اورسمه.

ولتصديق بآته: الاقرار بالله ورسوله، وما جاؤا به من أسرار وهو تعريف بلفظ اعرف. والاقرار: بآته: لأداء ات: اداء ما أقر به من واجب الطاعات وهو: تعريف بحديثه له. والاداء: بآته العمل لله وهو: تعريف بلفظ اعرف، وكنت المسنة الى تعريف الاسلام بالعمل، وهو: تعريف له ببعض خواصه.

١١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِلُ اسْتَعْجَالَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ هَرْتُ، وَنُفُوتُ الْبَشَى الَّذِي إِلَيْهِ ظَلَبْتُ، فَيَقِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيَحَامِسُ فِي الْآخِرَةِ حَسَابَ الْأَغْيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ تَكْثُرُ الْإِثْمَاتُ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُظْمَةً وَيَكُونُ عَذَابُ حِمْمَةٍ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى حَقَّقَ اللَّهَ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَبَى الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَكْثَرَ اسْتِشَاءَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى اسْتِشَاءَ الْأُولَى، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَارَ الْهَنَاءَ وَتَذَرُّهُ ذَرِ الْفَقَاءِ!!!

استعجال البغيل المقر: لعدم سده في يده من ما حتى كنهه ففيسر. وذكر عليه السلام، محل المحب من هؤلاء لاربعة تصرفا عنهم، وهو ظاهر.

١١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ أَتَيْنِي بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِمْ يَمُنُّ لَيْسَ إِلَهُ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ.
اراد العمل لله وذلك: أن المقصر فيه يكون غلب أحواله في طلب الدنيا التي لا تعف طلبها، والابتلاء بالهم من لوازم ذلك الصب. وفي المشهور: حذ من الدنيا: ما شئت و من الهم ضعفه^١.

١١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَقَّؤُا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَسْقُوهُ فِي آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأُتْبَانِ كَيْفِيَّةً فِي الْأَشْحَارِ: أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ.
اما توقيه في أوله: فلأن البرد أخريفي يترد على ابدان قد استعدت لفعفه بحارة اضيق ويسه، وما يستمرانه من لتخجل وكثرة التحلل^٢ فذلك: يكون قهره لتعاقل

١ - مي ش: صعبه. ٢ - مي ش هكذا: وما يستمرانه من التحل.

الطبيعى، وضعف الحار العريزى وحدوث ما يحدث عن اجتماع لبرد واليبس، سذين هما طبيعة الموت من ضهور الأبدن وضعفها وانحسار الاوراق. وأما تنقيته في آجره وهو، آخر الشتاء، واول من الربيع: فلاشتراك الرمانيس في الرطوبة التي هى مادة الحياة، وانكسار سوية بردالشتاء، سخارة الربيع واعنداله فيقوى لذلك الحار لعريزى، وتتفش الأبدان، ويكون بذلك، نموها وقوتها، وظهور الاوراق والثمار.

١١٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِظُمُ الْحَالِقِ عِنْدَ يُصْعَقُ الْمَخْلُوقُ فِي عَيْكَ.

هذا امر، وجده اولياء الله، وقبل لبعضهم: فلا زاهد، فقال: همدا؟ فقل: في الدنيا، فقال: الدنيا لا تزن عند الله، جتاج يعوضة فكيف يعتبر لزهد فيها؟ والرهه أما يكون في شىء، والدنيا عندى لا شىء، وذلك لما وجد من عظمة الله تعالى.

١٢٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقد رجع من صقن فأشرف على الصور بظاهر الكوفة:

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُؤَجَّسَةِ، وَلِمَحَاةٍ لِمُتَفَرَّةٍ، وَالْمُنُورِ الْمُظْلِمَةِ؛ يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْعُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ؛ أَنْتُمْ لَنَا عَرَضٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَنْعٌ لَاحِقٌ؛ أَمَّا دُورُكُمْ فَتَدْ سَكَيْتَ، وَأَمَّا الْأَرْوَاحُ فَتَدْ نُكِبَتْ؛ وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَتَدْ قُسِمَتْ. هَذَا خَرُّ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبِرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أَمَا نَوَدُّنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ حَيَرَ الْمَرَادِ التَّقْوَى.

أقول: المراد: الذي يتقدم الواردة فيهنى في الارشاء والدلاء. وخاطبهم عليه السلام خطيب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة. والفصل من أبلغ المواظ والتذكير، بأمر الآخرة وهو واضح.

١٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وقد سمع رجلا يذم الدنيا :

إِنَّهُ إِذْ لَمْ يَلِدْ دُنْيَا الْمُتَجَرِّمِ يُرْوَرُ بِهَا الْمُخْتَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا ! أُنْتَقَرُ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَدُفَعُ : أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيَّهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيَّكَ ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ ؟ أَيْمَصَّارِعَ آتَانَتْ مِنْ الْبَلَى ؟ أَمْ يَمْصَاحِجُ أَقْهَانِكَ نَحْتُ الثَّرَى ؟ كَمْ عَلَّكَ بِكَفِّكَ ؟ وَكَمْ مَرَّضَتْ بِسَدِّكَ ؟ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْيَاءَ ، غَدَاةٌ لَا يَمْنَعُ عَنْهُمْ دَوَائُكَ ، وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ بُكَائُكَ ، وَلَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ وَلَمْ تُشْفِ بِطَلْبَيْنِكَ ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِمُؤْنِكَ ! وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِه الدُّنْيَا نَفْسَكَ ! وَيَمْضِرُّعِهِ مَضْرَعَتُكَ . إِنَّ الدُّنْيَا ذَرْبُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَذَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَذَارُ غِنَى لِمَنْ تَرَوَّدَ مِنْهَا ، وَذَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ أَنْعَطَ بِهَا ، مُسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمَهْطُ وَحْيِ اللَّهِ ، وَمَثَجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، أَكْتَسَبُوا فِيهَا الرِّحْمَةَ ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْحَيَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَدْنُمُهَا وَقَدْ ذَنَبَتْ بِسَيِّئِهَا ، وَنَادَتْ بِمِرَاقِهَا ، وَتَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَلَتْ لَهُمْ بَيَانِهَا أَلْبَاءَ ، وَشَوَقَهُمْ يَسْرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ ؟!! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ ، وَابْتَكَّرَتْ بِفَجِيعَةٍ تَرْهَبُهَا وَتَرْغِبُهَا ، وَتُخَوِّفُهَا وَتُخَذِّرُهَا ، قَدَّمَهَا رَجُلًا غَدَاةَ الْبَدَاةِ ، وَحَمَدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ذَكَرْتُهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا ؛ وَحَدَّثْتُهُمْ فَصَدَّقُوا ، وَوَعظْتُهُمْ فَاتَّقَوْا .

قوله : بمصارع آباءك : استفهام استهزاء . ومثنت : صورت . وتصديق من صدقها : اعترافه بتغيرها وزوالها . وما مثلت به نفسه . ودار عافية لمن أي : عذاب . الله لمن فهم عنه . ما أخبرت به من عطائها وعبرها . وأذنت : أعلمت . والبلاء والسور : بلاء الآخرة وسرورها ، إذ كان كل ما في هذا العالم فهو صور ومثال لما في عالم الغيب ، ونسخة منه يعتبر به . و غداة الندامة حين الموت .

١٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لِلَّهِ مَنَاجِيَتَايَ فِي كُلِّ يَوْمٍ : يَلِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَأَبْشُوا لِلْخَرَابِ ، وَأَحْمَقُوا لِلْفَقْدِ .

أشار إلى غايات الدنيا على وفق ما علم من القضاء الإلهي .

١٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا دَارُ مَقَرٍّ إِلَى دَارٍ مَقَرٍّ ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ

تَاغَ فِيهَا نَفْسُهُ تَوَفَّيْهَا، وَرَحُلُ تَتَاغَى نَفْسُهُ قَاتَعَتْهَا.

أو بقها: اهتكها في الآخرة بما دأبها به من متاع الدنيا. و عتقها: بما شراها به من ذلك بالرهده، و انعاقه في سبيل الله.

١٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَحَدُهُ فِي ثَلَاثَ:

فِي كِتَابَتِهِ، وَعَيْتِهِ، وَوَفْقِهِ.

اراد: الصديق الحق.

١٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْزَمْ أَرْبَعًا: مَنْ أُعْطِيَ ادِّعَاءَ لَمْ

يُحْرَمَ الْإِحَابَةِ، وَمَنْ أُعْطِيَ انْتَوَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَوْلُ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِعْفَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةُ، وَمَنْ عُصِيَ اسْتَكْرَاهُ لَمْ يُحْرَمِ الرِّيَاضَةُ.

وَتَصَدَّقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَدْ أَلَّفَ فِي ادِّعَاءٍ: (دَعَوْنِي اسْتَجِبْ لَكُمْ) وَقَالَ

فِي الْإِسْتِعْفَاءِ: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَنْظُرْ نَفْسَهُ لَمْ يَشْفَعْ لِنَفْسِهِ ثُمَّ يَشْفَعْ لِمَنْ يَحِبُّهُ اللَّهُ غَمْرًا رَجِيمًا) وَقَالَ

فِي الشُّكْرِ: (لَنْ شُكْرُكُمْ لِأَرْبَعٍ كُنْتُمْ) وَقَالَ فِي التَّوْبَةِ: (بِمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يُوْثِقُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُوْبِدَتْ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)؛

تحتاج الامور الأربعة في استلزامها لأمور الأربعة: في الاستعداد الثام بالاخلاص فيها.

١٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كَرٌّ تَقِي، وَالْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ صَعِيفٍ،

وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَرَكْعَةُ النَّدَنِ الصَّبَاحُ، وَجِهَادُ لِمَرْأَةٍ حَسَنٌ اسْتَبْعِلَ.

التعل: معاشره التعل.

١٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَشْرُوا الرِّقَّ بِالصَّدَقَةِ.

أي: استعدوا لزوله بالصدقة، من أيقن بالحذف حاد بالعطية.

٢ - سورة الباء / ١١٠.

٤ - سورة الباء / ١٧.

١ - سورة غافر / ٦٠.

٣ - سورة ابراهيم / ٧.

١٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: تَبْرُكُ الْمُعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ.
وذلك لتكتمل العاية الالهية بالأرزاق.

١٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: مَا أَغَالِ مَنْ اقْتَصَدَ.
العيلة: الفقر، والاقتصاد: الإنفاق بقدر الحاجة.

١٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: قَبَّةُ الْيَتَامَى أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ، وَتَوَدَّدَ يَصُفُّ الْعَقْلُ، وَأَتَاهُمُ
يَصُفُّ الْهَرَمُ.

أراد بالعقل: العمل العمى، ولعمدة مجاز في تصرفاته. ولما كان الإنسان محتاجا
في اصلاح معاشه الى غيره، وكان عقله في معاملته للحق اما على وجه التودد وما يلزمه
من جميل المعاشرة والمسامحة والترعيف، واما على ضد ذلك من القهر والعساة كان
التودد. وفي معناه نصف تصرف العقل في تدبير معاشه. ولما كان الهرم اما طبيعيا
واما سبب من خدرج، وهن الهن واحمر، واحوف المستزمن له، فهو اذن: قسم
للمسبب الطبيعى، وقسم من اسباب الهرم ك نصف له فاستعار له لفظ النصف، و اراد
نصف سبب الهرم.

١٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: يَتَرَكُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَتْ يَدُهُ عَلَى
فَجْدِيهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.

نزول الصبر من سماء الحود الالهى بسبب الاستعداد بالمصيبة ولواحقها له. وحبط
أخره بطل على الصبر. وقيل: ثوابه السابق ايضا، وهو بعيد.

١٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْخَوْفُ وَالطَّمَأُنْ،
وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَتَمُ، حَتَّى نَوْمٌ لَا كَيْفَاسَ وَفُطْرُهُمْ.

أراد صوم لجاهلين بأسرار العبادة، وسهرهم فيها لأحلامهم غالبا بشرائطها الحقّة و
توجيهها الى من هي له. والكيس هو: الذى يستعمل ذكره وفطته في طريق الخير، و

يضع الأشياء مواضعها ويسهر، وينام في مواضع السهر والنوم وعلى وجهيهما.

١٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُوِّوْا يَمَانَتَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّصُوا أَمْوَالَكُمْ بِالرِّقَاقِ،
وَأَذْفَعُوا أَمْوَالَخَ لِبِلَاءِ يَأْتِيهِمْ.

سوسوا، أي: املكو ذلك، إن لصدقة من كمال الإيمان الثام، فحفظه لا يكون بدونها. ولفظ الأمواج مستعار لبعود، حدث المتواترة.

١٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لكميل بن زياد السخعي رحمه الله قال كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليه السلام فأخرجني إلى الحبان، فلما أصبح ترعس الصعداء ثم قال:

يَا كَمِيلُ! إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ، فَخَرِّفْ أَوْعَاهُ، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: التَّسُّ ثَلَاثَةٌ: فَقَالِمٌ رِبَائِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَنِّي سَبِيلَ نَجَاةٍ، وَهَمَّعٌ رَفَعَ أَتْبَاعَ كُلِّ نَاعِيٍّ يَبِيدُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، تَمَّ يَنْتَضِبُوا بِنُورِ لَعْلَمٍ وَتَمَّ يَنْجَاؤُهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.
يَا كَمِيلُ! الْعِلْمُ حَبْرٌ مِنَ الْمَاءِ، الْعِلْمُ تَغْرِيبُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَقْصُصُ الْعَقَّةَ وَالْعِلْمُ يَرْكُؤُكَ عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَرْوُكُ بِزَوْبِهِ.

يَا كَمِيلُ! الْعِلْمُ دِينَ بُدَانٍ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ اطِّعَةً فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْآخِرَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَكْمٌ وَنَمَالٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كَمِيلُ! هَلَكَ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ وَهَلُمَّ أَحْيَاءُ وَلَعَلَّكُمْ بَقَوْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَقْشُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْخُودَةٌ. هَا إِنَّ هَهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا (وَأَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصْبَحْتُ لَهُ حَمَّةً! بَلَى أَصْبَحْتُ لِقَبَائِلَ عَمِيرٍ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آتَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا مُسْتَظْهِرًا بِعَمِّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمُجْتَبَحٍ عَلَى أَوْلِيَّيْهِ، أَوْ مُتَقَادًا لِحِمْلَةٍ لِحَقٍّ لَا تَبْصِيرَةَ لَهُمْ فِي أَحْيَائِهِ، يَسْتَفِيدُ لَشَيْءٍ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ غَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَأَذَا وَلَا ذَاكَ! أَوْ مِنْهُمَا بِاللَّذَّةِ سَلِسِ الْقَيْدِ لِلشُّهُوةِ، أَوْ مَعْرَمًا بِالْحَمِيعِ وَلَا تَخَارَ لَيْسًا مِنْ رُغَاوِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهَا بِهِمَا الْإِنْفَاقُ السَّائِمَةُ! كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

اللَّهُمَّ بَلَى! لَا تَحْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لَيْهِ بِحُجَّةٍ: إِمَّا ظَاهِرٌ مَشْهُورًا، أَوْ خَائِفٌ مَعْمُورًا

لَيْلًا تَنْظُرُ حُجَجَ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ. وَكَمْ ذَاوِ أَيْنِ أَوْلِيكَ أَوْلِيكَ وَآلِهِ. الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ قَدْرًا. بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُوَدِّعُوهَا نَظْرَاءَهُمْ، وَيَزِيدُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ؛ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَعَرَفْتُمُ الْمُرْقُونَ، وَأَيُّسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلِيكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالذُّعَا إِلَى دِينِهِ أَوْ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ! إِنِّصْرِفْ إِذَا شِئْتَ.

اقول: الجبَّان: الصحراء. والصعداء: نوع من التنقيس يصعبه المتكلف^١ الحزين. ووجه قسمة الناس أنهم عالم أو ليس، وغير العالم أما طالب له أو ليس. والريائي: من علم علم الربوبية، والنسبة على غير قياس، وزيدت الألف والنون: للمبالغة في النسبة. واستعار لفظ الهمج وهو: ذباب صفار للعوالم باعتبار حقايرتهم. والرعاع: الأحداث والعوالم. وكنتي بميلهم مع كل ربح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد. واستعار لفظ الركن الوثيق: للاعتقادات الحقة البرهانية. وصنيع المال: الإحسان به، والطاعة المكتسبة به: طاعة الخلق لصاحبه، واطاعته الله تعالى فإن لطاقته بلا علم، لأصل لها. والعلم حاكم: باعتبار أن تحصيل المال وتصريفه إنما يكون بالعلم بوجوه الحركة، والسعي، والمصارف. واللئيم: سريع الفهم، والمنقاد لحيلة الحق هو المقلد وإشارته بدم بصيرته: إلى عدم علمه بالبرهان والحجة. والاحشاء: الجوانب. وقوله: إلا لا ذا ولا ذاك، أي: ليس من حملة العلم الذي أطلب. والمنهوم باللذة والشره فيها، والحريص عليها. وقوله: كذلك أي: تشابه تلك الأحوال من عدم من يصلح للعلم، وحمله وجود من لا يصلح له موت العلم بموت حامله، وازاد بالظاهر: من يقوم بحجة الله من عساه يتمكن من اظهار العلم والعمل به من أولياء الله. وبالعائف المغموم: من لم يتمكن من ذلك.

قالت الامامية: هذا تصريح بوجوب الإمامة في كل زمان التكيف، وإن الامام قائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى الحكمة، وهو إما أن يكون ظاهرًا معروفًا بين الناس، كالتدين سبقوا إلى الإحسان، ووصلوا إلى المحل الأعلى من الائمة الاثنى عشر ومن ولده العترة عليهم السلام، وإما أن يكون خائفًا مستورًا لكثرة اعدائه وقلّة المحلصين من اوليائه، كالحجة المنتظر. وقوله: وكم ذا: استبطاء لظهوره. واستطالة

١- في ش: المتكلف.

امانة عينيه و ترم من عند دولة الصميم. وقوله : اين هم : استعلاء لعدد ائمة الدين ،
 وقوله هجم بهم ، سى قوله : الصيرة ، اى : فاجاءهم ودخل على عقوبتهم دفعة لان
 قلوبهم ، بفساد حسنة وفى ذلك على المصوب ، اى : هجمت بهم عقولهم على حقيقة
 حسم ، و مشرو روح حسم ح وحذو لذته. وما متوعر لمتروك ، اى : ما استصعبوه من
 حسنة المصوب ، و خسوه المصحح و سلبس ، و مصبرة الصيام و الشهر و ما استوحش
 منه لاحتشوب هو الامور حذكورة. وقوله : معلمة بالمحل الأعلى اى : عاشقة لما شاهدته
 من جمال حضرة كربوة ، وصحة الملاء الأعلى من الملائكة.

١٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْءُ مَحْبُورٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

وسمعار لسط المخبوء له : باعتبار انه لا يظهر مقداره حتى يتكلم فيعرف كالمخبوء.

١٣٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَبِّ مَرُوءٌ لَمْ يَعْرِفْ قَسْرَهُ.

وذلك لان من لم يعرف قسره فى مقصد لا يتجاوزه فتعجب به أسنة الناس و أيديهم
 حتى يهلك

١٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُرْجَى سَأُهُ أَنْ يَيْصَعَ:

لانك من يزحو لاجرة بغير عمل ، ويرجى لسوة بطول الامن ، يقول فى الدنيا يقول
 الرهيبين ، و يعمل فيها يعمل الراغبين ، ان اعطى فيها لم يسمع ، وان فبع منها لم يفتح ،
 يفرج عن شكر ما اوتى ، و يتبعى سريادة فيما يقى ، ينتهى ولا ينتهى ، و يأمر بما لا يأتى ،
 يحب الصالحين ولا يغفر عنهم ، و يبغض المذنبين و هو احدثهم ، يكره الموت لكثرته
 ذنوبه ، و يهيم على ما يكره الموت له ، ان سقم ظل نادما ، و ان ضح أمين لاهيا ، يحب
 نفسه اذا عوفى ، و يمسك اذا ابتلى ، اذا اصابه بلاء ادع مضطرا ، و ان سأل رجاء اعرض معبرا ،
 تغيبه نفسه على ما تضر ، و لا يعيها على ما يستعير ، يحاف على غيره باذنى من ذنبه ،
 و يزحو بنفسه باكثر من عمله ، باسئعنى تطروقين ، و ان افتقر قط و هو ، يفقر اذا
 عيل ، و يتألم اذا سأل ، ان عرصت له شهوة اسلفت المصيبة ، و سوف التوبة ، و ان عزت

مِخَةً أُنْفَرَحَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ، يَصِفُ الْبِصْرَةَ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَيَتَأَلَّغُ فِي التَّوَعُّطِ وَلَا يَتَغَيَّرُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَمِنْ الْقَوْلِ مُدِلٌّ، يَتَأَلَّغُ فِيهَا يَتَقَيَّ، وَيَسَامِغُ فِيهَا يَتَقَيَّ، يَرَى الْغَنَمَ مَغْرَمًا، وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا، يَخْشَى الْمَوْتَ، وَلَا يُتَادِرُ الْمَوْتَ. يَسْتَعْلِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِيلُ أَكْثَرُ مِثْلِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَخْفِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ ظَعِيمٌ، وَلِغَنَمِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهُوَ مَعَ الْأَعْيُنِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ. فَهُوَ يَطْعُ وَيَعْبَى، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفَى، وَ يَخْشَى الْحَقَّ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَبْفِهِ.

قال السيد الرضى: ولولم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لدنظر فمفكر.

و أقول: يربحها: يؤخرها. و روى بالزاي المعجمة أي: يدفعها. وقوله: يدفعه نفسه على ما يبطئ أي: من مطامع الدنيا ولا يغلبها على ما يستيقن، أي: من ثواب الآخرة ولا يضربها على ذلك، أي: على العمل به. و يخرج من شرائط الملة عند نزول المحنة به: خروجه عن فضيلة الصبر عليها. و رؤيته المغمى معناه، كالانفاق في سبيل الله. والغرم معناه، كالانفاق في معصيته. و يهوى نفسه أي: لا يسلك بها سبيل الحق. والكلام من شريف الحكمة والموعظة الحسنة، وأكثره ظاهر.

١٣٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ.

اشار الى غايته الخيرية والشرية، كالجنة ولذاتها، والنار بعذابها. واستعار لقطي الحلوة والمرّة، اللذية، والمكروه.

١٣٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُلِّ مَثَلٍ إِذْبَارٌ، وَمَا أَذْبَرَ كَانَ لَمْ يَكُنْ.

وهو ترهيد: في متاع الدنيا وفنائها.

١٤٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَعْتَمِدُ الصُّورُ الطَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.

١٤١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: ارْأَيْتُمْ بَعْدَ قَوْمِ كَالْدَجِلِ فِيهِ مَنْهُمْ، وَعَلَى كُنْ
دَجِلٍ فِي بَاطِلٍ اِثْنَانِ: اِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَ اِثْمُ الرِّصَا بِهِ.
وهو ظاهر.

١٤٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: تَغْتَصِبُوا بِالذِّمِّ فِي اَوَْادِهَا.
الذِّم: المهود، والعقود، والايمان. و ستعار لفظ الأوتاد لشريطها: باعتبار أنها
سبب حفظها كالوتد لما يحفظ به. و ارد امتنعوا بالمحافظة عليها و لزوم الوفاء به، من
عذاب الله.

١٤٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: عَلَيْكُمْ بِطَقَّةٍ مَنْ لَا تُعَدُّوْنَ بِحَقَائِقِهِ.
يريد طاعة لله تعالى. وقيل: ائمة الحق ايضا، اذ لا يُعَدُّ لخلق في الحهل بهم لتعم
قوانين الدين منهم.

١٤٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: قَدْ نَصَرْتُمْ اِنْ أَنْصَرْتُمْ، وَقَدْ هَدَيْتُمْ اِنْ أَهْدَيْتُمْ،
وَأَسْمِعْتُمْ اِنْ أَسْمِعْتُمْ.
اى قد نصرتم سبيل الرشاد، وهديتم اليها، وأسمعتم الدلالة عليها.

١٤٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: غَايِبُ أَحَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَأَزْدُ شَرِّهِ بِالْإِنْعَامِ
عَلَيْهِ.

١٤٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: مَنْ وَصَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ
بِهِ النَّفْسَ.
لانه هو السبب في اساءة الظن به.

١٤٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، وَمَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ لِرَجُلٍ مَدْرَكَهَا فِي عُقُولِهَا. استبَدَّ أراد أنْ شأن المملوك الاستبداد بالأمور دون الناس. ومن استبَدَّ برأيه هك، اذ كان الاستبداد بالرأي مطبقة الخطأ وما يلزمه من الهك. ومن شاور الرجال، شاركها في عقولها لاستنتاجه الرأي الأصح منها فكأنه قد حصل على مثل ما حصل جميعهم عليه من العقل.

١٤٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَذَبَتْ الْخَيْرَةُ بَيْتَهُ.

أي: في أذاعته وكنماته، وهو ترغيب في كتمان السر.

١٤٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ.

استعار له لفظ الموت: باعتبار قطاع النفع بمتاع الدنيا معه كالموت، وكونه أكبر: باعتبار تضاعف آلامه في الحياة، وراحة الميت بموته^١.

١٥٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَصَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَيْبَهُ.

وذلك لأن قضاءك لحق من لا يقضى حَقُّك من لإخون ليس طلب نفع منه لك، ولادفع مضرة الغير عنك، بل لأنه هول رهبة منه وهي يُشبه العادة.

١٥١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْحَالِقِ.

وذلك كالتقرب بالوضوء بالماء المَغْصُوب. والصلاة في الدار المعصونة. والنفي هنا لذات الطاعة الشرعية كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام. وعند الشافعي يحمل على نعمي الفصيلة.

١٥٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَحَدَ مَا لَيْسَ لَهُ.

١- في ش: وراحة الموت بموته.

لأنَّ الأول حق. والثاني ظلم، وهو من أقوى الرذائل، وأكبر العيوب.

١٥٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِعْتَابُ يَمْتَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ.

وذلك لتصور المعجب بنفسه لكماله فيمنعه من التكمّل.

١٥٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْأَمْرُ قَرِيبٌ، وَالْإِصْطِحَابُ قَلِيلٌ.

ي: أمر الله وهو الموت. والإصطحاب قبيل أي: في الدنيا.

١٥٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أَصَاءَ الصُّبْحُ لِيَدَيَّ عَيْنَتَيْنِ.

استعار لفظ الصبح: لسبيل الله. ووصف الضياء: لوضوحها، ولفظ العينين: للعقل.

وهو كالمثل ونحوه قوله تعالى: (نَ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) الآية.

١٥٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَزَكُّ نَذْبُ الْهَوَىٰ مِنْ قَلْبِ التَّوْبَةِ.

١٥٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَ مِنْ أُمَّةٍ مَتَمَّتْ أَكْلَابُهَا

يضرب مثلاً لمن يفعل فعلاً فيحرم به ما كان معتدّاً له من منفعة ولذة.

١٥٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِنَاسٍ أَغْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

وذلك لاعتقاد أكثر الجهال أنّ تصوراتهم، واعتقاداتهم الوهمية هي الحق، وليس

بالحق إلا الصلال الذي ينسعى أن يُعَادَى وَيُحَابَبَ. ويتأكد عداوتهم لعلم، وأنه يغبطهم لهم، وفخر العلماء عنهم واحتماهم إياهم.

١٥٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنِ اسْتَشْتَنَ وَحُوءَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ.

واستقبالها: تصفحها واستقرأؤها وهو مستمر لمعرفة الخط من الصواب ومطة لذلك .

١٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَحَادَ سِنَانِ الْعَصَبِ لَدَيْ قَوِيٍّ عَلَى قَتْلِ
أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ.

لأن العاصب لله يشته بعزته التي هي أقوى من عزّة الباطل، والمتهمس بالأكوى اقوى، وبذلك كان قتله عليه السلام لحابرة العرب.

١٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا هِنْتَ أَمْرًا قَفَّعَ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقُّعِهِ أَكْبَرُ مِمَّا
تَخَفُ مِنْهُ.

١٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُ رَبَّاسَةُ سَعَةِ الصُّدْرِ.

سعة الصدر فضيلة تحت أشدّاء، وهي: ان لا تدع الانسان قوة التجلّد عند ورود الأحداث المهمة عليه، واعتلاجها، ولا يحرقاً ويدهش فيما يرد عليه منها، وهي من لوازم الرياسة الحقّة، فمرّفها بها.

١٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرْجُرُ الْمُسِيءَ يَتُوبُ الْمُخْبِرَ.

لأن تصوّر المسيء جزء المحسن بإحسانه، يجذبه الى الإحسان ويزحّره عن الإساءة.

١٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْبِكَ مِنْ صَدْرِكَ.

لأنّ نيّة الشرّ للمغير تظهر مراتها في فلتات القول، وصفحات الوجه، وذلك مدد بتغير بنة الغير، واضماره المقابلة بالشر فكان عندها بغيره.

١٦٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّجَاحُ تَسْلُ الرِّأْيِ.

أي: تأخذه وتذهب به، وذلك أنَّ الإنسان قد يلج في طلب الشئ مع الرأى فى تحصينه التأتى فيكون اللّحاج فيه سبباً مفوّتاً للرأى الأصلى فيه، وهو مفوّت للمصوب غلباً.

١٦٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَيَّدٌ.

فاستعار له لفظ الرّق: لاستزامه التّعبد للمصموم فيه وطعته كالرق.

١٦٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَمَرَةُ الْحَرَمِ السَّلَامَةُ، وَثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ التَّدَامَةُ.

فالحرّم: هو تقديم العمل لحوادث بما هو أقرب الى السلامة منها. والتفريط: اضعافه.

١٦٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا حَيْرَ فِي الصُّمُتِ عَنِ الْحُكْمِ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ

فِي الْقَوْلِ بِالْخُبَرِ.

لما كنت فضيلة القول هوامض بالحكمة، كان السكوت عنها رذيلة تضادها ولا خير فيها.

١٦٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.

فالدعوة اما الى حق، او الى غيره، وهو الباطل، ولا واسطة بينهما، وهذا يؤيد المسقوب عنه، وعن اهل بيته عليهم السلام أنَّ الحق فى جهة، وأنّه ليس كلّ محتهد مصيباً.

١٧٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ نَفْسٌ أُرِيَتْهُ.

وذلك لقوة استعداد له ليعلم ووضوحه له.

١٧١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ؛ وَلَا صَلَّيْتُ وَلَا ضَلَّيْتُ.

١٧٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلطَّالِمِ الْيَدِي عَدَا يَكْفِيهِ عَصَةٌ
احترز بالبادي عن المجازي لمظم بمثله. وكنتي بعض كفه عن الندامة.

١٧٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّجُلُ وَشِيكٌ.
أي: قريب إلى الآخرة.

١٧٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ يَلْحَقْ هَلَكٌ.
أي: من ظهر ونصب نفسه لاطهار الحق هلك عند لجهال، لضعف الحق عندهم
وحبهم للباطل، وقد مر بيانه.

١٧٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ تُنَجِّهِ لَصُرْ أَهْلَكُ الْخَزَعِ.
أي: من لم يصبر فيصبره من اثم الخزع و لهلاك به في الآخرة اوفى الدنيا، هلك به.

١٧٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَعَجَبَاءُ أَتَكُونُ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونُ بِالصَّحَابَةِ
وَأَقْرَابَةٍ؟

قول الرضى: وروى عنه عليه السلام شعر فى هذا المعنى وهو
فَإِنْ كُنْتُ بِالشُّورَى مَلَكْتُ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهَذَا وَلِمُشِيرُونَ غُيَّبَ ۱؟
وَإِنْ كُنْتُ بِالْقُرْبَى حَتَمْتُ خَصِيمَتَهُمْ فَعَيْشُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ
روى هذا عنه عبد بن عثمان، وهو صورة جواب لما كن يسمعه من تحليل
استحقاق عثمان للخلافة نارة بالشورى، وتارة بأنه من الصحابة. وفيه اشارة الى أنه
عنه السلام أولى بها من غيره، لاجتماع الصحابة والقراية فيه.

١٧٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَا غَرَضٌ تَنْتَهِلُ فِيهِ الْمَتَانَا، وَتَنْهَبُ

تُبَادِرُهُ الْمَصَائِئُ، وَمَعَ كُلِّ مُخْرَعة شَرْقٍ، وَهِيَ كُلُّ أَكْثَرِ عَصَصٍ وَلَا يَنَالُ الْعَنَدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ الْآخَرِ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِمِرَاقِ آخَرٍ مِنْ أَجَلِهِ. فَتَحُلُّ أَغْوَالُ الْمَسْكُونِ وَتَقُشُّ نَضَبُ الْحُتُوفِ فَيَنْ أَيْتَنُ تَرْخُو لَبَاءً وَهَذَا الْمَثَلُ وَتَهَارَتُمْ بِرَفْعَا مِنْ شَيْءٍ فِي شَرْقٍ إِلَّا أَسْرَعَا الْكُرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَيْنَا، وَتَفْرِيقِ مَا حَمَعَا؟!

استعار لفظ الاتصال وهو الرمي : لرمي الاسناد بالأمراس والأعراس. وبهذه بمعنى : منهوب. وكتب بالشرق والعصص : عن شوب لندت الدنيا بالكثير، وعدم خلوصها. والسعة في الحقيقة هي : المدة وما يكون وسيلة إليها نعمة بالغرض، ولا يكاد يحصل للنفس في الدنيا بدتاء معاً، بل ان كانتا فاحداً هبما بعد روال الأخرى. وكذلك ما يعتمد من العلم المتعارفة غالباً، اذ طبيعة الدنيا ومتاعها النقص والتجدد. ونحن أعوان المنون على انفسنا : باعتبار ان كل نفس وحركة فهي مقربة للانسان الى اجله فكأنه ساع الى اجله.

١٧٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَسْرَ آدَمَ مَا كَتَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَلْتَ فِيهِ خَارِبَ لِعَبْرِكَ .
أراد بغيره : الحادث او الوَارَثَ .

١٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لِقُلُوبٍ شَهْوَةٌ وَإِقْبَالًا وَإِذَارًا فَأَتَوْهَا مِنْ قَلِيلٍ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْرَهَ عَمِيَ .
أراد بالإدبار السفر والملا. واستعار وصف العمى له : باعتبار عدم ادراكه مع العمرة والملا، وذلك لوقوف القوى المدركة عن المطلوب للكلال او ملال.

١٨٠ - وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : مَتَى أَشْفَى غَنَظِي إِذْ غَضِبْتُ؟ أَجِبْنِ أَغْجِرْ عَنْ الْإِنْتِقَامِ فَيَقْتَلَ لِي لَوْ صَبَرْتُ؟ أَمْ جِبْنٌ أَقْبِرُ عَلَيْهِ فَيَمَاتَ لِي لَوْ عَقَوْتُ .
نفر عن رديلة : شدة العبط وادته بما يلزمه من لائمة الخلق على الإحتراق ولعلق عبد المحر. وعلى إيقاع العقوبة وترك فضيلة المعوعد الفدية.

١٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ مَرَّ بَقَرٍ عَلَى مُزَيْلَةٍ: هَذَا مَا يَخْلُ بِهَذَا جُلُودًا. وَ
رَوَى فِي خَبَرٍ آخَرٍ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَفَّسُونَ فِيهِ بِالْأَنْفِ.
أشار إلى العاية: أقامة لها مقام ذى العاية.

١٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ ذَلِكَ مَا وَعَقَّكَ.
أى: لا يبعد ما ذهب من مالك بأقوة تُفدك موعظة ذاهبًا لوجود منفعة وهى العبرة به.

١٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْحَوَارِجِ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»: كَلِمَةً حَقًّا
يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ.
وقد مرّ بيانه.

١٨٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي صِفَةِ ائِمَّةٍ: هُمْ لَدَيْنَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَسَوْا، وَإِذَا
تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا، (وقيل: بل قال عليه سلام) هُمْ لَدَيْنَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا
نَفَعُوا، فقص: قد عرفنا مَصْرَفَ اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ
إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَبْتَغِي النَّاسُ بِهِمْ كَرُوحَ الْبَيْتِ إِلَى بَيْتِهِ، وَلَسَّاحَ إِلَى مَسْجِدِهِ، وَالْخَبَّازِ
إِلَى مَخْبَرِهِ.
والمهنة: الحرفة والصناعة.

١٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَتَيْتُ بَجَانٍ وَمَعَهُ غَوَاعٍ، فَقَالَ: لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهِ لَا تُرَى
إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاةٍ.
أراد لا يرى مجتمعة هي الغالب إلا كذلك، والسَّوَاةُ فعلة من السوء وهى: القبيحة.

١٨٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا خَءَ لَقَدْرُ حَيَاتِهِ
بَيْتُهُ وَبَيْتُهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ.
استعار لفظ الجنة وهى: الدرع للأجل.

١٨٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَقَدْ قُلْتُ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: نَبَايَعَكَ عَلَى أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ) لَا، وَلَكِنَّكُمْ شَرِيكَانِي فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَاةِ، وَعَوْنَانِي عَلَى تَعْجِزٍ وَالْأَوْدِ وَالْأَوْدِ: الْاِعْوَجَاجُ.

١٨٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِذَا قُتِلْتُمْ سَبَّحَ، وَإِنْ أَصْمَرْتُمْ عَسِمَ، وَبَادَرُوا لِمَوْتِ الَّذِي بِنُحْرَتِكُمْ [مِنْهُ] أَذْرَكْتُمْ، وَإِنْ أَقْتَمْتُمْ أَحَدَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَّرْتُمْ. والمعنى ظاهر.

١٨٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُزِيهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُكَ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَاعَ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

نَبّه على ترك الرهد في المعروف، بثلاثة ضمائر، صغرى الأول قوله: فقد يشكرك إلى قوله، منه. وصغرى الثاني قوله: وقد، إلى قوله: الكفر. ونَبّه على الصغرى الثالث، بقوله، والله يحب المحسنين. وتقدير الكبرى في الأول وكل ما يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه فواجب أن لا يزهد فيه من لا يشكرك. وتقديرها في الثاني، وكل ما قد تدرك من شكر الشاكر فيه أكثر مما اضاعه الكافر فلا يجوز الزهد فيه، وأراد: كفر العمة. وتقديرها في الثالث وكل من أحبه الله فواجب أن يفعل لأجله أحبه ولا يزهد فيه.

١٩٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ رِعَاءً يَضِقُّ سِمًا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا رِعَاءُ الْعِلْمِ فَبِهِ يَتَّبِعُ.

وذلك أن الأوعية المحسوسة: مطنة أن يضيق بما يوضع فيها لتناهي اتساعها. والأوعية المعقولة: كالنموس غير متناهية القوة والقرول، فهي غير متناهية الاتساع لادراك الأشياء وحفظها ولفظ ورعاء العلم: مستعار لها.

١٩١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْزُ عَوْضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنْ الشَّامِزَ أَنْصَرُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.

أراد بالعوّض: جزاءه على حلمه، أو عوض ما يفوته من لذة الانتقام بسبب الحكم ويكون التقدير أول عوض الحليم الحاصل من حلمه.

١٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهُ بِقَوْمٍ إِلَّا وَ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ.

التحلّم تعوّد الحلم، لأن أكثر مبادئ الملكات الخلقية حالات مكتسبة.

١٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رِيحَ، وَمَنْ عَمَلَ عَمَلًا خَيْرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِينَ، وَمَنْ اغْتَرَّ أَنْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَيَهُمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

محاسبة النفس على عملها: الاحتراز من الخسران بالتفريط، ومخافة عذاب الله يستلزم العمل له، والاعتبار الفكر في مواقع العرة، وهو مستلزم لرؤية الطريق الحق إلى الله، وذلك مستلزم لفهم مآزلها ومراحلها، وآفاتنا وهو مستلزم لتعلم بغاياتها ومقاصدها.

١٩٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَتَنْظِمَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِدْدَتِهَا غَطَفَ الصُّرُوسِ عَلَى وَبْدِهَا. وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْمِلَهُمْ آيَةً وَنَجْعَلَهُمْ لَوَارِثِينَ)!

شماس: الذابة نفارها. والصُّرُوس: الناقة تعض حوليها لتبقى لبسها ولولدها لفرط شفقتها عليه.

١٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيدًا وَجَدَ تَشْمِيرًا؛ وَأَكْمَشَ

فِي مَهْلٍ وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِ، وَعَاقِبَةُ لَمُضَدٍّ وَمَعْنَى الْمَرْجِعِ.
أي: أسرع إلى العمل في مهمة الحياة. وبادر إليه عن وجل من خوف الله. وفكر في
كررة الموت أي: الرجعة إلى مدح الحق ومبدأهم من حضرة الله. وعاقبة المصدر: الذي
عه صدر، وإليه يعود. ومعنى: المرجع عاقبه من خير أو شر ليعمل لهما.

١٩٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاصِ، وَلَعَلِمَ فِدْمُ السَّفِيهِ، وَالْمَقُورُ كَرَّةٌ تَطْمُرُ وَلَسْتُ بِمَوْصُوفٍ مِمَّنْ
غَدَرَ، وَالْإِسْيَارَةُ عَنْ الْهَدْيَةِ، وَقَدْ خَاطَرَمَنِ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يُتَابِلُ الْجِدَّتَانَ،
وَالْجَزَعُ مِنَ أَغْوَانِ الرَّدَنِ، وَأَشْرَفُ الْيَتَى تَرَكُ الْمَتَى، وَكُفْمٌ مِنْ عَقْلِ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى
أَمِيرٍ، وَمِنْ اسْتَوَيْتِ حِفْظَ التَّجَرِبَةِ، وَالْمَوَدَّةُ قَرْنُهُ مُسْتَقَادَةٌ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا.

أقول: استعار لفظ الحارس: لحدود باعتبار حفظه للأعراض من الشتم. ولفظ العدام:
وهو ما يوضع في فم الإبريق ليصفي ما فيه، والخرقة التي يشد بها المجوسى فمه للحلم
عن السبه باعتبار أنه يسكته كما قدّم. ومعنى اسركة: لتعقّلوا لاستلزام مهمات الثواب وفيه
ملاحظة. شبه الطفر: بالمدل. وحاطر اشرف على الهلاك لأن الاستعداد بالرأى مطبته.
ولفظ المتناصلة: لفائدة لصبر لدفعه الهلاك عن الجزع. وعانة الجزع: للزمن في اعدده
للهمم ولقتاء. وأشرف العسى: عسى النفس بالكمالات النفسانية، وهو مستلزم لترك
المنى. فأحبر باللازم عن المعلوم. واستعار لفظ الأسير: لتعقّل لانقياده للهوى. لعب. و
لفظ الأمير: للهوى. وأخبر عنه بكم لكثرتة، وحفظ التجربة ملازماتها ومدوماتها، ولسرعة
انصراف الملول عن صاحبه وحب أن لا يؤتمن على صداقة وسرّ، ولا يؤتمن به.

١٩٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عُجِبْتُ الْمَرْءَ بِتَفْهِهِ أَحَدٌ حَسَادٍ عَقِيهِ.

فاستعار له لفظ الحاسد: باعتبار أنه يؤثر في معه من ازدياد الغضبة وهي تقيص
حالته كالحسد.

١٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَغْضِي عَلَى الْقَدَى وَإِلَّا لَمْ تَرْضَ أَبَدًا.
فكثي بالاغصاء: عن احتمال المكروه وكظم الغيظ ولأن طبيعة الدنيا معجونة
بالمكاره، وجب احتمالها ولا لدام التعب بالتسخط والغضب.

١٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ.
وهو كالمثل: يضرب لمن يتوضع للناس فيألفونه، ويحبونه فيكثر بهم، ويقوى
باجتماعهم عليه.

٢٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.
وذلك عند أن يجتمع الناس على رأى فيخاف فيه بعضهم، فيفسد ما اجتمعوا عليه.

٢٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ نَالَ اسْتِظَالَ.
اي: من نال ما من شأنه أن يستطال به من مال أو جاه، وهو كالمثل.

٢٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ.
اي: تقلب احوال الدنيا على المرء برفقته بعد اتضاعه وبالعكس، ونزول لشوائده
يعرف حاله في طبيعته، وما يلزمها من الاحلاق كالصبر، واحتمال المكروه، وسعة الصدر
واضدادها.

٢٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَسَنَ الصَّدِيقِ مِنْ شَقِيمِ الْمَوَدَّةِ.
لدلالته على ضعفها.

٢٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَكْثَرُ مَضَارِعِ الْمُقْوَى تَحْتَ نُورِ الْمَطَامِعِ.
فاستعار لفظ المضارع: لهوى العقل الى ما يطمع فيه، وانجذابه نحوه بحسب ما يبقيه
اليه الوهم والخيال من تخيل الأمور النافعة. ولمعق البروق: لما يلوح من تلك التحيلات.

٢٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى النَّفْيَةِ بِالظَّنِّ.

اى: من كن عندك ثقة مأمونا لم يكن الحكم عليه بالرديلة لمجرد الظن عدلاً، بل ظمناً لأن العلم بكونه ثقة ارجح، ولأن الأصل كونه ثقة.

٢٠٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَنْتَسِ الرَّاكِدُ إِلَى الْمَعَادِ، الْمُتَدَوُّنُ عَلَى الْيَبَادِ.

٢٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ عَفْلُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.
اى: تغافله.

٢٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبُهُ لَمْ يَرَالنَّاسُ عَيْبَهُ.
لاستزمام حياء المرء تركه لما يعاب به. وقوله: لم ير الناس عيبه اى: لم يكن له عيب يرى وان كان له عيب فهو يتستر به.

(١١٠)

٢٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِكَثْرَةِ الصَّنَنِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ وَبِاخْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّودُّ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُفْهَرُ الْمُتَاوِيُّ، وَبِالْجَلَمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ.
اشار عليه السلام، الى سبع فضائل، ورغب فيها بما يستلزمه من الخير، وهى ظاهرة. وتمام النعمة بكثرة الإخوان، وأهل المودة لأن التواضع نعمة وما يلزمها تمام لها. والمتاوى: المعادي، وقهره لأن الناس مع السيرة العادلة.

٢١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: انْتَعَبُ يَفْلَقُ الْخُسَادَ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ.

لأن العاقية أكبر نعم الدنيا فعفلتهم عن الحسد عليها عجب.

٢١١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكَايُغُ فِي وُتَاقِ الدُّلَى.

فاستعار لفظ الوثاق: للطمع المدل باعتبار تقيده به كالوثاق.

٢١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.
واراد الإيمان الكامل.

٢١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ يَقْضَاهُ اللَّهُ سَاجِدًا، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رُتْبَةً، وَمَنْ أَتَى غِيًّا فَتَوَاضَعَ [لَهُ] لِيَعْنَاهُ دَهَبٌ ثَلَاثًا دِينَارًا، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مَيِّمٌ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا، وَمَنْ لَبِثَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا النَّشَاطَ قَلْبُهُ [مِنْهَا] سَلَاثٌ: هُمْ لَا يُعْبَهُ، وَحَرُصَ لَا يَتَرَكُهُ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ.

ذكر خمس خصال مذمومة نفر عنها ما يرميها من الشر، فالحزن على ما فاتت الدنيا يلزمه عدم الرضا بذلك المقضى، وهو مستلزم لسخط القضاء، وشكوى المصيبة يلزمها شكوى المبتلى بها وهو الله تعالى. ~~وذهب ثلثي الذين~~ من المتواضع للغنى لغناه لأن مدار الدين على الحق في الاعتقاد، والقول، والعمل، والمتواضع المذكور خارج عن الحق والعدل في تواضعه بقوله. وفعله، فهو خارج عن ثلثي دينه. وقيل: لأن مداره على كمال النفس بفضيلة الحكمة والعفة والشجاعة. والمتواضع المذكور مضيق لحكمته لوضعه التواضع في غير موضعه، ولعفته لخروجه عنها الى رذيلة الفجور حتى كأنه عابد لغير الله وذلك هدم لثلثي دينه، ودخول النار للقارئ: يستلزم كونه لم يتدبر القرآن ولم يعمل به، وكان ذلك كالمستهزئ به غير المعتقد لصدق. فاستعاره: لفظ المستهزئ. ولهج بالشيء: حرص عليه وأولع به. والنشاط: التعلق. ولا يقبه أى لا يفارقه يوماً ويأتيه يوماً.

٢١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا، وَبِخُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا،
فاستعار لفظ الملك: للقناعة لأن بهما الغنى، والترفع عن الخلق. ولفظ النعيم: لحسن الخلق للإلتذاذ بهما والراحة معهما.

٢١٥ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلْيُحْيِيَنَّه حَيْةً طَيِّبَةً؟) فَقَالَ:
هِيَ الطَّيِّبَةُ

٢١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَارَكُو الْيَدَى قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أُحْلِقَ لِیُعْتَبَرُ
وَأَخَذُوا بِأَقْبَالِ الْحَظِّ.
أحلق واجد رای: اولی لأن مشارکته مطقة اقبال حط مشارکته ودرور الرزق علیه.

٢١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) الْعَدْلُ:
الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: الْقَصْلُ.
وهو تعریف لفظ لفظ اعرف منه عند السائل.

٢١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ
كُنِيَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ: عَنِ الْعَطَاءِ الْكَثِيرِ بِالْقَصِيرَةِ: عَنِ الْفَيْلِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتِثَالِهَا).

٢١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَأَنَّهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَا تَدْعُوهُ إِلَى مُبَارَاةٍ وَإِنْ
دُعِيَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدُّعَى نَاعٌ وَلَبَّائِي مَضْرُوعٌ.
ای: فی مطنة ان یصرع.

٢٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَيْرُ نِصْصٍ انِّسَاءٍ شِرَارُ حِصَالِ الرِّتَالِ: الزَّهْوُ،
وَلِجْبِئُ، وَالْبُحْنُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَرْهُوَةً لَمْ تُسَكَّرْ مِنْ نَعْبِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً
حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَغْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِعَرِضٍ لَهَا.

١ - سورة النحل / ٩٧.

٢ - سورة النحل / ٩٠.

٣ - سورة الانعام / ١٦٠.

الزهو: الكبير، والكلام واضح.

٢٢١ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صف لنا العاقل، فقال عليه السلام: هُوَ الَّذِي يَصْعُقُ الشَّيْءَ مَوَاصِعَهُ، فَقِيلَ: فصف لنا الجاهل، فقال: قَدْ فَعَلْتُ.
قال السيد الرضی: يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له؛ إذ كان بخلاف وصف العاقل.
واقول: عرف العاقل بخاصة من خواصه. والجاهل بعدم تلك الخاصية وهو من خواص الجاهل.

٢٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَوْ لَدُنَّاكُمْ هَذِهِ أَهْوُنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ خَيْرٍ يَرِي يَدٍ مَجْدُومٍ.
عراق جمع عرق، وهو: جمع مريب كتوام، وهو: العظم الذي يسحت عنه اللحم، وهو في غاية بيان كراهية دسا عده والتفكير بها.

٢٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَبَلَغَتْ عِبَادَةُ التُّجَّارِ وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَبَلَغَتْ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَبَلَغَتْ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ.
والأولى عادة التجار لأنهم يستغيثون بها الثواب. والثانية عبادة العبيد لأن غالبها عن رهبة. والثالثة عبادة العارفين الذين يعبدون الله لله، ولأنه أهل للعبادة وهم الأحرار من رق الرقة والرهبة.

٢٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْأَةُ شَرُّ كُلِّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا يَدَّ مِنْهَا!
أما أنها من شر ما فيها: فله الاستغناء عنها. أما أنها شر: فلأن مدارها على مؤونتها وهو شر عاجل وعلى الإلتذاذ بها، والاشتغال عن الله ويلزمه شر آجل. وأما أن الحاجة إليها شر من ذلك: فلأنها سبب تلك الشرور. ولسبب أقوى من المسبب.

٢٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَطَاعَ الرَّأْيَ ضَيَّعَ الْحُقُوفَ، وَمَنْ أَطَاعَ لَوْثِيَّ ضَيَّعَ الصِّدْقَ.

٢٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّحَجُّرُ الْعَصِيبُ فِي الدَّارِ زُهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.
(ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا عجب أن يشتبه الكلامان لأن مُسْتَقَّهًا من قلب، ومَقَرَّعُهُمَا من ذنوب^١). أقول: استعار لفظ الرهن: لمفصوب لاستلزامه غالبًا خراب بيت الغاصب، كاستلزام الرهن أداء ما عليه من مال.

٢٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَوْمَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.
فيوم المظلوم: يوم القيامة، وخصه به لأنه يوم انصافه وأحد حقه فهو له، وكذلك تخصيص يوم الظالم به.

٢٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقِ اللَّهَ تَغْصَرَ النَّفْسُ وَإِنْ قَلَّ؛ وَاجْعَلْ بَيْتَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ زَقَّ.
لأن التقوى هي الزاد إلى الآخرة، ولا يحوز ترك الراد بالكيفية في مثل تلك الطريق. واستعار لفظ الستر: لحدود الله، وجعلها بيته وبين الله حفظها وعدم انتهاكها الموقع في مهوى الهلاك.

٢٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَرَدَحَمَ الْخَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.
أي: إذا كثرت الأجوبة من جماعة عن مسألة من واحد، خفي الصواب منها لكثرتها واحتلتها، وأكثر ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية.

١ - القبيح: البثر، وقيل: البثر القبيحة. والدوب: الدوا الكبير، واستعار السيد الرضي - رضي الله عنه - هذا اللفظ للسبي الأقدس (ص) ولأمير المؤمنين عليه السلام، لأن الإمام يستقى ويروي من دثر النبوة والمراسلة ويعرج من دبرها.

٢٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا، فَمَنْ أَذَاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بَرٍّ أَوْ أَلِيٍّ يَنْتَمِيهِ.

فحق الله في النعمة: شكرها الواجب واستلزام وجوده للمزيد منها، وعدمه و هو الكفران لزوالها كما في قوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) ^١ الآية.

٢٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: إِذَا كَثُرَتْ النِّمَّةُ قَلَّتِ الشُّهُوَّةُ.

وذلك لاستشعار قليل القدرة على الشيء خوفاً فواته، فلا تزال في قلبه دغدغة، وهمية تحمله على شهوته وطلبه. اما كثير القدرة عليه فإنه يأمن قوته فيضعف باعته عليه وتقل شهوته له.

٢٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: أَخَذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَايِدٍ بِمَرْدُودٍ.

فاستعار لفظ النفار والشارد: للنعم الزائدة، ملاحظة شبهها بالإبل النافرة. ونسبه بالتحذير من ذلك على وجوب تقيدها بالشكر.

٢٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: الْكَرَمُ أَغْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.

أي: الكريم لكرمه على المنعم عليه، اعطف من ذي الرحم على ذي رحمه لأن عاطفة الكريم طبع، وعاطفة ذي الرحم قد تكون تكلفاً.

٢٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَلِّ عَلَى ظَنِّهِ.

أي: مطابقة فعلك لظنه فيك الخير.

٢٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

وذلك لأن فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمانة بالسوء لنفس العاقلة، وفي إكراهها كسرها وقهرها، وبحسب ذلك تكون كثرة الفائدة والمنفعة و كان أفضلها

١ - سورة إبراهيم / ٧.

أكرهها. وفي الحديث: أفضل لأعمال أكرهها^١ بالراى المعجمة، أى: أشقها.

٢٣٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَرَفْتُ اللَّهَ مُبَحَاةً يَفْسُخُ انْعَرَاثَهُ، وَحَلَّ الْمُفُودَ.

ففسخ العزائم: الرجوع عما يعزم عليه. وحلّ العقود: تغيرها يعقد عليه الصمير من الأمر. ووجه الاستدلال به على المعرفة أنها تغيرات وخواطر ممكنة محتاجة في طريق وجودها وعدمها إلى مرجح ليس هو العبد دفعة للدور والتسلسل. فالمرحّح الأول لها هو الله تعالى وهو المطلوب.

٢٣٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ

الْآخِرَةِ.

فاستعار لفظ المرارة: لمسقة الأعمال الصالحة في الدنيا، ولما يستغفه اللذة الدنيوية من الألم والعذاب في الآخرة. ولفظ الحلاوة: ولما يستغفه الأعمال الصالحة من لذة السعادة الآخروية، ولما في متاع دني من اللذة وهو ظاهر.

٢٣٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَرَضَ اللَّهُ الْإِيْمَانَ تَطْهِيرًا مِنْ لَشْرِكٍ وَصَلَاةً تَنْزِيهًا

عن الكبير، وَالرَّكَاتُ تَسْبِيحًا لِلرَّزْقِ، وَالصَّيَامُ أَتْبَالَاءُ لِإِحْلَاصِ الْحَلْقِ، وَلَحَجُّ تَقَرُّبَةٍ لِلدِّينِ، وَلِجِهَادٍ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ مَضْلَحَةٌ لِنُفُوسٍ، وَلِنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِسُفْهَاءٍ، وَصِلَةُ الرَّجِيمِ مَنَعَةٌ لِلْعَدِيدِ، وَالْقَضَا صَحْفًا لِلدَّعَاءِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عِظْمًا لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكُ شُرْبِ التَّمْرِ تَخْصِيصٌ لِلْعَقْلِ، وَمُحَابَبَةُ السَّرِيقَةِ إِيْجَابٌ لِلْعَقْلِ، وَتَرْكُ الْبُرْءِ تَخْصِيصٌ لِلنَّسَبِ، وَتَرْكُ النَّوَاطِ تَكْثِيرٌ لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَةُ أَتْصِيْطَارًا عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ، وَتَرْكُ الْكَيْدِ تَشْرِيفٌ لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامُ أَمَانًا مِنَ لُمَاوِفٍ، وَالْأَمَانَاتُ نِطَامٌ لِلْأَمَةِ، وَالطَّاعَةُ تَعْطِيْمٌ لِلْإِمَامَةِ.

أقول: الإيمان يلزمه الطهارة عن إشراك لما فيه من التصديق بالوحدانية، ويلزم الصلاة التنزيه عن الكبير، لما فيه من التواضع وتسبيحًا للرزق، أى: رزق من فرضت لهم

١- تاج العروس ٢٩/٤ الهبة ١/ ٤٤١.

من الاصناف، ولا خلاص في الصيام لله لما فيه من المشقة وهجر الملاذ. وتقوية الدين بالحج لما فيه من الاجتماع واطهار شعائر الله، ومناعة: لعدد زيادته في الرحم بصتهم لما في ذلك من استقامة امر معاشهم. وتشريف الصدق بترك الكذب لما في الصدق من بناء اكثر مصالح العالم في المعاش والمعاد عيه. والامان من المخاوف في السمع لما فيه من الاشعار وسلامة الصدر والأمن من اضمار الشرور. وروى الاسلام وهو ظاهر و باقى الاسرار ظاهرة. وقد سبق بيان اسرار اكثرها.

٢٣٩ - وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَحِبُّوا لَطَائِمَ - إِذَا أَرَدْتُمْ يَمْسَهُ بِأَنَّهُ تَرَى مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَذِبًا عُوْجِلَ [لُفْقُوته]، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجِلْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهُ تَعَالَى.

٢٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا نَاسَ آدَمَ: كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تَوَنَّرَ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَغْيِكَ .

اى: ضع مالك في مواضعه لما امور يوصيه فيه شرعاً من القرسات وغيرها، وذلك ما يختار أن يعمل فيه من بعده.

٢٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْخُفُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَتَذَمُّ، فَإِنْ لَمْ يَتَذَمَّ فُجُوْتهُ مُسْتَحْكَمٌ.

استعار للحدة وهى: الافراط فى العصب لفظ الجحون لاستلزامها الخروج فى هذه القوة عن طاعة العقل فيما ينبغي ان يعمل.

٢٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صِحَّةُ الْجَسَدِ، مِنْ قِبَةِ الْحَسَنِ.

اى: ان الحسد قد يؤثر فى فساد الجسد، فكذلك فتنه من شرائط صحته واسبابها.

٢٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ: يَا كَمَيْلُ، مُزَاهَنَتَكَ

أَنْ يُرْوَحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُذْلَحُوا فِي حَاجَةٍ مِنْ هَوَانَيْمٍ؛ قَوْلَايَ وَسِعَ سَمْعُهُ
الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَبْلاً سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفٌ؛ فَذَا تَرَكْتُ
بِهِ نَائِيَةً جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي أَنْجِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيْبَةً الْإِبِلُ.

الإدلاح: السير بالليل. وكسبى بالنائم: عن غير المتكثف لطلب الحاجة. واللطف
ما يكون الإنسان عنده قرب إلى صلاح الحال. وأشار به: إلى ما يستمده المحسن
من الأدعية الصالحة والثناء من مسروره؛ وذلك لطف يصح به حاله عبد الله وعبد لاس
ويعده لدفع المكن ولما رآه. وروى النائية وهي: المصيبة. وشبه هرده لها بطرد غريبة
الابل في قوة الطرد.

٢٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَمْنْتُمْ فَتَجَرُّوا اللَّهَ بِاصْطِدْقَةٍ.

فالاملاق: المقر، ومناصرة الله: استفاضة عطائه وثوبه في الدنيا والآخرة، بما تيسر
من صدقة الفقير ثقة بقوه تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَحْرَى الْمُتَصَدِّقِينَ)¹.

٢٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَفَاءُ لَأَهْلِ الْعَدْرِ عَزْرٌ عِنْدَ اللَّهِ؛ وَلِْعَدْرِ بَأْسٌ الْعَدْرِ وَقَاءٌ
عِنْدَ اللَّهِ.

فاستعار لفظ العدر: بلقاء الأول لكونهما وضعا للشيء في غير موضعه. ولفظ الوفاء
الثاني: للعدر لكونهما وضعا للشيء في موضعه.

قال السيد رحمه الله

فصل نذكر فيه شيئا من احتيازي غريب كلامه
المحتاج إلى التفسير

١ - في حديثه عليه السلام:

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْشُوبُ الَّذِينَ بِدَيْبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَرْنُ الْحَرِيفِ.

١ - سورة يوسف / ٨٨.

قل السيد الرضى: اليسوب: السيد العظيم المالك لأموال الناس يومئذ، والقزع: قطع الغيم التي لاماء فيها.
واقول: قوله ذلك اشارة الى علامات ذكرها فى آخر الزمان، لظهور صاحب الأمر، واستعار له لفظ اليسوب*.

٢- وفى حديثه عليه السلام:
إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمُطَّةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللَّمُطَّةُ.
قال: واللمطة من النكته أو نحوها من البياض. ومنه قيس قَرَسَ أَلْمَطَ اذا كن يَحْتَمِلِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ.

واقول: لفظ اللمطة مستعار: لتصدق العلى، وأول ما يقع فى القلب يكون حالة تشبه السقطه من شعاع الشمس وغيرها لا يزال يزداد حتى يقوى ويشاكذ بالبراهين والمصحح الى ان يصير ملكة تامة. والجحفة من الفرس هى المستامة من الانسان شفة.

٣- ومن أحديثه عليه السلام:
إِنَّ الرَّحْلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ طَلُونٌ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُرَكِّبَهُ لِمَا مَصَى إِذَا قَبَضَهُ، فالطنون: الذى لا يعلم صاحبه أبقضة من الذى هو عليه أم لا، فكأنه الذى يظن به فمرة يرجوه ومرة لا يرجوه. وهذا من أفصح الكلام؛ وكذلك كل أمر تطلبه ولا تدري هى أى شئ أنت منه فهو: طَلُونٌ هو على ذلك قول الأعشى:

مَا يُحْمِلُ الْجَدُّ الطُّنُونَ الَّذِي
بُحِبِّ صُوبِ اللَّحِبِ التَّاطِيرِ
مِثْلَ الْفَرَاتِي إِذَا مَا ظَلَمَا
يَمُذِّفُ بِالسُّوسَى وَالْمَاهِرِ

والجد: البشر. واطنون: الذى لا يعلم هل فيها ماء أم لا. واللجب فى قول الأعشى، هو: السحاب المصنوت. ولعراتى: الفرات ولياء لتأكيد لقولهم، والدهر بالانسان دَوَارِى
أى: دَوَار. ويحتمل ان يريد النهر الفراتى. والبوصى: سفينة صغيرة معروفة. والماهر
السابع. وباقى الفصل ظاهر*.

ه وردت (٦) احاديث في شرح الشيخ محمد عبده هي غير موجودة في شرح المرجع البحراني.

١- في ش: وهي.

٢٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا سَمِعَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابٍ مَعِ وِيَّةٍ عَلَى الْأَسَارِ: فَحَرَجَ
بِنَفْسِهِ مَا شَاءَ حَتَّى أَتَى اسْحَابَةَ فَأَدْرَكَهُ اسْنَانٌ، وَقَالُوا: يَا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ،
فَقَالَ: مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتْ ارْتِعَايَا قُبْنِي لَتَشْكُو حَتَّى
رُغَانِيهَا، وَإِنِّي السُّومُ لَا شَكُو حَتَّى رَغَبْتَنِي، كَأَنِّي الْمَقْشُودُ وَهُمْ لَمَأَدُهُ، أَوِ الْمَوْرُوعُ وَ
هُمْ الْوَرَعَةُ!

(فلما قال عليه السلام هذا لقول في كلام طويل قد ذكرنا محتواه في حصة الخطب،
تقدم إليه رحلان من أصحابه فقل أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأحيى فمرنا بأمرك يا
أمير المؤمنين نُفَيْدُكُ) فقال عليه السلام: وَأَيُّ تَعْدٍ مِمَّا أُرِيدُ؟
أقول: هذا الفصل قد مر مشروحاً في الخطب.

وقيل إن الحدوث بن حوت أنه عليه السلام فقال: أتراني أظن أصحابي لحمل
كانوا على صلاة؟

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، بَكَ نَصَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَعَجَزْتَ! إِنَّكَ
لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفُ الْهَبَّةَ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ النَّاجِلَ فَتَعْرِفُ مَنْ أَنَاهُ، فقال الحدوث: فَإِنِّي
أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، وَعَدَاكَ سَعْدُ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ سَعْدًا وَغَيْدًا اللَّهُ بَيْنَ عُمَرَ
لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَحْدِلَا الْبَاطِلَ.

قبل: في قوله: انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك، أي: نظرت في شهوة أصحاب
الجمال، ولم تنظر إلى الحق الذي مع إمامك. وفي يعرف: أي: الحق فوق الباطل، فوقية
الشرف والفضيلة، والباطل تحته، تحتية الدناءة. وقبل: أراد: نظرت إلى الحق ورأيتهم
ولم تنظر إلى الله فتعصم له، فَعَجَزْتَ أَي: لِيُظْهِرَكَ فِي شَهْتِهِمْ أَوْ لِمَرَاتِنِكَ يَا هُمْ. وسعد
ابن مالك هو: سعد بن أبي وقاص.

٢٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَاحِبُ اسْلُطَانٍ كَرَائِبِ الْأَسَدِ: يُعَسِّطُ بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ
أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

ووجه التشبيه: صعوبة المركب وخطره. ونبه عليه بقوله يعسط يعد إلى آخره.

٢٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.
لأن المجازاة واقعة في الطبيعة. ولأن الذكر الجميل بعد المرء، والمحسن: لمطف
الناس على من يحلفه من ولده واهله.

٢٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَلِمَتَا الْحُكْمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كُنَّ دَوَاءً، وَإِذَا
كَانَ خَطَأً كَانَا دَاءً.
إراد: داء الحهل ودواؤه من العلم.

٢٥٠ - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ الْإِيمَانَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ فَأَتَيْتَنِي
حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْتِجَ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظْتُهَا عَلَيْكَ غَيْرَكَ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ
كَالشَّارِدَةِ يَتَقَمُّهَا هَذَا وَيُحْفِظُهَا هَذَا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله: الإيمان على أربع شُعَبٍ.
و يحفظها أي: يدركها ويحدهد، وهو: وجه البشارة بالشاردة من الإبل. وإراد يحفظه
واحد ولا يضبطه آخر.

٢٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَا تَحْجِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى
يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ؛ فَإِنَّ يَوْمَكَ مِنْ غَمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

٢٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْسِبْ حَسْبَيْكَ هَوْنًا مَاءً، عَسَى أَنْ يَكُونَ تَفِيضُكَ
يَوْمًا مَاءً، وَأَنْعِضْ بِنَفْسِكَ هَوْنًا مَاءً، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَسْبُكَ يَوْمًا مَاءً.
فعسى في الموضعين صغريا ضميرين نبه بهما على وجوب الاعتدال في المحبة
والبغض.

٢٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا غَامِلَانِ: غَامِلٌ غَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِدُنْيَاهُ،
قَدْ شَعَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَحْشَى عَلَى مَنْ يَحْلِفُهُ الْعَمْرَ وَيَأْتِيهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَيَعْنِي عُمْرُهُ فِي

مَنْعَةً غَيْرَهُ، وَغَابِلٌ غَيْلٌ هِيَ الدُّنْيَا يَمُتُ نَعْدَهُ فَنَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا نَعِيرٌ غَيْلٌ، فَأَخْرَزَ
الْحَطَّيْنِ مَعًا، وَمَنْكَدٌ لِدَايِنِ جَمِيعًا فَأُصْحَحَ وَجْهَهُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.
وقوله: يَأْمُرُهُ عَلَى نَفْسِهِ أَي: الْفَقْرُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ لُخْبَرِ الدَّفْعِ فِيهَا.

٢٥٤ - وَرَوَى أَنَّهُ ذَكَرَ عِدَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ،
فَقَالَ قَوْمٌ: لَوْ أُحْدِثَتْ فَجْهَرَتْ بِهِ حَوْشُ الْمُسْلِمِينَ كُنْ أَعْظَمَ لِلأَجْرِ وَمَا تَصْعَقُ الْكَعْبَةُ
بِالْحَبَى؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِدَلِّكَ، وَسَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِمَرْثَانَ
أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأُمُورُ أَرْبَعَةٌ: أَثَرُ الْمُسْلِمِينَ فَتَسْتَهْأُ بَيْنَ
الْوَرْدَةِ فِي الْمَرْثَانِ، وَالْقِيَةُ فَتَسْتَهْأُ عَنِّي مُسْتَجِيبِي، وَالْحُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ،
وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ،
وَلَمْ يَتْرَكْهُ يَسِيبًا، وَلَمْ يَنْحَقْ عَلَيْهِ مَكَانًا، فَفَرَّ حَتَّى أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: بَو
لَاكَ لَا تَقْصَحْ، وَتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ
مكانا: نصب على التمييز، والفصل ووضوح.

٢٥٥ - وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَفَعَ إِلَيْهِ رَحْلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ: أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ
مَالِ اللَّهِ، وَالْآخَرُ مِنْ عَرْضِ النَّاسِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَلَا خَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللَّهِ أَكَلَ نَعَصُهُ نَعَصًا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَقَلْبِي
الْحَدُّ فَقَطَعَ يَدَهُ.
وعرض الناس: سايرهم وعامتهم.

٢٥٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ قَدْ أَشْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاحِضِ لَعَبَّرْتُ أَشْيَاءَ.
فَكَتَى سَاوِيَاءَ قَدَمِيهِ: عَنْ ثَبَانِهِ، وَتَمَكَّنَهُ مِنْ إِحْرَاءِ الْأَحْكَامِ لَشُرْعِيَّةٍ: عَلَى وَجْهِهَا،
وَاسْتَعَارَ لَفْظَ الْمَذَاحِضِ: لِمَسَائِلِ الْإِحْتِهَادِيَّةِ، لِأَنَّهَا مَزَالَتْ قَدَامَ لِقَوْلِهِ. وَارْدَ بِالْأَشْيَاءِ:
أَحْكَامًا سَبَقَتْ مِنَ الْأَثْمَةِ قَبْلَهُ عَلَى خِلَافِ مَا يَرَاهُ مِنَ الْحَقِّ.

١ - فِي شَرْحِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ.

٢٥٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اعْمَلُوا عِلْمًا يَقِينًا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ لِلْعَبِيدِ إِذْ عَطَمَتْ حَبِيبَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَخُلْ تَبَرُّ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حَبِيلَتِهِ، وَبَيِّنَ أَنْ يَتَلَعَّ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارُفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمَ النَّاسِ رَاحَةً فِي مُتْلَعَةٍ، وَالذَّارِكُ لَهُ الشُّكَّ فِيهِ أَعْظَمَ النَّاسِ سُعْلاً فِي مَضَرَّةٍ؛ وَرَبٌّ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٌ بِالْمُعْتَمَى؛ وَرَبٌّ مُتَلَيٍّ مُضْطَوِّعٌ لَهُ بِالْأَلْوَى، فَرِدَ أُنْثَاهَا الْمُسْتَعِجُّ فِي شُكْرِكَ، وَقَصَّرَ مِنْ عَجَبِكَ، وَقَفَّ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

فالذكر الحكيم هو: اللوح المحفوظ، فقد قم البرهان على أن ما علم الله تعالى وجوده أو عدمه، واثبت في اللوح المحفوظ وجب معومه وفق علمه، فلذلك أمر بعلمه يقيناً، ويلزم ذلك اليقين الراحة من الاهتمام به والتعب في طلبه بما لا بد من وصوله إليه من رزق وغيره، ويلزم الشك فيه ما ذكر من كونه أعظم الناس شغلاً أي: باعتسار خلوشعله عن العائدة، وحسب ذلك لزمته المضرة: وقوله: ورب منعم عليه، إلى قوله: البلوى، ترغيب في الاجمال في طلب الرزق، ندكر ما قد يدرم النعمة من استدراج المعتم عليه وهو: الأخذ على غيره. وما قد يلزم الانلاء ما عقر من الصنع له واللفظ بذلك في حقه.

٢٥٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَيَقْبِسْكُمْ شُكاً إِذَا عَرَفْتُمْ فَأَسْمَلُوا، وَإِذَا تَفَقَّهْتُمْ فَأَقْدِمُوا. ففعلهم علمهم جهلاً وشكاً، أي: في قوتهم لتركه العمل على وفقه. فكأنهم جاهلون بما علموه من حل الآخرة شاكون في ذلك.

٢٥٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُضْهِرٍ، وَهَامٍ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرَبِّمَا مَرَقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَلْبَ رِيٍّ، وَكُلَّمَا عَطِمَ قَدْرُ لَشَىءٍ أَلْمَتَتْ فِيهِ عَطْمَتِ الرَّزِيَّةِ لِعَقْدِهِ، وَلَأَمَانِي تَعْمَى أَعْيُنَ النَّصَائِرِ، وَلَحْظُ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

موارد اطماع موارد الذل والهلكة في الآخرة غير مصدر له عنها. واستعار له لفظ الضامن: لوشوق اطماع به كالضامن. وقوله: تعمي أعين النصائر: عن ادراك المطالب الحق. والكلام مشتمل على صغريات الضمائر: ستة نفر بها عن الطمع وما

٢٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ اَنْ تُعَسِّرَ فِىْ لَيْلَتِكَ لِمُيُونِ

عَلَانِيَتِيْ، وَتَقْشَعَ فِيمَا اَبْطُنُ لَكَ سَرِيْرَتِيْ، مَحَافِطًا عَلٰى رُبَا لِّسَانٍ مِنْ تَقْيِيْ بِجَمِيعِ مَا
اَنْتَ مُطْمَئِنٌّ عَلَيْهِ يَمْنٰى. فَاُبَدِيْ لِيْثَاسٍ حُسْنِ طَاهِرِيْ، وَاقْضِ لِيْثَاسَ يَسُوْءِ عَمَلِيْ، تَقَرُّبًا
اِلٰى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُذًا مِنْ مَرَضَاتِكَ .

فالباء فى قوله: بجميع: متعلق سرىاء او بقوله محافظا. وافضى اليك اى: اصل.
والفصل ووضح.

٢٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا وَلَدِيْ اَمْسِيْنَا مِيْثَةً فِىْ غُبْرِ لَيْلَةٍ ذَهْمَاءَ تَكْثِيْرُ عَنْ يَوْمٍ

اَعْرَمًا مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

فعبر البيل: بقىاء. والذهماء: لسوء. واستعار لفظ الكشر، وهو: التيسم تبدوا
معه الاسنان لأسفارها عن ضوء يومها. والأعر: الواصح.

٢٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَبِيْلٌ تَدُوْمُ عَنْهُ اَرْحٰى مِنْ كَثِيْرٍ مِّنْلُوْلٍ [مِيْثَةٍ].

فأرجى: اكثر رجاء للنفع.

٢٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اِذَا اَصْرَبَ التَّوَابِلُ بِالْقَرَائِيْضِ فَارْقُصُوْهَا.

وقد مر مثله.

٢٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ تَذَكَّرَ يُغْدِ السَّمِيْرَ اسْتَعَدَّ.

اى: السفر الى الآخرة، والاستعداد بزيادة التقوى.

٢٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَتْ الرُّوْبَةُ كَالْمُعَانِيَةِ مَعَ الْإِنْصَارِ فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُوْنُ

أَهْنَاهَا، وَلَا يَعْشُرُ الْعَقْلُ مَنْ اسْتَنْصَحَهُ.

و اراد: في العلوم على العقل، دون احس: لكذبه في مواضع.

٢٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُوعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْعَرَةِ.
اي: الغيبة ولفظ الحجاب: مستعار لها.

٢٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جَاهِلُكُمْ مُرْدَاذٌ مُسَوِّفٌ.
[وفي روايه: جاهلكم مزد د، وعالكم مسوف!]
اي: من الإثم. مسوف اي: بالتوبة.

٢٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَطَعَ الْعِلْمُ غُذْرَ الْمُتَعَلِّينَ.

و اراد: العلم بالدين و بما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله، من البشارة والنذارة
فان ذلك قاطع لمن عصاه^١ يقول: (آت كما عن هذا غافلين)، وكذلك بما جاء
من التنبيهات على دفاين العقول كالعبر بأحوال الماضين، و وجود الصانع وصفاته.

٢٦٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مَعْجَلٍ يَسْأَلُ الْإِنْفَارَ، وَكُلُّ مُوَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ
بِالتَّشْوِيفِ.
وهو توبيخ: على ترك العمل لسعاجل والمؤجل.

٢٧٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا قَالَ النَّاسُ لِيَشِيءَ «طَوَيْتُ لَهُ» إِلَّا وَقَدْ حَبَّأَهُ الدَّهْرُ
يَوْمَ شَوْءٍ.
فاستعار لفظ الحبأ: لما يأقوه في طبيعة لزمان، من الحوادث المهنكة لسترها عن
أههام الخلق.

٢٧١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْقَدْرِ فَقَالَ: طَرِيقٌ مُطْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ

١ - هي نسخة شر: ان يقول.

فَلَا تَلْحَوْهُ، وَمِيرَ اللَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ.

فاستعار له لفظ الطريق، بوصف المظلم الغموض لبحث وتصرف الذهن فيه، وعدم الاهتمام الى الخلق منه. وكذلك لفظ البحر العميق البحث فيه ودقته. وكوبه سر الله: باعتباره لم يُبح الحوض فيه، وتكلف البحث عنه.

٢٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِثَمَ.

فاستعار لفظ الحظر وهو: المنع: لعدم توفيقه له، وتعمد اسبابه عليه.

٢٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَحٌّ فِي اللَّهِ، وَكَانَ يُفْطِسُهُ فِي

عَيْنِي صَغَرُ الدُّنْيَا هِيَ غَيْرُهُ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَحِلُّ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ؛ وَكَانَ أَكْثَرَ ذَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَيْبِ السَّائِسِينَ؛ وَكَانَ صَوِيْفًا مُسْتَضْعَفًا! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ كَسْبٌ غَابَ وَجْهُهُ وَأَدَّى، لَا يُدْنِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًّا؛ وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ مُعْذِرًا لِي مِنْهُ حَتَّى يَسْمَعَ أَعْتَادَرُهُ؛ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ نُرْيِهِ، وَكَانَ يَسْأَلُ مَا لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَكَانَ يَدَّ غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلِبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ دَابْدَهُ أَفْرَانٍ يَنْطُرُ أَيُّهُمَا أَثَرْتُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الْأَخْلَاقِ فَالزَّمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

قيل: اراد: ابادر الغفاري. وقيل: عثمان بن مظعون. وكنتي بصغر الدنيا في عينه: عن زهد فيها، وبخروجه عن سلطان بطنه الى قوله: وجد: عن عفته. وبد: غلب. نقع الغليل: سكن العطش. وهما كنياتان: عن قول الحكمة في مواضعها بعد طول السكوت في موضعه. وكنتي بضعفه واستضعافه: عن تواضعه وذلته لله. واستعار له لفظ الليث والصل في مواطن الحرب: موضع انكار المنكر لسلطوته وبأسه فيها. وأدلى بحجته: ارسلها. وبدد الأمر: أثاره من غير تروي. وكثرة حرصه على الاسماع، تغليبا للاستفادة على الافادة. والفصل يشتمل على اثنتي عشرة فائدة، وهي واصحة.

٢٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْلَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُغْنَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ.

اراد: فكيف وقد توعد فاولى ان يحب ترك معصيته.

٢٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ عَزَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَنْ ابْنِ لَهْ: يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحَرَّنَ عَلَى آبْنِكَ فَتَبَيَّاسَتْحَطَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّجْمُ؛ وَإِنْ تَضَيَّرُ فَيُفَى اللَّهُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ. يَا أَشْعَثُ، إِنْ حَصَرْتَ حَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا حُورٌ؛ وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَىٰ عَيْنِكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا زُورٌ، [يَا أَشْعَثُ] إِنْشَكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَحَزَنٌ وَهُوَ ثَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ. اصل مأزور: الواو فهمز: لمناسبة القرينة الاولى، وهو: بلاء وفتنة لما يزم الوالد بسببه من الجبن والبخل والحرص والحزن وغيرها. وثواب ورحمة: لوالده اذا راعى فيه العدل والفضيلة من الرذائل المذكورة.

٢٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَى نَبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَاعَةٌ دُفِنَ:-

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ لَا عَنكَ؛ وَإِنَّ الْخَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَيْنُكَ؛ وَإِنَّ الْمَصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ؛ وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَتَعْدَكَ لَجَلَلٌ.

فالجلل هو: الأمر الهين، وهو ايضا: الأمر العظيم، وهو من الاضداد. و اراد: ان المصائب قبل موتك وبعده بمن كان من الناس سهل هين بالنسبة اليك. قيل: اراد: ان المصائب بك قبل موتك عظيم عند الناس، اذا تصوروه و تخوفهم منه، و انه بعدك عظيم لاختلال امر الدين به، والاوّل اظهر.

٢٧٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ؛ فَإِنَّهُ يُزَيِّئُ لَكَ فِدْلَهُ، وَيُؤَدُّ أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً.

فالمائق: الاحمق، و يفرّعه بصير صغراه، قوله: فانه، الى آخره.

٢٧٨ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

وهو جواب واضح مقنع، اذ غرض الخطيب الأفعاف.

٢٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَغَدُوُّكَ. وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ: غَدُوُّكَ، وَغَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ غَدُوِّكَ.

رأى: العدو والصداقة الخالصتين. والحكم بأن صديق الصديق وعدو العدو صديق: أكثرى، لاحتمال كون الصديق غير عالم بأن لصديقه صديقاً، والعدو غير عالم بأن لعدوه عدوً أفضلًا ان يصادقه او يعاديه. وكذلك الحكم بأن عدو الصديق وصديق العدو عدو.

٢٨٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ رَأَى يَسْعَى عَلَى عَدُوِّهِ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ كَالظَّاعِنِ نَفْسَهُ يَبْتَغِي رِذْهَهُ.



٢٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَكْثَرَ لَيْسَ وَأَقْلَبُ الْإِعْتِبَارَ!

أراد بالعبر: مواضع الاعتبار.

٢٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَنْفَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظِلْمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَقِيَ اللَّهَ مِنْ خَاصَمٍ.

نقر عن طرف الإفراط والتفريط في المخاصمة، بما يلزمهما من الظلم المستلزم للإثم ومن الانظلام. ونبه على بعد العدل فيها صعوبة الوقوف على حقه. محوه وتكفيره.

٢٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَهْمَنِي ذَنْبُ امْهَلْتُ نَفْسَهُ حَتَّى أَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

وذلك لاستلزامهما محوه وتكفيره.

٢٨٤ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ يَحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا يَزُرُّهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرُونَهُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا يَزُرُّهُمْ وَلَا يَرُونَهُ.

اجاب عليه السلام: بما يُفِيدُ الافْعاء، والجواب الحقّ للمسألة: مبني على معرفة حقيقة الحساب، وحقيقة المحاسب ومعرفة المحاسب، وهي: ثلاث مسائل اصولية صعبة يطول الخوض فيها.

٢٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَسُولُكَ تَرْجُمُكَ عَقْلُكَ، وَكِتَابُكَ أَبْنَعُ مَا يَنْطِقُ عَنكَ! فاستعار لفظ الترجمان: للرسول: باعتبار: أنه يعبر عن مقدار عقل المرسل وحمله. والكتاب أبليغ ناطق عن الانسان: لضبط مراده فيه دون الألسنة ولمطابقته نطق المرسل عن نفسه.

٢٨٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَلْمُتُّنِي لَيْدِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ التَّلَاءُ بِأَخْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمُرُ بِالْبَلَاءِ! أي: أنهما سواء في الحاجة الى الدعاء فذاك لزوال بلائه، وهذا لدوام عافيته.

٢٨٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ. ولفظ الابن ولائ: مستعاران باعتبار كونهم فرعاً، وكونها اصلاً.

٢٨٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْمَشْكِيكِينَ رَسُولُ اللَّهِ فَمَنْ مَتَّعَهُ فَقَدْ مَتَّعَ اللَّهَ، وَمَنْ أَغْطَاهُ فَقَدْ أَغْطَى اللَّهَ. باعتبار: أنه لله وبأمره.

٢٨٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا زِلْنِي غَيْرُ قَطُّ. أي: البتة لاستلزام البقرة الحقة من الزنا تصور الغبور وقوع مشه في حقه من الغير،

معارض حياله داعية فيستقيحه فيكف عنه.

٢٩٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَى بِالْأَجْلِ حَارِسًا.

فاستعار لفظ الحارس له: باعتبار أن الانسان محفوظ لوجوده في مدة كالخياط.

٢٩١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَتَأَمُّ الرَّحْلُ عَنِ الثُّكُلِ وَلَا يَتَمُّ عَنِ الْحَرْبِ!!

قال السيد - رحمه الله -: ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال.

واقول: الحرب سلب الأموال وأما لم يصبر عليه دون لشكل: لا مكان انتراخ المال واسترجاعه دون من يشكل.

٢٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَوَدَّةُ الْآثَاءِ فَرَنَةٌ بَيْنَ الْأُتْبَاءِ وَالْفَرَنَةُ إِبَى الْمَوَدَّةِ أَخُوهُ

مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

فاستعار لفظ القرابة: للاتصاف بس لاساء باعتبار قوة المودة، وفصل المودة على

لقرابة: لحاجة القرابة إليها دوائر العكس.

٢٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَقُوا طُغْيَانَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقَلَّ الْحَقَّ عَلَى

الْيَسِيرِهِ.

وذلك: لصفاء سرائرهم وتلقبهم السوانح الالهية بافكارهم الصافية، وحدوسهم

الصائبة فلا يعطى ألسنتهم إلا بالحق عن امرات صادقة.

٢٩٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَصْدُقُ إِيْمَانٌ عِنْدِي حَتَّى يَكُونَ بِنَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقُ مِنْهُ

بِنَا فِي يَدِي.

فصدق الايمان، هو: ايقين التام بالله. ويلزمه حسن الرخاء له، وصدق التوكل عليه

ويلزمه: ان يكون بما يرزقه اوثق مما في يده.

١ - هي ش. يره به.

٢٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَأَنْسَ مِنْ مَالِكَ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَبْحَةِ وَالزَّرِيرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يَدْكُزُهُمَا شَيْئًا مِمَّا مَسَمِعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَاهُمَا، فَسَوَى عَنْ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ (إِنِّي أُنْسِيْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كُنْتُ كَرِدًا فَصَرَنَكَ اللَّهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةٍ لَا تُورِيهَا الْعِمَامَةُ.
(يعنى: لبرص). فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الأمير قعدا^(١).
قيل: ما بعثه به هو ما سمعه من قول الرسول صلى الله عليه وآله لهما: أنكما ستقتانلان عينا وانتما له ظالمان. وبيصاء: في موضع جرب دلا من الضمير في «بها».

٢٩٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ لِقُلُوبٍ قَبَالًا وَإِذْنَارًا: فَوَدَا أَقْبَلَتْ فَخِمْلُوهَا عَلَى النَّوِيلِ، وَإِذَا أَذْبَرْتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.
خص أقبالها بالوفا: لشاغلها واتساعها فيه، وللفرائض دون إدبارها.

٢٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا فَتَنَكُمْ، وَخَبَرٌ مَا بَعَثَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا يَبْتَكُمُ.
نبأ ما قبلهم: القرون الماضية. وما بعدهم: أحول القيامة. وحكم ما يسهم: الأحكام الخمسة، وكيفية فصل الحكومات.

٢٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُدُّوا الْخَيْرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ. كَتَى مَالِحَر: عن الشر وبرده من حيث جاء: عن مقابلة الشر بمثله، وهو محصوص بشر لا يدفع إلا بالشر.

٢٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكَاتِبُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ: أَلْقِ دَوَانِكَ، وَأَطْلُ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّخْ بَيْنَ الشُّظُورِ، وَقَرِّمْظْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَحَّةِ الْحَقِّ.

١ - الفصحة جاءت بطرق متواترة راجع لشمير ١/ ١٩١. المعارف لايس فيه / ٢٥١. انساب الاشراف ٣٦١/١. حلاصة تهذيب الكمال / ٣٥.

لَقَدْ دَوَّانَتْكَ : اصلحها بالمداد. وحلقة القلم: مثانه.

٣٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرَى يَغْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْمَدُ يَغْسُوبُ الْفَخَّارَ.

قال السيد رحمه الله: ومعنى ذلك أنَّ المؤمنين يتغوسون والمناجاة يتبع النحل يعسونها وهو رئيسها.

٣٠١ - (وقال له بعض اليهود: م دعتكم نبيكم حتى اُخْتَنَقْتُمْ فيه؟) فقال عليه السلام له: إِنَّمَا اخْتَنَقْتُ عَنْهُ لَا فِيهِ، وَبِكَيْدِكُمْ مَا خَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْخَرِّ حَتَّى قُلْتُمْ يَنْبِيئُكُمْ: (خَفَلْنَا إِلَهُ كَمَا تَهْمُ إِلَهُةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَخْهَلُونَ).

فاحلأهم عنه أي. عما جاء به من الكتاب والسنة. لعدم معرفة جميعهم بهما لا فيه، اذ لم يسكنوا في نسوته وإنما لزم سبي اسرائيل اشك في نبوة موسى عليه السلام، لشكهم في الآله المرسل له.

٣٠٢ - (وقال له عليه السلام بأي شيء عُيِبَتِ الْأَقْرَانُ؟) فقال عليه السلام: مَا لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي.

قال السيد - رحمه الله - يؤمى بذلك الى تمكن هيئته في الصواب.

٣٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَفْصِ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَحَافٌ عَنْكَ مِنْ لَعْنَةٍ قَامَتْ عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ مَخْلُوقًا يَدَّيْنِ مَدَّهَتَهُ لِلْعَمَلِ ذَاغِيَةً إِلَى الْمَقْتَبِ.

فتقبضه ليدن: فاعتار الاهتمام بأمر المعاش عنه، وما يرمم فقير عبرا صابر من الرذائل، ودهشة العمل به: صيق الصدر بسببه والخيرة منه.

٣٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسَائِلِ سَأَلَهُ عَنْ مُعَصِيَةٍ: سَلْ نَعْمَهَا، وَلَا تَسْأَلْ نَعْسَهَا، فَإِنَّ لِحَاظَ الْمُتَعَمِّ شَيْءَ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ أَعْيَالِمَ الْمُتَعَسِّفِ شَيْءَ بِالْحَاظِلِ الْمُتَعَسِّفِ.

فالمعضلة: المشكلة. والتعنت: طلب التعنت وهو لأمر الناق. ولا تسأل تعنتاً اي:
لمير الوجه الذي يسنى طلب العلم له، كالمجادلة والمغالبة.

٣٠٥- (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَدَّسِ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ): لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى، وَبُنْ عَصِيَّتُكَ فَأُطِيعُنِي.
رؤى: ن لذي أشار عليه هو: اقرار معاوية على الشام. وتوبة طحة لصرة،
والزبير لكوفة.

٣٠٦- (وُرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةُ قَدَمًا مِنْ صَفِيِّينَ مِنَ الشَّامِيِّينَ فَسَمِعَ
بِكُفَّةٍ لِنِسَاءٍ عَلَى قَتْلَى صَفِيِّينَ، وَحَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبٌ مِنْ شَرِ حَيْبِلِ الشَّامِيِّ وَكَانَ مِنْ وَجْهِهِ
قَوْمُهُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ): أُنْعِيصُكُمْ بِسَوْكُمْ عَلَيَّ مَا أَسْتَمِعُ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّبِّ؟ (و)
أَقْبَلَ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ فَدَسَّهُ): أَرْحُفُ قَدْرًا مَشَى بِشَيْءٍ مَعَ مِثْلِي يَشْتَهُ
بِلَوَالِي وَمَذَلَّةَ الْمُؤْمِنِينَ.
شام بالكسر: حتى من عرب. ونقص واضح.

٣٠٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ السَّهْرَوَادِ: نُؤْسًا لَكُمْ، لَقَدْ
ضَرَبَكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، (فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّكُمْ يَا مُرِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ): الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ
الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ فَأَقْتَحَمَتْ
بِهِمُ النَّارَ.
فأسوس: الشدة. والإظهار اي: اظهرهم على من صلبهم. ولإقتحام الدخول مسرعة.

٣٠٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي لَحْلَوَاتٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ هُوَ لَحْلَاكُمُ.
ارد: فان الشاهد عليكم بما تعملون، هو لذي يحكم عليكم جزاء ذلك، وهو
صغرى صمير نقره عن المعاصي.

٣٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَمَّا سَعَى قَتْرٌ مُحَمَّدٌ مِنْ أَيْ بَكَرٍ): إِنَّ حُرَّتَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُورِهِمْ بِهِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ تَقْضُوا بَيْضًا وَتَقْضُوا حَبِثٌ.
اراد: سرورهم بقتله.

٣١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعُمَرُ الَّذِي أَغْدَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى آتَنِ آدَمَ سِتُونَ مَسْنَةً.
اغدر اليه: اده بالعذر، وهو: امهاله المدة، المذكورة التي تمكنه تحصيل زاد التقوى.

٣١١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا ظَعِيرٌ مِنْ ظَعِيرٍ إِلَّا تَمَّ بِهِ، وَالْعَالِثُ بِالْشَّرِّ مَعْلُوثٌ.
واراد: ظمرا لظلم لانه مقهور بالإنثم عند الله.

٣١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ شُبْحَانَهُ فَرَّصَ فِي أَمْوَالِ الْأَعْيُنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْقَمَرِ: فَمَا جَاءَ فَمِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ عَيٌّْ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.
واراد: فرض الركدة.

٣١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِسْتِعْنَاءُ عَنِ الْعَدْرِ غَرٌّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ.
يريد: ان الاستعناء عن ترك اجريمة اكثر عزة لنفس منه، وان كان صدقا لما فيه من المذلة.

٣١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَقْلُ مَا يَلْرَمُكُمْ إِلَهُ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِبَيْعِهِ عَلَى مَقَاصِيهِ.
وذلك لأن وضع الحمة لك للاستعانة بها على طاعة الله، فلا أقل من ترك المعصية معها.

٣١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ شُبْحَانَهُ حَمَلَ الطَّاعَةَ غَيْبَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْرَةِ.

فالأكياس: الذين استعملوا فطنتهم فيما ينبغي. والعجرة: المقصرون عما ينبغي.

٣١٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السُّلْطَانُ وَرَعَهُ اللَّهُ فِي أَرْصِهِ.
فلوزعة: الرادع، و اراد: السلطان العادل بقريية اصاصته الى الله.

٣١٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ: الْمُؤْمِنُ بُشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُرَّتُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ فِي صَدْرِهِ، وَأَدَبٌ شَيْءٌ فِي نَفْسِهِ، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَسْتَأْذِنُ السُّنْمَةَ، طَوِيلَ عَمَلِهِ، بَعِيدَ هَمِّهِ كَثِيرُ صَعْمِهِ، مُشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَمِينٌ بِحَلَّتِهِ، سَهْلٌ الْحَقِيقَةُ، لَيْثٌ الْعَرِيقَةُ! نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصُّلْدِ وَهُوَ أَدَبٌ مِنَ الْعَبِيدِ.

قول: عرفه في معرض الملمح بسنة عشر وصفاً. وحزنه في قلبه، مسعة الصدر؛ فضيلة تحت اشجاعة. وذلة نفسه: تواضعاً لله. و كراهته للرفعة: تنزهها عن رذيلة الكبر. وطول غمته: نظراً الى ما بين يديه من الموت وما بعده بحسب ذلك كان بعد همتته في المطالب العالية، والسعادة الباقية. وشغل وقته: بعبادة ربه مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض. وضئته بخلته اي: لا يسرع لي صدقة احد، لقنة احوان بصدق، او لانقطاعه عن الحق الى الله. و روى: بفتح الحاء أى: يضئ بحاحته ان يذكرها لأحد. واجته: الحجة، و كنى بصلابته، عن شجاعته وقوته في الدين.

٣١٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَرَّأِ الْعَتِدُ الْأَجَنَ وَمَقْصِرَةَ لَا تَمُتْ الْأَمَلُ وَغُرُورُهُ.
فاستعار فظ مسير الأجل: لسرعة انقضاء الزمان المستلزم للصاء.

٣١٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَكُلُّ أَمْرِي فِي مَائِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ، وَالْحَوَادِثُ.

٣٢٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي يَلَا عَمَلٍ كَالرَّمْيِ بِلَا وَقَرٍ.
راد: من يدعواه لمراده من غير وسيلة اليه من العمل له.

٣٢١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْمُمُ عَيْسَانِ: مَطْلُوعٌ وَمَمْنُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَشْمُوعُ إِذَا

١- هي ش هكند: والورقة جمع وازع وهو نرادع.

لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

و اراد بالمطبوع: ما يعلم بطبيعة العقل من الأصول، كالتوحيد، والعدل، وبالمسموع: العلوم الشرعية التي هي فرع العقلية. وقيل: اراد بالمطبوع: العلوم الضرورية، وللمسموع: المكتسبة، وظاهر ان المكتسب لا ينتفع به الا أن يستند الى البرهان ومقدماته اليقينية إذ التقليد غير كاف.

٣٢٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوْبِ يُقْبَلُ بِرِقَابِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا. لما كان صواب الرأي بالدولة وتعامها: كان مصاحبا لها وملازما، ويدل ذهابها على ذهابه: دلالة عدم المعلول على عدم العلة.

٣٢٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَفَافُ زِينَةُ الْقَفْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْبُعَى.

٣٢٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَوْمُ الْقَدْرِ عَنَى الطَّالِمُ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ الْحُزْرِ عَلَى الْمَطْلُومِ!

٣٢٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْأَفَاوِيلُ مَحْفُوفَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَسْلُوءَةٌ، وَ(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)١، وَالنَّاسُ مَثْقُوصُونَ مَذْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ: سَأَلَهُمْ مُتَعَتِّتٌ، وَمُحِبِّهِمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْصَلُهُمْ رَأْيًا يَزُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ارْصَا وَالسُّحْطُ، وَيَكَادُ أَضْسَهُمْ عَوْدًا تَسْكُوهُ اللَّحْظَةُ، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاجِدَةُ! مَدَّ شِرَاسَاسٌ، انْقَوَّ اللَّهُ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانَ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَتَجَامِعُ مَا سَوَفَ يَثْرِكُهُ، وَتَلْعَلُهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعُهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعُهُ: أَصَابَةُ حَرَامًا، وَأَحْتَمَلُ بِهِ آثَامًا، فَسَاءَ يَوْمُورِي، وَقِيمَ عَلَى رَبِّهِ آيِمًا لَا هِفَاءَ، قَدْ (خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)٢.

اقول: مبلوة: مختبرة، مسئلة يوم القيامة. ومذخولون اي: في عقولهم، دخل وعلة. واصلبهم عوداً اي: في دينه، وتسكوه: تؤثر فيه. و اراد: اللحظة والكلمة ممن يستهويه

١- في ش: من اسباب الدولة. ٢- سورة المدثر/ ٣٨.

٣- سورة الحج / ١١.

للدنيا، وتستحيله: تغيره. وباء: رجع. والوزر: ثقل. لآثام، والآهف: المتحسر. والفصل واضح.

٣٢٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

أى: من أسباب العصمة، لأن العصمة ملكة ترك المعاصي، وقد تحصل عن تعود الترك لعدم الوجدان.

٣٢٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاءٌ وَخِيَكٌ جَامِدٌ يُقَطِّرُهُ السَّوَالُ، فَنَظَرُ عِنْدَ مَنْ يُقَطِّرُهُ.

فاستعمل لفظ ماء الوجه: للحياء. وقيل: كنى به عن العرق، قد يعرض للسان من الحياء عند سؤله.

٣٢٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الشَّاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِخْفَاقِ مَلَقٌ، وَلْتَقْصِيرُ

عَنِ الْإِسْتِخْفَاقِ عِيبٌ أَوْ حَسَدٌ.

فالملق: التطلف الشديد بالقول والإفراط فى المنح.

٣٢٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

لاستلزامه ذلك مداومته حتى يصير ملكة.

٣٣٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ؛ وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَسْخَرْ عَلَى مَافَانِهِ؛ وَمَنْ سَلَ سَيْفَ السُّنَى قُتِلَ بِهِ؛ وَمَنْ كَذَبَ الْأُمُورَ عَطِبَتْ؛ وَمَنْ افْتَحَمَ اللَّحْجَ غَرِقَ؛ وَمَنْ دَخَلَ مَذَاجِلَ السُّوءِ انْهَمَ؛ وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ؛ وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ؛ وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَبْلَهُ؛ وَمَنْ مَاتَ قَبْلَهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَمَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ النَّاسِ قَاتَلَهَا نَفْسُهَا لِتَنْفُسِهِ قَدِيكَ الْأَخْمَقُ بَعِيْبُهُ؛ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالتَّيْسِيرِ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَغِيْبُهُ.

اقول: إنما يشتغل عن عيب غيره: إذا اعتز نقصان نفسه بعيبها. وكفى مسر سيف البغي: عن القتل طمأناً، وهو مستلزم لمشبه لوحوب المجازاة في الطبيعة، ومكابدة الامور: مقاماتها بالنفس وهي: مظنة العطب والهلاك. وكفى باللحج: عن الامور العظام كالحروب وتدمير الدول. وبالعرف: عن الهلاك بها لأنها مظنة، والتهمة في الدحول مداحل السوء: لأنها مظنة ما يتهم به من السوء، وكثرة الخطأ في كثرة الكلام: لأنها مظنة. وكثرة الخطأ يستلزم قلة الحياء: لكثرة مقابلة الناس بما يستحي منه، وتعوده حتى يصير حُلماً. وقلة الورع بقلة الحياء: لأنه من الورع فقصانه بقصانه، وموت القلب قلة الورع: لأن ماورع، ولروم الاعمال الجسمية حياة لقلب وبعدها موته. واستعار لعدم المصداق: لفظ الموت، والرضى لنفسه بما يُسكرة من عيب غيره احمق: لمخهته الزاى الأصوات في انكرها. واستلزام ذكر الموت للرضا باليسير من الدنيا: لعلمه للذاكر بعدم الاستماع بالكثير منها. وباحسرة اللائمة: لمصارفته. ولزوم قلة الكلام الآ فيما يعنى: للعلم بأن الكلام من جملة العمل بدس، هكذا، بكلام من الأعمال، ولاعمال تكتب و تُؤخذ على الفضول منها ينتج أن الكلام يُكنث ويُؤخذ على الفضول منه.

٣٣١. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: يَلْطَلِمُ مِنَ الرَّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: يَغْلِيهِمْ مِنْ قُوَّةِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمِنْ دُوَّةِ بِالْعَلْبَةِ، وَيُظْهِرُ الْقَوْمَ اِظْلَمَةً.
اراد بمن فوقه: خالقه وإمامه. وامطاهرة: المعاونة.

٣٣٢. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: عِنْدَ نَتَاقِي اشْدَّةُ تَكُونُ الْفُرَحَةُ، وَعِنْدَ تَصَاقِي حَقْنِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّجَاءُ.

لأن تناهي الشدة ان لم يستلزم الخلاص منها، لم تكن قد تناهت وقد فرصت. وكذلك استعار لفظ الحلق: للشدائد على احاطتها بالانسان لا يحد منها مخلصاً كالحنقة.

٣٣٣. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام لِيَتَصَّ أَصْحَابِي: لَا تَخْتَلَنَّ أَكْثَرُ شُعْبِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ - فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَتِلْكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُصِيبُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَغْدَاءَ اللَّهِ فَمَا

هَمَّتْ وَشَعَلَتْ بِأَعْدَائِ اللَّهِ؟!

اراد شغله بهم: صرف همته كلها، او اكثرها الى مصالحهم الدنيوية، و هو المتهي عنه لصرفه عن عادة لله، دون لقدر الضرورى من ذلك .

٣٣٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اكْبُرُ الْقَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِنْهُ.

٣٣٥- (وَهَذَا حَضَرَهُ رَجُلٌ رَجُلًا بَعْلَامٌ وَلَدِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يُهْنِكَ الْفَارِسُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ شَكَرْتُ الْوَاهِبِ، وَتَوَكَّلْ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَبَلَّغْ أَشَدَّهُ، وَرَبِّقْ رِيَّةً.

وهذا ارشاد الى كيفية التهمة المندوب اليه شرعاً.

٣٣٦- (وَبْنَى رَحِمَهُ مِنْ عَمَالِهِ بِنَاءً فَحَمًّا) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَطْنَعْتَ الْوَرِقَ رُءُوسَهُ إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْيَقِي.

فالفهم: العظم. وكنتى كطوع الورق رؤوسها: عن ظهور اثرها فى البناء.

٣٣٧- (وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ سَدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتَرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَحَلُّهُ.

ففيه على حيثية الرزق: بحيثية الأجل، لا شتر كهما فى مبدء واحد وهو قدرة الصانع تعالى.

٣٣٨- وَغَرَى قَوْمًا عَنْ مَبْنِيَّاتٍ لَهُمْ هَدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذَا لَأَقْرَبُ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلَا إِلَيْكُمْ أَنْتَهَى؛ وَهَذَا كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَعَدُوهُ فِى بَعْضِ أَشْفَرِيهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

عدوه اى: افرضوه كذلك.

٣٣٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهُ النَّاسُ، يَسْرُكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجَبِيرَ كَمَا يَرَاكُمُ مِنَ النِّقْمَةِ قَرِيبًا! إِنَّهُ مَنْ وَشَعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ قَلَمٌ يَرُدُّكَ أَسْتِدْرَاحًا فَقَدْ أَفْرَأَ مِنْ حُقُوقِهِ، وَمَنْ ضَبَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ قَلَمٌ يَرُدُّكَ اخْتِيَارًا فَقَدْ ضَبَعَ مَأْمُولًا.

والاستدراج: الأخذ على عرة، وهو شارة: التي كون النعمة بلاءً يجب مقابله بالشكر، كما أن النعمة بلاءً يجب مقابله بالصبر. والمأمول: الذي ضيعه آخر الصبر على الاختيار بالمقر وضيق ذات اليد.

٣٤٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا؛ فَإِنَّ الْمُعْزَجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرْوَعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفَ آتِيَابِ الْجَدَثَانِ. أَيُّهُ النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَذَابِهَا.

فاستعذر لفظ الأسرى: لمن ملكته رغبته في الدنيا. واستعار لفظ صريف الآتياب: لمقدمات الموت من الأمراض المحوفة وسحوها. ولفظ الصراوة وهي: الجراءة: على الصيد لحرأة النفس! واقدامها على أعداء المضرة في الآخرة.

٣٤١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَنْظُرَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا.

وذلك من مكارم الأخلاق؛ وداحل تحت حسن الظن.

٣٤٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كُنْتَ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُحْنَاءُ، حَاجَةً فَاتِدًا بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ، ضَمَّنِي اللَّهُ عَنِّي وَإِلَيْهِ وَسِّمٌ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْصِي إِحْدَاهُمَا وَيَسْخَرِ الْآخَرَى.

٣٤٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ضَمَّنَ بَرِيضَهُ فَلْيَدْعُ الْمِرَاءَ.

أي: من يحمي بمرضه لأن المراء داعية المخاصمة والمساومة، واحذ العرص

٣٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِزَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَ، لِأَنَّهُ بَعْدَ الْقُرْصَةِ.

والخرق: ضد الرفق، و هو التعسف فى الامور والمعجة فيها، هى: طرف الافراط من فضيلة صلها كما ينبغي. والآنة: طرف التصريط، وهما مذمومان ونفر عنهما بكونهما من الخرق.

٣٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا نَسْأَلُ عَمَّا لَا يَكُونُ فَبَيْنَ الْيَدَى قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

اى: من احكام الحوادث التى لم تقع. ففى الذى قد كان لك شغل، اى: باستنباط مسائلها الكثيرة واحكامها الدقيقة.

٣٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْفِكْرُ مِرَّةٌ صَاقِفَةٌ، وَالْإِعْتِبَارُ مُنْذَرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِيَعْبُرَكَ .

فستعار لفظ المرأة الصافية: للعكر لانتقاش الصور المعقولة، كانتقاش المرأة باصطوار المحسوسة. و لفظ المذر الناصح: للاعتبار لصدقه فيما يفيد من اليقين بالموت وما بعده.

٣٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: قَسَمْتُ عَيْمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ

بِالْعَمَلِ: فَإِنْ أَجَابَهُ وَالْآ أَرْتَحَلَ عَنْهُ.

اى: مقرون به بمقتضى الحكمة الالهية فى كمال النفس الانسانية، لان العلم: كمال القوة النظرية، والعمل: كمال القوة العملية، ولا كمال لها بدونهم. وقوله: فمن علم عمل، اى: لزمه ان يعمل بعلمه والآ لم يكن علما. وقيل: لزمه بمقتضى الحكمة ان يعمل بعلمه. واستعار لفظ الهتف وهو النداء: للمعقول من طلب العلم لمقارنة العمل وجذبه الطبيعي الى مقارنته ليكون مهما كمال الانسان. وقوله: فان اجابه والآ ارتحل

عنه، اى: ان لم يقارنه رل لآ العمل يؤكد العلم ويصيره مدكة وترك ذلك ينسيه ويستلزم العفة عنه، ويزول وهو لمراد بالارتحل.

٣٤٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَيُّهَا سَاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِىٌّ فَتَجَبَّوْا مَرْعَاهُ!!

فَلَعْنُهَا أَحْطَى مِنْ ظَمَائِيَّتِهَا؛ وَلَعْنُهَا أَرْكَى مِنْ ثَرَوَاتِهَا.

حَكِيمٌ عَلَى مُكْثَرِهَا بِالْقِدْرِ، وَأَعْيَنَ مَنْ غَنَى عَنْهَا بِالرَّاحَةِ. وَمَنْ رَقَهُ زَهْرُهَا أَغْشَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَتُّهَا، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ الشَّغْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرُهُ أَشْجَانًا لَهَا رَقَصٌ عَلَى سَوِيَّةٍ أَيْ قَسَمِهِ هُمْ يَسْعَهُ وَهُمْ يَحْرَهُ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَضْبِهِ فَيُنْفَى بِالْقَصَاءِ مُنْقَضًا أَهْرَاقَهُ، هَيْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ قَاوُهُ، وَعَنَى لِأَحْوَالِهِ الْوُدُّ؛ وَتَمَّ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى اسْتِبْطَائِهِ الْإِغْتِيَارَ وَيَنْفَتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِالذِّبِّ الْمَقْبُوبِ وَالْإِنْعَادِضِ إِنْ قِيلَ أَثَرِي قِيلَ أَكْذَى!! وَإِنْ قُورِحَ لَهُ بِالْبَقَايَا خُرِنَ عَلَيْهِ لِقَاءُ هَذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمَ قِيَامِهِ بَبِلُسُونُ.

اقول: استعار لفظ الحطام لمتاعه. و موبى: المهلك فى الآخرة، بجمعه واقتاتنه. ولفظ مرعه: لمحلّ تحصيله. واصعة: ارحمة وعدم الاستقرار واحطى: انفع، و راد: انّ عدم الاستقرار فيها انفع من السكون لها. و اركى: اظهر للنفس، و من غي عنها اى: بقاىته وزهده فيها و كمالات نفسه. وقوله: من راقه، الى قوله كمتها، اى: من اعجبته زينتها فاتحتها اعمت عين بصيرته عن دراك ما وراءها من احوال الآخرة. واكمه: العمى خلفة. واستشعر الشغف بها اى: اتخذ محبتها شعرا. والاشجان: الهموم والاحزان. والرقص: الاضطراب والحركة. و اراد بذلك: حركة الفكر ولخيال فى الاهتمام بها والعمل لها. والكظم: محرى النفس، والأخذ به: كناية عن الموت. والابهران: عرقان متعقبان للقلب. وقوله: ان قيل: اثرى، الى قوله العساء: وصف لحال الانسان فيها من تنغيص اللذة وتكدير العيش لمعاقبة لمكارهه. و اكذى: قلّ خبره، وهذا من تمام الكلام الاول، ووصف حال المؤمن اعتراض بينهما. وقوله: هذى، اى: هذا لبلاء ولم يأتهم يوم القيامة. والابلاس: اليأس من الرحمة.

٣٤٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ أَلَّهِ سُبْحَانَهُ وَصَعَ اثْوَابٌ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعَذَابُ عَلَى

مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ يَقْتِنِهِ، وَحَيَاشَهُ لَهُمْ إِلَى جَبِيَّتِهِ.
فالذيادة: الدفع والمنع. والحياشة: الجمع.

٣٥٠. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رِسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمِيَّةٌ حَامِرَةٌ مِنَ الْبَيَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهَدْيِ، سُكُنُهَا وَعُمَارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ: مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْهَيْئَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ؛ يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللَّهُ سُبحَانَهُ: فَبِئْسَ حَلَقْتُ لِأُبْعَثَنَّ إِلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانٌ وَقَدْ قَعَلَ؛ وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ اللَّهَ عِثْرَةَ الْعَمَلَةِ.
رسم القرآن: أثره وتلاوته. وقوله: وقد قعل: يستلزم أنه ادرك ذلك الزمان واهله، فكيف بزماننا، والفصل واضح.

٣٥١. وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ بِهِ الْمَنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ حُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَمَّوْا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ أَمْرُؤُوعَيْنَا فَمَلَهُوْا؛ وَلَا تَرَكُوا شَيْئًا مَلَدَى قَبْلَهُوْا وَمَا ذُنُوبُهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ يَخْلَفُ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَحَهَا سُوءُ لِنَظَرٍ عِنْدَهُ؛ وَهَذَا الْمَنْعُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هَيْئَتِهِ كَلَّاخِرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَذْنَى سَهْمَتِهِ.
فالسدى: المهمل. وسهمتيه: نصيبه. والفصل واضح من افصح العبارات في تفضيل الآخرة على الدنيا.

٣٥٢. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: عَشْرُ كَلِمَاتٍ:
لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ؛ وَلَا عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى؛ وَلَا مَغْفِلٌ أَحْصَى مِنَ الْوَرَعِ؛ وَلَا شَفِيعٌ أُنْحَضُ مِنَ التَّوْبَةِ؛ وَلَا كَنْزٌ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ؛ وَلَا مَانٌ أَذْهَبَ لِقَفَاةٍ مِنَ الرِّضَا بِالْعُيُوبِ؛ وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ أَنْتَضَمَ لِرَّاحَةِ وَتَبَوَّأَ خَفَضَ الدَّعَاةِ؛ وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَمَقِيلَةُ النَّعْبِ؛ وَالْجِرْصُ وَالْكِبِيرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّمَحُّمِ فِي الدُّنُوبِ؛ وَالشَّرُّ حَامِجٌ مَسَاوِي الْعُيُوبِ.

وقال عليه السلام: لا شرف اعلى من الاسلام: وذلك لاستلزامه شرف الدارين. ولا

عَزَّ اعَزَّ مِنَ التَّقْوَى: لاسْتِزْلَامِهَا دَوَامَ الْعِزَّةِ فِيهِمَا. وَلَا مَعْقِلَ احْصَنَ مِنَ الْوَرَعِ: لِتَحَرُّزِهِ عَنْ أَشَدِّ الْمَخَافِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْ مَذَامِ الرِّذَالِ فِي الدُّنْيَا وَلِوَازِمِهَا، وَالْوَرَعِ: لَزُومُ الْأَعْمَالِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمَعْقِلُ: الْحَصْنُ. وَلَا شَفِيعَ أَنْحَ مِنْ التَّوْبَةِ: لاسْتِزْلَامِهَا الْعَفْوَ عَنِ الْمَجْرَمِ جَرْمًا دُونَ سَائِرِ الشَّعْمَاءِ. وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ: لِأَنَّهَا غَنَى الْمَسِّ الَّذِي لَا حَاجَةَ مَعَهُ. وَلَا مَالٌ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقَوْتِ: وَهُوَ الْقَنَاعَةُ أَوْ لَا زِمَهَا. وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُغْيَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ، أَيْ: الْبُهْلَةُ الَّتِي تَكْفِي عَنِ النَّاسِ، وَانْتَضَمَ الرَّاحَةُ: دَخَلَ فِي سَكَنِهَا. وَتَبَوَّأَ خَفَضَ الدَّعَى: اتَّخَذَ لِسِنَ الرَّاحَةِ مَبَاءً وَمَقَامًا. وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَطَيَّةُ التَّعَبِ: فَاسْتَعَارَ لَفْظَ الْمِفْتَاحِ وَالْمَطِيَّةِ: لِلرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، لِكُونِهَا سَبِيلًا لِلْمَتَاعِ فِيهَا. وَالْحَرَصُ وَالْكِبَرُ وَالْحَسَدُ، دَوَاعٍ إِلَى التَّفَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، أَيْ: الدَّخُولِ فِيهَا بِسُرْعَةٍ. وَالشَّرُّ جَامِعٌ مَسَاوِيٍّ الْعُيُوبِ: لَصَدَقَهُ عَلَى جَمِيعِهَا كَالْجَنَسِ لَهَا.

٣٥٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِحَاكِمِ الْأَنْصَارِيِّ: يَا جَابِرُ، قِيَامُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٌ مُسْتَعْمِلٌ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَخَوَادٌ لَا يَتَحَلَّى بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا، فَادَّارَ صَبَحَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ لَمَسْتَكِفٌ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا. يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ خَوَائِعُ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ فَمَنْ قَامَ إِلَيْهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَتَاءِ.

فَاسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ: عَمِلَهُ عَلَى وَفْقِهِ. وَإِشَارَ بِقَوْلِهِ: عَالِمٌ، إِلَى قَوْلِهِ: بِدُنْيَا، إِلَى مَا بِهِ قِيَامُ النَّاسِ وَصَلَاحُ حَالِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ، وَمَعَادِهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ. وَإِلَى ضِدِّ ذَلِكَ الْمُسْتَلْزِمِ حَالِهِمْ مِنَ الرِّذَالِ، وَقِيَامِ الْعَبْدِ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ فِي نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ الشُّكْرَ عَلَيْهَا وَصَرَفَهَا فِي مَصَارِفِهَا الشَّرْعِيَّةِ، وَعَدَمِ قِيَامِهِ فِيهَا بِذَلِكَ كِفَوَاتِهَا وَمَنَعِهَا عَنْ وَجْهِهَا.

٣٥٤- وَرَوَى ابْنُ حَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَأْرِيخِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ- وَكَانَ مَقَرَّ خَرَجٍ لِقِتَالِ الْحِجَّاجِ مَعَ أَبِي الْأَشْعَثِ- أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا

أهل الشام:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّهُ مَنْ رَأَى غَدَوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ
وَتَرَىءَ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أَجَرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَمْ يَكُنْ
كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعَلِيَّةُ وَكَلِمَةُ الطَّالِمِينَ هِيَ السُّعْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ
عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ. ١

وقد قال في كلام له - عليه السلام - غير هذا يجرى هذا المجرى.

٣٥٥ - فَيَنْتَهُمُ الْمُتَكَبِّرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِيُخْصَالَ
الْخَيْرُ، وَمِنْهُمْ الْمُتَكَبِّرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ
مِنْ يَخْصَالِ الْخَيْرِ وَمُضْطَبَّعٌ خَصْلَةً؛ وَمِنْهُمْ الْمُتَكَبِّرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ
الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكُ لِانْكَارِ
الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَمْنُونٌ لِأَخِيهِ، وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا كَتَفَتُهُ فِي تَخْيِيرِ لُجْجِي، وَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنَهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَحَدٍ وَلَا يَتَقَصَّانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ
ذَلِكَ كَلِمَةُ عَدَلٍ عِنْدَ إِمَامٍ حَائِزٍ.

اقول: الضمير في «أنه قال» راجع إلى ابن الأشعث، وسلم: يرى من الإثم. وأشار
بقوله: ليكون (كلمة الله هي العليا) إلى شرط أصابته سبيل الهدى دون عرض آخره إنكار
المنكر. واستعار لفظ الميت: لتارك الأمر بالمعروف مطلقاً باعتبار خلوه عن جميع
خصال الخير التي يستلزمها. ووجه شبه أعمال البر: بالنفثة كون أعمال البر خزينة تحت الأمر
بالمعروف والتنهى عن المنكر، وداخلة فيهما وقليلة جداً بالنسبة إليهما كالنفثة
في البحر.

٣٥٦ - (وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ) أَوَّلُ مَا تُعَلَّبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِأَقْدَامِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا

وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا قَلِيلًا فُجِحَتْ أَعْلَاهُ أَسْفَلُهُ وَأَغْلَاهُ أَسْفَلُهُ.

ومعنى عليهم على الجهاد بقلوبهم: أنهم اذا غلبوا عنه بأيديهم وألستهم الفوا
المكر، واعتادوا الانتقار عن انكره فرل من قلوبهم، ولم يبق لها انكره، واستعار
وصف العيب: لانتكاس عقله فى مهوى لرذائل.

٣٥٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْحَقَّ نَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ

أَي مَهْلِكٌ عَدْلَهُ.

٣٥٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَأْمَنْ عَلَى خَيْرٍ هَذِهِ لِأُمَّةٍ عَدَاتُ اللَّهِ لِقَائِهِ تَعَالَى:

(فَلَا يَأْمَنْ مُنْكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) ^١ وَلَا تَبَاسٌ لِّشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى
(إِنَّهُ لَا يَبَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ^٢.

فاستعار لفظ المكر لا مهل الله، ثم حبه على عزة وهو: صورة مكر وخداع.

٣٥٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبَخِيلُ جَمْعٌ لِمَسْلُوبٍ أَلْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يَقَادِبُهُ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

وذلك لانه يستلزم البخل بمواضع بذل المال ووضعه فيها. ولقبحور: العبور فى
تحصيله عن فضيلة شهوته وهى لعفة الى طرف الافراط والجبن، لأن البخل يماله أسخل
بنفسه. والظلم والانظلام وهو ظاهره هذه الرذائل الاربع اسهات العيوب والردئل، و
تحتها رذائل كثيرة كالانواع لها كالحرص، والحسد والكذب والشره ودناءة لهمة والغدر
والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة، وكلها لوازم الحبل وتوابعه، والاستمراء يحقق
صِدْقَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣٦٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ

أَتَاكَ، فَلَا تَعْمَلْ هَمَّ سَتَيْكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ! كَقَوْلِكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ نَكَلِ السَّنَةُ
مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَدُّهُ سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ عَدُوٍّ حَيِّدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ

١- سورة الاعراف/ ٩٩. ٢- سورة يوسف / ٧٨.

مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَضَعُ بِهِمْ بَمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يُسَبِّحَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يُلْبِسَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُطِيعَ عَنكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الآتيه هاها وضع واشرح، فذلك كركزه على القعدة المقررة في أول الكتاب. قوله: فيه، أي: في يومك. والمصل واضح، وقد سبق مثله شرحاً.

٣٦١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّ مُسْتَقْبِلِ يَوْمٍ لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَعْنُوهُ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ تَوَاضُعُهُ فِي آخِرِهِ.

٣٦٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكَلَامُ فِي وَدِّكَ مَا لَمْ تَكَلِّمْ بِهِ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرَتْ وَثَاقُهُ، فَأَحْرَقْ لِسَانَكَ كَمَا تَحْرُقُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، قُرْبَ كَيْمَةٍ سَلَّتْ نِعْمَةٌ وَجَسَتْ نِقْمَةٌ.

فالوثاق: الحبس. ولفظه مستعار.

٣٦٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُنْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا نَعَمَ قَبْلَ اللَّهِ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُنْهَ فَرَائِضَ يَخْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أراد فرض عليك في جوارحك: لأن الإنسان هو المكلف بالمرض.

٣٦٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِحْذَرُ أَنْ يَرَّكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَةٍ وَيَقْبِذَكَ عِنْدَ ظَعْنِهِ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوَيْتَ وَقَوَّعَى ظَعْنُ اللَّهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ قَاصُفٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وهو ظاهر.

٣٦٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الرُّكُودُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تَعَايَرُ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّعْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثَّقْتَ

يَا شَوْبَ عَذِّهِ غَيْبٌ، وَالْطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِيَارِ عَجَزٌ.

أراد بما تعاین منها من التغير والزوال، وجهه بما ينبغي له مع ذلك من الحذر والاستعداد للأمور الثلاثة الباقية في الآخرة. والتقصير في حس العمل؛ غس، لأنه ترك خبير كثير لعمل يسير، والعجز هي الطمأنينة التي كُلُّ أَحَدٍ، أي: عن البحث عن ينغي السكون إليه والفرقة عنه.

٣٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ هَوِيَ اسْتَبَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَغْصَى إِلَّا فِتْنَاهَا، وَلَا يَنَالُ مَاعِئِدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا.

٣٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ظَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ تَغَضَّه.
أي: غاباً وفي المعتاد.

٣٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ نَعْتِهِ السَّارُّ وَمَا شَرُّ بِشَرِّ نَعْتِهِ الْحَنُّ، وَكُلُّ نَيْمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْمُورٌ، وَكُلُّ تَلَاؤٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ.
أراد: ما خير بعده النار يستحق أن يسمى خيراً، وما شر بعده الحنة ينبغي أن يعدَّ شراً.

٣٦٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا وَانَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْمَاقَةِ؛ وَأَشَدُّ مِنَ الْمَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ؛ وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ. أَلَا وَانَّ مِنَ السَّعْيِ سَعْيُ الْمَالِ وَالْفَصْلُ مِنَ سَعْيِ الْمَالِ صِحَّةُ النَّفْسِ؛ وَالْفَصْلُ مِنَ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ.
فالتفاوت بين مرض البدن، ومرض القلب: بالردائل بالشدة والضعف بحسب تفاوت غايتهما، وهو الموت المحسوس والموت المعقول؛ وما يلزمهما من الشدة والعذاب وما يفوت بسببهما من العاقبة والحسنة العقلية^١.

١ - هي ش هكدا: من العاقبة الحسنة والعقبة.

٣٧٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يَتَأَخَّرُ فِيهَا رَبُّهُ؛ وَسَاعَةٌ يُرْمَى مَعَاشُهُ؛ وَسَاعَةٌ يُحَلَّى بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَدُنَّهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ وَلَيْسَ يُلَاقِي أُنْذَانَهُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرَّتَهُ لِمَعَاشٍ؛ أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَقَادِهِ؛ أَوْ لَذَةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

قسم زمان المؤمن الى اقسامه الثلاثة التي ينبغي له بحسب مقتضى الحكمة العملية، ورم المعاش: اصلاحه ويجمل: يحسن، والشاخص: الذئب من بدو الى بلد.

٣٧١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبْصِرَكَ اللَّهُ عَوَازِيهَا، وَلَا تَعْمَلْ فَلَسْتَ بِمَعْمُولٍ عَنْكَ!

الزهد في الشيء مستلزم لادراكه هيوبه: لان حبك انشىء يعنى ويصم.

٣٧٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَكَنَّمُوا تُعْرِفُوا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ. وَقَدْ مَرَّ مَفْسُراً.

٣٧٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حُذِّ مِنَ الدُّبِّ مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّى عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنَّ أُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجِيزٌ فِي الظَّلْبِ.

فامر بالفتنة^١ ثم بالاجمال في طيب الدنيا ان لم يكن القساعة وهو طيلها من الوجه الذي ينبغي، وعلى الوجه الحميل الذي ينبغي.

٣٧٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُبُّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلِ.

اي: قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالاشقة واصولة، ويكون القول انفذ في غرضه، ويضرب مثلاً للرفق وللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالسف^٢.

٣٧٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.

١- في ش' اولاً.

٢- هذا الشرح بكلمه غير موجود في نسخة ش.

أى: مما يمكن الاختصار عليه، وفيه حذف إلى القناعة.

٣٧٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَمْنِيَّةٌ وَلَا دَنِيَّةٌ! وَلِتَقَالُوا وَلَا تَسْأَلُوا، وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَعْدٌ لَمْ يُعْطَ قَائِمٌ، وَالذَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَوَدَّ كَدَّ لَكَ فَلَا تَنْظُرْ، وَإِذَا كَدَّ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!
وقال عليه السلام: لَمْنِيَّةٌ وَلَا لَدَنِيَّةٌ، أى: تحتل المنيّة ولا تحتل لدنّة. وقيل:
الأمنيّة متداً دلّ على حصره، قوله ولا الدنيّة، أى: أسهل من ركوب الدنيّة، وهى:
الأمر الحسيس يرتكب فى طلب الدنيا. والسؤال ولا التوسل أى: إلى أهل الدنيا فى
طلبها. ومن لم يُعط قعداً لم يُعط قائماً، فكأنه بالعود عن: «طلب السهل»، وبالقيام عن:
التعسف فى الطلب، أى: من لم يرزق بالطلب لسهل لم يفعه الشّديد، والتعسف فى
طلبه، والحكم أكثرى. وقيل: أراد من لم يرزق الشىء فى نفس الأمر لم تنفعه الحركة
فيه. والذهريومان، يوم لك، ويوم عليك، فدا كان لك فلا تبطر، ودا كان عليك
فاصبر. والطر: تجاوز الحلة.

٣٧٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مُدْرَنَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَفْنٌ مِنْ عَوَائِلِهِمْ.

أى: يستلزم الأمن منها. والغائلة: الحقد.

٣٧٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِبَعْضِ مُحَاطِيهِ - وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْعَرُ مِنْهُ عَنْ

قَوْلِ مِثْلِهَا - لَقَدْ طُرِثَ شُكْرًا، وَهَذَرَتْ سَقْبًا.

قال السيد رحمه الله: والشكير ههنا: أوفى ما يثبت من ريش القائر قبل أن يقوى
ويستحصف. والسقّب: لصغير من الإبل ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل.

واقول: الشكير هو لفرخ قبل السهوض، واستمار لفظى الشكير، والسقّب: باعتبار
صغر قدره عما تكلم به. ووصف الطيران والهدير له: باعتبار تهوضه إلى كلام ليس من
شأنه.

٣٧٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أُوْنَا إِلَى مُتَغَاوِتِ حَدَثِهِ الْحَبْلُ.

اراد باستفاوت التي يتعذر اجتماعها ويضعف الوسع عن تحصيلها في العدة.
واستعار وصف الخدال لعدم مودة الحبل له فيما يرومه من ذلك.

٣٨٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ سِيلَ عَنْ مَتْنِي قَوْلِهِمْ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»-
إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا هُوَ أَمْرُكَ بِهِ مِمَّا كُنَّا
وَمَتْنِي أَحَدُهُ مِمَّا وَضَعَ تَكْوِينُهُ عَدَّ.

٣٨١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ- رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَقَدْ سَمِعَهُ يَرَاهُجُ الْمَعْبِرَةَ بِنِ شَعْبَةَ
كَلَاماً: دَعُهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَرَرْتَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَنَى عَمُّهُ لَيْسَ عَلَى
نَفْسِهِ لِيُجْعَلَ الشُّهُاتِ عَاجِزاً لِنَفْطَاتِهِ.
ارد انه لا يعمل من الدين الا بما يسنرم ذنباً و يقرب منها. وسقطاته زلاته.

٣٨٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَحْسَنُ تَوَاضُعِ الْأَعْيُنِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ!
وَأَحْسَنُ مِثْلِهِ الْفُقَرَاءُ عَلَى الْأَعْيُنِ أَنْكَالًا عَلَى اللَّهِ.
وفيه تنبيه على ان لتيه له موضع يحسن فيه.

٣٨٣- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَسْوَدَعَ اللَّهُ أَمْرًا عَقْلاً إِلَّا أَسْتَفَدَّهُ بِهِ يَوْمَئِذٍ!
أي: يكون سبباً لحلاصه من بلاء دنيوي وانخروى.

٣٨٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَغَهُ.
فمصارعة الحق: معالته، ومقارنته، والحق اكثر عوياً واغز انصاراً.

٣٨٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَلْبُ مُضْجَعُ الْبَصْرِ.
فاستعار لفظ المصحف للقلب باعتبار انتفاشه بصورة ما ينبغي استكلم به في روح

الخيال، وادراك الحسن المشترك له من باطن فهو كالمصحف يقرأ منه.

٣٨٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: انْتَمَى رَأْسُ الْأَخْلَاقِ.
لِأَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى جَمِيعِهَا مِمَّا تَلَامَهُ السَّعَادَةُ الْآدَمِيَّةُ دُونَ كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ مِنْهَا.

٣٨٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَكَ؛ وَبَلَاغَةُ قَوْلِكَ
عَلَى مَنْ مَدَّدَكَ.

وهو كالمثل يضرب لمن يحصل من الانسان عملاً وادباً، فيستعين بذلك على
مخاصمته. ذرب اللسان: حديثه.

٣٨٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَّكَ أَدَبًا لَيْفِيكَ أَجِينَاتُ مَا نَكَرَهُ مِنْ غَيْرِكَ.
أَرَادَ بِمَا يَكْرَهُ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الرِّدَائِلِ، وَاجْتِنَابَهَا نَعَمَ الْأَدَبِ، وَتَفَرُّعُهَا بِكَوْنِهَا
مَكْرُوهَةً لَهُ.

٣٨٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَخْرَافِ، وَإِلَّا سَلَا سُلُوكُ الْأَعْمَارِ
وَفِي خَيْرٍ آخِرُ أَهْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ- قُلْ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مَعْرِيًّا:
إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكْرَامِ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوكَ الْبَهَائِمِ.
وَالْأَعْمَارُ جَمْعُ عُمَرٍ: وَهُوَ الْجَاهِلُ.

٣٩٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: تَمُرُّ وَتَصُرُّ وَتَمُرُّ.
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَابًا لِلْأَوْلِيَاءِ، وَلَا عِقَابًا لِلْأَعْدَاءِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرُكِبٍ
تَبَتَّاهُمْ حُلُوكًا إِذَا صَاحَ سَائِقُهُمْ فَأَرْتَحَلُوا.
أَرَادَ تَصَرُّ لِمَحَبَّتِهَا، وَتَمَرُّ بِزِينَتِهَا، وَتَمَرُّ بِفِرَاقِهَا مِنَ الْمَرَارَةِ.

٣٩١- وَقَالَ لِأَبِيهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تُحَلِّصْ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنْ أَسْتِيَا؛ فَإِنَّكَ

تَحِلُّهُ لِأَخِي رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بَطَاعَةٌ لِلَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ
بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .
(ويُروى هذا الكلام على وجه آخر وهو)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَكَ أَهْلٌ قَلِيلٌ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ
تَعَذُّكَ ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَخِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِمَا جَمْعَتُهُ بَطَاعَةَ اللَّهِ فِيهِ فَسَعِدَ بِمَا
شَقِيتَ بِهِ؛ أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ
تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تُحِيلَ لَكَ عَلَى صَهْرِكَ فَارْحُ لِمَنْ قَدْ مَضَى رَحْمَةً لِلَّهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ
وَرَقَّ لِلَّهِ.

ويُروى هذا الكلام على وجه آخر وهو:
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا ...
والفصل من أحسن الآداب في بذل المال.

٣٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لِقَائِهِ) قَانِ حَضَرْتَهُ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» تَكَلَّمَ مَكَاتِدْرِي مَا
الِاسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلَاسِ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا التَّوَدُّعُ عَلَى مَا
مَضَى، وَالثَّانِي: الْغُرْمُ عَلَى تَرْكِ الْمَعْرُوفِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمُحْلُوقِينَ
حُوقَقَهُمْ حَتَّى تَسْقَى اللَّهَ أَفْمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبَعُهُ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ قَرِيبَةٍ عَلَيْكَ
ضَمَّتْهَا فِتْوَى حَقِّهَا، وَالْحَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى الْمَخِيمِ الَّذِي لَبَّثَ عَلَى السُّبُحِ فَنُذِيئُهُ
بِالْأَخْزَابِ حَتَّى تُلْصِقَ الْحَلْدَ بِالْعُظْمِ وَيُسَا بَيْنَهُمَا لَحْمٌ حَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُدَيِّقَ الْجِسْمَ
أَلَمَ الْقَاعَةِ كَمَا أَدَقَّتْهُ حَلَاوَةُ الْمَعْصِيَةِ، فَمَعْدُ ذَلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ».

اقول: لما كان الاستغفار هو طلعت المعقرة، وكان الطلب بدون التوبة والعمل
للمطلوب حمفًا كما اشار اليه فيما قبل، كانت الأمور المذكورة من الوازم التي ينبغي
للاستغفار فحتربها عنه. واستعار لفظ الأملس: لقي الصحيحة من الإثم.

٣٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحُلْمُ غَشِيرَةٌ.

فاستعار لفظ الغشيرة: باعتبار أنه يحصى صاحبه ويحبه الأذى ممن يُدْفِرُهُ وَيُعْدِيهِ.

٣٩٤- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَسْكِينٌ ثَلَاثُ أَقْدَامٍ: مَسْكِينُ الْأَنْفَلِ، مَسْكِينُ الْيَعْلَى، مَحْقُوطُ الْعَمَلِ، تَوَلَّيْتُ الْبَقْعَةَ، وَتَقَنَّيْتُ الشَّرْقَةَ، وَتَبَيَّنْتُ الْعَرَقَةَ.
فالعلل الأمراض ولأعرض والصمات المذكورة: وحده لمسكة والضعف.

٣٩٥- (وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ، فَفُتِرَتْ بِهِمْ أَمْرًا حَسِيبَةً فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَنْصَارِهِمْ) فقال عليه السلام: إِنَّ أَنْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَّيْحٌ، وَإِنْ ذَلِكَ سَبَبٌ هَابِيهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تَعُجُّهُ فَيَلَامِسُ أَهْلَهُ: فَإِنَّمَا هِيَ أَمْرَاءُ كَأَمْرَاءِ، (فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَوَارِثِ «قَائِلًا لِلَّهِ كَافِرًا مَا فَفَّهَهُ» «فَوَسَّيْتُ الْقَوْمَ لِيَقْلُوهُ»)، فقال عليه السلام: رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ يَسَبُّ أَوْ عَمُودٌ عَنْ ذَنْبٍ!
والرمق: الطر. وطموح: كصر: ارتفاعه. والهبس، وإهباب: صوت التيس عند هياجه. والكلام واضح.

٣٩٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَاكَ مِنْ غَضَبِكَ مَا أَوْصَحَ لَكَ سَبِيلَ غَيْبِكَ مِنْ رُسُودِكَ .
فاشارابي عابه اعقل العمى.

٣٩٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَخْفِرُوا مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ صَغِيرَةً كَثِيرٌ وَقَلِيلَةً كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي أَحَدًا أَوْ بَعْضَ الْخَيْرِ مَتَى فَيَكُونُ وَاللَّهِ كَذَلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلَسَرَ أَهْلًا فَمَنْ تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَمَا كُتُمُوهُ أَهْلُهُ.
قوله: فيكون والله كذلك لأن ذلك القول من اتارك ربما يكون باعثا لمن توتسم فيه فعل الخير. ونسبه اليه فيصدق قوله، وظنه بهعبه فيكون اولي به منه.

٣٩٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِيَدِينِهِ كَمَا أَمَرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ قِيَمًا بَيْتَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَمَا أَمَرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.
لأن حوال الطاهرة كالتمرات والآثار للأحوال الباطنة، وصلاحها، ومسادها تابعان لصلاح الباطن وفسده.

٣٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْجُلْمُ غِطَاءٌ سَائِرٌ، وَلِعَقْلٍ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَسُنُّرٌ خَلَلٌ حُلُقِيٌّ بِحُلُمِيٍّ، وَقَاتِنٌ هَوَاكَ يَتَفَيِّدُ.
 فاستعار فظ الغطاء: لحجم لستره ردائن الاخلاق. ولعقل الحسام: للعقل لقهر النفس الامارة به.

٤٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ بِلَىٰ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِيَتَفَيِّجَ الْيَدَ فَيَقْرِئَهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهُ، فَبَدَا مَعُودُهَا تَرَعُّهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ.

٤٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَتَّبِعِي لِلْعَنِي أَنْ يَتَّقَ يَحْضَلَّتَيْنِ: الْقَافِيَّةُ، وَلَجِي، بَيْنَا تَرَهُ مُعَافَىٰ إِذْ سَقِمَ، وَبَيْنَا تَرَاهُ عَبَا إِذْ افْتَقَرَ.
 نمر عن الثقة بهما، لاستمرارها العفلة عن الآخرة بصمير صغراه، قوله بينا تراه الى آخره.

٤٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ شَكََّ الْحَاجَةَ إِلَىٰ مُؤْمِي فَكَأَنَّهُ شَكََّهَا إِلَىٰ اللَّهِ، وَمَنْ شَكََّهَا إِلَىٰ كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكََّ اللَّهَ.
 وذلك ان المؤمن حبيب الله فالشكاية اليه كالشكاية الى الله، وهو في معرض ان يكون وسيلة الى الله في قضاء الحاجة. والكافر عدو الله فالشكاية اليه تشبه شكاية الله الى عدوه، اذ هو مبدأ الحاجة والغنى.

٤٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهَ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُقْضَىٰ اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

٤٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَا لَا

فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ قُوْرُهُ زُحْلٌ فَانْقَعَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُجْحَانُهُ فِدَخَلُ بِهِ الْحَيَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ
بِهِ الدَّرَّ.

كون ذلك اعظم الحسرات لعدم انتفاعه بماله وعذابه في الآخرة ومشاهدته
لانتفاع غيره به.

٤٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَحْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَحْبَبَهُمْ سَعْيًا رَجُلٌ أَحْلَى بَدَنَهُ
فِي ظَلَبٍ قَلِيلٍ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ التَّمَادِيرُ عَلَى إِزَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ
عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.
وتبعته: أتاهم التي يُطلب بها، ويتبع فيها.

٤٠٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرِّزْقُ رَرْقِي: ظَالِبٌ، وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ ظَلَّتِ الدُّنْيَا
ظَبْنَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهُ، وَمَنْ ظَلَّتِ الْآخِرَةُ ظَلْبَهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَقِي رِيقَهُ مِنْهَا.
فاستعار لفظ الطلب للرزق لأنه لا بد من وضوئه، فأشبه الطالب لصاحبه.

٤٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَوَّلِيَّ عَمَلِهِمُ الْيَدَيْنِ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا
نَظَرُوا النَّاسَ إِلَى ظَاهِرِهِمْ، وَاسْتَعْلَوْا بِأَحْلَى إِذَا اسْتَعَلَّ النَّاسُ بِعَاجِبِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا
أَنْ يُمَيِّتَهُمْ؛ وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَبْرُكُهُمْ وَرَأَوْا أَسْتَكْنَزَ عِيْرِهِمْ مِنْهَا أَسْتَعْلَا؛
وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْزًا، أَعْدَاءُ مَا سَأَلِمَ لِنَاسٍ وَسَلِمَ مَا عَادَى النَّاسَ! بِهِمْ غَيْمُ الْكِسَابِ وَبِهِ
عَبَسُوا وَبِهِمْ قَدَمُ الْكِتَابِ وَهُمْ بِهِ قَامُوا؛ لَا يَبْرُونَ تَرْجُوًا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَلَا مَحُوفًا فَوْقَ مَا
تَخَافُونَ.

فميز أولياء الله عشر صفات. وباطن الدنيا: حقيقتها. وعبرص الحكمة الآلهية فيها،
وأجبتها: ثواب العمل فيها الموعود في الآخرة. وما أماتوا منها هو: نفوسهم الامارة التي
خافوا ان تلعب نفوسهم المطمئنة فتهلكها، واستقلالا أي: من الخير الذي ينبغي طلبه
وقوتًا له. وما سألِم الناس هو: الدنيا، وما عادوه هي: الآخرة، وبه علموا: لاشتغالهم

به، وقاموا اي: بما امرهم به.

٤٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذْكُرُوا انْقِطَاعَ النَّدَاتِ، وَتَقَدَّ اسْتِغَاثَاتُ.

٤٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْبِرُ تَقْلِيه.

قال السيد رحمه الله: ومن اناس من يروي هذا لسرمول صلى الله عليه وآله وسلم
ومما يقوى أنه من كلام امير المؤمنين عنه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي، قال
المأمون: لولا أن عبياً قال «اخبرت قلّه» لقتت: قلبه تحجراً.

وقلاه: يقويه، وقويه يقلاء: ابعضه. والهاء مزيدة للسكت وهو: كالمثل يضرب
لاستدراغ احتشاد الناس بعضهم، واحتشادهم لما هم عليه من الرذائل وما ينكشمون عنه من
قبح البواطن.

٤١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَانَ اللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ ثَابَ الشُّكْرُ وَيُعْلِقَ عَنْهُ بَاتُ
الرِّيَاضَةِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَاتُ الدُّعَاءِ وَيُعْلِقَ عَنْهُ ثَابُ الْإِجَانَةِ وَلَا يَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَاتُ
التَّوْبَةِ وَيُعْلِقَ عَنْهُ بَابُ التَّعْمِيرَةِ.
فاشار الى استلزام امور ثلاثة، لأمرين ثلاثة وتصديقها من القرآن الكريم.

٤١١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهُمُ أَفْضَلُ: الْعَدْلُ، أَوِ الْحُودُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَدْلُ
يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْحُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ مَسَائِسُ عَامٍ، وَالْحُودُ عَارِضُ
نَحَاصٍ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

٤١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَغْدَاءُ مَا جَهِلُوا.
وقد مر بيانه.

٤١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّهْمُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْفُرَاتِ: قَالَ اللَّهُ شَبَّعْنَاهُ.

(لَكِنَّهَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَنَكُمُ، وَلَا تَهْرُجُوا بِمَا آتَاكُمْ) وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَهْرَجْ بِالْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الرَّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

اقول: الاعراض عن الدنيا: بترك الأسف عيها، والفرح بها في قُوَّةٍ خاصَّةٍ مركَّبة تلزم الرهد عَرَفَهُ بها. وكفى بأحد الرهد بصرفِهِ عن استكمالهِ بمبدئهِ وغايته.

٤١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ.

فاستعار بفظ لمضامير وهي: الأمكنة التي يصرفها الخيل للسباق: للولايات لأنها مظنة معرفة خَيْرِهِم من شَرِّهِم.

٤١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَمَصَّ النَّوْمُ لِقِرَائِمِ النَّبِيِّ.

وهو كالمثل يصرب: لمن يَعْرِمُ على امرٍ فيعفل عنه، أو يشهاون فيه حتى ينتقص عِزُّهُ عليه، واصله أن الرجل ينوي السير ليلًا لتوقُّر في نهاره على مسيره، فيعيبه النوم إلى الصباح فيفوت وقت العزم وينتقص من يومه.

٤١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

أي: ما حمل مؤنتك وقام بها.

٤١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأُسْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَالِكَ وَمَا مَالِكَ

لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِئْدًا لَا يَزِيغِيهِ الْحَاوِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الظَّائِرُ.

[قال السيد رحمه الله: ولقد: المنفرد من الجبال] (ومالك مبتدأ أو فاعل أي:

مات مالك. وما استفهامية هي معرض التمتعُّب من ذلك رحمه الله، وقُوَّةٌ في الذين. واستعار لفظ «الفئدة» له: لقُوَّةُ بأسه وعدم انفعاله عن العدو، وأراد: أنه لو كان جبلاً لكان منفرداً من الجبال^١) مُسْتَقِيلاً في عُودِهِ ورفعَتِهِ.

٤١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَلِيلٌ مَذْمُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوكٍ مِنْهُ.

اى: من الامور التى ينبغى ان تفعل.

٤١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَيْعَةٌ فَاسْطَرُّوا أَحْوَاتَهَا.

والرائعة: المسحبة اى: اذا كان فيه خلق فاضل، فان طبعه مظنة ان يكون فيه امثله

فيستوقع منه.

٤٢٠ - (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَدْلَبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الصَّرْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارِيَهُمَا:)

مَا فَعَلْتَ لِي بِكَ الْكَثِيرُ؟ قَالَ: دَغَدَعْتُهَا، الْحَقُّوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُّهَا.

فدعيتها بالذال المعجمة مكررة: فرقتها.

٤٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ اتَّخَذَ بَغِيرَ بَقِيٍّ فَقَدْ ارْتَقَطَ فِي الرِّبَا.

ارتطم فى التوخل ونحوه: وقع فيه فمم يتمكن الخلاص. واستعمار لفظه: للتناحر

الجاهل لوقوعه فى الربا.

٤٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ عَطَمَ صِعَارَ الْمَصَائِبِ ابْتِلَاءَ اللَّهِ بِكِبَارِهَا.

لاستعدده بتضجره وتسخطه من قصاء الله لزيادة لبلاء.

٤٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.

لعداوتها وتصاد كمالهما.

٤٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مَرَّحَ أَمْرٌ مَرَحًا إِلَّا مَرَّحَ مِنْ عَقْبِهِ مَجْعًا.

فستعرا لفظ المرح لما انتقص من العقل العملى بالمراح غير المعتدس، فانه يخالف

لرأى الأصلح وهو يؤذ بقصصان الرأى المؤذ بقصصان العقل.

٤٢٥- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُحْلُكَ فِي زَائِبٍ بَيْنَ نَقْصَانِ حَيْطٍ، وَرَعْنَتِكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذَلِكَ نَفْسٍ.
وهو ظاهر.

٤٢٦- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لِإِنِّ آدَمَ وَلَقَحْرٍ: أَوْهُ نُطْقَةً. وَآجِرُهُ جِبَّةً، لَا يَبْرُرِي نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَقَّهُ.
وقد مر مثله.

٤٢٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبَعْنَى وَالْمَقْرُبَةُ الْعَرَضُ عَلَى اللَّهِ.
فالنسي الحقيقي بالثواب، والمقرب بعده في الآخرة.

٤٢٨- (وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَعْرٍ شَعْرَاءَ؟) فقال عليه السلام: إِنَّ شَقِيمًا لَمْ يَخْرُؤْ فِي حَلَقَةٍ تُعْرِفُ لَعْنَةً عِنْدَ قَسَصَتِهَا؛ فَإِنْ كَذَبَ وَلَانَدَّ قَالَ مَيْكُ الصَّبِيلِ (يريد مرؤ القيس).
اراد انهم لم يقولوا الشعر على بهج واحد، حتى تفصل بينهم، بل لكل منهم خاصة يجيد فيها، وتسبع فيها قريحته، فواحد في الرغبة وآخر في الرهبة. ولذلك قيل: اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب، ولأعشى اذا رغب. والباغلة اذا رهب. واستعار لفظ الحلية وهي: القطعة من الحبل يقرن لسيف لمطريقة الواحدة. وأما حكم لامرؤ القيس بذلك لجودة شعره في اكثر حالاته. وسمى ضليلاً؛ لقوة ضلالته وقسوته.

٤٢٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا خَرَبٌ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَاطَةَ لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَهْلِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهُ إِلَّا بِهَا.

فاللماطة بضم اللام: بقية الطعام في الفم، واستعار لفظها: للدنيا لحفارتها الى تركها، وثنى اسفوس: الجنة هي قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ) الآية.

٤٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَامَةُ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْتِيَ الصَّدَقَ حَيْثُ يَصْرُكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمِيكَ وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

اراد بحديث غيره الحديث في عرصه بعبه أو سماعها . وقيل : اراد ان يحتاط في الرواية فلا يروى كذباً .

٤٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُعِيبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ . (وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم برواية تحالف هذه الرواية .) والمقدار : القدر والتقدير تقدير العبد لنفسه وتديرها لها ، وذلك لجهل بأسرار القدر فربما ظن ما هو آفة وسبب للهلاك مصدحة . وقد سبق شرحه .

٤٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَيُّمُ وَالْآفَةُ تَوْعَمَانِ يُبَيِّجُهُمَا غُلُّ لِهَيْمَةٍ . لانهما فضيلتان تحت عو الهمة من فصائل القوة العضوية تحت الشجاعة . واستعار لها لعل (التوعمان) : لكونهما متلازمان في مرتبة واحدة .

٤٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغِيَّةُ جُهْدٌ لَهَا جِر . لأنها اكثر ما تصدر عن لا يقدر على الانتقام فيعدل بها .

٤٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّ مَقْتُونٍ يَحْسِنُ الْقَوْلَ فِيهِ . اى : مبتلى بذلك ليعلم شكره من كفره .

٤٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدُّنْيَا حُلِقَتْ لِمَبْرِهِ ، وَلَمْ تُحْلَقْ لِتَمِيهَا . اى : للاستعداد فيها للثواب الآخرة .

٤٣٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَنِي لَيْسَى أُمِّيَّةٌ مُرَوِّدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدْ اُشْتَمُوا فِيهَا

تَبَيَّنَتْ ثُمَّ كَاذَهُمُ الصَّنَاعُ لَعَنَتْهُمْ.

قال السيد الرضى - رحمه الله -: والمروءة ما مفعول من الإرواء، وهو الإمهال والانتظار، وهذا من أفصح الكلام وغرره، فكأنه عليه السلام شبه المهله التي هم فيها بالمصمار الذين يجرون فيه إلى العاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نطمهم بعدها.

واقول: استعار لفظ المروءة: لمة دولتهم. وقد استعار لفظ الضبع: لبلاسقاط والاراذل.

٤٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ: هُمْ وَآلِهِمْ رَتُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَى الْيَوْمَ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ وَالْيَسْتِيهِمُ السَّلَاطِ.

الفوز: المهر، والسباط: التسماع. ويقال: للحاذق في الطعن أنه لَسَّطُ الْبِدِينِ أَي: أنه ثَقِيف. والسلاط: انحداد انفصاحة. ووجه الشبه بترسة العلو: حسن الرعاية له والقيام فيه.

٤٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَيْنُ وَكَأَنَّ لَهُ.

قال السيد الرضى: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه الله بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم يضبط الوعاء، وهذا يقول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رواه قوم لأُمير المؤمنين عنه السلام، وذكر ذلك المروء في كتاب «المفتصب» في باب «اللفظ بالحروف» وقد تكلمنا على هذه الاستعاره في كتابنا الموسوم «مجازات الآثار النبويه».

اقول: أنه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القرية: باعتباره يحفظ الإنسان لنفسه في يقطعه ان يخرج ربح ونحوها كما يحفظ الوكاء.

٤٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كَلَامِهِ: وَلِيَّتُهُمْ وَالْأَقْدَمُ وَأَسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِحِرَائِهِ.

١ - في ش: للارادل والامسقط.

والكلام من خطبة طويلة له أيام خلافته، ذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه به الى ان قال (فاختار المسلمون بعده بأرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه. ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الذين بجرانه على عسفٍ، وعجزٍ، كانا فيه. ثم استخلفوا ثالثاً لم يكن يملك امر نفسيه شيئاً غلب عليه اهله فقاده الى اهوائهم كما يقود الوليدة البعير المحطوم. ولم يزل الأمر بينه وبين الناس بعد تارة، ويقرب اخرى حتى نزلوا عليه فقتلوه. ثم جأوا في مدب الذبا يريدون بيعتي). في كلام طويل.

والجران: مقدم عنق البعير، وضربه بجرانه: كناية عن استقراره، كناية بالوصف المستعار.

٤٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ غَضُوضُ بَعْضِ الْمُسْرِفِ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (وَلَا تَكْسُوا الْقُلُوبَ بَيْنَكُمْ) لَنْتَهْدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَتُسْتَدَلُّ فِيهِ الْأَخْيَارُ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ.

فاستعار لفظ العضوض: لتدته، وعض الموسر على ما في يديه: كناية عن بخله. وتنهّد: ترتفع.

٤٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُظَرٍّ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ. قَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ (ع) يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ وَالْمُظَرِّي: كَثِيرُ الْمَدْحِ كَالْغَلَاةِ. وَالْبَاهِتُ لَهُ: الْمَفْتَرِي عَلَيْهِ كَالْخَوَارِجِ.

٤٤٢ - وَاسْتَلَّ عَنْ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهَمَهُ.

لأن غاية التوحيد ان يُحذَفَ عنه تعالى كل امرٍ اثبتهُ الوهم كما نُقِلَ عن الباقر عليه السلام: (فكل ما ميزتموه باوهامكم فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم) كما مر بيانه

فى الخطبة الأولى . والمراد من العدل: اعتقاد جريان العدل فى جميع أفعاله تعالى و أقواله، فلا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب ولا يؤثم^١ بهما

٤٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَخِيرْنِي الصَّمْتُ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا تَخِيرُ فِى الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.
فالحكم: الحكمة، وقد مر مثله.

٤٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِى دَعَاءِ اسْتَسْقَى بِهِ: اَللّٰهُمَّ اَسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ صِقَابِهَا.

قال السيد الرضى: وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعد والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التى تقمص برحالتها وتقمص بركبانها، وشبه السحاب خالية من تلك الروائح بالابل الذلل التى تحتلب طبعه وتقتعد مسحة.

واقول: انه استعار لفظ الذلل والصعاب: للمسحب لمكان المشابهة المذكورة. والتوقص: النزو، وتقارب: الخطو. والروايح: الأمور المخوفة.

٤٤٥ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَوْ غَيَّرْتُ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِى مُصِيبَةٍ! (يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

٤٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَثُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبٌ عِلْمٍ، وَطَالِبٌ دُنْيَا.
والنهم بالفتح: افراط الشهوة فى الطعام. ونفذه مستعار: لشدة طلب العلم والمال.

٤٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ (وَقَدْ اسْتَخْلَفَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسٍ وَأَعْمَالِهَا، فِى كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نِهَاءٌ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِ الْخُرَاجِ): اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ،

١ - فى ش: ولا يؤثم.

وَ أَخَذَ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ؛ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ.
 اى: يعود بالجلء على الرعية. والحيف يدعوالى السيف اى: الى محاربتهم
 للوالى، او الى هلاكه بسيف غيره.

٤٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى
 أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا.
 لَانَّ وجوب التعليم على الجاهل مستلزم لوجوب التعليم على العالم فى الحكمة
 الاكھية. وعن النبى صلى الله عليه وآله: (من تعلم علماً فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة
 بلجام من نار)!

٤٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ.
 قال السيد الرضى: لَانَّ التكليف مستلزم للمشفقة وهى: شرازم عن الاخ المتكلف
 له فهو شر الأخوان.

٤٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا اخْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ قَارَفَهُ.
 قال السيد الرضى: يقال: حشمه واحشمه بمعنى: اغضبه. وقيل: اخجله. واحتشمه
 طلب ذلك له وهو مظنة مفارقتة.

وبالله التوفيق والعصمة. وهو حسبنا ونعم الوكيل.
 هذا اختيار (مصباح السالكين) لنهج البلاغة من كلام مولانا وامامنا امير المؤمنين
 على بن ابي طالب عليه السلام. ورجاؤنا فى الله سبحانه اذ وفقنى لتمامه ان يجعله خالصاً
 لوجهه ويسعدنا فى الدارين بمتة ولطفه. وفرغ من اختصاره افقر عباد الله تعالى مبش بن
 على بن مبشم البحرانى عفا الله عنه فى آخر شوال سنة احدى وثمانين وستمائة (٦٨١)
 بعون الله وحسن توفيقه، والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا نبى الرحمة محمد

وآله وسلم تسليمًا كثيرًا...١.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی

١ - جاء في آخر نسخة ش هكذا: وبالله التوفيق والعصمة، وهذا آخر اختيار (مصباح السالكين) لتهج البلاغة من كلام مولانا وسيدنا امير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا، رب ائتني بالخير برحمتك يا ارحم الراحمين.

وقع الفراغ بمكة و لطفه يوم الخميس نصف النهار سادس وعشرين من ربيع الآخر من سنة ستة عشر و سبع مائة (٧١٦) من الهجرة وذلك بالحلّة الفضيحة آمنها الله تعالى من البليات و كتب حسين بن محمد الجرجاني المجاور عفا الله عنه.